المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد السابع

- المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.
- ردّ الجواب على من طلب مني عدم طبع الكتاب.
- الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول.
- رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد السابع

- المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.
- رد الجواب على من طلب مني عدم طبع الكتاب.
- الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول.
- رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م



العِلْمُ مِيراثُ النَّبِيِّ كَذا أَتَى   في النَّصِّ والعُلَماءُ هُم وُرّاثُهُ
ما خَلَّفَ المُخْتارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ   فِينا فَذاكَ مَتاعُهُ وأَثاثُهُ



رقم الإيداع القانوني: سبتمبر-2023

ردمك: 3-235-48-9947-978

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 550471594 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

المَورِدُ العَذبُ الزُّلال

فيما انتُقِدَ على بعضِ المناهجِ الدَّعويَّةِ من العقائدِ والأعمالِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلّامة

أحمد بن يحيى النَّجمي

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي المدخلي

راجعه وعلق عليه في مواضع
تلميذ المؤلف

محمد بن هادي المدخلي

تقريظ فضيلة الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَضِيلة الشَّيْخ والأخ الكريم أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي، حفظه الله وَوفَّقه، آمين، السَّلامُ علَيكم ورحمةُ الله وبركاتُه،

وبعدُ:

قرأتُ مُؤلَّفكم القيِّم: «**المورد العذب الزُّلال فيما انتُقِدَ علىٰ بَعْض المَناهج الدَّعويَّة مِن العقائدِ والأعمالِ**»، فوجدتُهُ كتابًا قيِّمًا مُفيدًا في مَوْضوعِه، تمسُّ الحاجةُ إليه في هذا الزَّمان الَّذي كثُرتْ فيه الحِزْبيَّاتُ والجماعاتُ الَّتي تَتسمَّىٰ - مَعَ الأَسفِ - باسْمِ الدَّعْوة إِلَىٰ الإِسْلامِ.

ومعلومٌ أنَّه ليسَ في الإسلام إلَّا جماعةٌ واحدةٌ، ومنهجٌ واحدٌ، هي جماعةُ أَهْلِ السُّنَّة، ومنهجٌ واحدٌ هو منهجُ الرَّسولِ ﷺ وأصحابِهِ، كما وَصَفهم ﷺ لمَّا ذَكَر الجماعاتِ والفِرَقَ المخالفةَ بقولِهِ: «**هُمْ مَنْ كان عَلَىٰ مثل ما أَنا عَلَيه اليومَ وأَصْحابي**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

فلَيْس لنا إلَّا جماعةٌ واحدةٌ هي جماعةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، ومنهجٌ واحدٌ هو منهجُ الرَّسولِ ﷺ، وإمامٌ واحدٌ هو رسولُ الله ﷺ، لا نَعْترف بغيرِ ذَلِكَ من الجماعاتِ والمَناهِج والقادةِ، وَكِتابُكُم - حفظكم الله - وافٍ في بيانِ الحقِّ، وردِّ البَاطلِ في هذا المَوضوع، فجزَاكم اللهُ خيرًا علىٰ ما قُمْتُم به، وتَقُومُونَ به من بيانِ الحقِّ، وردِّ الباطلِ.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه

أخوكم في الله

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

٢٧/١١/١٤١٤هـ



تقريظُ فضيلة الشيخ
الأستاذ الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
ورئيس قسم السنة بها سابقًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنِ اتَّبعَ هُدَاه.

أمَّا بعدُ:

فَقَدِ اطَّلعتُ علىٰ ما حَبّره شَيْخُنا العلَّامة حاملُ راية الحديثِ والتَّوحيدِ والسُّنَّةِ في منطقة جَازَان الشَّيخ أحمد يحيىٰ النَّجْمي في كتابِهِ الفَذِّ: «**المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد علىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة مِن العقائد والأعمال**»، فلقَدْ أجادَ شَيْخنا وأفادَ، وأَصابَ البِدَعَ والحِزْبيَّاتِ والفتنَ في مَقَاتِلها، وبَيَّن مُخالَفتها للكتابِ والسُّنَّةِ ومَنْهج السَّلفِ الصَّالح في العقائدِ والعباداتِ.

لقَدْ صَدَّر كتابَه النَّافع بخمسةِ أبوابٍ:

بَيَّن في الأوَّل منها: الحكمةَ الَّتي خَلَق اللهُ الجنَّ والإنسَ من أَجْلها، وساقَ الأدلَّةَ والبراهينَ علىٰ ذَلِكَ.

ووَضَّح في الباب الثَّاني: مَعْنىٰ العبادة الَّتي خَلَق الله الجنَّ والإنسَ من أَجْلها، وكَلَّفهم القيامَ بِهَا.

وفي البابِ الثَّالثِ: بَيَّنَ أنَّ الرُّسُلَ هُمُ الهُداةُ إلىٰ الله ومَرْضاتِهِ وجَنَّاتِهِ.

وفي الباب الرَّابع: بَيَّن أنَّ السَّببَ الأعظَمَ، بل السَّبب الأَوْحد للنَّجاةِ من عذابِ

الله والفَوْزَ بجَنَّتِه هو طاعةُ الله وطاعةُ رَسُولِهِ ﷺ، وساقَ الأدلَّةَ علىٰ ذَلِكَ.

وفي البابِ الخامس: بيَّن منهجَ الرُّسُل - عليهم الصَّلاة والسَّلام -، وأنَّ دَعْوتَهم تقومُ علىٰ ثلاثةِ أُسُسٍ:

١ - التَّوحيد.

٢ - المعاد: وهو الإيمانُ باليوم الآخِر، وما حَوَاه من بَعْثٍ وجزاءٍ، وجنَّةٍ ونارٍ.

٣ - الإيمانُ بالرِّسالاتِ السَّماويَّة.

مَهَّد شَيْخُنا بهذه الأبوابِ المهمَّة الَّتي تَضمَّنتْ تِلْكم الأُصُول الضَّروريَّة ليَقُول للمَخْدوعِينَ بالبِدَعِ والتُّرَّهاتِ وقَادَتها: هذا هوَ الدِّين الحقُّ، وهذا هوَ المنهجُ الحقُّ الَّذي يجبُ اتِّباعُه، وهذِهِ أصولُه الضَّروريَّة الَّتي يجبُ الإيمانُ بِهَا، واتِّباع حَملة رايتِها، وهُم الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام.

أمَّا قادةُ البِدَعِ والضَّلالات المُخَالفون لمَا جَاءَ به الرُّسُلُ من العقائدِ والمنَاهِج والأُصُولِ والعباداتِ، فهُمْ دعاةٌ علىٰ أبوابِ جهنَّم، مَنْ أَجَابهم إليها قَذَفوه في النَّار، وهذِهِ حقائقُ واضحةٌ ناصعةٌ لا يُمَاري فيها ويَحِيدُ عنها إلَّا مَنْ أضلَّه الله، وغَضِبَ عَلَيه، وطَبَعَ علىٰ قلبِه.

ثمَّ بَعْد بيانِ هذِهِ الأُمُور العَظِيمة والأُصُول الكَريمة، دَلَف إِلَىٰ الغايةِ الَّتي شَمَّر عن سَاعِدِ الجدِّ للنُّهُوض بها، أَلَا وهُو نَقْدُ الأَبَاطِيل والخُرافَاتِ والضَّلالاتِ الَّتي انْخدع ببريقِها الكاذبِ كثيرٌ من شباب بلادِ التَّوحيدِ والسُّنَّة، إِذْ أَطْفؤوا مَصابيحَ الهُدَىٰ والنُّور، وآثروا السَّيْر في سُبُل الشَّيطانِ وطُرُق الضَّلالِ والظَّلامِ الحَالِك ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

بَعْدَ ذَلِكَ الإِيضاحِ الشَّافِي، نَفَذَ إِلَى كَشْفِ عَوَارِ الباطِلِ، وبيانِ زَيْفِهِ في سبعةِ أبْوابٍ:

الباب الأوَّل مِنْها، وهُوَ السَّادسُ في سِلْسلةِ أَبْوابِ الكِتَابِ: في بيانِ أنَّ الانحرافَ عَنْ مَنْهجِ الرُّسُلِ، تَرْكٌ للصِّراطِ المُسْتقِيم، بَيَّن ذَلِكَ بالأدلَّةِ الواضحةِ.

وفي البابِ الثَّاني، وهُوَ السَّابعُ: بَيَّن أنَّ الحِزْبيَّة لَيست من مَنْهج الأنبياءِ، وأنَّ الحِزْبيَّة بدعةٌ وضلالةٌ.

والباب الثَّالث، وهو الثَّامن: في بَيانِ مَسَاوئ الحِزْبيَّة، فذَكَر لها تِسْعَ مَفَاسد، يَكْفي بَعْضها لإدانة الحِزْبيِّين بالضَّلالِ.

وفي البابِ التَّاسع: ذَكَر ما يُنْتقد عَلَىٰ الإخوانِ المُسْلمين من الانْحِرافاتِ، فبَلَغَتْ خمسًا وعِشْرينَ ضلالةً، وما أكثرَ شَرَّهم ومَسَاوِئهم! وما أَخْطَرهم عَلَىٰ الإسلام والمسلمين!

ولقَدْ أظهرَ اللهُ حقيقةَ مَنْهجِهم الفَاسِد، وعَقَائِدهم الضَّالَّة.

أَلَا يَرَىٰ المسلمُ الصَّادقُ أنَّهم في بَعْض البلدانِ يَعْقدون المُؤتَمراتِ للدَّعْوةِ إِلَىٰ وحدة الأديانِ، وإِلَىٰ مُؤاخاةِ النَّصَارىٰ، وإِفْساحهم المَجَال لتَشْييدِ الكَنائِس والقُبُور؟!

أَلَم يَسْمع العالَمُ بتَجْيِيشِهم للشُّيوعيِّين والباطنيَّة والرَّوافض ضدَّ الشَّعبِ الأفغانيِّ بَعْد تبجُّحهم الكاذبِ بأنَّهم يَحْملون هُمُومَ الأُمَّة الإسلاميَّة، ويُحَاربون أَعْداءَهم من الشُّيوعيِّين والعَلْمانيِّين والحداثيين.

وفي تُرْكيا قامَ حِزْبُهم بتَنازُلاتٍ كثيرةٍ وأَسَاسيَّةٍ بهَدْم الإسلامِ، وقامَ بالالْتِزَامِ بالدِّيمقراطيَّة وحِمايَة العلمانيَّة، وأَضافَ في هَذِهِ الأَيَّام الاتِّفاقَ العسكريَّ مع اليَهُودِ ضدَّ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وخاصَّةً الشُّعوب العربيَّة؟!

ألا تكفي هَذِهِ الفضائحُ المُدمِّرةُ للإسلام والمسلمين لإيقاظ المُسْلمين المَخْدوعين، وفَتْح أبصارِهم وبَصائِرهم عَلَىٰ هذه الحقائق المُروِّعة؟ !

ألا يَكْفي بَعْضها لفَضْح مَنْ يَتولَّاهم ويُدافع عَنْهم مِمَّنْ يَلْبسون السَّلفيَّةَ مخادعةً للشَّباب السَّلفيِّ كي ينضمُّوا إِلَىٰ صُفُوف هذا الحزبِ المَدْسُوسِ عَلَىٰ الإسلام والمُسْلمينَ؟ !

ألم يأنِ للَّذين انْخَدعوا بهذَا الحِزْبِ الَّذي أُرْسِيَتْ دَعائمُه عَلَىٰ الضَّلالِ أن يُفيقُوا من غَيْبوبتهم، فيَهْرعوا إِلَىٰ التَّمسُّك بكتاب رَبِّهم، وسُنَّة نَبيِّهم، ويَسِيروا عَلَىٰ هُدَىٰ الصَّحابة والتَّابعين لهم بإِحْسانٍ؟ !

يا وَيْح أُمَّةٍ يُسلِّم قِيادُها لمَنْ يَقُودها إِلَىٰ مَهاوي الضَّلالِ والهلاكِ والبَوارِ.

ثمَّ عَقَد الباب العاشرَ: فيما انتُقد عَلَىٰ جماعةِ التَّبْليغ، تكلَّم فيه علَىٰ منهجِهم الفاسدِ، وعقائدِهم الضَّالَّةِ الَّتي منها الحلولُ، ووحدة الوجُود، والمُراقبة عند القُبورِ إِلَىٰ تمام خمسٍ وعشرين ضلالةً، والواقعُ أنَّ ما عِنْدهم أكثرُ مِن ذلك، وبينهم روابطُ عقائديَّةٌ ومنهجيَّةٌ وبين الإخوانِ المسلمينَ وسائر فِرَقِ الضَّلالِ.

وهاتانِ الطَّائفتانِ (الإِخْوان المُسلمون، وجماعةُ التَّبليغ) هما أشدُّ الفرقِ كَيدًا للمَنْهجِ السَّلفيِّ وأَهْله، وأشدُّ الفرَقِ تركيزًا علىٰ هدْم هذا المنهجِ العظيم، وقدْ خطَّطتا لغزوِه وأهلِه في عُقْر دارِه، وقدْ تَمكَّنَتا مِن إفسادِ كثيرٍ من المُنْتسِبين إلىٰ المَنْهجِ السَّلفيِّ في الجزيرة العربيَّة، وغيرِها.

نسألُ الله أنْ يرُدَّ كيدَهما في نُحورهما، وأَنْ ينقذَ الإسلامَ وأُمَّةَ الإسلام وشبابها من مخالِبِهم.

ثمَّ عقَد الباب الحادي عشر: في بيانِ وُجُوبِ السَّيْر عَلَىٰ مَنْهج النَّبيِّ ﷺ

وساقَ الأدلَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

والباب الثَّاني عشر: في ذمِّ البِدَعِ والمُبْتَدِعين.

والباب الثَّالث عشر: في فَضْلِ الالتزامِ بالسُّنَّةِ ومُتَابعتها، وضَمَّنَها فصلًا في الفِرْقةِ النَّاجية المَنْصورة وظُهُورها عَلَىٰ مَنْ خالفَها بالحُجَّةِ والبُرهانِ بعْد تَميُّزها بالتَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وما كان عليه سلَفُ الأُمَّة.

وختَم كتابَه القَيِّمَ بخاتمةٍ ضمَّنها بيانَ خصالٍ رديئةٍ عند الطَّائفتين عقائديًّا، ومنهجيًّا، وعمليًّا، بلغت خمس عشرة خَصْلةً.

كما ضَمَّنها دعوةً للقُرَّاء الكرام مِمَّنِ انْخَدع بهاتين الطَّائفتين ومناهجها المُبْتدعة إِلَىٰ قراءة هَذَا الكتابِ بكلِّ تَجرُّدٍ وإنصافٍ، وخاصَّةً المَخْدوعين من أهلِ المملكة العربيَّة السّعوديَّة الَّذين تَربَّوا عَلَىٰ التَّوْحيد، وأَنْ ينظروا إِلَىٰ ما كَتَبه بعينِ الحقِّ والعدلِ.

نَسْأل الله أن ينفعَ بهذا الكتابِ القَيِّم، وأن يُحقِّق به الغايةَ الَّتي يَسْعىٰ إليها كلُّ مصلحٍ مخلصٍ، ومنهم المُؤلِّف - حفظه الله ووفَّقه وَسَلكه في عِدَادِ المُجَاهدين الدَّاعين إِلَىٰ الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ؛ إنَّ ربِّي لَسَميعُ الدُّعاءِ.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

١٤١٧/٧/٢٢هـ



ترجمة الشَّيخ أحمد بن يحيى النجمي

بقلم تلميذه محمَّد بن هادي المدخلي

إنَّ الحَمْد لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنْفسنا، ومن سَيِّئات أَعْمالنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هادي له، وأشهد أَنْ لا إلهَ إلَّا الله وَحْده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، صلَّىٰ الله عَلَيه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ تَبِعَهمْ بإحسانٍ إلىٰ يَوْمِ الدِّينِ، **أَمَّا بعد:**

«فإنَّ للعُلماءِ عَلَينا من الحُقُوقِ ما بِتَرْكه يتمُّ العُقُوقُ، ومِنْ رِعَايتِها: ضَبْطُ أَحْوالِهم الشَّريفة، وتَدْوينُ مَنَاقِبِهم المنيفَة، وتَخْليدُ مَحاسِنِهم في بُطُونِ الأَوْراقِ، والمُحَافظةُ علىٰ حِفْظِ نَتائِج أفْكارِهم[1] الَّتي هِيَ من أَنْفَسِ الأَعْلاقِ.

ومِنْ ذلك: تَعْظيمُهم باللِّسانِ، والجَنَانِ، والأَرْكانِ، وعَدم التَّعرُّض لما يُؤْذِيهم بالدُّخُولِ في أَعْراضهم الجميلةِ، والاسْتِهانةِ بمَنَاقِبِهم الجزيلةِ الجليلةِ، والتَّقعُّد لَهم بمَرَاصِد الاسْتِخْفافِ، والتَّنصُّب لهم بمَنصَّة الخِلَافِ.

وقَدْ وَرَد في الآياتِ الفرقانيَّةِ، والأحاديثِ النَّبويَّةِ، والآثارِ المُصْطفويَّة ما يَقْتضي النَّهي عن ذَلِكَ، وتَتخطَّىٰ بمَنْ عَمِلَ به أيمنَ المَسَالِك»[2].

ومِمَّنْ له علينا هذا الحقُّ: شَيْخنا العلَّامة الشَّيخ: أحمد بن يحيىٰ النَّجمي

---

(١) المراد بهذا نتاجهم العلمي الَّذي أتعبوا فيه أنفسهم، وكدوا فيه أذهانهم، وأكلوا فيه أفكارهم وأتعبوها حتىٰ أنتجوه، ولنا أخرجوه، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

(٢) من مقدمة (حدائق الزهر) للعلامة الحسن بن أحمد عاكش.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقَدِ انْتفَعنا بعلمِهِ كثيرًا، فجَزَاه الله عنَّا أفضلَ الجزاءِ.

وقَدْ كثُر الطَّلبُ مِنَ الإخْوةِ المُحبِّين للشَّيْخ في كِتَابةِ نُبْذةٍ ولَوْ مُخْتصرةً عَنْه، وعن حياتِهِ الذَّاتيَّة والعلميَّة، وألحُّوا عليَّ في ذَلِكَ غايةَ الإلْحَاحِ، وأنا أتهرَّبُ من ذَلِكَ، وأَعْتذر دائمًا إِلَيْهم؛ لعِلْمِي بالعَجْزِ والقُصُورِ لديَّ، ولكن كلُّ ذَلِكَ لم يُفِدْ شيئًا، ولم يَعْذرني منهم أحدٌ، فلمَّا رأيتُ ذَلِكَ مِنْهم، استعنتُ باللهِ تَعَالىٰ وَحْده في كتابةِ هذِهِ النُّبذةِ المُخْتصرةِ عَنْ شَيْخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فأقولُ:

اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخنا الفاضلُ العلَّامةُ، المُحدِّثُ، المُسنِدُ، الفقيهُ، مُفْتي مَنْطقة جازان حاليًّا، وحَاملُ رَايَةِ السُّنَّةِ والحديثِ فيها الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ بن مُحمَّد بن شبير النَّجمي آل شبير من بني حُمَّد، إِحْدَىٰ القَبائل المَشْهورة بمِنْطقةِ جَازان.

ولادته:

وُلِد الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقرية النَّجامية في الثَّاني والعشرين من شهر شَوَّالٍ عام سِتَّةٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ وألفٍ للهِجْرةِ النَّبويَّة، ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ، ونَشَأ في حجْرِ أبوَين صَالحَينِ لَيْس لهما سِوَاه.

ولهَذَا، فقَدْ نَذَرا بِهِ لله - أي: لا يُكلِّفانه بشيءٍ من أَعْمالِ الدُّنيا - وقَدْ حقَّق اللهُ ما أَرَادَا.

فكانَا مُحافِظَيْنِ عَلَيه محافظةً تامَّةً، حتَّىٰ إنَّهما لا يَترُكَانه يَلْعب بَيْن الأَوْلادِ، ولمَّا بلغَ سنَّ التَّمييز أَدْخَلاه كتاتيبَ القريَة، فتعلَّمَ القِراءَةَ والكِتابَةَ، وقرأَ القرآنَ في الكَتاتِيبِ الأهليَّةِ قَبْل مَجِيءِ الشَّيخ عبد الله القَرْعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثَ مَرَّاتٍ،

آخِرُها في العام (١٣٥٨هـ) الَّذي قَدِمَ فيه الشَّيْخُ القرعاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

حَيْث قرأ القرآنَ أوّلًا علىٰ الشَّيخ عبده بن مُحمَّد عقيل النَّجمي (١٣٥٥هـ)، ثمَّ قرأ أيضًا علىٰ الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي، وهُوَ من أَهْل اليَمَن، وكانَ قَدْ قَدِمَ علىٰ النَّجامية، وبَقِي بها، ودَرَس عَلَيه شَيْخنا في عام (١٣٥٨هـ)، ولمَّا قَدِم الشَّيخُ عبد الله القرعاوي حَصَلتْ بَيْنه وبَيْن هَذَا المُعلِّم مُناظرةٌ في مسألة الاستواء - وكانَ أشعريًّا - فهُزِمَ، وهَرَب علىٰ أثَر ذَلِكَ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

نشأته العلميَّة:

وبَعْدَما هَرَب مُدرِّسهم الأشعريُّ، تردَّد الشَّيخُ مع عَمَّيه (الشَّيخ حسن بن مُحمَّد، والشَّيخ حسين بن محمد النَّجميَّين) علىٰ الشَّيخ عبد الله القرعاوي في مَدِينة صامطة أيَّامًا، ولكنَّه لم يستمرَّ، وكانَ ذلكَ في عام (١٣٥٩هـ)، وفي عام (١٣٦٠هـ) وفي صَفَر بالتَّحديدِ الْتَحق شَيْخُنا بالمدرسةِ السَّلفيَّة، وقرأ القرآنَ هذه المرَّة بأمر الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حَيْث قرأ عَلَيه القرآنَ مُجوَّدًا، وحَفِظَ «تحفة الأطفال» و«هداية المستفيد»، و«ثلاثة الأُصُول»، و«الأربعين النَّوويَّة»، و«الحساب»، وأتقنَ تعلُّمَ الخطِّ.

وكانَ يجلسُ في الحَلْقةِ الَّتي وَضَعه الشَّيخُ فيها إلىٰ أن يتفرَّقَ الطَّلَبةُ الصِّغارُ بَعْد صلاةِ الظُّهر، ثمَّ يَنْضمُّ إلىٰ الحلقةِ الكُبْرىٰ الَّتي يَتولَّىٰ الشَّيخُ عبد الله القرعاوي تَدْريسَها بنفسِه، فيجلس مَعَهم من بَعْد صلاة الظُّهرِ إلىٰ صَلاةِ العِشَاءِ، ثمَّ يعود مع عَمَّيه المَذْكُورين سابقًا إلىٰ قَريتِه «النَّجامية».

وبعدَ أَرْبعة أشهرٍ، أَذِنَ له الشَّيخُ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنْ ينضمَّ إلىٰ

هذِهِ الحلقةِ (حلقة الكبار) الَّتي يُدرِّسها الشَّيخُ بنفسِه، فقرأ علىٰ الشَّيخِ فيها: «الرَّحبيَّة» في الفرائضِ، و«الآجروميَّة» في النَّحو، وكتاب «التَّوحيد»، و«بُلُوغ المرام»، و«البيقونيَّة»، و«نخبة الفكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«مختصرات في السِّيرة»، و«تصريف العزِّي»، و«العوامل في النَّحو مئة»، و«الورقات» في أُصُول الفِقْه، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشرح الشَّيخ عبد الله القرعاوي، قبل أنْ يَرَوْا شَرْح ابن أبي العزِّ عليها، ودرَس أيضًا شيئًا من «الألفيَّة» لابْنِ مالكٍ، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفِقْهِ، وكِلَاهما للشَّوكانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغير ذَلِك من الكُتُب، سواء مِنْها ما دَرَسوه كمادَّةٍ مُقَرَّرةٍ كالكُتُب السَّابقة، أو ما دَرَسوه علىٰ سَبِيل التَّثقُّف لبَعْض الرَّسائلِ والكُتُب الصَّغيرة، أو كَانُوا يَرْجعون إلَيه عند البحثِ كـ«نَيْل الأوطار»، و«زاد المعاد»، و«نور اليقين»، و«الموطَّأ»، والأُمَّهات.

وفي عام (١٣٦٢هـ) وَزَّع عَلَيهم الشَّيخُ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجزاءَ الأُمَّهاتِ المَوْجودة في مَكْتبتِهِ؛ وهي: «الصَّحيحان»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النَّسائيِّ»، و«موطَّأ الإمام مالكٍ»، فقَرَؤوا عَلَيه فِيهَا ولم يُكْملوها؛ لأنَّهم تفرَّقوا بسببِ القَحْط.

وفي عام (١٣٦٤هـ) عَادُوا فَقَرؤوا عَلَيه، ثمَّ أَجَازه الشَّيخُ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بروايةِ الأُمَّهاتِ السِّتِّ.

وفي عام (١٣٦٩هـ) دَرَس علىٰ الشَّيخِ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَاضِي صامطة في ذلكَ الوقتِ كتاب «إصلاح المجتمع»، وكتاب الشَّيخ عبد الرَّحْمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفِقْهِ المُرتَّب علىٰ صِيغَةِ السُّؤالِ والجوابِ، واسمُهُ: «الإرشاد إلىٰ معرفة الأحكام».

كما دَرَسَ علىٰ الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي بأمرٍ من الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النَّحْو كتابَ: «العوامل في النّحو مئة»، وكُتُبًا أُخْرىٰ في النَّحوِ والصَّرفِ.

وفي عام (١٣٨٤هـ) حضر في حَلْقة الشَّيخِ الإمامِ مفتي الدِّيار السّعوديَّة الشَّيخِ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمُدَّةٍ تُقَارب شَهْرين في التَّفسير في «تفسير ابن جرير الطَّبري» بقراءة عبد العزيز الشّلهوب، كما حَضَر في العام نفسِهِ في حلقة شَيْخنا الإمام العلَّامة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لمُدَّة شهرٍ ونصفٍ تقريبًا في «صحيح البخاريِّ» بَيْن المغربِ والعشاءِ.

شيوخه:

ممَّا مَضَىٰ يَتبيَّن لنا شيوخُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا تَرْتيبُهم:

١ - الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي قاضي صامطة في حينِهِ.

٢ - الشَّيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ - الشَّيخ العلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى وبه تخرَّج الشَّيخ أحمد، فهو أكثرُ شُيُوخِه إفادةً له.

٤ - الشَّيخ عبدُهُ بن مُحمَّد عقيل النَّجمي.

٥ - الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي.

٦ - الشَّيخ علي ابن الشَّيخ عثمان زياد الصومالي.

٧ - الشَّيخ الإمام العلَّامة مفتي البِلَادِ السّعوديَّة السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨ - الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي اليمني.

تلاميذه:

ولشَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرٌ وكثيرٌ من التَّلاميذِ، فمَنْ أَمْضىٰ مثل هذهِ المُدَّة في التَّدريسِ الَّتي تُقَارب النِّصفَ قرنٍ، كَمْ يتصوَّر أن يكون تلاميذُهُ، ولو ذهبتُ أَعدُّهم لاحْتَجتُ إلىٰ مُجلَّدٍ ضخمٍ؛ وإنَّما أذكر نمُوذجًا يستدلُّ به علىٰ البَاقِين، فمِنْهم:

١ - شَيْخنا العلَّامة المُحدِّث نَاصِر السُّنَّةِ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي.

٢ - شَيْخنا العلَّامة الفقيه زيد بن مُحمَّد هادي المدخلي.

٣ - شَيْخنا العلَّامة الفاضل علي بن ناصر الفقيهي.

وإنَّما اكتفيتُ بذِكْر هؤلاء الثَّلاثة لشُهْرتهم في الأَوْساط العِلْميَّة، فلا يَعْتب عَلَينا أحدٌ.

ذكاؤه رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَتمتَّع الشَّيخُ بدرجةٍ من الذَّكاءِ عاليةٍ جدًّا، وهاك قصَّة تدلُّ علىٰ ذكائِهِ وحافظتِهِ منذ صِغَرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقولُ العمُّ الشَّيخُ عمر بن أحمد جردي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمَّا كانَ الشَّيخُ أحمد يَحْضر مع عَمَّيه حسن وحسين النَّجميين إلىٰ المَدْرسةِ السَّلفيَّة بصامطة، أي: في عام (١٣٥٩هـ) وعُمُره آنذاك ١٣ سنةً، كانَ يَسْمعُ الدُّروسَ الَّتي يُلْقيها الشَّيخُ عبد الله القرعاوي عَلَىٰ تلاميذِهِ الكِبَار، وكانَ يَحْفظها حفظًا».

قلتُ: وهَذَا هو ما جعلَ الشَّيخ عبد الله القرعاوي يُلْحقه بحلقةِ الكِبَارِ الَّذين كانَ الشَّيخُ يتولَّىٰ تَدْريسَهم بنفسِه؛ لأنَّه رَأَىٰ نَجابَته، وسُرعةَ حفظِه، وذكاءَه.

أعماله:

عَمِلَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بمدارسِ شَيْخه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسابًا،

وعندما بَدأت الوظائفُ، عُيِّن مُدرِّسًا بقريتِهِ «النَّجامية»، وكانَ ذَلِكَ في عام (١٣٦٧هـ)، وفي عام (١٣٧٢هـ) نُقِلَ إمامًا ومُدرِّسًا في قرية «أبو سبيلة» بالعارضة، وفي عام (١٣٧٤هـ) وفي (١/ ١/ ١٣٧٤هـ) بالتَّحديد عِنْدما فُتِحَ المعهدُ العلميُّ في «صامطة» عُيِّن مُدرِّسًا به حتَّىٰ عام (١٣٨٤هـ) حَيْث استقالَ من التَّدريس بالمعهدِ علىٰ أَمَلِ أن يُدرِّسَ بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينةِ النَّبويَّةِ، وسَافَر إِلَيها، لكن حَصَلتْ له ظروفٌ حَالَتْ دون ذلكَ، فعادَ إلىٰ المنطقةِ، وكَتَب اللهُ له التَّعيينَ واعظًا مرشدًا بوَزَارة العدلِ بمنطقة جازان، فقامَ بالوَعْظ والإِرْشادِ أحسنَ قيامٍ.

وفي عام (١٣٨٧هـ) وبالتَّحديد في (١/ ٧) منه عادَ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ بمدينة «جازان» حَسَب طلبِهِ، وفي ابتداءِ الدِّراسةِ عام (١٣٨٩هـ) عادَ إلىٰ التَّدريسِ بمَعْهد «صامطة»، وبَقِيَ به مُدرِّسًا حتَّىٰ أُحِيلَ إلىٰ التَّقاعدِ في (١/ ٧/ ١٤١٠هـ).

ومُنْذ ذَلِكَ الحين إلىٰ كتابةِ هَذَا السَّطر وهُوَ مُشْتغلٌ بالتَّدريسِ في بيتِه والمسجدِ المُجَاور لَه، ومَسَاجد أُخرىٰ في المنطقةِ فِي دُرُوسٍ أُسْبُوعيَّةٍ مع القِيَامِ بأمرِ الفَتْوىٰ.

وهُوَ في هذا كلِّه قَدْ عَمِلَ بوصيَّةِ شيخِه له في مُدَاومتِه علىٰ التَّعليمِ، والمُحَافظة عَلَىٰ المُتعلِّمين وخاصَّةً الغُرَباء والمُنْقطِعين مِنْهم، وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذَلِكَ صبرٌ عجيبٌ، فجَزاه الله عنَّا خيرًا.

وقَدْ عَمِلَ أيضًا بوصيَّة شَيْخه القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فواصلَ الدِّراسةَ والبحثَ والاستفادةَ، وخاصَّةً في عِلْمَي الحديثِ والفقهِ وأُصولهما حتَّىٰ فاقَ أَقْرانَه، وأصبحَ له في ذَلِكَ اليدُ الطُّولىٰ، رَحِمه اللهُ ونَفَع بجُهُودِه.

آثاره العلميَّة:

لشَيْخِنا رَحِمَهُ اللَّهُ آثارٌ علميَّةٌ كثيرةٌ، بَعْضها طُبِعَ، وبَعْضها لم يُطبَع، نسألُ اللهَ تَعَالىٰ أن يُيسِّر طَبْعه حتَّىٰ يحصلَ الانتفاعُ به، ومن ذَلِكَ:

١ - «أوضح الإشارة في الرَّدِّ علىٰ مَنْ أباح الممنوع من الزِّيارة».

٢ - «تأسيس الأَحْكام شرح عُمْدة الأحكام».

٣ - «تَنْزيه الشَّريعة عن إباحة الأغاني الخليعة».

٤ - «رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد».

٥ - رسالة في «حكم الجهر بالبسملة».

٦ - «فتح الرَّبِّ الودود في الفتاوىٰ والرُّدود».

٧ - «المورد العذب الزُّلال فيما انتقد علىٰ بَعْض المناهج الدَّعويَّة من العَقَائِدِ والأَعْمالِ».

وغير ذَلِكَ من المُؤلَّفاتِ النَّافعةِ الَّتي قَدَّمها للمُسْلمينَ، رَحِمه اللهُ ونَفَع بعلمِهِ الإسلامَ والمُسْلمين.

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أَجْمعين.

كتبه تلميذه

محمد بن هادي بن علي المدخلي

المحاضر بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية



المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله حمدًا كثيرًا طَيِّبًا مُباركًا فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويَرْضىٰ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

فقدْ بُلِينا في هذا الزَّمن بمناهجَ دعويَّةٍ وَفَدتْ إلَينا، تخلطُ الحقَّ بالباطلِ، والسُّنَّةَ بالبدعةِ، والمَعْروفَ بالمنكرِ، بل وتَسْتمرئ الشِّركَ أحيانًا، وتَجْعله دينًا يُدَان الله به، فقَدْ كَانَتْ وما زَالَتْ بِلَادُنا مِنْ أَقْصاها إِلَىٰ أقْصَاها - أي: بلاد الحرَمين - تحتَ الحُكْم السّعوديِّ تَدِين بالمنهجِ السَّلفيِّ؛ حَاكِمين ومَحْكومين، قادةً ورعيَّةً، ذُكُورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا.

فلمَّا وَفَدتْ عَلَينا تِلْك المناهجُ، أَفْسدَتْ عُقُولَ بعضِ الشَّباب، فَاسْتَبدلوا بالمنهجِ السَّلفيِّ الحقِّ (منهجِ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ)، اعْتَاضُوا عنه مَنْهجًا حركيًّا سياسيًّا ثوريًّا، فَاسْتَبدلُوا بالسُّنَّةِ بدعةً، وبالحقِّ باطلًا، وتَنكَّروا لكلِّ صاحبِ فضلٍ ومَعْروفٍ، بل تَنكَّروا لأَقْربِ النَّاس إِلَيهم من الآباءِ المُشْفقين، والأَسَاتذة المُربِّين، والوُلَاة المُحْسنين، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون.

والمُصِيبةُ: أنَّهم يَظنُّون أنَّهم عَلَىٰ الحقِّ، ومَنْ سِوَاهم عَلَىٰ الباطلِ، ويَعْتبرون ما فَعَلوهُ جهادًا في سَبيلِ الله، والمُصِيبةُ أيضًا أنَّهم يُظْهِرونَ للنَّاس

النُّسُكَ والعبادةَ، ويُبْطنون في تَنْظيماتِهم السِّريَّة الإطَاحة بالدُّولِ، وإقَامة خِلَافة - حسَب ما زعمُوا - علىٰ أَنْقاضها، فيحسبُ مَن يرَاهم أَنَّهم أعبدُ النَّاسِ وأَتْقاهم، وأنَّهم أبرُّ النَّاسِ بالنَّاسِ وأَتْقاهم.

والحقيقةُ: أَنَّهم يُبيِّتون أمرًا خطيرًا، وشرًّا مُسْتطيرًا، فهُمْ أشبهُ النَّاسِ بالخوارجِ الَّذين قال عنهُم نبيُّ الهُدىٰ ﷺ - والَّذي لا يَنْطق عن الهوىٰ - لأصحابِه رضوان الله عليهم: «**تَحْقرونَ صَلاتَكُمْ عِنْدَ صَلَاتِهم، وصِيَامَكُمْ عندَ صِيَامِهم، وقِرَاءَتكم عِنْدَ قِرَاءتِهم، يَمْرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّميَّةِ**»[١].

ووَصَفهُمْ ﷺ في حديثِ أَبِي سعيدٍ عِنْد البخاريِّ بأَنَّهم: «**يَقْتلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، ويَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثانِ**»[٢].

وقَالَ ﷺ: «**لئن أَنَا أَدْركتُهُمْ لأَقْتلنَّهمْ قَتْلَ عادٍ**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**طُوبَىٰ لمَنْ قَتَلهم أَوْ قَتلُوه**»[٤].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَدْركَهم فَلْيَقْتلهُمْ؛ فإنَّ في قَتْلهم أجرًا عظيمًا لمَنْ قَتَلَهم**»[٥].

كلُّ هَذَا وغيرُهُ وَرَد فِيهِم، وفي وَصْفهم، وفي حُكْمِ قَتْلهم وقِتَالهم؛ وما ذلكَ إلَّا لأنَّهم كفَّروا المُسْلمينَ بما لا يُوجِب الكفرَ، وحَكمُوا باسْتِحْلالِ دِمائِهم والخرُوج علىٰ وُلَاتهم الَّذين أمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسانِ رَسولِه ﷺ بطاعتِهم في

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) من حديث أبي سعيد وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وحَسَّنه الألبانيُّ في «ظِلال الجنَّة» (٩٠٦).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤) (٣٨٣١)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨٠٥٢).

المَعْروفِ، وعدَم الخرُوج عليهم حتَّىٰ وإنْ ضَربوا الظَّهْرَ، وأخذُوا المالَ.

ولم يَسْتبيحُوا الخُروجَ عليهم إلَّا بعد أنْ كَفَّروهم واسْتباحُوا دِماءَهم وأعراضَهم.

ونحنُ إذا تأمَّلنا حالَ أَصْحابِ المَناهِج المُسْتوردة نَجِدهم أَشْبهَ شيءٍ بالخوارج، فهُمْ يتكلَّمون في وُلاة الأمْر، وإنْ كانوا مُسْلمين يُحكِّمون شرعَ الله، ويَحْكمون به في مَحاكِمِهم، وإنْ كانُوا مُوحِّدينَ، ويُدرِّس التَّوحيدُ في مَدارِسهم ومَعاهِدِهم وجَامعاتِهم، وإنْ كانوا يَنشُرُونَ العِلْمَ الشَّرعيَّ، ويُشجِّعون عَلَىٰ تَعلُّمِه وتعليمِه.

كلُّ ذَلِكَ لم يَمْنعهم أَنْ يَسْتبيحُوا أعراضَ الوُلَاة والعُلَماءِ، ويَبْهتوهم بِمَا لَيس فيهم، ويَنْشروا مَثَالِبهم إنْ كان - ولا بدَّ أن يكونَ - عِنْدهم ما لم يَسْلم منه أحدٌ من البَشَر من أَجْل أن يَزْرعوا بُغْضهم في قُلُوبِ النَّاسِ عامَّةً، والنَّاشئة من طُلَّابِ العِلْم خاصَّةً، توطئةً للخُرُوج عليهم، مع أنَّ عقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ تَمْنع ذِكْر مَثَالب الوُلَاة في المجتمعاتِ وعَلَىٰ المَنابر، وإنْ كانت حقيقةً؛ لما في ذَلِكَ من المفاسدِ، ويَرَوْن أنَّ الواجبَ عَلَىٰ أهلِ العِلْمِ نَصِيحتهم سرًّا وبلينٍ من القولِ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لمُوسَىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، فأَمَر بلينِ القولِ لفرعون الَّذي ادَّعىٰ الرُّبوبيَّة، إذًا فغيرُهُ من بابِ أَوْلَىٰ.

ثمَّ اعْلَمْ أنَّ «الخُرُوجَ» يَنْقسم إلَىٰ قِسْمين:

الخُرُوجُ بالقولِ، وهُو ذِكْر المَثالِب عَلَنًا في المَجامع، وعَلَىٰ رُؤوسِ المَنابرِ؛ لأنَّ ذلكَ يُعَدُّ عصيانًا لهم، وتمرُّدًا عليهم، وإغراءً بالخُرُوج عَلَيهم، وزرعًا لعَدَم الثِّقة فيهم، وتهييجًا للنَّاسِ عليهم، وهُوَ أساسٌ لـ:

الخُرُوج الفعليِّ، وسببٌ له.

وإنَّما حرَّم الله عَلَىٰ لسانِ رَسُولِهِ ﷺ الخُرُوجَ عَلَىٰ الوُلَاة المُسْلمين؛ لأنَّ فيه مَفَاسدَ عظيمةً لا يَأْتي عَلَيها الحصرُ:

مِنْ أَهمِّها: إزْهاقُ النَّفسِ المُسْلمة البريئةِ.

ومِنْها: سفكُ الدِّماءِ المَعْصومَة.

ومِنْها: استحلالُ الفُرُوجِ المُحرَّمةِ.

ومِنْها: نَهْبُ الأَمْوال.

ومِنْها: إخافةُ الطُّرُقِ.

ومِنْها: فُشُوُّ الجُوُعِ بدلًا من رَغَد العيشِ، والخَوْفِ بدلًا من الأَمْنِ، والقَلَقِ بدل الطُّمَأنينةِ، وهذا كلُّه في الدُّنيا.

أمَّا في الآخِرَةِ فلا يَعْلم إلَّا اللهُ ما سَيَلْقاه مَنْ كانَ سببًا في إِثَارةِ الفِتْنةِ؛ لأنَّ إسقاطَ دولةٍ وإقامةَ دولةٍ مَكَانها لَيْس بالأمرِ الهَيِّن، بل هُو مِنَ الصُّعوبةِ بمَكَانٍ، لذَلِكَ فَقَدِ اشتدَّ تحذيرُ المُشرِّع ﷺ من ذَلِكَ حتَّىٰ ولَوْ كانَ الوَالي ظالمًا فاسقًا.

❁ وإِلَيْك بَعْض النُّصُوص الدَّالَّة عَلَى الصَّبر، والآمِرَة به، والمُحذِّرة من الخُرُوج، والنَّاهية عَنْه:

ففي «صحيح مسلم» عَنْ نافعٍ، قال: جاءَ عبدُ الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَىٰ عبد الله ابن مُطِيع حينَ كانَ من أَمْر الحرَّة ما كانَ زَمَن يزيد بن معاوية، فقالَ: اطْرَحوا لأبي عبد الرَّحمن وِسَادةً، فقالَ: إنِّي لم آتِكَ لأجلسَ، أَتيتُكَ لأُحدِّثك حديثًا سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُهُ، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَنْ خَلَع يدًا من طاعةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيامةِ وَلَا حُجَّة له، ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ في عُنُقه بيعةٌ - مَاتَ**

مِيتةً جَاهِلِيَّةً»[١].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن رَسُولِ الله ﷺ قال: **«مَنْ كَرِهَ مِنْ أميرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبر عَلَيه؛ فإنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِن النَّاسِ خَرَجَ من السُّلْطانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيه إلَّا مَاتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً»**[٢].

وعَنْ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: **«مَنْ خَرَج من الطَّاعةِ وفَارَق الجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً، ومَنْ قَاتَل تَحتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبيَّةٍ، أو يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبيَّةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَتُهُ جاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْربُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»**[٣].

وَفِي «صحيح مسلم» أيضًا عن أبي إِدْريس الخولانيِّ، قالَ: سمعتُ حُذَيفةَ بن اليَمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كانَ النَّاسُ يَسْألونَ رَسُولَ الله ﷺ عَن الْخَير، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَن الشَّرِّ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**.

فقلتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قال: **«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ[٤]»**.

قلتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْر هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٤) الدَّخن: من الدُّخان، أي: ليس خيرًا خالصًا، بل فيه ما يَشوبُه ويُكدِّره.

فقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْر مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».

فقلتُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهم لَنَا؟ قال: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

قلتُ: يا رسولَ الله، فما تَرىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

فقلتُ: فإنْ لم تكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَىٰ أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»[(١)].

وفي رِوَايةِ أبي سَلَّامٍ عنده - يَعْني مسلمًا - قلتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّا كنَّا في شرٍّ، فجاءَ الله بخيرٍ، فنَحْن فيه، فهل من وَرَاء ذَلِكَ الخير شرٌّ. قال: «نَعَمْ».

قلتُ: فهَلْ وَرَاء ذَلِكَ الخير شرٌّ. قال: «نَعَمْ».

قلتُ: كيف؟ قال: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ، لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ».

قلتُ: كَيْف أصنعُ يا رَسُول الله، إنْ أَدركتُ ذَلِكَ؟ قال: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وأُخِذَ مَالُكَ؛ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»، «صحيح مسلم»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عَرْفَجَةَ قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّها سَتكُونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ[(٣)]، فمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفرِّق أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِي جميعٌ، فَاضْربُوه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٣) الهنات: جمع هنة، وتطلق علىٰ كلِّ شيءٍ، والمُرادُ بها هنا: الفتنُ، والأمورُ الحادثة.

بالسَّيفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»(١).

وفي روايةٍ عنه - أي عن عَرْفَجَة: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جميعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، وَيُفَرِّق جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أَبِي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُمَا»(٣).

وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهم؟ قالَ: «لا، مَا صَلَّوا»(٤).

وفي روايةٍ: «فَمَنْ أَنْكَرَ بَرِئَ، ومَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ»(٥).

وعن عَوْفِ بن مالكٍ رضي الله عنه، عن رَسُولِ الله ﷺ قالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قالَ: قُلنا: يا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قال: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(٦).

---

(١) أخرجه مُسلمٌ (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

وفي حَدِيثِ عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: دَعَانا رَسُولُ الله ﷺ فبايَعْناه، فكانَ فِيمَا أَخَذ عَلَينا أَنْ بَايَعَنا عَلَى السَّمْعِ والطَّاعةِ في مَنشطِنا ومَكْرهِنا، وعُسْرنا ويُسْرنا، وأثرةٍ عَلَينا[١]، وألَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، قالَ: «إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»[٢].

وفي حَدِيث أبي هريرة مَرْفوعًا: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيل تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ، خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ[٣]، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[٤].

وفي حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص الطَّويل مَرْفوعًا: «وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ[٥]، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»[٦].

فهذِهِ أحدَ عشرَ حديثًا جَمعتُها من «صحيح مسلم» فقط، وَهِيَ كالتَّالي:

١ – حديث عن عبد الله بن عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنهما.

---

(١) المعنىٰ: استئثار الأُمَراء بحُظُوظهم واختصاصهم إيَّاها بأنفسهم، أي: ولو منعنا حُقُوقنا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) «فُوا» فعلُ أمر مِن الوفاءِ. «بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ»، أي: إنَّ الَّذي تولىٰ الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصَّحيحة الَّتي يجب الوفاء بها، وبيعة الثَّاني باطلة، يَحرم الوفاء بها مُطلقًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٥) قوله ﷺ: «صَفْقَةَ يَدِهِ»: أي: مُعاهدته له، والتزام طاعته، وهي المرة من التَّصفيق باليدين، وذلك عند البيعة بالخلافة.

وقوله ﷺ: «ثَمَرَةَ قَلْبِهِ»، أي: خَالِص عَهْده، أو مَحبَّته بقلبه.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

٢ – حديث عن عبد الله بن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

٣ – حديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٤ – حديث عن حُذَيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

٥ – حديث عن عَرْفَجَة بن شريح الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٦ – حديث عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٧ – حديث عن أُمِّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨ – حديث عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٩ – حديث عن عُبَادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

١٠ – حديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا.

١١ – حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وكلُّ هَذِهِ الأحاديثِ صحيحةٌ من «صحيح مسلم» الَّذي تَلقَّته الأُمَّةُ بالقَبُول، وحَكَموا عليه بأنَّه أصحُّ كتابٍ في الحديث بَعْد «صحيح البخاريِّ»، وكلُّ هَذِهِ الأَحَاديثِ أَفَادتْ أحكامًا تَتعلَّق بحقِّ الوُلَاةِ عَلَىٰ الرَّعيَّةِ، واتَّفقتْ كلُّها عَلَىٰ حُكْمٍ واحِدٍ، وهو تَحْريمُ الخُرُوج عَلَىٰ وُلَاة أُمُور المُسْلمين، وإِنْ كانوا ظَلَمةً جَائِرِينَ.

فنقول: يُستَفادُ من هَذِهِ الأَحَاديثِ عدَّةُ أَحْكامٍ:

الحُكْمُ الأَوَّل: تحريمُ الخُرُوجِ عَلَىٰ وُلَاة الأَمْر المُسْلمينَ وإِنْ كانوا فَسَقةً عَاصِين، أو ظَلَمةً جَائِرينَ، ووُجُوب الطَّاعةِ لَهم فيما لم يَكن معصيةً لله تَعَالىٰ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ، وما كانَ وسيلةً إِلَىٰ واجبٍ فهُوَ واجبٌ، وما كانَ وسيلةً إِلَىٰ مُحرَّم فهو مُحرَّمٌ، والكلامُ في الوُلَاةِ والتَّجريح لهم علنًا مُحرَّمٌ؛ لأنَّه وسيلةٌ إِلَىٰ الخُرُوجِ عليهم، فكانَ مُحرَّمًا.

الحُكْمُ الثَّاني: تحريمُ المُنازَعةِ لهم، وهي تكونُ بأُمُورٍ، مِنْها:

أ - إظهارُ احْتِقَارِهم، والتَّهْوينُ من شَأْنِهم.

ب - إظهارُ مَثَالِبهم في المُجْتمعات، وعَلَىٰ المَنابِر.

ج - اختلاقُ مَثالِب وعُيُوبٍ لهم من أَجْل زَرْع بُغْضهم في قُلُوبِ العَامَّة والنَّاشئة من طُلَّابِ العِلْمِ.

د - ذمُّ العُلماءِ واتِّهامهم بالمُدَاهنةِ، وبَيْع الذِّمَم.

هـ - اسْتِعْمالُ ما من شأْنِهِ التَّهييج عَلَيهم، والإثارة ضدَّهم، وكلُّ هَذَا مِنْ أَنْواعِ مُنَازعَة الحُكَّامِ الَّذي نَهَىٰ عنه رَسُولُ الله ﷺ كما في حديث عُبَادة بن الصَّامت الَّذي سَبَق ذِكْره بلفظ: «**بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ**».

الحُكْمُ الثَّالث: يُؤخَذ من حديث ابن عمر وابن عَبَّاس وأبي هريرة: أنَّ مَنْ ماتَ ولَيْس في عُنُقِهِ بيعةٌ ماتَ ميتةً جَاهليَّةً.

الحُكْمُ الرَّابع: يُؤخَذ من هَذِهِ الأَحاديثِ أنَّ البَيْعة المُعْتبرة هي بَيْعة الأوَّل، وهي بَيْعة الإِمَامِ الظَّاهر للنَّاس والمَعْروف عِنْدهم؛ لقولِهِ ﷺ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ**».

الحُكْمُ الخامس: يُؤخَذ من هَذِهِ الأَحاديثِ أنَّ البيعةَ الثَّانيةَ - وَهِي البَيْعة الخَفِيَّة - بيعةٌ باطلةٌ، فإنْ قالَ بعضُ الحِزْبيِّين: أنا لم أُبَايع، قِيلَ له: إنَّ بيعةَ عَريفك وشيخ قَبيلتِكَ بيعةٌ عنك، وأنت مُلْزمٌ بها شرعًا أمامَ الله عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ أمامَ خَلْقِهِ.

الحُكْمُ السَّادس: يُؤخَذ من هَذِهِ الأَحاديثِ أنَّ مَنْ أَخَذ البيعةَ لنفسِهِ من وراء عِلْمِ الإِمامِ وبِغَيْر إذنِهِ، وَجَب قتلُهُ إنْ ظَفِر به، ووَجَب قتالُهُ مع الإمامِ إنْ لم يَظْفر

به، وخَرَج خُرُوجا فعليًا؛ لقولِهِ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

الحُكْمُ السَّابع: يُؤخَذ مِن هذهِ الأحاديثِ: وُجُوب الصَّبر علىٰ جَوْر الوُلَاة ما دَامُوا مُسْلمين، وعدَم الخُرُوج عليهم؛ لقولِه ﷺ لأصحابِه: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ»(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ إِمَامِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

الحُكْمُ الثَّامن: أنَّ مَنْ رَأىٰ من أميرِهِ - أو إمامِهِ - مَعْصيةً، فعَلَيه أنْ يَنْصحَ له نصيحةً بشُرُوطِها، فإنْ لم يَقْبلْ وأَصرَّ عَلَىٰ معصيتِه، وَجَبَ عليه أن يَكْرَه ما يأتِي من مَعْصيةِ الله، ولا يَنْزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ، وكذَلِكَ إذا كانَ لا يَسْتطيعُ النَّصيحةَ، فالواجبُ عَلَيه أن يكرَه ذلكَ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ في حديثِ أُمِّ سلَمة: «مَنْ أَنْكَرَ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»(٣).

الحُكْمُ التَّاسع: عَلَىٰ الرَّعيَّة أن يُؤدُّوا حقَّ الوُلَاة عَلَيهم، ويَكِلُوا أَمْرَهم إِلَىٰ الله إِنْ قَصَّروا في حَقِّهم، فإنَّ اللهَ سَائِلُهم عمَّا اسْترعَاهم، ولَا يَجُوز لهم الخُرُوجُ عَلَيهم.

الحُكْمُ العاشر: أنَّ الإمامَ إِذَا حَصَل منه قُصُورٌ في حقِّ الرَّعيَّة، فلا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُكَافئوه عَلَىٰ ذَلِكَ بمَنْع حقِّه من الطَّاعةِ، بَلْ عَلَيهم أن يُؤدُّوا حقَّه، ويَصْبِروا

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٨٤٥) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

عَلَىٰ مَا حَصَل من الإِمَامِ إِنْ فُرِضَ[١].

ومَعْنَىٰ الصَّبر: أَنَّهم لا يَتكلَّمون فيه في المَحَافِل والمُجْتمعاتِ وعَلَىٰ رُؤوس المنَابِر[٢].

ولَهم أَنْ يَكْتبوا إليهِ كتابةَ وَعْظٍ وتَذْكيرٍ، فإِنْ لم يحصل شيءٌ من التَّراجع، وَجَب عَلَيهم أَنْ يَصْبروا، ولَا يَجوزُ لَهم أَنْ يَنْزعوا يدًا من طَاعةٍ.

وأخيرًا:

فإِنِّي أُذكِّر إِخْواني بما عَلَيه دَوْلتنا[٣] - أَيَّدها الله -، وبما نَحْن فيه من أَمْنٍ ورَخَاءٍ ورَغدِ عَيْشٍ.

فأقولُ: يَا إِخْوانِي، إِنَّ دَوْلتَنا دولةٌ مسلمةٌ، تُحكِّم شرعَ الله في مَحاكِمِها، وتُقِيمُ دينَ الله في وَاقِعِها، وتُعلِّم التَّوحيدَ في مَدَارِسها ومَعَاهِدها وجَامِعاتِها.

قَامتْ عَلَىٰ التَّوحيدِ من أَوَّل يَوْمها، وقَضَتْ عَلَىٰ مظاهِرِ الشِّرْك في جَمِيع سُلْطانها؛ تقيمُ الصَّلاةَ، وتُخصِّصُ المكافآتِ للأئمَّةِ والمُؤذِّنين، وتَعْمل كلَّ خيرٍ ومَعْروفٍ في الدَّاخلِ والخارجِ، وللأَقليَّاتِ المُسْلمةِ في كلِّ مكانٍ.

وكذَلِكَ ما تَقُومُ به الدَّولةُ من إِصْلاحاتٍ في المَشَاعر المُقدَّسةِ، وسَهَرٍ عَلَىٰ مَصْلحة الحَجِيج، والمُحَافظة عَلَيهم وإِرْشادهم، والمُحَافظة عَلَىٰ سَلَامتهم، إِلَىٰ غَيْر ذَلِكَ من الإِصْلاحاتِ الَّتي لا يُحْصِيها ديوانٌ.

(١) أي: إن فرض وقوعه.

(٢) وهذا الَّذي حذَّر منه المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عند تقسيمه للخروج، وقد عَدَّ ذلك من الخروج بالكلمة، إذ هو تجييش للنَّاس، ودفعهم للخروج الفعليِّ.

(٣) أي المملكة العربيَّة السّعوديَّة.

فما الذي تنقمون منها، وقد فعلت ما فعلت؟

ألم تسمعوا قول رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ قِيدَ شِبْرٍ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(١)]؟ !، وقوله ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(٢)]؟ !

أين أنتم أيها النَّاقمونَ من هَذِهِ الأحاديثِ الصَّحيحةِ الصَّريحة الكَثيرة؟ !

أتتركون أوَامِر النَّبيِّ الكريم ﷺ الَّذي أوْجبَ اللهُ عَليكم طاعته، ورتَّب عَليها مَحبتَه وجنَّته، وتُطِيعون مَنْ لَيْس بمَعْصومٍ من الخَطإِ والزَّلل؟

أيْن أنتُمْ يا عبادَ الله من قولِهِ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤]، ومن قولِهِ تَعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النُّور: ٦٣].

أتُطِيعونَ رُؤسَاءَكم في مُنَازعةِ الأَمْر أهلَه، وتَعْصُونَ رَسُولَ الله ﷺ الَّذي حَذَّركم مِن مُنَازعةِ وُلَاة الأَمْر أمْرَهم، كما في حَدِيثِ عُبادة بن الصَّامت: «وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[(٣)]؟

فهَلْ رَأيتُمْ عِنْد المَسْؤولِينَ في دَوْلتنا إِسْلامًا، وتحكيمًا للشَّريعةِ، وحُكْمًا بِهَا، أو رَأيتُمْ كفرًا بواحًا وتَركًا للصَّلاةِ؟

أيُّها النَّاسُ، احْمَدوا اللهَ وَاشْكُرُوه عَلَىٰ ما أَنْتُمْ فيه، وأَنْتُمْ في نعمةٍ عظيمة يَغْبطُكم عَلَيها ويَحْسدكم بها القَاصِي والدَّاني.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

اعْلَموا أنَّ اللهَ يقول: ﴿لَبِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ويَقُول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

نَحْن نَعْلَمُ بحُكْم ما كَانَتْ عَلَيه المملكة سابقًا ولاحقًا، أنَّ الدِّراسةَ فيها كَانَتْ ولا زالتْ عَلَىٰ المنهجِ السَّلفيِّ الَّذي يُحرِّم الخُرُوجَ عَلَىٰ الوُلَاة، فما الَّذي حَوَّلكم عَنْه؟

أَلَيْسَ التَّخطيطُ السِّريُّ الرَّهيبُ الَّذي غَسَل أَدْمغتكم، وقَلَبَ أَفْكارَكم رأسًا عَلَىٰ عقبٍ، فحَصَل ما حَصَل؟

إنَّ المنهجَ الإخوانيَّ بجَمِيع فصائلِهِ من سُروريَّةٍ[(١)]، وقُطبيَّةٍ[(٢)]، وجماعةِ تكفيرٍ، وحزبِ جهادٍ وتحريرٍ، وغير ذَلِكَ، كلُّها تَتَّفق عَلَىٰ الفِكْرة الحركيَّة الحزبيَّة الثَّوريَّة، كلُّهم يَدْعون إِلَىٰ التَّخطيطِ السِّريِّ والخُرُوج المُفاجِئِ عِنْدما يَرون قُوَّتهم قَدِ اكْتَملَتْ، وإنْ كانوا يَدَّعون أنَّهم من أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، وإنَّ مَنْ تَتبَّع تَصْريحاتِهم في الأَشْرطةِ والصُّحُفِ والمقالاتِ والكُتُبِ، يَتبيَّن له مِنْها أنَّهم جميعًا مُتَّفقونَ عَلَىٰ جوازِ الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاةِ وإنْ كَانُوا مُسْلمين مُوحِّدينَ، يُقيمونَ الصَّلاةَ، ويُحكِّمون شَرْعَ الله.

وإِلَيْك هَذَا الخبر من كِتَابِ «الطَّريق إِلَىٰ جماعة المُسْلمين»[(٣)]، قالَ في صفة

(١) السّرورية: فصيل من فصائل جماعة الإخوان المسلمين، ينسب إلىٰ محمد سرور زين العابدين، وهو رجلٌ سوريٌّ كان يعيش في الكويت، وعاش في بلاد الحرمين فترةً من الزَّمن، وهو الآن يعيش في بريطانيا.

(٢) القطبية: فصيل آخر من فصائل جماعة الإخوان المسلمين يُنْسَب إلىٰ سيِّد قطب، والمقصود بها: مَنْ تأثروا بفكر سيِّد قطب، ودعوته، ومبادئه.

(٣) «الطريق إلىٰ جماعة المسلمين»: هو بحثٌ علميٌّ للباحث/ حسين بن محسن بن علي جابر، نال به درجة الماجستير بامتيازٍ مع مرتبة الشرف من «الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة (شعبة السُّنَّة =

العضو النَّقيب: «البندُ السَّادس، الَّذي لا يَسْتعجلُ الشَّيءَ قبل أوانِهِ، فلا يَسْتعجل الثِّمارَ قبل نُضجِها؛ لأنَّ مَنِ استَعجَل الشَّيءَ قبلَ أوانِهِ، عُوقِبَ بحرمانِهِ، فنَحْن لا نَسْتعجلُ إعطاءَ الصِّفةِ إلَّا بمِقْدارِ النُّضجِ، ولَا نَستعجلُ تنظيمًا قَبْل وُجُودِ لَوازمِهِ، ولَنْ نستعجلَ تنفيذًا لم يأتِ دَوْرُهُ، ولَنْ نَسْتعجلَ إقامةَ الدَّولةِ قَبْل اسْتِكْمالِ شُرُوطِها».

وقالَ في الصَّفحةِ الَّتي بَعْدها في شُرُوطِ العُضْو النَّقيب: «(٨) أَنْ يُعْطي البيعةَ عَلَىٰ الطَّاعةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَكْره والمَنْشط، للقيادةِ المُنْبثقةِ عَنِ الأَنْظمةِ المُعْتمدةِ للجَماعةِ»(١).

أتذري - أَخِي المسلم - ما الَّذي يريدُ بقولِهِ: «فلا يسْتعجلُ الثِّمار قَبْل نُضْجِها»، إنَّه يعني بالثَّمرة: الأتباعَ، ويَعْني بالنُّضْج: اكتمالَ القوَّة.

ولَمْ يَكُنْ هَذَا المبدأُ هو مبدأ القَاعدة، وأنَّه تُرِكَ من أتباعِ هَذَا المنهج في الدَّولة السّعوديَّة وأرض الحرمين؛ لأنَّ الدَّولةَ في أَرْض الحرمَين دولةٌ مسلمةٌ منّة في المنّة، بل إنَّ أتباعَ هذا المنهجِ وفُروعه يَسِيرون في نَفْس الطَّريق.

فَاسْتَمع إِلَىٰ قولِ سلمان العودة في شريطِهِ: «هُمُوم فتاةٍ ملتزمةٍ» حَيْث يقول: «إنَّني أعتقد أنَّ زَمَنَ الشَّكوىٰ المُجرَّدة قَدِ انْتَهىٰ أو كادَ يَنْتهي، أَعْني أنَّ دورَ الخَيِّرِينَ والخَيِّراتِ لا يجوز أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّدِ الشَّكوىٰ للجهاتِ المُختصَّةِ، حَصَل كذا... وحَصَل كذا... وحَصَل كذا...

وأقول (والقائل سلمان): «إنَّ هذا الدَّورَ الَّذي وَقَف عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ

= المُشَرَّفة)، وقد أشرف عليه الأستاذ الدكتور/ محمود أحمد ميرة.

قد عرَّف المؤلِّفُ في هذا البحث بجماعة المسلمين، وبيَّن أهمِّيَّتها، والطَّريق إِلَيْهَا، وطبيعة هذا الطريق.

(١) «الطَّريق إلىٰ جماعة المسلمين» (ص ٣٩٢، ٣٩٣)، ط. دار الدعوة، الكويت.

فقط قدِ انْتهَىٰ - أو كادَ يَنْتهي - لأسبابٍ، أهمُّها:

أَوَّلًا: لَوْ كانَ هناك إصرارٌ من القِمَمِ عَلَىٰ مَنْع ريحِ التَّغييرِ والفسادِ لأَحْكَموا غَلْقَ النَّوافذِ.

ثانيًا: ضُغُوط النَّاسِ لا يمكنُ إِهْمالها بحالٍ من الأَحْوال، الآن ونحن في عَصْرٍ صارَ للجماهيرِ فيه تأثيرٌ كبيرٌ، فأَسْقَطوا زُعماءَ، وهَزُّوا عُرُوشًا، وحَطَّموا أسوارًا وحواجزَ، ولا زَالَتْ صُور العُزَّل الَّذين يُواجِهونَ الدَّبَّاباتِ بصُدُورهم في الاتِّحاد السُّوفيتي بَعْدما قامَ الانقلابُ الأخيرُ الَّذي فَشَل، لا زَالَتْ صُورُ أُولَئك العزَّل يَتدَافعونَ في وُجُوه الدَّبَّاباتِ بالآلافِ، بل بعَشراتِ الآلافِ حتَّىٰ اسْتَطاعُوا وهُمْ لا يَمْلكونَ رصاصةً واحدةً أن يَقِفوا في وَجْه ذَلِكَ الانْقِلابِ ويُفْشلوه، لَا زَالَتْ ماثلةً للأذهانِ، وقَدْ رَآهَا العالمُ كلُّه حيَّةً عَلَىٰ الهواءِ في شرقِهِ وغربِهِ». اهـ[1].

وأقول: إنَّ سلمانَ يَزْعم أنَّه من أَهْل السُّنَّةِ والجماعةِ، فهَلْ من عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الخُرُوجُ عَلَىٰ الوُلَاة؟ !

وإلَّا فما مَعْنىٰ قولك: «أعني أنَّ دورَ الخَيِّرين والخَيِّرات لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ للجهاتِ المُختصَّةِ، حَصَل كَذَا.. وحصل كَذَا».

ثانيًا: قولك: «لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ»: حكمتَ بتَحْريم التَّوقُّفِ عند الشَّكْوىٰ، فما هو الَّذي يجبُ عَلَيهم أَنْ يَفْعلوه بَعْد الشَّكْوىٰ؟

ثالثًا: إطلاقُك حُكْمًا شرعيًّا بالتَّحريمِ، أو الوُجُوبِ، أو النَّدْبِ، أو الكراهةِ يحتاجُ إِلَىٰ دليلٍ، فما هو الدَّليلُ؟

رابعًا: تجاوز الشَّكْوىٰ إنَّما يكونُ بأَسَاليبِ العصرِ، وهي المُظَاهراتُ

---

(١) من كتاب «القطبية» (ص ٩٢)، وقد سمعت الشريط سابقًا.

والتَّفجيراتُ والثَّوراتُ، فهَلْ أنت تُجِيزها يا شيخ سلمان، أَمْ ماذا؟ بَيِّن ما تريد؟

خامسًا: وإنْ كنت تُجِيز هَذِهِ الأساليبَ، فما هو دَلِيلُك عَليها، وأنتَ الدَّاعية الإسلاميُّ المعروف، والدَّليلُ لا يكون إلَّا من كتابِ الله، أو من سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ الصَّحيحةِ.

سادسًا: أُذكِّرك يا شيخُ سلمان، بأنَّ الأدلَّةَ تدلُّ عَلَىٰ تحريمِ الخُرُوج، بل وعَلَىٰ تَحْريم المُنازَعة، فالنَّبيُّ ﷺ يقولُ لمَنِ استأذنَ في الخُرُوجِ عَلَىٰ أئمَّة الجَوْر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[(١)].

ويقولُ: «**أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[(٢)].

ويَقُول: «**اسْمَعْ وأَطِعْ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ**»[(٣)].

وفي حديثِ عُبادة بن الصَّامت: «**وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا**»، فهل رأيتَ كفرًا بواحًا يا سلمان؟ أَمْ أنتَ مناقضٌ ومضادٌّ لأَمْر النَّبيِّ ﷺ؟ وما إخَالُك تَرْضىٰ لنَفْسِك هَذَا.

سابعًا: تريد يا سلمانُ، أنْ تَزجَّ بالنِّساء في الثَّوراتِ والمظاهراتِ والتَّفجيراتِ، مَعَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا قيل له: أعَلَىٰ النِّساءِ جهادٌ؟ قال: «**عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ؛ الحَجُّ وَالعُمْرَةُ**»[(٤)]، إنَّ الله رَفَعَ عن النِّساءِ حُكْمَ الجهادِ الشَّرعيّ، وأنتَ تريد أن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٦٥) (٢٥٣٦١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٢٥٣٤).

تزجَّ بهنَّ في جهادٍ غير شرعيٍّ كما فَعَل بعضُ أَسْلافِك حينَ قال: ويَجُوزُ للمرأةِ أن تخرجَ بغَيْر إذنِ زَوْجِها.

ثامنًا: في قولك: «وأقولُ: إنَّ هَذَا الدَّورَ الَّذي وقفَ عند مُجرَّد الشَّكْوىٰ فقط قَدِ انْتَهىٰ... لأسبابٍ»:

وأقول: إنَّك بقولك هَذَا حكمتَ أو قَرَّرتَ بأنَّ هَذَا الحكمَ قَدْ نُسِخَ، وإنَّك بهذَا القَوْل قَدِ اقْتَرفتَ إثمًا عظيمًا، وذنبًا كبيرًا؛ لأنَّك حكمتَ بالنَّسْخ، وجَعلتَ النَّاسخَ من فِعْل النَّاسِ، فهل فِعْلُ النَّاس يُعدُّ ناسخًا لكَلامِ الشَّارعِ الَّذي يَحْمل أَوامِرَه ونَوَاهيه إِلَىٰ المُكلَّفين.

وَلَيْتك قلتَ: قَدْ ترك ما هنالك، فيكون هَذَا التَّعبيرُ مُخصِّصًا للتَّبعة عَلَىٰ التَّارك، ولكنَّك قلتَ: «هذا الدَّور قَدِ انْتَهىٰ - أو كادَ يَنْتهي - لأَسْبابٍ، أهمُّها.. »، ثمَّ وَضَّحتَ فقلتَ: «أَعْني أنَّ دورَ الخَيِّرينَ والخَيِّراتِ لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ»، فجعلتَ بدل: «يجب أن يَتوقَّف»: «لا يَجُوزُ أن يَتوقَّفَ» أي: جعلتَ بدل وُجُوب التَّوقُّف تَحْريمه بلا حُجَّةٍ، ولا مُسْتَنِدٍ، فخالفتَ النُّصُوصَ، بل جعلتَ الحُكْمَ عكس ما دَلَّت عليه النُّصُوصُ، فَأعِدَّ للسُّؤالِ جوابًا.

تاسعًا: أنَّك أَبَحْتَ مُنازَعةَ السُّلطانِ أَهْلَه، بل أَوْجبتَ ذَلِكَ؛ معاكسةً ومُضَادَّةً لأَمْر الشَّارع الَّذي جاءَ بالصَّبر عَلَىٰ الوُلَاةِ، وإِنْ جارُوا، وإِنْ ضَرَبُوا الظَّهرَ، وأَخذوا المالَ، وفي هَذَا إيجابٌ للمُنازعةِ، ولَعلَّه تجويزٌ للخرُوج.

فهل علمتَ أنَّك بذلكَ قَدْ قدَّمتَ ما قرَّره مُنظِّر المنهجِ؛ سواء كان فلانًا أو فلانًا، وأَخَّرتَ ما أمر به رسولُ الله ﷺ وخَالَفتَ ما أجمعَ عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ من تَحريم الخروجِ والمُنازعةِ؟

فهل بَعْد هذهِ الأدلَّةِ من مَخْرجٍ لمَنْ يقولُ بجوَاز الخرُوج والمُنازَعة الَّتي يعبر عنها بالتَّحريضِ والتَّهييجِ والإثَارةِ؟

إنَّها مخالفةٌ للأدلَّة، ولِمَا أجمعَ عَلَيه علماءُ الأُمَّة.

أَرْجو أنْ يُوفِّقك اللهُ للرُّجُوع إِلَىٰ الحقِّ؛ لأنَّ الرُّجُوعَ إِلَىٰ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي فِي البَاطِل.

وقريبًا من قَوْل سلمان في التَّحريضِ عَلَىٰ الخُرُوجِ قَوْل عائض القرني في قَصِيدةٍ له بعنوان: «دع الحواشي واخرُج» نُشرتْ في ديوانِهِ المُسمَّىٰ بـ «لحن الخُلُود»:

صَـلِّ مَـا شِـئْتَ وصُـمْ فَالـدِّينُ لا ... يَعْـرفُ العابِـدَ مَـنْ صَـلَّىٰ وَصَـامَا

أَنْـتَ قِسِّـيسٌ مِـن الرُّهْبـان مَـا ... أَنْـتَ مِـنْ أَحْمـدَ يَكْفِيـكَ المَلَامَا

تَـرْكُ السَّـاحةَ لِلأَوْغَـادِ مَـا ... بَـيْن قـزْمٍ مُقْـرفٍ يلْـوِي الزِّمَامَا

أَوْ دَعِـيٍّ فَـاجرٍ أَوْقَـعَ في ... أُمَّتِـي جُرْحًـا أَبَـىٰ ذَاكَ الْتِئَامَـا

لا تُخَـادِعْني بِـزِيِّ الشَّـيخ مَـا ... دَامَـتِ الـدُّنيا بَـلَاءً وَظَلَامَـا

أَنْـتَ تَأْلِيفُـكَ لِلأَمْـوَاتِ مَـا ... أَنْـتَ إِلَّا مُـدْنِفٌ حُـبَّ الكَلامَـا

كُـلَّ يَـوْمٍ نَشْـرَحُ الْمَـتْنَ عَلَـىٰ ... مَـذْهَبِ التَّقْلِيـدِ قَـدْ زِدْتَ قَتَامَـا

وَالْحَوَاشِـي السُّـودُ أُشْـغِلْتَ بِهَـا ... حِينَمَـا خِفْـتَ مِـنَ البَـاغِي حُسَـامَا

لا تَقُـلْ شَـيْخِي كَلَامًـا وانْتَظِـرْ ... عُمْـرَ فَتْـوَىٰ مِـثْلَكُمْ خَمْسُـونَ عَامَا

وَالسِّـياسَـات حِمًـىٰ مَحْـذورةٌ ... لا تُـدَانِيهَا فتُلْقِيـكَ حُطَامَـا

أولًا: مَاذَا تَقُولُ يا عائض؟ ماذا نَقُول؟ نقول: نزوةُ شاعرٍ ومُبَالغاتُهُ؟ يمكن

هَذَا لو كانَ الشِّعْرُ في أُمُور الدُّنيا، أمَّا في أُمُورِ الدِّين، فلا.

ماذا نَقُولُ؟

أنُعدِّد لك النُّصُوصَ الَّتي تجعل الصَّلاةَ والزَّكاةَ والصَّومَ والحجَّ أهمَّ فَرَائِض العِبَاداتِ العمليَّة بَعْد الإيمانِ، وأنتَ تَعْرفها؟ ألستَ تَرَىٰ أنَّ مِنْ حقِّك أن تقولَ: صَدَق اللهُ ورَسُولُهُ، وكَذَب شِعْري حين أقول:

صلِّ ما شِئْتَ وصُمْ فالدِّينُ لا ... يَعْرفُ العابِدَ مَنْ صلَّىٰ وصَامَا

ثانيًا: إنَّ الدِّين يعرف العابد من صلَّىٰ وصام، ووحَّد واستقام، وليس كما قَالَ شِعْرُ عائض القرني، رَدَّه اللهُ إِلَىٰ الحقِّ ردًّا جميلًا، وأعانَه عَلَىٰ نفسِهِ وشيطانِهِ.

ثالثًا: وبعد ذَلِكَ تأتي قَاصِمةُ الظَّهْر، وفاقرةُ الفَوَاقر في البيتِ الثَّاني.

إِذْ جَعَلتَ المُسْلمينَ المُصلِّين المُزكِّين الصَّائمين العَابِدِين لله عَلَىٰ شَرِيعةِ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ، جَعَلتَهم قساوسةً ورهبانًا، حكمتَ عَلَيهم بالنَّصرانيَّة، وأَخْرجتَهم من الإِسْلامِ، أَيْن ذهبَ عَقْلُك؟ وكيفَ سُلِب لُبُّك حِين تَقُول:

أَنْتَ قِسِّيسٌ مِن الرُّهْبان مَا ... أنتَ مِنْ أَحْمدَ يَكْفِيكَ المَلامَا

فَبرَّأتهُمْ من أحمد النَّبيِّ المُخْتار - صلواتُ رَبِّي وسلامُهُ عليه - وبَرَّأته مِنْهم، وأَكَّدْتَ تكْفيرك للمُسْلمين بدُون ما يُوجِب الكفرَ، فَارْتديت جُبَّة الخَوَارج الَّذينَ قال عنهم سَيِّدُ ولدِ آدَمَ - صلواتُ الله وسلامُهُ عليه - بأنَّهم **«يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم مِنَ الرَّمِيَّةِ»**[(١)]. وقال ﷺ عَنهم: **«كِلَابُ النَّار»**[(٢)]،

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد رقم (٣٦/ ٤٦٩) (٢٢١٥١)، والترمذي رقم (٣٠٠٠)، وابن ماجه رقم (١٧٦)، عن

أفترضىٰ لِنَفْسِك هَٰذِهِ الصِّفات؟

فإنْ قلتَ: حَصَل مِنِّي هَٰذَا قديمًا، أمَّا الآن فلا أقولُ به.

وأقولُ: إذا كنتَ قُلْتَه قبل أن تكتملَ بِنْيَتُك العلميَّة، فلِمَ تَركتَه يُطبَع ولِمَ تَركْتَه يُنشَر؟!

رابعًا: ألا ترىٰ أنَّ أسلوبَك هَٰذَا أسلوبٌ ثوريٌّ تكفيريٌّ استفزازيٌّ؟!

وهَلْ تَرَىٰ من المَصْلحة نَشْرَه أو وَأْدَه ودَفْنَه؟!

وأقولُ: أمَّا جَوابُك فهو مَعْلومٌ من تَصرُّفك - أي بنَشْر هَٰذَا الدِّيوان عَلَىٰ ما فِيهِ من أخطاء فَادِحةٍ - وإنَّ سَمَاحك بنَشْره تمادٍ وإيغالٌ في الخطأ.

خامسًا: إنَّ وُلَاة الأمرِ في بَلَدِك مُسْلمون، ولهم إصْلاحاتٌ كثيرةٌ، وفيهم خيرٌ كثيرٌ، وأنت مِمَّنْ يَتمتَّع بهَٰذَا الخير، ويَرْفل في أثوابِ عَافيتِهِ، أفَلا شكرتَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟

تَذكَّر يا شيخ عائض، أنتَ ومَنْ مَعَك عَلَىٰ هَٰذَا المنهجِ، وتَخْدعون الشَّبابَ بهَٰذِهِ الأَسَاليبِ، أنَّ الدَّولةَ رَبَّتكم في مَدَارِسها ومَعَاهدِها وكُلِّيَّاتِها، وأنْفقَتْ عَلَيكم الأموالَ الطَّائلةَ حتَّىٰ وَصَلتُمْ إِلَىٰ ما وَصَلتُم إليه، ثمَّ تُجْزونها جزاءَ سِنِمَّار، وتَعْصُونَ اللهَ ورَسُولَه بالاستفزازِ لَها، والإثارةِ والتَّأليبِ والإغراءِ بالخُرُوجِ عَلَيها، ومُنَازعة أصحابِها ما خَوَّلهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

لقَدْ خَرجتُم عمَّا أمَرَكم اللهُ به في كتابِهِ وعلىٰ لسانِ رَسُولِهِ ﷺ، وخَرجتُم عَلَىٰ إجماعِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الَّذين تَزْعمون أنَّكم من أتْباعِهم، وتَفْتخرُون بالانتماءِ إِلَيهم، والحقيقةُ أنَّكم إنَّما تَنْتمونَ إِلَىٰ المُعْتزلةِ والخوارجِ الَّذين

أبي أمامة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ. والحديث حسَّنه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» رقم (٣٥٥٤).

يُجيزُونَ الخُرُوجَ عَلَىٰ وُلَاةِ الأمْر، والإنكار عَلَيهم بالسَّيفِ.

إنَّ أمْرَكم لعجيبٌ، ووالله، إنَّكم تربَّيتم في مدارسَ ومعاهدَ وجامعاتٍ مُقرَّراتُها عَلَىٰ عقيدةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، فما الَّذي حَوَّلكم عن هَٰذِهِ العقيدةِ؟ !

لا تظنُّوا أنَّ النَّاسَ يَجْهلونَ الَّذي حَوَّلكم، إنَّ الَّذي حَوَّلكم هو التَّنظيمُ الإرهابيُّ السِّريُّ الَّذي اشْتركتُمْ فيه، وغُسِلَتْ أَدْمغتُكم فيه، فَكُنتُم كما كُنْتم، وإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعونَ.

سادسًا: أَنْتَ في الأَرْبعة الأبياتِ الباقية مِمَّا أَوْردتَه هنا تزهد في العِلْمِ الَّذي لا يَنْصهر في بَوْتقةِ الثَّوريَّة، الَّتي رَضِيتُم بها دينًا بدلًا عن حَنيفيَّةِ إبْراهيم ومُحمَّدٍ عليهما السلام، فتقول:

لا تُخَادِعني بِزِيِّ الشَّيخ مَا	دَامَتِ الدُّنيا بَلاءً وظَلامَا
أَنْتَ تَأْليفُكَ للأَمْوات مَا	أنتَ إلَّا مُدْنِفٌ حُبَّ الكَلامَا

سابعًا: جَعَلْتَ مُعَالجةَ التَّأليفِ هلاكًا، وفاعلَ ذَلِكَ مُشْرفًا عَلَىٰ الهَلاكِ؛ لأنَّ كلمةَ «مُدنف» إنَّما تُقَال لمَنْ هو مُشْرفٌ عَلَىٰ الهَلكةِ، يُقَال: مريضٌ مدنفٌ، فأنتَ جعلتَ مَنْ يُمارِسُ التَّأليفَ والتَّعليمَ، ويَصْرفُ جُلَّ أوقاتِهِ فيه، ولا يَشْترك في ثَوريَّتكم، جعلتَه مُشْرفًا عَلَىٰ الهَلَاكِ.

وأقول: إنَّكم بذَلِكَ قَدْ أَعدتُمْ بِدْعةَ الخَوارِجِ والمُعْتزلة، ولَا تَغْضبوا عَلَىٰ مَنْ قالَ: إنَّكم مُبْتدعةٌ.

ثامنًا: قَدْ جعلتَ الفِقْهَ الإسلاميَّ (تَعلُّمَه وتَعْليمَه) قَتامًا، والقتامُ هو الشَّيءُ الَّذي يَمْنع الرُّؤيَةَ، أو يَمْنعُ وُضُوحَها كالغبارِ، وما أشْبهه، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول:

«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١)، ألا ترى أنك قصدت عكس الحقائق الشرعيَّة في قصيدتك هذه؟ ولكن أعمتك الحزبيَّةُ وأعمتك الثَّوريَّةُ، وانعكست الحقائق في بصيرتك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

تاسعًا: ثمَّ تختم جولتك في نُصرة الباطلِ ومُحاربة الحقِّ بقولك:

والحَوَاشِـي السُّـودُ أُشْـغِلْتَ بِهَـا حِينَمَـا خِفْـتَ مِـنَ البَـاغِي حُسَـامَا

ألا ترى أنك بهذا نصرت الباطلَ، وخذلتَ الحقَّ، بل كنتَ في عِدَادِ مَنْ يَصدُّونَ عن سَبيلِ الله؟

فهَلْ مِنْ توبةٍ صادقةٍ يا عائض؟

وهل مِنْ رُجُوعٍ إِلَىٰ الله يَمْحو به عنْك سابقَ الأَوْزارِ؟

والله، إنِّي لناصحٌ لك.

وأخيرًا: لهَذَا أمثلةٌ في كَلامِ أصحابِ هَذَا المنهجِ التَّكفيريِّ الثَّوريِّ في نَظْمهم ونَثْرهم، هَدَانا اللهُ وإيَّاهم، وعَفَا عنَّا وعَنْهم، ووفَّق الجميعَ لاتِّباع سبيلِ الحقِّ ومُجانَبة البِدَعِ، وردَّهم إِلَىٰ سبيلِه ردًّا جميلًا.

وإنِّي لأَعْجبُ من أقوامٍ يُدافعون عَنْهم، ويَتَعاطفُونَ مَعَهم، وهُمْ يَعْلمون بَعْض ما هُمْ عليه، ولا أرى مَنْ يَفْعل ذَلِكَ إِلَّا آثمًا كإثمِ مَنْ يَرىٰ قومًا يَزْرعونَ ألغامًا في طريقِ قومٍ مُسْلمين ليُودُوا بحَيَاتهم بغير حقٍّ، فسكتَ حتَّىٰ ثارَ اللَّغمُ فِيهِم وأَهْلَكهم.

إنَّ السُّكوتَ عَمَّنْ يُبيِّتُ الشَّرَّ للمُسْلمين، ويريدُ الإيقاعَ بِهِم ما بَيْن حينٍ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١)، ومسلم رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وآخر، خيانةٌ عُظمىٰ للمُسْلمين، وإنَّ النَّصيحةَ للمُسْلمين في هَذَا البلدِ المُسْلم الطَّيِّب، والنَّصيحة لأئمَّة المُسْلمين فيه - من وُلاةٍ وعُلَماء أنْ يُنبِّهوا عَلَىٰ مَوَاطن الشَّرِّ قبل وُقُوعه، ولَسْنا نشكُّ أنَّهم عِنْدهم شيءٌ من العِلْمِ عن بَعْض ما يُبيِّته هَؤُلاء العَقَقة، ولكنَّا نَرىٰ أنَّ الواجبَ عَلَينا أن نُؤدِّي ما عندنا لتَبْرأ ذِمَّتُنا، وليتأكَّد الخبرُ بالخبرِ، ويزداد قُوَّةً، والله من وَرَاء القَصْد.

هذه المُقدِّمةُ جَعَلتُها لكتابي «المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد عَلَىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة من العَقَائدِ والأعمالِ» رَكَّزت فيها عَلَىٰ مسألةِ الخُرُوج عَلَىٰ الوُلَاة ومُنَازعتهم ما خَوَّلهم الله عَزَّوَجَلَّ من سلطانٍ، وبَيَّنت بالدَّليلِ بُطْلان زَعْم مَنْ زَعَمَ جَوَاز ذَلِكَ، نظرًا لأهميَّة هَذِهِ المسألةِ، وعُمْق أثرِها في الدِّينِ والمُجْتمع، والله أسألُ أن يَتولَّىٰ الجميعَ بحفظِهِ، ويَرْعاهم برعايتِهِ.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه

المؤلف

مَلْحوظةٌ:

بعد أنْ كتبتُ هذهِ المُقدِّمةَ وقدَّمتها للطَّبع، وَصَلَتْني نشرةٌ مُرسلةٌ من الشَّيخ عائض بن عبد الله القرني وَفَّقه الله، تحوي تِلْك النَّشرةُ تَراجُعَه عن سَبْع عشرة مسألةً عَنْوَنها بعنوان: «المراجعات»، وكانَ الأَوْلَىٰ أن يقول: «تراجعات»، قال في صفحة (٥) من النَّشرة المَذْكورة:

«السَّابعة: ما قلتُهُ في (لَحْنِ الخُلُود) صفحة (٤٧) من قصيدةٍ طويلةٍ بعنوان: «دع الحواشي واخرج»، ومِنْها:

أَنْتَ قِسِّيسٌ مِن الرُّهبان مَا ... أنتَ مِنْ أَحْمدَ يَكْفِيكَ المَلامَا

فهذا خطأٌ مِنِّي أستغفرُ اللهَ منه، وقَدْ سَبَقَ أن ذكرتُ أنَّ هَذِهِ القصيدةَ قلتُها وأنا طالبٌ بالمعهَدِ العلميِّ بالسَّنةِ الثَّانيةِ الثَّانويَّة».

وأقولُ: هل تَذكر يا شيخ عائض، أنِّي قلتُ حِينَما مررتَ عليَّ في خَيْمتي بعَرَفات من حجِّ عام ١٤١٦هـ وجَرَىٰ بَيْننا النِّقاشُ حَوْل بَعْض الأَخْطاءِ الَّتي صدَرَتْ مِنْك، وَاحْتَجَجْتَ بهذه الحُجَّة - أي أنَّك قلتَها وأنتَ طالبٌ في المَعْهد - فقلتُ لك: ولِمَ سمحتَ بطَبْعِها ونَشْرها؟ فسكتَّ.

والمهمُّ أنَّ هَذِهِ الحُجَّةَ ليست بحُجَّةٍ، فإذا كنتَ قُلتَها قبل أَنْ تكتملَ بِنْيَتك العلميَّة، كانَ الواجبُ عليك أن تَعْدمها وأنتَ تعرفُ أنَّها خطأٌ، حتَّىٰ لا يجدها بعضُ أَبْنائِك فيغترَّ بها، والحقُّ أنَّ نَشْرها يَدِينك، والتَّوبةُ تَجُبُّ ما قَبْلها، ثمَّ أنتَ تركتَ البيتَ الَّذي تقولُ فيه:

صَلِّ ما شِئْتَ وصُمْ فالدِّينُ لا ... يَعْرِفُ العابِدَ مَنْ صلَّىٰ وصَامَا

وهذَا البيتُ لَيْس بأقلَّ شناعةً مِمَّا بعده في الفِرْيةِ، والقَوْل عَلَىٰ الله وعلىٰ رَسُولِهِ بغير ما قَالَا، ويَشْهد الله أنِّي فرحتُ بتَوْبة الشَّيخ عائض، وبَشَّرتُ بها طُلَّابي في الحَلْقة عَلَىٰ خبرٍ في الهاتفِ من ثِقَةٍ[1] قبل أَنْ تَصِلني النَّشرة، ولكنَّ الباطلَ واجبٌ عَلَىٰ مَنْ عَرَفه أن يَردَّه.

لذَلِكَ، فقَدْ قَرَّرتُ أن أنشرَ ما كتبتُهُ في هَذِهِ المُقدِّمة عن قصيدة الشَّيخ عائض، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع، وأَنْ يُقال به، وإِنْ أسخطَ النَّاسَ، فإرْضاءُ الله

---

(١) الَّذي يُشيرُ إليه شيخُنا هنا هو أنا (محمَّد بن هادي).

ملحوظة: سوف ترىٰ أخي القارئ بعض التَّعليقات اللَّازمة في بعض المواطن ليست من صنيع شيخنا المؤلِّف، وقد أذِن لي فيها، جزاه الله خيرًا، وقَدْ ميَّزتها عن تعليقاته بوضع اسمي عليها أداءً للأمانةِ العلميَّة.

ونُصْرة دينِه مُقدَّمٌ عَلَىٰ إِرْضاءِ كلِّ أحدٍ، والباطلُ الَّذي رددت عليه قَدْ نشر إِلَىٰ أقاصي الدُّنيا، وما زَالَ مَنْشورًا، والمهمُّ أن يعرفَ طُلَّابُ العِلْمِ الحقَّ من الباطلِ.

وبالله التوفيق..

كتب هذا

أحمد بن يحيى النجمي



بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحمدُهُ، ونَستعينُهُ، ونَستهديه، ونَستغفرُهُ، ونتوبُ إليه، ونَعُوذُ بالله من شُرُورِ أنْفسِنا، ومن سَيِّئاتِ أعْمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

ولَقَدْ سَرَّنا كثيرًا ما رأينا من الصَّحوة الإسلاميَّة الَّتي ما كنَّا نتوقَّعها؛ إذْ أقبلَ كثيرٌ من الشَّباب عَلَىٰ الله تائبين، واتَّجهوا إليه مُنيبين، وقَرَعوا أبوابَ الخَيْر مُخْلصين، فَذكرت حين رأيت ذَلِكَ قول النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيَغْرِسُ في هَذَا الدِّين غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ بِطَاعَتِهِ»[(١)].

فَقَدْ طَمِعنا أنَّ الله يَنْصر بهم دينَه، ويُعْلي بهم كَلِمتَه، ويَنْشر بهم الإسْلامَ في رُبُوعِ الأَرْض، لكن هَذَا الطَّمَعَ سرعان ما تبدَّد حِينَما رَأَيْناهم قَدْ تفرَّقوا شِيعًا وأحزابًا، يكيدُ بَعْضُهم لبعضٍ، وينالُ بَعْضُهم من بعضٍ، ويُبْغض بعضُهم بعضًا.

وَقَدْ فَرِح كلُّ حزبٍ بما لَدَيه، وظنَّ أنَّ الحقَّ محصورٌ فيما هو عَلَيه، فتذكَّرت أنَّ الشَّيطانَ الَّذي آلىٰ عَلَىٰ نفسِهِ ألَّا يزالَ يُغْوي بني آدم ما دَامَتْ أرْواحُهم في أجْسادِهم، والَّذي نَذَر عداوَتَهم وإضْلالَهم حِينَ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]. قَدْ أدْخلَ في هَذِهِ الصَّحْوة ما

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٠) (١٧٨٢٢) من حديث أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه، وصَحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٤٢).

يَضمن له فيهم الشّقاق، ويُفرّق الكلمةَ، ويخلط الحقَّ بالباطلِ، والسُّنَّةَ بالبدعةِ، وربَّما خَلَط التَّوحيدَ بالشِّرْكِ، فيكون ذَلِكَ مقبولًا وإِنْ خالفَ العقيدةَ، ومُسْتحسنًا وإِنْ ناقضَ الإسلامَ؛ لأَنَّه جاء من عُلَماء يحسن بهم الظَّن، وتُضفَىٰ عَلَيهم القَدَاسة، فكلُّ ما جاؤوا به فهو حسنٌ؛ إِذْ لا يُتصوَّر في نَظَر التَّابعين أن يُخالِفوا الإسلامَ وهُمْ يَدْعون إليه، وأَنْ يحصلَ مِنْهم الهدمُ وهُمْ يُرِيدُونَ البناءَ، بل قَدْ يصلُ بِهم أو ببَعْضهم الظَّنُّ أَنَّهم لا يُخْطئون، وبذَلِكَ يَقَعون في فخاخِ الشَّيطانِ باتِّخاذهم لمَتْبوعِيهم أربابًا من دون الله، فيُطِيعُونَهم في مَعْصيةِ الله، ويَمْشون عَلَىٰ النَّهْجِ الَّذي رَسَموه لهم وإِنْ خالَف نهجَ رَسُول الله ﷺ، ويَلْتزمون بما أَلْزَموهم به وإِنْ كانَ فيه إسخاطٌ لله تَعَالىٰ.

فلمَّا رأيتُ ذَلِكَ فيهم قَدْ شاعَ، وأنَّهم تَفرَّقوا شِيَعًا وأحزابًا، كلُّ حزبٍ بما لَدَيهم فَرِحُونَ، ومعَ جَماعةِ حِزْبِهم مُتَعاطفونَ، قَدْ جَعَلوا ذَلِكَ الحزبَ هو الرَّابطة الَّتي بها يَتناصَرونَ، وعَلَيها يَجْتمعونَ، ومِنْ أَجْلها يَتحابُّون ويَتوادُّون.

يَنْشرون ما جاءَ من قَادتِهم، وإِنْ كانَ يحوي الباطلَ، ويَزْدرون ما جاءَ من غير مَتْبوعِيهم، وإِنْ كان يحمل الحقَّ، مَن وَجَّهَ إِلَىٰ أحدٍ من مَتْبُوعيهم نقدًا عَادَوْه، وإِنْ كانَ النَّقْدُ في البِدَعِ والشِّرْكياتِ زَهَدوا في كتابِهِ - وإِنْ دلَّهم عَلَىٰ مواضع النَّقْد في الكُتُبِ الَّتي حَوَتْه والصَّفحات - وعَادَوْا حتَّىٰ مَنْ وَزَّعه ونَشَره وإِنْ كان مِمَّنْ له عَلَيهم مِنَّةٌ وفضلٌ، واتَّهموه بالغباءِ والجهلِ، وإِنْ كان مثل إِيَاس ذكاءً ونُبْلًا[1].

---

(١) **إياس بن معاوية**: قاضي البصرة؛ كان يُضرب به المثل في الذكاء، والدهاء، والسؤدد، والعقل؛ توفي سنة إحدىٰ وعشرين ومئة كهلًا. **انظر**: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٥٥).

فلمّا رأيتُ الأمّة فيهم قد فشا، والباطلَ قد راجَ عِندهم ومشى، أحببتُ أن أكتبَ لهم مذكرةً لعلَّ الله به ينفع، ولو لم أحصل إلّا علىٰ براءةِ الذمّة لم أيأس ولم أجزع.

والله أسألُ أن يجعلَ عَمَلي لوَجهه خالصًا، ولنَهج رَسُولِهِ ﷺ مُوافقًا.

وقد رأيتُ أن أجعله في ثلاثة عشر بابًا وخاتمة:

الباب الأوّل: في الحِكمة الَّتي خَلَقَ اللهُ النَّاسَ من أجْلها.

الباب الثَّاني: في بيانِ العِبادةِ الَّتي أوْجدَ الله الخَلْقَ من أجْلها.

الباب الثَّالث: أنَّ الرُّسُلَ هُمُ الأدِلَّاءُ علَىٰ الله تعالىٰ.

الباب الرَّابع: في ضمانة النَّجاة.

الباب الخامس: في بيانِ مَنْهج الرُّسُل في دَعْوتهم إلَىٰ الله.

الباب السَّادس: في بيان أنَّ الانحرافَ عن نَهْج الرُّسُلِ تركٌ للصِّراط المُسْتقيم الَّذي أمَرَ الله باتِّباعه.

الباب السَّابع: في بيان أنَّ الحِزْبيَّة لَيست من نَهْج الأنْبياءِ، بل هِيَ بدعةٌ.

الباب الثَّامن: في بيانِ مَساوئ الحِزْبيَّة.

الباب التَّاسع: في بيانِ ما انْتُقدَ علَىٰ الإخْوانِ المُسْلمين.

الباب العاشر: في بيانِ ما انْتُقدَ علَىٰ جماعةِ التَّبليغ.

الباب الحادي عشر: في بيانِ وُجُوبِ السَّيْر علَىٰ مَنْهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلَىٰ الله وغَيْرها.

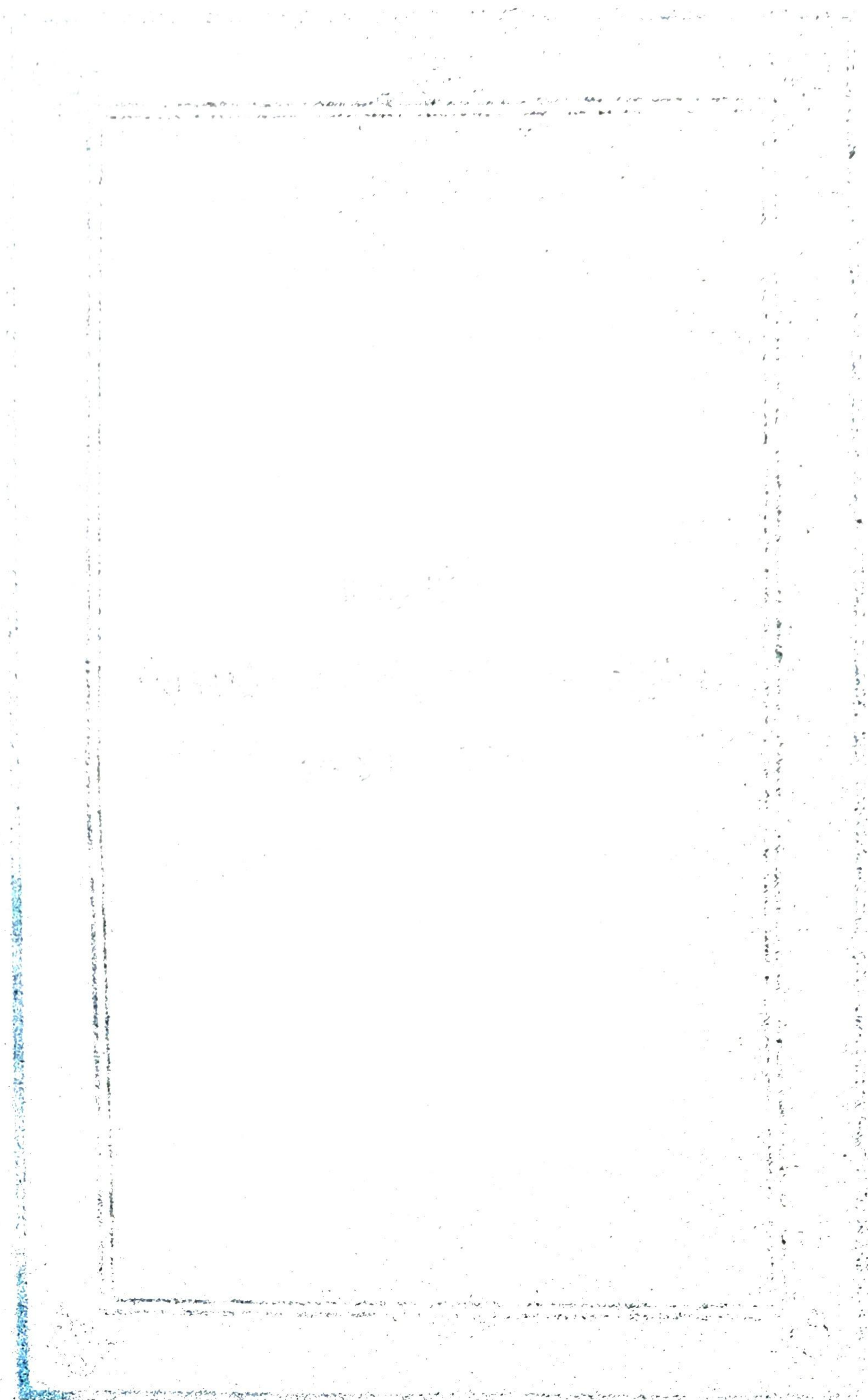
الباب الثَّاني عشر: في ذَمِّ البِدَعِ والمُبْتدعين.

الباب الثَّالث عشر: في بيان ثَوابِ مَنْ تَمسَّكَ بالسُّنَّة.

الخاتمة: وفيها يَتمُّ الكتابُ إن شاء الله تعالىٰ.

البابُ الأوَّل

في بيانِ الحِكمةِ في خلْقِ الجنِّ والإنسِ وخلْقِ الكونِ كلِّه



الباب الأوَّل
في بيان الحِكمة في خلْق الجنِّ والإنس وخلْق الكون كلِّه

سؤالٌ يَطْرح نَفْسَه علىٰ العُقُولِ، ويَطْلبُ الإجابةَ عليه دائمًا، فما هو هذا السُّؤالُ، وما هي الإجابةُ عليه.

السُّؤال هو: لماذا خَلَقَ اللهُ الإنسانَ؟ ما هي الحِكْمةُ من خَلْقه؟ وما هي الغايةُ الَّتي يَسْعى إليها، والنِّهاية الَّتي سَيَصل إِلَيْها؟

والجواب: هذا السُّؤالُ قَدْ ضَلَّتْ في الإجابة عليه العُقولُ، وتَحيَّرت فيه الفُهومُ، وتخبَّطتْ فيه مداركُ الفَلَاسفةِ والحُكَماءِ والعُلَماءِ والعَباقِرَة من ذَوِي الفَهْمِ الثَّاقبِ، والذَّكاءِ الخارقِ؛ فضلًا عن غَوْغاء النَّاس، لا يُسْتَثنىٰ من ذَلِكَ إلَّا العُقُولُ الَّتي اسْتَنارتْ بِوَحْي الله، وَاهْتَدَتْ بهُدَاه، واتَّبعَتْ رُسُلَه، فهي الَّتي عَرفَتِ الإجابةَ عن هَذَا السُّؤال بالتَّلقِّي عن الله، وعن رُسُلِه.

ومن هنا نَعْلم عِلْمَ اليَقِين أنَّ العقلَ لَا يُمْكن أن يَنْفردَ بعِلْمِ العقيدةِ؛ لأنَّه علمٌ يَرْتبط بالغَيْبيَّاتِ، والغَيْبيَّاتُ إذا نَطَق فيها العقلُ بعيدًا عن الوَحْي، ضلَّ وَتَاهَ وارْتَبك وتَخبَّط تَخبُّطًا عجيبًا، وتَصوَّر تَصوُّرًا غريبًا[1].

---

(١) إنَّ مَنْ يقرأ في كتب الملل والنِّحل، يرىٰ أمورًا غريبةً، وتصوُّراتٍ عجيبةً تثير الاستغراب، ويستبعدُ الإنسان أن يصدِّقها العقلُ.

فيك لأنّ العقلَ ما هو إلّا أداةٌ لتصوُّر المعلومات الّتي تصل إليه من طريق الحواسّ، ومتىٰ تجاوزَ ما يحيطُ به في الأرض، وقع في متاهاتٍ كثيرةٍ، وانحدر إلى مزالقَ خطيرةٍ، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

نعم، بإمكانِ العقلِ أن يستدلَّ من خلالِ مشاهداتِهِ ومسموعاتِهِ أنّ ربَّه وخالقَه ورازقَه هو اللهُ الواحدُ الأحدُ الفردُ الصّمدُ الّذي لم يلِدْ ولم يولَدْ، ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ ذو القدرةِ العظيمةِ، والحكمةِ البالغةِ، والعِلمِ الشّاملِ، والألطافِ الخفيّةِ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٦، ٢٧].

وإذا علمتَ أنّ العقلَ عاجزٌ عن الاستقلالِ بمعرفةِ الحِكمةِ الّتي من أجلِها خُلِقَ الإنسانُ، فعليكَ أن تتعرّفَ علىٰ الحِكمةِ الّتي من أجلِها خُلِقَ الإنسانُ من كتابِ اللهِ، الّذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خلفِه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

فقد بيّنَ اللهُ تعالىٰ في القرآنِ الكريمِ الّذي قال عنه منزّله جلّ وعلا: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] بيّنَ حِكمًا وأحكامًا هي أقلُّ شأنًا من هذا الأمرِ العظيمِ، كيف لا وهو أهمُّ المهمّاتِ، وأعظمُ الواجباتِ، إذًا فالحِكمةُ الّتي خلقَ اللهُ الإنسانَ من أجلِها هي العبادةُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في هذهِ الآيةِ أنّه خلقَ الجنَّ والإنسَ للعبادةِ، فالعبادةُ هي الحِكمةُ الّتي من أجلِها خُلِقوا، ومن أجلِها خلقَ اللهُ السّمواتِ والأرضَ، والدّنيا والآخرةَ، والجنّةَ والنّارَ، ومن أجلِها أرسلَ اللهُ

الرُّسلَ، وأنزلَ الكتُبَ، وسنَّ الأحكامَ، وبيَّنَ الحلالَ والحرامَ؛ ليَبلُوكم أيُّكم أحسنُ عملًا، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]، وذَلِكَ أنَّ الله خَلَقَ عِبادَه، وأخرَجهم لِهذِه الدَّارِ، وأخبرَهم أنَّهم سَيُنقَلونَ إلَى دارٍ أُخرىٰ، وأمَرهم ونَهاهُم وابتَلاهم بالشَّهواتِ المُعارِضةِ لأمرِه ونَهيِه، فمَنِ انقادَ لأمرِ الله أحسنَ الله له الجزاءَ في الدَّارِ الآخرةِ، ومَنْ مالَ معَ شَهواتِ النَّفسِ، ونبَذَ أمرَ الله، وارتَكبَ نهيَه؛ فلهُ شرُّ الجزاءِ[1].

فالعبادُ جميعًا خُلِقوا للعبادةِ، ولكن لمَّا كانَ مِنهم مَنْ خُلِقَ للعبادةِ من دُونِ ابتلاءٍ بمُضادٍّ؛ كالملائكةِ، فبهذا القِسْمُ صارَتِ العبادةُ سَجيَّةً لهم، لا يُريدُونَ غيرَها، قالَ تعالىٰ عنهم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨].

ومِنهم مَنْ خُلِقَ للعبادةِ مَعَ ابتِلاءٍ بمُضادٍّ؛ كالجنِّ والإنسِ، الَّذين جُبِلوا علَىٰ خلائقَ وسَجايا تنأىٰ بهم - غالبًا - عن الطَّاعةِ، وتُوقِعهم في المَعاصي ابتلاءً من الله لَهُمْ، وذَلِكَ كالابتلاءِ بالشَّهواتِ (شهوة المطعم والمشرب والمنكح والقهر والتَّغلُّب والاستعلاء)، إلىٰ غير ذلك.

وكَما ابتَلاهُم بقُرَناءِ السُّوءِ، وبالشُّبَهِ الَّتي تُلقِي في قُلُوبهم الشُّكوكَ؛ لأنَّ إيمانَهم بالغَيْبِ، وفَوْقَ ذَلِكَ الابتلاء بالشَّيطانِ الرَّجيم، ذَلِكَ العدوُّ اللَّدودُ المُتربِّصُ الَّذي ما زالَ منذ أنْ أخرجَ أبانا آدمَ من الجنَّةِ حريصًا علَىٰ إغواءِ بَنِيه،

---

(١) «تفسير السَّعدي» (٧/ ٤٢٩) بتصرُّف.

وإيقاعِهم في الكفرِ والشِّرْكِ والفُسُوقِ والعِصْيانِ.

لذَلِكَ كانَت العبادةُ في حَقِّهِم ابتلاءً واختبارًا للدَّواعي المضادَّة لها، فمَنِ استَجابَ لِتِلْكَ الدَّواعي والنَّوازع، وأطاعَ الشَّيْطانَ، كانَ من الغاوِين الَّذين يَستحقُّون دُخُولَ النَّارِ، كما قالَ تَعالَىٰ: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥].

وأمَّا مَنْ قدَّم طاعةَ الله، وحرصَ عَلَىٰ رِضاه، واتَّبع رُسُلَه، والْتمسَ حلَّ الشُّبُهاتِ من شَرْعِهِ، واستعملَ الشَّهوةَ فيما أباحَ اللهُ، فذَلِكَ هو المؤمنُ حقًّا، المَوْعودُ بالدَّرجاتِ العُلَىٰ في جنَّةِ الفِرْدوس.

وأمَّا الغايةُ الَّتي يَسْعىٰ لها، فهي تختلفُ باخْتِلافِ النَّاسِ وثقافاتِهم وعقائِدِهم، فمِنْهم مَنْ عرفَ ربَّه، وعرفَ حقَّه عليه، وآمنَ بلقائِه، وعَلِمَ قَدْرَ الدُّنيا، وأنَّها ما هي إلَّا معبرٌ ومنفذٌ، ومَطيَّةٌ إِلَىٰ الآخرة، فأَخَذ منها ما يُصْلِحُه، وتَزَوَّدَ منها ما يُوصِله إِلَىٰ رضا ربِّه وجنَّتِه، وتلك هي الغايةُ الَّتي يَسْعىٰ لها.

ومِنْهم مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ ولم يَعْرف ربَّه، ولم يُؤدِّ حقَّه، ولم يُؤمِنْ بلقائِه؛ بل ظنَّ أنَّ الدُّنيا وحَياتَها ولذَّاتها هي الغايةُ، فسَعَىٰ لها، ورَضِيَ بها، واطمأنَّ إليها، وشَمَّر في جَمْعها، وأفْنىٰ عُمُرَه في لذَّاتها، وتِلْك هي غايتُهُ الَّتي يَسْعىٰ إليها.

ولقَدْ تَحدَّثَ القرآنُ الكريمُ عن القِسْمين، وبَيَّن حالَ كلٍّ من الفَرِيقَين، فقالَ تَعالَىٰ وهو أَصْدقُ القائِلين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ

ﵟٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ﵞ [يونس: ٧ - ١٠].

قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن بن سَعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفْسير هَذِهِ الآياتِ: «ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَاﵞ: أي: لا يَطْمعونَ بلِقَاءِ الله الَّذي هو أكبرُ ما طَمع فِيهِ الطَّامِعُونَ، وأعْلىٰ ما أمَّله المُؤمِّلون؛ بل أعْرَضوا عن ذَلِكَ، وربَّما كذَّبوا به ﵟوَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاﵞ بدلًا عن الآخِرَةِ، ﵟوَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَاﵞ أي: رَكَنوا إِلَيْها، وجَعَلُوها غايةَ أَمْرِهم، ونِهَايةَ قَصْدهم، فَسَعَوْا لها، وانْكبُّوا عَلَىٰ شَهَواتها بأيِّ طُرقٍ حُصِّلتْ حَصَّلوها، ومن أيِّ وجهٍ لَاحَتْ ابْتَدروها، قَدْ صَرَفوا إِرَاداتِهم ونِيَّاتِهم وأَفْكارَهم وأَعْمالَهم إليها.

فكأنَّهم خُلِقوا للبقاءِ فِيهَا، وكأنَّها لَيْسَتْ بدار مَمَرٍّ يَتزوَّد فيها المُسَافِرُونَ إِلَىٰ الدَّار البَاقِيَة الَّتي إِلَيْها يَرْحل الأَوَّلونَ والآخرونَ، وإِلَىٰ نَعِيمِها ولَذَّاتها شَمَّر المُوفَّقون ﵟوَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ﵞ فَلَا يَنْتفعونَ بالآياتِ القُرْآنيَّةِ، ولا بالآياتِ الآفاقيَّةِ والنَّفسيَّةِ.

والإعراضُ عن الدَّليلِ مُسْتلزمٌ للإعراضِ والغَفْلة عن المَدْلولِ المَقْصودِ، ﵟأُوْلَٰٓئِكَﵞ الَّذين هَذَا وَصْفُهم ﵟمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُﵞ أي: مَقرُّهم ومَسْكنهم الَّتي لا يَرْحلون عَنْها، ﵟبِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَﵞ من الكُفْرِ والشِّرْكِ والمَعَاصي.

فلمَّا ذَكَر عِقَابَهم، ذَكَر ثوابَ المُطِيعِينَ، فقال: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِﵞ أي: جَمَعوا بَيْن الإيمانِ والقِيَامِ بمُوجبِهِ ومُقْتضاه من الأَعْمالِ الصَّالحةِ المُشْتملةِ عَلَىٰ أَعْمال القُلُوبِ وأَعْمال الجَوَارح عَلَىٰ وَجْه الإخْلاصِ والمُتابَعة، ﵟيَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡﵞ بسَببِ مَا مَعَهم من الإيمانِ يُثِيبُهم اللهُ أَعْظَمَ الثَّوابِ، وهُوَ الهدايةُ، فيُعلِّمهم ما يَنْفعُهم، ويَمُنُّ عَلَيهم بالأَعْمالِ النَّاشئةِ عَنِ

الهِدَايةِ، ويَهْدِيهم للنَّظر في آياتِهِ، ويَهْدِيهم في هَذِهِ الدَّار إِلَىٰ الصِّراطِ المُسْتقيمِ، وفي دارِ الجزاءِ إِلَىٰ الصِّراطِ المُوصِل إِلَىٰ جنَّاتِ النَّعيمِ، ولهَذَا قالَ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الجاريةُ علَىٰ الدَّوامِ، ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافها اللهُ إِلَىٰ النَّعيم لاشْتِمالها علَىٰ النَّعيمِ التَّامِّ، نعيم القَلْب بالفَرَح والسُّرور، والبَهْجة والحُبُور، ورُؤية الرَّحمن، وسماع كلامِهِ، والاغْتِباط بِرِضَاه وقُرْبه، ولقاء الأحبَّة والإخْوانِ، والتَّمتُّع بالاجْتِماع بهم، وسَمَاع الأصواتِ المُطْرباتِ، والنَّغماتِ المُشْجياتِ، والنَّظراتِ المُفْرحاتِ، ونَعِيم البَدَن بأنْواعِ المَآكِلِ والمَشَارِبِ والمَناكِح، ونَحْو ذَلِكَ ممَّا لا تَعْلمه النُّفُوسُ، ولا خَطَر ببالِ أحدٍ، أو قُدِّر أن يَصِفَه الوَاصِفُونَ.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: عبادتهم فِيهَا لله، أوَّلها: تَسْبيحٌ وتنزيهٌ له عن النَّقائصِ، وآخرها: تَحْميدٌ لله[1]، فالتَّكاليفُ سَقَطتْ عَنْهم في دارِ الجزاءِ، وإنَّما بَقِيَ لهم أكملُ اللَّذَّاتِ الَّذي هو ألذُّ عَلَيهم من المآكِلِ اللَّذيذةِ، ألَا وهو ذِكْرُ الله الَّذي تَطمئنُّ به القُلُوبُ، وتَفْرحُ به الأرواحُ، وهُوَ لهم بمَنْزلةِ النَّفَسِ من دون كُلفةٍ ومَشقَّةٍ، أمَّا تَحيَّتهم فيها فيما بَيْنهم عند التَّلاقِي والتَّزاورِ فهُوَ السَّلامُ، كلامٌ سالمٌ من اللَّغْوِ والإثمِ، ومَوْصوفٌ بأنَّه سلامٌ، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ إذا فَرَغوا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾». اهـ[2].

وقَدْ تَبيَّن من هَذَا أنَّ المقاصدَ الَّتي يَسْعىٰ لها العبادُ مختلفةٌ بحَسَب ما في

---

(١) أخرج مسلم (٥٠٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ؛ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

(٢) «تفسير السَّعدي» (ص ٣٥٨، ٣٥٩).

قُلوبِهم من العِلْمِ والجَهْلِ والإيمانِ والكُفْرِ والتَّصديقِ والتَّكذيبِ، فالمُؤمنُ الخَالصُ يَسْعىٰ للآخرة فقط، فهو وإنْ بَاشَر الدُّنيا ببدنِهِ، وحَرَص عليها بقلبِهِ، فإنَّه لا يُريدُها إلَّا للآخرة؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

والكافرُ الخالصُ يَسْعىٰ للدُّنيا فقطْ؛ لأنَّه لا يؤمنُ إلَّا بها، ولا يَرْكن إلَّا إلَيها، قالَ تَعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨]، والمسلمُ العَاصِي بَيْن ذَلِكَ، وهُوَ لما غَلَب عليه.

وأمَّا النِّهايةُ الَّتي سَيَصِل إلَيها؛ فهي الدَّارُ الآخرةُ، إمَّا في الجنَّةِ أبدًا، وإمَّا في النَّارِ أبدًا، قَالَ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٢].



الباب الثَّاني

في بيان العبادة الَّتي أوجد اللَّه الجنَّ والإنس مِن أجلِها

الباب الثاني
في بيان العبادة التي أوجد الله الجنَّ والإنس مِن أجلِها

أمَّا العبادةُ الَّتي مِن أَجْلِها خلَقَ اللهُ العبادَ، فَقَدْ بَيَّنها اللهُ عَزَّوَجَلَّ في القُرآنِ الكريم، وبيَّنها رَسُولُ الله ﷺ أحسنَ بيانٍ.

وَهِيَ مجموعةُ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ الَّتي كلَّف اللهُ بها عبادَه؛ سواء كانَ ذَلِكَ فيما يجبُ له عَلَيهم، أو فيما يجبُ لبَعْضِهم عَلَىٰ بعضٍ، أو فيما يجبُ عَلَيهم أن يَفْعلوه في أَنْفُسِهم؛ كإعفاءِ اللِّحيةِ، وقصِّ الشَّاربِ، وتَحْريم الإسْبالِ، وتَحْريم أَكْلِ الرِّبا وأَكْلِ الميتة، وتَحْريم شُرْبِ الخَمْر، وما أشبهَ ذَلِكَ.

وَقَدْ عَرَّف بعضُ أَهْلِ العِلْم العبادةَ، فقال: العبادةُ اسمٌ جامعٌ لِكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويَرْضاه مِن الأَقْوالِ والأَفْعالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ.

وقال بَعْضُهم: العبادةُ: عبارةٌ عن تَوْحيدِهِ، والْتِزامِ شَرَائِع دينِه.

وقال بَعْضُهم: هي الطَّاعةُ. والتَّعبُّد: التَّنسُّك. وأصلُ العبادة: الخُضُوعُ والتَّذلُّلُ مع محبَّةٍ وتَعْظيمٍ، ولا تكونُ العبادةُ عبادةً حتَّىٰ تكونَ خالصةً لله، فإِنْ شَابَها شيءٌ من الشِّركِ، كَانَتْ مردودةً عَلَىٰ صَاحِبِها، وباطلةً من أَصْلها؛ لأنَّها حينئذٍ لا تُسمَّىٰ عبادةً شَرعيَّةً.

وبهَذا تعلم أنَّ العبادةَ لا تُسمَّىٰ عبادةً شرعيَّةً إلَّا مَعَ التَّوْحيدِ، وفي الحديثِ

القُدسيِّ يقولُ اللهُ تعالى: «أنا أغنى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عملًا أشركَ معي فيهِ غيري تركتُهُ وشِركَهُ»[(١)].

ثمَّ اعلَمْ أنَّ من العبادةِ ما جاءَ مُجملًا في القرآنِ وبيَّنته السُّنَّةُ؛ كالصَّلاةِ والزَّكاةِ، فالسُّنَّةُ بيَّنتْ أوقاتَ الصَّلاة، وعَدَدَها، ورُكوعَها، وسُجودَها، وذِكر كلٍّ مِن القِيامِ والقُعودِ والرُّكوعِ والسُّجود والاعتدال والتَّحريم والتَّحليل والفَرْض والنَّفل، والزَّكاةُ قد بيَّنت السُّنَّةُ أنصباءَها ومَقاديرَها وأجناسَ ما تجبُ فيه، ومَتى يجبُ، وكيفَ يجبُ.

ومِنها ما بيَّنه القرآنُ أعظمَ بيانٍ؛ كالتَّوحيدِ، فقَدْ بيَّن القرآنُ قضيَّة التَّوحيدِ أعظمَ بيانٍ، فالأدلَّة علىٰ إثباتِ أُلوهيَّة الله، وكَمال قُدرتِهِ وذِكر أسمائِهِ الحُسنىٰ وصفاتِهِ العُليا المُقتضية لتفرُّده بالكمالِ دُون سِواه، وضَعْف الآلهة المَعْبودَة وعَجزها إلىٰ غَير ذَلِكَ، كلُّها أدلَّةٌ علىٰ التَّوحيدِ.

ومن أنواعِ العِبادةِ ما بيَّنتْهُ السُّنَّةُ، ولم يُذكَر في القرآن؛ كقولِهِ ﷺ: «ألا لا يَحِلُّ ذُو نابٍ مِنَ السِّباعِ، ولا الحِمارُ الأهليُّ، ولا اللُّقَطةُ مِنْ مالِ مُعاهِدٍ إلَّا أنْ يَستغنِيَ عنها ربُّها، وأيُّما رَجُلٍ ضافَ قومًا فلَمْ يَقْرُوهُ، فإنَّ لهُ أنْ يُعقِبَهُمْ بمِثْلِ قِراهُ[(٢)]»[(٣)].

وبالجُملةِ، فإنَّ أنواعَ العِبادةِ مِنها ما بيَّنهُ القرآنُ، ومِنها ما ذَكَره القرآنُ مجملًا وبيَّنتْهُ السُّنَّةُ، ومِنها ما بيَّنته السُّنَّةُ، فلا يجوزُ أن نأخذَ العِبادةَ من القُرآنِ وَحْده،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قوله: «فإنَّ لهُ أن يُعقِبَهُم بمِثْلِ قِراهُ» أي فله أن يأخذ منهم عوضًا، كما حرَمُوه من القرىٰ. انظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٨/ ٣١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٠٤) من حديث المقدام رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «السّلسلة الصَّحيحة» (٢٨٧٠).

ولا من السُّنَّةِ وَحْدها.

فمَنْ أَخَذَ بالقرآنِ وَحْده دون السُّنَّةِ كالخَوَارج ضلَّ، ومَنْ أَخذ بالقرآنِ ومُتواتر السُّنَّةِ، وتَرَكَ آحادَها، أو حَكَّم العقلَ فيها - كالمعتزلةِ - ضلَّ، ومَذْهب أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: الأَخْذُ بكتابِ الله، وبصَحِيح سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ؛ سواء كَانَتْ مُتَواترةً أو آحادًا.

لمَّا كَانَتِ العبادةُ هِيَ مَجْموعةُ الأَوامِرِ والنَّواهي من وَاجِباتٍ ومَنْدوباتٍ ومُحرَّماتٍ ومَكْروهاتٍ ومُبَاحاتٍ، كَانَتْ لا بدَّ أن تكونَ مُرْتبطةً بالاسْتِطاعَةِ، وبالأخصِّ فِعْلِ الأَوَامر، فاللهُ تَعَالىٰ يَقُول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ويَقُول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والنَّبيُّ ﷺ يَقُول لعمران بن حصينٍ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ»(١).

أَمَّا التُّروكُ وهِيَ المَنْهيَّاتُ، فلِكَوْنِ التَّرْكِ لا يشقُّ، لذَلِكَ فإنَّه يجبُ علَىٰ المُسْلمِ أَنْ يَجْتنبَها جميعًا، كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَائْتُوا مِنْه مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»(٢).



(١) أخرجه البخاري (١١١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

البابُ الثَّالثُ

أنَّ الرُّسل هم الأدلَّاء على اللَّه عَزَّوَجَلَّ

الباب الثالث
أنَّ الرُّسل هم الأدلَّاء على الله عَزَّوَجَلَّ

خَلَقَ اللهُ آدمَ في الجنَّةِ من قَبْضةٍ قَبَضها من الأرض، وخَلَق منه زَوْجَه حواء، وأباحَ له الأَكْلَ من جَمِيع أشجارِ الجنَّةِ إلَّا شجرةً واحدةً نَهاه عَنْها، وحذَّره من أَكْلها، ولكن لم يَكُن عدوُّه إبليس لِيَتْركه، وقَدْ لُعِن وطُرِد من الجنَّةِ بسببِهِ(١)، فَدلَّاه بغرورٍ، وأَقْسَم له إنَّه له لمِنَ النَّاصحين، وزَعَم أنَّ مَنْ أكلَ من الشَّجرةِ الَّتي نَهَاه عنها ربُّه، يُخلَّد فلا يَمُوت، ويكون مَلَكًا، فانْسَاقَ بالطَّمع في الخُلْد، وأَكَلا من تلك الشَّجرةِ هُو وزوجتُه، فبَدَتْ لهما سَوْآتهما، وعَلِما أنَّهما قَدْ عَصَيا ربَّهما، فندِمَا وتَابَا، فتابَ الله عَلَيهما، وأَهْبطهما إِلَىٰ الأرضِ؛ كَما قَدْ أهبطَ إِبْليسَ قَبْلهما ليتمَّ الابتلاءُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْض بعد أَنْ أَرَاهما عداوةَ إِبْليس وحِرْصه عَلَىٰ إِهْلاكهما حِينَ قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٦ - ٣٨].

---

(١) أي بسببِ ترك السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفْسير آياتِ (البَقَرة): «يَقُولُ تَعَالىٰ مخبرًا عمَّا أنذرَ به آدمَ وزَوْجتَه وإبْليس حِينَ أَهْبَطهم من الجنَّة - والمراد: الذُّرِّيَّة - أنَّه سيُنْزل الكُتُب، ويَبْعثُ الأنبياءَ والرُّسُلَ، كما قَالَ أبو العالية: الهُدَىٰ: الأنبياءُ والرُّسُلُ. والبيِّناتُ: البيانُ.

وقال مُقَاتِلٌ: الهُدَىٰ: مُحمَّد ﷺ.

وقال الحسنُ: الهُدَىٰ: القرآنُ. وهَذَان قَوْلان صَحِيحانِ، وقولُ أبي العالية أعمُّ.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: أقبلَ عَلَىٰ ما أَنْزلتُ به الكُتُبَ، وأَرْسلتُ بِهِ الرُّسُلَ، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَسْتقبلونه من أَمْر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَىٰ ما فَاتَهم من أُمُور الدُّنيا، كما قَالَ في سورة (طه): ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]، قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: «فَلَا يضلُّ في الدُّنيا، ولا يَشْقىٰ في الآخِرة».

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، كما قَالَ هَاهُنا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٩] أي: مُخلَّدون فِيهَا، لا مَحِيدَ لَهم عَنْها، ولا مَحِيصَ». اهـ[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٤٠).

فإنْ قِيلَ: كَيْف جاءَ الخطابُ في سورة (البقرة): ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾، وفي سورة (طه) بضَمِير التَّثْنيةِ: ﴿ٱهْبِطَا﴾؟

فالجوابُ: الخطابُ في سورة (البقرة) لآدمَ وحَوَّاء وإبليس، وفي سورة (طه) لآدمَ وإبليسَ فَقَط.

وقالَ في «صفوة الآثار والمفاهيم» مُعلِّقًا عَلَىٰ هَذِهِ الآياتِ في سورة (البقرة): ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]:

«وأَعْظَمُ الاعْتِباراتِ في هَذِهِ الدُّور هو أنَّ الإنسانَ سَيِّد هَذِهِ الأرضِ، ومن أجلِهِ خَلَق اللهُ كلَّ شيءٍ فيها، وهو إذَا أَحْسنَ التَّصرُّفَ في الخِلَافةِ الإلهيَّةِ باتِّباعِهِ وَحْيَ الله، فهو أعزُّ وأكبرُ وأَغْلىٰ عند الله من جَمِيع الدُّنيا وما فِيهَا، وقِيمتُهُ عند الله أَعْظَمُ، فَلَا يجوزُ له أن يَسْتعبدَ نَفْسَه ويستذلَّها لغايةٍ مادِّيَّةٍ، أو رغبةٍ في شَهْوةٍ حَيَوانيةٍ يَخُونُ بها عَهْدَ الله أوَّلًا، وينزل بها إلَىٰ غايةِ السُّقُوط وهو لا يَشْعر لما رَانَ عَلَىٰ قلبِهِ من ظُلماتِ المادَّة والشَّهوةِ والهَوَىٰ، فدَوْرُهُ في هَذِهِ الأرضِ دَوْرُ القِيَادةِ والتَّوْجِيهِ الَّتي يَسْتلهم أَنْظمتَها من السَّماءِ، لَا مَصْدر آخر في الأرضِ، كَما قَالَ تَعالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]»[1].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

فأَخْبر في هَاتَين الآيتينِ أنَّه سيُرْسل رُسُلًا من بَنِي آدمَ، وأنَّ مَنْ آمنَ بهَؤُلاءِ

(١) «صفوة الآثار والمفاهيم» للشَّيخ عبد الرحمن الدوسري (٢/ ٩٥).

الرُّسُل نجا من العذابِ، ومَنْ كذَّبهم واسْتكبر عن قَبول ما جاؤوا به فسيُعذِّبُه الله في نارِ جهنَّم، يبقى فيها خالدًا مُخلَّدًا.

وفي كتابِ الإمارة مِن «صحيح مسلم» عن زَيْد بن وهبٍ، عن عبد الرَّحمن بن عبد ربِّ الكعبة، قال: دخلتُ المسجدَ، فإذا عبد الله بن عمرٍو جالسٌ في ظلِّ الكعْبة، والنَّاسُ مُجتمعونَ عليه، فجلستُ إِليه، فقالَ: كنَّا مع رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فنزلْنا منزلًا، فمِنَّا مَنْ يُصْلِح خِباءَه، ومنَّا مَنْ يَنْتَضل[1]، ومِنَّا مَنْ هو في جَشَرِه[2]، إذْ نَادى مُنادي رَسُول الله ﷺ: الصَّلاةَ جامِعةً[3]، فاجْتمعنا إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فيُرقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ.. هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ... »، الحديث[4].

والشَّاهدُ منه قوله: «إِنَّه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ

---

(١) «ينتضل» من المناضلة، وهي المراماة بالنُّشَّاب.

(٢) قوله: «في جَشَرِه»: الجشر: الدَّوابُ الَّتي ترعىٰ، وتبيت مكانها، والمعنىٰ: يُطعمها ويسقيها، ويُصلح من شأنها.

(٣) بنصب «الصَّلاة» علىٰ الإغراء، ونصب «جامعة» علىٰ الحال.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

خَيْرَ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

وفي كِتَابِ (الاعْتِصَام) من «صحيح البخاريِّ»: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ». قالوا: ومَنْ يَأْبَىٰ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(١).

وفي «مستدرك الحاكم» من حَدِيثِ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفوعًا: «لَتَدْخُلُنَّ الجنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ وَشَرَدَ عَلَىٰ اللهِ كَشِرَادِ البَعِير»(٢).

وفِيهِ أيضًا من حديث أبي أُمَامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنَحْوه بلَفْظ: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الجَنَّة إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَلَىٰ الله شِرَادَ البَعِير عَلَىٰ أَهْلِهِ»(٣)، وسَكَت عنه الحاكمُ والذَّهبيُّ، إلَّا أنَّ الحاكمَ اعْتَبره شاهدًا للحَدِيثِ قَبْله.

ولمَّا كَانَتِ العُقُولُ قاصرةً عن مَعْرفةِ مَصَالِحها الدُّنيويَّةِ والأُخْرويَّةِ، الحاضرة مِنها والمُسْتقبلة، وإِنْ عرفت شيئًا من الأُمُورِ الحَاضِرة، فَهِيَ لا تَعْرف عَاقِبتَه، ومَعْرفة ذَلِكَ إِلَىٰ الله وَحْده، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

والمهمُّ أنَّ العُقُولَ وإِنْ زَعَمتْ أنَّها تَعْرف شيئًا من مَصَالِحِها الدُّنيويَّةِ فهِيَ لا تَعْلم عَاقِبتَه، أمَّا المصالحُ الأُخْرويَّة والمُتوقَّعة في الدُّنيا فهِيَ لا تعلم عَنْها شيئًا(٤)، لذَلِكَ فإنَّ اللهَ من رحمتِهِ بعبادِهِ أرسل رُسُلًا يُرْشِدونهم إِلَىٰ المَصَالِح

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٢) (١٨٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحِسانِ» (١٧).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٣) (١٨٤)، وصَحَّحه بشواهده الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٠٤٣).

(٤) وهذا أصلٌ أقرَّه الله - سبحانه - في كتابه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

الحَاضِرة والمُسْتقبلةِ في الدُّنيا، وفي البَرْزخ، وفي الآخِرة، ويُنْذرونَهم مِنَ العَواقِبِ الوَخِيمةِ، والمَضارِّ الحَاضِرة والمُسْتقبلةِ في الدُّنيا والبَرْزخ وفي الآخرة، فمَنْ أطاعَ الرُّسُلَ - صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم - أحرزَ مصالحَ الدُّنيا والآخرة، ودَفَع عن نفسِهِ مضارَّ الدُّنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر].



البابُ الرَّابع
في ضَمانةِ النَّجاةِ

الباب الرابع
في ضمانة النَّجاة

أمَّا السَّبَبُ الأعظمُ والضَّمانُ الأقوى للنَّجاة من عذابِ الله والفوز بجنَّتِه، فهو طاعةُ الله ورَسُولِهِ ﷺ، والاستجابةُ لأمرهما؛ فعلًا وكفًّا، وتَصْديقُ خبرِهما، والإيمانُ بوَعْدِهما ووَعِيدِهما، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وقَالَ تعالى بعدَ أن بيَّن المواريثَ في آيتين، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وقَالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

والآياتُ الآمرةُ بطَاعَةِ الله وطَاعَةِ رُسُلِهِ، والمُبيِّنة لثوابِ المُطِيعِينَ لله ولرُسُلِهِ، وعِقَابِ العاصين لله ولرُسُلِهِ أكثرُ من أن تُحصَر، وأشهرُ من أن تُذكَر.

وبالجملة، فما فازَ مَنْ فازَ، ونَجا مَنْ نَجا، ونَالَ الدَّرجاتِ العُلَى إلَّا بطاعةِ الله وطَاعةِ رُسُلِهِ، وما هَلَك مَنْ هلَك، وعُذِّب مَنْ عُذِّب إلَّا بتكْذيبِ الرُّسُلِ وعِصْيانِهم، والتَّمرُّد عَلَيهم، قَالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ

بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: ٥٨ - ٦٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٦ - ٦٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: ٩٦ - ١٠٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ في سورة (العَنْكبوت) بَعْد أن قصَّ عَزَّوَجَلَّ عن نوحٍ وإبْراهيم ولوطٍ وشعيبٍ، قال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

فما قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ نبأَ هذِه الأُمَم، وصَوَّر إِهْلاكَهم، وبَيَّن السَّببَ في ذَلِكَ، وأنَّه تكْذيبُهم لرُسُلِهم، وعِصْيانُهم لهم، وتَمرُّدهم عليهم إلَّا ليتَّعظَ بهم مَنْ بَعْدهم مِمَّنْ تَبْلغهم هَذِهِ الأخبارُ، ويَعْلمونَ أنَّ الخيرَ في طَاعةِ الله ورسولِه، وأنَّ الشَّرَّ كلَّه في مَعْصيةِ الله ورسولِه، وأنَّ الدَّرجاتِ العُلَىٰ في الجنَّةِ لا تُنال إلَّا بذلك، ففي «الصَّحيحين» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ أهْلَ الجنَّةِ لَيتَرَاءَونَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَما تَتَرَاءَوْن الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ مِن المَشْرقِ أَوْ المَغْربِ لِتَفَاضُل مَا بَيْنَهُمْ**»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، تِلْك مَنازِلُ الأَنْبياءِ لَا يَبْلُغُها غَيْرُهم؟ قَالَ: «**بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ، وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**»[1].

فهذِهِ هي ضَمانةُ النَّجاةِ، وهَذَا هو سَبِيلُ الفَوْزِ، وهَذَا هو طريقُ الفَلَاحِ؛ اتِّباعٌ لما جَاءَ في كِتَابِ الله، وفي سُنَّةِ رَسُولِهِ الثَّابتةِ عَنْه من غَيْر الْتِفاتٍ، وَلَا تَأَرْجُحٍ، ولا اسْتِحْسانٍ للبِدَعِ، ولا أَخْذٍ بما قالَ فُلانٌ أو فُلانٌ، قالَ تَعالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقَالَ أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ۝٣٢﴾ [فصِّلت: ٣٠ - ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

وفي الحديث الصحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الجنَّةَ إلّا مَنْ أَبىٰ»، قالوا: ومَنْ يَأبىٰ يا رَسُولَ الله؟ قال: «مَنْ أطَاعني دَخل الجنَّةَ، ومَنْ عصَاني فقَدْ أَبىٰ»[(١)].

فإيَّاكَ أن تكونَ مِمَّنْ قالَ اللهُ فِيهم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

فقَوْلُ النَّبيِّ وشَرْعُهُ ﷺ مُقدَّمٌ علىٰ رَأْي إمامِ المَذْهبِ، ورَئيسِ الحِزْبِ، وشَيْخِ الطَّرِيقَةِ، وغيرهم، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

وكانَ سَببُ نُزُولِ هَذِهِ الآياتِ أنَّه لمَّا جاءَ وَفْد تميم، قالَ أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَمِّر فُلانًا، وقال عُمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَمِّر فلانًا، فتَراجَعا عند رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ ارْتَفعَتْ أَصْواتُهما، فأنزلَ اللهُ آياتٍ من أوَّلِ سُورة (الحُجُراتِ) يُؤدِّب بها عِبادَه أن يَتقدَّموا بَيْن يَدَي رَسُولِه، أو يُقدِّموا غَيْره عليه[(٢)].



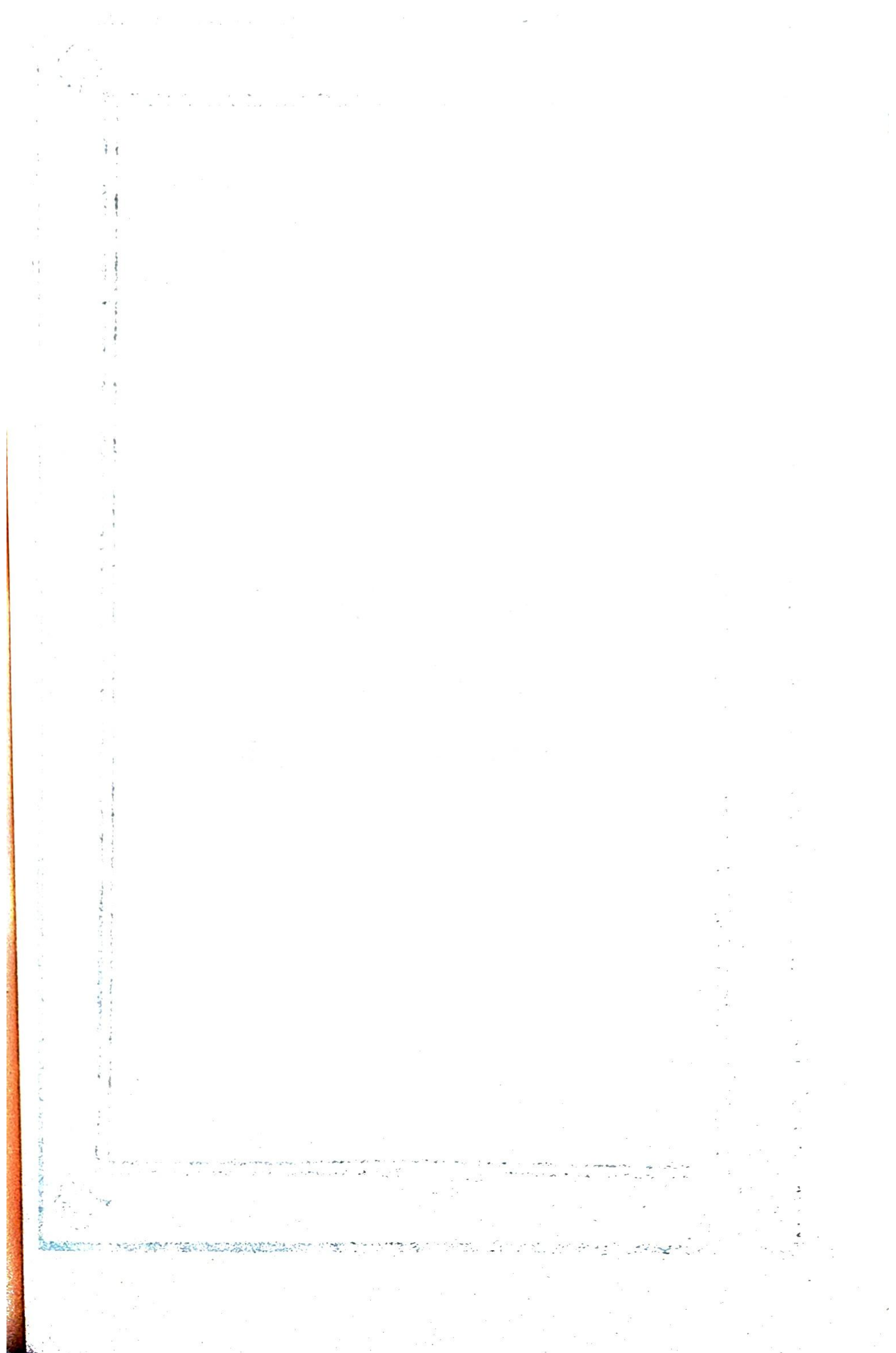
(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج البخاري (٤٨٤٧) عن ابن أبي مُلَيكَة، أنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ أخبرَهُمْ: «أنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَني تَمِيمٍ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَىٰ - أَوْ: إِلَّا - خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّىٰ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا»، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] حَتَّىٰ انْقَضَتْ الآيَةُ.

الباب الخامس

في بيان منهج الرُّسل

في دعوتِهم إلَى اللَّه عَزَّوَجَلَّ



الباب الخامس

في بيان منهج الرسل في دعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ

لقَدْ بَيَّنَ الله عَزَّوَجَلَّ مَنهجَ الرُّسُلِ في دَعواتِهم، بَيَّنَهُ في القُرْآنِ الكَرِيم أَحْسنَ بيانٍ وأَوْضَحه، فبيَّن أَنَّهم أَوَّل ما يَبْدؤُونَ به ثَلاثة أُمُورٍ، هِيَ أُسُس العَقِيدةِ، وَهِيَ:

الأَسَاسُ الأَوَّلُ: التَّوحيدُ: وهو إِعْطاءُ العُبُوديَّة لله الوَاحِد الأَحَد دون مَنْ سِوَاهُ من الآلهةِ المُصْطنعة الَّتي يَتَّخذها النَّاسُ، ويَصْرفُونَ لها الدَّينونة والعُبُوديَّة مُعْتقدِينَ أَنَّها تنفعُ وتضرُّ، وتمنعُ وتُعْطي، وتعزُّ وتذلُّ.

الأَساس الثَّاني: المعادُ: وهُوَ الإيمانُ باليَوْم الآخِر، وما يَحْتوي عليه من حِسَابٍ وجَزَاءٍ وجنَّةٍ ونارٍ، وأَنْواعِ نَعِيم الجنَّةِ، وأَنْواعِ عَذَابِ النَّار.

الأَساس الثَّالث: الإيمانُ بالرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، وأَنَّ الرُّسُلَ - صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم - هُمُ الأَدلَّاءُ عَلَىٰ الله، والمُرْشِدُونَ إِلَىٰ سبيلِهِ، لا ما خَلَّفه الآباءُ، ولا ما قرَّرته الأَعْرافُ، ودَانَتْ له المجتمعاتُ.

والأدلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلَ أَوَّل ما يَبْدؤون في دَعواتِهم بهذِهِ الأُمُور الثَّلاثة:

ما قَصَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَينا في السُّوَرِ المَكِّيَّةِ من الحوارِ الَّذي جرَىٰ بَيْن الرُّسُل وأُمَمِهم، وتَقْرير القرآنِ لهذِهِ الأُسُس، وَالاسْتِدْلال عَلَيها بأنواعٍ من الأدلَّةِ العقليَّةِ والكونيَّةِ، وغير ذَلِكَ.

فمِنَ الأدلَّةِ عَلَىٰ الأَسَاسِ الأَوَّلِ، ومُعَالجة القُرْآن له، وتَقْريره إِيَّاه، وإِنْكاره عَلَىٰ المُشْرِكِينَ اتِّخاذ الآلهةِ المُصْطنَعة الَّتي لا تَسْتطيعُ أَنْ تنفعَ أحدًا أو تضرَّه،

وَهِيَ كثيرةٌ، مِنها قولُهُ تَعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣].

وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٤، ٥٥].

وقال في سورة (الحجّ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

وقَالَ تَعالَىٰ في سورة (فاطر): ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤٢ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: ٤١ - ٤٣].

وكَما قرَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عجزَ الآلهةِ الَّتي يَدْعوها المُشْرِكُونَ، وَضَعْفَها، وعدمَ قُدْرتِها عَلَىٰ شيءٍ - وإنْ قلَّ - من نَفْعِ مَنْ يَدْعوهم، أو ضرّه، وأنَّهم لا يَمْلكونَ

شيئًا وإنْ قلَّ، حتَّىٰ القِطْمير والفَتِيل والنَّقير.

قرَّر أيضًا أنَّ الرُّسُلَ ما كُلِّفوا أن يَبْدؤوا بشيءٍ غير الدَّعوةِ إلَىٰ التَّوْحيدِ، ومُحارَبةِ الشِّرْكِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٢].

وقالَ عنْ هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٦٨]، إلَىٰ أَنْ قالَ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: ٧٠ - ٧٢].

وقالَ تَعالىٰ عن صَالحٍ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]، إلَىٰ أَنْ قالَ: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ

﴿يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٧ - ٧٩].

وكذلك قال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٥].

وكذلك قال عن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥]، إلى أن قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٩١ - ٩٣]، وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٦ - ٦٨].

وقال تعالى في سورة (الزُّمر): ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١١ - ١٨].

وقَالَ عَنْ عِيسَىٰ عليه السلام: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وقَالَ عَنْ هَارُونَ عليه السلام أنَّه قالَ لقومِهِ لمَّا عبدُوا العِجْلَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٩٠، ٩١].

وقَالَ عن مُوسَىٰ عليه السلام أنَّه قالَ للسَّامريِّ الَّذي أَخرج لهم العجلَ الَّذي عبَدوه: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٧، ٩٨].

وبالجملة؛ فما بَعثَ اللهُ نبيًّا ولا رَسُولًا إِلَّا كان التَّوحيدُ أوَّل ما يَأْمر بِهِ، ويَدْعو إِلَيه، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٧].

ولمَّا ذكر اللهُ الأنبياءَ في سورة (الأنعام) قَالَ بَعْد ذَلِكَ: ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

❁ وأمَّا الأدلَّةُ من السُّنَّةِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بدأ دعوته بالأمر بالتَّوحيد، والنهي عن الشِّرك بالله تعالى:

ففي كُتُبِ السُّنَّةِ والسِّيرةِ النَّبويَّةِ عشرات النُّصُوص الَّتي تدلُّ عَلَىٰ أنَّ النبي ﷺ بدأ أوَّل ما بَدَأ بمُحَاربةِ الأَوْثانِ، وكَسْرها، وهَدْمها، وبَيَان عَجْزها وضعفها عن نُصْرة مَنْ عَبدَها وأَلَّهها، وأنا ذاكرٌ مِنْها ما تَيسَّر في هَذِهِ العجالةِ ليُعْلم بها سوءُ صَنيع مَنْ بَنَىٰ دَعْوتَه عَلَىٰ غَيْر هَذَا الأساسِ، وغضّ الطَّرْف عَمَّنْ نَاقَضَه وهَدَمه مِمَّنْ تَصدَّوا للدَّعْوة في هَذَا الزَّمَانِ، زَاعِمينَ أنَّ ذَلِكَ لا يُخْرِجُهم من حَظِيرةِ الإِسْلامِ مَا دَامُوا يَشْهدُونَ أَنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، ناسين ما وَرَد في القرآنِ الكريم والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ من النُّصُوصِ الَّتي لا تُحصَىٰ، والتي تُنَادِي عَلَىٰ عَمَلِهم بالبَوَارِ، وعَلَىٰ صَنِيعِهم بالخَسَارِ، حَيْث هَدَموا من الإسلام الرُّكنَ الأعظَمَ، وضَلُّوا في دَعْوتِهم عن الطَّرِيقِ الأَقْومِ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الدَّليل الأوَّل: حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الَّذي رواه مسلمٌ في صحيحه، كتاب صلاة المُسَافِرين، عن أَبِي أُمَامة قال: قالَ عمرو بن عبسة السُّلمي: كنت وأنا في الجَاهليَّةِ أظنُّ أنَّ النَّاس عَلَىٰ ضلالةٍ، وأنَّهم لَيْسوا عَلَىٰ شيءٍ، وهم يَعْبدون الأوثانَ، فسمعتُ برجلٍ في مكَّةَ يخبر أخبارًا، فقعدتُ عَلَىٰ راحلتي، فقَدِمْتُ عَلَيه، فإذا رَسُولُ الله مُسْتَخفيًا، جُرَءاء عليه قومُهُ، فتلطَّفتُ حتَّىٰ

عليه بمكَّةَ، فقلتُ: ما أنتَ؟ قال: «أَنَا نَبِيٌّ».

فقلتُ: وما نَبِيٌّ؟ قال: «أَرْسَلَنِي اللهُ».

فقلتُ: بأَيِّ شيءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ».

قلتُ له: فمَنْ مَعَك عَلَىٰ هَذَا؟ قال: «حُرٌّ وعَبْدٌ»، قالَ: ومَعَه يومئذٍ أبو بكرٍ وبلالٌ مِمَّنْ آمنَ معه.

فقلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلا تَرَىٰ حَالِي وحَالَ النَّاس، ولَكِن ارْجع إِلَىٰ أَهْلك، فإِذَا سمعتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ، فَأْتِنِي... »، الحديث[1].

والشَّاهدُ في هَذَا الحَدِيثِ قولُهُ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَك بِهِ شَيءٌ».

فأيُّ دَعْوةٍ لا تقومُ عَلَىٰ هَذَا الأَساسِ، فهِيَ دَعوةٌ باطلةٌ، اتَّخذَتْ طريقًا غير طَرِيقِ الرُّسُلِ، وسبيلًا غير سَبِيلِهِمْ، واللهُ تعالىٰ يَقولُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبَصِيرةُ هِيَ العِلْمُ بدَعْوةِ الرُّسُلِ، والأُسُسِ الَّتي قَامَتْ عليها، والسَّيْر علىٰ نَهْجِها، كما فَعَلَ الشَّيخُ مُحمَّدُ بن عبد الوَهَّاب في دعوتِه، وكَما فعَلَ شَيْخُنا عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي في دعوتِهِ - رَحِمَهُما اللهُ تَعالىٰ -.

الدَّليل الثَّاني: الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي، وقَدْ ذَكَر قِصَّتَه ابْنُ إسحاق عن إبراهيم، عن عُثمان بن الحويرث، عن صَالِح بن كيسان أَنَّ الطُّفيلَ بن عمرو...

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

وهَذَا الإسنادُ منقطعٌ، ورَوَاه ابنُ عبد البرِّ في «الاستيعاب» مُخْتصرًا من طَرِيق الكلبيِّ، وَهُو ضعيفٌ، وذَكَر الذَّهبيُّ في تَرْجمة الطُّفيل بن عمرو أنَّ يحيىٰ بن سعيدٍ الأُمويَّ أَخْرَجه في «مغازيه» من طريق الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ أنَّ الطُّفيلَ... وهذا السَّندُ أيضًا ضعيفٌ؛ لضَعْف الكلبيِّ وشَيْخه أبي صالح باذان، ولبَعْض هذه القصَّة شواهدُ في «الصَّحيحين»، و«مُسْند الإمام أحمد»، وقد ذكَر هذِه الرِّوايةَ الإمامُ النَّقَّادُ الذَّهبيُّ في كتابِهِ «سير أعلام النُّبلاء»، ولم يردَّها، بل ذَكَرها مُقِرًّا لها، وكذَلِكَ أيضًا ذكرها ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَرْجمة الطُّفيل بن عمرو.

والقصَّةُ هي: أنَّ الطُّفيلَ بنَ عمرو قالَ: كنتُ رجلًا شاعرًا سَيِّدًا في قَوْمي، فقدمتُ مكَّةَ، فمشيتُ إِلَىٰ رِجَالاتٍ من قُرَيشٍ، فقَالُوا: إنَّك امرؤٌ شاعرٌ سَيِّدٌ، وإنَّا قد خَشِينا أنْ يَلقاكَ هذا الرَّجلُ، فيُصِيبك ببَعْضِ حديثِهِ، فإنَّما حديثُهُ كالسِّحْر، فاحْذَره أنْ يُدْخِلَ عليك وعلىٰ قَوْمِك ما أَدْخَل علَينا، فإنَّه يُفرِّق بَيْن المَرْءِ وأَخِيه، وبَيْنَ المرءِ وزَوْجِه، وبَيْنَ المَرْءِ وابنِه، فواللهِ، مَا زَالُوا يُحدِّثوني شأنَه، ويَنْهونِي أنْ أَسْمعَ مِنْه، حتَّىٰ قلتُ: واللهِ، لا أَدْخلُ إِلَىٰ المسجدِ إلَّا وأنا سادٌّ أُذُنيَّ.

قالَ: فعَمَدتُ إِلَىٰ أُذُنيَّ فحَشَوْتُهما كُرْسُفًا[(١)]، ثمَّ غدوتُ إِلَىٰ المَسْجدِ، فإذَا برَسُولِ الله ﷺ قائمٌ في المَسْجدِ، فقمتُ قريبًا منه، فأَبَىٰ الله إلَّا أَنْ يُسْمِعني بعض قَوْلِه، فقلتُ في نَفْسي: واللهِ، إنَّ هَذَا للعَجْز، وإنِّي امرؤٌ ثبتٌ، ما تَخفَىٰ عليَّ الأُمورُ حَسَنُها من قَبِيحِها، واللهِ، لأسمعنَّ منه، فإنْ كان أمرُهُ رشدًا، أخذتُ منه، وإلَّا اجتنبتُه، فنَزعتُ الكُرْسفةَ، فلَمْ أَسْمعْ قطُّ كلامًا أحسنَ من كَلَامٍ يَتكلَّم به،

---

(١) الكرسف: القطن.

فقلتُ: يا سبحانَ الله! ما سمعتُ كاليومِ لفظًا أحسنَ ولا أجملَ مِنه.

فلمَّا انصرَفَ تبعتُه، فدخلتُ مَعَه بَيْتَه، فقلتُ: يا مُحمَّد، إنَّ قومَك جَاؤُونِي، فقَالُوا لي كذا وكَذَا، فأخبرتُه بما قَالُوا، وقَدْ أَبَىٰ اللهُ إلَّا أن أَسْمَعني مِنْكَ ما تقولُ، وقَدْ وَقَعَ في نَفْسي أنَّه حقٌّ، فاعْرِضْ عليَّ دِينَك، فعَرَضَ عليَّ الإِسْلامَ، فأَسْلمتُ، ثمَّ قلتُ: إنِّي أَرْجع إِلَىٰ دَوْسٍ، وأَنَا فِيهِم مُطَاعٌ، وأَدْعُوهم إِلَىٰ الإِسْلامِ، لعلَّ اللهَ أن يَهْديهم، فَادْعُ اللهَ أن يجعلَ لي آيَةً، فقَالَ: «**اللَّهمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً تُعِينُهُ**».

فَخَرجتُ حتَّىٰ أشرفتُ عَلَىٰ ثَنيَّةِ قَوْمي، وأبي هُنَاك شيخٌ كبيرٌ، وَامْرأَتِي ووَلَدِي، فلمَّا علوتُ الثَّنِيَّةَ، وَضَع اللهُ بَيْن عيني نورًا كالشِّهابِ يَتراءَاه الحاضرُ في ظُلْمةِ اللَّيل، وأنا مُنْهبطٌ من الثَّنِيَّةِ، فقلتُ: اللَّهمَّ في غَيْر وَجْهي، فإنِّي أَخْشىٰ أنْ يَظنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ لفِرَاقِ دِينِهم، فتَحوَّل، فوَقَع في رأسِ سَوْطي، فلقَدْ رأيتني أسيرُ عَلَىٰ بَعِيري إِلَيْهم، وإنَّه عَلَىٰ رَأْس سوطي كأنَّه قنديلٌ مُعلَّقٌ، قال: فأَتَاني أبي، فقلتُ له: إليكَ عَنِّي، فلَسْتُ مِنْك ولَسْتَ منِّي. قالَ: وما ذاكَ؟ قلتُ: إنِّي أسلمتُ واتَّبعتُ دينَ مُحمَّدٍ. قال: أَيْ بُنَي، دِينِي دِينُكَ، وكذَلِكَ أُمِّي، فأَسْلَما، ثمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَىٰ الإسلامِ، فأبَتْ عليَّ وتَعَاصَتْ.

ثمَّ قدمتُ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ، فقلتُ: غَلَب عَلَىٰ دَوْس الزِّنا والرِّبا، فَادْعُ اللهَ عَلَيهم، فقالَ: «**اللَّهمَّ اهْدِ دَوْسًا**»، ثمَّ رجعتُ إِلَيْهم، وهَاجَر رَسُولُ الله ﷺ، فَأَقْمتُ بَيْن ظَهْرانِيهم أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الإِسْلامِ حتَّىٰ اسْتَجابَ مِنْهم مَنِ اسْتَجابَ، وسبقتني بدرٌ وأحدٌ والخندقُ، ثمَّ قدمتُ بثَمانِينَ أو تِسْعينَ أَهْل بيتٍ من دَوْس، فكنتُ مع النَّبيِّ ﷺ حتَّىٰ فَتح مكَّةَ.

فقلتُ: يا رَسُولَ الله، ابعثني إِلَىٰ ذي الكفَّين (صنم عمرو بن حممة) حتَّىٰ أُحرِّقه.

قال: «أَجَلْ، فَاخْرُجْ إِلَيه»، فأتيتُ، فجعلتُ أُوقِدُ عليه النَّارَ، ثمَّ قدمتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فأقمتُ معه حتَّىٰ قُبِضَ، ثمَّ خرجتُ إِلَىٰ بَعْثِ مُسَيْلمة ومَعِي ابني عمرو حتَّىٰ إذا كنتُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ رأيتُ رُؤْيا، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلِقَ، وخرجَ من فَمِي طائرٌ، وكأنَّ امرأةً أدخلتني في فَرْجها، وكأنَّ ابني يَطْلبني طلبًا حثيثًا، فحِيلَ بَيْني وبَيْنه، فحَدَّثْتُ بها قَوْمي، فقَالُوا خيرًا، فقلتُ: أمَّا أنا فَقَدْ أَوَّلتها، أمَّا حَلْقُ رأسي فَقَطْعُهُ، وأمَّا الطَّائرُ فَرُوحِي، والمرأةُ الأرضُ أُدْفَن فيها، فَقَدْ روعت أَنْ أُقتَل شهيدًا، وأمَّا طَلَبُ ابني إيَّاي، فما أراه إلَّا سيُعذَر في طَلَبِ الشَّهَادةِ، ولا أراه يَلْحق في سفرِهِ هَذَا.

قال: فقُتِلَ الطُّفَيلُ يَوْم اليَمامةِ، وجُرِحَ ابنُهُ، ثمَّ قُتِلَ يَوْمَ اليرموك». اهـ[(١)].

الدَّليل الثالث: قصَّةُ بلالٍ، وأنَّه كان يُعذَّب ويُقال له: إلهُك اللَّات والعُزَّىٰ، فيقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ. فبَلَغ أبا بكرٍ، فأتاهم، فقالَ: عَلامَ تَقْتلونَه! فإنَّه غَيْر مُطيعكم. قَالُوا: اشْتَرِه، فَاشْتَرَاهُ بِسَبْعِ أَواقٍ، فأَعْتَقه[(٢)].

الدَّليل الرابع: قصَّة عمرو بن الجَمُوح، وهو أنَّه لمَّا فَشَا الإسلامُ في الأنصارِ بَعْد قُدُومِ مُصْعب بن عميرٍ، وابن أُمِّ مكتومٍ إِلَيْهم، فأَسْلَم شبابٌ من الأنصارِ، ومِنْهم مُعَاذ بن جبلٍ، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، وكانَ عَمْرو بن الجموح شيخًا كبيرًا باقيًا عَلَىٰ دينِهِ، فتركُوه حتَّىٰ نامَ، وأَخَذوا صَنَمه، وأَلْقَوه في حُفْرة العذرة، فلمَّا أصبحَ افْتَقَدَه، فذَهَبَ يَبْحثُ عَنْه، فوَجَده في حفرة العذرة، فأَخذه وغَسَّله وطَيَّبه ورَدَّه في مكانِهِ، وفي اللَّيلة الثَّانية أَخَذُوه وأَلْقَوه في حفرة العذرة،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» عن هشام بن عروة، عن ابن سيرين (١/ ٣٥٣).

فوَجَده مُلطَّخًا بالقذر، فغسَّله وطيَّبه وردَّه في مكانِهِ، ثمَّ علَّق السَّيفَ فيهِ، وقالَ لَه: لَوْ أعْلمُ الَّذي صَنَع بك هَذَا لفَعَلْتُ وفعَلْتُ، ولكن هَذَا السَّيفُ، فإذا أرادَ أحدٌ أن يأْخذَك فقَاتِلْه، فتركُوه حتَّىٰ نامَ، فأخَذُوه، فقرنُوه بجيفَةِ كَلْبٍ، ثمَّ ألقَوه في حفرة القذر، فلمَّا رآه قالَ:

وَاللهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ ... أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ
أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنْ ... الْآنَ فَتَّشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبَنْ
الْحَمْدُ لِلهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَنْ ... الْوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ ... أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ(١)

وبالجُمْلة، فإنَّ عَشَراتِ النُّصُوصِ، بَلْ مئاتِ النُّصوصِ مَوْجودةٌ في بُطُونِ الكُتُبِ من تفسيرٍ وحديثٍ وسِيَرٍ تدلُّ عَلَىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَبْدأ في دعوتِهِ بغَيْرِ التَّوحيد ومُحَاربةِ الشِّرْكِ.

والنُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ من الكتابِ والسُّنَّةِ أشهرُ من أن تُذكَر، وأكثرُ من أن تُحصَر، فأيُّما داعٍ دَعَا قومًا إِلَىٰ الله، فبَدَأ بغير التَّوحيد مع أنَّ الشِّركَ فِيهِم فاشٍ، والأضرحةَ الَّتي هي بمَنْزلة اللَّاتِ والعُزَّىٰ لَدَيهم مَوْجودةٌ، والنَّاسَ لها قَاصِدُونَ، وعَلَيها مُتردِّدون، وبها يَتطوَّفونَ ويَتمسَّحونَ، وبأسْماء أصْحابِها في

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٦٣)، بمعنىٰ القصَّة، ولفظ الشِّعر.

وقوله «مستدن» من السِّدانة، وهي خدمةُ البيت، وتعظيمُه، والمقصودُ: الذَّليل.

وقوله: «ديَّان الدِّيَن»: الدِّيَن: جمع دينة، وهي العادةُ، أو أراد الأديان، أي: هو ديَّان أهل الأديان، وجمعها علىٰ الدِّيَن؛ لأنَّها مللٌ ونحلٌ.

الصَّباحِ والمساءِ يَهْتِفُونَ ويَلْهجُونَ، ولَهُمْ من دُونِ الله يَدْعونَ، وإِلَيْهم عند الشَّدائِدِ يَفْزَعُونَ ويَلْجؤونَ، ولِتِلْكَ الأَضْرحةِ يَنْذُرُونَ، وعَلَىٰ أَسْمائِهم يَذْبحُونَ، مُعْتَقِدينَ أَنَّهم يُعْطون ويَمْنعون، ويُغْنون إذا شَاؤوا ويُفْقِرُونَ.

إنَّ مَنْ دَعَا قومًا هَذِهِ حَالُهم، فسَكَت عن شِرْكهم سُكُوتَ المُقرِّ، ودَعَا إِلَىٰ غَيْرِ التَّوحيد الَّذي هو مُقْتَضىٰ شهادة أَنْ لا إِلَه إِلَّا الله، فإِنَّه قَدْ خَالَف الرُّسُلَ كُلَّهم من أَوَّلهم نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ آخِرِهم مُحمَّدٍ ﷺ، واتَّخذ سبيلًا غَيْر سَبِيلِهِمْ، ومَنْهجًا غَيْر مَنْهجِهِمْ؛ بل قَدْ خَالَفَ قَوْلَ الله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأَوْلَىٰ به أن يُوفِّر عَلَىٰ نفسِهِ الجُهْدَ والعناءَ؛ لأنَّ كلَّ ما كانَ عَلَىٰ غَيْر مَنْهجِ الرُّسُلِ فهو مَرْدودٌ غير مَقْبولٍ، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ولعلَّ قائلًا يقول: إنَّ الدَّاعي المشار إليه قَدْ حارب الحكم بغير ما أنزل الله، وهو من شرك التَّحكيم؟

فالجواب:

أولًا: أنَّ هذا خلافُ طريقة الرُّسُل - صلوات الله وسلامه عليهم - فقد تقدَّم لنا أنَّه ما مِن نبيٍّ يبعث إلىٰ قومه إلَّا ويدعو قومه أوَّل ما يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحدَه.

ثانيًا: أنه ما مِن نبيٍّ يبعث إلىٰ قوم إلَّا وعند قومه مِن العادات والأعراف الَّتي يتحاكمون إليها، ويرضون بحكمها، ويسيرون أمورهم عليها، ولم يُؤمر أحدٌ مِن الرُّسل أن يزيل تلك الأعراف ويترك الأوثان الَّتي يعبدونها من دون الله؛ بل أمروا بالدَّعوة إلىٰ عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان والأنداد؛ سواء كانت قبورًا، أو أصنامًا، أو أشخاصًا، أو غير ذلك. قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٤]، وقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٤، ٥].

=

أمَّا الأساسُ الثَّاني: وهو تَقْرير المعادِ، فقَدْ قرَّره بطُرقٍ مُتعدِّدةٍ، وأَساليبَ مُخْتلفةٍ، فتارةً يذكر اللهُ عَزَّوَجَلَّ إنكارَ الكُفَّار للمَعادِ، ثمَّ يردُّ عليهم مُثْبتًا للمعادِ، ومُؤَكِّدًا له بالقسَم وغَيْره من المُؤكِّداتِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [سبأ: ٣، ٤].

وتارةً بِبيانِ القُدْرةِ علَىٰ ما هُوَ أَعْظمُ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩﴾ [غافر: ٥٧ - ٥٩].

وتارةً بالتَّنبيهِ علَىٰ الخَلْقِ الأوَّل، وأنَّه أصْعبُ من الإعادةِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

=

ثالثًا: أنَّ تحكيم القوانين، والأعراف، والعوائد هي نوعٌ واحدٌ من أنواع الشِّرك، ولم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بأن تخصص الدَّعوة والإنكار لهذا النَّوع دون غيره من أنواع الشِّرك بالله الَّتي هي أشدُّ خطرًا منه، وأكثر شيوعًا منه.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٣، ٤].

وتارةً يُنبِّه اللهُ عليه بإحياءِ الأرْضِ بعْد موْتِها المُشاهدِ للنَّاسِ في كلِّ مكانٍ، وفي كلِّ زمانٍ؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [فصلت: ٣٩].

وكقولِه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧].

إلىٰ غيْر ذلِكَ من الأَسَاليبِ الَّتي أثبتَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها البعْثَ بعْد الموتِ، وردَّ علىٰ المُنكِرينَ له، بل وتحدَّاهم أن يكُونُوا أصعبَ شيءٍ وأصْلبه، فقالَ: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء: ٥٠ - ٥٢].

أمَّا الأساسُ الثالث، وهُوَ الإيمانُ بالرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، وتكْفير مَنْ أنْكرها، وإقامَة الحُجَجِ عليهم، ففِي القُرْآنِ عامَّة، وفي السُّوَرِ المَكيَّةِ خاصَّةً من ذلِكَ الشَّيء الكثِير، ودائمًا يقْرنُ اللهُ الإيمانَ برَسُولِه بالإيمانِ به تعالىٰ، ويُرتِّب علىٰ ذلِكَ النَّجاة من النَّارِ، والفوز بالجنَّةِ، وحتَّىٰ الإيمان إذا أُطْلِقَ في بعْضِ المَواضِع فإنَّما يُرادُ به الإيمانُ باللهِ ورَسُولِه؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢] الآيات.

ولقَدْ جاءَ إثْباتُ الرِّسالاتِ في القرآنِ الكَرِيمِ بأَسَاليبَ مُتعدِّدةٍ، وطُرُقٍ

مُتنوِّعةٍ، فتارةً بتَرْتيبِ الفَوْزِ عَلَىٰ طاعةِ الله وطاعةِ رَسُولِهِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور: ٥٢]، وكقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وتارةً بالإِخْبارِ عمَّن أَطاعَ اللهَ وأطاعَ رَسُولَه أنَّهم مع أَحْسنِ رفيقٍ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النِّساء: ٦٩].

وتارةً بالإِخْبارِ بأنَّ طاعةَ الله ورَسُولِهِ مُوجِبةٌ لدُخُولِ الجنَّةِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الفتح: ١٧].

وتارةً بالأَمْرِ بالإيمانِ بالله ورَسُولِهِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النّساء: ١٣٦].

وتارةً بالاسْتِجابَةِ لدَعْوتهما؛ لأنَّ اللهَ ورَسُولَه لا يَدْعوانِ إلَّا إلَىٰ ما فِيهِ حَياة المُؤْمِنينَ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وتارةً بالإِخْبارِ أنَّ اتِّباعَه هو المُوجِبُ لمحبَّةِ الله؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١].

وتارةً بالإِخْبارِ أنَّ المنازِلَ العاليةَ في الجنَّةِ لمَنْ آمنُوا بالله وصدَّقوا المُرسلينَ، ففي «الصَّحيحينِ» أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ لَيتَراءَونَ أَصْحابَ الغُرَفِ في الجَنَّةِ كَمَا تَتَراءَونَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ فِي الأُفُقِ الشَّرْقيِّ أَوْ الغرْبيِّ**»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، تِلْكَ مَنازِلُ الأَنْبياءِ لَا يَنالُها غَيْرُهُمْ، فقَالَ: «**بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ، وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**».

وتارةً بالإخبارِ أنَّ معصيةَ اللهِ والرَّسولِ موجِبةٌ للنَّارِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤].

وتارةً بالإخبارِ أنَّ سببَ إهلاكِ الأُمَمِ: عِصيانُهم لرُسُلِهم، وعَداوتُهم لهم؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

وقال عن فِرْعونَ: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٣، ١٠٤].

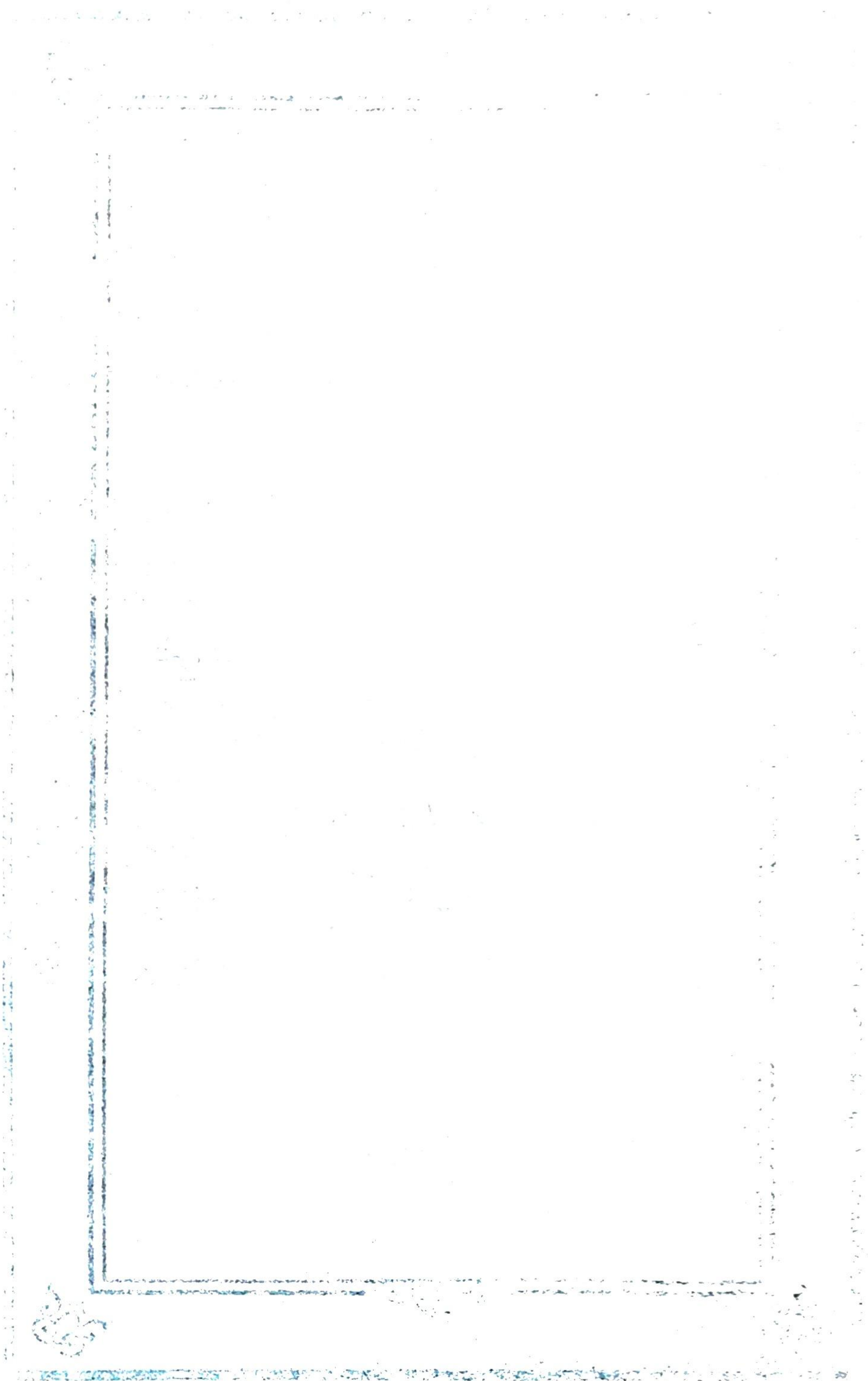
وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر: ٥].

بَلْ قدْ جعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ عصىٰ رَسولًا واحدًا كمَنْ عصىٰ جميعَ الرُّسُلِ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: ٥٩، ٦٠].



الباب السَّادس

في بيان أنَّ الانحراف عن منهج الرُّسل صلوات اللَّه وسلامه عليهم ترك للصِّراطِ المُستقيم الَّذي أمَرَ اللَّهُ باتِّباعِهِ



الباب السَّادس
في بيانِ أنَّ الانحرافَ عن منهج الرُّسل
- صلوات الله وسلامُه عليهم -
تركٌ للصِّراط المستقيم الَّذي أمر الله باتِّباعه

لقَدْ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه مُحمَّدًا رحمةً للعالَمين، ومَنارًا للقَاصِدينَ، وأُسْوةً للمُهْتَدِينَ، وكَلَّفَ عِبادَه جميعًا باتِّباعِهِ والاهتداءِ بِهَدْيِهِ، والتَّأسِّي بطريقتِهِ، ومُتَابعةِ سُنَّته، فقالَ عزَّ من قائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

وفي الدَّعوة خاصَّةً أمرَ اللهُ باتِّباعِهِ؛ فقَالَ تَعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولقَدْ أمَرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنْ نَتأسَّىٰ برَسُولِهِ الكريم ﷺ، فقال جلَّ من قائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

كَما أمَرنا وإيَّاه أن نَتأسَّىٰ بإبْراهِيم والَّذين مَعَه في البَراءةِ مِنَ المُشْركينَ وإعْلانِ العَداوة لَهُمْ، وإنْ كَانُوا أقرباء في النَّسَبِ، قَالَ تَعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولمَّا ذَكَر عَزَّوَجَلَّ الأنْبياءَ في سورة (الأنعام)، وعَدَدهم سَبعَةَ عَشر نبيًّا، قالَ في خَاتمةِ ذَلِكَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومِن هذهِ النُّصُوصِ يَتبيَّن أنَّ اللهَ أَمَرنا أمرًا إلزاميًّا باتِّباع نَبيِّه في كلِّ شيءٍ؛ في دَعْوتِنا، وفي عِبادتِنا، وفي مُعَاملتِنا، وفي أَخْلاقِنا، وفي لِبَاسِنا وأَكْلِنا وشُرْبِنا ونَوْمِنا ويَقَظتِنا، وفي كَسْبِ المالِ وتَنْميتِهِ وإنْفاقِهِ، بل في كلِّ شيءٍ.

وإنَّ الدَّعوةَ إِلَىٰ الله هِيَ أهمُّ شيءٍ في هَذَا الدِّين، وأَعْظمُ شيءٍ يجبُ أَنْ نَتأسَّىٰ بالنَّبيِّ ﷺ فِيه، فنَبْدَأ كما بَدَأ، ونُؤسِّس كما أَسَّس، ونهتمُّ أوَّلًا بالأَصْل الَّذي اهْتَمَّ به أوَّلًا، واهتمَّ به كلُّ نبيٍّ بُعِثَ إِلَىٰ أُمَّةٍ يَدْعوهم إِلَىٰ الله، وهُوَ الأمرُ بالتَّوْحيدِ والتَّحْذيرُ من الشِّركِ، قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦].

وقَدْ وَضَّحتُ ذَلِكَ أعظمَ تَوْضيحٍ في بيَانِ مَنْهجِ الرُّسُلِ في الدَّعوةِ إِلَىٰ الله،

صَلَواتُ ربِّي وسلامُهُ عليهم[1]، فمَنْ تَهَاونَ في الأصلِ الَّذي اهْتمُّوا به، وغضَّ الطَّرْفَ عن الشِّركِ الَّذي بَدَؤوا بهَدْمِهِ، بل حَاضَرَ في بَعْضِ أَوْكارِهِ، ولم ينبس ببنت شفةٍ في إنكارِهِ، وكان همُّهُ جَمْعَ مَنْ تَسمَّىٰ بالإسْلامِ، ولو كانَ بعيدًا كلَّ البُعْدِ عَنْ حقيقته، ولو تَعاطَىٰ ما يَهْدمه من أَسَاسِه، ويُقوِّض بُنْيانَه من قَاعدتِه؛ كالشِّرْكِ الأكبرِ الَّذي يُخرِجُ العبدَ من الإسْلامِ، ويُحتِّم عليه الخُلُودَ في النَّارِ، ويُحرِّم عَلَيه دُخُولَ الجنَّةِ من غَيْر تصحيحٍ لعَقَائِدهم، ولا بيانٍ لما هُمْ عَلَيه من الشِّركِ الأكْبرِ والبِدَعِ والضَّلالاتِ، فَقَدِ انْحَرفَ عن الصِّراطِ المُسْتقِيم الَّذي أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ باتِّباعِهِ حَيْث يَقُولُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإنَّ الَّذي سَارَ عَلَيه رَسُولُ الله ﷺ في دعوتِهِ حَيْث مَكَث عقدًا من الزَّمَن لا يأمر إلَّا بالتَّوحيدِ، ولا يَنْهىٰ إلَّا عن الشِّركِ، شأنُهُ شأن الأَنْبياءِ قَبْله الَّذين أَخْبر اللهُ عَنْهم جميعًا أَنَّهم كُلِّفوا أوَّلَ ما كُلِّفوا بهذا الأَصْلِ، قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخبرَ أنَّ هَذَا الأَصلَ هو الصِّراطُ المُسْتقيمُ، فأخبرَ عَنْ عِيسَىٰ أنَّه قالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف: ٦٤].

فمَنْ تركَ هَذَا المَنْهجَ الوَاضِحَ الَّذي سَارَ عَلَيه جَمِيعُ الأَنْبياءِ في دَعْوتِهم، فَقَدْ

---

(١) انظر: (ص ٧٩).

تَرَكَ الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ، واتَّخذَ لنفسِهِ مَنْهجًا مستقلًّا، وكَانَتْ دعوتُهُ مَثَلها كمَثَل رجلٍ بَنَىٰ بيتًا بدُونِ أساسٍ، وعَنَىٰ فيه بالمُحسِّناتِ والزَّخارفِ، فلَمْ يَلْبَثْ أنِ انْهارَ.

وإنَّ التَّوْحيدَ هُوَ القَاعِدةُ الأَسَاسيَّةُ الَّتي لا يَقُومُ الدِّينُ بدُونِها، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، وهَذَا مَثَلٌ لكَلِمَةِ التَّوحيدِ: «لا إِلَه إِلَّا اللهُ».



الباب السَّابع

أنَّ الحزبيَّة ليستْ مِن منهج الأنبياءِ
بل هي بدعةٌ

الباب السَّابع
أنَّ الحزبيَّة ليست مِن منهج الأنبياءِ، بل هي بدعةٌ

لقَدْ بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ والجزيرةُ العربيَّةُ تموجُ بالقَوميَّاتِ والعَصَبيَّاتِ، فكلُّ قبيلةٍ تُقدِّم وَلَاءَها، وتَحْصرُ انْتِماءَها، وتخصُّ بنُصْرتِها أفرادَ تِلْكَ القَبِيلةِ، حتَّىٰ قالَ قَائِلُهمْ:

وَهَـلْ أَنَـا إِلَّا مِـنْ غَزِيَّـةَ إِنْ غَـوَتْ ... غَوَيْـتُ وَإِنْ تَرْشُـدْ غَزِيَّـةُ أَرْشُـدُ

يُؤيِّد بَعْضُهم بعضًا علَىٰ ما يُريدُ؛ سواء كان حقًّا أو باطلًا، ويَنْصر بَعْضُهم بعضًا فيما يَهْوَىٰ؛ سواء كان مُحقًّا أو مُبطلًا.

فلمَّا جاءَ الإِسْلامُ، أَمَر بالوَحْدةِ والالْتِئامِ، ومَنَع التَّفرُّقَ والانْقِسامَ؛ لأنَّ التَّفرُّقَ والانقسامَ يُؤدِّي إِلَىٰ التَّصدُّعِ والانْفِصَامِ، لذَلِكَ فهو يرفضُ التَّحزُّبَ وَالانْشِطَارَ في قَلْبِ الأُمَّةِ المُحمَّديَّة الواحدة الَّتي تَدِينُ لربِّها بالوحدانيَّة، ولنَبيِّها بالمُتابَعةِ، شَأْنها شأن الأُمَم الماضية في الرِّسالاتِ السَّابقةِ، فَقَدِ اتَّفقَتِ الرِّسالاتُ السَّابقةُ جميعًا علىٰ تَوحيدِ الله الَّذي خَلَق هذا الكونَ، وهو المَالِكُ له، والمُتصرِّفُ فِيهِ، وعلىٰ الدَّعْوةِ إِلَىٰ وَحْدة الأُمَّةِ في عَقِيدتِها وعِبادتِها ومَنْهجها ووحدة المَصْدر الَّذي تَتلقَّىٰ عَنْه، وهو الرَّسولُ الَّذي تَتبعُهُ.

والدَّليلُ علىٰ ذلكَ قولُ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ

عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٣ - ١٥].

أي: إلىٰ تَوْحيدِ الله ووَحْدة الأُمَّةِ ﴿فَٱدْعُ﴾ فهُوَ الدِّينُ الحقُّ الَّذي شَرَعه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لصَفْوةِ الصَّفوةِ، وهُمْ أُولُو العَزْم من الرُّسُلِ: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وما أَوْحَينا إِلَيك يا مُحمَّد، صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعين.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في شَرْح هَذِهِ الآياتِ من سُورَة (الشُّورىٰ):

«يَقُولُ تَعالىٰ لهذِهِ الأُمَّةِ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، فذَكَر أَوَّل الرُّسُل بَعْد آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآخرهم مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ ذَكَر بَيْن ذَلِكَ مَنْ بَقِيَ من أُولِي العَزْم، وهُمْ: إبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ ابن مريم صلَّىٰ الله عَلَيهم وسلَّم، وهذِهِ الآيَةُ انْتظَمَتْ ذِكْر الخَمْسة، كما اشْتملَتْ عَلَيهم في آيةِ (الأَحْزاب) في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

والدِّينُ الَّذي جاءَتْ به الرُّسُلُ كلُّهم هو عبادةُ الله وَحْده لا شريكَ لَه؛ كما قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَفِي الحَدِيثِ: «**نَحْنُ مَعَاشِر الأَنبياءِ أَوْلادُ عَلَّاتٍ، دِينُنا واحِدٌ**»[(١)]،

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**الأَنبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**». أَوْلادُ العَلَّات: الَّذين أُمَّهاتُهم مُخْتَلفةٌ، وأبوهم واحِدٌ. والمعنىٰ: أنَّ دينهم واحد، والمراد به: أُصُول التَّوحيد، وأُصُول طاعة الله تعالىٰ، ولكن شرائِعَهُم مُخْتَلِفة.

أي: القَدْر المُشْتركُ بَيْنهم هُوَ عبادةُ الله وَحْده لا شَرِيكَ لَه، وإنِ اخْتلَفَتْ شَرَائِعُهمْ ومَنَاهِجهم؛ كقولِهِ جلَّ جَلالُهُ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ولهذَا قَالَ هَاهُنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، أي: وَصَّىٰ جَمِيعَ الأَنْبياءِ - عليهم الصَّلاة والسَّلام - بِالائْتِلافِ والجَماعَةِ، ونَهاهُمْ عَنْ الافْتِراقِ والاخْتِلافِ». اهـ[١].

وقالَ الشَّيخُ عبد الرَّحمن بن سعدي في تَفْسير هَذِهِ الآية: «﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي: آمُرُكُمْ أَنْ تُقِيمُوا شرائعَ الدِّين؛ أُصُوله وفُرُوعه، تُقِيمونَه بأَنْفُسِكُمْ، وتَجْتهدُونَ في إقامتِهِ عَلَىٰ غَيْركم، وتَتعاونونَ علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، ولا تعاونوا علىٰ الإِثْمِ والعُدوانِ.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أي: لِيَحْصل مِنْكم الاتِّفاقُ عَلَىٰ أُصُولِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ، وَاحْرِصُوا عَلَىٰ أَلَّا تُفرِّقكم المَسَائلُ وتُحزِّبكمْ أَحْزابًا وَشِيعًا، يُعَادي بَعْضكم بعضًا مَعَ اتِّفاقكم في أَصْلِ دِينِكُمْ». اهـ[٢].

ومِنْ هَذَا تَعْلم أنَّ هَذَين الأَصْلينِ اتَّفَقتْ عَلَيهما الشَّرائعُ، وأَمَر بِهِما جميعُ الرُّسُلِ من لَدُنْ أَوَّلهم نُوحٍ - عليه الصَّلاة والسَّلام - إِلَىٰ آخِرِهِمْ مُحمَّدٍ ﷺ، وهَذَانِ الأَصْلانِ هُما:

أَوَّلًا: تَوْحيدُ الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهُو إفرادُهُ بالعبادةِ دُونَ سِواهُ.

ثانيًا: الحرصُ عَلَىٰ وحدة الأُمَّة، وعَدَم التَّفرُّقِ في الدِّين بإِقَامةِ أَسْبابِ الائْتِلَافِ، وتَرْك أَسْبابِ الاخْتِلافِ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٩٥).

(٢) «تفسير السّعديّ» (ص ٧٥٤).

ولهذا فقد ذمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الفُرقةَ في غيرِ ما آيةٍ من كتابهِ جَلَّ وَعَلَا، كقولهِ تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البيِّنة: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورىٰ: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

وقدْ أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في الآيةِ الأُولىٰ من هاتَيْن الآيتينِ أنَّ وحدةَ الأُمَّةِ مِنَ العَمَلِ الصَّالحِ الَّذي أُمِرت به الرُّسُلُ في الآيةِ الَّتي قبْلها، حَيْث يَقُول تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٢].

فيُستفاد من الثَّلاث الآيات معًا:

أنَّ العملَ الصَّالحَ الَّذي أمرَتْ به الرُّسُلُ جميعًا يَنْبني علَىٰ أمْرينِ اثْنَينِ:

أوَّلًا: توحيدُ الإلَه. **وثانيًا:** وحدةُ الأُمَّةِ.

فأمَّا تَوْحيدُ الإلَهِ: فحقيقتُه أنْ تُصرَفَ العبادةُ إلىٰ الواحدِ الأحدِ، خَالِق هذا الكونِ، والمُتصرِّف فيه.

وأمَّا وحدةُ الأُمَّةِ: فحَقِيقتُها أن يُعْبَدَ اللهُ بما شَرعَتِ الرُّسُلُ؛ عقيدةً وعبادةً، وأن تكونَ الأُمَّةُ كلُّها كذَلِكَ، ربُّها واحدٌ، ودينُها وعَقِيدتُها واحدةٌ، ونَبيُّها واحدٌ، وهُوَ الإمامُ الَّذي يَسِيرونَ علَىٰ شريعتِهِ، وهَدفُها واحدٌ، وهُوَ إعلاءُ كَلمةِ الله في أنْفُسِهِم، وفي غَيرهم، وغَايتُها واحدةٌ، وهو الحُصُول علَىٰ رِضَا الله والجنَّةِ، والنَّجاة من سَخَطِهِ والنَّارِ.

ولكن الأُمَم فَعَلوا غَيْر ما أُمِرُوا به، فَتفرَّقوا قطعًا، وتَشتَّتوا شِيعًا، وكَانُوا أحزابًا مُتَعادِينَ، وفِرَقًا مُتَباغِضينَ، كلُّ حِزْبٍ يظنُّ أنَّه عَلَىٰ الحقِّ، وكلُّ مَنْ سِوَاه عَلَىٰ البَاطِلِ، وكلُّ حِزْبٍ بما لَدَيهم فَرِحُونَ، ولا يَكُونُ الاخْتِلافُ مُوجِبًا للانقِسَامِ والتَّفرُّقِ، ومُؤثِّرًا أثرًا سلبيًّا في وَحْدة الأُمَّة إلَّا إذَا كانَ في الأُصُولِ والعَقَائِدِ؛ كالتَّوحِيدِ بأقسامِهِ الثَّلاثة، فَمَنِ اعْتقَدَ جوازَ الاسْتِغَاثةِ بالمَخْلُوقينَ فيما لا يَقْدر عليه إلَّا اللهُ، أو تَغاضَىٰ عَمَّنْ يَتطوَّف بالقُبُور، ويُقدِّم لها القَرَابين والنُّذُورَ، ويَهْتفُ بأَصْحابِها راغبًا إِلَيْهم في جَلْبِ الخير، ودَفْعِ الشُّرورِ، ويَرَىٰ أنَّه لم يَخْرج من الإِسْلامِ بفعلِهِ لِهَذَا المَحْذُورِ؛ بل يُسمِّيه أخًا، ويجعلُهُ في دعوتِهِ عضوًا، فإنَّه قَدْ هَدَم تَوْحيدَ الأُلُوهيَّة بذَلِكَ.

ومَنْ تَأَوَّل الصِّفاتِ بِمَا يُوجِبُ إبْطالَ مَعْناها الحقيقيِّ الَّذي أرَادَه اللهُ في كتابِهِ، وأَرادَه نَبيُّه المُبلِّغُ عنه، زَاعِمًا أنَّ ظَاهِرَها غير مرادٍ؛ لأنَّه يَلْزم مِنْه المُشَابهة كالأشعريَّة، أو نَفَاها بالكُلِّيَّةِ كالجهميَّةِ والمُعْتزلةِ، أو زَعَم أنَّ القرآنَ لَيْس كلامَ الله، وأنَّه مخلوقٌ كسَائِر المَخْلوقَاتِ، وأنَّ اللهَ لا يَراه المُؤْمِنونَ في الآخِرَةِ؛ كَالمُعْتزلةِ.

ومَنْ زَعَم أنَّ العبدَ يخلقُ أَفْعالَه؛ كالقدريَّةِ النُّفاةِ، أو أنَّ العبدَ مُسيَّرٌ كالحَجَر الَّذي يُدَهْدَه، أو الغُصْنِ الَّذي تُحرِّكهُ الرِّياحُ؛ كالقدريَّةِ الغُلَاةِ في الإِثْباتِ لأَفْعالِ الله.

أو زَعَم أنَّ مُرْتكبَ الكَبِيرة كافرٌ مُخلَّدٌ في النَّار؛ كالخَوَارِج، أو لا مُؤمن ولا كافر، وهو في الآخِرة مُخلَّدٌ في النَّار؛ كالمُعْتزلةِ.

أو زَعَم أنَّ الإيمانَ لا يضرُّ مَعَه ذنبٌ، وأنَّه مُجرَّد التَّصديق، وإنْ لم يَصْحبه نطقٌ ولا عملٌ كالمُرْجئةِ.

أو زَعَم أنَّ الطَّريقةَ الفلانيَّةَ، أو طريقةَ الشَّيخ فُلَانٍ قراءتها والْتِزَامها أَفْضَل

منَ قِرَاءةِ القُرْآنِ، أو أَفْضل من قراءةِ الحديثِ النَّبويِّ، وأنَّها هي الحقُّ، أو فَضَّل الطُّرُقَ الصُّوفيَّةَ أو بعضَها علىٰ العقيدةِ السَّلفيَّةِ.

أو اعْتقد أنَّ الأئمَّةَ الاثْني عشر مَعْصُومونَ من الخطإ، أو اعْتقد كُفْرَ الصَّحابةِ؛ لأنَّهم قَدَّموا أبا بكرٍ وعُمرَ وعُثْمانَ علىٰ عليٍّ في الخلافةِ، واسْتَحلَّ سبَّ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم؛ كالرَّافضة، فهذِهِ الاعْتِقَاداتُ ومَا شَابَهها عَلَىٰ ما بَيْنَها منَ التَّفاوتِ هِيَ الَّتي فَرَّقتِ الأُمَّةَ، وهي الَّتي تُوجِب تَفْريقَها، ويَتناوَلها الذَّمُّ المُصرَّحُ به في القرآنِ.

أمَّا الاخْتِلافُ في الفُرُوعِ، فَلا يُوجِبُ تَفْريقًا، ولا يَترتَّبُ عَلَيه لومٌ من أحدٍ عَلَىٰ أحدٍ، ولا من جانبٍ عَلَىٰ جانبٍ؛ إذ قَدْ حَصَل مثلُهُ في زمن النَّبيِّ ﷺ، فلَمْ يُوجِب لَوْمًا ولا تَعْنيفًا من أحدٍ عَلَىٰ أحدٍ.

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابْنِ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزابِ: «لَا يُصَلِيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فأَدْركَ بعضُهُم العصرَ في الطَّريقِ، فقالَ بَعْضُهُم: لا نُصلِّي حتَّىٰ نَأْتِيهم، وقالَ بعضُهُم: بل نُصلِّي، لم يُرَدْ منَّا ذَلِكَ، فُذكر ذَلِكَ للنَّبيِّ ﷺ، فلم يُعنِّفْ واحدًا مِنْهم[(١)].

وَفِي «صحيح البخاريِّ» أيضًا أنَّ مُحمَّدَ بن أبي بكرٍ سأَلَ أنسَ بن مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهُمَا غَادِيَانِ من مِنىٰ إِلَىٰ عَرفَةَ: كَيْف كُنْتم تَصْنَعونَ في هَذَا اليَوْم مَعَ رَسُول الله ﷺ؟ فقالَ: كانَ يهلُّ منَّا المُهِلُّ فلا يُنكَرُ عَلَيه، ويُكبِّر مِنَّا المُكبِّرُ فَلَا يُنكَرُ عَلَيه[(٢)].

وقَدِ اخْتلَفَ أصحابُ رَسُول الله ﷺ في مَسَائِلَ من الفُرُوعِ، فلم يُعنِّفْ أحدٌ

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٦٥٩).

مِنهم أحدًا، ولا أَوْجبَ ذَلِكَ لومًا ولا هجرانًا ولا تَفرقةً، ثمَّ إنَّ من طَبِيعة البَشَر أَنْ يَخْتلفُوا فِيمَا سبيلُهُ الاجْتِهادُ مِنَ الأَحْكام الفَرعيَّة نظرًا لاخْتِلافِ العُقُولِ والاسْتِعْداداتِ الفِطْرِيَّةِ؛ فمِنْ أجلِ ذَلِكَ رُفِع اللَّومُ فيه.

أمَّا إذا مُسَّ الدِّينُ، واسْتُهِينَ بالعَقِيدةِ، فإنَّهم يَغْضبون كأشدِّ ما يكونُ الغضبُ حتَّىٰ ولَوْ كان عَلَىٰ أَقْربِ النَّاسِ إِلَيهم، فَقَدْ صحَّ عن ابْنِ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه لمَّا حَدَّث بقولِ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمْ امْرَأَتُهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ فَلْيَأْذَنْ لَها، لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله**»، فَقَالَ بلالٌ: واللهِ، لنَمْنَعُهُنَّ، إذًا يَتَّخِذْنَهُ دَغَلًا[١]، قال: فسبَّه سبًّا لم أَسْمَعه سَبَّه مِثلَه، وقالَ: أُحدِّثُك عَنْ رَسُولِ الله، وتَقُولُ: واللهِ لنَمْنَعُهنَّ[٢].

وقالَ في «الفتح»: «وَقَع في رِوَايةِ ابْنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ عند أحمد: فَمَا كَلَّمه عبدُ الله حتَّىٰ ماتَ»[٣].

وفي «مُسْند الإمامِ أَحْمد» أنَّ أبا بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عن الخَذْف، فأَخَذ ابْنُ عمٍّ له، فقالَ عن هَذَا، وخَذَف، فقالَ: أَلَا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ نَهَىٰ عَنْه وَأَنْتَ تَخْذِفُ، واللهِ، لَا أُكَلِّمُكَ عَزْمَةً مَا عِشْتُ، أَوْ بَقِيتُ، أَوْ نحو هَذَا[٤].

ووَقَع لعبد الله بن مُغفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع قريبٍ له في الخَذْفِ مِثْل ذلكَ، وهو في «المسند»[٥].

---

(١) الدَّغل: هو الفساد، والخلل، والخداع، والريبة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٢).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٣٤٩).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٦) (٢٠٤٨١).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٥٥) (٢٠٥٧٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصَّغير» (٦٨٧٧).

فصلٌ
في الأدلَّة مِن السُّنَّة على منع الاختلافِ وذمِّه

عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبيائِهِمْ»(١).

قَالَ الحافظُ ابْنُ رَجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذَا الحديثُ بِهَذَا اللَّفظِ خرَّجه مسلمٌ وَحْده من رِوَايةِ الزُّهريِّ، عن سَعِيد بن المسيِّب، وأَبِي سَلَمة بن عبد الرَّحمن، عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخرَّجاه من رواية أبي الزِّنادِ عن الأَعْرجِ، عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهم وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنبيائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيتُكُم عَنْ شَيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُم بأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْه مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢).

والشَّاهدُ مِنْه: النَّهيُ عن الاخْتِلافِ، وهنا يُعْتبرُ نهيًا شرعيًّا يُعارِضُه مَا أَخْبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْه من وُقُوعِ الاخْتِلافِ قَدَرًا؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وقولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه (٧٢٨٨)، ومسلم بهذا اللفظ (١٣٣٧).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٨٩).

عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قَالُوا: مَنْ هُمْ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[١]، ففِي هذهِ الآيةِ والحديثِ إخبارٌ عن الاخْتِلَافِ الكونيِّ القَدَريِّ.

ومِنَ التَّحْذيرِ مِنْ الاخْتِلافِ حديثُ العِرْباضِ بن سَارِية رضي الله عنه، قالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ الله مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْها القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنها العُيُونُ، فقُلْنا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بتَقْوىٰ الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي**... »، إلخ[٢].

وفي الحَديثِ أيضًا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»، قَالُوا: يا رَسُولَ الله، اليَهود والنَّصَارَىٰ؟ قالَ: «**فَمَنْ**»[٣].

ورَوَىٰ مسلمٌ في «صحيحِهِ» عن جندب بن عبد الله البجلي، قَالَ: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا**»[٤].

وعَنْ عَبْد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قالَ: هَجَّرتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَسَمِعَ أَصْواتَ رَجُلينِ اخْتلَفا في آيةٍ، فخَرَج عَلَينا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعْرَف في وَجْهِه الغَضَبُ، فقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الكِتَابِ**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الألبانيُّ في «صلاة العيدين» (١/ ٤٦): إسنادها حسن لغيره.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

وفي «صحيح مسلم» من حَدِيثِ سُهَيل بن أبي صالحٍ، عن أَبِيه، عن أَبِي هُرَيرة أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الله يَرْضَىٰ لكُمْ ثَلاثًا، وَيَسْخَطُ لكُمْ ثَلاثًا؛ يَرْضَىٰ لكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإِضَاعَةَ المَالِ»[1].

وأَوْرَدَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفْسير قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] قال: «أَمرَهُمْ بالجَماعَةِ، ونَهاهُمْ عن الفُرْقةِ»[2].

ورَوَىٰ أحمدُ والتِّرمذيُّ عن الحَارِثِ الأشعريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «آمُرُكُمْ بخَمْسٍ: بالجَمَاعَةِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، والجِهَادِ في سَبِيلِ الله، وَأَنَّه مَنْ خَرجَ مِنَ الجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إلَّا أَنْ يُرَاجعَ، وَمَنْ دَعَا بدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، وإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»[3].

ورَوَىٰ التِّرمذيُّ، وأبو داود، والإمامُ أحمد، وابْنُ حِبَّانَ في «صحيحه» قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلا أُخْبرُكُمْ بأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قالَ: «إِصْلاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فإِنَّ فَسادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقةُ»[4].

ورَوَىٰ البخاريُّ في «الأدب المفرد» عن أبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٢) (١٧٨٣٣)، والترمذي (٢٨٦٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٢٦٠٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٠٩)، وأبو داود (٤٩١٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٤) (٢٧٥٤٨)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٥٠٩٢) من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحِسان» (٥٠٧٠).

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، وَلا تُسْلِمُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَفْشُوا السَّلامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالبِغْضَةَ، فَإِنَّهَا هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[١].

وعَنْ مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفوعًا: «أَلا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلْبُ بِصَاحِبِهِ[٢]، لا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»[٣].

ورَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ مِثْلَ حَدِيث مُعَاوية (حَدِيث أَبِي هُريرةَ في الافْتِراقِ): «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ إِلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً...»، إلخ[٤].

ورَوَاهُ الحاكِمُ، وقالَ: «صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط مُسْلمٍ، ولم يُخرِّجاهُ، ووافقه الذَّهبيُّ»[٥].

قالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحةِ»: «قلتُ: وَفِيه نظرٌ، فإنَّ مُحمَّد بن عمرٍو

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٦٠)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ١١٨).

(٢) أي: يَتواقَعُون في الأهواء الفاسدة، ويَتَدَاعَوْن فيها؛ تَشْبيهًا بِجَرْي الفَرس. والكَلَبُ - بالتحريك -: داء معروف يعْرض للكَلْب؛ فَمن عَضَّه قَتَله. انظر: «النهاية في غريب الحديث الأثر» مادة (جرا).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢) (١٦٩٧٩)، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١): «حسن صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٣٩٩١).

(٥) «مستدرك الحاكم» (١/ ٢١٧).

لم يحتجّ به مسلمٌ، وإنَّما رَوَىٰ له مُتابعةً، وهو حَسَنُ الحديثِ، أمَّا قولُ الكَوثريِّ عن مُحمَّدِ بنِ عمرٍو: إنَّه لا يحتجُّ به إذا لم يتابع، فهُوَ من مُغَالطاتِهِ»[١].

قالَ في «عَوْنِ المَعْبودِ»: «قال شَيْخُنا: ألَّفَ الإمامُ أبو مَنْصور عبد القَاهِر ابن طَاهِر التَّميمي في شَرْح هَذَا الحديثِ كتابًا، قالَ فيه: قَدْ عَلِمَ أَصْحابُ المَقالَاتِ أنَّه ﷺ لم يُرِدْ بالفِرَقِ المَذْمُومةِ المُخْتلفِينَ في فُرُوعِ الفِقْهِ من أَبْوابِ الحَلالِ والحَرامِ، وإنَّما قَصَد بالذَّمِّ مَنْ خَالَف أهلَ الحقِّ في أُصُولِ التَّوحيدِ، وفي تَقْرير الخَير والشَّرِّ، وفي شُرُوطِ النُّبُوَّةِ والرِّسالةِ، وفي مُوَالاةِ الصَّحابةِ ومَا جَرَىٰ مَجْرَىٰ هَذِهِ الأَبْوابِ»[٢].



(١) «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤).

(٢) «عون المعبود شرح سُنن أبي داود» (١٢/ ٢٢٢).

فصلٌ
الحزبيَّة بدعة، وذمُّ السَّلف الصَّالح للبدَع

ومِمَّا سَبَق نعلمُ أنَّ الحزبيَّةَ بِدْعةٌ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ساقَها مَساقَ الذَّمِّ في مَوَاضعَ كثيرةٍ من كتابِهِ، ونَهَىٰ عَنْها رَسُولُ الله ﷺ، وحَذَّر مِنْها في أَحَادِيثَ كَثِيرةٍ، مِنْها ما كُتِبَ هنا، ومنها ما لم يُكْتَبْ، وما تَوارَد عليه كتابُ ربِّنا وسُنَّةُ نَبيِّنا من ذَمِّ التَّفرُّقِ والحِزْبيَّةِ هو ما جَرَىٰ عليه سَلفُنا الصَّالحُ من الصَّحابةِ والتَّابعين ومَنْ بَعْدهم من أئمَّةِ الدِّينِ، وإِلَىٰ القَارِئ نبذة عَنْهم:

فهَذَا أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقُولُ: «**إنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإنِّي لا أَدْري لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُوني مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُطِيقُهُ، إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا عَلَىٰ العَالَمِينَ، وَعَصَمَهُ مِنَ الآفَاتِ، فَإنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي، وَإنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي**»(١).

وهذَا عبدُ الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «**اتَّبعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ**»(٢).

وهَذَا عَبْد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «**كُلُّ بِدْعةٍ ضَلَالَةٌ، وإنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً**»(٣).

وقالَ عَبْد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، للقَوْمِ الَّذين أتىٰ عَلَيهم في المَسْجِدِ وقَدْ تَحلَّقوا، ومَعَهم حَصَىٰ يَعدُّون به التَّسبيحَ والتَّكبيرَ والتَّهليلَ، قالَ لَهُمْ: «**عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا**

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ١٤٨٣).
(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٧٤).
(٣) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٠٥).

أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحابَةُ نَبِيِّكُمْ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وآنِيَتُهُ لم تُكْسَرْ، والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ»، قَالُوا: واللهِ يا أبا عبد الرَّحمن، ما أَرَدْنا إلَّا الخيرَ، قالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ»(١).

وكَتَبَ عُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعديٍّ بن أرطأة حِينَ كَتَبَ إِلَيه يَسْتشيرُهُ فِي بَعْضِ القَدرِيَّة، فقالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فإنِّي أُوصِيكَ بتَقْوَىٰ الله، والاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ، وَاتِّبَاع سُنَّةِ نَبِيِّهِ، وتَرْكِ مَا أَحْدَثَ المُحْدِثُونَ فِيمَا قَدْ جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ؛ فَعَلَيكَ بلُزُومِ السُّنَّةِ، فَإنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَرَفَ مَا في خِلَافِهَا مِنَ الخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالحُمْقِ والتَّعَمُّقِ؛ فَارْضَ لِنَفْسِكَ بمَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كُفُوا، وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِ الأُمُورِ أَقْوَىٰ، وَبفَضْلٍ كَانُوا فِيهِ أَحْرَىٰ، فَلَئِنْ قُلْتُمْ: أَمْرٌ حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ بَعْدَهُمْ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سُنَّتِهِمْ، وَرَغِبَ بنَفْسِهِ عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الأَسْبَقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا مِنْهُ بمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي»(٢).

وعَنْ مُجاهِدٍ في قولِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قَالَ: «البدعُ والمُشْتبِهاتُ»(٣).

وعَنْ عبد الرَّحمن بن مهدي، قال: «سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنِ السُّنَّةِ، قَالَ: هِيَ مَا لا اسْمَ لَهُ غَيْرُ السُّنَّةِ، وَتَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قالَ بَكْرُ بن العَلَاءِ: يُرِيدُ - إِنْ شاء الله -

---

(١) أخرجه الدَّارمي في «سننه» (٢٠٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٠٠٥).

(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٦٤).

(٣) أخرجه الطَّبري في «تفسيره» (١٢/٢٢٩) (١٤١٦٥).

حديثَ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَّ لَهُ خطًّا، وَذَكَرَ الحَدِيثَ، فَهَذَا التَّفْسيرُ يدلُّ عَلَىٰ شُمُولِ الآيَةِ لجَمِيعِ طُرُقِ البِدَعِ، لا تَختصُّ ببِدْعةٍ دُونَ أُخرىٰ»[1].

وعَنِ الحَسَنِ قالَ: «**خَرَجَ عَلَيْنَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا يَخْطُبُ، فَقَطَعُوا عَلَيْهِ كَلَامَهُ، فَتَرَامَوْا بالبَطْحَاءِ حَتَّىٰ جَعَلْتُ مَا أُبْصِرُ أَدِيمَ السَّمَاءِ، قَالَ: وَسَمِعْنَا صَوْتًا مِنْ بَعْض حُجَر أَزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ، فَقِيلَ: هَذَا صَوْتُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ بَرِئَ رَسُولُ الله مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ، وَتَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ١٥٩].

قالَ القَاضي إسماعيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْسبه يَعْني بقولِهِ أُم المؤمنين: أُمَّ سَلَمة، وأنَّ ذَلِكَ قَدْ ذُكِرَ في بَعْض الحديثِ، وقَدْ كَانَتْ عائشةُ حَاجَّةً في ذَلِكَ الوقتِ.

قَالَ القَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَاهِرُ القُرْآنِ يدلُّ عَلَىٰ أَنَّ كلَّ مَن ابْتَدعَ في الدِّين بِدْعةً من الخَوارِجِ وغَيْرهم فهُوَ دَاخلٌ في هَذِهِ الآيَة؛ لأَنَّهم إذا ابْتَدعوا تَجادلوا، وتَخاصَموا، وتفرَّقوا، وكَانوا شيعًا»[2].

وخرَّج ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: «**عَلَيكُمْ بالعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْري مَتَىٰ يُفْتَقَرُ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ الله، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بالعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالبِدَعَ وَالتَّنَطُّعَ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بالعَتِيقِ**»[3].

والمُرَادُ بالعَتِيقِ: العِلْمُ الأوَّل الَّذي جاء عن النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ.

---

(١) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٧٧، ٧٨).

(٢) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٨٠، ٨١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩/ ٣٢٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٦٥)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٧، ١٠٨).

وعَنْه أيضًا: «القَصْدُ في السُّنَّةِ خيرٌ من الاجْتِهَادِ في البِدْعةِ»(١).

وعَنْ حُذَيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قالَ: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا»(٢).

وعَنْه أيضًا: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ النَّاسِ اثْنَتَانِ: أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْن عَلَىٰ مَا يَعْلَمُونَ، وَأَنْ يَضِلُّوا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ»، قالَ سُفيان: «وهو صاحبُ البِدْعةِ»(٣).

وخرَّج ابْنُ وهبٍ عن أبي إِدْرِيسَ الخولانيِّ، أنَّه قالَ: «لأَنْ أَرَىٰ في المَسْجِدِ نَارًا لا أَسْتَطِيعُ إِطْفَاءَهَا، أَحَبُّ إليَّ مَنْ أَنْ أَرَىٰ فِيهِ بِدْعَةً لا أَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا»(٤).

وعَنِ الفُضَيل بن عياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتَّبعْ طُرُقَ الهُدَىٰ، وَلا يَضُرُّكَ قِلَّةُ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الضَّلالَةِ، وَلا تَغْتَرَّ بكَثْرَةِ الهَالِكِينَ»(٥).

وعَنْ أَيُّوب السّختيَانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا ازْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ اجْتِهَادًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(٦).

وعَنِ ابْنِ المُبارَك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «اعْلَمْ أَيْ أَخِي، أَنَّ المَوْتَ كَرَامَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَإِلَىٰ اللهِ نَشْكُو وَحْشَتَنَا، وَذَهَابَ الإِخْوَانِ، وَقِلَّةَ الأَعْوَانِ، وَظُهُور البِدَعِ، وَإِلَىٰ اللهِ نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بهذِهِ الأُمَّةِ

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٠١)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٤٨٠١)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٨٥٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٨)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٠٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢٤)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١١٢).

(٥) انظر: «الاعتصام» (١/ ١١٢).

(٦) أخرجه ابن وضَّاح في «البدع والنهي عنها» (١/ ١٧٠)، وانظر: «الاعتصام» (١/ ١١٣).

مِنْ ذَهَابِ العُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، وَظُهُورِ الْبِدَعِ»(١).

وكَانَ إِبْراهِيمُ التَّيميُّ يَقُول: «اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي بِدِينِكَ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مِنَ الاخْتِلَافِ فِي الحَقِّ، وَمِن اتِّبَاعِ الهَوَىٰ، وَمِنْ سُبُلِ الضَّلَالَةِ، وَمِنْ شُبُهَاتِ الأُمُورِ، وَمِنَ الزَّيْغِ فِي الخُصُومَاتِ»(٢).

ومِنْ كَلَامِ عُمَر بن عَبْد العَزِيز رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذي عُني بِهِ وبحفظِهِ العُلَماءُ، وكانَ يُعْجِبُ مالكًا جدًّا، قولُه: «سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ وَوُلَاةُ الأَمْرِ مِن بعْدِهِ سُنَنًا، الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ الله، واسْتِكْمالٌ لطَاعةِ الله، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ دِينِ الله، لَيْس لأَحدٍ تَغْيِيرُها وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيءٍ خَالَفَهَا، مَنْ عَمِلَ بها مُهْتَدٍ، وَمَنِ انْتَصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيرَ سَبِيلِ المُؤْمِنينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وبِئْسَ المَصِير»(٣).

وخرَّج ابْنُ وَهْبٍ عن ابْنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّه قالَ: «مَنْ رَأَىٰ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ الله، وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، لَمْ يَدْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَ الله عَزَّوَجَلَّ»(٤).

وعَنْ أَبِي العَالِية رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: «تَعَلَّمُوا الإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بالصِّرَاطِ المُسْتَقِيم، فَإِنَّهُ الإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ»، فَحُدِّثَ الحسنُ بذَلِكَ، فقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: صَدَق ونصح.

---

(١) أخرجه ابن وضَّاح في «البدع» (١/ ١٠٢)، وانظر: «الاعتصام» (١/ ١١٥، ١١٦).

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٥٩)، و«الاعتصام» (١/ ١١٦).

(٣) «الاعتصام» (١/ ١١٧).

(٤) أخرجه الدَّارمي في «سُننه» (١٥٨)، وانظر: «الاعتصام» (١/ ١٣٥).

خرَّجه ابنُ وَضَّاحٍ وغيرُه[١]. وكانَ مالكٌ كثيرًا ما يُنشدُ:

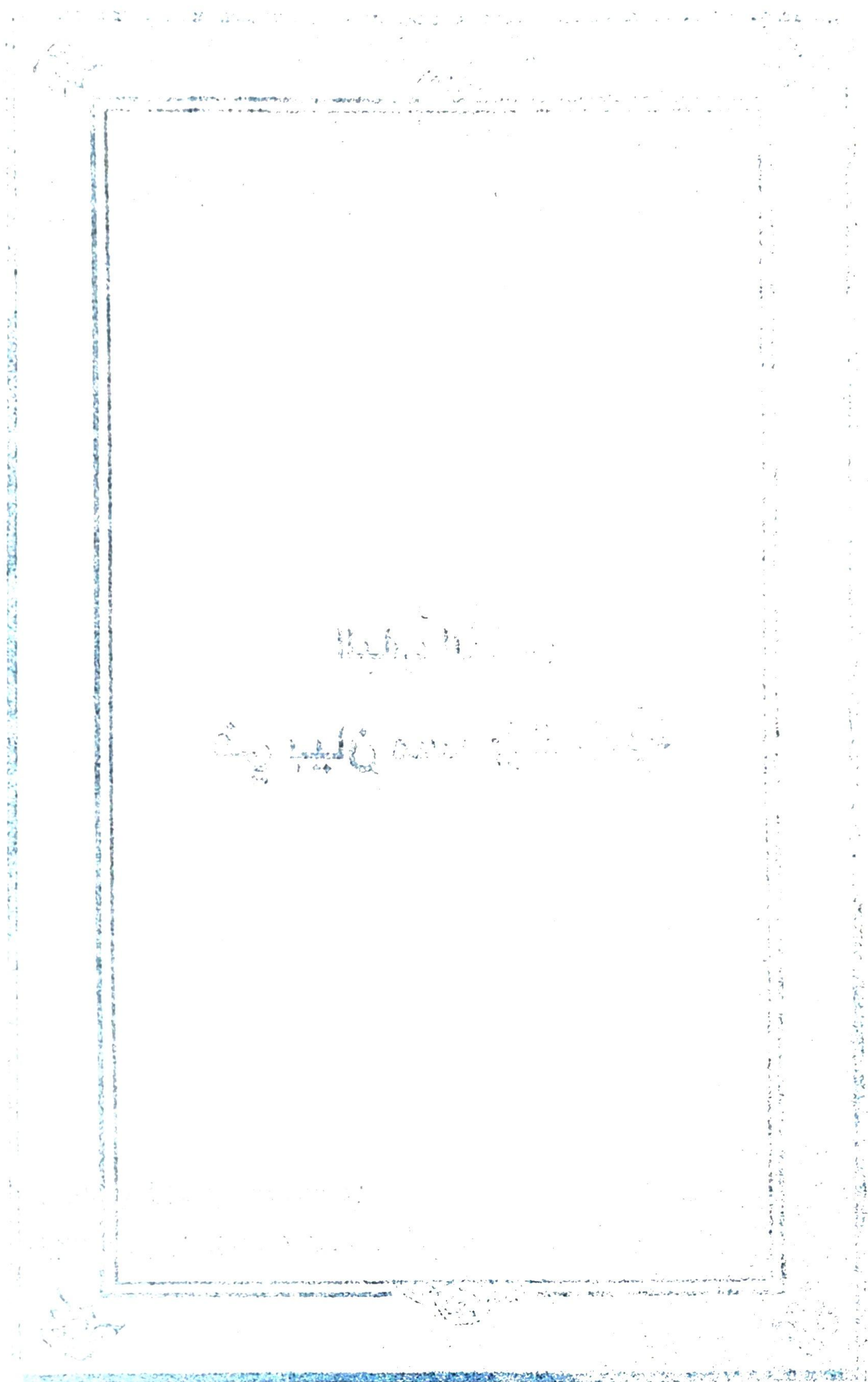
وَخَيْـرُ أُمُـورِ الـدِّينِ مَـا كَـانَ سُـنَّةً ... وَشَـرُّ الأُمُـورِ المُحْـدَثَاتُ البَـدَائِعُ[٢]



(١) أخرجه ابن وضَّاح في «البدع» (١/ ٧٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٨)، والآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (ص ١٣، ١٤)، واللَّالكائيُّ في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١/ ٥٦)، وابن بطَّة في «الإبانة» (١١/ ٢٩٩).

(٢) «الاعتصام» (١/ ١١٥).

البابُ الثَّامنُ
في بيانِ مساوئِ الحزبيَّة



الباب الثَّامن
في بيان مساوئ الحزبيَّة

لقد استَعْرَضْنَا بَعْضَ الآيَاتِ والأَحَاديثِ الَّتي نَهَىٰ اللهُ فِيهَا ورسولهُ ﷺ عَنْ الاخْتِلَافِ والتَّفرُّقِ والتَّحزُّبِ، وذمَّ أهلَ هذه الصِّفاتِ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الرُّوم: ٣١، ٣٢]، وكقولِه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكقول النَّبيِّ ﷺ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ»(١).

وقوله ﷺ: «فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢).

فهَل تَرَىٰ أَنَّ نَهْي الله عَزَّوَجَلَّ عن التَّفرُّقِ والتَّحزُّبِ والتَّشيُّعِ، وذمَّ أهل هذه الصِّفاتِ، والتَّحذير مِن طَريقتِهِم كانَ عبثًا، أو أَنْزلَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ وقالَه رَسُولهُ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) - واللَّفظ له -، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

لِيكُونَ ضَرْبًا من ضُرُوبِ التَّسلِّي، أو لِيَكُونَ حديثًا عابرًا مِن أَحَاديثِ السَّمَر؟ كلَّا، ثمَّ كلَّا، إنَّ القرآنَ كلَّه عِظَاتٌ وَعِبرٌ، وأَوَامرُ ونَواهٍ، وأَخْبارٌ عن العُصَاةِ، وعَوَاقبِ العِصْيانِ السَّيِّئة في الدُّنيا والآخِرَةِ بالإخْبارِ عمَّا يُصِيبُهم في الدُّنيا من قوارعَ واسْتِئْصالٍ، وما يَنتظِرُهم في الآخِرَةِ من عذابٍ أليمٍ، وأنواعِ انتقامٍ ونكَالٍ.

وَإِخبَارٍ عَنِ المُؤمِنِين أَهْلِ التَّصديقِ والأَعْمالِ الصَّالحةِ، ومَا يَحُوزُونه ويُحْرزونَه بإِيمَانِهم وأَعْمالِهم ومُتابَعتِهم للرُّسُل من عزٍّ ونصرٍ وفُتُوحٍ وغلبٍ وإِدَالةٍ لهم علىٰ غَيْرهم، وما سَيَلْقونه في الآخِرة، من أَمْنٍ وَاطْمِئنانٍ وفرحٍ واستبشارٍ وعيشةٍ راضيةٍ في جنانٍ عاليةٍ، قُطُوفُها دانيةٌ، ونِعَمُها متواليةٌ، يَبْقون فيها بقاءَ الأَبدِ، ويَخْلدُون فيها بِلَا انْقِطاعٍ ولا زوالٍ، فيها ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سَمِعتْ، ولا خطَر علىٰ قلْبِ بشرٍ، ما هي إلَّا ريحانةٌ تهتزُّ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ ناضجةٌ، وقصرٌ مشيدٌ، وأزواجٌ حسانٌ؛ لأَنَّهم آمَنُوا بالله وصَدَّقوا المُرسلين.

وقَدْ تَبيَّن مِمَّا ذكر أَنَّ نَهي الله عَزَّوَجَلَّ عن الحِزبيَّةِ والتَّحزُّبِ، والفُرْقةِ والتَّفرُّقِ، لم يكن إلَّا ليُعلِمَ اللهُ عِبادَه بما فيها من الشَّرِّ المُؤكَّدِ، والفَشَلِ المُرْتقبِ، والعَداوةِ المُنْتظرةِ بَيْن مَن أَمَرَهم الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَكُونوا أُمَّةً واحدةً، وحزبًا واحدًا، يَعْبدُون ربًّا واحدًا، ويَتَّبعون رَسُولًا واحدًا، ويَتَّجهون إِلَىٰ قِبْلةٍ واحدةٍ، ويَدينُونَ بدينٍ واحدٍ، وتَرْبطهم رابطةٌ واحدةٌ، هي رابطة الدِّينِ.

ومِمَّا يُؤكِّد هذا المعنَىٰ، ويدلُّ علىٰ أنَّ التَّفرُّق ما زالَ ممقوتًا ومحذورًا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وعلىٰ لسانِ كلِّ نبيٍّ وحكيمٍ: إخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن هَارُون عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال لأَخِيه مُوسَىٰ حِينَ عاتَبه عِنْد رجوعِه من الطُّور، فوَجد قومَه قد عَبَدوا العجلَ، فقالَ كما حكىٰ اللهُ عَنْه في سورة (طه): ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ

ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤].

فَقَدْ حذَّر هَارُون من التَّفرقةِ، وخَافَها عَلَىٰ قومِهِ، وخاف أنَّ أخاه يَلُومه عَلَيها.

وروَىٰ عَبْد الله بن أحْمد بن حنبل، عن عَبْد الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّه قالَ: قَدِمَ عَلَىٰ عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلٌ، فجعَل عُمَرُ يَسْأَله عن النَّاسِ، فقَالَ: يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ، قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ مِنهم كَذَا وكَذَا. قال ابْنُ عَبَّاسٍ، فقُلتُ: واللهِ، ما أُحِبُّ أنْ يَتَسَارَعُوا في القُرآنِ يَوْمهم هَذِهِ المسَارَعَةَ، قَالَ: فزَجَرَنِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ قالَ: مَهْ، فانطَلَقْتُ إلَىٰ مَنْزلي مُكْتَئِبًا حَزينًا، فبَيْنا أنَا كَذَلِكَ، إذْ أتَاني رَجُلٌ، فقالَ: أَجِبْ أميرَ المُؤمِنين. فخَرَجتُ، فإذَا هو بالبابِ يَنْتظِرُني، فَأَخَذَ بِيَدي، فخَلَا بي، فَقَالَ: ما الَّذي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ آنِفًا؟ فقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِين، مَتَىٰ يَتَسارَعُوا هَذِهِ المُسَارعة يَحْتَقُّوا[1]، ومَتَىٰ يَحْتَقُّوا يَخْتَصِمُوا، ومَتَىٰ يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا، وَمَتَىٰ يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا، قَالَ: لله أَبُوكَ، إنْ كُنْتُ لَأَكْتُمُهَا النَّاسَ حَتَّىٰ جِئتَ بِهَا»[2].

قلتُ: ما أَشبهَ اللَّيلةَ بالبارحة، إنَّ الاختلافَ الَّذي خَافَه عبدُ الله بن عَبَّاسٍ ووَافقه عَلَيه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أُمَّةِ مُحمَّدٍ قَدْ وَقَع، ثمَّ وَقَع، ثمَّ وَقَع، وما تَفرَّقتْ أُمَّةُ مُحمَّدٍ شِيَعًا وأَحزابًا كمَنْ سَبقَهم إلَّا بسَببِ الاخْتِلافِ، وكَانَ أَوَّل خلافٍ وَقَع في هَذِهِ الأُمَّةِ هو خِلافُ الخَوارِجِ، ثمَّ خِلَافُ الرَّوافضِ بقِيَادة زَعِيمِهم عبد الله بن السَّوداء الَّذي زَعَم لهم أنَّ عليًّا لم يَمُتْ، وأنَّه في السَّحَابِ، ثمَّ خلافُ القَدَريَّةِ، ثمَّ المعتزلة، ثمَّ المُرْجئة، ثمَّ الجَهْميَّة.

(١) أي: يَدَّعي كلُّ واحدٍ منهم أنَّ الحقَّ معه.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «السُّنة» (ص ١٣٥، ١٣٦).

والشَّاهدُ من هَذَا الأثرِ: أنَّ المُحاقَّةَ موجبةٌ للاخْتِلافِ، ومَعْنىٰ المحاقَّة: أنَّ كلَّ واحدٍ من المُتَخاصمين يقولُ: الحقُّ مَعِي، وهي مَعْنىٰ قولِهِ: يَحْتقُّوا، ومَتَىٰ يَحْتقُّوا: يَخْتلفوا، ومَتَىٰ اخْتلَفوا اقْتتَلوا، إمَّا بالألْسُنِ والأقْلامِ، وإمَّا بالأيْدي والسُّيُوفِ، وما كِتابتُك هَذِهِ إلَّا من حَصَادِ الاخْتِلافِ وشُؤْم الحِزْبيَّةِ الَّتي نَهَىٰ الشَّرعُ عَنْها[1]، وما زَالَ المُحققُونَ من أَهْلِ العِلْم يَنْهَون عَنْها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، يَنْهون عَنْها لما يَعْلمون فِيهَا من نتائجَ سَيِّئةٍ.

قالَ شَيْخ الإِسْلامِ ابْنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفَتَاوىٰ»: «ولَيْس للمُعلِّمين أَنْ يُحزِّبُوا النَّاسَ، ويَفْعلُوا ما يُلْقي بَيْنهم العداوةَ والبَغْضاءَ، بَلْ يَكُونوا مِثْل الإِخْوةِ المُتعَاونينَ عَلَىٰ البرِّ والتَّقوىٰ؛ كما قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ولَيْس لأحدٍ مِنهم أنْ يأخُذَ علىٰ أحدٍ عهدًا بموافقتِه علىٰ كلِّ ما يُريدُه، ومُوَالاة مَنْ يُواليه، ومُعَاداة مَنْ يُعاديه، بل مَنْ فعل هذا كان مِن جِنْس جنكيزخان وأمْثالِه الَّذين يَجْعلون مَن وَافقَهم صديقًا مواليًا، ومَن خَالَفهم عدوًّا باغيًا، بل عليهم وعلىٰ أَتْباعِهم عَهْد الله ورسولِه بأَنْ يُطيعُوا اللهَ ورسولَه، ويَفْعلوا ما أمرَ اللهُ ورسولُه، ويُحرِّموا ما حرَّمَ الله ورسولُه، ويَرْعَوا حُقوقَ المُعلِّمين كما أمَرَ اللهُ ورسولُه، فإنْ كان أستاذُ أحدٍ مَظْلومًا نصرَه، وإنْ كانَ

(١) أشير بقولي: «وما كتابتك هذه إلَّا من حصاد الاختلاف وشؤم الحزبية» إلىٰ تلميذٍ من تلامذتي، وطالب من طلَّابي، انتظم في بعض المناهج المستوردة للدَّعوة، ومن أجل أنَّا كنَّا ننصحه أنا وبعض الإخوة هو ومَنْ كان معه، فقد كتَب إلينا كتابةً اتهمَنا فيها بما ليس فينا، ونالَ مِن أعراضِنا بما سنحاكمُه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فيه.
وأنا حينما أقولُ: تلميذ من تلامذتي، وطالب من طلَّابي، لم أقصدْ بذلك افتخارًا كما علم الله، وإنَّما أردت أن أبيِّن أنَّ الحزبيَّةَ شرٌّ، وتفريقٌ، وشتاتٌ، وأنَّها إذا فرَّقت بين التِّلميذ وشيخه، وجعلت التِّلميذَ يكنُّ العداوة الشَّديدة لشيخِهِ الَّذي له عليه فضلُ التَّربية، فإنَّها ستفرِّق بين غيرهما مِن باب أَوْلىٰ.

ظالمًا لَمْ يُعاونْهُ علىٰ الظُّلْمِ، بل يَمْنعُه مِنْه كما ثبتَ في الصَّحيح أنَّه ﷺ قالَ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قيل: يا رَسُولَ الله، أَنْصره مَظْلومًا، فكيفَ أَنْصرُه ظَالمًا؟ قالَ: «**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ**»[1].

وإِذَا وَقَع بين مُعلِّمٍ ومُعلِّمٍ، أو تلميذٍ وتلميذٍ، أو مُعلِّمٍ وتلميذٍ خُصُومةٌ ومُشَاجرةٌ، لم يجُز لأَحدٍ أنْ يُعِينَ أحدَهما حتَّىٰ يَعْلمَ الحقَّ، فلا يُعَاونُه بجهلٍ ولا بهَوًىٰ، بل يَنْظرُ في الأمْر، فإذا تَبيَّن له الحقُّ، أَعانَ المحقَّ منهما علىٰ المُبطل؛ سواء كانَ المحقُّ من أَصْحابِهِ أو أَصْحابِ غَيْره، وسواء كان المُبطل من أصحابِهِ أو أَصْحابِ غَيْره، فيكونُ المَقْصودُ عِبادةَ الله وَحْده، وطاعةَ رسولِه، واتِّباع الحقِّ، والقِيَام بالقسطِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النِّساء: ١٣٥].

يُقال: لَوَىٰ لِسانَه إذَا أَخْبرَ بالكَذِبِ. والإعراضُ: أنْ يَكتمَ الحقَّ، فإنَّ السَّاكتَ عن الحقِّ شيطانٌ أَخرسُ، ومَنْ مالَ مع صاحبِهِ؛ سواء كان الحقُّ له أو عليه، فقَدْ حكَمَ بحُكْم الجاهليَّة، وخَرَج عن حُكْم الله ورَسُولِه ﷺ.

والواجبُ عَلَىٰ جَمِيعهم أَنْ يَكُونوا يدًا واحدةً مع المُحِقِّ علىٰ المُبْطلِ، فيَكُون المُعظَّمُ عِنْدهم مَنْ عَظَّمه اللهُ ورسولُه، والمُقدَّمُ عندهم مَنْ قدَّمه اللهُ ورَسُولُه، والمحبوبُ عِنْدهم مَنْ أحبَّه اللهُ ورسولُه، والمُهانُ عندهم مَنْ أهانَه اللهُ ورسولُه؛ بحسَب ما يُرْضي اللهَ ورسولَه، لا بحسَب الأَهْواءِ، فإنَّه مَنْ يُطِعِ اللهَ

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٩٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورسولَه فَقَدْ رشَد، ومَنْ يَعْص اللهَ ورسولَه، فإنَّه لا يضرُّ إلَّا نفسَه.

فهذا هو الأَصْلُ الَّذي عليهم اعتمادُه، وحينئذٍ فلا حَاجَة إلَىٰ تَفرُّقهم وتَشيُّعهم، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وإذَا كانَ الرَّجلُ قَدْ علَّمه أستاذٌ عَرَف قَدْر إحسانِه إليه، وشكره، ثمَّ ساقَ كلامًا فِي هذا المَعْنَىٰ، ثمَّ قالَ: وإذا اجْتَمعوا علىٰ طاعةِ الله ورسولِه، وتَعاونوا علىٰ البرِّ والتَّقْوىٰ، لم يكنْ أحدٌ مع أحدٍ في كلِّ شيءٍ، بَلْ يكونُ كلُّ شخصٍ مع كلِّ شخصٍ فِي طاعةِ الله ورسولِه، ولا يَكُونونَ مع أحدٍ في مَعْصية الله ورسولِه؛ بل يَتَعَاونونَ علىٰ الصِّدقِ، والعدلِ، والإحسانِ، والأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنْكر، ونَصْرِ المَظْلُومِ، وكُلِّ ما يحبُّه اللهُ ورسولُه، ولا يَتعاونون علىٰ ظُلمٍ، ولا عصبيَّةٍ جاهليَّةٍ، ولا اتِّباع هوًىٰ بدُونِ هُدًىٰ مِن الله، ولا تفرُّق، ولا اخْتِلاف». اهـ[١].

فدُونَك هذا المَقْطع من كلام هذا الحَبْرِ العَظِيمِ، والمُربِّي المَاهِر، والعالم المُحقِّق العَارف بالسُّنَّةِ وما يُنَافيها، والبِدْعة ومَا يُدانيها ويَدْخل فيها.

تأمَّل كلامَه تَرَ فيه التَّحْذيرَ من الانْتِماءاتِ والحِزْبيَّاتِ؛ لما فيها من التَّنافر والافْتِراقِ والتَّشتُّتِ، والانْقِسامِ المُؤدِّي إلىٰ التَّباغضِ والشِّقاقِ.

وبَارَك اللهُ في الشَّيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، فلَقَدْ كَتَب عن مَضَارِّ الحِزْبيَّةِ وعُيُوبِها وسلبيَّاتها ما يَزِيد علىٰ أَرْبعينَ مَضرَّةً.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٥ - ١٩).

وسَأُسجِّل في هَذِهِ العُجالة ما يَسَّره اللهُ لي، وعليه التُّكلان:

أوَّلًا: أنَّ الحزبيَّةَ بِدْعةٌ مُنكرةٌ لما سبَرناه من النَّهي عَنْها في القُرآنِ الكَرِيم والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وكلام السَّلفِ رضوان الله عليهم.

ثانيًا: ذمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الحِزبيَّةَ والتَّحزُّب، وذمَّها رَسُولهُ ﷺ، وذمَّها سَلَفُ الأُمَّةِ الَّذين عرَفوا الإسلامَ معرفةً حقيقيَّةً؛ لأنَّها خُرُوجٌ علىٰ وحدةِ الأُمَّةِ الإسلاميَّة الَّتي أَمَرَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن تكونَ أُمَّةً واحدةً، فقَالَ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وَانْقِسامٌ مِنْها، وتجزئةٌ لَها، ومُسَاهمةٌ في إضْعَافها.

ثالثًا: أنَّ المُنْتمينَ إِلَىٰ الحِزْبيَّاتِ والأحزابِ يَجْعلون حِزْبَهم هو مِحْورُ الوَلَاءِ والبَراءِ، والحبِّ والعداءِ، وذَلِكَ مُشاقَّةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ، ومُحادَّةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ حيثُ جَعَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ محورَ الوَلَاءِ والبَراءِ هُوَ الإيمانُ بالله ورَسُولِهِ ﷺ، قالَ تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثمَّ يَأْتي قائدُ جماعةٍ في فِكْرٍ مُعَاصرٍ، فيُقعِّد قاعدةً تتنافَىٰ مَعَ هَذِهِ الآية ومَا في مَعْناها من آياتِ الوَلَاءِ والبَراءِ، فيَقُول: «نَجْتمعُ فيما اتَّفقْنَا فيه، ويَعْذرُ بَعْضُنا بعضًا فيما اخْتلفْنَا فيه»(١).

---

(١) قال العلَّامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقولهم: «نجتمعُ فيما اتَّفقنا فيه»، فهذا حقٌّ، وأمَّا قولُهم: «ويَعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، فهذا فيه تفصيلٌ: ما كان الاجتهاد فيه سائغًا، فإنَّه يعذرُ بعضُنا بعضًا فيه، ولكن لا يجوز أن تَختلف القُلوبُ مِن أجْل هذا الخلاف.

=

قالَ الشَّيْخُ بكرُ بن عبد الله أبو زيد في «حُكْم الانتِماءِ»: «وهَذَا تَقْعيدٌ حادثٌ

=

أمّا إذا كانَ الاجتهاد غير سائغ، فإنّنا لا نَعذُر مَنْ خالف فيه، ويجب عليه أنْ يخضع للحقِّ. فأوَّل العبارة صحيح، وأمَّا آخرها فيحتاج إلىٰ تفصيل». انظر: «الصَّحوة الإسلاميَّة، ضوابط وتوجيهات» (١/ ٢١٨).

وقال مُجيبًا علىٰ سؤال وَرد إليه عن هذه العبارة: «هذه القاعدة الذَّهبيَّة ليست قاعدة ذهبيَّة، ولا تستحقُّ أن تكونَ قاعدةً، بل ما اتَّفقنا فيه فهو مِن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ، والاتِّفاق خيرٌ مِن الاختلاف، وما اختلفْنا فيه فقدْ يعذُرُ فيه المُخالف وقدْ لا يعذرُ، فإذا كانَ الاختلاف في أمرٍ يسوغ فيه الاختلاف، فهذا لا بأسَ به.

ولا زال الأئمَّة يختلفون؛ فالإمام مالكٌ، والشَّافعيُّ، وأحمدُ، وأبو حنيفة كلُّهم يختلفون.

وأمَّا إذا كانَ الخلافُ لا يعذر فيه؛ كالخِلاف في العقائد، فإنَّه لا يعذرُ بعضُنا بعضًا، بل الواجب الرُّجوعُ إلىٰ ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فعلىٰ المُرجئة، وعلىٰ الشِّيعة، وعلىٰ كلِّ مُبتدعٍ أنْ يرجع إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، ولا يُعذَرُ، فهذه القاعدة ليست قاعدةً ذهبيَّةً، ولعلَّك تسميها قاعدة خشبيَّةً.

عرفت الآن الَّذي يسوغ فيه الاجتهاد، هذا لا بأسَ أنْ نسمح للمُخالف، والَّذي لا يسوغ فيه الاجتهاد كمسائل العقائد الَّتي يُخالف فيها الإنسان السَّلف لا يمكن أن يعذرُوا». «سلسلة لقاء الباب المفتوح»: (شريط ٧٥).

وقال العلَّامةُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في رَدِّه علىٰ مَنْ يقولُ بهذه العبارة: «هم أوَّلُ مَن يُخالِفُ هذه الفقرة، ونحن لا نشكُّ بأنَّ شطرًا مِن هذه الكلمة صوابٌ، وهو: (نتعاوَن علىٰ ما اتَّفقْنا عليه)، الجملةُ الأُولىٰ هي - طبعًا - مُقتبسةٌ مِن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

أمَّا الجملةُ الأُخرىٰ: (يَعذرُ بعضُنا بعضًا)، لا بدَّ مِن تقييدها... متىٰ؟ حينما نتناصح، ونقول لمن أخطأ: أخطأتَ، والدَّليل كذا وكذا، فإن رأيناه ما اقتنع، ورأيناه مخلصًا، فندعه وشأنه، فنتعاون معه فيما اتَّفقنا عليه.

أمَّا إذا رأيناه عانَد واستكبر، وولَّىٰ مُدبرًا، فحِينَئذٍ لا تَصحُّ هذه العبارة، ولا يَعذرُ بعضُنا بعضًا فيما اختلفْنا فيه». «مجلَّة الفُرقان التُّراثيَّة» العدد: (٧٧).

وقد سُئل فضيلةُ الشَّيخ عبيد الجابري حفظه الله: «ما رأيُكم فيمَن يقولُ: نجتمعُ فيما اتَّفقْنا عليه، ويَعذُر بعضُنا بعضًا فيما اختلفْنا فيه، وبطريقةٍ أخرىٰ: وحدة الصَّفِّ لا وحدة الرَّأي؟

فأجابَ حفظه الله: أقولُ: ليعبِّروا ما شاؤُوا، فهذه العِبارةُ الَّتي تَضمَّنها السُّؤال وما يرادفها من العبارات، هي مِن عبارات أهل الأهواء؛ مِن إخوانيَّةٍ وغيرها؛ وهي قاعدةُ المعذرة والتَّعاون الَّتي كانت قاعدة للمنار أوَّلًا، ثمَّ صارتْ من بعدُ قاعدةً للإخوان المسلمين (جماعة الإخوان الَّتي أسَّسها حسنٌ البنَّا، قبل نحو ٧٠ أو ٨٠ سنة في مصر)». مِن شريطٍ بعُنوان: «الإيضاح والبيان في كشف بعض طرائق الإخوان».

فاسدٌ، إذْ لا عُذْرَ لمَنْ خَالفَ في قَواطِعِ الأَحْكامِ، فإنَّه بإجماعِ المُسْلمينَ لا يَسُوغُ العذرُ ولا التَّنازلُ عن مُسلَّماتِ الاعتقادِ، وكَمْ من فُرْقةٍ تنبذ أصلًا شرعيًّا، وتجادلُ دُونَه بالباطل»(١). اهـ.

قلت: هذا هو الفهْمُ للإسلام، لا ما سلكه بعضُ الزُّعماءِ في العملِ الإسلاميِّ من سياسةِ التَّجميعِ والتَّكْثيرِ لقومٍ عَقائدُهم مختلفةٌ، واتِّجاهاتُهم مُتبايِنةٌ، وقَناعاتُهم مُتضادَّةٌ؛ فماذا كان؟ ! إنَّهم مَازَالوا مُنْذ ما يُقَاربُ تِسْعينَ سنةً يَدُورُونَ في حَلْقةٍ مُفْرَغةٍ.

رابعًا: يَلْزم من الحِزْبيَّةِ اتِّخاذُ المُبْتدعين أئمَّةً يُحتَذىٰ قَوْلهم، ويُقتَدىٰ بأَفْعالِهم، ويُتَّخذون قُدْوةً وأُسْوةً، ويَكُونُ قَوْلهم وتَقْعيدهم وتَنْظيرهم مُسلَّمًا، وإنْ خَالفَ الحقَّ، وتِلْك - واللهِ - هي قَاصِمةُ الظَّهْرِ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١]، وسَبَبُ نُزُول هذه الآيةِ وما بَعْدها: أنَّ أبا بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما تَمارَيا عند رَسُولِ الله ﷺ حِينَ قَدِم وَفْدُ تميم فيمَنْ يُؤمِّر رَسُولُ الله ﷺ عَلَيهم، فأَشَارَ أَبُو بكرٍ بالأَقْرع بن حابسٍ، وأَشارَ عُمَرُ بالقَعْقاع بن معبد بن زرارة، فقَالَ أَبُو بكرٍ لعُمَرَ: ما أردتَ إلَّا خِلَافي، وقالَ عُمَرُ: ما أردتُ خِلافَك، فَتمارَيا عند رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ ارْتَفعَتْ أَصْواتُهما، فأَنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحُجرات: ١، ٢].

---

(١) «حكم الانتماء إلىٰ الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية» (ص ١٤٩).

فأدَّبَ الله عَزَّوَجَلَّ عِبادَه المُؤْمِنِين أنْ يَتقدَّموا بَيْن يدي رَسُوله ﷺ.

رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه»[1] عن مجاهدٍ تعليقًا: «﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾: لَا تَفْتاتوا علىٰ رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ يَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ».

قالَ الحَافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَصَلَه عبدُ بن حُميدٍ من طريق ابن أبي نَجِيح عن مُجَاهِدٍ»[2]. اهـ.

وقَدْ أدَّبَ اللهُ عِبادَه المُؤْمِنِينَ أنْ يُقدِّموا آراءَهم عَلَىٰ حُكْمِه، وأَقْوَالهم عَلَىٰ قولِه، أو يُقدِّموا أحدًا سِوَىٰ أَنْفسِهم عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ، فيُقدِّمُوا حُكْمَه عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، أو قَوْلَه عَلَىٰ قولِهِ، أو هَدْيَه عَلَىٰ هَدْيِهِ، وقَدْ تَوعَّد اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ فَعَل ذَلِكَ بإحباطِ العمل؛ لهذا فَقَدْ رَوَىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن ابن أبي مُليكة أنَّه قالَ: «كَادَ الخَيِّرانِ أَنْ يَهْلِكَا»[3].

قلتُ: لَيْت مَنْ يَتَّخذون فُلانًا وعِلَّانًا قُدْوةً لهم - يَأْخذون أَقْوالَهم بلا دليلٍ، ويجعلونها أُصولًا يُبنَىٰ عليها - يُرَاجِعونَ أَمْرَهم قَبْل فَواتِ الأَوَانِ، وقَبْل أن يَأْتي تَأْويلُ قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفُرقان: ٢٧، ٢٨]، وهاتانِ الآيتانِ وإنْ كانَتا قَدْ نَزلَتا فيمَن رفَض شَرْعَه رفضًا كليًّا إلَّا أنَّ مَنْ رفَض بعضَ شَرْعه رفضًا جزئيًّا سينالُه نصيبٌ مِنْها، ولا سِيَّما إذَا كانَ المَرْفوضُ هُوَ مِنْ أُصُولِ الدِّين وقَواعِدِه، أو قُلْ: هي الأُسُسُ والقَواعدُ الَّتي يكونُ مِنْها المَبْدأ، وعلَيها المدارُ،

(١) في تفسير سورة (الحجرات) (٨/ ٥٨٩ الفتح).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٤٥).

ومن خِلَالِها المُنْطلقُ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعونَ.

وبإلْقاءِ نَظرةٍ علىٰ الفئاتِ المُبْتدعةِ، نَراهُمْ جميعًا قَدِ اتَّفقوا كلُّهم عَلَىٰ شيءٍ واحدٍ، وإنِ اخْتلَفَتْ مَشاربُهمْ، وتَبايَنتْ عَقائدُهم، اتَّفقوا كلُّهم علىٰ نَبْذِهِم الكتابَ والسُّنَّةَ الَّتي أَمَر اللهُ باتِّباعها، وجعَل النَّجاة في اقْتِفائِها، فقالَ جلَّ مِن قائلٍ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

فأَصْحابُ الحِزْبيَّاتِ والعَقَائدِ المُبْتدعةِ قَدِ اتَّفقوا عَلَىٰ نَبْذِ السُّننِ، وجَعَلوا تَأصِيلاتِ شُيُوخِهمْ هي الأَصْل؛ فمثلًا المُعْتزلةُ قَدْ عطَّلوا القَدَر، وأَنْكَروا رؤيةَ الله في الآخِرَةِ، وزَعَموا أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، مُسْتَندينَ في ذَلِكَ إِلَىٰ ما أَصَّله شُيُوخُهمْ.

والجَهميَّة عَطَّلوا الصِّفاتِ الثَّابتةَ في الكتابِ والسُّنَّة فرارًا من لُزُوم المُشَابهةِ بَيْن الخالِقِ والمَخْلوقِ - كما زعموا -، وقُلْ في الأَشَاعرةِ وفي سَائِر الطَّوائفِ المُبْتدعةِ مثلَ ذَلِكَ، وإذا نَظرتَ إِلَىٰ السَّببِ الَّذي من أجلِهِ رَدُّوا النُّصُوصَ، تجد أنَّها هي الشُّبهةُ الَّتي أَخَذوها عن شُيُوخِهم، وزَعْمهم أنَّ شُيُوخَهم أَعْلَمُ بالحقِّ مِنهم، وهَكَذا الأحزابُ المُعَاصرةُ إِذَا سَبَرنا حَالَهم، نجد أنَّ السَّببَ عِنْدهم هُو السَّببُ الَّذي حَملَ المُعْتزلةَ والخوارجَ والجهميَّةَ والأشعريَّةَ عَلَىٰ أَخْذهم تَقْعيد شُيُوخِهم عَلَىٰ أنَّه هو الأصلُ، وما عَدَاه فمَشْكوكٌ فيه، يَتبيَّن ذَلِكَ من الآتي:

خامسًا: أنَّ الحزبيَّة تقومُ عَلَىٰ التَّسْليم بآراء الجَماعَةِ، وتَوْزيعها ونَشْرها، وجَعْلها قطعيَّةَ الثُّبوتِ غير قابلةٍ للنَّقدِ والنِّقاشِ، فالمُؤسِّسونَ لها أَجَلُّ مِن أَنْ يُنتَقدوا، وأَكْبر من أَنْ يخطئوا في نَظَر أَتْباعِهم، فيَتَّخذونهم بذَلِكَ أَرْبابًا ومُشرِّعينَ، ويَنْطبق عَلَيهم قولُ الله تَعالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١].

وفي حَدِيثِ عَديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه دَخل علَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عُنُقِ عديٍّ صليبٌ من فضَّةٍ - وذَلِكَ حين قَدِم عليه أوَّل قدمةٍ - ورَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: فقلتُ: إنَّهم لَمْ يَعْبدوهُمْ. قالَ: «**بَلَىٰ، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِم الحَلَالَ، وأَحَلُّوا لَهمْ الحَرَامَ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»(١).

ولقَدْ خَبَرنا أصحاب الحِزبيَّات خبرةَ تجربةٍ ومعرفةٍ لِوَاقِعهم بسَببِ احْتِكاكِنا بِهِم، فوَجَدناهُمْ يَأْخذون ما جاءَ من قادةِ حِزْبهم ومُؤسِّسيه والمُنظِّرينَ فِيه بِمِنْظَارِ الحَصَانةِ عَنِ النَّقْدِ، ولو انْتَقد أحدٌ من خَارج حِزْبهم عَادَوْه، وجَعَلوا نَقْدَه ظُلمًا وتَجنِّيًا، حتَّىٰ ولَوْ كانَ نقدًا في الصَّميمِ، وأُذكِّر بهذِهِ المُناسبةِ أنَّه لمَّا انْتَشر كتابُ: «وَقَفات مع كتاب للدُّعَاة فقطْ» لمُحمَّد بن سيف العجمي، أخذتُ نسخةً منه، وأعطيتُها لواحدٍ من المُنْتمِينَ إِلَىٰ جَماعة الإِخْوان رجاءَ أن يَتأثَّر به، ويَرَىٰ ما فيه من نَقْدٍ للاتِّجاه الإِخْوانِي مُدعَّمًا بأرقامٍ مِن كُتُبهم، ولمَّا ناولتُه، عَلَّقتُ عليه تعليقةً بسيطةً مُثْنيًا عَلَىٰ صَاحِبِ الكتاب أنَّه بَذَل جُهدًا في تَتبُّع أَخْطاءِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٦)، وعزا الحديث إلىٰ أحمد، والترمذي، وابن جرير الطبري، وهو عندهم: ففي الترمذي (٣٠٩٥)، وفي «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٤)، وفي «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ١٠٦) (٤٧١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٩٢)، (٢١٨، ٢١٩)، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (١٠/ ١١٦)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢٣/ ١١٩، ح ٤٦٩٥)، ونِسْبَتُهُ «المسند» وهمٌ، فليس هو فيه، ولا في «أطرافه» للحافظ ابن حجر المسمىٰ «إطراف المُسنِد المعتَلِي بأطراف المسند الحنبلي»، ولما أورده الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤)، ولَمْ يعزه لمسند أحمد. محمد بن هادي.

الإِخوانِ مِن كُتُبهم، وبالأخصِّ الأَخطاء في العقيدةِ مُبيِّنًا اسْمَ الكِتَابِ الَّذي وَرَدتْ فِيهِ، ورقم الصَّفحة، لكنَّ الرَّجلَ عَبَس وبَسَر، وقلَّب فيّ النَّظَر، مُسْتغربًا للأمر الَّذي بَدَر، وأَخذ يُحاوِرُني في المَنْهجِ الإخوانيِّ قليلًا، ثمَّ ذَهَب، وبَعْد بِضع سنواتٍ ظَهَر كتابُ «جلسات» لجاسم مهلهل، فَوَصَلتْ إليَّ نسخةٌ منه، فقرأتُها مُتأمِّلًا ومستغربًا، هل سيرد عَلَىٰ العجمي شيئًا من ذَلِكَ الكَلَامِ، وتِلْك الأرقام، ويُكذِّبه فيه، ولكنِّي بعد أَنْ قرأتُ كتابَ «جلسات» من فاتحتِهِ إِلَىٰ خاتمتِهِ، لم أره ردَّ شيئًا من الحَقَائقِ الَّتي سَاقَها مُحمَّد بن سيف العجمي، جَزَاه الله خيرًا.

وبَعْد ذَلِكَ لقيتُ صاحبي الَّذي شمخر من كتاب «وقفات» لكونِهِ نَقَد رُؤسَاءَهم فِيمَا كَتَبوا، وبيدِهِ بضع نُسَخٍ من كتاب «جلسات» يُوزِّعها، فنَاوَلني نُسْخةً مِنْها وهو يَضْحكُ فرحًا وسرورًا، يكادُ يَطِيرُ فرحًا، وظنَّ أَنَّها لم تَصِلْني، وحَسِبَ أَنَّهم انْتصرُوا علىٰ العجميّ، فقلتُ في نَفْسي: قاتلَ اللهُ الجهلَ.

أقول هذا وأنا لا أعرفُ العجميّ ولا المهلهل، ولكنِّي عرفتُ الحقَّ، والحَمْدُ لله.

وقَدْ أَخْبرنِي رئيسُه فيما بَعْدُ ولم يُسمِّه، فقالَ: أعطيتُ أحدَ الإِخْوان نُسْخةَ من كتاب «وقفات»، فجاءَ بها إليَّ، وقال: هَذَا الكتابُ أَعْطاني فلانٌ ولم أَقْرأه، وأُؤكِّد أنَّ الرَّئيسَ والمَرْؤوسَ كِلَاهُما من طُلَّابي، فبدَل ما يَأْخذون كتابَ العجمي والمهلهل ويَأْتون بهما إليَّ، ويَسْتشيروني فيهما، بدلًا من هَذَا وَقفوا من كتاب العجمي مَوْقفَ العداءِ لأَوَّل مرَّةٍ، وأَخذوا كتابَ المهلهل عَلَىٰ أَنَّه الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه، وإذا نَظَرنا في السَّببِ الحامِلِ لهم علىٰ ذلكَ، لا نجدُ شيئًا سِوَىٰ أَنَّ هَذَا يَتخاطبُ مَعَهم من دَاخِلِ دَائِرة الحزبِ، وذلكَ يَتخَاطبُ مَعَهم من

خَارِجها، وما جاءَ مِن داخل الحزبِ فهو الحقُّ عِنْدهم الَّذي لا شكَّ فيه، يجبُ أن نُغمضَ أعْيُننا ونأخذَهُ كما نأخذُ الدَّواءَ مُعْتقدينَ فيه النَّفعَ وإنْ كان مُرًّا، فالحِزْبيَّةُ تَجْعل المُرَّ حُلْوًا، والباطلَ حقًّا، وهذا أكبرُ دليلٍ عَلَىٰ أنَّ الحِزْبيَّةَ شرٌّ، وأيُّ شرٍّ.

وَلْيَعْلم الَّذين يَقُولُون: إنَّ الإخْوانيِّين في المَمْلكة غير الإخْوانيِّين في مِصْر والشَّام وغَيْرهما؛ لأنَّ هؤلاء دَرَسوا التَّوحيدَ في المدارسِ والمعاهدِ والكُلِّيَّاتِ منذ نُعُومةِ أَظْفارهم وإِلَىٰ أن تَخرَّجوا، وقَدْ كُنَّا نُصدِّق هذا الكلامَ إِلَىٰ حدٍّ كبيرٍ، ونَقُول: إنَّ الَّذين غُذُّوا بالتَّوحيدِ من الصِّغر لا يُمْكن أن يُفرِّطوا فيه مَهْما كان الأمرُ، ولكن لمَّا رأينا موقفَ الإخْوانيِّين من كتاب «الوقفات» الَّذي جَمَعه صاحبُه من بُطون كتُب الإخوان غَيْرةً عَلَىٰ التَّوْحيد، وغَيْرةً عَلَىٰ الدَّعوة أَنْ يَتبنَّاها مَنْ هو غَارقٌ في الشِّركيَّاتِ والبِدْعيَّاتِ، ويغترَّ النَّاسُ به، نظنُّ ظنًّا يشبه اليقينَ أنَّ هَٰذِهِ هي الدَّوافعُ إِلَىٰ ما كَتَب، وبدلًا من أن يَشْكره هؤلاء المُوحِّدون، ويُثْنوا عليه بعملِه العظيم وجُهده المُضْني مِن أَجْل بيان الحقِّ؛ بدَلًا من ذَٰلِكَ تَنكَّروا له، وأَبْغَضُوا حتَّىٰ مَنْ وَزَّع كِتابَه، وإِنْ كان له عليهم حقُّ الأُسْتاذيَّةِ والمُربِّي، فحَسْبنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

ومَعَ أنَّ أَخْطاءَ هؤلاءِ في العَقِيدةِ؛ بل بَعضُها يَهدِمِ الإسلامَ بالكُليَّةِ كمَنْ يَسْتغيثُ بالنَّبيِّ ﷺ، ومَنْ يَزْعمُ أنَّ دعوةَ أَصْحابِ الأَضْرحة والاسْتِغاثةَ بِهِمْ تذوق، ومَنْ يُثْني علىٰ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ، ويقول: إنَّ المُنْتمينَ إِليها يُضرَب أَحدُهمْ بالشِّيش من ظَهْره حتَّىٰ يخرجَ من صَدْرِهِ فلا يضرَّه، سبحان الله! النَّبيُّ الكريمُ، وخاتمُ الرُّسل، وأفضلُ الخَلْق عند الله، وأَقْربُهم إليه وسيلةً، وأَعْلاهُمْ عنده مقامًا، يُضرَب يوم أُحدٍ علىٰ رأسِه، فتغوص حَلْقتا المغفر في وَجْنَتيه، فسَالَ

الدَّمُ، وقالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ»، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

أمَّا أَصْحابُ الطَّرِيقةِ الرِّفاعيَّةِ فيُضرَب بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ ينفذَ من صَدْره فلا يضرُّه، أهذَا منطقُ داعيةٍ ومُؤلِّفٍ ومُنظِّرٍ، أو منطقُ شيطانٍ مُضلٍّ يريدُ أن يضلَّ النَّاسَ، يُفضِّل أصحابَ الطُّرُقِ المنحرفةِ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، **فأقولُ:** أينَ الغَيْرةُ علىٰ التَّوْحيدِ مِن هَؤُلاء الَّذين دَرَسوه منذُ نُعومةِ أَظْفارِهم؟ وأَيْن الولاءُ والبراءُ الَّذي هو مِن أُسس الإيمانِ وقواعدِه حتَّىٰ نَفَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الإيمانَ عَمَّنْ يُوَالي أَعْداءه ويُوادُّهم، وأتوقَّع أنَّ الَّذين يَعْتنقون المنهجَ الإخوانيَّ سيقُولون: إنَّ الَّذين نَتولَّاهم من خِيرة المُسْلمين، فقَدْ بَذلُوا جُهدًا مُضنيًا في الدَّعْوة إلىٰ الله، فوَقَفوا في وَجْه المدِّ الشُّيوعيِّ النَّاصريِّ، رغْمَ ما لَاقَوْه مِن تَعْذيبٍ وقَتْلٍ وتَشْريدٍ.

وأقول: إنَّ أيَّ دعوةٍ لا تكونُ مَبنيَّةً عَلَىٰ الأُسُسِ والقواعدِ الَّتي سَنَّها الرَّسُولُ ﷺ فهِيَ غير مَرضيَّةٍ عند الله عَزَّوَجَلَّ، حسَب ما عِلمْنا من شَرْعِه المُطهَّر الَّذي جَاءَتْ به المصادرُ الشَّرعيَّةُ مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، وقَدْ قَالَ عَزَّوَجَلَّ مُنوِّهًا بذَلِكَ في كتابِهِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالضَّميرُ في: ﴿قُلْ﴾ يَعود علىٰ النَّبيِّ ﷺ؛ قُلْ يا مُحمَّد ﴿هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ هَذِهِ طَرِيقِي، فالإشارةُ إِلَىٰ ما كان يَسيرُ عليه في دعوتِه، وهي طريقتُه الَّتي سار عليها في دعوتِه حيثُ دعا إلىٰ نَبْذِ جميع الآلهةِ الَّتي تُعبَدُ مع اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قال ابنُ جريرٍ في تَفْسير هَذِهِ الآيَةِ من «تفسيره»: «يقول - تَعالىٰ ذِكْره - لنبيِّه مُحمَّدٍ ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّد ﴿هَٰذِهِ﴾ الدَّعوةُ الَّتي أدْعو إِلَيها، والطَّريقةُ الَّتي أنا عَلَيها

من الدُّعاءِ إِلَىٰ تَوْحيد الله وإِخْلاصِ العبادةِ له دُونَ الآلهةِ والأَوْثانِ، والانْتِهاءِ إِلَىٰ طاعتِهِ وتَرْك مَعْصيته ﴿سَبِيلِيٓ﴾ وطَرِيقتِي ودَعْوتي، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَحْده لا شريكَ له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلكَ ويقينِ علمٍ منِّي ﴿أَنَا۠﴾ ويَدْعو إليه عَلَىٰ بصيرةٍ أيضًا من اتبعني وصَدَّقني وآمنَ بي». اهـ(١).

فتَبيَّن من هَذَا أنَّ الإشارةَ إِلَىٰ الطَّريقة الَّتي سَارَ عَلَيها في دعوتِهِ ﷺ من نَبْذِ جَمِيع الآلهةِ الَّتي تُعبَد معَ الله عَزَّوَجَلَّ، فمَنِ اتَّخذ لنفسِهِ طريقًا غير طَرِيقة النَّبيِّ ﷺ، فتَغَاضىٰ عن الوثنيَّةِ القائمةِ، وظَنَّ أنَّ مَنْ يَتطوَّفون بالأَضْرحة، ويَذْبحون لَها، ويَدْعون أَصْحَابها مُعْتقدِينَ فيهم القُدْرةَ عَلَىٰ ما لا يَقْدر عليه إلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فاعْتقَد أَنَّهم مُسْلمونَ، فإنَّ دعوتَه هذه باطلةٌ من أَسَاسِها، ومَرْدودةٌ عليه، دليلُنا علىٰ ذلكَ قولُ الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠]. وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]: إنَّ أوَّل شيءٍ يجبُ أن يُطَاعَ فِيهِ هي طريقةُ الدَّعوةِ إِلَىٰ الله، وكم في القرآنِ مِن آياتٍ عَالجَتِ الشِّرْكَ، وفَنَّدتْ مَزَاعم المُشْركينَ، وبَيَّنتْ بُطْلانَها.

وإنَّ ثناءَ المُؤسِّسِ للمَنْهج الإخوانيِّ علىٰ «الميرغني»؛ وهو أحدُ أَقْطابِ الصُّوفيَّة القَائلين بوحدة الوُجودِ، وتَغَاضِيه عن الأَضْرحةِ القائمةِ في مصر، بل ومُحاضرته في بَعْضها، وتَبنِّيه لدعوة التَّقْريب بين أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، لأعظمُ دليلٍ علىٰ أنَّ دعوتَه بعيدةٌ كلَّ البُعْد عن نهجِ النَّبيِّ ﷺ؛ بل يجبُ أن نقولَ: إنَّها مُنَاقضةٌ لها، وسأنقلُ في المآخذِ علىٰ الإخوان ما يُبيِّن ذلك.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩١).

وأخيرًا، فإنَّ إقرارَ الوثنيَّة أمرٌ يهدمُ كلَّ عملٍ، ويجعلُ كلَّ جهدٍ ولو كانَ مُحاربةً للشُّيوعيَّة غير مقبولٍ عند الله؛ لأنَّ الله لا يقبلُ من أعمالِ العبادِ إلَّا ما كان خَالصًا له، صوابًا علىٰ طريقةِ نبيِّه ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فهَلْ فَهِمَ هؤلاءِ أنَّهم قَدْ أَعْطَوا قِيادَهم لمَنْ لا يَجوزُ أن يُعْطوه له، وبالله التَّوفيقُ.

سادسًا: وإذَا كَانتِ الحِزبيَّةُ سَببًا للفُرْقةِ، والفُرْقةُ أوَّل مِعْولٍ يَضْربُ في وحدة الأُمَّة وتَماسُكها، فإنَّ تَعدُّدَ الأحزابِ سببٌ في تَعدُّد مَناهجها الفكريَّة، وتَعدُّد المنَاهِج الفكريَّة سببٌ في اضْطِرابِ الأَحْزاب، والاضطرابُ سببٌ في الهزائمِ الَّتي تحلُّ بالمُسْلمينَ، وهَلْ يمكنُ لأُمَّةٍ مُنْقسمةٍ علَىٰ نَفْسِها أن تَصْمُدَ أمامَ العدُوِّ؟ !

سابعًا: ومِن مَضارِّ الحِزْبيَّة أَنَّ أداءَ الشَّعائِر التَّعبُّديَّة المأمور بها شَرْعًا يَتحوَّلُ الأداءُ فيها من واجبٍ تعبديٍّ إِلَىٰ واجبٍ حزبيٍّ، فيَخْدش الإخلاصَ إنْ لم يَهْدمه، ويكون المُلَاحظُ في الأداءِ هو إرضاءُ الحِزْبِ، لا إرضاء الله.

ثامنًا: أنَّه إذا أَمَرَ قائدُ الحزبِ بالحرص عَلَىٰ أيِّ عملٍ مستحبٍّ، وأَكَّد عَلَيه، بَالَغ التَّابعون حتَّىٰ يُحوِّلوه إِلَىٰ واجبٍ، فيَصِير المُسْتحبُّ واجبًا عِنْد المُتحزِّبين فِيهِ، وبذَلِكَ يَكُونونَ قَدْ جَعَلوا له حُكْمًا غير الحُكْمِ الشَّرعيِّ الَّذي وَضَعه اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

تاسعًا: ومن مَسَاوئ الحزبيَّة: الانقسامُ، فربَّما انْقسَم الحزبُ إِلَىٰ حِزْبين أو أحزاب، كما يُقَال عن الجرثومة أنَّها تَنْشطر، ثمَّ الشَّطْرُ ينشطرُ، وهَكَذا، أمَّا الجماعةُ السَّلفيَّةُ أتباعُ السُّنَّةِ المُحمديَّةِ فهُمْ ما زالوا منذ بُزُوغ فَجْر الإسلام عَلَىٰ عقيدةٍ واحدةٍ إِلَىٰ يومنا هذا، أمَّا الاختلافُ في الفُرُوع فهو أمرٌ مُسلَّمٌ به، وقَدْ

حَصَل بَيْنَ الصَّحابةِ والتَّابعينِ، ولم يُؤدِّ إِلَىٰ خلافٍ ولا تباغضٍ ولا تناحرٍ ولا تقاتلٍ، فَافْهَمْ رَعَاكَ الله وحماك من شرِّ الحِزْبيَّة، ووَفَّقك للأَخْذِ بالطَّريقةِ السَّلفيَّة، فهي النَّجاةُ، نَسْألُ الله أن يُثبِّتنا عليها حتَّىٰ نَلْقاه، ونَحْن إِمَامُنا رَسُولُ الله ﷺ، ومَنْ سارَ عَلَىٰ نَهْجِه، واقْتفَىٰ أثرَه من أئمَّةِ الهُدَىٰ وحَمَلة الحديثِ، رَضيَ اللهُ عنهم أجمعين.



البابُ التَّاسعُ

في بيانِ ما انتُقد على الإخوانِ المُسلمين

الباب التاسع
في بيان ما انتقد على الإخوان المسلمين

اعْلَمْ - وَفَّقني الله وإيَّاك - أنَّا حِينَما نَعرض لبيانِ ما انتُقد عَلَىٰ الإِخْوانِ أو غَيْرهم إنَّما نَفْعل ذَلِكَ - إِنْ شاءَ الله - بيانًا للحقِّ، ونصيحةً للخَلْق، وأداءً للوَاجِبِ الَّذي نِيطَ بحَمَلة العِلْم الَّذين حَمَّلهم اللهُ هَذِهِ المسؤوليَّة، وكلَّفهم بها في قولِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وكَلَّفهم بها رَسُولُهُ ﷺ حيث يَقُولُ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١)، ويَقول: «لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ شَاهِدٍ»(٢)، ويقولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»(٣).

وكَمَا أَوْجبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَهْلِ العلمِ أَنْ يُبيِّنوا للنَّاسِ ما في الكِتَابِ والسُّنَّةِ مِن أَحكامٍ وشَرَائع وقَضَايا، فَقَدْ أوجبَ اللهُ عَلَيهم أَنْ يَردُّوا علىٰ مَن خالَفها

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٧٤١) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٨٢) (١٦٨٠٠) من حديث جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصَّغير» (١١٧١٢).

مخالفةً قليلةً أو كثيرةً في مسألةٍ أو مَسَائِل، أو قضيةٍ أو قَضَايا، إذَا كَانت المُخَالفةُ في الأُصُولِ والعقَائِد، وإنَّ وُجُوبَ ذَلِكَ عَلَيهم لا يقلُّ أهميَّةً عن وُجُوب بَيَانِ الأُصُولِ في الدِّين إنْ لم يكن آكَدَ؛ لأنَّ الأحكامَ الَّتي لم يُصِبْها تَشْويهٌ، ولا تحريفٌ، ستَبْقىٰ مَحفوظةً ومَأمومةً للنَّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، عَلِمَها مَنْ عَلِمَها، وجَهِلَها مَنْ جَهِلها.

أمَّا الأَحْكامُ والقَضَايا المُشوَّهةُ، وأقْصد بالمُشوَّهةِ الَّتي شَوَّهتها أفهامٌ معكوسةٌ، وعقولٌ انْحرفتْ عن الحقِّ بسَبَب ما أَصَابها من جَرَّاء التَّلقِّي، فَظَنُّوا دينًا ما ليس بدينٍ، وظَنُّوا حقًّا ما هو باطلٌ، حتَّىٰ وَاجهوا الحقيقةَ المُرَّة، وانْطَبق عَلَيهم قولُهُ تَعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

ونَحْن نُؤمِن أنَّ مَنْ لم يلقَ الله بالتَّوحيدِ الَّذي ما أُنْزلَتِ الكُتُبُ، وأُرْسِلت الرُّسُلُ، وحَقَّتِ الحاقَّةُ، وخُلِقتِ الجنَّةُ والنَّارُ إلَّا من أجلِه أنَّه سيُوَاجه الحقيقةَ المُرَّة حتَّىٰ وإنْ كان مِمَّنْ يَزْعم - أو يُزْعَم له - أنَّه من الدُّعاة إلَىٰ الله، ومَن شكَّ في هذهِ الحقيقةِ فليعلم أنَّه لم يَعْرف الدِّين الإسلاميَّ الَّذي جاءَ به مُحمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ، والَّذي تحدَّثَ عنه القرآنُ فأسْهبَ وبيَّن ما يُنَاقضه بيانًا شافيًا لا يَتسرَّب إليه شكٌّ، ولا يَبْقىٰ وراءه للحقيقة مَطلبٌ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]، وقولِه تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ولمَّا عَدَّد اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأنبياءَ في سورة (الأنعام)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥]، وقَدْ صَدَّر اللهُ هذا الخبرَ باللَّام المُوطِّئة للقَسَمِ، وَهِيَ من حُرُوفِ التَّأكيدِ، مُبيِّنًا لرَسُولِهِ ﷺ أنَّه لئن صَدَر منه الشِّركُ هو - وهو أحبُّ الخَلْق إليه، وأَعْلاهم عِنْده مقامًا، وأَعْظمهم عِنْده جاهًا - ليحبطنَّ عملُه، وليكوننَّ من الخَاسِرينَ، وحَاشَاه من الشِّركِ، ولكن هَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الافْتِراضِ.

فَتبيَّن من هَذِهِ الآياتِ أنَّ الشِّركَ الأكبرَ مُحْبطٌ للعَمَل، ومُخْرجٌ من المِلَّةِ، ومُوجِبٌ للخُلُودِ في النَّار.

وقَدْ قَلَبتِ الصُّوفيَّةُ الحقائقَ الشَّرعيَّةَ، فزَعَمتْ أنَّ دعاءَ المَخْلوقين مِمَّنْ تَزعم لهم الولايةَ، وتَدَّعي لهم الكَراماتِ؛ سواء كانُوا أحياءً أو أمواتًا، وَالاسْتِغاثةَ بهم في الشَّدائدِ، أنَّ ذلكَ هو محضُ الدِّين ولُبُّه وحقيقتُه، بل غَلَتْ في الأولياءِ حتَّىٰ جَعلَتْ مع الرَّبِّ مِنْهم أقطابًا يَتصرَّفونَ في الكون، ثمَّ زَادتْ في الغُلوِّ حتَّىٰ جَعلَتْ إلهَها ومَعْبودَها حالًّا في مخلوقاتِه، أو بَعْض مخلوقاتِه[1].

وأخيرًا: فهل تَرَوْنَ أنَّ مَنْ يَتربَّىٰ في أحضانِ الصُّوفيَّةِ يخرجُ سالمًا من مَعرَّتها؟ لا والله إلَّا مَنْ يَشَاء اللهُ إنقاذَه، بل أقلُّ أحوالِه أنْ يخرجَ مَسْلوبَ الحساسيةِ من الشِّركِ الأكبر، الَّذي يَهْدمُ الإسلامَ ويُقوِّضه من أركانِه، وإذا ذَهَب

(١) **انظر**: كتاب «هذه هي الصُّوفيَّة» لعبد الرحمن الوكيل، أو: «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مرَّة»، وسترىٰ أنَّ الصُّوفيَّة كلَّها داءٌ عضالٌ، وسُمٌّ قاتلٌ، وبلاءٌ ليس فوقه بلاءٌ، فإن كنتَ قد عُوفِيتَ منها، فاحمدِ اللهَ علىٰ العافيةِ.

التَّوْحيدُ، فقَدْ ذَهَب الإسلامُ، وكلُّ دعوةٍ لا تُبنَىٰ عَلَىٰ التَّوْحيدِ فَهِيَ باطلةٌ؛ لأنَّها أُسِّسَتْ عَلَىٰ غَيْرِ الأَسَاسِ الَّذي أَسَّس عليه رَسُول الله ﷺ دَعْوته.

وقَدْ آنَ لنا أن نَشْرعَ فيما قَصَدناهُ، واللهُ يعلم أنِّي لم أَقْصد تجريحَ أحدٍ، إلَّا أن يكونَ فِي ذِكْر ذَلِكَ الجرح مَقْصدٌ دينيٌّ، بأن يكونَ في ذَلِكَ نصيحةٌ لِمَنِ اغْترَّ بشخصٍ؛ أو منهجٍ، كما فَعَل ذَلِكَ السَّلف - رحمهم الله تعالىٰ - حَيْث قَدَحوا فيمَنْ قَدَحوا فيه؛ نُصْحًا للأُمَّة، وبيانًا للحقِّ، وكُتُبُ الجرحِ والتَّعديلِ مليئةٌ بذَلِكَ.

قال الإمامُ مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُقدِّمة «الصَّحيح»: «وَحَدَّثنا عمرو بن علي أبو حفص قالَ: سمعتُ يحيىٰ بن سعيدٍ قال: سألتُ سفيانَ الثَّوريَّ وشعبةَ ومالكًا وابن عيينة عن الرَّجل لا يَكُون ثبتًا في الحَديثِ، فيأْتيني الرَّجلُ، فيسألني عَنْه. قالوا: أَخْبِرْ عنه أنَّه ليس بِثَبْتٍ.

وحَدَّثنا عبيد الله بن سعيد قالَ: سمعتُ النَّضرَ يَقُول: سُئِلَ ابْنُ عون عن حديثٍ لِشَهْرٍ، وهو قائمٌ عَلَىٰ أُسْكُفَّة[1] البابِ، فقالَ: إنَّ شهرًا نَزَكُوه، إنَّ شهرًا نَزَكُوه[2].

قال مسلمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَخذتهُ الألسنُ، تكلَّموا فيه، ورَوَىٰ بسندِهِ إِلَىٰ الشَّعبيِّ، قال: حدَّثني الحارثُ الأعورُ الهمدانيُّ، وكان كَذَّابًا.

وبسندِهِ إِلَىٰ ابن عونٍ، قال: قالَ لنا إبراهيمُ: إيَّاكم والمغيرة بن سعيدٍ، وأبا عبد الرَّحيم، فإنَّهما كذَّابانِ.

وحدَّثنا أبو كامل الجَحْدَري، حدَّثنا حَمَّادٌ، وهو ابن زيدٍ، حدَّثنا عن عاصم قال: كنَّا نأْتي أبا عبد الرَّحمن ونَحْن غلمةٌ أيفاعٌ، فكانَ يقولُ لَنا: لا تُجالِسُوا

---

(١) الأُسْكُفَّة: عتبة الباب السُّفلىٰ الَّتي تُوطأ.

(٢) «نَزَكُوهُ»: أي: طعنُوا فيه، وتكلَّموا بجَرحه، فكأنَّه يقول: طعنوه بالنَّيزك، وهو رمحٌ قصيرٌ.

القُصَّاصَ غير أبي الأحوص، وإيَّاكم وشَقِيقًا، وكان شقيقٌ هذا يَرَىٰ رأيَ الخَوارجِ، وهُوَ غير شقيق بن سلمة». اهـ. من مُقدِّمة «صحيح مسلم» الكشف عن مَعَايبِ الرُّواةِ[1].

وهذا أوانُ الشُّروع في الملاحظات والقوادح:

الملاحظة الأولىٰ: التَّهاونُ في تَوْحيد العبادة، وعدم جَعْلِهِ أساسًا وقاعدةً يَنْطلقون منها، ومن الأدلَّة عَلَىٰ ذَلِكَ: أنَّ مُؤسِّسَ الحزبِ، ومُقرِّرَ المنهجِ الإِخْواني حسن البنَّا[2] حاضرَ في وَكْرٍ من أَوْكارِ الشِّرْكِ، بَلْ من أكبر أَوْكَارِهِ في

(١) انظر: «صحيح مسلم» (١/ ١٧ - ٢٠).

(٢) حسن البنَّا: قال في كتاب: «النقط فوق الحروف» لأحمد عادل كمال (ص ٨١): «ولد الأستاذ حسن البنَّا بقرية المحموديَّة، مديرية البحيرة بمصر سنة ١٩٠٤م.

وتلقَّىٰ أوَّل دراسته في كُتَّاب القرية في المدرسة الإعدادية بالمحموديَّة، ثم في مدرسة المعلمين الأوَّليَّة بدمنهور، ثمَّ في دار العلوم بالقاهرة، وقد تَميَّز في كلِّ هذه المراحل بأنَّه كان دائمًا أوَّل النَّاجحين، حيث كان موضع فخر أساتذته، ورعايتهم، وكان من المتوقع أن ترسله وزارة المعارف لإنجلترا أو فرنسا علىٰ عادتها في إيفاد أوائل الحاصلين علىٰ دبلوم دار العلوم لولا ظروف خاصَّة جعلت الوزارة تخرج عن ذلك التَّقليد.

حصل الأستاذ علىٰ دبلوم دار العلوم ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره، فتم تعيينُه مدرِّسًا بمدرسة الإسماعيليَّة الأميرية في الدَّرجة السَّادسة، وتَسلَّم عمله في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٧م، واستمر بعد ذلك مدرسًا في المدارس الابتدائية تسع عشر سنة، لم ينل فيها الدرجة الخامسة إلَّا بحكم قانون المُوظَّفين المسنين.

وفي مايو ١٩٤٦ استقال الأستاذُ من وظيفته بوزارة المعارف بمناسبة إنشاء الجريدة اليوميَّة للإخوان المسلمين». اهـ. من كتاب: «النُّقط علىٰ الحروف» (ص٨١ - ٨٣) بتصرف.

قلتُ: وقَدْ نشأ حسن البنَّا من أوَّل يومه، ونُعُومة أظفاره نشأةً صوفيَّةً، وقد ذكر ذلك البنَّا نفسُه في كتابه: «مذكرات الدَّعوة والدَّاعية» مفتخرًا ومغتبطًا، فقال في (ص٢٧): «وصحبت الإخوان الحصافيَّة بدمنهور، وواظبتُ علىٰ الحضرة بمسجد التَّوبة في كلِّ ليلة... ثم قال: وحضر السيد عبد الوهاب المجيز في الطَّريقة الحصافيَّة الشَّاذليَّة، وتلقَّيت الحصافيَّة الشَّاذليَّة عنه، وآذنني بأدوارها ووظائفها».

=

=

وقال جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ٨): «وفي دمنهور توثَّقت صلته - يعني حسن البنَّا - بالإخوان الحصافيَّة، وواظب على الحضرة كلّ ليلة في مسجد التَّوبة مع الإخوان الحصافيَّة، ورغب في أخذ الطَّريقة، حتَّى انتقل من مرتبة المحبّ إلى مرتبة التابع المبايع؛ بل شارك في إنشاء جمعيَّة صوفيَّة حصافيَّة كما ذكر في مذكراته (ص ٢٨).

قال: وفي هذه الأثناء بدا لنا أن نؤسس جمعيةً إصلاحيةً، هي الجمعية الحصافية الخيرية، وانتخبت سكرتيرًا لها، وخلفتها في هذا الكفاح جمعية الإخوان المسلمين بعد ذلك».

قلت: ليهنأ جماعة - أو جمعية - الإخوان عراقتها في الصوفية، وانتماءها لها بانغماس مؤسِّسها في التَّصوُّف، وكونها خلفت جمعيَّة صوفيَّة حصافيَّة لتقوم بدورها، وتؤدِّي غرضها، فالله الله يا موحِّدون في عقيدة التَّوحيد، ولا تضيِّعوها أو تميِّعوها، اقرؤوا القرآن، وانظروا ما فيه عن الشِّرك والمشركين من التَّحذير منه، والوعيد عليه، اقرؤوا آيةً واحدةً: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وأضيفوا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

اقرؤوا السُّنَّة وسيرة النَّبيِّ ﷺ في دعوته؛ لتروا كيف دعا إلى نبذ الأوثان، وكسر الأصنام، وتوحيد الملك العلَّام، ثم اقرؤوا عن الصُّوفية لتروا ما فيها من شركٍ عظيمٍ، وتأليه للشُّيوخ؛ بل لتروا ما فيها من دعوة صريحة إلى وحدة الوجودِ، وإيمان بها، واعلموا أنَّ الشِّرك والبدع أمور طبيعية عند المتصوِّفة، كلّ المتصوفة، لا يَسْلم منها حسن البنَّا، ولا غيره، وإن خالجكم شكٌّ في صدور الشِّرك منه والبدع، فإليكم هذا الخبر، وإن شككتم في صحته فراجعوه في المصدر الَّذي نسب إليه:

نقل جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ٧٠، ٧١) عن مجلة الدَّعوة فبراير ١٩٥١م حديث عبد الرحمن البنَّا عن أخيه حسن البنَّا، قال فيه: «وعقب صلاة العشاء يجلس أخي (حسن البنَّا) إلى الذَّاكرين من جماعة الإخوان الحصافيَّة، وقد أشرق قلبُه بنور الله، فأجلس إلى جواره نذكر الله مع الذاكرين، وقد خلا المسجد إلَّا من أهل الذِّكر، وخبا الصَّوت إلَّا ذُبالة من سراج، وسكن اللَّيل إلَّا همسات من دعاءٍ، أو ومضات من ضياءٍ، وشمل المكان كلّه نور سماوي، ولفه جلال رباني، وذابت الأجسام، وهامت الأرواح، وتلاشى كلّ شيءٍ في الوجود، وانمحى وانساب بصوت المنشد في حلاوة وتطريب.

اللهَ قُــلْ وَذَرِ الوُجُــودَ وَمَــا حَــوَى إِنْ كُنْــتَ مُرْتَــادًا بُلُــوغَ كَمَــالِ
فَالكُــــلُّ دُونَ اللهِ إِنْ حَقَّــــقْتَهُ عَــدَمٌ عَلَــى التَّفْصِــيلِ وَالإِجْمَــالِ

=

مصر، وهو مَشهدُ السَّيِّدة زينب.

نَقَل ذَلِكَ عباس السِّيسي في كتابِهِ «قافلة الإخوان المسلمين»[(١)]، فقالَ:

قلتُ: هذان البيتان ينضحان بوحدة الوجود، مع ما فيهما من بدع الذِّكر الصوفي، وقبل ذلك قول أخيه: «وتلاشىٰ كلّ شيءٍ في الوجود وانمحىٰ»، هذه عبارات أصحاب وحدة الوجود.

ونقل أيضًا في المصدر المذكور (ص ٧٠، ٧١) عن عبد الرحمن البنّا قوله: «وذلك أنّه حين يهلّ هلال ربيع الأوّل كنّا نسير في موكبٍ مسائيّ كلّ ليلة حتىٰ ليلة الثاني عشر، ننشد القصائد في مدح الرّسول، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صَـلَّىٰ الإِلَـهُ عَلَـىٰ النُّـورِ الَّـذِي ظَهَـرَا ... لِلعَـالَمِينَ فَفَـاقَ الشَّـمْسَ وَالقَمَـرَا

كان هذا البيت تُردِّده المجموعة، ينشد أخي، وأنشد معه.

هَـذَا الحَبِيـبُ مَـعَ الأَحْبَـابِ قَـدْ حَضَـرَا ... وَسَـامَحَ الكُـلَّ فِيمَـا قَـدْ مَضَـىٰ وَجَـرَىٰ

لَقَـدْ أَدَارَ عَلَـىٰ العُشَّـاقِ خَمْرَتَـهُ ... صِرْفًـا يَكَـادُ سَـنَاهَا يُـذْهِبُ البَصَـرَا

يَـا سَـعْدُ كَـرِّرْ لَنَـا ذِكْـرَ الحَبِيـبِ لَقَـدْ ... بَلْبَلْـتَ أَسْمَاعَـنَا يَـا مُطْـرِبَ الفُقَـرَا

وَمَـا لِرَكْـبِ الحِمَـىٰ مَالَـتْ مَعَاطِفُـهُ ... لا شَـكَّ أَنَّ حَبِيـبَ القَـوْمِ قَـدْ حَضَـرَا

بواسطة «دعوة الإخوان في ميزان الإسلام» (ص٦٢، ٦٣).

قلتُ: في هذه الأبياتِ ومقدّمتها بدع:

أوّلها: بدعة الاحتفال بالمولد.

ثانيها: بدعة إنشاد المدح بصوت جماعي.

ثالثها: زعم الصُّوفيّة أنّ النّبيّ ﷺ يحضر احتفالاتهم المبتدعة، وهذا كذبٌ عليه، عامل الله من اختلقه وصدَّقه بما يستحقُّ، وفيها كارثةٌ كبرىٰ، ومصيبةٌ عُظمىٰ، وهي إسنادُ مغفرة الذُّنوب إلىٰ رسول الله ﷺ في قوله: «وَسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَىٰ وَجَرَىٰ»، وهذا شركٌ أكبرُ مخلّد في النّار، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وفي الحديث القُدسيّ: «عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ». توفّي البنّا اغتيالًا، سنة ١٩٤٩م.

(١) «قافلة الإخوان المسلمين» (١/ ١٩٢).

«كلمة الأستاذ المرشد العَالِم في حفل الهجرة بالسَّيِّدة زينب، جَاءَ في كلماتِ الأُسْتاذ المرشد العام في هَذَا الحفل ما يلي:

لهذِهِ المُناسَبةِ أيُّها الإخوة، أَنْصح لكُم نصيحةً مخلصةً، أُشدِّد عَلَيكم في رِعَايَتها، وَهِيَ أن تُطهِّروا قُلُوبَكم، وتُصفُّوا سَرَائِرَكم عَمَّنْ نالَ منكم، أو أَسَاء إِلَيكم، فوالله، إنِّي لَضَنينٌ بهذه القُلُوبِ، الَّتي لا تعرفُ إلَّا معاني الحبِّ في الله، ولم تَسْعد إلَّا بمَشَاعِرِ الأُخوَّةِ الحَقَّة الصَّادقة، أضنُّ بهذه القُلُوبِ الطَّاهرة أن تُلوَّث بحقدٍ، أو تُشوَّه ببغضاء، وتَنَال من صَفائِها خُصُومةٌ، إنَّ الدِّينَ حبٌّ وبغضٌ، ذَلِكَ حقٌّ من الإيمان أن نحبَّ في الله، ونُبغض في الله، ولكن ما أشدَّ أن نُقْهَر عَلَىٰ كُرْه مَنْ نحبُّ، إنَّ الإيمان حبٌّ وبغضٌ، فأحِبُّوا؛ لأنَّكم بالحبِّ تَسْعدون، وبهذِهِ العاطفةِ تَجْتمعونَ، وعَلَىٰ هَذِهِ المَشَاعر وبها تَرْتبطون، فلا تَحْرموا قُلُوبَكم نعمةَ الحبِّ في الله تَعَالىٰ، وَلَا تَحرموها شُعُورَ الحبِّ الطَّاهر البريء، وادَّخروا حجرَ البُغْضِ وثورةَ الغَضَبِ لساعةٍ آتيةٍ قريبةٍ، نَلْقىٰ فيها خُصُومَنا، ولستُ أعني خُصُومَنا في الدَّاخِلِ، فليس لَنا في الدَّاخل خُصُومٌ، ولله الحمد، وإِنْ كانوا فهم غُثَاءٌ كغُثَاءِ السَّيْل، سَيَجْرفهم الطُّوفانُ، فإمَّا ساروا، وإمَّا غاروا، أمَّا كلمة الجهاد فعاطفةٌ مُلتهبةٌ، ومعاني الجهاد مُثُلٌ حَيَّةٌ باقيةٌ تَتَّجه إليها قُلُوبُ أبناء هَذِهِ الأُمَّة الَّتي ظُلِمَتْ، واعتُدِي عَلَىٰ حُرِّيَّاتها وحُقُوقها، وأُحِيط بها من كلِّ مكانٍ».

مُناقشة الشَّيخ البنَّا في هَذِهِ الخطبةِ الَّتي أَلْقاها في وَكْرٍ من أعظمِ أَوْكَار الشِّرك في مصر، أَلَا وهو مَشْهد السَّيِّدة زينب، ولم يَذْكر فيها حرفًا واحدًا عن الشِّرْكِ الأكبر الَّذي يجري في ذَلِكَ المَشْهدِ من الدُّعاءِ لغير الله، والاسْتِغاثةِ بغيرِهِ،

والنَّذر والذَّبْح وغَيْر ذَلِكَ، وكأنَّه لم يرَ الطَّائفين حَوْل القبر، والمُتمسِّحين بِهِ، ولم يسمع الَّذين يَرْفعون أَصْواتَهم بالدَّعَواتِ للسَّيِّدة زينب، طَالِبِينَ مِنْها الحَاجَاتِ الَّتي لا تُطلَبُ إلَّا من الله عَزَّوَجَلَّ، وكأنَّ الشَّيخَ البنَّا لم يَعْتبر ذَلِكَ الشِّركَ الأكبرَ الَّذي يَسْمعه ويُشَاهدُهُ حَوْل ضريح السَّيِّدة زينب أمرًا مُنْكرًا مخالفًا للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، بل مُناقضًا للإِسْلامِ، وهَادمًا له، ومُقوِّضًا لأركانِهِ، إنَّه يَنْصح نصيحةً مخلصةً، ويُشدِّد في رِعَايتِها، ولكن ما هَذِهِ النَّصيحةُ يا ترىٰ؟ إنَّه يَنْصح بتَصْفيةِ السَّرائرِ، وتَطْهير القُلُوبِ من الغِلِّ والضَّغينةِ، مع أنَّها مُفْعمةٌ بالشِّرْك الأكبر، فهل هَذِهِ خطبة مَنْ يعتبر الشِّرْكَ الَّذي يَرَاه ويَسْمعه حول ذَلِكَ الضَّريح مناقضًا للإسلام؟ !

أتركُ الجوابَ عَلَىٰ هَذَا السُّؤال للقارئ.

ومن جهةٍ أُخْرىٰ، فإنَّ الله تعَالىٰ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

ومعنىٰ: ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يَشْهدون الباطلَ.

قالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذِه مِن صِفاتِ عبادِ الرَّحمن؛ أنَّهم ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، قيل: هو الشِّرْكُ، وعبادةُ الأصنام. وقيل: الكذبُ، والفسقُ، والكفرُ، واللَّغْوُ، والباطلُ.

وقَالَ أَبُو العَالية وطاوس وابن سيرين والضَّحَّاك والرَّبيع بن أنسٍ وغَيْرهم: هُوَ أَعْيادُ المُشْركينَ.

وقالَ عمرو بن قيسٍ: هِيَ مجالسُ السُّوءِ والخنَا.

وقَالَ مالكٌ عن الزُّهريِّ: شُرْبُ الخَمْرِ، لا يحضرونَه ولا يَرْغبون فيه»[1]. اهـ.

قلتُ: القولُ بأنَّ الزُّورَ الَّذي لا يَشْهدونه هو الباطلُ بجميع أنواعِه، هُو الأولَىٰ والأجْمعُ، ويدخلُ فيه الشِّرْكُ باللهِ، وأعيادُ المُشْركينَ، وعبادةُ الأَصْنام، وغير ذلكَ.

وإنَّ مشهدَ السَّيِّدة زينب من أعْظمِ أوْكارِ الشِّرْك الَّتي تُحارَب فِيهَا عقيدةُ التَّوحيدِ الَّذي أُرْسِلَتْ به الرُّسُلُ، وآخرهم مُحمَّدٌ ﷺ، ولا يجوزُ لمُسْلمٍ أن يَدْخلَه إلَّا أن يكونَ مُنْكِرًا لما يَفْعله أُولَئك المُشْركون، فمَن دخَله ليُحاضرَ فيه بشيءٍ غير إنكار الشِّرْكِ، فإنَّه يكون قَدْ شَجَّع الشِّرْكَ الأكبرَ، وأقرَّه، وآوَىٰ أهلَه، وإنَّه بذلكَ قَدْ أوْهَم الجُهَّالَ بأنَّ ما يَعْملونه حقٌّ لا غبارَ عليه، وعبادةٌ يُتقرَّب بها إلَىٰ الله، وهذا مِن أعْظمِ الظُّلْم والغشِّ والخِدَاعِ الَّذي حَرَّمه اللهُ ورَسُولُهُ ﷺ.

فإنْ قِيلَ: إنَّ الشَّيخَ البنَّا قَدْ دَعَا إلىٰ الجهادِ في هذه الخطبةِ، فيكونُ قَدْ أدَّىٰ ما عليه؟!

قُلنا: أيُّ جهادٍ الَّذي دَعَا إليه البنَّا إذَا كان قَدْ أقرَّ الشِّرْكَ الأكبرَ المُخْرجَ من المِلَّةِ، وما فَائدةُ جهادِ اليهود والنَّصارىٰ إذا كُنَّا مِثْلهم؛ بل أَرْدأ مِنْهم، فاليهودُ أَلَّهُوا عُزيرًا، والنَّصارىٰ أَلَّهوا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقطْ، أمَّا الصُّوفيَّةُ ومَنْ دانَ بدِينِهم، فقَدْ أَلَّهوا ما لا يُحْصىٰ مِن البَشَر، فتجدُ قومًا يَعْبدون الحسينَ، وآخرون يَعْبدُون السَّيِّدةَ زينب، وآخَرُون يعبدون البدويَّ، وآخرُون يَعْبدون الجيلاني، وَآخَرُونَ يَعْبدُون الدّسوقي، وهلمَّ جرًّا ما لا يُعدُّ ولا يُحصَىٰ من الآلهةِ، فحَسْبنا الله علىٰ مَنْ أقرَّ الشِّرْكَ بالله في حين أنَّه يَزْعم أنَّه يَدْعو إلىٰ الله.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٣٠).

والخُلاصة: أنَّ كلَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ جهادٍ ولم يُؤسِّسه عَلَىٰ التَّوحيدِ الَّذي أَسَّس عليه رَسُولُ الله ﷺ جِهادَه، فإنَّه قَدْ ضلَّ وأضلَّ، وأَخطأ الطَّريقَ الأمثلَ الَّذي سَارَ عليه كلُّ نبيٍّ مرسلٍ، ونَطَق به كلُّ كتابٍ مُنْزلٍ.

أمَّا قول البنَّا في رسالةِ التَّعاليم في الأَصْل الرَّابع من الأُصُولِ العِشْرين: «والتَّمائم، والرُّقىٰ، والوَدَع، والمعرفة، والكهانة، وادِّعاء مَعْرفة عِلْمِ الغَيْب، وكلُّ ما كان من هذا الباب مُنكرٌ تجب محاربتُه، إلَّا ما كان آيةً أو قُرآنًا أو رقيةً مأثورةً»[١]. اهـ.

وقالَ في النَّصِّ الرَّابع عشر[٢]: «وزيارةُ القُبُورِ - أيًّا كانت - سُنَّةٌ مشروعةٌ بالكيفيَّةِ المأثورةِ، ولَكنَّ الاسْتِعانةَ بالمَقْبُورينَ - أيًّا كانوا - ونِدَاءَهم لذَلِكَ، وطلبَ قَضَاءِ الحاجاتِ مِنْهم عن قربٍ أو بُعْدٍ، والنَّذْرَ لهم، وتَشْييدَ القُبُورِ وسَتْرها وإِضَاءَتها والتَّمسُّحَ بها، والحلفَ بِغَيْر الله، وما يَلْحق بذَلِكَ من المُبْتدَعَاتِ - كبائرُ تجبُ مُحَاربتُها، ولا نَتأوَّل لهذِهِ الأَعْمالِ سدًّا للذَّريعة». اهـ.

وأقولُ: أوَّلًا وقَبْل كلِّ شيءٍ: في هذَين المقطعَين أو الأَصْلين اللَّذين كَتَبهما الأستاذ البنَّا خلطٌ يدلُّ عَلَىٰ عَدَم تَمْييزِهِ بَيْن البدعةِ والشِّرْكِ الأكْبر والشِّرْكِ الأصغرِ؛ فمُزَاولةُ الكهانة، وادِّعاء مَعْرفة عِلْم الغيبِ، شركٌ أكبر مُخْرجٌ من المِلَّةِ، وكذلكَ الاستعانةُ بالمَقْبُورِينَ أيًّا كانُوا، ونِداؤهم لذلكَ، وطلبُ قضاء الحَاجاتِ مِنْهم، والنَّذْرُ لهم، والتَّمسُّحُ بقُبورِهم، كلُّ ذلكَ شركٌ أكبرُ مُخْرجٌ من المِلَّةِ، وكذلكَ تَعلُّق التَّمائم والوَدَع إن اعتقد فيه أنَّه يَدْفع عنه الجنَّ، أو ما أَشْبه ذَلِكَ، كلُّ هذا من الشِّرْكِ الأكبرِ، مثل شِرْك العرب الَّذين قَاتَلهم رَسُولُ الله ﷺ

(١) من كتاب: «نظرات في رسالة التعاليم» لمحمد عبد الله الخطيب، ومحمد عبد الحليم حامد (٨٠).

(٢) (ص ١٦٦) من نفس المصدر.

وَاسْتِبَاحَ سَفْكَ دِمَائِهِم، وسَبْيَ ذَرَارِيهِم، وغَنِيمةَ أَمْوالِهِم.

وأمَّا الشِّرْكُ الأصغرُ فهو كالحلفِ بغير الله تعالىٰ، والرُّقيةِ إذا كانتْ بغيْرِ المَشْروع ولم يَكُنْ فيها استغاثةٌ بالجنِّ أو غيرهم.

أمَّا البدعُ فهِيَ البناءُ علىٰ القُبورِ، وسَتْرُها، والإضاءةُ لها.

فالدَّمْجُ بيْنَ هَٰذِهِ الأُمُورِ المُتفَاوتةِ في الحُكْمِ دالٌّ علَىٰ عَدَمِ معرفتِهِ للتَّفْصيل؛ فمَنْ دَعَا غيرَ الله، وطَلَبَ منه جَلْبَ النَّفْعِ، ودَفْعَ الضُّرِّ، فقَدْ كَفَر، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديثِ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[(١)]، وفي روايةٍ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»[(٢)]، فإذَا كانَ هَٰذَا في حقِّ الآتي إلَىٰ الكَاهِنِ، فما بَالُك بالكَاهِنِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعىٰ عِلْمَ الغَيْبِ فقَدْ كَفَر، ومَنِ اعْتَقَد فيه ذَٰلِكَ فقَدْ كَفَر، فمَنْ زَعَم أنَّ هَٰذِهِ الأُمُورَ من الكَبائِرِ الَّتي لا يخرجُ بِهَا صَاحِبُها من الإسْلامِ فهُوَ أحدُ رَجُلين: إمَّا جاهلٌ لا يَعْرِف الأحكامَ الشَّرعيَّةَ، وإمَّا مفتونٌ يريدُ أن يُضِلَّ النَّاسَ.

وأمَّا الحلفُ بغَيْرِ الله فهُوَ شركٌ أصغرُ، لا يُخْرِجُ من الإسْلامِ، بدليل أنَّ الصَّحابةَ - رضوان الله عليهم - كَانُوا يَحْلفون بآبائِهم، وبالكعبةِ، وبالنَّبيِّ ﷺ، ثمَّ نُهُوا عن ذَٰلِكَ بقول النَّبيِّ ﷺ: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بلفظ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٩) (٩٥٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ بلفظ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٧/ ٦٩) تحت حديث رقم (٢٠٠٦).

بالله أو ليسكت»(١).

أمَّا البِناءُ عَلَىٰ القُبُورِ، وسَتْرها، والإضاءةُ لها، فهي بدَعٌ إذَا لم يَصْحبْها دعوةٌ للمَقْبُورِين، ولا تَوسُّلٌ بهم، ولو قُدِّر أنَّه يقصد بالمُنْكر الشِّرْكَ والكفرَ، فأينَ العَمَلُ بهذا التَّقرير، وقَدْ أقرَّ العامَّةَ عَلَىٰ دَعْوة المَقْبُورِينَ وتأليههم؟ !

ولَقَدِ انْعكَس هَذَا، أي: التَّهاون بتَوْحيدِ الأُلوهيَّةِ، واسْتِمْراء الشِّرْكِ الَّذي يُنَاقِضه، وعَدَم الحساسيَّة منه، وعَدَم اعْتِبارِهِ رِدَّةً يَهْدم الإسلامَ ويُقوِّضه من أصلِهِ، انْعكَس هَذَا الوضعُ الَّذي عَاشَه البنَّا في دَعْوتِهِ عَلَىٰ جميعِ القَادَة والمُنظِّرين في هذا المَنْهجِ، فخَيْرُهُم السَّاكتُ عنه، والمُقرُّ له، وإنْ كان السَّاكت عن الشِّرْك لا خيرَ فيه؛ بل من المُنظِّرين والقادةِ في المَنْهج الإخوانيِّ مَنْ وقع في الشِّرْك الأكبر(٢)، كما سيأتي عن سعيد حَوَّىٰ، وعمر التلمساني، ومصطفىٰ السباعي، فضلًا عن غَيْرهم.



(١) أخرجه البخاري (٧٤٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أي: أتوا ببعض المُكفِّرات، ولا يعني هذا تكفيرهم علىٰ التَّعيين؛ فإنَّ منهج أهل السُّنَّة والجماعة يقتضي عدم تكفير المعين إلَّا بعد إقامة الحجَّة عليه بثبوت شروطه، وانتفاء موانعه.

فصلٌ

هل مَن قال: لا إله إلَّا الله، وناقضها يعدُّ مُسلمًا؟!

مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله»، وهو مع ذَلِكَ يَدْعو المَقْبُورِينَ، ومَنْ يُسمِّيهم بالأَوْلياءِ من دون الله فيما لا يَقْدر عليه إلَّا الله... هل يُعتَبر مسلمًا؟ وما هُوَ الدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ؟!

والجوابُ وبالله التَّوفيق، ومنه أَسْتمدُّ العونَ والتَّوفيقَ والسَّدادَ:

اعْلَمْ أنَّ مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله»، وهو يَدْعو غير الله، راجيًا منه جَلْبَ النَّفْع، ودَفْعَ الضُّرِّ الَّذي لا يَقْدر عَلَىٰ جلْبه أو دَفْعه إلَّا اللهُ، أو يَنْذر له، أو يَذْبح علىٰ اسمِه، أو يَسْتغيث به، ويَسْتجير، فهو مُشْركٌ شركًا أكبر، كافرٌ بوَحْدانيَّة الله، وإنْ صلَّىٰ وصامَ وزَعَم أنَّه مسلمٌ، ولو كرَّر: «لا إله إلَّا الله» في اليوم سَبْعين ألف مرَّةٍ، فإنَّ ذَلِكَ لا يَنْفعه أبدًا حتَّىٰ يكفرَ بما يُعبَد من دون الله؛

وإليك الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة:

الدَّليل الأوَّل: من القُرْآنِ الكريمِ؛ قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النَّحل: ٣٦].

فتبيَّن من هَٰذِهِ الآية أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل الرُّسُلَ بشيئين:

أوَّلهما: الإيمانُ بالله وَحْده، وعبادتُهُ بما شَرَع عَلَىٰ أَلْسِنَة رُسُلِهِ، صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أجمعين.

ثانيًا: الكفرُ بالطَّاغوتِ واجْتنابُهُ، وكلُّ ما عُبِد من دون الله فهو طاغوتٌ، والطَّاغوتُ مُشْتقٌّ من الطُّغْيانِ، ومِن حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكونَ عبدًا لله، فإذا عُبِدَ منْ دونِ الله فقدْ تجاوزَ به عابدُهُ حدَّه، ومِن أجل ذَلِكَ سُمِّيَ طاغوتًا ووثنًا؛ سواء كانَ المعبودُ ملكًا مُقرَّبًا، أو نَبيًّا مُرسلًا، أو وَليًّا[(١)]، أو شيطانًا، أو إنسيًّا، أو جنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو منحوتًا، أو غير مَنْحوتٍ، فمَنْ عَبَدَ اللهَ ولم يَكْفر بالطَّاغوتِ، لم تصحَّ عبادتُهُ، ولم تُقبَل منه حتَّىٰ يَكْفر بما يُعبَدُ مِن دونِ الله.

الدَّليل الثَّاني: أنَّ الأمرَ بالعبادة جاءَ في القُرْآن الكريمِ مُقْترنًا بالنَّهْيِ عن الشِّرْكِ تارةً؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. فتكُونُ العبادةُ المَأْمُور بها هِيَ العبادةُ الخاليةُ عن الشِّرْكِ بالله.

أو مُقْترنًا بالأَدَاةِ الحَاصِرة الَّتي تُفِيد حَصْرَ العبادةِ وقَصْرَها عَلَىٰ الله دُونَ غيره؛ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وكقولِه تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) **ملحوظة:** الملك، والنَّبيُّ، والعبد الصالح، لا يُسمَّىٰ أحد منهم طاغوتًا؛ لأنَّهم لا يرضون لأحدٍ أن يعبدَهم مِن دون الله، ومَنْ عبدهم فإنَّما عَبدَ الشَّيطان في الحقيقة.

والدَّليل علىٰ ذلك: محاورة ابن الزِّبَعْرَىٰ للنَّبيِّ ﷺ حين نزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآيات، ثمَّ نزل بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «يُمَثَّلُ لمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَىٰ شَيْطَانُ عِيسَىٰ، وَلِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ». [أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٣٢) (٨٧٥١)، والطَّبرانيّ في «الكبير» (٩/ ٣٥٧)، وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» (٩٧٨٤)، وقال: «هذا إسنادُه صحيح متَّصل، رجاله ثقات»].

وأخيرًا: فالشَّيطان الَّذي دعاهم إلىٰ عبادة غير الله هو الطاغوت.

أو مُقْتَرِنَةً بالحال الدَّالَّة عَلَىٰ صفاءِ العِبَادةِ ونَقَائِها من شَوَائبِ الشِّرْك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، أي: حال كَوْنكم مُخْلِصين الدُّعاءَ لَه، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

فإنْ وَرَد الأمرُ بالعبادةِ مطلقًا في بَعْض المَوَاضع، فهو محمولٌ عَلَىٰ المُقيَّدِ، كما تقرَّر في الأُصُولِ.

ويُسْتَفَادُ من هَذَا أنَّ أيَّ عبادةٍ تكونُ مخلوطةً بالشِّرْكِ، فإنَّها مَرْدودةٌ عَلَىٰ صَاحِبِها وغَيْرُ مَقْبولةٍ منه ألبتَّة، ويؤكِّد هَذَا ويدلُّ عليه مَا وَرَد في الحديثِ القُدسيِّ، وهُوَ:

الدَّليل الثَّالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرَ عن ربِّه جَلَّ وَعَلَا أنَّه قالَ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

الدَّليل الرَّابع: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَفَ المَعْبودِينَ بالعَجْز وعَدَم القُدْرة عَلَىٰ جَلْبِ النَّفْع لعَابِدِيهم، فقالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله عَلَىٰ لِسَانِ إِبْراهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

الدَّليل الخامس: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَف المَعْبُودِينَ بالعَجْز عن الخَلْقِ والإِيجادِ حتَّىٰ لأَضْعفِ المَخْلوقاتِ وأَحْقرِها، ولَو اجْتَمعوا كلُّهم، فقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية عند ابن ماجه (ح٤٢٠٥): «**فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»، وسندُها حسنٌ، وقد قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٦٩): «رواتها ثقات»، صَحَّحها البوصيري في «الزوائد» (٣/ ٢٩٥)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٩٤). محمد بن هادي.

تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

الدَّليل السَّادس: أنَّ جميعَ الآلهةِ المُتَّخذة مَخلوقةٌ، والمخلوقُ الَّذي وُجِد بَعْد العَدَم لا يصحُّ أن يكونَ إلهًا، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣].

الدَّليل السَّابع: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبرَ أنَّ العَابِدِينَ والمَعْبُودِينَ سيردُون إِلَىٰ جهنَّم، ويَكُونُونَ وَقُودًا لها، وهَذَا إنَّما يَتحقَّق في المَعْبودين الَّذينَ رَضَوْا بعبادةِ أنفُسِهم من دُونِ الله، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

الدَّليل الثَّامن: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قرَّر ضعفَ المَدْعوِّين من دُونِهِ وإِفْلاسهم وفَقْرهم، فقَالَ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢﴾ [سبأ: ٢٢].

ولمَّا امتنَّ اللهُ عَلَىٰ عبادِهِ بذِكْر شيءٍ من أَنْعُمِه الَّتي بَدَأها بقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [فاطر: ١١]، إلىٰ أَنْ قَالَ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

ثمَّ قال: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧].

فهَلْ أصحابُ الأَضْرحة وسُكَّان القُبُور الَّذين يُضْفي عَلَيهم أصحابُ النِّحْلةِ الصُّوفيَّة القَدَاسةَ، ويَدَّعونَ لهم شيئًا من التَّصرُّفِ دَاخِلُونَ فيما أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ عَنْ كلِّ مَنْ عُبِد من دُونَه من العَجْزِ والضَّعْفِ، وعَدَم المُلْك وعَدَم القُدْرة عَلَىٰ ما يُطلَب مِنْهم، فإِنْ قُلْتم يا مَنْ تَدْعونهم من دون الله، وأنتم يا مَنْ تُقرُّون ذَلِكَ وتَزْعمون أنَّه لَيس بمُنْكرٍ: نَعَمْ وهو الحقُّ! خصمتم، ولَزِمَكُمْ أن تُذْعِنوا للحقِّ، وتَعُودُوا إِلَىٰ الصَّوابِ، فتَتْرُكُوا عبادةَ غَيْر الله، وتُنْكِروا الشِّرْكَ وعبادةَ الأصنامِ، فإِنْ قُلْتم: نَحْن لا نَدْعُو الأصنامَ، وإِنَّما نَدْعو الأولياءَ الَّذين قالَ اللهُ عَنْهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

فالجوابُ:

أوَّلًا: أنَّ الاسْمَ المَوْصُولَ «الَّذين» مِن أدواتِ العُمُومِ، فيَشْملُ كلَّ مَنْ دُعِيَ وعُبِدَ مِن دون الله من مَلَكٍ ونبيٍّ ووليٍّ وشجرٍ وحجرٍ وصنمٍ، وغير ذلك.

ثانيًا: إِنْ قلتم: إنَّ الأولياءَ مُسْتثنون من هَذَا؟ فهَاتُوا بُرْهَانكم إِنْ كنتم صَادِقينَ.

ثالثًا: وإذا كانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قالَ لنبيِّه وأَفْضل عِبَادِهِ وأَقْربهم إِلَيه وسيلةً، وأَعْظمهم عِنْدَه جاهًا: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فغيرُهُ من بَابِ أَوْلَىٰ.

وأخيرًا: فمَنْ دَعَا غيرَ الله، أيًا كانَ المَدْعو: وليًّا أو نبيًّا أو مَلَكًا أو إنسيًّا أو جنيًّا أو صنمًا أو غير ذَلِكَ، فقَدْ أشركَ بالله شركًا أكبر يُخْرِجُ من المِلَّةِ، ونَاقَض هَٰذِهِ الآياتِ الَّتي ذَكَرناها، وإِنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله» وصلَّىٰ وصامَ وزَعَم أنَّه مسلمٌ.

وعلىٰ ذلكَ جاءَتِ السُّنَّةُ؛ ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يومًا بارزًا للنَّاس، فأتاه رجلٌ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، ما الإيمانُ؟ قالَ: «**أَنْ تُؤمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ولِقَائِهِ ورُسُلِهِ، وتُؤمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ**».

قال: يا رَسُولَ الله، ما الإسلامُ؟ قالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ولَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ المكْتُوبَةَ**»، الحديث[1].

فقَدْ وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ بقولِهِ: «**تَعْبُدُ اللهَ ولَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، ويَظْهر من هَذَا أنَّ العبادةَ لا تكونُ عبادةً إلَّا إذا كَانَتْ نَقيَّةً من الشِّرْكِ كما تَقدَّم في الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْركَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[2].

وقَدْ جاءَ في السُّنَّةِ أحاديثُ كثيرةٌ بمِثْلِ هَذَا القيدِ للعِبَادةِ؛ ومِنْها:

ما رَواه مسلمٌ من حَدِيثِ أبي أيُّوب رضي الله عنه أنَّ أعرابيًّا عرضَ لنبيِّ الله ﷺ وهو في سَفَرٍ، فأَخذ بزِمَامِ نَاقتِهِ، ثمَّ قالَ: يا رَسُول الله - أو: يا مُحمَّد - أَخْبرني بما يُقرِّبني من الجنَّةِ، ويُبَاعدُني من النَّار، قال: فكَفَّ النَّبيُّ ﷺ، ثمَّ نَظَر في أصحابِهِ، ثمَّ قالَ: «**لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ لَقَدْ هُدِيَ**»، قالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: فأَعَادَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ**»[3].

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما مَرْفوعًا: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ...**»، الحديث في بَابِ أَرْكَانِ الإسْلامِ ودَعائِمِهِ، مِنْ (كِتَابِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٣).

الإِيمَانِ)(١).

وَفِي «صحيح مسلم» أيضًا: بابُ الأَمْرِ بقِتَالِ النَّاسِ حتَّىٰ يَقُولُوا: لا إله إلَّا الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، ويُؤمِنُوا بجَمِيع ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ، وقِتَال مَنْ مَنَع الزَّكاةَ، أو غَيْرها من حُقُوقِ الإِسْلامِ.

أورد فيه حديث أبي مالكٍ عن أبيهِ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»(٢).

وقَدْ تبيَّنَ مِنْ جَمِيع ما سَبَرناهُ: أنَّ مَنْ قالَ: «لا إله إلَّا الله» بلسانِهِ، وناقَضَها بأفعالِهِ، كأَنْ يَدْعوَ المَخْلُوقينَ، ويَعْتقد فِيهِم القُدرةَ عَلَىٰ جَلْبِ النَّفْع ودَفْع الضُّرِّ الَّذي لا يَقْدرُ عليه إلَّا الله - أنَّ قَوْلَها لا يَنْفعه لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ، فلا تَعْصم دَمَه في الدُّنيا، ولا تُنجِّيه من النَّار، ولا تُدْخِله الجنَّةَ في الآخِرَةِ، وقَدِ اتَّضح الحقُّ لمَنْ أرَادَه، والتَّوفيقُ من الله.

الملاحظة الثَّانية: إقرارُ المَشَاهِدِ والأَضْرحةِ، وعَدَم مُحاوَلةِ إِزَالتها والقِيَام بحربٍ عَلَيها وعلىٰ مُرْتَاديها.

إنَّ المَشَاهدَ والأضرحةَ الَّتي ما زالت قائمةً في البِلَادِ المِصْريَّة، والَّتي يَرْتادها المِصْريُّونَ من كلِّ نَوَاحي مصر، يَتطوَّفون بها، ويُقدِّمون لها النُّذُورَ، ويَهْتفونَ بأَسْماءِ أَصْحابِها استغاثةً في الكُرُوبِ، ورجاءً في الرَّغائبِ، إنَّ هَذِهِ المَشَاهِدَ والأَضْرحةَ تُمثِّل الطَّواغيتَ الَّتي كَانتْ في الجاهليَّة؛ كاللَّات والعُزَّىٰ وذي الكفين وذي الخلصة ومناة، وغير ذَلِكَ، والَّتي حَارَبها النَّبيُّ ﷺ مُنْذ بُعِث

(١) أخرجه مسلم (١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣).

حربًا شَعْواءَ لا تَخْبو نَارُها، ولا يفتر أوَارُها، فلمَّا انتصرَ عَلَىٰ المُشْركين، أَرْسَل بعضَ أصحابِهِ لهَدْمِ تِلْك الطَّواغيت وإِبادَتها وإِحرَاقها.

وإنَّ الواجبَ علىٰ كُلِّ داعيةٍ يَزْعم أنَّه يَدْعو إلىٰ الله، ويَكُون في وسَطِه وبيئته كالوسَطِ والبيئة الَّتي كَانَتْ وما زَالَتْ في مصر وغيرها من بُلْدانِ العالَم الَّتي بُلِيتْ بهذا المرَض الفتَّاكِ، وهو مرَضُ الخُرافةِ والشِّرْك بالله؛

أقولُ: إنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ داعيةٍ في مِثْل هذا المحيطِ أنْ يَبدأَ ببيانِ التَّوحيدِ وما يُنافِيه من الشِّرْكِ، أمَّا مَن سَكَت عن الشِّرْكِ، وهو يَزْعم في نَفْس الوقتِ أنَّه يَدْعو إِلَىٰ الله مع أنَّه لا يَتمعَّر وجهُه مِن هُتافاتِ المُشْركينَ بأَسْماءِ المَخْلوقينَ، يَدْعونهم بما لا يَقْدر عليه إلَّا الله؛ سواء كانوا أحياءً أم أَمْواتًا، ولم يحارب تِلْكَ المشَاهد ومُرْتَاديها حتَّىٰ ولا بالإِنْكَارِ بالكلمةِ، بَلْ هو يذهبُ إليها بنفسِه مُوهمًا لعوامِّ النَّاسِ ودَهْمَائهم أنَّ هذه الأضرحةَ تُمثِّل الإسلامَ وما يَعْملُه النَّاسُ عِنْدها يقرُّه الإِسلامُ، كما تَقدَّم أنَّ الشَّيْخَ البنَّا حاضرَ في مَشْهد السَّيِّدة زينب في حَفْل الهجرة، ولم يَذْكر حرفًا واحدًا عن الشِّرْكِ الَّذي يُعمَل في ذَلِكَ المَشْهدِ.

وقالَ حسن البنَّا في «مُذَكراتِهِ» (ص٣٣): «وكنَّا في كثيرٍ من أيَّام الجُمَع الَّتي يَتَصادف أن نَقْضيها في دمنهور، نقترحُ رحلةً لزيارة الأَوْلياءِ القَريبينَ من دمنهور، فكُنَّا أحيانًا نزور «دسوقي»، فنَمْشي عَلَىٰ أَقْدامِنا بعد صَلَاة الصُّبْح مباشرةً بحَيْث نصلُ حوالي السَّاعة الثَّامنة صباحًا، فنَقْطع المسافةَ وَهِي حوالي عشرين كم في ثلاث ساعاتٍ، ونَزُور ونُصلِّي الجُمُعة، ونَسْتريح بَعْد الغداء، ونُصلِّي العصرَ ونَعُودُ أَدْراجَنا إِلَىٰ دمنهور حيث نَصِلُها بعد المغرب تَقْريبًا».

وقال أيضًا في الصَّفحة نَفْسها: «وكُنَّا أحيانًا نَزُور (عزبة النوام) حَيْث دُفِنَ في

مَقْبرتها الشَّيخ «سيد سنجر» مِن خوَاص رجال الطَّريقةِ الحصافيَّة، والمَعْروفين بصَلَاحِهِم وتَقْواهم، ونَقْضي يومًا كاملًا هناك، ثمَّ نَعُودُ»[١]. اهـ.

وأقول: إنَّ الزِّيارةَ تَنْقسم إِلَىٰ ثلاثةِ أقسام: سُنيَّةٌ وبِدْعيَّةٌ وشِرْكيَّةٌ، فمَنْ دَعَا صاحبَ القَبْر فهُوَ مُشْركٌ، وزيارته شِرْكيَّةٌ، ومَنْ زَعَم أنَّ الدُّعاءَ عند ذَلِكَ القَبْر مُسْتجابٌ فهو مُبْتدعٌ، وزيارتُهُ بِدْعيَّةٌ، ومَنْ زَارَ قَبْرَ فلانٍ ليدعو لَه؛ لعلمِهِ أنَّ المقبورَ في حاجةٍ إِلَىٰ الدُّعاءِ، فتِلْك هي الزِّيارةُ السُّنيَّة الَّتي حثَّ عَليها النَّبيُّ ﷺ في قولِه: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ»[٢].

ولَكِنَّ الزِّيارةَ السُّنيَّةَ لا يَجُوزُ أن يشدَّ إِلَيها رحلٌ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[٣].

والعِشْرُونَ كيلو «بريد» وهي مَسَافةُ قَصْرٍ عَلَىٰ رأي بَعْض أَهْلِ العِلْم، وظاهرُ الدَّليلِ مَعَهم، فقَدْ وَرد في حديث: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّام»[٤]، وفي روايةٍ: «يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[٥]، وفي روايةٍ: «يَوْمٍ»[٦]، وفي روايةٍ: «لَيْلَةٍ»[٧]، «إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَم».

وهذه الرِّواياتُ صَحَّتْ صِحَّةً لا شكَّ فِيهَا.

---

(١) «مذكِّرات الدَّعوة والدَّاعية» (ص ٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧) مِن حديث بُريدةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (١٣٩٧) مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣٨) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجها مسلم (١٠٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجها مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٧) أخرجها مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وورَد في رواية سُهَيل بن أبي صالح، وقَدْ رَوَىٰ له البخاريُّ مَقْرونًا بلَفْظ: «لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسَافَةَ بَرِيدٍ»[1].

وَالبريدُ مَسَافة تِسْعةَ عَشَر كيلو ومئتي متر (١٩٢٠٠)، فتبيَّن أنَّ هَذِهِ المَسَافةَ مسافةُ قَصْرٍ.

وأخيرًا: مَا هُو الباعثُ للشَّيخ البنَّا ورِفَاقِه إِلَىٰ هَذِهِ المشاهد وهذه القُبور الَّتي فُتِنَ بها النَّاسُ، وجَعَلوها مُضَاهيةً للكَعْبة إِنْ كَانُوا يَدْعون الله عِنْدها، ومُضَاهيةً لله إِنْ كَانُوا يَدْعونها، والأخيرُ هو المعروفُ من حالِ المُشْركينَ الَّذين يَرْتادُونَ هَذِهِ الأماكنَ، وما الَّذي حَمَلهم عَلَىٰ أنَّهم يَذْهبون إِلَىٰ هَذِهِ القُبُور يَمْشون عَلَىٰ الأَقْدام، ويَزْعمون أنَّ ذَلِكَ قُرْبةٌ.

والظَّاهرُ أنَّ البنَّا ورِفَاقَه يَقْصدون واحدًا من الاثنين: إمَّا الدُّعاءُ عِنْدها، وهَذَا بدعةٌ، وإمَّا دُعاءُ المَقْبُورِينَ فيها، وهذا شركٌ أكبرُ.

فمَنْ عاشَ وتَربَّىٰ عَلَىٰ هَذَا من صِغَرِهِ وأيَّام طَلَبِهِ، فكيفَ يُسْتَبعدُ وُقوعُه منه فِي كِبَرِهِ وأيَّام تَبنِّيه للدَّعوةِ إِلَىٰ الله؟!

بل إِنَّ ذِكْره لذَلِكَ معتزًّا ومُغْتبطًا به في «مذكراتِهِ» يدلُّ دلالةً واضحةً عَلَىٰ عَدَم رُجُوعِهِ عنه، وسكوتُهُ عَلَىٰ تِلْك المَشَاهد أيَّام دعوتِهِ، وعَدَم إنكارِهِ عَلَىٰ مُرْتاديها شاهدٌ آخر.

بل والذَّهابُ إليها والمُحَاضرة فِيهَا عن الشِّرْك الَّذي يَجْري فيها شاهدٌ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٧٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٢٦)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٢٧١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦١٠) (١٦١٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحاكم: حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرطِ مُسلمٍ، ولم يُخرِّجاه بِهذا اللَّفظِ. والحديث حَكَمَ الألبانيُّ بشذوذه. انظر: «الضَّعيفة» (٥٧٢٧).

ثالثٌ، وفِيهِ من المَحَاذِير:

١ - إِيهَامُ العامَّة أنَّ ما يَجْرِي عند تِلْك القُبُورِ - من الدُّعاءِ لغَيْر الله وَالاسْتِغاثة بغيرِهِ من المَخْلُوقِينَ، والذَّبح والنَّذر لهم دُونَه - أنَّه هو الإسلامُ، وذَلِكَ محاربةٌ للإِسْلامِ الصَّحيحِ، لا دعوةٌ إليه.

٢ - فيه تَشْجيعٌ للوثنيَّة الَّتي حارَبها الإسلامُ من أوَّل يومِ نَزلَ القرآنُ فيه عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، وبالأخصِّ في السُّورِ المكيَّةِ؛ كقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

٣ - صُدُورُ هَذَا من داعيةٍ يَظْهر للنَّاس أنَّه يُمثِّل الإسلامَ الصَّحيحَ، أَعْظَمُ في التَّغريرِ بالسُّذَّجِ، وأكثر إيغالًا في الإيهَامِ والخِدَاعِ، وأنا لا أعتقدُ أنَّ البنَّا قَصد الإيهامَ، ومَنْ سَبَر حالَه من كُتُبِهِ وسيرتِهِ يَتبيَّن له أن الَّذي أَوْقعه في ذَلِكَ هو الجهلُ بالإسلامِ الصَّحيحِ.

الملاحظة الثَّالثة: قَبُولُ المُشْرِكِينَ بالله شِرْكًا أكبر بالدُّعاءِ والذَّبحِ والنَّذرِ، وغَيْر ذَلِكَ في الجماعةِ، وَاعْتِبارهم إِخْوانًا مَعَ مُنَافاةِ عَقِيدتِهم لأَعْظَمِ قَاعِدةٍ في الإِسْلامِ، وَاعْتِبارِ الرَّافضةِ الَّذين يَسبُّون الصَّحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويَعْتقدونَ في أئمَّتهم العِصْمةَ إخوانًا، إِلَىٰ غير ذَلِكَ.

دليلنا عَلَىٰ ذَلِكَ أمورٌ:

الأمرُ الأوَّلُ:

أنَّ حسن البنَّا حِينَ قَامَ بالدَّعوةِ في مصر، تَابَعه عَلَىٰ دَعْوتِهِ عَشَراتُ الأُلُوف، بَلْ مِئَاتُ الأُلُوفِ، لكنَّا لم نَسْمع أنَّه شَرَط عَلَىٰ أحدٍ مِمَّن دَخلوا في حزبِهِ أن يَتخلَّىٰ عن عقيدتِهِ السَّابقةِ؛ سواء كَانَتْ شِرْكيَّةً خرافيَّةً، أو جهميَّةً تَعْطيليَّةً، أو

معتزليَّةً تنفي القَدَرَ، وتَقُول بخَلْق القرآنِ، وتَجْحد رُؤيةَ الله في الآخرةِ، أو غَيْر ذَلِكَ، لم نَسْمع ولم نَقْرأ في كُتُبه أنَّه قال لأحدٍ مِنْهم: لا تَدْخل في دَعْوتنا حتَّىٰ تتخلَّىٰ عن عَقيدتِكَ السَّابقةِ.

الأمر الثَّاني:

سَعْيُ الشَّيْخ البنَّا في التَّقريب بَيْن السُّنَّةِ والشِّيعةِ، وَاعْتِباره أنَّ الشِّيعةَ إخوانٌ في الإِسْلام رُغْم ما عِنْدَهم من العَقائدِ المُنافِيَةِ للدِّين الإسلاميِّ مُنَافاةً وَاضِحةً؛ من ذَلِكَ زَعْم الشِّيعةِ أنَّ أئمَّتهم مَعْصُومونَ، وقَدْ خَالَفوا في هَذَا إِجْماعَ عُلَماءِ المُسْلمينَ أنَّ العصمةَ لَيْسَتْ لأحدٍ غَيْر الأَنْبياءِ.

ومِنْ ذَلِكَ زَعْمُهم - عَلَيهم لعائنُ الله - أو زَعْمُ بَعْضهم أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَانَ، فألْقىٰ الرِّسالةَ عَلَىٰ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِي كَانَتْ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذَا كفرٌ من أَبْشعِ الكُفْرِ.

ومن ذَلِكَ سَبُّهم لأَبِي بكرٍ وعُمَر وعُثْمان وسَائِر الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورَمْيهم لعَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالإِفْكِ بعدَ أن بَرَّأها اللهُ منه، وهذَا كفرٌ وإنكارٌ لِمَا جاءَ في القرآنِ مِنْ تَبْرئتها، وجَحْدٌ له.

ومن ذَلِكَ زَعْمهم أنَّ القرآنَ مُبدَّلٌ ومُحرَّفٌ، وقَدْ حذف منه أكثر من النِّصفِ، وهَذَا تَكْذيبٌ لقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

ومن ذَلِكَ: اعْتِقادُهُمْ جوازَ نِكَاحِ المُتْعةِ، ومُخالَفتهم لإجْماعِ المُسْلمينَ عَلَىٰ نَسْخِها.

ومن ذَلِكَ: اعْتِقادُهُمْ أنَّه يَجُوزُ للرَّجلِ أن يَتزوَّج أكثرَ من أربعٍ، ويُخالِفُونَ إجْماعَ المُسْلمينَ.

ومن ذَلِكَ: تَأْليههم لأَئمَّتهم خاصَّةً، وأَهْل البيت عامَّةً، وذَلِكَ بتَعْبيدِ أَبْنائِهم

لَهم، فهُمْ يُسمُّونَ: عبد الزَّهراء، وعبد الحسين، وعبد الكاظم، وغير ذلك.

ويَعْتقدُونَ أنَّ الأمواتَ مِنهم يُجيبونَ الدُّعاءَ، ويَكْشفونَ الغُمَّةَ(١).

ورُغم هَذِهِ الأُمُور المُكفِّرة والبَلاوي الَّتي هي غايةٌ في البَشاعةِ والكُفر، رُغم هَذا كلِّه، فَقَدِ اعْتَبرهم حسن البنَّا إخوانًا في الدِّين، وسَعَىٰ في التَّقريبِ بَيْنهم وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ سعيًا حثيثًا، وبَذَل في ذَلِكَ جهدًا ليس باليَسِير، وسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ أتباعُه مِن بَعْده.

يَقُول عُمر التِّلمسانيّ (المُرْشد العام للإخْوانِ المُسْلمين): «وبَلَغ من حِرْصِهِ - حسن البنَّا - عَلَىٰ تَوْحيدِ كلمةِ المُسْلمين أَنْ كانَ يرمي إِلَىٰ مؤتمرٍ يجمعُ الفِرَقَ الإسلاميَّةَ؛ لعلَّ الله أن يَهْديهم إِلَىٰ الإجماعِ عَلَىٰ أمرٍ يَحُول بَيْنهم وبَيْن تكْفير بَعْضهم، خاصَّةً وأنَّ قرآننا واحدٌ، وَدِيننا واحدٌ، وإِلَهنا واحدٌ، ورَسُولنا واحدٌ»(٢). اهـ.

قلتُ: وهَلْ يُتصوَّر أن تجتمعَ الفِرَقُ الَّتي عَاشَتْ عَلَىٰ الخلافِ أَلْفَ سنةٍ، بل أكثر، هل يُتصوَّر أن تجتمعَ الآنَ؟!

«ولَقَدِ اسْتَضاف لهذَا الغرضِ فضيلةَ الشَّيخ محمد القمي أحد كِبَارِ عُلَماء الشِّيعة وزُعَمائِهم في المركز العام فترةً لَيْسَتْ بالقصيرة، كما أنَّه من المَعْروفِ أنَّ الإمام البنَّا قَدْ قَابَل المرجعَ الشِّيعيَ آية الله الكاشاني أثناءَ الحجِّ عام ١٩٤٨م،

---

(١) انظر كتاب: «الكافي» للكليني، الَّذي هو عند الرَّافضة بمنزلة البخاري عند أهل السُّنَّة، ففيه: (١/ ٢٠٠، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب)؛ أي أنَّ الأئمة يعلمون الغيب، وفي (١/ ٢٠٢، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَعْلمون متىٰ يموتون، وأنَّهم لا يموتون إلَّا باختيار منهم)، وفي (١/ ٢٠٣، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنَّه لا يخفىٰ عليهم شيءٌ صلوات الله عليهم).

فانظر إلىٰ هذا الضَّلال والإفك المبين، ومع هذا كلّه يريد (الإخوان المسلمون) التقريب بين أهل السُّنَّة والرافضة؛ بل يرون أنَّ هذا كلّه لا يوجب الاختلاف بيننا. محمّد بن هادي.

(٢) «حسن البنَّا القائد الملهم الموهوب» (ص ٧٨).

وحَدَث بَيْنهما تفاهمٌ يُشِير إليه أحدُ شَخصيَّات الإخوان المسلمين اليومَ، وأحدُ تلامذة الإمام الشَّهيد الأستاذ عبد المتعال الجبري في كتابِهِ[١] «الاعتصام» نَقَل فيه كلامًا لكاتبٍ إنجليزيٍّ يَذْكر فيه دورَ البنَّا في التَّقريبِ مع الشِّيعةِ.

ويُعلِّق الأستاذُ الجبري قائلًا: «لقَدْ صَدَق «روبير»، وشمَّ بحاسَّتِهِ السِّياسيَّة جُهْدَ الإمام في التَّقريب بَيْن المَذاهبِ الإسلاميَّةِ، فما لَه لَوْ أَدْرك عن قُرْبٍ دَوْرَه الضَّخْمَ في هَذَا المجالِ ممَّا لا يَتَّسع لذِكْره المقامُ». اهـ.

ونَقَل عن كتاب التِّلمساني «ذكريات لا مذكرات» أنَّه قالَ: «وفي الأَرْبعينيَّات عَلَىٰ ما أَذْكُرُ كانَ السَّيِّد القمي وهو شيعيُّ المذهب، يَنْزل ضيفًا عَلَىٰ الإِخْوانِ في المركز العام، ووَقْتها كانَ الإمامُ الشَّهيدُ يَعْملُ جادًّا علىٰ التَّقريبِ بَيْن المذاهبِ حتَّىٰ لا يَتَّخذ أعداءُ الإسلامِ الفُرْقةَ بَيْن المذاهبِ مَنْفذًا يَعْملون مِن خلالِه علىٰ تمزيقِ وحدة الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وسَألْناه يومًا عن مدَىٰ الخلافِ بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، فنَهَانا عن الدُّخُولِ في مثل هذه المسائلِ الشَّائكةِ الَّتي لا يليقُ بالمُسْلمينَ أن يَشْغلوا أنفسَهم بها، والمسلمونَ عَلَىٰ ما ترىٰ من تَنابُذٍ يَعْمل أعداءُ الإسلامِ علىٰ إِشْعالِ نَارِه، قلنا لفضيلتِهِ: نَحْن لا نسألُ عن هَذَا للتَّعصُّبِ، أو توسعة هُوَّة الخلاف بَيْنَ المسلمين، ولكنَّنا نسألُ للعِلْمِ؛ لأنَّ ما بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ مذكورٌ في مُؤلَّفاتٍ لا حصرَ لها، وليس لَدينا من سَعَة الوقتِ ما يمكننا من البَحْثِ في تلك المَراجِع.

فقالَ رضوان الله عليه: اعْلَموا أنَّ السُّنَّةَ والشِّيعةَ مُسْلمون، تَجْمعهم كلمةُ:

(١) «لماذا اغتيل حسن البنَّا» (ص٣٢). بواسطة «الإخوان المسلمون في الميزان».

«لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رَسُولُ الله»، وهذا أصلُ العقيدة، والسُّنَّةُ والشِّيعةُ فيه سواءٌ، وعلىٰ النَّقاءِ، أمَّا الخلافُ بَيْنهما فهو فِي أُمُورٍ من الممكن التَّقريبُ بَيْنهما فيها»[(١)].

قلت: القولُ بِأنَّ «الشِّيعةَ وأَهْلَ السُّنَّةِ سواءٌ، وعلىٰ النَّقاءِ»: هَذَا القولُ لا يَصْدر إلَّا من جاهلٍ أو مُغَالطٍ.

١ - فهَلْ مَنْ يسبُّ أبا بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويُكفِّرهما، ويَتَّهمهما بالخيانةِ هو ومَنْ يُجِلُّهما ويَترَضَّىٰ عنهما، ويعتقد أنَّهما أفضلُ أُمَّة مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نَبيِّها سواءٌ؟ !

٢ - وهَلْ مَنْ يعتقد العِصْمةَ للأئمَّةِ الاثني عشر من أَهْل البيتِ، ومَنْ يَعْتبرهم كغَيْرِهِمْ من المُسْلمينَ سَواء؟ !

٣ - وهل مَنْ يُعبِّد أبناءَه لأَهْلِ البيتِ ويُسمِّيهم: عبد الزَّهراء، أو عبد الحسين، أو غير ذَلِكَ، ومَنْ لا يرىٰ العُبُوديَّة إلَّا لله تعالىٰ سواء، إِلَىٰ غير ذَلِكَ، ولقَدْ صرَّح الخميني فِي بَعْض كُتُبه أنَّ المهديَّ المنتظر إذا ظَهَر، فسَيَنْجَح أكثر من مُحمَّد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إنَّ الفَوَارقَ بَيْن أهلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ فوارقُ كبيرةٌ، لا يُمْكن مَعَها تقاربٌ ولا اجتماعٌ إلَّا أن يَتخلَّىٰ أحدُ الجانبين عن عقيدتِهِ، ويَرْضىٰ بعقيدة الجانبِ الآخر، وهذا ما لا يجوزُ من السُّنِّي، ولا يمكنُ حُصُولُهُ من الشِّيعة رُغْم وُجُوبِهِ عَلَيهم، ووُجُوبِ الإذْعانِ للحقِّ الَّذي مع أَهْلِ السُّنَّةِ.

وأمَّا قولُهُ: «علىٰ النَّقاء»: فأين النَّقاءُ من قومٍ يَرَوْنَ أفضلَ القرب أَذيَّةَ أَهْل السُّنَّةِ، وفي ذَلِكَ أخبارٌ مستفيضةٌ، وأذكر أنَّا ذَهبنا لطوافِ الإفاضةِ والسَّعي في آخِرِ ليلة الحادي عشر (١١) أو ليلة الثَّاني عشر (١٢)، فوَجدنا تحتَ الصَّفا أي:

---

(١) «ذكريات لا مذكَّرات» لعمر التلمساني (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

قَبْل الوُصُولِ إِلَيها عذرةً كثيرةً منثورةً عَلَىٰ مَسَافة ما يُقَارب خمسة عشر مترًا، وبكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ ممَّا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ فاعلَ هَذَا قَدْ جَمَعها في باغاتٍ ونَثَرها، وأذكر أنَّ النَّاسَ باللِّسان الواحد كانوا يَتَّهمون بذَلِكَ الشِّيعةَ؛ لأنَّ أذيَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ مبدأٌ من مَبَادِئهمْ، ودينٌ من دِينِهمْ.

الأمر الثَّالث: قولُ حسن البنَّا حِينَ اجْتمَعَ بلجنةٍ مُشْتركةٍ أمريكيَّةٍ بريطانيَّةٍ جَالَتْ العالمَ العربيَّ من أَجْل قَضيَّة فلسطين، فَالْتَقىٰ بِهِم في مصر مُمثِّلًا للحَرَكَةِ الإِسْلاميَّةِ، فقال: «فَأقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيْسَتْ دينيَّةً؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ حضَّ عَلَىٰ مُصَافاتهم ومُصَادقتِهِمْ، والإسلامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبل أنْ تكونَ شريعةً قوميَّةً، وقَدْ أَثْنىٰ عليهم، وجَعَل بَيْننا وبَيْنهم اتِّفاقًا ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦].

وَحِينَما أرادَ القرآنُ أَنْ يتناولَ مسألةَ اليهود، تَناوَلها من الوِجْهةِ الاقتصاديَّة، فقَالَ تَعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]»[(١)].

وأقولُ: أين هَذَا ممَّا قصَّ اللهُ عَنْهم في سورة (البقرة) وفي سورة (المائدة) وغيرهما مِنَ السُّوَر؟ أَيْن قولُ البنَّا: «فأُقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ ليست دينيَّةً» من قولِهِ تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾[البقرة: ٩٨].

أنزلَ اللهُ ذَلِكَ حِينَ قَالُوا للنَّبيِّ ﷺ: مَنْ يَأتيك بالوَحْيِ من الملائكةِ؟ قال: جبريلُ، قَالُوا: ذاكَ عَدوُّنا من المَلَائكةِ، لَوْ كانَ الَّذي يأتيكَ بالوَحْيِ ميكائيل

---

(١) كتاب: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التَّاريخ» (١/ ٤٠٩)، وعبَّاس السِّيسي في كتاب: «حسن البنَّا مواقف في الدَّعوة والتَّربية» (ص ٤٨٨).

[illegible]

ثم نسمعه يقول: إن خصومتنا مع اليهود ليست دينية، سبحان الله! إن هذا ليس إلا عجيبة أن يقرر الله عداوة اليهود له ولملائكته ورسله وجبريل وميكائيل، ثم يقرر عداوة لهم ممن قرروا هم عداوتهم لأوليائهم، ثم يأتي رجل يوصف بأنه يدعو إلى الله ويقرر حتى عدم الخصومة مع اليهود في الدين مع أن الخصومة أدنى من العداوة، فقد يتخاصم الإخوة، فنفي الخصومة يستلزم نفي العداوة وما هو شر منها.

إن هذا لأمر غريب عجيب، وموقف سيئ مريب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأمر الرابع: ومن ذلك إقامته حفلاً لتكريم السيد محمد عثمان الميرغني: قال فيه البنا: إن دار الإخوان لتشهد أكبر السعادة، وتأنس أعظم الإيناس؛ إذ تستقبل هذه القلوب الطاهرة والنفوس الكريمة أعلام الجهاد، وأبطال العروبة، وأقطاب قادة السلام، أتقدم إلى الزعيم السوداني الكريم السيد محمد عثمان الميرغني، وإلى حضرات الذين أجابوا الدعوة بأجزل الشكر وأعظمه...).

إلى أن قال: أيها السادة لعل الكثير لا يعلمون أننا نحن الإخوان مدينون للسادة الميرغنية بتلك المودة الخالصة، والحفاوة البالغة التي غمرونا بها من قبل، ومن بعد كلما ذهب مبعوثنا إلى السودان، لا، ولكن دين قديم منذ نشأت الدعوة بالإسماعيلية، فقد كان أول أنصارها والمجاهدون لتركيزها الإخوان الختمية الميرغنية، وقد حضرت في سنة ١٩٣٧م حفلاً للإسراء والمعراج في زاوية وخلوة السيد عثمان الميرغني الكبير بالإسماعيلية، وهي لا تزال قائمة، ولا زلت أذكر أخانا هناك، فالقلب الختمي، والتأييد الختمي يسير مع الدعوة

منذ صغره، وسماحة الشيخ عثمان المرغني الكبير والد الشيخ محمد عثمان هو أول من حمل هذا اللواء وبشّر به، فهذا تاريخ قديم نعتز به أيها السادة، نشكر فرع الطريقة الكريمة الشيخ محمد عثمان عمّا يكنّه الإخوان لسماحته من حب ومودة وتقدير». اهـ(١).

وإنَّ قول المرشد: «إنهم معشر الإخوان مدينون للسادة المرغنية بأداء المودة الخالصة والحفاوة البالغة»، وقوله في الأخير: «نشكر لفرع الطريقة الكريمة الشيخ محمد عثمان المرغني عمّا يكنّه الإخوان لسماحته من حُبٍّ ومودة وتقدير»، إنَّ هذا الثناء وهذا التكريم ليدلُّ على واحد من أمرين:

الأمر الأول: وهو إمّا أنّه يشارك المرغني في عقيدة وحدة الوجود، وهذه مرّ أنّ ما مثلها سواء، فالمرغني من أقطاب وحدة الوجود وكهنتها.

الأمر الثاني: وهو أنَّ الولاء والبراء منعدمٌ عنده، فهل سيفهم هذا الذين عاشوا على التوحيد، وربّوا على العقيدة السلفية منذ الصغر.

الملاحظة الرابعة: تهاونُه في التوسُّل الَّذي هُوَ من الذَّرائع المؤدِّية إلىٰ الشِّرك، واعتباره من الفُرُوع الَّتي لا يهتمّ بها، لقدْ صرّح البنّا بأنَّ التَّوسُّل من الأُمُور الفرعيَّة الَّتي ما زَالَ الخلافُ فيها قائمًا، وليْسَتْ من أُمُور العقيدة، فقال في الأَصْل الخامس عشر منَ الأُصُولِ العشرين: «والدُّعاء إذا قُرِنَ بالتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بأحدٍ من خَلْقه خلافٌ فرعيٌّ في كيفيَّة الدُّعاءِ، وليس من أُمُورِ العقيدةِ»(٢).

قلتُ: التَّوسُّلُ بالذَّواتِ ممنوعٌ ومُحرَّمٌ، فإنَّه لم يُعرف عن أحدٍ مِنَ الصَّحابة

(١) «دعوة الإخوان المسلمين» للسيسي (١/٢٥٩).

(٢) عن كتاب «نظرات في رسالة التعاليم» (ص١٧٧) إعداد محمد عبد الله الخطيب، ومحمد عبد الحليم حامد.

أنَّه فَعَله، أمَّا قولُ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الاسْتِسْقاءِ: «اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نَتوسَّل إلَيْكَ بِنَبِيِّكَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوسَّلُ إلَيك بعَمِّ نَبيِّنا فَاسْقِنَا»، فهذا دليلٌ عَلَىٰ القَائِلينَ بالتَّوسُّلِ بالذَّواتِ؛ لأنَّه لو كانَ التَّوسُّلُ بالذَّوات جائزًا، ما عَدَلَ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن ذاتِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَىٰ دُعَاءِ العبَّاسِ.

وأنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إنَّما توسَّل بدُعاءِ العَبَّاس، وليس بذاتِه، وقَدْ قالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سُئِل: هل يجوزُ التَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ لَا؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحَمْدُ لله، أمَّا التَّوسُّلُ بالإيمان بِهِ، ومحبَّته، وطاعته، والصَّلاة والسَّلام عليه، وبدُعائِهِ، وشفاعتِهِ، ونحو ذَلِكَ ممَّا هو من أفعالِه وأفعالِ العبادِ المَأمور بها في حَقِّه؛ فهو مَشْروعٌ باتِّفاق المُسْلمينَ، وكانَ الصَّحابةُ - رضوان الله عليهم - يَتوسَّلون به في حياتِه، وتَوسَّلوا بعد موتِه بالعَبَّاس عَمِّه كما كَانُوا يَتوسَّلون به». اهـ[1].

ومَقْصودُ الشَّيخ أنَّهم كانوا يَتوسَّلون بدعاء النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتِهِ، فلمَّا ماتَ تَوسَّلوا بدعاءِ عَمِّه العبَّاس، ولهذا قالَ بعد ذَلِكَ: «وأمَّا قولُ القائل: «اللَّهمَّ إنِّي أتوسَّل إلَيك به»، فللعُلَماءِ فيه قَوْلان، كما لهم في الحلف به - يعني النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْلان، وجُمهورُ الأئمَّةِ كمالكٍ والشَّافعيِّ وأبي حنيفة علىٰ أنَّه لا يَسُوغُ الحلفُ بالنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بغيرِهِ من الأنبياءِ والملائكةِ، ولا تَنْعقد اليمينُ بذَلِكَ باتِّفاق العُلَماءِ، وهذِهِ إحْدىٰ الرِّوايتين عن أحمد، والرِّواية الأُخْرىٰ عن الإمام أحمد: تَنْعقد اليمينُ به خاصَّةً دونَ غيره.

---

(١) «إقامة الدَّليل علىٰ إبطال التَّحليل» (٥/ ١٢٥).

ولكنَّ غيرَ أحمد قال: إنَّ هذا إقسامٌ علىٰ الله بمَخْلوقٍ، ولكنَّ الرِّوايةَ الأخرىٰ عنه وهي قولُ جُمْهور العلماءِ: إنَّه لا يُقسَم عَلَىٰ الله به كسَائِرِ الملائكةِ والأنبياءِ، فإنَّا لا نعلمُ أحدًا من السَّلفِ والأئمَّةِ قالَ إنَّه يُقسم به علىٰ الله، كما لم يَقُولوا أنَّه يقسم بهم مطلقًا، ولهذا أَفتىٰ أبو مُحمَّد بن عبد السَّلام أنَّه لا يُقسَم عَلَىٰ الله بأحدٍ من الأَنْبياءِ والمَلائكةِ وغَيْرهم، لكن ذكر له أنَّه رُوِيَ حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺ في الإقْسامِ به عَلَىٰ الله، قال: إنْ صحَّ الحديثُ، كانَ خاصًّا بِهِ، والحديثُ المذكورُ لا يدلُّ عَلَىٰ إقسامٍ به، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ وَإلَّا فَلْيَصْمُتْ**»[1]، وقال: «**مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[2]، والدُّعاءُ عبادةٌ، والعبادةُ مَبْناها علىٰ التَّوْقيفِ والاتِّباعِ، لا علىٰ الهوَىٰ والابْتِدَاعِ، واللهُ أَعْلم»[3].

قلتُ: القولُ بأنَّ: «**الإقسامَ عَلَىٰ الله بذاتِ أَحَدٍ من خَلْقه أو بجاهِهِ مُحرَّمٌ لا يَجُوزُ**»، **هُوَ القولُ الحقُّ لأُمُورٍ**:

الأمرُ الأوَّل: أنَّه لم يصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه فَعَله أو أَمَر به، ولم يصحَّ عن أحدٍ من أصحابِهِ أنَّه فَعَله، أو أَمَر به، ولو كانَ التَّوسُّلُ بالجاه أو الذَّاتِ من العِبَاداتِ الَّتي شَرَعها اللهُ لعبادِهِ، لَنقَله أصحابُهُ عنه نقلًا مُتواترًا أو مَشْهورًا كسَائِرِ العِبَاداتِ الَّتي نُقِلت عنه نقلًا مشهورًا.

الأمرُ الثَّاني: أنَّ كلَّ ما رُوِيَ في الإقْسامِ بالمَخْلوقِ عَلَىٰ الخالِقِ، أو السُّؤال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٨/ ٢٨٢).

(٣) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» لابن تيمية (١/ ١٤٠، ١٤١).

بجاهِهِ، فهو إمَّا موضوعٌ أو ضعيفٌ، انظر كتاب: «التَّوسُّل والوسيلة» لشَيْخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والجزء الأوَّل من «الفتاوىٰ الكبرىٰ» له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب: «أوضح الإشارة في الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أجاز الممنوع من الزِّيارة»(١) فيه شيءٌ من التَّحقيق مُقْتبسٌ من كُتُبِ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرها.

الأمرُ الثَّالثُ: القاعدةُ الشَّرعيَّة: أن نردَّ المُشْكلَ إِلَىٰ الواضح، والمنكر إِلَىٰ المعروف بأَنْ نَستبعدَ المُنْكرَ، ونأخذَ بالمَعْروفِ، والمعروفُ من الشَّريعةِ الإسلاميَّة أنَّ الوسيلةَ المَأمورَ بها هي العملُ الصَّالحُ، كما في قولِه تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

الأمرُ الرَّابع: أمَّا حديث عثمان بن حنيف فهو - إِنْ صحَّ - من التَّوسُّل بدعائِه لا بذاتِهِ، وكونه أَمَر به رجلًا في عَهْد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقُضِيتْ حاجتُهُ، فهذا مردودٌ بثلاثةِ أمورٍ:

الأمرُ الأوَّل: ضَعْف الرِّواية.

الأمرُ الثَّاني: إِنْ صحَّ، فهو اجتهادٌ من عثمان بن حنيف، ولم يُوافِقه عليه أحدٌ من الصَّحابة.

الأمرُ الثَّالث: أنَّ انقضاءَ حاجة ذَٰلِكَ الرَّجل لا تدلُّ عَلَىٰ شرعيَّةِ ما أَمَر به، بل قَدْ تُقضَىٰ حاجتُهُ ابتلاءً، كما تُقضَىٰ حَاجَة المُشْرك أحيانًا إذا دَعَا غير الله، ولا يدلُّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ جوازِ الشِّرْك.

الأمرُ الْخَامس: أنَّ الواجبَ علينا أن نأخذَ بقول أحمد بن حنبل مَعَ الجماعة،

---

(١) هو لشيخنا المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. محمد بن هادي.

ونردَّ قولَه وحده، فإنَّ قولَه مع الجماعة أصحُّ وأحبُّ إِلَيْنا من قولِه وحده؛ لأنَّه وإنْ كان إمامَ أهل السُّنَّةِ بحقٍّ إلَّا أنَّه لَيْس بمَعْصومٍ من الخطأ، وقَدْ قال مالكٌ: «كلٌّ يُؤخَذ من قولِهِ ويُردُّ إلَّا صاحبَ هَذَا القبر»[1]، يعني النَّبيَّ ﷺ.

الأمرُ السَّادس: أنَّ القولَ بجَوَاز التَّوسُّلِ بالذَّواتِ مفتاحٌ لبابِ شرٍّ عظيمٍ، أَلَا وهو الشِّرْكُ الأكبرُ؛ لأنَّ العامَّةَ لا يَقْتصرون عَلَىٰ سؤال الله عَزَّوَجَلَّ بالذَّات الَّذي هو بِدْعةٌ، بل سرعان ما يَنْقلهم الشَّيطانُ من السُّؤال بالذَّاتِ إِلَىٰ سؤال الذَّاتِ نَفْسها، ومَنْ سَبَر أحوالَ النَّاس، لم يُسَاوره في هَذَا أدْنىٰ شكٍّ.

الأمرُ السَّابع: ومن هَذَا يَتبيَّن لك أنَّ قولَ البنَّا أنَّ: «التَّوسُّل مِنَ الأُمُورِ الفَرعيَّة» قولٌ باطلٌ، بل هُوَ من الأَحْكامِ الَّتي تَتعلَّق بالعقيدةِ، وبالله التَّوفيق.

الملاحظة الخامسة:

حُضُور البنَّا للأَعْيادِ المُبْتدعةِ، ومُحاضرتُهُ فيها:

قال في «قافلة الإخوان»: «حسن البنَّا في الإسكندريَّة... »، ثمَّ قال: «دَعَا الإخوانُ المسلمون بالإسكندريَّة إِلَىٰ الاحْتِفَالِ بذِكْرىٰ مَوْلد الرَّسُولِ ﷺ في حفلٍ يحضرُهُ فضيلةُ المرشد العامّ بمَسْجد نبيِّ الله دانيال، واستقبلَ الإخوانُ الأستاذَ المرشدَ عَلَىٰ مَحطَّة السِّكَّة الحديديَّة قُبَيل صلاة المغرب»، إِلَىٰ أَنْ قال: «وبدأ الأستاذُ المرشدُ مُحاضرتَه بحَمْد الله تعالىٰ، والثَّناءِ عليه، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رَسُول الله الكريم، ثمَّ دَخَل في مَوْضوع الذِّكْرىٰ، فقالَ: نُحْيي ذِكْرىٰ مَوْلد الرَّسُولِ ﷺ، ومن حقِّ النَّاس جميعًا؛ مسلمين وغير مسلمين أن

(١) انظر: «مختصر المؤمّل» لأبي شامة (ص ٦٦ الصّحوة)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٩٤ الكتب العلمية).

يَحْتفلوا فِي هَذِهِ الذِّكْرىٰ المباركة، فَرَسُولنا ﷺ لم يأتِ للمُسْلمينَ فقط، وإنَّما بُعِث رحمةً للعَالَمين (الإنس والجنّ)... إلخ»[١].

وقال محمود عبد الحليم في كتاب: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التَّاريخ»: «أقامَ الإخوانُ حفلًا بشعبة العباسيَّة بالقاهرة بمُنَاسبة ذِكْرىٰ غَزْوة بدرٍ، أُلْقِيتْ فيها كلمةُ المُرْشد العامِّ الَّتي نُشِرت في الصُّحُفِ في اليوم التَّالي»[٢].

وفي «مجلة الدَّعوة» (ص ٤، ٥) عدد ١٣ رجب ١٣٩٧هـ: «أنَّ عُمر التّلمسانيّ كتَبَ مقالًا بعنوان: «الإسراء» قال فيه: إنَّ الاحتفالَ بهذه المناسبةِ يدلُّ مَظْهرُه علىٰ التَّعظيم لشأنِ هذه المُعْجزة الباهرة»[٣]. اهـ.

قلتُ: الاحتفالُ بالمولد بدعةٌ أَحْدثها العبيديُّون الَّذين مَلَكوا المغرب، ثمَّ امتدَّ مُلْكُهم إِلَىٰ مصر في القرن الخامس الهجري، ولم يَفْعله أحدٌ من الخُلَفاءِ الأَرْبعة، ولا سائر الصَّحَابة، ولا عَمِلَه أحدٌ من أَهْل القُرُونِ المُفضَّلةِ.

فهل عَلِمُوا فَضْلَه وتَركُوه؟ أم جَهِلُوه؟

فإنْ قُلْتم: عَلِمُوا فَضْله وتَركوه، فقَدْ كَذَبْتم عَلَيهم، وإنْ قلتم: جَهِلوه، وعَلِمْتُموه أنتم، فأنتم أحقُّ بالجهلِ مِنْهم.

الملاحظة السَّادسة:

انْعِكَاس هَذِهِ العقيدة - أي: التَّساهل في شِرْكِ الأُلوهيَّة - انْعِكَاسها عَلَىٰ أَتْباعِه، بل عَلَىٰ قَادَتهم والمُنظِّرين في مَنْهجهم كمُصْطفىٰ السّباعيّ، وسعيد

---

(١) «قافلة الإخوان المسلمين» (١/ ٤٨).

(٢) انظر: (٣/ ١٢٧).

(٣) بواسطة كتاب: «الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام» (ص ٧١ - ٧٣).

حوىٰ، وعمر التّلمساني، وأمثالهم، وإِلَيْك البيان:

فأمّا مصطفىٰ السّباعي المُرْشد العامّ للإخوان المسلمين في سوريا، فقَدْ قالَ في قصيدةٍ نَظَمها في الرَّوضة النَّديَّة - كَما يَقُول - وتَلَاها أمام الحجرة قبل الحجِّ وبَعْده، وعنوانها: «مُناجاة بَيْن يدي الحبيب الأعظم» ومن ضِمْنِ ما قَالَ فيها[1]:

يَا سَائِقَ الظَّعْنِ نَحْوَ الْبَيْتِ وَالحَرَم ... وَنَحْوَ طَيْبَةَ تَبْغِي سَيِّدَ الأُمَمِ

إِنْ كَانَ سَعْيُكَ لِلْمُخْتَارِ نَافِلَةً ... فَسَعْيُ مِثْلِيَ فَرْضٌ عِنْدَ ذِي الهِمَمِ

يَا سَيِّدِي يَا حَبِيبَ اللهِ جِئْتُ إِلَىٰ ... أَعْتَابِ بَابِكَ أَشْكُو البَرْحَ مِنْ سَقَمِي

يَا سَيِّدِي قَدْ تَمَادَىٰ السّقْمُ فِي جَسَدِي ... مِنْ شِدَّةِ السَّقْمِ لَمْ أَغْفُلْ وَلَمْ أَنَمِ

إلخ ما قَالَ.

الملاحظاتُ علَى هَذِهِ الأبياتِ:

أوَّلًا: أنَّه جَعَل سَعْيه إِلَىٰ قَبْر الرَّسُول ﷺ فرضًا، وهَذَا بِدْعةٌ في الدِّينِ؛ لأنَّ شدَّ الرَّحْل لا يجوزُ إلَّا للمَسْجدِ[2].

ثانيًا: أنَّه جَعَل لسَعْيه إِلَىٰ القَبْر حكمًا غير الحُكْم الشَّرعيِّ، حَيْث جَعَله فرضًا، وهذا قولٌ في شَرْع الله بدون دليلٍ، بل بمُجرَّد الهَوَىٰ.

---

(١) انظر مجلة: «حضارة الإسلام»، عدد خاص بمناسبة وفاة مصطفىٰ السباعي، جمادىٰ الآخرة، رجب، شعبان ١٣٨٤هـ العدد (٤، ٥، ٦) السنة الخامسة. تشرين الأول والثاني، كانون الأول عام ١٩٦٤م (ص٢٠٤). محمد بن هادي.

(٢) يقصد الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المسجد النَّبويّ للحديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الحَرَام، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**» أخرجه البخاري برقم (١١١٥)، ومسلم - واللَّفظ له - برقم (٢٤٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِوَالِلَّهُعَنْهُ.

ثالثًا: أنَّه استغاث بالنَّبيِّ ﷺ، ونَادَاه شاكيًا، وذَكَر أنَّه جاء من مَسَافة شهرٍ، أي: من سوريا إِلَىٰ المدينةِ المُنوَّرة شاكيًا ومُسْتغيثًا ومُسْتجيرًا، وهذِهِ قارعةُ القَوَارع، وهَذَا هو الشِّرْكُ الأكبرُ المُخْرِجُ من المِلَّة، فهلَّا شَكَا إِلَىٰ الحيِّ القيُّومِ الَّذي لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ!

هلَّا بَاحَ بِالضُّرِّ إِلَىٰ مَنْ أنزله وقَدَّره وهو قادرٌ عَلَىٰ رَفْعه متىٰ شَاءَ!

وإذا كانَ هَذَا حالُ المُنظِّرين في هَذَا المنهجِ، فما بَالُك بحَالِ غَيْرهم، ومَا لم يُدوَّنْ أَضْعافُ أَضْعافِ ما دُوِّن، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وأمَّا سعيد حوىٰ: فَقَدْ ذَكَر في كتابه «تربيتنا الرُّوحيَّة» حيث أَثْنىٰ عَلَىٰ الطَّرِيقةِ الرِّفاعيَّةِ، وزَعَم أنَّ أَصْحابَها لهم كراماتٌ، ومن كَرامَاتِهم أنَّ الواحدَ مِنهم يُضرَبُ بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ ينفذَ من صَدْره، ثمَّ يُنزَع مِنْه ولا يتأثَّر، وكأنَّه يَعْتقد بأنَّهم أفضلُ من النَّبيِّ ﷺ؛ حيث إنَّ النَّبيَّ ﷺ ضُرِبَ عَلَىٰ المِغْفرِ فغَاصَتْ - أي: دَخلَتْ حَلْقتا المغفر - في وَجْنَتيه، فسالَ الدَّمُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ»[(١)].

ويَزْعُمُ أيضًا لأَهْلِ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ أنَّ اللهَ أَبْردَ لهم النَّارَ، فلا تُؤثِّر فِيهِم، وهذه أنواعٌ من السِّحْرِ والشَّعْوذةِ الباطلةِ.

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَزْعمُ بأنَّ هَذَا وأَمْثالَه من الكَرَامَاتِ لِشَيْخِهم الكَذُوبِ الزِّنْديق أحمد الرِّفاعي الَّذي قَالَ فِيمَا نُقِلَ عَنْه: «أَنَا مَأْوَىٰ المُنْقَطِعِينَ، أَنَا مَأْوَىٰ كُلِّ شَاةٍ عَرْجَاء انْقَطعَتْ في الطَّرِيق، أَنَا شَيْخُ العَوَاجز، أَنَا شَيْخ مَنْ لا شَيْخَ لَه، فلا يَتشيَّخُ

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد برقم (٢٠/ ٢١٣) (١٢٨٣١)، وابن ماجه برقم (٤٠٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه. وأصله في الصحيح. والحديث صحّحه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (٣٢٦٩).

الشَّيْطانُ عَلَىٰ رجلٍ من أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، عَهْدٌ منِّي بالنِّيابةِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ عَهْدًا عامًّا إِلَىٰ يَوْمِ القِيامةِ، العرشُ قِبْلةُ الهِمَمِ، وَالكَعْبةُ قِبْلةُ الجِباهِ، وأَحْمد - يَعْنِي نَفْسه - قِبْلةُ القُلُوبِ»(١).

قلتُ: فأيُّ زَنْدقةٍ أَعْظَمُ من هَذِهِ الزَّنْدقةِ! وأيُّ كَذِبٍ عَلَىٰ اللهِ وَافْتِرَاءٍ عَلَيْهِ أَعْظَمُ من هذا الافْتِرَاءِ! وأيُّ شِرْكٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ!

أَتكُونُ أَنْتَ يَا رِفَاعِيُّ قِبْلةَ القُلُوبِ! فأيُّ شَيءٍ أبْقيته لله، أَمَا سَمِعت قولَ الله تَعالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النَّمل: ٦٢].

فهذا كفرٌ مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرِ، وشِرْكٌ من أَعْظمِ الشِّرْكِ، شِرْكٌ مُخرِجٌ من الإِسْلامِ، ومَنْ لم يُكفِّر الكَافِرين الَّذين يُصرِّحون بالكُفْر فهو كافرٌ، وما أَكْثَرَ هَذَا وأَمْثاله في صُفُوفِ الصُّوفيَّةِ المَلَاحِدَةِ مِنْ الادِّعَاءَاتِ الكَاذِبَةِ لحقِّ اللهِ وَالتَّطَاوُلِ عَلَيْهِ، فَعَلَيْهِمْ من الله مَا يَسْتحقُّون مِنَ الغَضَبِ وَالمَقْتِ.

وَأَعْظَمُ من هَذَا وأَدْهَىٰ وأَمرُّ ما نَقَله صَاحِبُ: «الكشف عن حَقِيقة الصُّوفيَّة لأَوَّلِ مرَّةٍ في التَّاريخ» عن أَحْمد الرِّفاعي الغَوْث(٢)، وأَنَّ اللهَ أَبْقَىٰ تِلْكَ الكَرَامَةَ

---

(١) «المجالس الرِّفاعيَّة» (ص١١٢)، بواسطة «الفكر الصُّوفيّ في ضوء الكتاب والسُّنَّة» (ص٣٦٧) ط. الثالثة عام ١٤٠٦هـ مكتبة ابن تيمية.

(٢) قوله (ص٥١٢):

لِـي هِمَّـةٌ بعضـها تَعْلُـو عَلَـىٰ الهِمَـم ... وَلِـي هَـوًىٰ قَبْـلَ خَلْـق اللَّـوْح وَالقَلَـم
أَنَـا الرِّفَـاعِي طُـبُولي في السَّـما ضُـرِبَتْ ... وَالأَرْض فِـي قَبْضَـتِي وَالأَوْلِيَـا خَـدَمِي
كُـلُّ المَشَـايخ يَـأْتُـوا بَـابَ زَاوِيَتِـي ... وَفَـوْقَ هَامَـاتِهِمْ حَـازَ العُـلَا عَلَـمِي
=

وَلِـي لِـوَاءٌ عَلَـى الكَوْنَيْـنِ مُنْتَشِـرٌ وَكُـلُّ أَهْـلِ العُـلَا مَـا أَنْكَـرُوا هِمَمِـي

فَالجَـأْ بِأَعْتَـابِ عِـزِّي وَالْـتَمِسْ مَـدَدِي وَطُـفْ بِبَـابِي وَقِـفْ مُسْـتَمْطِرًا نِعَمِـي

لقد زاد على فرعون في ادِّعاء الألوهيَّة؛ ففرعونُ ادَّعى الألوهيَّة على أهل مصر وحدهم، أمَّا الرِّفاعيُّ فقد ادَّعى الألوهيَّة على جميع مَنْ في الكون.

ومِنْ أوراد الطَّريقة الرِّفاعيَّة الَّتي ذكرها محمود عبد الرَّؤوف القاسم في كتابه: «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التَّاريخ»، وأرجو أنْ تُكْرِه نفسك على قراءة هذا القَرَف الذي يُسمَّى بورد الطَّريقة الرِّفاعيَّة لصاحبها أحمد الرِّفاعي، الَّذي يزعم سعيد حوى أنَّه أُعطي معجزات الخليلين (إبراهيم ومحمَّد صلوات الله وسلامه عليهما)، قال في (ص٢٤٥): «ومِنْ أوراد الطَّريقة الرِّفاعيَّة، ويستعملُها غيرُهم: فكفى به برهان عين علمك المكنون، ببحر سرِّ معنى «ن»، ودقيقة أمرك المصون، يتجلَّى بها إشارة كن فيكون، واسطة الكلِّ في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلي الفرق، رحمة للعالمين قبل العالمين». اهـ.

تأمَّل قوله: «واسطة الكلِّ في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلِّي الفرق... إلى أنْ قال: رحمة للعالمين قبل العالمين».

ترى أنَّه يلون وحدة الوجود في قوالب مختلفة؛ فتارةً يجعلُ نفسه هو الله كما في القصيدة، وتارةً يجعلُ ربَّه هو كلُّ ما يُشاهد مِن المخلوقات، تعالى الله عن قولهم، وهو ما يُشير إليه بقوله: «واسطة الكلِّ في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلِّي الفرق»، وتارةً يجعل الله عَزَّوَجَلَّ هو النَّبيّ، والنَّبيّ هو الله، مرسلًا منه إليه رحمة للعالمين قبل أن يوجدوا، يُشيرُ بهذا إلى ما يُقرِّره الصُّوفيَّة أنَّ مُحمَّدًا أصلُ الموجودات كلِّها.

ولَا تَسَلْ كيف ذلك، وقَدْ ولد من آمنة بنت وهب القرشيَّة، ومن أبيه عبد الله بن عبد المطَّلب بعد أن مضت أمم وأزمنة؛ لأنَّك لا تعرف إشارات الصُّوفيَّة إلَّا إذا خرجتَ مِن عقلِك تمامًا.

صلاة أخرى في نفس الصفحة (ص ٢٤٥): «اللهمَّ صلِّ على المتخلِّق بصفاتك، المستغرق في مشاهدة ذاتِك، رسول الحقِّ، المتخلِّق بالحقِّ، حقيقة مدد الحقِّ ﴿أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، وقد جعلتَ كلامَك خلقَه، وأسماءَك مظهرَه، ومنشأ كونك منه».

تأمَّل قوله: «حقيقة مدد الحق»، وقوله: «منشأ كونك منه»، فقَدْ جعل حقيقة الذَّات المحمَّديَّة هي منشأ الذَّات الإلهيَّة؛ وذلك أنَّ الذَّات الإلهيَّة عندهم هي عين الوجود المشاهد كلِّه بما فيه من كلاب، وخنازير، وقردة، وغير ذلك، فجعلوا الذات المحمديَّة هي أصل هذا الكون، والذَّات الإلهيَّة هي عينه، فأيُّ كفر أعظم من هذا الكفر؟!

=

فِي أَتْبَاعِهِ وَالمُنْتَمِينَ إِلَيْه؛ الصَّالحينَ مِنْهُمْ وَالطَّالحينَ، فَاتَّقوا اللهَ يا مَنْ تَتَشَيَّعونَ لِلإِخْوَانِ، وَتَنْتَمُونَ إِلَىٰ مَنْهجِهِمْ، وَتُدَافِعُونَ عَنْهم، فَأَيْنَ الوَلَاءُ وَالبَرَاءُ للهِ وَفِي اللهِ؟!

إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرنا أَنْ نَتبرأَ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ، وإِنْ كَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْنا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

فَيَا مَنْ رُبِّيتُمْ بِلَبَانِ التَّوحيدِ، وَغُذِّيتُمْ بِدُرُوسِهِ فِي جميعِ مَرَاحِلِ تَعْلِيمِكُمْ، أَتبيعُونَ الحقَّ الَّذي نَشَأْتُم عَلَيه بِبَاطِلٍ؛ اللهُ أَعْلَمُ بِحَالِ أَصْحابِهِ، إِنَّ البَاطِلَ وإِنْ زُوِّقَ وحُسِّنَ بِكَثِيرٍ مِنَ المُحسِّناتِ، فَهُوَ بَاطِلٌ.

إِذًا، فأيُّ دَعْوةٍ قَامَتْ لِتُحَارِبَ المُنْكَراتِ وَتَقْضِي عَلَىٰ الإِبَاحِيَّةِ - فِيمَا تَزْعُمُ - وَهِيَ قَدْ تركَتِ الأَصْلَ الَّذي عَلَيه يُبنَىٰ الإِيمانُ، وَبِهِ تَقُومُ العَقِيدَةُ، فَإِنَّها بَاطِلَةٌ؛ شاءَ أَصْحابُها أَمْ أَبَوْا، وَرَضَوْا أَمْ كَرِهُوا.

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوةَ إِلَىٰ تَرْكِ الزِّنا - مثلًا - والرِّبا وشُرْبِ الخَمْرِ هِيَ

=

اللهمَّ فاكتب لعناتك وغضبك ومقتك علىٰ الصُّوفيَّة المارقة الَّتي تقذف مِن أفواهها أنجس الكفر، وأقذره، وأخبثه، هذه الحقيقة الصُّوفية؛ أمَّا الحقيقة الشَّرعيَّة: فاسمعها مِن كتاب ربِّك الَّذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميدٍ، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

فهذا هو شيخ الطَّريقة الرِّفاعيَّة الَّذي يحاول سعيد حوىٰ ويزعم أنه أُعطي معجزات الخليلين (إبراهيم ومحمَّد صلوات الله عليهما).

دَعْوةٌ إِلَىٰ حقٍّ، ولكِنْ يجبُ أَنْ تكونَ بَعْد تَصحيحِ العَقيدةِ، فالنَّبيُّ ﷺ مَكثَ عَشْرَ سِنِينَ لا يَدْعو إِلَىٰ شيءٍ سِوَىٰ التَّوحيدِ، يَقُولُ لِقَومِهِ: «قُولُوا: لا إِلَه إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»[١]، «قُولُوا: لا إِلَه إِلَّا اللهُ كَلِمَة تَدِينُ لكُم بِهَا العَرَبُ، وتَمْلكُونَ بِهَا العَجَمَ، فَقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]»[٢].

وبَعْد كَمالِ عَشر سِنِينَ، عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّماءِ، وفُرِضَتْ عليهِ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وحتَّىٰ بعدَ أَنْ هَاجَر إِلَىٰ المَدِينةِ وفُرِضَتِ الفَرائضُ، وَشُرِعَتِ الأَحْكامُ، وبُيِّن الحَلالُ وَالحَرَامُ، مَا كَانَتْ دَعْوتُهُ إِلَّا إِلَىٰ التَّوحيدِ أوَّلًا، كَما فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ إِرْسَالِ النَّبيِّ ﷺ مُعاذًا إِلَىٰ اليمنِ، قَالَ لَهُ: «إِنَّك سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْترضَ عَلَيهِم خَمْسَ صَلَواتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيلةِ... »، الحديث[٣].

فمَنْ سَكَتَ عَنِ النَّاسِ يَتطوَّفونَ بالقُبُورِ، ويَدْعونَ أَصْحابَها فِي كلِّ نَازِلةٍ، ويَذْبحُونَ لَهُمْ، ويَسْتَغيثُونَ بِهِمْ، وَيَجْلِبُونَ لهمُ النُّذُورَ، ودَعا إِلَىٰ تَرْك الكبائِرِ، وتَرَكَ هَذَا مُعْتقدًا أنَّ فَاعِليه لم يأْتوا مُنْكرًا، فإِنَّه قَدْ أَتَىٰ مُنْكرًا أَعْظم من كلِّ مُنْكرٍ دَعا إِلَىٰ تَرْكهِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣١/٣٤٢) (١٩٠٠٤)، من حديث ربيعة بن عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «صحيح السِّيرة النَّبويَّة» (ص١٤٢ - ١٤٣)، و«دفاع عن الحديث النَّبويِّ» (ص٢٢)؛ كلاهما للعلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٥٨) (٢٠٠٨) و(٥/٣٩٣ - ٣٩٤) (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢)، وابن حبَّان (٦٦٨٦)، والحاكم (٢/٤٦٩) (٣٦١٧)، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «حسن». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذَّهبيُّ. وضعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف موارد الظَّمآن» (٢١٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

ونَحْنُ نَسْأَلُ مَنْ نَصَّبوا أَنفُسَهم للدَّعوةِ إِلَىٰ اللهِ هَذِهِ الأسئلةَ، ونُحِبُّ مِنْهم أَنْ يُجيبُوا عَلَيها بِصَرَاحةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا وَيَعُودُوا إِلَىٰ الحقِّ، فاللهُ المَوْعِدُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ:

السُّؤالُ الأَوَّلُ: هَلْ ما يَفعلُهُ العامَّةُ عِنْدَ قَبرِ الحُسَينِ والسَّيِّدة زَيْنب وَقَبر البَدويِّ، وَغَيْرِها، مِنَ الدُّعاءِ لأَصْحابِها وَالاسْتِغاثةِ بِهِم في جَلْبِ النَّفْعِ، وَدَفْع الضَّرِّ، والذَّبحِ لَهم، والنَّذْرِ، وغَيْر ذَلِكَ، هل ذَلِكَ شِرْكٌ بالله أَمْ لَا؟

السُّؤال الثَّاني: إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شِرْكًا، فما هو الشِّرْكُ الَّذي بُعِثَتْ من أَجْل مُحارَبتِهِ الرُّسُلُ، وأُنْزِلَتِ الكُتُبُ، وجُرِّدتْ مِنْ أَجْلِه السُّيُوفُ، وخُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ الجنَّةُ والنَّارُ؟!

السُّؤال الثَّالث: هَلْ مَنْ دَعَا صَنمًا مَنْحوتًا من خَشَبٍ أو حَجَرٍ أو غير ذَلِكَ عَلَىٰ صُورَة وليٍّ، ومَنْ دَعَا الوليَّ نَفْسه، أو سَجَد له، أو تَطوَّف بقَبْره وهَتَفَ بِاسْمِهِ سَواء أَمْ لَا؟!

السُّؤال الرَّابع: مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ التَّعبُّدِ بالذِّكْرِ والنَّوافلِ وَتَرْك المُنْكَراتِ وهُمْ مُنْهمِكُونَ في هَذِهِ الشِّرْكيَّاتِ مُصِيبٌ أم مُخْطئٌ؟!

السُّؤال الخامس: وهَلْ دَعْوتُهُ مُوَافقةٌ لدَعْوة النَّبيِّ ﷺ، أَوْ مُخَالفةٌ لها؟ فإِنْ قُلْتم: مُوَافقةٌ لَها، فَهَاتُوا الدَّليلَ عَلَىٰ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَبِلَ من أحدٍ أَنْ يكونَ مُسْلمًا من دون أن يَكْفر بكلِّ ما يُعبَد من دُونِ الله، وواللهِ لن تَجِدُوه، ولَنْ تَجِدُوا إِلَّا ما هو شجًىٰ في حُلُوقِ القُبوريِّين، قذًىٰ في عُيُونِهم؟!

وإِنْ قُلْتم: بَلْ هِيَ مُخَالفةٌ لها، لَزِمَكُمْ أَنْ تَقُولوا وَاحِدًا من أَمْرين وتُتْبِعُوه بِالْعَمَلِ؛ إِمَّا أَنَّ دَعْوةَ النَّبيِّ ﷺ ودَعْوة سَائِر الرُّسُلِ هِيَ الحقُّ الَّذي لا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مَحِيصَ عَنْه؛ لأَنَّهم يَسِيرونَ في دَعْوتِهم بوَحْيٍ من اللهِ، وأَمْرٍ مِنْهُ تَعالىٰ، كما

قَرَّر ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأمَّا أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ دَعْوة غَيْرِهِ هِيَ الصَّوابُ، ودَعْوته هي الخطأ، وَلا أرىٰ أنَّ أحدًا ينتمي إِلَىٰ شَرِيعتِهِ يَسْتطيع أَنْ يقولَ هَذَا؛ لأنَّه لو قالَه، لَزِمَه الكفرُ.

وأخيرًا، فأنا أنقل كلامَ سعيد حوىٰ من كِتَابِ «تربيتنا الرُّوحيَّة»[1] له، قالَ: «وقَدْ حدَّثني مَرَّةً نَصْرانيٌّ عن حَادثةٍ وقَعتْ له شَخْصيًّا وهي حَادثةٌ مَشْهورةٌ مَعْلومةٌ جَمعنِي اللهُ بِصَاحِبها بَعْد أَنْ بَلَغتني الحادثةُ من غيرِهِ، وحَدَّثني كَيْف أنَّه حَضَر حلقةَ ذِكْرٍ، فَضَربه أحدُ الذَّاكرينَ بالشِّيش في ظَهْره حتَّىٰ خَرَج الشِّيشُ، وحتَّىٰ قُبِضَ عَلَيه، ثمَّ سُحِبَ الشِّيش مِنْه، ولم يكنْ لذَلِكَ أثرٌ ولا ضررٌ.

إنَّ هَذَا الشَّيءَ الَّذي يَجْري في طَبقاتِ أَبْناءِ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ هُو من أَعْظمِ فَضْل اللهِ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِذْ إِنَّ مَنْ رَأَىٰ ذَلِكَ، تَقُوم عليه الحُجَّةُ بشَكْلٍ وَاضحٍ عَلَىٰ مُعْجزاتِ الأَنْبياءِ وكَراماتِ الأَوْلياءِ.

إنَّ مَنْ يَرَىٰ فَرْدًا من أَفْرادِ الأُمَّةِ الإِسْلاميَّةِ يُمْسِكُ النَّارَ ولا تُؤثر فِيه، كَيْف يستغربُ أَنْ يُقْذَفَ إِبْراهيمُ فِي النَّار.

وإنَّ مَنْ يَرَىٰ فردًا من أَفْرادِ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ يخرجُ السَّيفُ من ظهرِهِ بعد أن يُضْرَبَ به في صَدْرِهِ، ثمَّ يُسحَبُ ولا أثرَ ولا ضَرَرَ، هل يستغرِبُ مِثْلُ هذا حَادثةَ شقِّ الصَّدرِ للنَّبيِّ ﷺ؟!

إنَّ هَذَا الموضوعَ مهمٌّ جدًّا، ولا يجوزُ أن نقفَ منه مَوْقفًا ظالمًا، ومحلُّه فِي إِقَامةِ الحُجَّةِ في دين الله عَلَىٰ مِثْل هَذِهِ الشَّاكِلةِ، إنَّ الحُجَّةَ الرَّئيسة لمُنكِري هَذَا

(١) انظر: (ص ٢١٨) ط. الثانية.

المَوْضوعِ هُوَ أنَّ هَذِهِ الخوارقَ تَظهر عَلَىٰ أيدي فُسَّاقٍ من هَؤُلَاءِ، كما تَظْهر عَلَىٰ أيدي قَوْمٍ صَالِحِينَ، وهذا صحيحٌ، والتَّعْليلُ هنا هو أنَّ هَذِهِ الكَرَامةَ للشَّيخِ الأوَّلِ الَّذي أكْرَمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ بهذِهِ الكَرامَةِ، وَجَعْلها مُستمرَّةً في أتْباعِهِ مِنْ بَابِ المُعْجِزَةِ لرَسُولِنَا ﷺ، فَهِيَ كَرامةٌ للشَّيخِ الَّذي هُو أَحْمد الرِّفاعي». اهـ.

أَقُول للشَّيخِ سعيد: مَصْدرُك وثيقٌ، إِذْ جاءَ من طريقِ نَصْرانيٍّ!!

وثانيًا: هَلْ مَجالِسُ الذِّكرِ الصُّوفيِّ لَها مُسْتندٌ من شَرْعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومِنْ عَمَلِ السَّلفِ رضوان الله عَلَيهم؟ !

وثالثًا: وَهَلْ ذِكْر اللهِ الَّذي عَلَىٰ نَهْجِ شَرْعِ الله الَّذي شَرَعهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ هو سبيلٌ إِلَىٰ السِّحْرِ والشَّعْوذةِ؟ أو أنَّه الذِّكْرُ المُبْتدعُ مِنْكم يا أصحابَ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ؟ !

رابعًا: أنَّ مُعجزاتِ الأَنْبياءِ - صلواتُ الله وسَلَامُهُ عَلَيهم - مَحْفوظةٌ لَا يحتاجُ المُسْلِمُونَ في إِثْباتِها إِلَىٰ الشَّعوذاتِ وأَعْمالِ أَهْلِ الشَّطحِ والزَّنْدقةِ والتَّخييلاتِ الكَاذِبَةِ.

خامسًا: بِالْيَمنِ أناسٌ من السَّاقطينَ الَّذين لا يُصلُّونَ ولَا يَصومونَ، يُقال لهم: الطعانة، يَزْعم الواحدُ أنَّه يطعن عَيْنه بالجلجل (حديدة مذبذبة في أَحَدِ طَرفَيْها، وفي طَرْفِهَا الآخرِ جلاجل) فيَزْعُمُ أَحدُهُمْ أنَّه يَطْعَن في أَسْفل عينِهِ حتَّىٰ يغرزَ الحديدةَ ويَتْركها مَغْرُوزةً بنَفْسِها في أَسْفل عينِهِ فيما يرىٰ للنَّاظر، ويُمسِكون الحَيَّات بأَيْدِيهم، فهَلْ هَؤُلَاء كانَ الطَّعْن لهم كرامةً مع أنَّهم يَقُولون: إنَّهم يَطْعنُونَ في بحر بن علوان صَاحِب الضَّريح الَّذي في اليَمَنِ؟ فَاتَّقِ الله يَا سعيد، أهَكَذا الإِسْلَامُ الَّذي تَزْعمُ بأنَّك تَدْعو إِلَيه في مُؤَلَّفاتِك.

سادسًا: ويَظْهَرُ من أُسْلُوبك أنَّك تريدُ أن تَجْعَل شطح الصُّوفيَّةِ دليلًا عَلَىٰ صِدْقِ حَادِثَةِ شقِّ الصَّدْرِ، ومَسْك النَّارِ دليلًا عَلَىٰ صِدْقِ جَعْل النَّارِ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنَّه يَلْزمك أنَّك جعلتَ شطح الصُّوفيَّة وتَخْييلَاتِهم السِّحْريَّة أصلًا، ومُعْجزات الرُّسُلِ فرعًا؛ إذْ إنَّ الأصلَ هُو الَّذي يستدلُّ بِهِ عَلَىٰ الفَرْع.

وَنَقُولُ لَكَ: افْهَمْ، إنْ كنتَ لا تَفْهم بأنَّ مُعْجزاتِ الرُّسُلِ مُؤيَّدةٌ بقُدْرةٍ رَبَّانيَّةٍ تَنْبني عَلَيها عَقِيدةٌ إيمانيَّةٌ، وشطح الصُّوفيَّة مُموَّهٌ بطريقةٍ شَيْطانيَّةٍ يضلُّ بِهَا مَنْ أرادَ اللهُ لَه الضَّلالَ، وَكَتَب عليه الشِّقوةَ، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون!

اللَّهمَّ أَجِرْنا بفَضْلِكَ مِنْ ضَلالِ الضَّالِّين، وَوفِّقنا بِرَحْمتِكَ إِلَىٰ طَرِيق المُهْتدِين، وأَعِذْنا مِنْ مُضلَّاتِ الفِتَنِ يا ربَّ العَالَمين!

وأمَّا عُمَر التلمساني، فَقَدْ نُقِل عنه أنَّه قالَ في كتابِهِ: «شهيدُ المِحْراب عُمَر ابن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» قالَ ما نَصُّه: «قالَ البعضُ: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتغفر لَهُمْ إِذَا جَاؤوه حيًّا فقَط، ولم أَتبيَّنْ سببَ التَّقييد في الآيَةِ عندَ الاسْتِغْفارِ بحَياة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولَيْسَ فِي الآيَةِ ما يدلُّ عَلَىٰ هَذَا التَّقْييد»[1]، وهُنَا يَزْعم أنَّه يجوزُ دُعاء الرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موتِهِ، وطَلَب الاستغفار مِنْه.

ويَقُول أيضًا: «لِذَا أَرَاني أَمِيلُ إِلَىٰ الأَخْذِ بالرَّأي القَائِل: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتغفر حيًّا وميتًا لمَنْ جاءَه قاصدًا رِحابَه الكَرِيمَ»[2].

وَيَقُولُ فِي نَفْس الصَّفحةِ: «فَلَا دَاعِي - إذًا - للتَّشدُّدِ في النَّكيرِ عَلَىٰ مَنْ يَعْتقدُ فِي كَرَاماتِ الأَوْلياءِ، وَاللُّجوءِ إِلَيْهم في قُبُورِهم الطَّاهرةِ، والدُّعاء فِيهَا عِنْدَ

---

(١) (ص٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) (ص٢٢٦).

الشَّدائدِ، وَكَرامَاتُ الأَوْلياءِ من أدلَّةِ مُعْجزاتِ الأَنْبياءِ».

وَيَقُول أيضًا ما نَصُّه: «فما لَنا وللحَمْلةِ علىٰ أولياءِ اللهِ، وزُوَّارهم، وَالدَّاعين عند قُبُورهم»(١).

قَالَ العجميُّ حفظه الله: «لم يَبْقَ شركٌ من شِرْكِ القُبُور إلَّا وقَدْ أباحَه في هَذِهِ العِبَاراتِ المرشد العام للإِخْوانِ المُسْلِمين»(٢). اهـ.

وَأَقولُ: إذا كانَ هَذَا حال المُرْشِدين والمُنظِّرين في هذا المنهجِ، فَما بَالُكَ بِغَيْرِهِمْ؟ وَإِذَا كَانَ هَذَا هو المُدوَّنُ، فما بَالك بِمَا لم يُدوَّنْ!

فهَلْ يَعْقِل مَنْ يَزْعمون أنَّهم عَلَىٰ عقيدةِ التَّوحيدِ وهُمْ يَتولَّون مَنْ يُبيحون الشِّرْكَ الأكبرَ، ويُبْغضون ويُحذِّرون مِمَّنْ يُدَافعونَ عن عقيدةِ التَّوحيدِ!

ولقَدْ سمعتُ خبرًا لَئِنْ صحَّ فهو كارثةٌ عظيمةٌ، سمعتُ بأنَّ بَعْض أَصْحابِ المَنَاهِجِ المُعَاصرةِ يَشْترونَ الكُتُبَ الَّتي تَنْتقد مَنْهجَهمْ بكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ وَيُحْرقُونَها، ولئن صحَّ هَذَا، إنَّه لأمرٌ فظيعٌ! وأخافُ عَلَىٰ مَنْ يَفْعل هَذَا أن يكونَ رِدَّةً في حَقِّه؛ لأنَّ مَنْ أحرقَ كُتُبَ التَّوحيدِ - أي: الَّتي تَنْصُرُ عَقِيدةَ التَّوحيدِ، وتردُّ عَلَىٰ المُشْرِكِينَ، وتُبيِّن عَقِيدَتَهم السَّيِّئة - فإنَّه يُعتَبر بعملِه ذَلِكَ قَدْ نَصر الوثنيَّةَ، وحَارَبَ عَقِيدةَ التَّوحيدِ، فإنَّا لله وإنَّا إِلَيه رَاجِعُونَ!

ويُتَابع العجمي في «الوقفات»، - جَزَاه اللهُ خيرًا - فيَقُول: «وَالتّلمساني يَعْلم - بالطَّبع - أنَّ القُبُورَ في مصر الَّتي صَدَر منها هَذَا الكتابُ: «شهيد المحراب عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وكانَ التّلمسانيّ مُرْشدًا عامًّا فِيهَا، يُصنَع فِيهَا أَعْظمُ

---

(١) (ص ٢٣١).

(٢) من كتاب «وقفات» (ص ١٧).

يعرفوا عن هذه الأرض، فالقبور يُطاف بها، ويُطلَب مِنها كلُّ ما يُطلَب من اللهِ، ومَن هم الأولياء فيها؟!

إنَّ كثيرًا منهم مجموعةً من الزَّنادقةِ المُلْحِدينَ؛ كأمْثالِ السَّيِّد البَدَوي الزَّاعمِ الباطني الَّذي لَمْ يحضر صلاةً قطُّ، والصُّوفيَّة المُخترِقِينَ كالشَّاذلي والدَّسوقي والقناوي وغيرهم في كلِّ قَرْيةٍ».

والثَّاني: إنَّ الدَّعوةَ لغَيْر الله شِرْكٌ أكبرُ أيًّا كانَ هَذَا الغير؛ سواء كَانَ مَلَكًا مقرَّبًا، أو نَبِيًّا مُرْسلًا، أو غَيْر ذَلِكَ، فَالْكُلُّ شِرْكٌ باللهِ، مُنَاقضٌ لِلإسْلامِ، ثمَّ يتابع ويقولُ: «إنَّ هَؤُلاءِ هُم الأَوْلياءُ، وهذه قُبُورُهم الَّتي يَدْعو إليها المرشد العام للإخوان المسلمين، والَّذي يَقُول أيضًا[1] ما نَصُّه: «ولئن كانَ هَوَاي مع أولياء الله وحُبّهم والتَّعلّق بهم، وَلَئِنْ كَانَ شُعُوري الغَامر بالأُنْس والبَهْجة في زيارتهم ومقاماتهم بما لا يخلُّ بعَقِيدة التَّوحيدِ - هكذا - فإنِّي لا أُروِّج لاتِّجاهٍ بذاته، فالأمرُ كلُّه من أوَّله إِلَىٰ آخرِهِ أمرُ تذوُّقٍ، وأقولُ للمُتشدِّدين في الإنكار: هوِّنوا عما فِي الأمر من شِرْكٍ ولا وثنيَّةٍ ولا إلحادٍ». اهـ.

ثمَّ قَالَ: «فمَاذَا بَعْد هَذَا التَّمْييع لأَمْر التَّوحيدِ والعَقِيدة حتَّىٰ أصبح دعاء الأَمْواتِ عِنْدَ الشَّدائدِ أمرَ تذوُّقٍ، ولَيْس فيه شركٌ ولا وثنيَّةٌ كما يَزْعم المرشد العامُّ للإخوان المُسْلمين»، ثمَّ يتابع فيَقُول: «هل المنهجُ الإخوانيُّ العَقَدي الذي يخرج أمثالَ التّلمسانيّ - منهجٌ سلفيٌّ لا غُبارَ عليه؟!

وَهَلِ الجماعةُ الَّتي تَسْمح أن يَتصدَّر - صُفُوفها، ويكون مُرْشدًا

(١) (ص ٢٣١).

يقولُ هَذَا الكلامَ جماعةٌ سَلفيّةٌ؟!

تبًّا لهذِهِ السَّلفيَّةِ إِنْ كانَ هَذَا نتاجها، وهؤلاء من رِجَالِها ومُرْشِدِيها وَقَادتِها».

وأقولُ: جزاكَ اللهُ خيرًا يا عجميّ، وجَزَىٰ الله كلَّ مَنْ نَصَر عقيدةَ التَّوحيدِ بكلمةٍ يَقُولها، أو أَحْرُفٍ يَكْتبها، خيرَ الجزاءِ.

الملاحظة السَّابعة:

انْتِسَابُ البنَّا إِلَىٰ عقيدةٍ صُوفيَّةٍ هي الطَّريقةُ الحصافيَّة، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قولُ حسن البنَّا نَفْسِهِ في كتابِهِ: «مذكرات الدَّعوة والدَّاعية»(١): «وصحبتُ الإخوانَ الحصافية بدمنهور، وَوَاظَبتُ عَلَىٰ الحَضْرة في مسجدِ التَّوبةِ في كلِّ ليلةٍ»، ثمَّ قالَ: «وحَضَر السَّيِّدُ عبد الوَهَّاب المجيز في الطَّريقة الحصافيَّة، وتَلقَّيتُ الحصافيَّةَ الشَّاذليَّة عنه، وآذنني بأَوْرَادِها وَوَظَائِفِها».

وقالَ جابر رزق في كتابِهِ: «حسن البنَّا بأقلام تلامذتِهِ ومعاصريه»(٢): «وفي دمنهور تَوثَّقت صلتُهُ - يعني حسن البنَّا - بالإخوانِ الحصافيَّة، وَوَاظبَ عَلَىٰ الحَضْرة في مسجدِ التَّوبةِ كلَّ ليلةٍ معَ الإخوان الحصافيَّة، ورَغِبَ في أَخْذ الطَّريقةِ حتَّىٰ انْتَقَل من مَرْتبةِ المحبِّ إِلَىٰ مَرْتبةِ التَّابعِ المُبَايعَ». اهـ.

قال النَّاقلُ: قلتُ: وقَدْ تعلَّق البنَّا في التَّصوُّف تَعلُّقًا شديدًا حتَّىٰ أَصْبَح يَرَىٰ شَيْخَ الطَّريقةِ في منامِهِ كما ذكر في «مذكراتِهِ»(٣).

---

(١) (ص٢٧).

(٢) (ص٨).

(٣) (ص٢٥، ٢٦).

بَلْ شَارَكَ فِي إِنْشَاءِ جَمعيَّةٍ صُوفيَّةٍ حصافيَّةٍ كما ذَكَر في «مُذكِّراته»[1]: قَالَ: «وَفِي هذه الأَثْنَاءِ بَدَا لَنَا أَنْ نُؤَسِّس في المَحْمُوديَّةِ جمعيَّةً إِصْلاحيَّةً هي الجَمْعيَّة الحصافيَّة الخيريَّة،... وانتخبت سكرتيرًا لَها،... وخَلَفَتْهَا في هَذَا الكِفَاح (جمعيَّةُ الإِخْوانِ المسلمين) بَعْد ذلكَ».

وكَانَ البنَّا غارقًا في التَّصوُّفِ كَما قالَ في «مذكراته»[2]: «كَانَتْ أَيَّامُ دَمَنهور ومَدْرسة المُعلِّمين أَيَّامَ الاسْتِغْراقِ في عَاطفةِ التَّصوُّفِ والعِبَادةِ،... فكَانتْ فَتْرَةَ اسْتِغْراقٍ في التَّعبُّدِ والتَّصوُّفِ» ثمَّ قالَ: «ونزلتُ دمنهور مُشْبعًا بالفكرة الحصافيَّة، ودمنهور مقرُّ ضَرِيح الشَّيخ حسنين الحصافي شيخ الطَّريقة الأوَّل».

وقال محمود عبدالحليم في كتابِهِ: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»: «وكنَّا نَذْهب جميعًا كلَّ ليلةٍ إِلَىٰ مسجد السَّيِّدة زينب، فنُؤدِّي صلاةَ العشاءِ، ثمَّ نخرج من المَسْجد، ونصطفُّ صُفُوفًا يَتقدَّمنا الأستاذ المرشد حسن البنَّا يُنْشِدُ نشيدًا من أَناشِيدِ المولدِ النَّبويِّ، ونَحْن نُردِّده من بَعْده بصَوْتٍ جهوريٍّ جماعيٍّ يُلْفت النَّظَرَ»[3]. اهـ.

وَأَقُولُ: فهَلْ سيَقْتنعُ الَّذين يَزْعمون أنَّهم يَعِيشُونَ عَلَىٰ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ وَهُمْ مع ذَلِكَ يَتَّخذونَ المُبْتدعِينَ أئمَّةً يَقْتدون بِهِمْ.

الملاحظة الثَّامنة:

إنَّ قادةَ الإخوان والمُنظِّرين في مَنْهجهم يَذْهبونَ إِلَىٰ العقيدةِ الأشعريَّةِ

---

(١) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص ٢٨).

(٢) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص٣٢).

(٣) (١/ ١٠٩).

(عقيدة التَّأويل).

والكلامُ عَلَىٰ هَذِهِ الملاحظةِ عَلَىٰ قسمين: قِسْمٌ مع حسن البنَّا، وقِسْمٌ مَعَ أَتْباعِهِ.

فأمَّا حسن البنَّا؛ فَقَدْ ذكر في رسالة «العقائد» من «مَجْموعَةِ رسائلِهِ»[1]: «أنَّ النَّاسَ انقَسَموا في الصِّفاتِ عَلَىٰ أَرْبَعِ فِرَقٍ»، فذَكَر مَذْهبَ المُشبِّهة، وقالَ: «وهؤلاء هُمُ المُجسِّمةُ والمُشبِّهةُ، وَلَيْسُوا من الإِسْلامِ في شَيْءٍ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِمْ نَصِيبٌ من الصِّحَّةِ».

ثمَّ ذَكَر مَذْهبَ المُعطِّلةِ، وحَكَم عليه بالبُطْلانِ أيضًا، ثمَّ قالَ: «مَذْهب السَّلَف في آياتِ الصِّفاتِ وأَحَادِيثها: وأمَّا السَّلفُ رضوان الله عليهم، فَقَالُوا: نُؤمِن بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وَرَدتْ، ونَتْرك المَقْصُود منها لله تبارك وتعالىٰ، فهُمْ يُثْبِتونَ اليدَ والعينَ والأعينَ وَالاسْتِوَاءَ والضَّحِكَ وَالتَّعجُّبَ... إلخ، وكلُّ ذَلِكَ بمَعَانٍ لا نُدْرِكُها، ونَتْركُ لله تَعالىٰ الإِحَاطةَ بِعِلْمِهَا». اهـ.

قلتُ: ما ذَكَره بأنَّه مَذْهَبُ السَّلفِ، لَيْس هو مَذْهب السَّلَفِ، بَلْ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ التَّفويضِ الَّذين رَدَّ عَلَيهم السَّلَفُ.

وَاعْلَمْ أنَّ التَّفويضَ نَوْعانِ:

١ - تَفْويض كَيْفيَّة.

٢ - وَتَفْويض مَعْنىٰ.

وَطَرِيقةُ السَّلفِ هِيَ تَفْويضُ الكيفيَّة، وإِثْبات المَعْنىٰ، فهُمْ يُثْبِتونَ لله ما أَثْبتَه اللهُ لنفسِهِ في كتابِهِ، وما أَثْبتَه له رسولُه ﷺ في الأحاديثِ الصَّحيحةِ بمَعَانِيها الَّتي تَقْتَضيها في اللُّغةِ، ويُفوِّضونَ عِلْمَ الكيفيَّةِ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وعلىٰ ذلكَ توارد

(١) وهي تبدأ من (ص٢٩٢)، وقد ذكر ذلك في (ص٣٢٤).

كَلامُهم، فالإمامُ مالكٌ لمَّا سَأَله سائلٌ بقولِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟

فأَطْرَق قليلًا، وَعَلَته الرُّحَضَاءُ، ثمَّ رفعَ رَأْسَه، فقالَ: «الاسْتِوَاءُ مَعْلومٌ، والكيفُ مَجْهولٌ، والإيمانُ بِهِ واجبٌ، والسُّؤالُ عَنْه بِدْعةٌ، وأنتَ رجلُ سوءٍ، أَخْرِجُوه»، فمَنْ زَعَم أنَّ السَّلفَ فَوَّضوا المَعْنىٰ، فقَدِ افترىٰ عليهم.

وقَدْ أكَّد البنَّا ما زَعَمَه في أنَّ مَذْهبَ السَّلفِ: التَّفويض، بَلْ وأكَّد أيضًا أنَّ السَّلفَ والخَلَفَ كلٌّ منهما يَقْطع بأنَّ المرادَ بأَلْفاظِ هذه النُّصُوصِ في حقِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير ظَوَاهِرها الَّتي وضعت لها هذهِ الأَلْفَاظ في حقِّ المَخْلُوقين، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «وإذَا تَقرَّر هذا، فَقَدِ اتَّفَق السَّلفُ والخلَفُ علَىٰ أَصْلِ التَّأويل، وَانْحصرَ الخلافُ بينهما في أنَّ الخلَفَ زادُوا تَحْدِيدَ المَعْنىٰ المراد حيْثما أَلْجأَتْهم ضَرُورَة التَّنزيهِ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ حِفْظًا لِعَقَائِد العوامِّ من شُبْهةِ التَّشبيهِ، وَهُوَ خِلافٌ لا يَسْتحقُّ ضَجَّةً ولا إعناتًا»(١).

وَبِهَذَا زَعَم البنَّا أَنَّه انْتهَىٰ من مُشْكلةٍ أَشْغلَتْ بالَ المُسْلمينَ، وأَثارَتْ بَيْنهم الخِصَامَ اثْنَي عَشَر قرنًا بقَطْع النَّظَر عن القَرْنِ الأوَّلِ الَّذي لم تَظْهر فيهِ خُصومةٌ في إِثْباتِ الصِّفاتِ إلَّا نادرًا، وصوَّر نفْسَه أنَّه قَدْ أَصْلحَ بينهم في جلسةٍ واحدةٍ، تَعانَقوا بَعْدها عَلَىٰ الوفاقِ، وَنبذُوا الخِلَافَ، وهَذَا كلامُ مَنْ لم يَتصوَّر أَعْراقَ المُشْكلةِ، وَلم يَعْرف أبعادَها، وظنَّ الأمرَ فيها سهلًا ويسيرًا.

وإِنَّ الأمرَ ليس بسَهْلٍ ولا يَسِيرٍ، فلا يُمْكن أنَّ أحدًا من الفَرِيقينِ يَتنازَل عن

---

(١) «مجموعة رسائل البنا» (ص ٣٣٠).

عَقيدتِهِ، فالسَّلَفُ الَّذين هُمْ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ وأَتباعُهم مِمَّنْ سَارُوا علىٰ نَهجهم، واتَّبَعوا طَرِيقَهم مِمَّنْ جاءَ بَعْدهم في سَائِر القرونِ، يُؤمنونَ بأنَّ صفاتِ الباري جَلَّ وَعَلَا الَّتي وَرَدتْ في الكتابِ والسُّنَّةِ يجبُ الإيمانُ بِها، وَبِمَا تَقْتَضِيهِ في اللُّغةِ العَربيَّةِ مِنْ مَعْنىٰ وإثبات يَلِيق بجلالِ الله - عَزَّ وجلَّ وتَقدَّس - من غير تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تأويلٍ.

فَفِي الاسْتِواءِ يَقُولون: استواءٌ يَلِيقُ بجَلَالِه، وفي اليدِ والرِّجل والسَّاق والقَدَم والوَجْه والعَيْن يَقُولون: يدًا تليقُ بِجَلالِهِ، مُنزَّهةٌ عَنِ المُشَابهةِ وَالمُماثَلةِ، وَهَكَذا..

وتَوْضيحُ ذَلِكَ أنَّ الاشتراكَ في الاسْمِ لَا يَلْزم منه الاشْتِراكُ في الحَقِيقةِ، فإذَا قلنا: إنَّ اللهَ حيٌّ، ووَصَفْنا شخصًا من النَّاسِ بأنَّه حيٌّ، فَلَا يلزم مِنْ الاشْتِراكِ في اسْمِ «الحيِّ» الاشْتِراك في حَقِيقة الحياةِ، فحياةُ الله أزليَّةٌ، فهُوَ الأوَّلُ الَّذي لَيْس قَبْله شيءٌ، وهو الآخِر الَّذي لَيس بَعْده شيءٌ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾[الفرقان: ٥٨].

وَحَياةُ الله قديمةٌ بِلَا ابتداءٍ، وباقيةٌ بِلَا انْتِهاءٍ، ثمَّ إنَّ حياةَ الإنسانِ تَتوقَّف عَلَىٰ الأَكْلِ والشُّرْبِ والنَّوْمِ، فهَلْ لَزِمَ من الاشْتِرَاكِ في الاسْمِ، الاشْتِراكُ في الحَقِيقةِ؟ الجوابُ: لَا، وهَكَذا..

فأَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعون أنَّ صفاتِ الله الثُّبوتيَّة يجبُ عَلَىٰ العِبادِ الإيمانُ بها، وَاعْتقادُ ما تَقْتَضِيه من مَعَانٍ في اللُّغة عَلَىٰ الوجهِ اللَّائق بجَلَالِ الله تَعالىٰ.

قالَ شَيْخ الإسلامِ ابن تَيْمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرِّسالةِ الجَوابيَّة المُسمَّاة بـ «الحَمويَّة»: «ومذهبُ السَّلف أَنَّهم يَصِفونَ الله عَزَّوَجَلَّ بما وَصَف به نَفْسَه، وبما وَصَفه به رَسُولهُ ﷺ من غَيْر تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تَكْييفٍ ولا تَمْثيلٍ،

ونَعْلمُ أنَّ ما وصف اللهُ به مِن ذلكَ فهو حقٌّ، ليس فيه لُغزٌ ولا أَحَاجيّ، بَلْ مَعْناه يُعرَفُ من حَيْث يعرف مَقْصود المُتكلِّم بكلامِهِ، لا سِيَّما إذا كانَ المُتكلِّمُ أعلمَ الخَلْقِ بما يَقُول، وأفصحَ الخَلْقِ في بيان العلم وأفصح الخلق في البيانِ والتَّعريفِ والدَّلالةِ والإرْشادِ.

وَهُو سُبْحانه مع ذَلِكَ لَيس كمثلِهِ شيءٌ، لا في نفسِهِ المُقدَّسة المَذْكورة بأَسْمائِهِ وصِفَاتِهِ، ولا في أَفْعالِهِ، فكَما نَتيقَّن أنَّ الله له ذاتٌ حقيقةٌ، ولَه أفعالٌ حقيقةٌ، فكَذَلِكَ له صفاتٌ حقيقةٌ، وهو ليس كمثلِهِ شيءٌ، لا في ذاتِهِ، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعالِهِ، وكلُّ ما أوجبَ نَقْصًا أو حُدُوثًا فإنَّ الله مُنزَّهٌ عَنْه حقيقةً، فإنَّه سُبْحانه مُسْتحقٌّ لِلْكمالِ الَّذي لا غايةَ فَوْقه، ويَمْتنع عليه الحُدُوثُ لامتناعِ العَدَمِ عَلَيه، وَاسْتِلْزَام الحُدُوثِ سَابقة العَدَم، وَلافْتِقَارِ المُحدَث إِلَىٰ مُحدِثٍ، ولِوُجُوبِ وُجُودِهِ بنفسِه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ومَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطيلِ والتَّمْثيلِ، فَلَا يُمثِّلون صفات الله بصفاتِ خَلْقِهِ، كما لا يُمثِّلونَ ذاتَه بذَاتِ خَلْقِه، ولا يَنْفُونَ عَنْه ما وَصَف به نفسَه ووَصَفَه به رَسُولُهُ ﷺ، فيُعطِّلوا أَسْماءَه الحُسْنىٰ وصفاتِه العُلْيا، ويُحرِّفوا الكلِمَ عنْ مواضعِه، ويُلْحدوا في أسماءِ الله تَعالىٰ وآياتِهِ.

وكلُّ واحدٍ مِن فَرِيقي التَّعْطيل والتَّمْثيل فهو جامعٌ بَيْن التَّعْطيل والتَّمثيل، أمَّا المُعطِّلون فإنَّهم لم يَفْهموا من أَسْماءِ الله وصفاتِهِ إلَّا ما هُوَ اللائقُ بالمَخْلُوقِ، ثمَّ شَرَعوا في نَفْي تلك المَفْهوماتِ، فَقَدْ جَمَعوا بَيْن التَّعطيلِ والتَّمثيل، مَثَّلوا أوَّلًا، وعَطَّلوا أخيرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ مِنْهم للمَفْهومِ من أسمائِه وصفاتِه بالمَفْهومِ من أَسْماءِ خَلْقه وصِفاتهم، وتعطيلٌ لِمَا يَستحقُّ

سُبْحانه من الأَسْماءِ والصِّفاتِ اللَّائقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(١)]. اهـ.

وَقَالَ إمامُ الأئمَّةِ مُحمَّدُ بن إسحاق بن خزيمة في «كتاب التَّوحيد»: «فنَحْن وجميعُ عُلمائِنا مِن أَهْل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشَّام ومصر مَذْهبُنا: أنَّا نُثْبتُ لله ما أثبتَه الله لنفسِه، نُقرُّ بذَلِكَ بأَلْسِنتنا، ونُصدِّق ذَلِكَ بقُلُوبنا، من غير أنَّ نُشبِّه وَجْهَ خَالِقنا بوَجْه أحدٍ من المَخْلوقينَ، عزَّ ربُّنا عن أن نُشبِّهه بالمَخْلُوقينَ، وجلَّ ربُّنا عن مَقَالةِ العَاطِلينَ، وعزَّ أن يكونَ كَما قَالَه المُبْطِلونَ»[(٢)].

وَذَكر البيهقيُّ في كتابِهِ «الاعتقاد» بابًا في ذِكْر آياتٍ وأخبارٍ وَرَدتْ في إِثْبَاتِ صفةِ الوَجْه واليَدَين والعين: «وهذِهِ صفاتٌ طريقُ إِثْباتِها السَّمعُ؛ لوُرُود خَبَر الصَّادقِ بها، ولا نُكيِّفها»[(٣)].

قَالَ الخَطِيبُ البغداديُّ: «أمَّا الكَلَامُ في الصِّفاتِ: فإنَّ ما رُوِيَ مِنْها في السُّننِ الصِّحاحِ، مَذْهب السَّلف رضوان الله عَلَيهم: إِثْباتُها وَإِجْرَاؤها علىٰ ظواهِرها، ونَفْي الكيفيَّة والتَّشبيه عَنْها.

وقدْ نَفاها قومٌ، فأَبْطَلوا ما أَثبتَه اللهُ سبحانه، وحَقَّقها من المُثْبتينَ قومٌ، فخرجوا في ذَلِكَ إِلَىٰ ضَرْبٍ من التَّشبيهِ والتَّكْييف، والقَصْد إنَّما هو سُلوكُ الطَّريقةِ المُتوسِّطةِ بَيْن الأَمْرينِ، ودينُ الله تعالىٰ بَيْن الغَالي فيه، والمُقصِّر عَنْه.

والأَصْلُ في هَذَا: أنَّ الكلامَ في الصِّفاتِ فرعٌ عَلَىٰ الكَلَامِ في الذَّاتِ، ويُحتَذىٰ في ذَلِكَ حذوه ومثاله.

---

(١) (٥/ ٢٦ - ٢٧) في «مجموع الفتاوىٰ».

(٢) كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ» (١/ ٢٦) تحقيق: الشَّهوان. محمَّد بن هادي.

(٣) كتاب «الاعتقاد» (ص ٨٨) ط: دار الآفاق الجديدة، تحقيق: أحمد عصام الكاتب. محمد بن هادي.

فَإِذَا كانَ مَعْلومًا أَنَّ إثباتَ ربِّ العَالَمين عَزَّوَجَلَّ إنَّما هو إثباتُ وُجُودٍ، لا إِثْباتُ كَيفيَّةٍ، فكذَلِكَ إِثْباتِ صِفَاتِهِ، إنَّما هو إثباتُ وُجُودٍ، لا إثباتُ تَحْديدٍ وتَكْييفٍ». اهـ[(١)].

وقَالَ ابْنُ قُدامَة المَقْدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ والخَلَفُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كلُّهم مُتَّفقون عَلَىٰ الإِقْرارِ والإِمْرارِ والإِثْباتِ لمَا وَرَد من الصِّفاتِ في كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُول الله ﷺ من غير تَعرُّضٍ لتأويلِه، وقَدْ أمرنا بِالاقْتِفاءِ لآثَارِهم، وَالاهْتِدَاء بِمَنارِهِمْ، وَحَذَّرنا من المُحدَثاتِ، وأَخْبرنا أَنَّها ضَلالاتٌ». اهـ[(٢)].

وَقَالَ أَبو مُحمَّد الجويني في رسالتِهِ «إثبات الاستواء والفوقيَّة»: «وإِثْباتنا عُلوَّ ربِّنا سبحانه، وفَوْقيَّته، وَاسْتِواءَه عَلَىٰ عَرْشه كما يَلِيقُ بجلالِهِ وعَظمتِهِ، والحقُّ واضحٌ في ذَلِكَ، والصُّدورُ تَنْشرحُ له، فإنَّ التَّحْريفَ تَأْباهُ العُقولُ الصَّحيحةُ؛ مثل تَحْريفِ الاسْتِواءِ بِالاسْتِيلَاءِ وغيره، والوُقوف في ذلكَ جهلٌ، وهيَ مع كونِ الرَّبِّ تعالىٰ ما وَصَف لنا نَفْسَه بهذا إلَّا لنُثْبِتَ له ما وَصَف به نَفْسَه لَنا، ولا نَقِفُ في ذَلِكَ»[(٣)]. اهـ.

هذِهِ بَعْضُ النُّقُولِ عَنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ، ولَوْ أَرَدْنَا بَعْض التَّقصِّي لاحْتَجْنا إِلَىٰ

---

(١) انظر (جواب أبي بكر الخطيب البغداديّ عن سُؤال أهل دمشق في الصِّفات) ص (١٩ - ٢٢) ط/ مكتبة ابن تيمية، وتحقيق: عمرو عبد المُنعم، وفي (ص٦٤ - ٦٥) ط/ دار الرَّيان بدولة الإمارات العربيَّة المتحدة، تحقيق: جمال عزّون. محمَّد بن هادي.

وأورده ابن جماعة في «إيضاح الدَّليل في قطع حُجج أهل التَّعطيل» (١/ ٤٩)، والذَّهبيّ في «العُلوّ» (٥٧٧).

(٢) «لمعة الاعتقاد» (ص١٠) ط/ الدار السلفية بالكويت، تحقيق: بدر البدر. محمَّد بن هادي.

(٣) مجموعة «الرَّسائل المنيريَّة» (١/ ١٨١)، وقبل هذا الكلام الذي نقله شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الجويني كلام هذا نصه: «فصل: إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصْنا من شبه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه، وفوقيته... إلخ». محمّد بن هادي.

مُجلَّدٍ أو أكثر، ولَطَال بنَا الكلامُ، وفيما ذَكَرنا كفايةٌ ومقنعٌ، ومَنْ أرادَ الاسْتِزادةَ فَعَليهِ بالكُتُبِ المُخصَّصةِ لهَذَا الشَّأنِ؛ ككتَابِ «التَّوحيد» لابْنِ خُزَيمة، وكِتَابِ «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتاب «الرَّدّ علىٰ الجهميَّة» للدَّارميّ، و«الفَتَاوىٰ الكبرىٰ» لابْنِ تَيْمية، و«العقل والنَّقْل» له، وكُتب ابْن القَيِّم، وابْن عبد الوَهَّاب، و«معارج القبول» للشَّيخ حافظ الحكمي، وغير ذلك من الكتب التي ألَّفها أصحاب العقيدة السَّلفيَّة - رحم الله الجميع، وَكِتَاب «علاقة الإثبات والتَّفْويض بصِفِاتِ ربِّ العَالَمين» للدُّكتور رضا نعسان.

ومن هذهِ النُّقولِ تَعْلم أنَّ ما قرَّره الأستاذ حسن البنَّا من أنَّ «السَّلفَ والخَلَفَ اتَّفقوا عَلَىٰ أَصْل التَّأويلِ»، كلامٌ باطلٌ، وافتراءٌ عَلَىٰ السَّلَفِ رَحِمهم الله تَعَالَىٰ، فالسَّلَفُ يَذمُّون المُفوِّضةَ ويُبدِّعونَهم، فمَتَىٰ اتَّفقوا مَعَهم عَلَىٰ التَّأويلِ؟!

وأمَّا أتباع حسن البنَّا؛ فمِنْ ذَلِكَ ما نَقَله صاحبُ كتاب «وقفات» عن سعيد حوىٰ «جولات في الفِقْهينِ الكَبِيرِ والأَكْبر» الجولة الأُولَىٰ ما نصُّه: «إنَّ للمُسلمين خِلَال العُصُور (أي: الماضية) أئمَّتَهم في الاعتقادِ، وأئمَّتَهم في الفِقْه، وأئمَّتَهم في التَّصوُّف والسُّلوك إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأئمَّتُهم في الاعتقادِ كأبي الحَسَن الأَشْعريِّ، وأبي منصور الماتريدي!»[1].

ويقول أيضًا في الجولة الرَّابعة ما نصُّه: «وسَلَّمتِ الأُمَّةُ في قَضَايا العَقَائِدِ لاثنين: أبي الحسن الأشعريِّ، وأبي مَنْصور الماتريدي!»[2].

---

(١) (ص٢٢).

(٢) (ص٦٦).

أمَّا الغزاليّ فإنَّه يَزيد عَلَىٰ كونِه أشعريَّ العقيدة أنَّه يَسْخَر من عقيدة السَّلَفِ، ومنَ الشَّبابِ الَّذين يَنْتمون إليها، فمِنْ ذَلِكَ قولُهُ في كتابِهِ: «السُّنَّة النَّبويَّة بَيْن أهْلِ الفِقْه وأهْلِ الحديثِ»[1]: «وفي هَذَا الكتابِ جَرْعةٌ قَدْ تكون مُرَّةً للفِتْيانِ الَّذين يَتَناولونَ كُتُبَ الأحَاديثِ النَّبويَّةِ، ثمَّ يَحْسبونَ أنَّهم أَحَاطُوا بِالإسْلامِ عِلْمًا بَعْد قراءةٍ عابرةٍ أو عميقةٍ لعلَّ فيه درسًا لشُيُوخٍ يُحارِبون الفقهَ المذهبيَّ لحسابِ سَلفيَّةٍ مَزْعومةٍ عَرفَتْ منَ الإسْلام قُشُورَه، ونَسِيَتْ جُذُورَه».

قلتُ: وهَلْ فِي الإِسْلامِ قُشُورٌ؟ ! إنَّ وَصْفَ الإِسْلام بأنَّ فيه قشورًا وجُذُورًا كذِبٌ وفريةٌ عَلَىٰ الله، وعلىٰ الإِسْلامِ، وعَلَىٰ مَنْ جاءَ بالإِسْلامِ، ويُخَاف عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ أن يكونَ قَدِ ارتدَّ عَنِ الإِسْلامِ إنْ كانَ من جملةِ أهلِهِ قَبْل هَذِهِ الكَلِمَة.

ونَحْن نقولُ: إنَّ الإسلامَ كلَّه جُذُورٌ، لا قُشُورَ فيه، وحقٌّ لا باطِلَ فيه، وصِدْقٌ لا كَذِبَ فيه، ومَنْ زَعَم خلافَ ذَلِكَ فهُوَ مُنافقٌ، إنَّ مَنْ يَزْعم أنَّ إطْلَاقَ اللِّحيةِ، وَرَفْع الثَّوْبِ فَوْقَ الكَعْبينِ، وتَرْك التَّختُّم بالذَّهبِ، وَسَماع القُرْآنِ بَدلًا عن الأَغَانِي، وإثْبات الصِّفاتِ الَّتي وَصَفَ اللهُ بها نَفْسَه، أو وَصَفه بها رَسُولُهُ ﷺ؛ سواء كَانَتْ من الصِّفاتِ الخبريَّة؛ كَإِثْباتِ صِفَةِ الوَجْه والعَيْن واليدِ والسَّاقِ والرِّجلِ والقَدَم، وغير ذَلِكَ، أو من الصِّفاتِ الفعليَّةِ كصفة الاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ، والنُّزول إِلَىٰ السَّماءِ الدُّنيا ثُلُث اللَّيلِ الأَخِير، وَحَدِيث كَشْفِ السَّاقِ في عَرَصاتِ القِيامةِ[2]، ووَضْع الجبَّار رِجْله، وفي روايةٍ[3]: قَدَمه عَلَىٰ

(١) (ص١١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجها البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

النَّار فيَنْزوِي بَعْضها إِلَىٰ بَعْضٍ، وتَقُول: قَطِ قَط[1]، حَسْبي حَسْبي، إِنَّ مَنْ يَزْعم بأنَّ هَذِهِ الأَحْكامَ قُشورٌ فهُوَ مَسْعورٌ، وعَنِ الخيرِ مَبْتورٌ.

إنَّ الغزاليَّ يُحاربُ العقيدةَ السَّلفيَّةَ في إثباتِ الصِّفاتِ حَرْبًا شَعْواءَ، لا هَوادَةَ فيها.

وإنَّ عُمر التلمسانيَّ يقولُ في كتابِهِ: «بعض ما عَلَّمني الإخوان المسلمون» عند قولِهِ تَعالىٰ: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمر: ٦٧]، فقالَ: «وإنَّ هَذِهِ اليمينَ الَّتي تُشِير إليها الآيةُ الكريمةُ هي التَّمكُّنُ من طيِّ السَّمواتِ، أي: القُدْرة الَّتي تَفْعل ما تَشاءُ، كَيْفما تَشاءُ، عِنْدما تَشاءُ»، وهذِهِ عَقِيدةُ الأَشَاعرةِ، أي: عقيدة التَّأويلِ.

وكذَلِكَ إسماعيل الشّطي، قالَ وَهُو يَتحدَّثُ عن العقيدةِ: «لَا أَدْري كَيْف أثبت لله يدًا» حَكَىٰ ذَلِكَ عَنْه وعن التّلمسانيّ العجميُّ في كتابِهِ «وقفات»[2].

أمَّا سَيِّد قطب فإنَّه كثيرًا ما يُميِّع القَضَايا العقديَّة تَمْييعًا قَدْ يصلُ إِلَىٰ حدِّ التَّشْكيكِ أحيانًا، فَانظُرْ إِلَيه يقولُ في تَفْسير «الظِّلال» عَلَىٰ آيةِ (الطَّلاقِ): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطَّلاق: ١٢]، قال: «والسَّمواتُ السَّبْعُ لا عِلْمَ لنا بِحَقِيقةِ مَدْلُولها وأَبْعَادها ومِسَاحَاتها».

ويَقُول في تَفْسير سورة (النَّبأ): ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ [النبأ: ١٢]، قال: «والسَّبْعُ الشِّدادُ الَّتي بَناهَا اللهُ فوقَ أَهْل الأرضِ هِيَ السَّمواتُ السَّبْعُ والطَّرائقُ السَّبعُ» في مَوْضعٍ آخر: «والمقصودُ بها عَلَىٰ وَجْه التَّحْديدِ يَعْلمه اللهُ، فقَدْ تكونُ سَبْع مجموعاتٍ من المَجرَّاتِ، وَهِيَ مَجْموعاتٌ من النُّجُومِ قَدْ تَبْلغ الواحدةُ مِنْها مئةَ مليون نجمٍ، وقَدْ تكونُ السَّبع المَجْموعات هَذِهِ هِيَ الَّتي لها علاقةٌ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) (ص٢٢، ٢٣).

بأرضِنا أو بمَجْموعتِنا الشَّمسيَّة».

قلتُ: وأيُّ تَمْييعٍ أعظمُ مِنْ هَذَا التَّمييعِ؛ السَّمواتُ السَّبْعُ الَّتي وَرَدتْ في وَصْفِها أحاديثُ تبلغُ حدَّ التَّواتر، ومِنْها أحاديثُ المِعْراجِ الَّتي وَصَف فيها النَّبيُّ ﷺ السَّمواتِ، وأنَّه وَجَد في كلِّ سماءٍ بعضَ الأنْبياءِ.

ويَقُولُ عن الاسْتِوَاءِ في تَفْسير سورة (الحديد) في قولِه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]: «أمَّا الاستواءُ علَىٰ العَرْشِ فنَمْلِكُ أنْ نقولَ: إنَّه كِنَايةٌ عن الهَيْمنةِ عَلَىٰ هَذَا الخَلْق اسْتِنادًا إلَىٰ مَا نَعْلمُه من القرآنِ عن يَقِينٍ أنَّ الله سُبْحانه لا تَتغيَّر عليه الأَحْوالُ، فَلَا يكونُ في حالةِ عدَمِ استِواءٍ عَلَىٰ العَرْشِ، ثمَّ تتبعها حال استواءٍ... إلخ»، وهذه عَقِيدةُ المُؤوِّلة الأشاعرة.

الملاحظة التَّاسعة:

دَعْوىٰ الشَّيخ البنَّا أنَّ دَعْوتَه جَمَعتْ كلَّ المعاني الإِصْلاحيَّة بزَعْمِهِ: «فهي دعوةٌ سَلفيَّةٌ، وطريقةٌ سُنيَّةٌ، وحقيقةٌ صوفيَّةٌ، وهيئةٌ سياسيَّةٌ، وجماعةٌ رياضيَّةٌ، ورابطةٌ علميَّةٌ ثقافيَّةٌ».

وفسَّر ذَلِكَ بقولِه: «دعوةٌ سَلفيَّةٌ»؛ لأَنَّهم يَدْعون إلَىٰ العَوْدةِ بالإِسْلامِ إلَىٰ مَعِينِهِ الصَّافي من كِتَابِ الله وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ.

وأقول: ما أَحْسنَ هَذَا لو أُسِّس عَلَىٰ التَّوحيدِ ومُفَاصلةِ الشِّرْكِ بجَمِيعِ أنواعِهِ وأَنْواعِ مُعْتنِقِيه وسَلِمَ من البِدَعِ! ولكِنْ كَيْفَ يَسْلَم مِنَ البِدَعِ وَالشِّركيَّاتِ مَنْ تَربَّىٰ في أَحْضانِ الصُّوفيَّةِ، وَشَرِبَ من لبانها مُنْذ نُعومةِ أَظْفارِه.

ثمَّ قالَ: «وَطَرِيقةٌ سُنيَّةٌ»؛ لأَنَّهم يَحْملون أَنْفُسَهم عَلَىٰ العملِ بالسُّنَّةِ في كلِّ

شيءٍ، وبخاصَّةٍ في العَقَائِدِ والعِبَاداتِ مَا وَجَدوا إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَأَقُولُ: هَذِهِ دَعْوىٰ، وَلَكِنَّ وَاقِعَ الإِخْوانِ ومُؤَسِّس دَعْوتِهم لا يُصدِّقها، ونَحْن نُطَالِبُهُمْ بأكبرِ فقرةٍ في هَذِهِ الدَّعوىٰ، وأهمِّ شيءٍ فيها، وأوَّل شيءٍ فيها، فلمَاذَا لَمْ يَبْدؤوا به؟ لمَاذَا لم يَبْدؤوا من حَيْث بدأ المُصْطَفىٰ ﷺ ومِنْ حَيْث بدأ كلُّ رَسُولٍ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

إنَّ كلَّ دعوةٍ لا تُؤسَّس علىٰ هذا الأساسِ، ولا تَنْطلقُ من هَذَا المُنْطلقِ فَإِنَّها غير سُنيَّةٍ ولا سَلفيَّةٍ مَهْما ادَّعىٰ أَصْحابُها أَنَّهم سُنيُّونَ أو سَلفيُّون.

قالَ: «وَحَقِيقةٌ صُوفيَّةٌ»؛ لأَنَّهم يَعْلمونَ أنَّ أساسَ الخيرِ طَهارَةُ النَّفسِ ونقاءُ القَلْبِ، والمُوَاظبةُ علىٰ العملِ، والإِعْرَاضُ عن الخلْقِ، والحبُّ في الله.

أقول: كلُّ مُسْلمٍ سَلَّمَه اللهُ من الأَهْواءِ يَعْلم حقًّا أنَّ أساسَ الخير طهارةُ النَّفسِ، ونَقَاءُ القلبِ، والمُوَاظبةُ عَلَىٰ العملِ، ولكن أَيْن هَذَا من الصُّوفيَّة؟! أَيْن مِنْهم طهارةُ النَّفسِ؟! وأَيْن مِنْهم نقاءُ القلبِ؟! وهُمْ يُؤْمِنون بوحدةِ الوُجُودِ، فيُؤْمِنُونَ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حلَّ في جَمِيعِ خَلْقِهِ، أو في بَعْضِ خَلْقه!

أَيْنَ مِنْهم طهارةُ النَّفسِ وَهُمْ يَتْركونَ مَصْدر التَّلقِّي الَّذي أَمَر اللهُ به ورَسُولُهُ ﷺ وَهُو الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وَيَجْعلُونَ مَصْدرهم الَّذي يَأْخُذُونَ عَنْه الإلهامَ، فيقول أَحَدُهُمْ: «حَدَّثني قَلْبي عن ربِّي»؟!

وأَيْن مِنْهم طهارةُ النَّفسِ ونَقاءُ القَلْبِ وهُمْ يَسْتبيحونَ المُحرَّماتِ، ويَزْعمون أنَّهم وَصَلوا، ولمَّا وَصَلوا، أباحَ اللهُ لهم ما حَرَّم عَلَىٰ غَيْرهم، وأَسْقَط عَنْهم الفَرَائِضَ الَّتي أَوْجَبها عَلَىٰ غَيْرهم؟!

أم أين طهارةُ النَّفسِ وصفاءُ القلبِ مِمَّنْ يَزْعمون أنَّ الوليَّ أعلَىٰ مَقامًا من النبيِّ؛ لأنَّ النبيَّ يأخذ بواسطةِ المَلَكِ، أمَّا الوليُّ فيأخذُ مِنَ الحَضْرة القُدسيَّةِ؟!

أم أين مِنهم طهارةُ النَّفسِ، ونقاءُ القلبِ، وهُمْ يَعْتقدون أنَّ بعضَ الأَوْلياءِ يتصرَّفونَ في هَذَا الكونِ؟

واسْمَعْ إِلَىٰ عبدِ الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَهُو ينقلُ في كتابِهِ: «هذِهِ هِيَ الصُّوفيَّةُ»[1] عن الجيلي ادِّعاءَه للرُّبوبيَّةِ، فيَقُول: «ادِّعاءُ الجيلي الرُّبوبيَّةَ العُظْمَىٰ حَيْثُ قَالَ:

لِيَ المُلْكُ فِي الدَّارينِ لَمْ أَرَ فِيهِمَا ... سِوَايَ فَأَرْجُو فَضْلَهُ أَوْ فَأَخْشَاهُ

وَقَدْ حُزْتُ أَنْواعَ الكَمَالِ وَإِنَّنِي ... جَمَالُ جَلَالِ الكُلِّ مَا أَنَا إِلَّا هُوَ

ثمَّ يقول: «هَذَا قولُ الجيلي، واللهُ تَعالَىٰ يقولُ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩]، ولَكِنَّ الجيليّ يَفْتري أنَّ له وَحْده مُلْكَ الدُّنيا والآخِرَةِ، وأنَّه لَيْس للوُجُودِ ربٌّ سِوَاهُ، ولا لِيَوْمِ الدِّينِ مَلِكٌ غيرُه، وأنَّه الغنيُّ بذاتِه، فلا تَنْقدح في قلبِهِ رغبةٌ في نِعْمةٍ من أحدٍ؛ لأنَّه الوَهَّابُ للنِّعَمِ، ولا تَلْفحُ نَفْسَه رَهْبةٌ من سُلْطانٍ؛ لأنَّه مَلِك الكُلِّ، ومَالِكُهم.

ولَمْ يكتفِ الجيلي بهذا، بَلْ مَضَىٰ يُعدِّد أنواعَ الخَلْق وصُور الوُجُود المادِّيِّ والحسِّيِّ والرُّوحيِّ والمعنويِّ ليزعم بعدها أنَّه هُوَ عَيْنها ذاتًا ووُجُودًا، فلا يَتوهَّم وَاهِمٌ أنَّ شيئًا في الوُجُودِ يُغاير الجيلي، ويخرج عن حَقِيقةِ ذاتِهِ، فقَالَ:

فَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ مَعْدِنٍ وَنَبَاتِهِ ... وَحَيْوَانِهِ مَعْ إِنْسِهِ وَسَجَايَاهُ

---

(١) (ص٤٤).

وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ أَبْحُرٍ وَقِفَارِهِ ... وَمِنْ شَجَرٍ أَوْ شَاهِقٍ طَالَ أَعْلَاهُ
وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ صُورَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ ... وَمِنْ مَشْهَدٍ لِلْعَيْنِ طَابَ مُحَيَّاهُ
وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ هَيْئَةٍ مَلَكِيَّةٍ ... وَمِنْ مَنْظَرٍ إِبْلِيسَ قَدْ كَانَ مَعْنَاهُ
وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ شَهْوَةٍ بَشَرِيَّةٍ ... لِطَبْعٍ وَإِيثَارٍ لِحَقٍّ تَعَاطَاهُ
وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ عَرْشِهِ وَمُحِيطِهِ ... وَكُرْسِيِّهِ أَوْ رَفْرَفٍ عَزَّ مجلَاهُ
فَإِنِّيَ ذَاكَ الكُلَّ وَالكُلُّ مَشْهَدِي ... أَنَا المُتَجَلِّي فِي حَقِيقَتِهِ لا هُوْ
وَإِنِّيَ رَبٌّ لِلْأَنَامِ وَسَيِّدٌ ... جَمِيعُ الوَرَىٰ اسْمٌ وَذَاتِي مُسَمَّاهُ»

ثمَّ قَالَ الوكيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرأيتَ إِلَىٰ الجيلي بأيِّ وَثنيَّةٍ يَنْعق، وبأيِّ مَجوسيَّةٍ يَدِينُ، أرأيتَ إِلَىٰ قولِهِ: «أَنَا المُتجلِّي في حقيقتِهِ لَا هُوَ» يا للجيلي! يَحْكم عَلَىٰ الوُجُودِ الحقِّ بالعَدَمِ الصِّرْفِ، أرأيتَ إِلَيه في زَعْمه أنَّه هو ربُّ الأنامِ وسَيِّده... » إِلَىٰ أن قالَ: «إنَّ تِلْكَ الزَّنْدقةِ يَتوَارثها صُوفيٌّ عن صُوفيٍّ، فحقَّ عَلَيهم قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذَّاريات: ٥٣].

هذِه هي الصُّوفيَّةُ الَّتي يَزْعم البنَّا أنَّها مَعْنًىٰ من المعاني الإِصْلاحيَّة، فأيُّ إِصْلاحٍ يَأْتي من الصُّوفيَّةِ؟ !

أتظنُّ أنَّ البنَّا يجهلُ هَذَا الهُرَاءَ والدَّجلَ والافتراءَ وهذِهِ المَزاعمَ الإلحاديَّةَ، وقَدْ نَشَأ في أَحْضانِ الصُّوفيَّةِ، وتَربَّىٰ في كَنَفها، وعَايَشها ليلَ نَهار.

ولقَدِ انْتَقَد هذا الأُسْلوبَ أحدُ أَسَاطين الجماعة، وَهُو مُحمَّد سرور زين العابدين، قالَ في مَقَالٍ نَشَره في مَجلَّته الَّتي يُسمِّيها بـ «السُّنَّة»!! العدد السَّابع والعشرون جمادىٰ الآخرة عام ١٤١٣هـ، وَهُو مقالٌ مطولٌ، ذَكَر فيه كثيرًا مِنْ

سَلبيَّات هَٰذِهِ الجَماعَةِ وَغَيْرِها من الجَماعَاتِ الحِزْبيَّة، وذَكَر أَسْبابَ انْفِصالِهِ عَنها، ثمَّ قالَ: «بَعْد انْفِصَالِي عن الجماعةِ الأُولَىٰ، وَضَعْتُ لنَفْسي ثَوابتَ ومُنْطلقَاتٍ مُحدَّدةً لا أَحِيدُ عنها، ولا أستبدلُ بِهَا غَيْرها، وها قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَسِيرتِي أكثر من عِشْرِينَ عامًا، ومُرُورُ هَٰذِهِ الأَيَّام زَادني قناعةً وَاسْتِمْساكًا بهذهِ الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ... » إِلَىٰ أَنْ قالَ: «أَوَّلًا: أصبحَ الأَصْلُ عِنْدِي الالْتِزامُ بِعَقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ رضوان الله عليهم، وهذِهِ مسألةٌ لا مجالَ للمُسَاومةِ عَلَيها، فمَنْ كانَ هَذَا هو اعتقادُهُ في أُصُولِ الدِّين وفُرُوعِه، فهو أخي، ومن أَقْربِ النَّاسِ إليَّ، ولا يَهمُّنا بعد ذَلِكَ لونُ بَشْرتِهِ، أو اسمُ الجماعةِ الَّتِي يَنْتسبُ إِلَيها، أو بُعْد الدِّيار بَيْننا وبَيْنَه.

وَلم يَعُدِ العملُ الإسلاميُّ عِنْدِي دعوةً سَلفيَّةً، وحقيقةً صُوفيَّةً؛ لأنَّ مثل هَذَا الخَليطِ لا يَصْلح أساسًا لوحدة العملِ الإسلاميِّ، ولا يُؤدِّي إِلَّا إِلَىٰ الخُصُومةِ والفُرْقةِ والتَّناحرِ؛ لأنَّ الصُّوفيَّةَ شُذُوذٌ وَانْحِرافٌ عن المَنْهجِ الحقِّ الَّذي آمنَّا بِهِ.

كما أنَّ العملَ الإسلاميَّ لم يَعُدْ شعارًا يُردِّده البعضُ دونَ تَدبُّر مَعْناه، ومِنْ ذَلِكَ قولُ القَائِلِينَ: «ويَعْذر بَعْضنا بعضًا فِيمَا اخْتلَفنَا فِيهِ».

وكَما قلتُ سابقًا من هَذَا الحديثِ، فإنِّي لا أَعْذر مَنْ كانَ اخْتِلافِي مَعَهُ اخْتِلافَ تَضادٍّ، وكَيْف أَعْذره وأنَا أعتقدُ أنَّ الحقَّ مَعِي، والدَّليل إِلَىٰ جَانِبي، ولم يَعُدْ عَقْلي يَتصوَّر وُجُودَ جماعةٍ واحدةٍ فيها السَّلَفيُّ والصُّوفيُّ والأشعريُّ والخارجيُّ ودُعَاة الاعْتِزَالِ والعَقْلانيَّة، وغير ذَلِكَ من العَقَائِدِ والاتِّجاهاتِ المُخْتلفَةِ المُتَبايِنةِ، وأدركتُ أنَّ الكَمَّ الكبيرَ لَيْس دليلًا عَلَىٰ نَجاح العملِ الإسلاميِّ، وأنَّ سياسةَ التَّجميعِ سياسةٌ فاشلةٌ إذا أهملَ الدُّعاةُ سلامةَ

التَّصوُّراتِ، ووحدةَ الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ». اهـ.

وبقَطْع النَّظَرِ عن صِدْقيَّة ادِّعائِهِ أنَّه حينَ تركَ الإخوانيَّة انْتقَل إلَىٰ المنهج السَّلَفِيِّ الصَّحيح، أو عَدَم صِدْقيَّتِهِ لكونِهِ أَخذ بجوانبَ، وتَركَ جوانبَ، إلَّا أنَّ الشَّاهدَ منه أنَّ هَذَا الرَّجلَ رُغْمَ أنَّه عَايَشَ هَذَا المنهجَ[1] بُرْهةً من الزَّمنِ، وعَرَف كثيرًا من سَلْبيَّاتِهِ قَدْ تَركَه من أجلِ كَثْرة سَلبيَّاتِهِ، ومنها جَمْع مُؤسِّسه بَيْن مُتناقضاتٍ؛ كجَمْعِهِ بَيْن السَّلَفيَّةِ والصُّوفيَّةِ مَعَ مَا بَيْنها من البَوْنِ الشَّاسعِ وَالفَرْقِ العَظِيمِ، بَلْ مَعَ مَا بَيْنهما مِنَ التَّنَاقضِ.

ونَقْده في قولِهِ: «ويَعْذر بَعْضُنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فِيهِ»، فإذَا كانَ الاخْتِلافُ في العَقَائدِ المُتَناقِضة، كَيْف يعذرُ بَعْضُهم بعضًا؟ !

ونَقْدُهُ سياسةَ التَّجميع، وحُكْمه عَلَيها أنَّها سياسةٌ فاشلةٌ، فكيفَ يجتمعُ قومٌ قناعاتُهُم مختلفةٌ، وعَقَائدُهُم متباينةٌ، وقرَّر أنَّ النَّجاحَ لا يكونُ إلَّا للمَنْهج الَّذي اتَّحد أهلُهُ في سَلامةِ التَّصوُّرِ المبنيِّ عَلَىٰ وحدة الثَّوابتِ والمُنْطلقَاتِ، ومَعْنىٰ ذَلِكَ أَنْ يَعْتقدُوا مَنْهجًا ثابتًا، وَهُو كتابُ الله وسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وما جَرَىٰ عليه السَّلَفُ الصَّالحُ من الأعمالِ، وأنَّ التَّلقِّيَ لا يكونُ إلَّا من الله ورسولِه ﷺ، وأنَّ العِصمةَ ليست لأحدٍ غير رَسُولِ الله ﷺ.

ولئن سَلَّمنا جَدَلًا أنَّ صُوفيَّته سليمةٌ من وحدة الوُجُودِ، فإنَّها لم تَسْلم من شِرْكِ الوثنيَّةِ الَّذي كان يَرَىٰ النَّاسَ غَارِقِينَ فيه، ولم يُغيِّر من الأَمْرِ شيئًا، بل أقرَّه وسَكَت عنه، وزَعَم أنَّ الشِّرْكَ الَّذي حرَّمه اللهُ وحَذَّر منه هو شِرْكُ الحاكميَّةِ، ونَحْنُ نَقُولُ: إنَّ شِرْكَ الحَاكِميَّةِ واحدٌ من أَنْواعِ الشِّرْكِ الوَثنيِّ، وإنَّ الرُّسُلَ قَدْ

(١) أي المنهج الإخواني.

بُعِثَتْ فِي أَقْوامٍ لَهُم طَوَاغِيتُ يَتَحاكَمُونَ إِلَيهِم، وَيَخْضعُونَ لحُكْمِهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الَّذي أَرْسَلهم أن يُنْكِرُوا شِرْكَ الحَاكميَّةِ ويَتْرُكوا شِرْكَ العبادةِ، بَلْ أَمرَهُمْ أَنْ يَبْدؤوا بِشِرْكِ العِبَادةِ، فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وشِرْكُ الحاكميَّةِ يَدْخل تبعًا.

وأخيرًا: فهَلِ الصُّوفيَّةُ بجَمِيع أَنْوَاعها وسيلةٌ مِنْ وَسَائِلِ إِصْلاحِ المُجْتمعاتِ أَوْ مِنْ وَسَائِلِ إِهْلَاكِهَا وإِتْلَافِها؟ فاللهُ المُسْتَعانُ.

وهل يصلحُ أن تُقْرنَ بالسَّلَفيَّةِ والسُّنَّةِ؟ أتركُ الجوابَ للقَارِئ.

إنَّ الجمعَ بَيْن هَذِهِ الأُمُورِ جمعٌ بَيْن مُتَناقضاتٍ لا تَجْتمع أبدًا.

الملاحظة العاشرة:

ضَعْفُ الوَلَاءِ والبَراءِ في المَنْهجِ الإخوانيِّ، فمِنَ الأدلَّةِ الوَاضِحةِ عَلَىٰ ذَلِكَ:

أوَّلًا: مَا نُقِلَ في كتابِ «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» تَحْتَ عنوان: (في قَضيَّةِ فَلَسطين) تَحدَّث محمود عبد الحليم وهو مِنْ قَادَة حزب الإخوان عن لجنةٍ مُشْتركةٍ أمريكيَّةٍ بريطانيَّةٍ جَالَتِ العالمَ العربيَّ من أَجْل قضيَّة فَلَسطين، وقَدْ حَضَر البَنَّا اجتماعًا لها في مصر مُمثِّلًا عن الحَرَكَةِ الإِسْلاميَّة، وأَلْقَىٰ كَلِمةً قالَ فِيهَا ما نَصُّه:

«والنَّاحِيةُ الَّتي سَأتحدَّثُ عَنْها نقطةٌ بسيطةٌ من الوِجْهةِ الدِّينيَّة إلَّا أنَّ هَذِهِ النُّقطة قَدْ لا تَكُونُ مَفْهومةً في العَالَمِ الغربيِّ، فأريدُ أَنْ أُوضِّحها بِاخْتِصَارٍ، فَأقرِّر: أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيْسَتْ دينيَّةً؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ حضَّ عَلَىٰ مُصَافَاتِهِمْ ومُصَادَقتِهِمْ، والإِسْلَامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قَبْلَ أن تكونَ قوميَّةً، وقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيهم، وجَعَل بَيْننا وبَيْنهم اتِّفَاقًا ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

[العنكبوت: ٤٦]، وَحِينَما أَرَادَ القرآنُ أَنْ يتناولَ مَسْأَلةَ اليَهُودِ، تَناوَلها من الوِجْهَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ والقَانونيَّة، قالَ تَعَالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]». اهـ[1].

وأَقُولُ: إذَا كانَ البنَّا يُقرِّر أنَّ خُصُومَتنا لليهودِ لَيَسَتْ دينيَّةً، فما هي؟ أَلَيْسَ القرآنُ يُقرِّر بأنَّها دينيَّةٌ، ويخبر اللهُ نَبيَّه بأنَّ اليهودَ والنَّصارَىٰ لا يَرْضون عن المُسْلِمينَ إلَّا باتِّباع مِلَّتِهِمْ، ويُحذِّر نَبيَّه من اتِّباع مِلَّتهم بَعْدما جَاءَه الحقُّ، ويَتوعَّد مَنِ اتَّبعَ مِلَّتهم من أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، فيقُولُ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وأمَّا قولُهُ: «لأنَّ القرآنَ الكريم حَضَّ عَلَىٰ مصافاتهم - اليَهُود - ومُصَادَقتِهِمْ» فهَذِهِ إنْ صَحَّتْ عنه فهي فِرْيَةٌ ما أَعْظَمها! وكيفَ لا تصحُّ وقَدْ ذَكَرها أتباعُهُ مُعتزِّين بمِثْل هَذِهِ الأقوالِ، ومُفْتخِرينَ بها، فلا حولَ ولا قُوَّة إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ.

ثانيًا: سَعْيُهُ وَجَمِيعَ أَتْباعِهِ في التَّقْرِيبِ بَيْنَ الشِّيعة مَعَ ما عندهم من البَلَايا المُكفِّرةِ والمُفسِّقةِ، وبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وزَعْمهم أنَّ الشِّيعةَ والسُّنَّةَ كُلَّهم مُسْلِمونَ.

وأقول:

١ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ سبَّ أبَا بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما بأَبْشَعِ السَّبِّ وأَقْذَعِهِ وأَقْذَرِهِ؟!

٢ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ سبَّ أُمَّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكرٍ، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرَّأة من فَوْق سَبْع سَمَواتٍ، رَضِي اللهُ عَنْها وعَنْ أَبِيها، ورَمَاها بالفَاحِشَةِ بَعْد أن بَرَّأها اللهُ في كتابِهِ، وكَذَّب القرآنَ في تَبْرئتِهِ لَها؟!

(١) «الإخوان المسلمون أحداثٌ صنعتْ التَّاريخ» (١/ ٤٠٩) ط. الدَّعوة للطَّبع والنَّشر والتَّوزيع.

٣ - أَيكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَحْكُمُ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابةِ بِالرِّدَّة عَنِ الإِسْلامِ إِلَّا نَفرًا قَلِيلِينَ، ويَزْعُمُ أَنَّهم كَفَروا بسَحْبِهم للخِلَافَةِ من عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْه وَعَنْهم، وَاتِّفاقهم عَلَىٰ ذَلِكَ مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لا تَجْتَمِعُ أُمَّتي عَلَىٰ ضَلالَةٍ»[1]، وَهُمْ خَيرُ أُمَّتِهِ وأَفْضَلُهُمْ وقُدْوَتُهُمْ، أفيُعْقل أنْ يَجْتَمِعُوا كلُّهم عَلَىٰ ضَلالةٍ؟ !

٤ - أَيكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَدَّعي العِصْمةَ لعليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبَنِيهِ الاثْنَيْ عَشَر؟ ! مع أنَّ العِصْمةَ لم تَثْبُتْ لأحدٍ غير رَسُولِ الله ﷺ، وواللهِ ما ادَّعاها عليٌّ لنفسِهِ، ولا ادَّعاهَا الحَسَنُ ولا الحُسَينُ، ولا أحدٌ من أَبْنائِهم الغُرِّ المَيَامِين الَّذين ادُّعِيَتْ لهم.

٥ - أَيكُونُ مُسْلمًا مَنْ عَبَدَ بَعْض المَخْلُوقِينَ؛ أحياءً وأمواتًا، ودَعَاهُمْ عِنْدَ الشَّدائِدِ، وتَطوَّف بقُبُورِهِمْ، بل وَزَعَمَ أنَّ الحجَّ إِلَىٰ كربلاء يَعْدِلُ الحجَّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَام؟ !

٦ - أَيكُونُ مُسْلمًا مَنْ يُعبِّدُ أبناءَه للمَخْلُوقِينَ، فيُسمِّيهم بعبد الحسين، وعبد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وله شواهد منها: عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه أبو داود (٤٢٥٣). وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رواه الترمذي (٢١٦٧). وعن أبي بصرة الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه أحمد (٤٥/ ٢٠٠) برقم (٢٧٢٢٤).

قال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ٢٩٩): «حديث مشهور، لهُ طرقٌ كثيرةٌ، لا يخلُو واحدٌ منها مِن مقالٍ».

وانظر: «تحفة الطَّالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب» لابن كثير (ص ١١٩ - ١٢٣)، و«مصباح الزُّجاجة» للبوصيري (٤/ ١٦٩).

وقد جاء عن أبي مسعود البدري موقوفًا، رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٧/ ٥٠٨ و٥١٦ - الرُّشد)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٨٥)، والحاكم (٤/ ٥٥٢ و٥٩٨). وصحَّحه الحافظ في «التلخيص» (٣/ ٣٠١). وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ في «تخريج السُّنَّة» لابن أبي عاصم (١/ ٤٢)، وقال في الحديث المرفوع: «صحيحٌ، له شواهدُ».

الكاظم، وعبد الزَّهراء، وما أشبه ذَلِكَ؟ !

٧ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَعْتقدُ أنَّ جِبْريلَ عليه السلام خَانَ، فذَهَب بالرِّسالةِ إِلَىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، وكَانَتِ الرِّسالةُ إِلَىٰ عليٍّ رضي الله عنه، فعَدَل بها عَنْه؟ ! ويَلْزم منه لوازمُ كُفريَّةٌ:

أ - تَخْوِينُ الأَمِينِ جبْريل عليه السلام الَّذي وَصَفَهُ اللهُ بقولِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

وذَلِكَ تكذيبٌ لله في خَبَره، وَهُوَ الكُفرُ بعينِهِ.

ب - ويَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ نَفْي عِلْمِ الغَيْبِ عن الله تَعالَىٰ، وأنَّه يُمْكن أن يُخَان مِنَ الوَرَاءِ وَهُو لا يَعْلم، كما يُخَانُ المَخْلُوقُ وَهُو لَا يَعْلم، وهذا كفرٌ بإِجْمَاعِ المُسْلِمينَ.

ج - ويَلْزمُ مِنه أنَّه - جلَّ وَعَلَا وتَقدَّس - لا يَعْرفُ المصلحةَ، وأنَّ جِبْريلَ عليه السلام كانَ أعرفَ بالمَصْلحةِ مِنْه حينَ وَجَّه بالرِّسالةِ إِلَىٰ ابن ثمان سَنَواتٍ، فعَدَل بِهَا جبريلُ عليه السلام إِلَىٰ ابْنِ الأَرْبعينَ، وفي ذَلِكَ تجهيلٌ لله جَلَّ وَعَلَا، ونفيٌ للحِكْمةِ عَنْه، وهذَا أَعْظمُ الكُفْرِ.

٨ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَعْتقد أنَّ القيامةَ هِيَ إِحْياءُ أَعْداءِ آل مُحمَّدٍ عند خرُوج المَهْدي المُنْتظرِ، وَالاقْتِصَاص لآلِ مُحمَّدٍ مِنْهم عند ذلكَ، ويَزْعم أنَّ أوَّلَ مَنْ يُقتَصُّ مِنه هُمَا: أبو بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما؟ !

٩ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يَزْعم أنَّ المهديَّ المُنْتظر إذا خرجَ سيُحقِّق ما لم يُحقِّقه مُحمَّدٌ ﷺ؟ ! وهذِهِ مقالةُ الخميني الَّتي صرَّح بها في كتابِهِ.

١٠ - أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ يُبيح الزِّنا مُمثَّلًا في نِكَاحِ المُتْعةِ؟ ! إِذْ إِنَّه إِذَا أُبِيحَ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ نكاحِ ليلةٍ أو ليالٍ مَعْدودةٍ، أو شهرٍ أو أقلّ أو أَكْثَر، وهذا هُو عَيْنُ الزِّنا.

وَأَخِيرًا: أَيَكُونُ مُسْلمًا مَنْ فِيهِ هَذِهِ البَلَاوي كلُّها ومَا هُوَ أكثرُ مِنْها؟ وَهَل

يُمكِنُ التَّقريبُ بَيْن هَؤُلَاءِ وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ؟ وهَلْ سَيَحْصلُ تَقَارُبٌ بَيْن أَهْلِ العَقَائِدِ المُتَناقِضَةِ دُونَ أَنْ يَتنازَلَ أحدُ الفَرِيقَينِ أو كِلَا الفَرِيقَينِ عَنْ شَيْء مِمَّا هو مِن صَمِيم عقِيدَتِه؟ فهَلْ تَنازلَتِ الرَّافضةُ عن عَقَائِدِها الَّتي هي عليها مِن أَكْثَر مِنَ أَلْفِ سنَةٍ أو حتَّىٰ عن بَعْضها؟! هَذَا ما لا يكونُ إلَّا أَنْ يشاءَ الله.

وهَلْ يمكنُ أن يَتنَازَلَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنْ بَعْض عَقَائِدِهِمْ من أَجل أن يَتَّفقوا مع الرَّافضةِ؟ هَذَا ما لا يكونُ إلَّا أَنْ يشاءَ الله، وإنَّ مَنْ يَتخيَّل ذَلِكَ، يَتخيَّل سَرابًا لا ماءَ فِيه، وظُنُونًا لا حَقِيقةَ لَها.

وإنَّ السَّعْيَ إِلَىٰ التَّقريبِ لم يَقْتصر عَلَىٰ البنَّا في حياتِهِ، بل استمرَّ عليه أتباعُه من بَعْده، وقَدْ أرسلَ الإخوانيُّون وفدًا إِلَىٰ الخميني أَيَّام ثَوْرتِه يُهنِّئونه بالثَّورةِ الإسلاميَّةِ كَما زعمُوا، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وقَدْ نقل كِتَابُ: «مَوْقف عُلَماء المُسْلِمينَ من الشِّيعةِ والثَّورةِ الإسلاميَّة»، تَأْليف مَنْ يُسمَّىٰ عز الدِّين إبراهيم[1] قَوْله:

«وقَبْل أَنْ نتركَ الأزهرَ، نَسْتمع إِلَىٰ الفَتْوىٰ الَّتي أَصْدَرها بخُصُوصِ المَذْهبِ الشِّيعيِّ، جاءَ فِيهَا: «إنَّ مَذْهَبَ الجعفريَّةِ المَعْرُوفِ بمَذْهبِ الشِّيعةِ الاثْنَيْ عَشريَّة مَذْهبٌ يجوزُ التَّعبُّدُ به شرعًا كسَائِرِ مَذَاهبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فيَنْبغي للمُسْلمينَ أَنْ يَعْرفوا ذَلِكَ، وأَنْ يَتخلَّصوا من العَصبيَّة بغير حقٍّ لمذاهبَ مُعيَّنةٍ، فما كانَ دين الله وما كَانَتْ شريعتُهُ بتابعٍ لمذهبٍ مُعيَّنٍ، أو مَقْصورةٍ عَلَىٰ مَذْهبٍ، فالكلُّ مُجْتهدُونَ مَقبولُونَ عِنْدَ الله تعالىٰ».

---

(١) (ص١٩).

ويَسْتغلُّ هَذِهِ الفتوىٰ الَّتي صَدَرتْ من شيخ الأزهر سابقًا محمود شلتوت يَستغلُّها الشَّيخُ مُحمَّد الغزالي أحدُ المُؤلِّفين والمُنظِّرين في المَذْهبِ الإِخْواني، فيَقُولُ في كتابِهِ: «دفاع عن العقيدة الإسلاميَّة ضدَّ مَطَاعِنِ المستشرقين»(١): «جَاءَنِي رجلٌ من العَوامِّ مُغْضبًا، يَتسَاءَلُ: كَيْفَ أَصْدَرَ شَيْخ الأَزْهر فَتْواه بأنَّ الشِّيعةَ مذهبٌ إسلاميٌّ كسَائِر المَذَاهبِ المَعْرُوفةِ؟

فقلتُ للرَّجلِ: ما تَعْرفُ عن الشِّيعةِ؟ فسَكَتَ قليلًا، وقالَ: ناسٌ عَلَىٰ غَير دِينِنا. فقلتُ له: لكنِّي رَأيتُهُمْ يُصلُّون ويَصُومُونَ كما نُصلِّي ونَصُومُ، فعَجِبَ الرَّجلُ، وقالَ: كيفَ هَذَا؟ قلتُ: والأغربُ أنَّهم يَقْرؤونَ القرآنَ، ويُعظِّمون الرَّسُولَ ﷺ، ويَحجُّون البيتَ الحرامَ. قال: لقَدْ بَلَغنِي أنَّ لهم قرآنًا آخر، وأنَّهم يَذْهبُونَ إِلَىٰ الكعبةِ ليحقروها، فنظَرتُ إِلَىٰ الرَّجل راثيًا، وقلتُ له: أنتَ معذورٌ، إنَّ بَعْضنَا يشيع عن البعض ما يحاول به هَدْمه، وجَرْح كَرامتِهِ». اهـ.

قلتُ: قَاتَلَ اللهُ الهَوَىٰ، رجلٌ عاميٌّ عَرَف أنَّ الشِّيعةَ لهم دينٌ غير دِينِنا، وإِنْ صَلَّوا وصَامُوا، وعَقَائدُ غير عَقَائِدِنا، وإِنْ أَسْدَلوا عَلَيها ستارًا وأَنْكَروها أمامَ الآخَرِينَ عَملًا بالتَّقيَّةِ الَّتي هي مِنْ أُصُولِ عَقَائِدِهِمْ، وَهُو يُحاوِلُ تَغْطية هَذِهِ العَقَائِد وإِنْكَارها أو بَعْضها.

وقالَ عزُّ الدِّين إبراهيم في كتاب: «موقف عُلَماء المسلمين من الشِّيعة»(٢) بعد أَنْ نقلَ عن الغزالي نُقُولًا من كُتُبه تُؤيِّد فكرةَ التَّقريبِ، فقال: «ويُصرِّح الغزاليُّ للطَّليعة الإسلاميَّة في عدد ٢٦ مارس/ ٨٥ ردًّا عَلَىٰ سؤالٍ وُجِّه إليه

---

(١) انظر: (ص٢٥٦).

(٢) انظر: (ص٢٢).

حَوْلَ دَوْرِهِ فِي جماعة التَّقريبِ، قال: «نَعَمْ، أنا كنتُ من المَعْنيِّين بالتَّقريبِ بَيْن المذاهبِ الإسلاميَّةِ، وكانَ لِي عملٌ دَؤُوبٌ ومُتَّصلٌ فِي دار التَّقريبِ بالقاهرة، وَصَادقتُ الشَّيخَ محمد تقي القمي، كَما صَادَقتُ مُحمَّد جواد مغنية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَلِي أَصْدقاء من العُلَماءِ والأَكابِر من عُلَماءِ الشِّيعةِ، وأنَا أُرِيدُ - فعلًا - أنْ تذهبَ الجفوةُ والشِّقاقُ المرُّ الَّذي شاعَ بَيْن المُسْلمينَ».

ثمَّ تَابَع صاحبُ الكتاب النُّقُولَ عن أَصْحابِ المَنْهجِ الإخوانيِّ، أي: عن كِبَارِهِمْ والمُنظِّرين فِيهِمْ، ومِمَّنْ نقل عَنْهم صبحي الصَّالح، والدكتور عبد الكريم زيدان، ومُحمَّد أبو زهرة، والدُّكتور مصطفىٰ الشكعة، والشَّيخ حسن أيُّوبِ، وحسن التُّرابي، وفتحي يكن، والشَّيخ سعيد حوىٰ، والمُفكِّر أنور الجنديِ، والأستاذ سميح عاطف الزين، والأستاذ صابر طعيمة، والأستاذ علي سامي النشار، والدُّكتور علي عبد الواحد وافي، وزينب الغزالي، والتلمساني، ويُوسُف العَظْم، والغنوشي، كلُّ هؤلاء لهم مَقالاتٌ ضِمْنَ مُؤلَّفاتٍ أو إجاباتٍ عَلَىٰ أسئلةٍ يُؤيِّدون فيها فِكْرةَ التَّقريبِ بَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، ويُبرِّئون الشِّيعةَ أَنْ تكونَ عِنْدهم عَقَائدُ مُنحرفةٌ تُوجِبُ الكُفْرَ أو الفِسْقَ، ويُقرِّرونَ كلُّهم أنَّ الشِّيعةَ مُسْلمونَ كَسَائِرِ المُسْلِمينَ؛ لأنَّهم يَقُولُون: «لا إِلَهَ إلَّا الله»، ويُصلُّون ويَصُومُونَ ويَحجُّون، وأنَّ الخلافَ بَيْنهم وبَيْن أَهْلِ السُّنَّةِ كالخِلَافِ بَيْن المَذَاهبِ[1].

ولمَّا قام الخميني بثورته في إيران، هبَّ الإخوانيُّون يُؤيِّدون، فهذا يُرْسِلُ بَرْقيَّةً، وهذا يُدبِّجُ مقالًا في الصُّحفِ، وهذا يُنظِّمُ مسيرةً تظاهرٍ تُؤيِّدُ الخمينيَّ؛ لأنَّه هُوَ الإمامُ الحقُّ، ودولتُه هي الدَّولةُ المؤمنةُ وَحْدها دون غيرِها، وَاسْمَعْ إلىٰ

(١) أي مذهب الإمام أحمد والشَّافعي ومالك وأبي حنيفة رحمهم الله، والله أعلم.

يوسفَ العظم إذ يقولُ:

بِــالخُمَينِي زَعِيمًــا وَإِمَــامْ هَدَّ صَرحَ الظُّلْمِ لا يَخْشَىٰ الحِمَامْ
قَــدْ مَنَحْنَــاهُ وِشَــاحًا وَوِسَــامْ مِــنْ دِمَانَــا وَمَضَــيْنَا لِلأَمَــامْ
نُــدَمِّرُ الشِّــرْكَ وَنَجْتَــاحُ الظَّــلَامْ لِيَعُــودَ الكَــوْنُ نُــورًا وَسَــلَامْ

فَانْظُرْ أَخِي القَارِئ إِلَىٰ هَذَا العَمَىٰ، وهذِهِ الرُّعونةِ، أيُّ شِرْكٍ دَمَّره الخميني، والشِّرْكُ عند الشِّيعة قَدْ باضَ وفرَّخ؟ !

وأيُّ شِرْكٍ دَمَّره الإخوانُ وَهُمْ مِنْ أَوَّل يَوْمٍ رَاضُونَ بِهِ، ومُقرُّونَ لَهُ، بَلْ وَاقِعُونَ فِيهِ؟ !

وَالْعَجِيبُ مِنْ أَمْرِهِمْ أنَّهم يبغضون الدَّولةَ السّعوديَّةَ (دولة التَّوحيد) الَّتي قَامَتْ عَلَيه من أوَّل يَوْمها وَهِيَ الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي تُدرِّس التَّوحيدَ في مَدَارِسها ومَعَاهِدِها وكُلِّيَّاتِها، ولا تُوجَد بها قُبُورٌ ولا أَضْرحةٌ ولا مَشَاهِد يَرْتادُهَا المُشْرِكُونَ، ويَأْتونَ إِلَيها من كلِّ مكانٍ يَطْلُبُونَ من أَصْحابِها ما لا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ، ويُحبُّونَ دَوْلَةَ الشِّرْكِ والكُفْرِ والإِلْحادِ، وَيَجْعَلُونَها هِيَ الدَّولة المُسْلِمَة الوَحِيدَة.

يَقُولُ جَابِر بن رزقٍ في مقالٍ في مجلة «الاعتصام»[1]: «وقَدْ نسي (صدام حسين) أنَّه سَيُقَاتل شعبًا تعدادُه أربعة أَضْعاف الشَّعب العراقيِّ، وهذا الشَّعبُ هو الشَّعبُ المسلمُ الوحيدُ الَّذي اسْتطَاع أن يَتمرَّد عَلَىٰ الإمبرياليَّة الصَّليبيَّة واليَهوديَّة.

وَيَقُولُ النِّظامُ الدّوليُّ للإخوان: ولَوْ كانَ الأمرُ يخصُّ إيران وَحْدها لَقَبلَتْ حلًّا وسطًا بَعْد أن تبيَّنت ما حَوْلها، ولكنَّه الإسلامُ وشُعوبُه في كلِّ مكانٍ، وقد

---

(١) (ص ٣٧) عدد: محرَّم، عام ١٤٠١هـ.

أصبحت أمانةً في عُنُقِ الحُكْمِ الإسلاميِّ الوحيدِ في العالم الَّذي فرض نفسه بدماءِ شَعْبِهِ في القرنِ العِشرينَ ليثبت حُكْم الله فوق حُكم الحُكَّامِ، وفوقَ حُكْمِ الاستعمارِ والصُّهيونيَّة العالميَّة ٤٦م».

فانظُرْ كيْفَ تجاهَل الحُكُومةَ السَّعُوديَّة ولَمْ يَعْتبرهَا دَوْلةً مُسْلمةً، وحصَر الإِسْلامَ في دولةِ إِيران، والأَعْجَبُ من ذلكَ أنَّ أهْلَ المَنْهَجِ الإخوانيِّ يَدَّعونَ أنَّهم سَلفيُّونَ، وهُمْ مع ذلكَ يَخصُّونَ المذهبَ السَّلفيَّ بالعَداءِ، ويَتعاطفونَ مع أصْحابِ المَذَاهبِ المُنْحرِفَةِ كما ترَىٰ، وكما سَيأتِي.

وسِياسَةُ التَّجْميعِ الَّتي يَجْمعون فِيهَا بيْن أَصْحابِ العقَائِدِ المُخْتلفةِ، فهذا سُنِّيٌّ، وهذا شِيعيٌّ، وهذا جَهْميٌّ، وهذا أَشْعريٌّ، وهذا وَثنيٌّ، وغير ذلكَ يدلُّ علَىٰ عدَمِ الولَاءِ والبراءِ عندَهم»[1].

قَالَ أحمد سلام في كتابِهِ «نظرات في مَناهج الإخوان»[2]: «وقدِ اسْتمرَّت الدَّعوة علىٰ خطِّ البناءِ في إِعْطاءِ الحَركةِ أهمِّيَّةً أُولَىٰ، بيْنما بقِي الاهتمامُ بتَصْحيحِ العقيدةِ في درجةٍ ثالثةٍ، أو رابعةٍ، وبحجمٍ مُتواضعٍ، وأمَّا قضيَّةُ التَّميزِ علَىٰ أساسِ العقيدةِ فهِي غير وَاردةٍ أصلًا في مُخطَّطِ الجماعةِ، فمُنْذُ الأيَّامِ الأُولَىٰ كَانَ التَّركيزُ مُتَّجهًا إِلَىٰ المعانِي الإسْلاميَّة العامَّة، فترَىٰ الجماعةَ تضمُّ في صُفُوفِها خليطًا لا لونَ لَه، ولا مَنْهجَ إلَّا أُصُول البنَّا العشرين، فهِي الَّتي تُشكِّلُ المُنْطلقَ النَّظريَّ للجماعةِ». اهـ.

---

(١) انظر كتاب: «نظرات في مناهج الإخوان المسلمين» لأحمد سلام (ص٩٦، ٩٧) وما نقله عن محمد قطب في كتاب: «واقعنا المعاصر» (ص٤٠٥، ٤٠٦).

(٢) (ص١٦١).

الملاحظة الحادية عشرة:

عَدَاوَتُهُمْ للمُوحِّدينَ السَّلَفيِّين، وتَعاطُفهمْ مع المُبْتدِعِينَ والمُشْركينَ، ومن أَعْظَمِ الأدلَّةِ علىٰ ذلك: قِتالهم لجماعةِ جميل الرَّحمن الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (كُنَر) وتَرْكهم للمُلْحدِينَ، وَاجْتِماع جَمِيعِ الفِرَقِ عَلَيهم، وتَصْريح بَعْضهم أَنَّ قِتالَهم لهم قتالُ عقيدةٍ.

ومن أَعْظَمِ الأدلَّةِ عَلَىٰ عَدائِهم للسَّلفيَّة المنشور الَّذي نَشَروه بعنوان: «السَّلَفيَّة الجديدة نُدُوبٌ في وَجْه السَّلَفيَّة الحقيقيَّة»، إنَّ هَذَا العنوانَ جديرٌ بأَنْ يُحاكَموا فيه.

فهَلْ في وَجْه السَّلَفيَّة نُدوبٌ؟ وما هي هذه النُّدُوبُ؟

أهِيَ دَعْوتُهمْ إِلَىٰ التَّوحيدِ وإِفْرادِ الله بالْعِبادةِ دُونَ سِواهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ؟ أَمْ هُوَ إِنْكارُهُمْ عَلَىٰ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ، أو أقرَّ الشِّرْكَ وسَكَتَ عَنْ فَاعِلِيه؟ بَلْ وَاحْتَضَنَهُمْ وَجَعَلَهُمْ إِخْوانًا؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم أَثْبَتُوا الله ما أَثْبتَه لنفسِهِ من الأَسْماءِ والصِّفاتِ، وَلَمْ يُحرِّفوها أو يُؤَوِّلوها أو يُعطِّلوها؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم اتَّبعوا كتابَ الله وسُنَّةَ نَبيِّه ﷺ، وتَرَكُوا أقوالَ الرِّجالِ؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم جَعَلوا مُتابَعتهم لرَسُولِ الله ﷺ وأَصْحابِهِ الكرامِ والتَّابعين لهم بإِحْسانٍ إِلَىٰ يوم الدِّينِ؟

أَمْ هِيَ كَوْنهم نَبَذُوا البِدَعَ بِجميعِ أَنْواعِها وأجناسِها، ونَبذُوا أَصْحابَها، ودَانُوا بِسُنَّةِ نَبيِّهم ﷺ، أَخذوها من المَنْبع الصَّافي (كتاب الله وصِحاح السُّنَنِ)؟

أَفِي وَجْهِ السَّلَفِيَّةِ نُدُوبٌ؟ كلَّا والله، إنَّ النُّدوبَ في الوُجُوه الكالحةِ الَّتي اتَّخذَتْ لها قدوةً من الخُرافِيِّين والمُبْتَدِعينَ، وأَعْرَضوا عن الحقِّ بَعْدَ أَنْ عرَفوه.

إنَّ هذا العنوانَ فِيهِ ظلمٌ وحَيْفٌ علىٰ السَّلفيَّةِ الحقيقيَّةِ، فلوْ فرضْنا أنَّ أحدًا مِمَّن انتمىٰ إلىٰ السَّلفيَّة في زَمَننا هذا قالَ قولًا في غير محلِّه، أو اعْتقَد عقيدةً تُخالِفُ منهجَ السَّلفِ، فهَلْ يلحق السَّلفيَّةَ منه شيءٌ فضلًا عن أنْ يكون نُدوبًا في وَجْهِها، كما أنَّ مَنِ انتمىٰ إلَىٰ الإسْلام، وَعَمِلَ ما يَتنافَىٰ مع الإسْلامِ، فإنَّ عَمله لا يُؤثِّر عَلَىٰ الإسْلام، ولا يَكُونُ نُدوبًا فيه.

وكذَلِكَ السَّلَفيَّةُ الَّتي هِيَ المَنْهَجُ النَّبويُّ الأصيلُ الَّذي سَارَ عليه النَّبيُّ ﷺ في حياتِهِ، ثمَّ سارَ عَلَيه أَصْحابُهُ من بعدِهِ وأَتْباعهم بإِحْسَانٍ إِلَىٰ يوم الدِّين.

لَقَدْ قرأتُ هَذَا المَنْشُورَ الظَّالمَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، ورأيتُ ما فيه من الاتِّهاماتِ الجَائِرة للسَّلفيِّينَ؛ فأَحْيانًا يُسمِّيهم الكاتبُ أَذْنابًا للشَّيْطانِ، وأحيانًا مُنافقينَ، وأحيانًا يَتَّهمهم بأنَّهم يُريدون أَنْ يُزَحْزِحوا الشَّبابَ عن الثِّقة في دُعاةِ الإسْلامِ الَّذين سلكُوا مسالكَ عدَّةً، وَاسْتَخدمُوا وَسَائِلَ مُتنوِّعةً في نَشْره، وتارةً يَتَّهمهم بأَنَّهم خَوارِجُ أو مِثْل الخوارجِ الَّذين يَقْتلون أَهْلَ الإيمانِ وَيَتْرُكُونَ عَبَدَةَ الأَوْثانِ.

ونَحْن نقولُ: المُلْتقَىٰ عندَ الله، ولا نَعْلم للسَّلفيِّين ذَنْبًا إلَّا أنَّهم قالوا: إنَّ كلَّ دعوةٍ لا تُؤسَّس علىٰ التَّوحيدِ الَّذي أَسَّس عليه الرُّسلُ في دَعواتِهم؛ فَهِيَ مخالفةٌ للمَنْهج النَّبويِّ الكريمِ، والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وإِن ادَّعىٰ أَصْحابُها أنَّهم علىٰ السُّنَّة، فالدَّعاوَىٰ لا تُقبَل بدُونِ إِثْباتٍ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشُّعراء: ٢٢٧].

الملاحظة الثَّانية عشرة:

الحِزْبيَّةُ الَّتي تُفرِّق الأُمَّة وتَشْطرها شِيعًا وأحزابًا، يَكِيد بَعْضُهم لبعضٍ، ويبغض بَعْضهم بعضًا، وقَدْ سَبَق الكلامُ عن الحِزْبيَّةِ بما أَغْنىٰ عن إعادتِه هُنا.

الملاحظة الثَّالثة عشرة:

دَعْوتُهمْ إِلَىٰ إقامةِ دولةٍ، وإِعَادةِ خلافةٍ، وهذا خطأٌ من مُؤسِّس المَنْهجِ وإِنْ كانَ قَدْ حَصَل منه بحسنِ نِيَّةٍ إِلَّا أنَّه مخالفٌ لما عَلَيه دَعَوات الرُّسُل - صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعين -، قالَ البنَّا في «مجموعة الرَّسائل»[1]: «(٤): تَقْوية الرَّوابطِ بَيْنَ الأَقْطارِ الإسلاميَّةِ جَمِيعًا تمهيدًا للتَّفكيرِ الجِدِّيِّ العمليِّ في شأن الخِلَافةِ الضَّائعةِ». اهـ.

وَيَقُول أيضًا: «الإِسْلامُ دينٌ ودولةٌ، ومصحفٌ وسيفٌ»، ويَقُول[2]: «الإخوان المسلمون والخلافة»، وذَكَر كلامًا، ثُمَّ قال: «والإخوان المسلمون لهَذَا يَجْعلُونَ فكرةَ الخِلافَةِ والعَمَل لإِعَادتِها في رَأْسِ مِنْهاجِهِمْ».

وهَذَا التَّعبيرُ وإِنْ كانَ صحيحًا في نفسِهِ: أنَّ الدِّينَ لا يقوم إلَّا بدولةٍ تَحْمِيهِ، وتُقِيمُ حُدُودَ الله فيه إلَّا أنَّا لم نُكلَّف بالدَّعوة إِلَىٰ دولةٍ، وإنَّما كُلِّفنا بالدَّعوةِ إِلَىٰ الدِّين الحقِّ الَّذي يَقُوم عَلَىٰ التَّوحيدِ الَّذي هُوَ مَعْنىٰ: «لا إله إلَّا الله»، والَّذي ما بُعِثَتِ الرُّسلُ، وأُنْزلَتِ الكُتُبُ، وجُرِّدت السُّيُوفُ إلَّا من أجل تَقْريرِهِ والعَمَل بِهِ، ولا خُلِقَتِ الجنَّةُ والنَّارُ إلَّا من أَجْل جَزاءِ العَامِلِينَ بِهِ والرَّافضين لَهُ، وهذِه هِيَ دَعْوةُ الرُّسُلِ، ولم يُعرَف عن نبيٍّ ولا عَنْ رَسُولٍ مِنْهم أنَّه دَعَا إِلَىٰ خلافةٍ، ولقَدْ قصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَينا أَخْبارَهم، وأَوْضَح لنا مَنَارَهُمْ، وأَمَرنا أَنْ نَقْتفِي آثارَهُمْ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولَا يَقْبلُ اللهُ دعوةً لا تَقُومُ علىٰ الأَسَاسِ الَّذي أَسَّس عليه الأنبياءُ من أَوَّلهم

---

(١) (ص٧٤).

(٢) (ص١٧٨).

نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَىٰ آخِرِهم وخَاتَمِهم نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ.

ومِنْ جهةٍ أُخرَىٰ، فإنَّ الدَّعواتِ الَّتي قَامَتْ في بلدانٍ لَيْس فيها دولةٌ تُحكِّم شَرْع الله، ربَّما يكونُ لها بَعْض العُذْر لِكَوْنِهِمْ في دُوَلٍ لا تحكم بشَرْعِ الله فِيمَا شَجَر بَيْنَ النَّاسِ، بَلْ تُحكِّم القوانينَ المُسْتوردةَ، فإنَّ مَن يُقيمُ في دولةٍ تُحكِّم شَرْع الله، وتُقِيم حُدودَه، لا يجوزُ له أن يَدْعوَ إلىٰ إقامةِ دولةٍ، وإنْ فعلَ، كان خارجًا عَلَىٰ الدَّولةِ الَّتي هو فِيهَا، ومُستحقًّا للذَّمِّ والعُقُوبةِ، وبالله التَّوفيق.

الملاحظة الرَّابعة عشرة:

أنَّهم يَتصيَّدونَ عَثَراتِ الوُلَاةِ مِنْ أَجْل الإِثَارةِ عَلَيهم، مُتأسِّين في ذَلِكَ بالخَوارجِ الَّذين ثَارُوا عَلَىٰ عُثْمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وزَعَموا أنَّه لا يَسْتحقُّ الخلافةَ، والَّذين وَصَفَهُمُ النَّبيُّ ﷺ بأنَّهم يَمْرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهم مِن الرَّميَّة، ثمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيه آخر مَا عليهم، وأنَّهم يَقْتلُون أهلَ الإيمانِ، ويَتْركُون أهلَ الأَوْثانِ.

وبالتَّأمُّلِ في حَالِ الإخوانيَّة، نَراهُمْ يُحبُّونَ المُشْركينَ، ويُعَادونَ المُوحِّدينَ، فنَرَاهم يُحبُّونَ الشِّيعةَ، وَيُثْنونَ عليهم، ويَزْعُمونَ أنَّهم هُم المُؤْمِنُونَ حقًّا كما تَقدَّم لَنَا مَا نقل عن بَعْضهم أنَّه يقولُ: إنَّ دولةَ الخميني هي الدَّولةُ المُسْلمة الوَحِيدة.

وقَدْ تَأسَّوا بِهِمْ في إِحْصاءِ عَثَرات الوُلَاة والخُرُوج عَلَيهم ولَوْ كانوا مُسْلمين، ولَوْ كَانَتِ الأخبارُ المنقولةُ عَنْهم كثيرٌ منها غير صحيحٍ، علمًا بأنَّه لا يَجُوزُ الخُرُوجُ عَلَيهم ولَوْ فَسَقوا.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ،

وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[(١)].

وَفِيهِ أَيْضًا عن أُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لا، مَا صَلَّوا»[(٢)].

وعَنْ عَبْد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّه أَتَىٰ إِلَىٰ عَبْد الله بن مطيع يوم الحرَّة، فَقَالَ: إِنِّي لم آتِكَ لِأَجْلِس، وَإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(٣)].

فهذه الأحاديثُ الصَّحيحة تدلُّ علىٰ عدم جوازِ الخرُوجِ علىٰ وُلاةِ الأُمورِ، وعلىٰ عدَم نَشْر مثالِبهم وعُيُوبِهم؛ لأنَّ ذَلِكَ يَترتَّب عَلَيه من المَساوِئِ والأَضْرارِ ما اللهُ به عليمٌ.

الملاحظة الخامسة عشرة:

البَيْعةُ في المَنْهجِ الإخوانيِّ وأَرْكانها العشرة، وقَدْ ذَكَرها البنَّا في رِسَالةِ التَّعاليمِ مِنْ مَجْموعَةِ الرَّسائلِ لَهُ[(٤)]، حيثُ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٤) (ص٢٦٨).

«أيها الإخوة الصَّادقون، أَرْكَانُ بَيْعتنا عشرةٌ، فَاحْفَظوها:

(١) الفَهْمُ. (٢) الإِخْلَاصُ. (٣) العَمَلُ.

(٤) الجِهَادُ. (٥) التَّضْحِيَةُ. (٦) الطَّاعَةُ.

(٧) الثَّبَاتُ. (٨) التَّجرُّدُ. (٩) الأُخوَّةُ.

(١٠) الثِّقَةُ».

وَمُلاحَظَاتِي عَلَى هَذِهِ البَيْعَةِ مِنْ جِهَاتٍ:

الجِهَةُ الأُولَىٰ:

أنَّ البَيْعةَ حقٌّ لِلإِمَامِ الأَعْلىٰ، فمَنْ أخذَ البَيْعةَ غَيْر الإمامِ الأَعْلىٰ، فقدِ ابْتدَعَ فِي الدِّينِ بِدْعةً مَذمومةً، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَمْ يُبَايِعْهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَّىٰ لَه، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ»[1]. وقوله ﷺ: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَيَكْثُرُونَ»، قَالُوا: فما تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ»[2]. وقوله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ خَلِيفَتَانِ، فَاقْتُلُوا الآخرَ - مِنْهُمَا»[3].

الجِهةُ الثَّانيةُ:

أنَّه لم يُعرف أنَّ أصحابَ الدَّعوات يَأْخذُونَ البَيْعةَ عَلَىٰ دَعواتِهم، فقدْ قامَ الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرن الثَّاني عشر الهجري بالدَّعوة إِلَىٰ الله في نجدٍ، ولم يَأْخُذْ من أحدٍ البَيْعةَ علىٰ الطَّاعةِ، ومع ذلكَ فقَدْ بَارَكَ الله فيها، وكذَلِكَ الشَّيخ عبد الله بن محمد القرعاوي حِينَ قامَ بالدَّعوة إِلَىٰ الله في جنوب

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المَمْلكَةِ، لم يقلْ لأحدٍ أنَّه يريدُ أخْذَ البيعةِ منه لِمَا يَدْعوه إليه، وقَدْ باركَ اللهُ فيها، وقَبْلهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يَأْخُذْ من أَحَدٍ بيعةً، وقَدْ باركَ اللهُ في دَعْوتِه، فهؤلاء أَصْحابُ الدَّعوةِ السَّلفيَّةِ، أمَّا المبتدعةُ فإنَّهم لا يَتحاشَوْن من البِدَعِ، ومِن الدَّعوةِ إليها.

الجِهَةُ الثَّالِثَةُ:

أنَّ أَرْكانَ بَيْعةِ البنَّا عشرةٌ، أمَّا بَيْعة النَّبيِّ ﷺ لأَصْحابِهِ، فهي أقلُّ مِنْ ذَلِك بكَثِيرٍ؛ ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وألَّا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَه، وأَنْ نَقُولَ بالحقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لا نَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ**»[١].

وفي حديث ابن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ**»، **فَلَقَّنَنَا**: «**فِيمَا اسْتَطعْتَ**»[٢].

وَفِي حَدِيثِ جَرِير بن عبد الله البجليِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أنَّه بَايَعَ النَّبيَّ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[٣].

فهَذِهِ بَعْضُ الأَرْكانِ العَشْرة، وأينَ الدَّليلُ علىٰ الباقي؟!

فإنْ قِيلَ: إنَّ بَيْعةَ البنَّا لَيْسَتْ لنفسِه، وإنَّما هي للعمَلِ للإسلامِ.

فالجَوَابُ: إنَّه قَدْ سَبَقَ البنَّا دُعاةٌ دَعَوْا إِلَىٰ الله دَعْوةً سَلفيَّةً، أو قُلْ: سُنيَّةً، أَسَّسوا دَعْوتَهمْ عَلَىٰ التَّوحيدِ كما دعَا رَسُولُ الله ﷺ، وَلَمْ يَأْخُذُوا البيعةَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩).

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم (١٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦).

أَحَدٍ بالعَمَلِ للإِسْلامِ، ومَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَجَحوا في دَعَواتِهِم، رحمهم الله، وجَزاهم عن الإِسْلامِ والمُسْلِمينَ خيرًا.

قالَ شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولَيْسَ لأحدٍ مِنْهم - أي: المُعلِّمين - أن يأخذَ عَلَىٰ أحدٍ عهدًا بمُوافقتِهِ عَلَىٰ كلِّ ما يُريده، ومُوَالاة مَنْ يُواليه، ومُعَادَاة مَن يُعاديه، بل مَنْ فعل ذَلِكَ منهم كانَ من جنس جنكيزخان وأمثالِهِ الَّذين يَجْعلون مَنْ وَافَقَهمْ صديقًا مواليًا، ومَن خالَفهُم عدوًّا باغيًا، بَلْ عليهم وعلىٰ أتباعِهِمْ عهد الله أن يُطِيعوا اللهَ ورَسُولَه ﷺ، ويَفْعلوا ما أَمَرَ اللهُ به ورَسولُه ﷺ، ويُحرِّموا ما حرَّمَ اللهُ ورسولُه ﷺ، ويَرْعوا حقوقَ الله ورسولِهِ ﷺ». اهـ[(١)].

ورَوَىٰ الذَّهبيُّ في «السِّير» بسندِهِ إلىٰ قتادة قال: «حدَّثنا مطرِّف (أي: ابن عبد الله بن الشِّخِّير التَّابعي المَعْروف) قال: كنَّا نأتي زيد بن صوحان، فكَانَ يَقُولُ: «يا عِبَادَ الله، أكْرِمُوا وأَجْمِلُوا، فإنَّما وَسِيلَةُ العِبَادِ إِلَىٰ الله بخَصْلتين: الخوفُ والطَّمعُ.

قال: فأتيتُهُ ذاتَ يوم وقَدْ كتبُوا كتابًا، فنَسَّقوا فيه كلامًا من هَذا النَّحْو: إنَّ اللهَ ربُّنا، ومُحمَّدًا نَبيُّنا، والقُرْآنَ إمَامُنا، ومَنْ كانَ مَعَنا كنَّا وكنَّا، ومَنْ خَالَفنا، كَانَتْ يَدُنَا عليه، وكنَّا وكنَّا.

قَالَ: فجَعَل يَعْرِضُ الكتابَ عليهم رجلًا رجلًا، فيَقُولُونَ: أَقرَرتَ يا فلان... حتَّىٰ انْتَهَوْا إليَّ، فقالُوا: أَقررتَ يَا غُلَامُ؟ قلتُ: لَا.

قالَ زيدٌ: لا تَعْجلوا عَلَىٰ الغُلَامِ، ما تَقُولُ يا غُلَام؟

قلتُ: إنَّ اللهَ قَدْ أخذَ عليَّ عهدًا في كتابِهِ، فلَنْ أُحْدِثَ عهدًا غير العَهْد الَّذي

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٨/ ١٦).

أخذه عليّ، فرجع القومُ من عند آخرهم، ما أقرَّ منهم أحدٌ، وكانوا زُهاء ثلاثين نفسًا»[١]. اهـ.

قلتُ: وفي هذا دليلٌ على أنَّ البيعة لا تؤخذ في الدَّعوة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أخذ على عباده أن يطيعوه، ويطيعوا رسوله ﷺ، وأن يفعلوا ما أمرهم به، ويتركوا ما نهاهم عنه، وما على الدَّاعية إلَّا أن يبيِّن للنَّاس ما أمرهم الله به ورسولُه ﷺ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

وبعد البيان الَّذي يقوم به الدَّاعية، يترك النَّاس يعملون فيما بينهم وبين ربِّهم، فهو الَّذي سيحاسبهم إلَّا إذا ظهر له أنَّ أحدًا ركب محرَّمًا، أو قصَّر في واجبٍ، فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالطُّرق المشروعة لذلك، وبحسب الحالة المناسبة، أمَّا أن يأخذ عليهم البيعة أن يخلصوا أو أن يتجرَّدوا لما أوجبه عليهم وكلَّفهم به، أو أن يتآخوا، أو أن يثق المتبوع في التَّابع حتَّى يعطيه الطَّاعة العمياء، فهذا ما أنزل الله به من سلطانٍ.

الجهة الرَّابعة:

جعله للطَّاعة في المرحلة الثَّانية من مراحل الدَّعوة الثَّلاث الَّتي ابتدعها طاعةً عسكريَّةً لا بدَّ فيها من التَّنفيذ؛ سواء كان الأمر خطأً أم صوابًا، باطلًا أم حقًّا، وقد كان النَّبيُّ ﷺ مع أنَّه معصومٌ من الخطإ، ومؤيَّدٌ بالوحي، يشاور أصحابه، وقد شاورهم يوم بدرٍ، وشاورهم يوم أُحدٍ، وقد مرَّ بنا قريبًا أنَّه كان يبايع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على السَّمع والطَّاعة، ويلقِّنهم: «**فيما استطعت**».

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٢).

أمَّا الطَّاعةُ عِنْدَ البنَّا، فإلَيْكَ مَا قَالَه في «رسالة التَّعاليم»[(١)] قال: «وأُرِيدُ بالطَّاعةِ امْتِثالَ الأَمْرِ، وإنْفاذَه توًّا في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشطِ والمَكْرهِ، وذَلِكَ أنَّ مَرَاحِلَ هَذِهِ الدَّعوةِ ثَلاثٌ...

إِلَىٰ أَنْ قالَ في المَرْحلةِ الثَّانيةِ الَّتي هِيَ مَرْحلَةُ التَّكْوينِ: وَنِظَامُ الدَّعوةِ في هَذِهِ المَرْحلةِ صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وَعَسْكَرِيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العَمَليَّةِ، وشِعَارُ هَاتَيْنِ النَّاحِيَتَينِ دائمًا: «أمرٌ وطاعةٌ» من غير تَرَدُّدٍ، ولا مُرَاجعةٍ، ولا شكٍّ، ولا حَرَجٍ». اهـ.

قلتُ: وهَاتَانِ النَّاحِيتَانِ غَرِيبَتَانِ عَنِ الإِسْلامِ، فالطَّاعةُ في الإِسْلامِ حُكْمها الوُجُوبُ إلا أنَّها مُقيَّدةٌ بقُيُودٍ:

الأوَّل: مُقيَّدةٌ بالمَعْرُوفِ، فلا طَاعةَ في المَعْصيةِ، وَفِي «صحيح البخاريِّ» من حديث ابْنِ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[(٢)]. وقَدْ وَرَدَ أَيْضًا: «**إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[(٣)].

القَيْدُ الثَّاني: أن تكونَ الطَّاعةُ فِيمَا يَسْتطِيعُ المرءُ، وكَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا بَايَعَ رَجُلًا عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعةِ يُلقِّنه: «**فِيمَا اسْتَطعْتَ**»، رَوَاهُ البخاريُّ بمَعْنَاهُ في كِتَابِ الأَحْكامِ مِنْ «صحيحه»، وهذِه الأَحَاديثُ دَالَّةٌ عَلَىٰ أنَّ الطَّاعةَ مُقيَّدةٌ بما يَسْتَطِيعُ العبدُ، وقَدْ بَوَّبَ البخاريُّ بقولِهِ: «باب عَزْمِ الإمامِ عَلَىٰ النَّاسِ فِيما

---

(١) (ص٢٧٤). (ص١٥ مجموع رسائل البنا) ط/ الأندلس ١٣٨٤هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يُطِيقُونَ»، وأَوْردَ فيهِ حديثَ ابْنِ مَسْعودٍ قالَ: أَتانِي اليومَ رجلٌ، فسَألنِي عن أمرٍ، ما دريت ما أردُّ عليه، قال: أرأيت رجلًا مُؤدِّيًا نشيطًا يخرجُ مَعَ أُمَرائِنا في المَغَازِي، فيَعْزم عَلَينا في أَشْياء لا نُحْصِيها، فقلتُ له: واللهِ، لا أَدْري ما أقولُ لَكَ إِلَّا أَنَّا كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ، فعَسَىٰ أَلَّا يَعْزم علينا في أَمْرٍ إِلَّا مَرَّةً حتَّىٰ نَفْعلَهُ... إلخ.

ومَعْنىٰ «لَا نُحْصِيها»: لا نُطِيقُها، ومنه قولُهُ في سورة (المزَّمل): ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، أي: لا تُطِيقُوه.

ومِنْ هُنَا تَعْلمُ أنَّ قولَ البنَّا: «وَنِظَام الدَّعوةِ في هذه المرحلَةِ صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وعسكريٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العَمَليَّةِ»، ومَعْنىٰ ذَلِكَ أَنَّ النَّاحيتينِ تَتَّفقانِ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّنفيذِ من غَيْر مُراجعةٍ، ولا تَردُّدٍ، ولا تَأْخيرٍ، وَشِعَارُ الصُّوفيَّةِ: «كُنْ بَيْن يَدَيْ شَيْخك كَالميِّتِ»، أي: تَجرَّد من عَقْلِكَ، وَثِقْ به ثقةً عَمْياءَ، ونَفِّذْ كلَّ ما يَطْلبه مِنْك وإِنْ نَاقَض الدِّينَ والعقلَ، وَشِعَارُ النِّظَامِ العَسْكريِّ يَقُولُ: «نفِّذ ثمَّ اعْتَرِضْ»، أي: لا تَعْترض قَبْلَ التَّنفيذِ.

ومِنْ هنا تَعْلمُ أَنَّ النِّظَامَ الصُّوفيَّ والعَسْكريَّ في الطَّاعة كلاهُما نظامٌ باطلٌ مُخَالفٌ للإسلامِ، ومُضادٌّ لهُ، وباللهِ التَّوفيقُ.

قال الشَّيخُ أحمد سلام في كتابِهِ: «نظرات في مناهج الإخوان»: «إنَّ للطَّاعةِ في الإِسْلامِ حُدُودًا ظاهرةً، ومَعَالِمَ واضحةً، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

فَطَاعَةُ الله هِيَ أَسَاسُ التَّوْحِيدِ وحَقِيقتُهُ، وطَاعَةُ الرَّسُول ﷺ هي مِنْ طَاعةِ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ أطاعَ رَسُولَ الله ﷺ فبِطَاعةِ الله أَطَاعَه، ولِذَا أنزلَ اللهُ

تعالىٰ رسولَه ﷺ منزلةً لم يُنْزلها أحدًا من النَّاسِ، وجعَل له طاعةً لم تكُنْ لِسواه، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥].

وهٰذِه الطَّاعةُ المُطلقةُ الَّتي جعَلها اللهُ لرسولِه ﷺ، والَّتي لا يَتحقَّقُ إيمانُ عبدٍ دونَها؛ لأنَّه عصمَه اللهُ مِن الخطَإ والهوَىٰ، وفي هذه الآيةِ فرَضَ اللهُ طاعةَ أُولي الأَمْر فِيما أَمَرُوا به مِنْ طَاعَةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِه ﷺ، ولا طاعةَ لَهم فيما سِوىٰ ذلك.

ولهذا قال تعالَىٰ في الآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: ٥٩]. وقَال رسولُ الله ﷺ: «**لا طَاعَةَ لمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، إنَّمَا الطَّاعةُ فِي المَعْرُوفِ**»[١].

وذَلِكَ أنَّ وَلِيَّ الأَمْرِ مَهْما كانَ علىٰ عِلْمٍ وفضْلٍ، فإنَّه بشرٌ يجوزُ عليه الخطأُ والنِّسيانُ، والمَيْلُ مع الهوَىٰ، والأمرُ بالظُّلم، وغير ذلكَ، فكانَ لا بدَّ مِن وَضْعِ حدٍّ لِطاعتِه حتَّىٰ لا تزلَّ الأُمَّةُ بخطئِه، ولَا تَنْحرفَ بِانْحِرافِه، وَلِذَا أَوْجَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهي عن المُنْكَرِ ومُناصحَة أُولِي الأَمْر إلىٰ أنْ قالَ: فهَلْ يَتَّفقُ هذا المفهومُ للطَّاعةِ معَ مَفْهُومِ الطَّاعةِ الصُّوفيَّة الَّذي أَدْخلَه البنَّا في أُصولِه: «صوفيٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّة، وعسكريٌّ بَحْتٌ من النَّاحيةِ العمليَّة، أمرٌ وطاعةٌ من غَيْر تردُّدٍ، ولا مُراجعةٍ، ولا شكٍّ، ولا حرَجٍ»[٢]. اهـ.

وَأَقُولُ: إنَّ البنَّا أنزلَ نَفْسَه مَنْزلةَ مُشرِّعٍ حينَ فرَض طاعةً تختلفُ عَنِ الطَّاعةِ الَّتي فَرَضَها اللهُ ورسولُه ﷺ، وفَرَضَ بَيْعةً، وجعَل لها أَرْكانًا عَشرةً، وفرَض

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩٤) (٧٢٤) من حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٣٦٩٦).

(٢) «نظرات في مناهج الإخوان» (ص٧٨، ٧٩) بتصرُّفٍ.

طاعةً عَمْياءَ، وثقةً في القَائدِ لا تختلفُ عن الثِّقةِ في المَعْصُومِ من الخَطَإ، ولا نَعْرِفُ أَحَدًا من أَهْلِ الإسْلامِ وعُلَماءِ الإسْلامِ يَقُولُ بِعِصْمةِ أَحَدٍ من الخطَإِ إلَّا الشِّيعة الإماميَّة الاثْنَي عَشْريَّة في أئمَّتهم، وإلَّا الصُّوفيَّة في شُيوخِهم، ومع ذلكَ يَزْعم البنَّا أنَّ دعوتَه دَعْوةٌ سُنِّيَّةٌ سلفيَّةٌ مع ما فيها مِن طوامّ ودَوَاهٍ أَوْقَعه فِيهَا تربيتُه الصُّوفيَّة الَّتي عاشَها في نَشأتِه، وطبَّق الكثيرَ منها في دَعوتِه.

الملاحظة السَّادسة عشرة:

جعَل البنَّا الأُصولَ العِشْرينَ قاعدةً لأصحابِهِ يَنْطلقُونَ مِنْها، وَهِي فِيهَا حقٌّ مُسلَّمٌ به، وفيها باطلٌ مقطوعٌ بِبُطْلانِه، وفيها شيءٌ فيه نَظَرٌ، والَّذي يُلَاحظُ عليه أكْثر هو: إلْزامُه لأَتْباعِه بهذه الأُصولِ، وكأنَّه حَصَر الدِّين فيها، وقد أَنْكَر ذلكَ عليه عُلماءُ الشَّريعةِ.

وأنَا أَنْقل ما قَالَه الشَّيخُ أحمد سلام في كتابِهِ: «نظرات في مناهج الإخوان المسلمين»(١) قال: «ونحنُ لا نَشُكُّ في ضرورة الْتِزامِ الدُّعاةِ بفَهْمٍ واحدٍ، ومَنْهجٍ واحدٍ مِن أجل تَوْحيد مصادر التَّلقِّي، وإيجاد أساسٍ لوحدة المفاهيم والسُّلوكِ والمسار».

فهل يَتحقَّق هَذَا المطلبُ بصِيَاغةِ الإمام البنَّا لأُصُولِهِ العشرين ودَعْوة الدُّعاة إِلَىٰ الالتزامِ بها وَحْدها، وَاعْتِبارها دينًا يَدِينون الله به، (وإذا علم الأخُ المسلمُ دينَه من هَذِهِ الأُصُول - العِشْرين -، فَقَدْ عرف معنىٰ هُتَافه دائمًا: القرآن دُسْتورنا، والرَّسُول ﷺ قُدْوتنا)، فما الَّذي يَمْنع المُسْلمين ودُعَاتهم من وَضْع أُصُولٍ شبيهةٍ، تَزِيد عنها أو تَنْقص، ومن دَعْوة النَّاس إِلَىٰ الْتِزامها، والتَّجرُّد مِمَّا

(١) (ص٧٦، ٧٧).

سِوَاها، وفَهْم الإسلام من خِلَالها، والتَّعامل مع القرآن والسُّنَّةِ من قَناتها؟ !.

أفهَذَا المَسلك يَسيرُ دعاةُ الإسلام نَحو تَحْقيق وَحْدتهم؟

أمْ يَكُونُونَ عَوْنًا لعَدوِّهم عَلَىٰ حَرْبهم، ونَحْن لا نشكُّ لحظةً واحدةً أنَّ غَيْرة الإمامِ البنَّا عَلَىٰ دَعْوة الإسلام، وشِدَّة حُرْقتِهِ عَلَىٰ أَوْضاع المسلمين هي الَّتي أمْلَتْ عليه هذه الأصول؛ رغبةً في جَمْع المسلمين في سبيلٍ واحدٍ، وتَوْظيف جهودهم في عملٍ مُوَحَّدٍ، غير أنَّ التَّجرُّد لأُصُولِه وأفكارِه وَاعْتبارها أَسْنىٰ الفكر وأجمعها وأعْلاها إنَّما هو لازم العِصْمة في الحقيقة، ولِذا فلن تجدَ بَيْن عُلماء الإسلام في السَّابق مَن يَدعُو إلىٰ فكْرِه ورأيه دون بقيَّة الآراءِ والأفكارِ؛ لأنَّ كلَّ عَالِمٍ منهم كانَ يَعْلم أنَّ عِلْمه علمُ اتِّباعٍ، وأنَّ عملَه مَقْصورٌ علىٰ بيان ما جهِل النَّاسُ من العِلْم، ودَعْوتهم إليه، وإيضاح سَبِيل الحقِّ السَّويِّ الَّذي جاءَ به مُحمَّد بن عبد الله ﷺ، وإصْلاح ما فَسَد منه، وتَرْبيتهم عَلَيه». اهـ.

وأقولُ: إنَّ إلزامَ البنَّا بأُصُولِهِ العِشْرين، والْتِزام أتباعِهِ بها يُصيِّر المندوبَ فيها واجبًا، والواجبَ رُكْنًا، وإنَّ عنايةَ أتباعِهِ بهذِهِ الأُصُول يَفُوق كلَّ الأَحْكام الَّتي لم تذكر فيها؛ لِذلكَ فإنَّهم يَقْرؤونها ويَحْفظونها أكثر مِن غيرها، ويُعنون بشَرْحها، وهذا يجعلُ لها ميزةً أكثر من غيرها، ويُعْطي ما جاءَ فيها حُكْمًا أَقْوىٰ من الحُكْم الَّذي جاءَ في الشَّرْع، وكفىٰ بهذا دليلًا علىٰ إِضْفاءِ الصِّبغة التَّشريعيَّة عليها، ومَنْ شَرَّع مع الله، فقدْ شارَكه في منصب الأُلوهيَّة، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

الملاحظة السَّابعة عشرة:

اسْتِعْمالُهمْ للإمَارةِ في الحَضَر، وإِكْثَارهم مِنْها مع أنَّ الإمارةَ لم تَرِدْ في

الشَّرْع إلَّا في السَّفر، أمَّا في الحَضَر فالأميرُ العامُّ كافٍ، ولا يجوزُ أن نَتَّخذ أميرًا آخرَ، وإلَّا لَزِمَ من ذَلِكَ التَّناقضُ، ومَنْ زعَم أنَّ الإمارةَ في الحضر - غير الإمارة الَّتي تُمثِّل السُّلطة القائمة - مَشروعةٌ، فعَلَيه الدَّليلُ، ولن يجد.

الملاحظة الثَّامنة عشرة:

اسِتْعمالهم للتَّقيَّة في أَخْبارِهم وأَقْوالهم، وهذِهِ أُمُورٌ سَبَرْناها فيهِم، وعرَفناها منهم، والله يَسألني قبل كلِّ أحدٍ عن كلِّ حرفٍ أكتبُه عنهم، ووالله الَّذي لا إلهَ إلَّا هو، ما كتبتُ عَنْهم شيئًا إلَّا بَعْد أن سبرتُه فيهم، وعرفتُه منهم.

الملاحظة التَّاسعة عشرة:

الإكثارُ من الأَناشِيدِ ليلَ نهار، وتَنْغيمهم لها، أي: تَلْحينهم لَها، وأنا لا أُحرِّم سماع الشِّعر، فقَدْ سَمِعه النَّبيُّ ﷺ، ولكن هَؤُلاء يَذْهبون في هذه الأناشيدِ مَذْهب الصُّوفيَّة في غِنائهم الَّذي يُثِير الوجدَ علىٰ ما يَزْعمون، وقَدْ ذكر ابْنُ الجوزيِّ في كتابِهِ: «نقد العلم والعُلماء»[1] عن الشَّافعيِّ أنَّه قال: «خَلَّفتُ بالعراق شيئًا أَحْدثَته الزَّنادقةُ يُشغلون به النَّاسَ عن القرآنِ يُسمُّونه: التَّغبير.

قال المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ (يعني ابن الجوزي) وذَكَر أبو منصور الأزهري: المغبِرةُ قومٌ يغبرون بذِكْر الله بدعاءٍ وتَضرُّعٍ، وقَدْ سَمّوا ما يطربون فيه من الشِّعر في ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ تَغْبيرًا كأنَّهم إذا شَاهَدوها بالأَلْحانِ طربوا ورقصوا، فَسمُّوا مُغبرة بهذَا المَعْنىٰ.

وقال الزَّجَّاج: سُمُّوا مُغبِّرين لتَزْهِيدهم النَّاسَ في الفانِي من الدُّنيا، وتَرْغيبهم في الآخِرةِ».

(١) (ص ٢٣٠).

قلتُ: عجيبٌ أمْر الصُّوفيَّة، يَزْعمون أنَّهم يُزهِّدون النَّاسَ في الدُّنيا بالغناءِ، ويُرغِّبونهم في الآخرةِ بالغِنَاءِ، فهل الغناءُ يكونُ سببًا في الزُّهدِ في الدُّنيا والرَّغبة في الآخِرَةِ أم العكس هو الحقيقةُ؟

أنَا لا أشكُّ ولا يشكُّ أحدٌ عقل عن اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ أنَّ الغناءَ لا يكونُ إلَّا مُرغِّبًا في الدُّنيا، مُزهِّدًا في الآخرةِ، ومُفسدًا للأَخْلاقِ مع العِلْم أنَّهم إذا قصَدوا به التَّرغيبَ في الآخرة فَهُو عبادةٌ، والعبادةُ إنْ لم يشرعها رسولُ الله ﷺ فهِي بِدعةٌ مُحدَثةٌ، ولهذا نَقولُ: إنَّ الأناشيدَ بِدْعةٌ.

الملاحظة العشرون:

الإكثارُ من التَّمثيليَّاتِ الَّتي تَنْبني عَلَىٰ الكذبِ والتَّصنُّعِ وتَقمُّصِ الشَّخصيَّة زُورًا وبُهْتانًا وظُلْمًا وعُدْوانًا، فيَتقمَّص الكافرُ أو الفاسقُ الشَّخصيَّةَ الإسلاميَّةَ العاليةَ؛ كالصَّحابةِ أو غيرهم من أَهْلِ العِلْم والإيمان، وقَدْ يَتقمَّص المُسْلمُ شخصيَّةً كافرةً، وأذكر أنِّي مرةً حضرتُ حفلًا مَثَّل طالبٌ نَعُدُّه من خِيَار الطَّلَبة دَوْر «برجنيف» الزَّعيم الرُّوسي المُلْحد، ونُصِح الطَّالبُ والمُشْرفُونَ علىٰ الحفلِ بعدَم إنفاذِ ذلكَ؛ ولكنَّهم أبَوا إلَّا إنفاذه، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون[1].

(١) بل أذكر مرةً حضرنا محاضرة لشيخنا (المؤلِّف) في أحد المخيَّمات بعد صلاة المغرب إلىٰ صلاة العشاء، ولما انتهت المحاضرة وأُقيمتْ صلاة العشاء وصلَّينا، كان عند إحدىٰ الأسر المشاركة حفل سمر -كما يُسمُّونه-، وطُلب من الشَّيخ أن يجلس ليرىٰ برنامج حفلهم، فجلس الشَّيخُ، وجلسْنَا معه، وكان من فقرات الحفل تمثيليَّةٌ، وقد قام أحد الطُّلَّاب بتقمُّص شخصيَّة الشَّيطان، فسوَّد وجهه بالسَّواد، وجُعل له ريش، وجاء إلىٰ شخص ليُوَسوسَ له حتَّىٰ يُضلَّه، فغضب شيخُنا مِن هذا، ونصحَهم، ثُمَّ انصرفنا، فليتَ شعري أين لقوا الشَّيطان ورأوه حتَّىٰ يُمثِّلوه ويُصوِّروا صورتَه؟! محمَّد بن هادي.

الملاحظة الحادية والعشرون:

خُرُوج بَعْضهم في جُنْح اللَّيل إِلَىٰ مكانٍ بعيدٍ عن البلدِ يَزْعمون أَنَّهم يَقْرؤُونَ فيه القرآنَ، أو... أو...

ولقَدْ دُعِيتُ مَرَّةً إِلَىٰ إلقاءِ مُحَاضرةٍ في أحدِ المُعَسكراتِ، فكانَ من ضمن الأسئلةِ سؤالٌ يقول: جماعةٌ يَخْرجونَ من بعدِ صلاة العشاء إِلَىٰ الأماكنِ البعيدةِ يَزْعمون أَنَّهم يَقْرؤونَ القرآنَ، فهل تَنْصحني بالذَّهابِ مَعَهم أم لا؟

فقلتُ إجابةً عَلَىٰ هَذَا السُّؤالِ: لا أرىٰ لكَ أن تَذْهب مَعَهم؛ لأنَّ هؤلاءِ لَوْ كَانُوا صَادِقِينَ أَنَّهم يُرِيدُونَ أن يَقْرؤوا القرآن لَجَلسوا في المسجدِ، أَمَّا الخُرُوجُ في اللَّيل إِلَىٰ الأماكنِ البعيدةِ، فأَخْشىٰ أن يُسوِّل لهم الشَّيطانُ مَعْصيةً، وبالأخصِّ إذا كانَ مَعَهم طالبٌ صغيرٌ.

وبناءً علىٰ هذه الفَتْوىٰ، فقَدْ جاءَ بَعْضُهم يُعَاتبني، ويَزْعم بأَنِّي أتَّهمهم بشيءٍ أَسْتحي من ذِكْره، فقلتُ: سبحان الله! وهل يُعقَل أَنِّي أقول هذا، وبَعْد حوارٍ ونقاشٍ قلتُ له: أذكر أَنِّي دُعِيتُ إِلَىٰ معسكرٍ ما، وكان من ضِمْن الأسئلة كذا وكذا، وأجبتُ عليه بكذا، فَتنفَّس الصُّعداء، وخفَّت حَمْلتُه قليلًا، فقلتُ: أليسَ السَّلَفُ كانوا يَنْهون عن الخَلْوةِ بالأَمْرد؟ قال: نعم، وكان بَعْضهم يُجْلِسه خَلْفَ ظهرِه.

الملاحظة الثَّانية والعشرون:

مُغَالَاتُهم في شَخْصِ البنَّا، ومن ذلكَ ما ذكَره جابر رزق، نقلًا عن مجلة (الدَّعوة)، السَّنة الأولىٰ العدد ٧ جمادىٰ الأولىٰ ١٣٧٠هـ لصالح عشماوي عن حسن البنَّا، قال فيها:

«قَدْ كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي ... يَا مُنْصِفَ المَوْتَىٰ مِنَ الأَحْيَاءِ

ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللهُ حسن البنَّا، فقد كان فَلْتَةً من فلتاتِ الطَّبيعةِ قَلَّما يَجُود الزَّمانُ بمثلِهِ، وهو لم يَمُتْ، بل حيٌّ عند ربِّه يُرزَق»[١]. اهـ.

قلتُ: في هذين السَّطرين وبعض السَّطر عِدَّة أخطاءٍ:

الخطأ الأوَّل: في قولِهِ: «يا مُنصفَ المَوْتَىٰ مِن الأحياءِ»: وذَلِكَ أنَّ إنصافَ المَوْتَىٰ من الأَحْياءِ من خَصَائِصِ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي يعلم حالَ المَوْتَىٰ وحَالَ الأَحْياءِ، وما ظَلَموا به المَوْتَىٰ، ويَقْدر عَلَىٰ إِنْصَافِهِم مِنْهُمْ.

الخطأ الثَّاني: قوله: «فَقَدْ كان فلتةً من فَلَتَاتِ الطَّبيعةِ»: وقائل هَذَا القول كأنَّه يقرُّ إسنادَ خلْق هَذَا الكون إِلَىٰ الطَّبيعة، وكأنَّ الطَّبيعةَ هي الخَالِقة لهَذَا الكونِ، ولها فيه خَلْقٌ مُنظَّمٌ، وخَلْقٌ غير مُنظَّمٍ، بَلْ هو فَلَتاتٌ، والفَلْتةُ هو الشَّيء الَّذي يأتِي مُصَادفةً من غَيْر سابقِ تَقْديرٍ ونَظَرٍ، وهذِهِ عقيدةُ المُلْحدينَ الَّذين يَزْعمون أنَّ الطَّبيعةَ هي المُوجِدة لهذَا الكَوْنِ، والمُتصرِّفة فيه، ومَنِ اعتقدَ هذا الاعتقاد كفَرَ.

الخطأ الثَّالث: في قولِهِ: «قلَّما يَجُود الزَّمانُ بمثلِه»: ووَجْه الخَطَإِ فيه أنَّ الزَّمانَ هو الَّذي يَجُود أحيانًا برجلٍ أو رجالٍ مثل البنَّا، وفي هذا إسنادُ الخَلْقِ إِلَىٰ الزَّمانِ، لا إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي هو خَالِقُ كلِّ شيءٍ.

الخطأ الرَّابع: قولُهُ عن البنَّا: «وهو لم يَمُتْ، بل حيٌّ عند ربِّه يُرزَق»: هَذَا كذبٌ عَلَىٰ الله، وقَدْ وَرَد في الصَّحيح من حديث أمِّ العلاءِ، قالت: طارَ لنا عثمان بن مظعون، فمَرِضَ، فمرَّضناه، فلمَّا تُوفِّي قلتُ: شَهَادتي عليك أبا السَّائب، لقَدْ

---

(١) من كتاب: «دعوة الإخوان المسلمين في الميزان».

أكرمكَ الله، فقال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟» قالتْ: بأَبي وأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله، وَاللهِ ما أَدْري، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي - واللهِ - وَأَنَا رَسُولُ اللهِ، مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ»(١).

(١) أخرجه البخاري (٧٠١٨) وقد بوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيح»، فقال: (باب لا يقال: فلان شهيدٌ)، ثُمَّ قال: قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ».

قلتُ: وهذا الذي أَوْرَده عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معلقًا هنا، قد أخرجه في (٦/ ٦، كتاب الجهاد، باب أفضل النَّاس مُؤمنٌ مجاهدٌ بنفسِه ومالِه في سبيل الله، ح٢٧٨٧) من طريق سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ - واللهُ أعلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبيلِهِ... »، الحديث.

وأخرجه في (٦/ ٢٠، كتاب الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ح٢٨٠٣) من طريق الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبيل اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ... ». الحديث. وهذه الجملة (والله أعلم... إلخ) معترضة قصد بها التَّنبيه علىٰ شرطيَّة الإخلاص في نيل هذا الثواب. قاله الحافظ.

وقول البخاري: (باب لا يقال: فلانٌ شهيدٌ). قال الحافظ: «أي: علىٰ سبيل القطع بذلك إلَّا إِنْ كان بالوحي، وكأنَّه - يعني البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أشار إلىٰ حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه خطَب فقال: «تقولُون في مغازيكم: فلانٌ شهيدٌ، ومات فلانٌ شهيدًا، ولعلَّه قد يكون قد أوقر راحلته، ألَا لا تقولُوا ذلك، ولكن قولُوا كما قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ»، وهو حديثٌ حسنٌ أخرجه أحمد، وسعيد بن منصور، وغيرهما.

وله شاهد مرفوع أخرجه أبو نعيم من طريق عبد الله بن الصَّلت، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ؟ »، قالوا: مَنْ أصابَه السِّلاح. قال: «كَمْ مِمَّنْ أَصَابَهُ السِّلاحُ وَلَيْسَ بِشَهِيدٍ، وَلا حَمِيدٍ، وَكَمْ مِمَّنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ حَتْفَ أَنْفِهِ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ»، وفي إسناده نظرٌ.

وقال الحافظ أيضًا: «وعلىٰ هذا فالمراد: النَّهي عن تعيين وصف واحدٍ بعينه بأنَّه شهيد؛ بل يُقَال ذلك علىٰ طريق الإجمال». اهـ. من «الفتح» (٦/ ٩٠).

قلتُ: فانظر أخي طالب العلم - رعاك الله ووَفَّقك لكلِّ خيرٍ - كلام رسول الله ﷺ، وكلام أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، =

وعلى هذا، فلا يجوز لأحدٍ أن يقطع بأنَّ فلانًا عند ربه يُرزَق، ولكن يقول: أرجو له الخير، وأرجو له الجنة، وأرجو أنه شهيدٌ.

الملاحظة الثالثة والعشرون:

تنظيم المسيراتِ والتَّظاهراتِ، والإسلامُ لا يَعترف بهذا الصَّنيعِ، ولا يُقرُّه، بل هو مُحدثٌ من عَمَلِ الكفَّارِ، وقد انتقل من عِندهم إلينا، أفكلَّما عمِل الكُفَّارُ عملًا، جاريْناهم فيه، وتابعْناهم عليه.

إنَّ الإسْلامَ لا ينْتصرُ بالمَسيراتِ والتَّظاهراتِ، ولكن ينْتصر بالجهادِ الَّذي يكون مبنيًّا على العَقيدةِ الصَّحيحةِ، والطَّريقة الَّتي سَنَّها مُحمَّد بن عبد الله ﷺ، ولقدِ ابتُلي الرُّسُلُ وأتباعُهمْ بأنواعٍ من الابْتِلاءاتِ، فلم يُؤمَروا إلَّا بالصَّبرِ؛ فهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقولُ لبَنِي إسْرائيل رُغْم ما كانوا يُلاقونه من فِرْعون وقَوْمِه من تَقتيلِ الذُّكور من المواليدِ، واستِحْياءِ الإناثِ، يقولُ لهم ما أخبرَ الله عَزَّ وَجَلَّ به عَنْه، قال موسى لقومِهِ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وهذا رَسُولُ الله ﷺ يقولُ لبَعْضِ أصحابِهِ لَمَّا شَكَوْا إليه ما يَلْقونه مِنَ المُشْركِينَ: «**إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُؤْتَى بالرَّجُلِ مِنْهُمْ، فَيُوضَعُ المِنْشَارُ فِي مَفْرقِهِ حَتَّى يُشَقَّ مَا بَيْن رِجْلَيْهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَليتمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّجُلُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوتَ لا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ،**

=

وكلام أهل العلم بسُنَّة رسول الله ﷺ. وكلام (الإخوان المسلمين) في هذا الَّذي تعُجُّ به صُحُفهمْ ومجلاتهم، فاللَّهمَّ إنَّا نسألك الفقه في الدِّين. محمد هادي.

وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[١]، فهو لم يَأمر أَصْحابَه رضي الله عنهم بمُظَاهراتٍ وَلَا اغْتِيَالَاتٍ.

الملاحظة الرَّابعة والعشرون:

تَدْبيرُ الاغْتِيَالاتِ: انظر كتاب «النقط فوق الحروف، الإخوان المسلمون والنِّظام الخاصّ»، لمُؤلِّفه أحمد عادل كمال، أحد أعضاء الإخوان، انظر: (ص٢٧٧) من هَذَا الكِتَابِ مَوْضوع النقراشي الَّذي كان وَزِيرًا للدَّاخليَّة ووزيرًا للماليَّة، وأَصْدر النقراشي في ٦/ ١٢/ ١٩٤٨م أَمْره بحلِّ جماعة الإخوان المُسْلمينَ، وَلَمْ تَنْقضِ ثلاثة أسابيع حتَّىٰ سَقَط النقراشي في عرينِهِ بوزارة الدَّاخليَّة برصاص الإخوان المسلمين، وكان لذَلِكَ أسبابٌ ثلاثةٌ كما أَفْصَح عَنْها عبد المجيد أحمد حسن الَّذي اغْتَاله: تَهاوُنُه في وحدة مصر والسُّودان، وَخِيانتُه لقضيَّة فلسطين، واعْتِداؤُهُ عَلَىٰ الإِسْلامِ بحلِّ الإخوان المسلمين كُبْرىٰ الحَرَكَاتِ الإِسْلاميَّة في عَصْرها». وانظر (ص٢١٨) من نَفْس الكتاب تحت عنوان: كيف اغْتِيلَ الخازندار.

وأنا لا أُنصِّبُ نفسي خصمًا للإخوان في فِعْلتهم، ولا أُدَافع عن أَعْداء الإسلام إلَّا أَنِّي أُفْهمهم أنَّ مثل هَذَا الصَّنيعِ لا يُقرُّه الإسلامُ، فاللهُ تَعالىٰ يقولُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يوسف: ٥٢]، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَان ابْنِ فُلَانٍ**»[٢]، واللهُ تَعالىٰ لم يرضَ الغَدْرَ مِن عبادِه المؤمنين حتَّىٰ ولا في حقِّ الكُفَّار الصُّرحاءِ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١١)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هَذِهِ الآية: «يَقُول تَعالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال: ٥٨]، أيْ: نَقْضًا لما بَيْنك وبَيْنهم مِنَ المَوَاثِيقِ والعُهُودِ، ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: عَهْدَهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أَعْلمهم أنَّك نَقَضْتَ عَهْدَهم حتَّىٰ يَبقىٰ عِلْمك وعِلْمهم بأنَّك حَرْبٌ عَلَيهم، وأنَّهم حربٌ عليك، وأنَّه لا عهدَ بَيْنك وبَيْنهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: تَسْتوي أنت وَهُمْ في ذَلِكَ». اهـ[(١)].

ثمَّ أَوْرَدَ حديثًا من «مسند الإمام أحمد» عن سليم بن عامرٍ، قال: «كانَ مُعَاوية يَسِير فِي أرضِ الرُّومِ، وكان بَيْنه وبَيْنهم أَمَدٌ، فأرادَ أن يَدْنو مِنْهم، فإذَا انْقضىٰ الأَمَدُ غَزَاهم، فإذا شيخٌ عَلَىٰ دَابَّةٍ يقول: اللهُ أكبرُ، وفاء لا غَدْر، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَحُلَّنَّ عُقْدَةً، وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّىٰ يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ»، قال: فبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوية، فرَجَع، وإذا بالشَّيخِ عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[(٢)].

وهَذَا الحديثُ رواه أبو داود الطَّيالسي عن شُعْبة، وأَخْرجه أبو داود، والتِّرمذي، والنَّسائي، وابن حِبَّان في «صحيحه»، وقالَ التِّرمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقَدْ أَنْكرَ صنيعَ الإخوان في الاغتيالات الشَّيخُ عبد الرَّحمن عبد الخالق في كِتابِهِ المُسمَّىٰ: «فُصُول من السِّياسة الشَّرعيَّة في الدَّعوة إِلَىٰ الله»[(٣)]، فقال: «واليوم ابْتُلِينا بمَنْ يَتصدَّر الدَّعوة إِلَىٰ الله سُبْحانه، فيَنْتحلون الاغتيالاتِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/٢٢٩) (١٧٠١٥)، أبو داود الطَّيالسي (١٢٥١ هجر)، وأبو داود (٢٧٥٩)، والتِّرمذي (١٥٨٠)، والنَّسائي في «الكبرىٰ» (٨٦٧٩)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤٨٧١)، من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال التِّرمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ». والحديث صحَّحه الألبانيّ في «الصَّحيحة» (٢٣٥٧).

(٣) (ص٨٧).

السِّياسيَّةَ، والأعمالَ الهمجيَّةَ الغوغائيَّةَ، وَالاسْتِعانة عَلَىٰ الباطلِ بالباطلِ، وإذَا جئتَ تَنْصحهم وتقولُ لهم: إنَّ هَٰذِهِ أخطاء، اتَّهموك بالكُفْرِ، والزَّنْدقةِ، والمُروقِ، ومُخالَفةِ سبيلِ المؤمنين والمُجَاهدين.

وإنْ قلتَ لهم: اعْتَرفُوا بأَخْطائِكم لِتَتجاوَزُوها، زَعَموا لأَنْفُسِهم وَقَادتهم العِصْمةَ، أو أَنْكَروا الحقائقَ، وَجَادَلوا بِالْبَاطِلِ، ولَوْلا أنَّ الدِّينَ الَّذي يَحْتَمونَ به عظيمٌ، وقَدْ نَشَره غيرهم، لما وجدَ هؤلاء طريقًا إِلَىٰ قُلُوبِ النَّاس وعُقُولهم». اهـ.

قلتُ: وإنَّهم حِينَ يَعْملون مِثْل هَٰذِهِ الأخطاءِ الفَادِحة وهُمْ يَزْعمون أَنَّهم دعاةٌ إِلَىٰ دين الله، يُحمِّلون الدِّين تَبِعَةَ أَخْطائِهم، وأخطاء كلِّ مَنْ نُسِبوا إِلَىٰ الدِّين عند عامَّة النَّاسِ وغَوْغائهم، ومَنْ يريدون تَشْويه سُمْعةِ أَهْل الدِّين لينفروا عنه، فكانَ في ذَٰلِكَ مُسَاهمةٌ في التَّنفير عن الدِّين، وتَشْويهٌ لسُمْعةِ الدِّين وأَهْل الدِّينِ، وإعانةٌ مِنْهم لكلِّ عدوٍّ مُتربِّصٍ ليستغلَ الإثارةَ ضدَّ الدِّين الحنيفِ.

ولقَدْ ترك النَّبيُّ ﷺ قَتْلَ المُنافِقِين نفاقًا اعتقاديًّا بعد أن عَرَفَ أَعْيانَهم خوفًا من أن يُقَال: إنَّ مُحمَّدًا يَقْتل أَصْحابَه، فيستغل ذَٰلِكَ أعداءُ الدِّين في التَّنفير عن الدِّين مع ما لَقِيَ مِنْهم، فقَدْ هَمُّوا بالإطاحةِ به ليلةَ العقبة لَوْلا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ عَصَمه، وأخبرَ حذيفة بن اليمان بأَسْمائِهم، وَاسْتَسرَّه، وقبل ذَٰلِكَ قال عبد الله بن أبيٍّ مَقالتَه الَّتي ذَكَرها اللهُ في سورة المُنافِقِين، ففَضَحه اللهُ، وأظهرَ ما كان يَكْتمه من عداوتِهِ للدِّين وللرَّسُولِ الَّذي جاء به ﷺ حتَّىٰ عرض ابنهُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ أن يَقْتلَه ويَأْتيه برأسِهِ خوفًا من أن يأمر النَّبيُّ ﷺ أحدًا بقتلِهِ، فتَحْمله الحِميَّةُ أن يَقْتلَ مؤمنًا بكافرٍ، فيكون من أَهْل النَّار، فَأبَىٰ النَّبيُّ ﷺ ذَٰلِكَ، وقال: «بَلْ نَترَفَّقُ

بِهِ، ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا دَامَ مَعَنَا»[١].

وما كانَ المانعُ للنَّبيِّ ﷺ أن يقتلَ المُنافِقِين مع معرفتِهِ بأعْيانِهم إلَّا أن يُشاعَ في العربِ أنَّه يَقتلُ أصْحابَه، فيستغلُّها أعداءُ الإسْلامِ في التَّنفيرِ عَنِ الإسْلامِ، وإنَّ الواجبَ عَلَىٰ أصحابِ كلِّ دعوةٍ إسلاميَّةٍ يزعم أصْحابُها أنَّهم يَدعون إلَىٰ الإسلامِ أنْ يتقيَّدوا بأوَامِرِ الإسلامِ ونَواهِيهِ وآدابِهِ، وألَّا يذهبَ بِهِم الهَوَىٰ مَذَاهِبَ تَنْأَىٰ عنِ الإسْلامِ كثيرًا أو قليلًا.

إنَّ الإسْلامَ دينُ النَّقاءِ والوفاءِ، وليس للغَدْرِ والخيانةِ فيه مكانٌ، ونحن نعلمُ أنَّ الإسلامَ أباحَ للإنسانِ إذا ظُلِم أن ينتصرَ، ولكن بالطَّريقةِ المشروعةِ وليس بالطُّرُقِ المُلْتويةِ، وبقَدْرِ مَظْلمتِهِ فَقَط، لا زيادةَ، فمَنْ سَبَّك واحدةً، لا يجوزُ لكَ أن تَسُبَّه اثنتين، وإنْ عفوتَ، كان ذَٰلِكَ خيرًا لك.

الملاحظة الخامسة والعشرون:

أنَّهم يُزَهِّدون في عُلَماءِ السُّنَّةِ، وينبزونهم بالألْقابِ، فيَصِفُونَ بَعْضَهم بأنَّه عَمِيلٌ، والبعضَ الآخر بأنَّه مُدَاهِنٌ، وتارةً يَقُولون عَنْهم: إنَّهم علماءُ الوَرَقِ، وعلماءُ الحيضِ والنِّفاسِ، وأنَّهم يجهلون الواقعَ و... و... و... إلىٰ آخر القَامُوس الَّذي نَفَثه قَادتُهم في صُدُورِهم، فيُنفِّرون الشَّبابَ عَنْهم، ويُزهِّدون فِيهِمْ وفي حَلَقَاتِهم، فلا ينظرون إليهم إلَّا بعينِ الاحْتِقَارِ.

ويَنْشأ عن ذَٰلِكَ حاجزٌ وحجابٌ يَفْصل بَيْن هؤلاءِ وهؤلاءِ، أي: بَيْن العُلماءِ والطُّلَّابِ، وتكون النَّتيجةُ مُرَّةً، والعاقبةُ سَيِّئَةً؛ لأنَّهم إذا زهدوا في عُلمائهم

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٢ السقا)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٦٦٩ هجر)، وفي «تاريخه» (٢/ ٦٠٨ التراث)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية في التاريخ» (٤/ ١٠١)

واتَّهموهم علىٰ الدِّين، سَيَقِيسُونَ الأُمُورَ بأَهْوائِهم وما يُسيِّرهم به قادتُهم، وبحُكْمِ جَهْلهم بكثيرٍ من الأَحْكامِ الشَّرعيَّةِ سَيقعُونَ في أخطاءٍ كثيرةٍ يَظنُّونها صوابًا، فَيَسْتمرُّون عليها، فتموت بسبب ذَلِكَ سننٌ، وتَرُوج بدعٌ وتَفْشو، ويحملها بَعْضهم عن بعضٍ حتَّىٰ يأتي زمانٌ يظنُّ النَّاسُ فيه أنَّها سُنَّةٌ.

فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجعون، اللَّهمَّ أَرِنَا الحقَّ حقًّا، وَارْزقنا اتِّباعه، وأرنَا الباطلَ باطلًا، وارْزقنا اجْتِنابَه، ولا تَجْعله مُلْتبسًا علينا فنَضِلَّ!

يقولُ عبدُ الرَّحمن عبد الخَالِق في كتابِه: «خُطوط رَئيسيَّة لبَعْث الأُمَّةِ الإسلاميَّة»[1] وَهُو واحدٌ من هَذَا النَّمَط، وإِنْ كانَ يخالفهم أحيانًا كما سبق أَنْ نقلت عنه نَقْده لمنهج الإخوان في الاغتيالات، قال: «واليومَ للأسف نَمْلك شُيُوخًا يَفْهمون قُشورَ الإسلام علَىٰ مستوىٰ عصورٍ قديمةٍ تَغيَّر بَعْدها نظام حياة النَّاس، وطرائق مُعاملاتِهم، ما قيمةُ عالِمٍ يقرأ آياتِ الرِّبا ولا يَفْهم نظامَ المُعاملاتِ الرِّبويَّة القائم الآن؟

وما قيمةُ عَالِمٍ لا يَسْتطيع الرَّدَّ علىٰ مُلْحدٍ يَزْعم أنَّ قَطْعَ اليد في السَّرقةِ وَحْشيَّةٌ، وأنَّ الزَّواجَ بأربع نسوةٍ همجيَّةٌ ورَجْعيَّةٌ؟ وما قيمةُ عَالِمٍ بالشَّريعةِ يَزْعم أنَّ السِّياسةَ لَيْسَتْ من الدِّين، وأنَّها وقفٌ علَىٰ هذا الطَّابورِ الجاهِلِ من مُحْترِفِي السِّياسةِ ولُصوصِها؟ وما قيمةُ عَالِمٍ بالشَّريعةِ لَوْ دُعِي إِلَىٰ نداءِ الجِهَادِ وحَمْلِ السِّلاحِ يَقُول: ليس هذا من شَأْن رجالِ الشَّريعةِ، إنَّنا نَسْتطيع فقط الفَتْوىٰ في الحلالِ والحرامِ، والحيضِ والنِّفاسِ؟»

(١) (ص ٧٧، ٧٨).

ثمَّ استطردَ في كلامِهِ، وضَرَب مثلًا لهذا النَّمطِ بعالمٍ جليلٍ وشيخٍ عبقريٍّ علَّامة قلَّ أنْ يُرَىٰ مثله، فسَّر كتاب الله بتفسيرٍ عظيمٍ سَمَّاه: «أضواء البيان»، وزُعَمَ أنَّه أثنىٰ عليه إلَّا أنَّه دسَّ السُّمَّ في الدَّسم، فقالَ: «ولكن هَذَا الرَّجل لم يكنْ عَلَىٰ شيءٍ من مُستوىٰ عَصْرِهِ، فما كانَ يُدْرك جوابَ شُبْهةٍ يُورِدها عدوٌّ من أعداءِ الله، ولا كانَ عَلَىٰ استِعْدادٍ لسماعِ هَذِهِ الشُّبْهة... » إلخ ما قَالَ. انظر الكتاب المذكور.

وأقولُ: قَاتَلك الله يا عبد الرَّحمن، أكانَ هذا جزاء شيخك منك أن تَرْميه بهذا البهت، فتَزْعم أنَّه علىٰ سَعةِ عِلْمِه يعجز أن يردَّ شبهةً يُورِدها عدوٌّ من أعْداءِ الله عليه، وقَدْ فسَّر كتابَ الله بتَفْسيرٍ لم يسبق إِلَىٰ مثله، وهو يحفظُ أقوالَ الفُقَهاءِ والأُصوليِّين فِي كلِّ حُكْمٍ، ويحفظُ أشعارَ العرب وأقوالَ اللُّغويِّين وَخِلَافهم، وما يستشهد به لكلِّ قولٍ أو كلِّ فريقٍ.

أَتُراه وقَدْ حفظَ كتابَ الله، وسُنَّة نَبيِّه ﷺ، وأقوالَ أَهْلِ العِلْم، يعجز أن يردَّ عَلَىٰ مارقٍ من المارقين شبهةً إلحاديَّةً، إنَّ هَذَا لهو الافتراءُ والكذبُ والظُّلْمُ، فلو ضربت مثلًا بغَيْر هَذَا الرَّجل لكانَ في الإمكان أن يُصدِّقك بعضُ النَّاس، ولكنَّ الله يريد أن يُظْهر تَجنِّيك عليه، وظُلْمك له، فَاتَّق الله، وَتُبْ إليه، وَامْسَح ما كتبته في هذا المَقْطع من رَمْيك للعُلَماءِ بالجهلِ والعجزِ والخورِ.

أتريدُ من العُلَماءِ أن يَعْكفوا عَلَىٰ نِظَامِ المُعَاملاتِ الغربيَّة فيدرسوه، وَهُمْ قَدْ دَرَسوا الشَّريعةَ وآمَنُوا بأنَّها هي الحقُّ، وما سِوَاها باطلٌ، فلا يُعرَض عَلَيهم نظامٌ من نُظُمِ الجاهليَّةِ إلَّا عرَفوه، وبيَّنوا بُطْلانَه بما عِنْدهم من عِلْمِ الشَّريعةِ الَّذي هو مُهَيمنٌ عَلَىٰ كلِّ علمٍ.

ثمَّ أَرِنِي عالمًا واحدًا من العُلماءِ بحقٍّ يقولُ: إنَّ السِّياسةَ لَيْست من الدِّينِ، أو واحدًا من العلماء بحقٍّ يُدْعىٰ إِلَىٰ الجهادِ في سبيلِ الله فيأبَىٰ ذَلِكَ.

وأخيرًا: أَرِنِي القُشُورَ الَّتي في الدِّين الإسلاميِّ، وبَيِّن لي ما هي؟

إنَّ الإسلامَ كلَّه حقٌّ، لا باطلَ فيه، وصدقٌ لا كذبَ فيه، وجدٌّ لا هَزْلَ فيه، ولبٌّ لا قُشُورَ فيه، وأخافُ عَلَىٰ مَنْ زَعَم أنَّ في الإسلامِ قُشُورًا أن يكونَ قَدْ خرج منه، وصار مرتدًّا، فاتَّق الله يا عبد الرَّحمن، وتُبْ إليه، لا يَحْملك التَّحزُّبُ والعصبيَّةُ أن تَرْمي الدِّين بما لَيْس فيه، وأنتَ تَزْعم أنَّك تَدْعو إليه وتَرْمي حَمَلته من العلماءِ الرَّبَّانيِّين بما لَيْس فيهم، فالتَّوبةُ مُوَاتيةٌ وممكنةٌ الآن.

وأخيرًا: فهَذا وَاحِدٌ من أَهْل هَذَا المَنْهجِ، بَلْ ربَّما قيل: إنَّه من المُعْتدلِين فيهم، يَتَّهم العلماء، ويَزْدَريهم، ويَرْميهم بما لَيْس فِيهِم، ويَزْعم أنَّهم فَهِمُوا من الدِّين قُشُورَه، إنَّه يسيرُ عَلَىٰ نَمَط الغزاليِّ، ويَضْرب عَلَىٰ الوتر الَّذي ضرَبَ عليه الغزاليُّ، ويأتي مَنْ يَنْتقدُ السَّلفيَّةَ الجديدةَ كما زعم، فيَزْعم أنَّ السَّلفيَّةَ الجديدةَ سَلفيَّةٌ عَرفَتْ من الإِسْلامِ قُشورَه، يُقلِّد بَعْضهم بعضًا، فهلَّا بَيَّنوا لنا القُشورَ الَّتي في الدِّين حتَّىٰ نَعْلمها! ولكنَّه التَّقليد الأَعْمىٰ ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣].



فصل

كلام محمَّد سُرور زين العابدين في نقده لمنهج الإخوان

وَمِنْ وَلائِدِ الإِخْوانيَّةِ: السُّروريَّة والقُطبيُّون، وهُمَا فِرْقتانِ أو حِزْبانِ انْفَصَلتا من الإِخْوانيِّينَ؛ فالسُّروريَّةُ تُنسَب إِلَىٰ مُحمَّد سرور بن نايف زين العَابِدِين الَّذي هو الآن مُقِيمٌ في مدينة لندن، ويُصْدر مجلةً تُسمَّىٰ مجلة: «السُّنَّةِ»، وأَمَامي الآن مَقَالٌ مُطوَّلٌ بعنوان: «السُّروريَّة» كَتبَه هو بنفسِه، وهَاجَم فيه الإخوانيَّة بعد أَنْ عَمِل فيها عَشْر سنين كما ذكر[١].

قال فِيهِ: «١ - بعد رحلةٍ في هَذِهِ الجماعةِ استمرَّت عشرة أعوامٍ هَيَّأَ اللهُ لي أجواءً علمتُ من خلالها أنَّ الدَّعوة إِلَىٰ الله يجب أن تكونَ من خلال عقيدةِ ومَنْهج السَّلَفِ الصَّالح رضوان الله عليهم، وَلَمْ تكُنِ الجماعةُ الَّتي أَنْتسِبُ إليها كذَلِكَ، وكنتُ أُحَاوِلُ التَّوفيقَ بَيْن قَناعَاتِي الجديدة، ووَضْعي في هَذِهِ الجماعةِ، ولكن هَيْهات، فالمَسَافةُ بعيدةٌ، والخَرْقُ يَتَّسعُ، صحيحٌ أنَّ الجماعةَ في المنطقةِ الَّتي أُقِيمُ فيها لَيْس فيها أشاعرةٌ أو مُتصوِّفةٌ أو مُعْتزلةٌ، ولكنَّ هَذَا الصِّنفَ مَوْجودٌ في أَمَاكِن أُخْرىٰ، وبَيْنهم مَسْؤولون من كِبَارِ أَهْلِ الحلِّ والعَقْدِ في إطار بِلَادِ الشَّام، أو في إِطَارِ البُلْدانِ العربيَّة، وهؤلاء عِنْدَ مُنْتسبي الجماعةِ ثقاتٌ، وغَيْر مَسْموحٍ بنَقْدهم أو تَجْريحهم؛ لأنَّ الأصلَ في تَوْثِيقهم انْتماؤُهُمْ لهذه

---

(١) وهذا المقال نشر في مجلة «السُّنَّة» العدد السابع والعشرون جمادىٰ الآخرة عام ١٤١٣هـ.

الجماعةِ، ولَيْس الأصلُ مِنْهاجِهم وتَصوُّراتِهم الَّتي يَدْعون إليها، وهذَا العَمَلُ الحزبيُّ يجعل الفردَ المُنْتمِي إِلَىٰ هَذِهِ الجماعةِ يَشْعر بأنَّ فلانًا الصُّوفيَّ أقربُ إليه مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ من فلانٍ السَّلَفيِّ لسببٍ بسيطٍ جدًّا، فالأوَّلُ من الجماعةِ، والثَّاني مُسْتقلٌّ، ولا يَنْتمي لأيَّةِ جماعةٍ.

لقَدْ سَئِمتُ من سِيَاسةِ التَّجميعِ عَلَىٰ أساسٍ غير سليمٍ، وصرتُ أعتقدُ فَشَلَ سِيَاسةِ وتَخْطيط هَذَا الخليطِ من الخَلائِق، وإِنْ زَعَموا أنَّهم من النَّصْرِ قَابَ قَوْسين أو أَدْنىٰ، ومَلَلْتُ تَرْدادَ من حولي: «ويعذر بَعْضنا بعضًا فيما اخْتلَفنا فيه».

كَيْف يعذر بعضنا بعضًا في اخْتِلَافِ التَّضادِّ، وهذَا الإعذارُ يعني أنَّه لا فَرْقَ يَسْتحقُّ الذِّكْر بَيْن السَّلَفيِّينَ وأَهْل الاعتزالِ وغَيْرهم من أَهْل البِدَعِ والخُرَافاتِ.

إنَّ الغوغائيَّةَ هي الَّتي تَجْعل هؤلاءِ النَّاس يُردِّدون هَذِهِ المقولةَ، وعِنْدما يَتحرَّرونَ من الغوغائيَّةِ والسَّطحيَّةِ، سَوْف يَشْعرون بخَطَر هَذَا الشِّعارِ.

وفَضْلًا عن هَذَا وذاكَ، لم أَجِدْ مُسوِّغًا لتَقْديم قول قادة هَذِهِ الجماعة عَلَىٰ كلِّ قولٍ، وإِنْ كانَ هَذَا القولُ شرعيًّا وعليه أدلَّةٌ واضحةٌ من الكتاب والسُّنَّةِ، حَاوَلوا تَأْويلَ هَذِهِ النُّصُوصِ حتَّىٰ لا تَتعارَضُ مع أَقْوال القادةِ، وهذِهِ هِيَ مُشْكلة الأتباع، يُغَالون في حُبِّ قَادَتهم، ويَزْداد هَذَا الغلوُّ مع مُرُور الزَّمَنِ، وقلَّة العُلماءِ العَامِلين، وَانْدِراس العِلْمِ.

٢ – كنتُ صغيرًا عِنْدَما انتسبتُ إِلَىٰ هَذِهِ الجماعةِ، وكنتُ أفتقدُ الحدَّ الأَدْنَىٰ من العُلُومِ الشَّرعيَّةِ الَّتي تُمكِّنني من مَعْرفة حُدُود الطَّاعة، ولهذا فَقَدْ كُنَّا نَخْضع لمزاجيَّةِ المسؤول عنَّا...

كان يَأْمُرُنَا بأَنْ نُقَاطعَ فلانًا؛ لأنَّه انْحرَفَ عن خطِّ الجماعةِ، وكنَّا نَسْتجيبُ

له؛ لأنَّا نعتقدُ أنَّ طاعةَ هَذَا المسؤولِ طاعةٌ لله ولرَسُولِهِ ﷺ، وهُوَ - أي: المسؤول - الَّذي عَلَّمنا هَذَا الاعتقادَ، وكنَّا نَعْلم بطريقةٍ أو بأُخرىٰ أنَّ هَذَا الأخَ الَّذي قَاطَعْنَاه لم يَنْحرِف عن خطِّ الجماعةِ، ولم يَتخلَّ عنها أو يُنَاصبها العداءَ، ولكنَّه اختلفَ اختلافًا شخصيًّا مع صَاحِبنا الَّذي أمَرنا بمُقَاطعتِهِ، وكنَّا في هَذِهِ الحالة نَبْحث عن أعذارٍ للمَسْؤول عنَّا، فإنْ لم نجد، أَوْهَمنا أنفسَنا بأنَّ الجماعةَ عَلَىٰ خَيْرِ ما يُرَام، ويجب ألَّا نَشْتغلَ بما لا يَعْنينا». اهـ.

وبعد هَذَا الهُجُومِ العَنِيفِ والنَّقْدِ اللَّاذع الَّذي سَمِعناه إلَّا أنَّه هُجُومٌ في مَحلِّه، ونَقْدٌ أصابَ المقاتلَ من جَماعَةِ الإخوانِ؛ لأنَّه صَدَر عن رجلٍ عاشَ في هَذِهِ الجماعةِ عَشْر سنواتٍ، عَرَف خلالها أشياءَ كثيرةً من الأخطاءِ، وكلُّ ما انْتَقَده يُؤيِّد ما لَاحَظه أَهْلُ العِلْم عَلَىٰ هَذَا المنهجِ، ودَوَّنتُهُ في مُلَاحظاتِي السَّابقةِ:

فأوَّلُ ما انْتقَدَه: هو ذَلِكَ الخليط من البَشَر بَيْن قناعاتٍ متباينةٍ، وعقائدَ مُتضادَّةٍ، واتِّجاهاتٍ مختلفةٍ ممَّا لا يَسْتسِيغه عقلٌ، ولا يُقرُّه شرعٌ.

وثانيًا: قولُهُ: «وهذا العملُ الحزبيُّ يجعل فلانًا الصُّوفيَّ أقربَ إليه مرَّاتٍ ومرَّاتٍ من فلانٍ السَّلَفيِّ لسببٍ بسيطٍ جدًّا، فالأوَّلُ من الجماعةِ، والثَّاني مُسْتقلٌّ»، ويَتبيَّن من هَذَا شُؤْم الحزبيَّة، وأنَّها تُوجِب عَلَىٰ صَاحِبها أن يَتولَّىٰ مَنْ يجب بغضه وعَدَاوته، ويبغض مَنْ يجب حبُّه ومُوَالاته، لا لشيءٍ سِوَىٰ أنَّ الأوَّلَ من أهل هَذَا الحزب، والثَّاني من خارجه.

ثالثًا: قولُهُ: «سئمتُ مِنْ تَرْداد مَنْ حولي: «ويعذر بَعْضنا بعضًا فيما اخْتَلَفنا فيه»، وقَدْ أنكرَ هَذَا التَّعبير الباطل الَّذي يَتنَافىٰ مع أَعْظم الأُسُس في دينِ الإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾

[المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الممتحنة: ٤].

رابعًا: ذكر أنَّ الغوغائيَّةَ هي الَّتي تجعل هَؤُلاء النَّاس يُردِّدون هَذِهِ العبارةَ[١] بدون تَفْكيرٍ ولا تَأمُّلٍ لما وَرَاءها من نتائجَ سَيِّئةٍ.

خامسًا: قوله: «وَفَضْلًا عن هَذَا وذَاك، لم أَجِدْ مُسوِّغًا لتَقْديم قول قادة هَذِهِ الجماعةِ عَلَىٰ كلِّ قَوْلٍ»: وذَلِكَ أنَّه لمسَ أنَّ أَصْحَابَ الحزبِ يُقدِّمون أقوالَ قَادَتهم حتَّىٰ ولَوْ خَالَفتِ النُّصُوصَ الشَّرعيَّةَ، وأنَّهم حينئذٍ يَتأوَّلون النُّصُوصَ لِتُوافِقَ أَقْوالَ أئمَّتهم.

سادسًا: تَعْظيمُ التَّابعينَ للمَتْبُوعِينَ، ومُغَالاتُهُم في حُبِّهم يُؤدِّي بهم إِلَىٰ أَنَّهم يَرْفَعونَهم فوقَ مَنْزلتهم، ويُعْطونهم ما لَيْس لهم، ويَتَّخذونهم مُشرِّعين من دون الله.

سابعًا: اسْتنكَرَ أيضًا تَحكُّم القادة في حُرِّيَّات مَنْ تحت أَيْديهم، فيأمرهم القائدُ أن يُقَاطعوا فلانًا؛ لأنَّه انْحرَف عن خطِّ الجماعةِ حتَّىٰ ولَوْ لَمْ يكن مِنْه انْحِرَافٌ، ولكن مُجرَّد هَوًىٰ.

ثامنًا: ويُسْتَنتج من هَذَا دليلٌ عَلَىٰ صِحَّةِ ما قُلْناه من أنَّهم يُحذِّرون مِمَّنْ لم يَكُنْ مَعَهم يومًا من الدَّهْر من العُلَماءِ، لا لشَيْءٍ سِوَىٰ أنَّه لَيْس من جماعةِ الحِزْبِ.

تاسعًا: إِيمانُهمْ بالنِّظام الدِّيمقراطيِّ الغربيِّ في الاسْتِفْتاءِ، وأنَّ مَنْ أَخَذ أصواتًا أكثرَ، كانت له الشَّرعيَّةُ في نَظَرهم حتَّىٰ ولو زادَ صوتًا واحدًا أو صَوْتين، وَاعْتِقادُهُمْ أنَّ هَذَا يُوجِبُ الشَّرعيَّةَ!! فما هِيَ الشَّرعيَّةُ الَّتي اكْتسَبها بِذَلِكَ؟

عاشرًا: أنَّ الرَّئيسَ الَّذي يَصِلُ إِلَىٰ سُدَّة الرِّئاسة يُصْبح ديكتاتورًا مُتسلِّطًا؛

---

(١) أي توهم: «ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

يَفصل مَنْ يشاءُ، ويُعيِّن مَنْ يشاءُ، لا من أجْل المصلحة، ولكن من أجْل الهَوَىٰ، وإذَا قال قولًا، وَجَبَ عَلَىٰ الأعضاءِ أن يَرفعوا أيْديهم بالمُوَافقةِ؛ سواء كان حقًا أو باطلًا، والويلُ لمَنْ خالفَ أو رَفَع رأسَه مُستنكرًا، وقَدْ يحدثُ التَّخَاصمُ وتبادلُ التُّهَم، وتَنفصل عن الجماعة جماعةٌ أُخرىٰ إِلَىٰ آخر ما ذكر.

قلتُ: وفي هَذَا دليلٌ لما قرَّرته سابقًا من أنَّ الحزبيَّةَ مثل الجرثومة، تَنقسم، وكلُّ قِسْمٍ من القسمين يَنْقسم، وهَكَذا دواليك.

ثمَّ أخبرَ أنَّه قرَّر انْفِصالَه عن الجماعة لما عرف عِنْدهم من السَّلبيَّاتِ الَّتي ذكر، وغيرها، ثمَّ قال: «بَعْد انْفِصالِي عن الجماعة الأولىٰ، وضعتُ لنفسي ثوابتَ ومُنْطلقاتٍ مُحدَّدةً لا أَحِيدُ عنها، ولا أستبدلُ بِهَا غَيْرها، وها قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَسيرتِي في الطَّريق الجديد أكثر من عشرين عامًا، ومُرُور هَذِهِ الأيَّام زَادَنِي قناعةً وَاسْتِمْساكًا بهذه الثَّوابتِ».

«ومن هَذِهِ الثَّوابتِ ما يلي:

أوَّلًا: أَصْبَحَ الأصلُ عِنْدي الالتزامَ بعقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ رضوان الله عَلَيهم.

ثانيًا: لم يَعُدِ العملُ الإسلاميُّ عِنْدي «دعوةً سَلفيَّةً» و«حقيقةً صوفيَّةً»؛ لأنَّ مثلَ هَذَا الخليطِ لا يَصْلح أساسًا لوحدة العَمَلِ الإسلاميِّ، ولا يُودِّي إلَّا إِلَىٰ الخُصُومةِ والفُرْقةِ والتَّناحرِ.

ثالثًا: أنَّ العملَ الإسلاميَّ لم يَعُدْ شعارًا يُردِّده البعضُ دون تَدبُّرٍ لمَعْناه؛ كقولِ القَائِلِين: «ويَعْذر بعضنا بعضًا فيما اخْتلفْنا فيه»، فإنِّي لا أَعذرُ مَنْ كان اخْتِلافِي مَعَه اختلافَ تَضادٍّ.

رابعًا: ولم يَعُدْ عَقْلي يَتصوَّر وُجُودَ جماعةٍ واحدةٍ فيها السَّلَفيُّ والصُّوفيُّ والأشعريُّ والخارجيُّ(١) ودُعَاة الاعتزالِ والعقلانيَّةِ، وغير ذَلِكَ من العَقَائد والاتِّجاهاتِ المُخْتلفةِ المُتبَاينةِ.

خامسًا: وَعِنْدَما نقولُ: إنَّ الأصلَ عِنْدنا الالتزامُ بعقيدةِ ومَنْهجِ السَّلَف الصَّالح - رضوان الله عليهم - فإنَّما نَقْصد به رجالَ خَيْر القُرُونِ المفضَّلة، وليست السَّلَفيةُ عندنا تقليدَ رجلٍ من الرِّجال المُعَاصِرين في كلِّ ما يقولُهُ ويُفْتي به، فمثل هَذَا النَّوع من التَّقليدِ نَعْتبره لونًا من ألوانِ الحزبيَّةِ الضَّيِّقةِ، وشكلًا من أشكالِ التَّعصُّب المذهبيِّ المَذْموم، والعَالِم مَهْما عَلَا شأنُهُ، وعَمَّ فضلُهُ وعلمُهُ، لا بدَّ أن نأخذَ من قولِهِ ونردَّ.

سادسًا: لَيْس لِعَمَلِي هَذَا تَسْميةٌ مُعيَّنةٌ لسَببين:

١ - نَحْن جزءٌ من أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، ونَعْمل من أَجْل عَوْدة الجميع إِلَىٰ هَذَا الكيانِ الكبيرِ، وكُلَّما ذَكَرنا أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ، فإنَّما نَقْصد به ما كانَ عَلَيه سَلَفُ الأُمَّةِ الأَخْيار... إلخ.

---

(١) كذا قال! وبالله العجب! وهو الَّذي يكفر الحكَّام قاطبةً بالعموم وبدون استثناءٍ. انظر ذلك في مجلَّته «السُّنَّة» عدد (٢٦) سنة ١٤١٣هـ (ص٢، ٣).

ويكفِّر الحكَّام من (آل سعود) في العدد (٤٣) سنة ١٤١٥هـ جمادىٰ الثَّانية (٢٧ - ٢٩) حيثُ يقول في حوار بينه وبين صديق له: «قال صاحبي: ما رأيُك بهذا القول: لو سلم أبناء عبد العزيز من البطانة العِلمانيَّة الَّتي تحيطُ بهم لما كانت الأمور بهذا السُّوء؟

فأجابه محمَّد سرور قائلًا: قلت: يا أبا... هم أخبث من بطانتهم العلمانيَّة؛ لأنَّ عقائد الطَّرفين واحدة».

فانظر أخي القارئ - رعاك الله ووَفَّقك لكلِّ خيرٍ - كيف جعَل (آل سعود) أخبث من العلمانيِّين، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّهم عنده أكفر مِن العلمانيِّين؛ لأنَّ العلمانيِّين كفَّار، ومَنْ كان أخبث منهم فإنَّه أشدّ كفرًا منهم، ومع هذا كلِّه يقول هذا الدَّجال عن نفسه إنَّه علىٰ عقيدة السَّلف! محمد بن هادي.

٢ - رأيتُ كثيرًا من الأحزابِ والجماعاتِ الإسلاميةِ يتعصَّبون للاسمِ الَّذي أطلقوه على أنفسهم، ويُصبحُ هذا الاسمُ شعارًا يُميِّزهم عن غيرهم... إلى أن قال: وإذا كان الأمرُ كذلك، فمِنْ أينَ أتى الطَّالمون باسمِ السُّروريَّة، وفي أيِّ مصنعٍ من مصانعِ كذبِهم لفَّقوا هذا الاسمَ؟!(1). اهـ ما أردتُ نقْله من مقالِه بتصرُّفٍ.

(1) والله ما لفَّقوه وإنَّما منك خرج، وفي مصنعك وجدوه، ألم تقل في مجلتك «السُّنَّة» العدد (٢٩) (ص٨٩) مقال بعنوان «الوحدة الإسلاميَّة»، وفيه ما نصُّه: «ولا يحقُّ لأيِّ جماعةٍ مهما كان منهجها سليمًا الادعاء بأنَّها جماعةُ المسلمين، ولا يحقُّ لأمير هذه الجماعة أن يطلب البيعة لنفسه كما كان يطلبُها خلفاءُ المسلمين، ولكن يحقُّ لهذا الأمير ومَنْ حوله أن يُنظِّموا أمورهم كمؤسسةٍ دعويةٍ تعمل من أجل أن يكون الدِّين كلُّه لله في الأرض، ويقتضي هذا التنظيم أن يكون للمؤسسة رئيس، ونائب للرئيس، ومسؤولون عن الأقسام والفروع، وأوامر تصدُر فتطاع؛ إلا ما كان مخالفًا للكتاب والسُّنَّة».

أليس هذا المقال في مجلتك؟ أليس فيه إقرارٌ للبيعة؟ وإلَّا فما معنى قوله: «ولكن يحقُّ لهذا الأمير»؟ وما معنى قوله: «وأوامر تصدر فتطاع»؟ وممن تَصْدر هذه الأوامر؟ أليست من أمير الجماعة؟ وأليس في هذا المقال الإقرار بإمارة الجماعات الإسلاميَّة المبتدعة؟

ألم تقل أنت يا سرور في مجلتك «السُّنَّة» العدد (٢٧) (ص ٥١):

«ومن أجل أن تستقيم أمور الجماعات الإسلامية لا بد من مراعاة الأمور التَّالية:

١ - أن يكون عند العضو في الجماعة حدٌّ أدنى من العلوم الشَّرعية تُمكِّنه من معرفة الحلال من الحرام، والطَّاعة الشَّرعيَّة من الطَّاعة البدعيَّة.

٢ - أن تراعى شروط أهل الحلِّ والعقد في اختيار قادة الجماعة... إلخ».

فمَنْ قائد هو هنا يا محمَّد سرور الَّذي يختاره أهل الحل والعقد؟ أليس هو الأمير، وإنْ سمَّيتموه بغير هذا الاسم؟

ألم تقل يا سرور بلسانك عندما زرت الشَّيخ مقبل الوادعي: إنَّنا جماعة، وأنَّ معنا الشَّيخ سفر الحوالي؟

ألم تقل يا سرور في رسالة لك جوابيَّة لبعض مَنْ كاتبك ورددت عليه بهذه الرِّسالة المؤرخة في ٤ شوال عام ١٤١٠هـ - وهذه الرِّسالة عندي بخط يدك على أوراقك الرَّسمية الَّتي تحمل شعار مركز الدِّراسات الإسلامية، ألم تقل فيها في (ص٢) وبالتَّحديد سطر (١٥).

«وأنا أعمل في جماعةٍ ليس لها اسمٌ؛ لأنَّنا لا نجد أفضل ولا أحسن من اسم أهل السُّنَّة والجماعة، وجماعتنا ليست جزءًا من أية جماعة معروفة على السَّاحة».

=

وعَلَىٰ هَذَا، فإنَّ كلامَ مُحمَّد سرور زين العابدين في نَقْده للمَنْهجِ الإخوانيِّ في محلِّه، وهو نَقْدٌ في الصَّميم، ومَنْ قالَ كلمةَ الحقِّ يجب أن يُقَال له: صدقتَ.

وأمَّا قولُهُ بأنَّه في مَنْهجِهِ الجديد أَخَذ بالمنهج السَّلَفيِّ، فهذا:

أولًا: فيه نظرٌ، فإنَّه إنْ سُلِّمَ له هَذَا في أشياءَ كأَنْ يكونَ قَدْ أخذَ بالمنهجِ السَّلَفيِّ في الأَسْماءِ والصِّفاتِ، والوَلَاءِ والبراءِ، وهذا حَسَب ما يظهر من كتابتِهِ هذِهِ.

أمَّا التَّفصيلُ والطَّريقةُ في المَجالِ العمليِّ فهذا شَيْءٌ لا أَعْلمه، وأسألُ الله أن يُوفِّقه ويُوفِّق جميعَ الدُّعاةِ إِلَىٰ السَّيْر عَلَىٰ النَّهْجِ الصَّحيحِ، وأخذه بحَذَافيره، إلَّا أنِّي أُلاحظُ عَلَىٰ الشَّيخ عدم تَصْريحه بالبدءِ بتَوْحيدِ الألوهيَّة الَّذي بدأت به الرُّسُل - صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم - كما أخبرَ الله عَزَّوَجَلَّ عَنْهم بقولِهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانيًا: الَّذي ظَهَر لنا وبَلَغنا عن الفِرْقة الَّتي تُسمَّىٰ بـ«السُّرورية» بقَطْع النَّظَر عن كونِهِ هو الَّذي سَمَّاها بهذا الاسم، أو هي سَمَّتْ نَفْسها أو سَمَّاها بهذا الاسْمِ بَعْض القَادة فيها، فكلُّ ذَلِكَ جائزٌ، وإنَّما الَّذي يَهمُّنا هو العملُ، فهَلْ كَانَتْ هَذِهِ الفِرْقةُ كما قالَ مُؤسِّسها أنَّها عَلَىٰ المنهج السَّلَفيِّ تمامًا؟ أم أنَّهم تَنكَّروا له وتَنكَّبوه في بَعْض الأُمُور الَّتي تُعتَبر من الصَّميم؟ هَذَا ما سنراه في السُّؤال الآتي:

= أقول: وإذ قد ثبت بهذا أنَّك في جماعة، وهي ليست جزءًا من أيَّة جماعة معروفة علىٰ السَّاحة، فما الَّذي يمنع أن تُنسبَ إليك، لا سيما وصفات أهل السُّنَّة والجماعة لا تنطبق عليها؛ وإنَّما الَّذي ينطبق عليها مذهب الخوارج؛ لأنَّ أهل السُّنَّة معروفون، وصفاتهم معروفة، وهم علىٰ السَّاحة بارزون لا يختفون، والأسماء لا تُغيِّر الحقائق، والعبرة بحقيقة ما أنت عليه وجماعتك، وقد ظهر هذا جليًّا في مجلَّتك، ويستطيع كلُّ مَنْ نوَّر الله بصيرته بنور العلم الشَّرعيِّ أنْ يُميِّزه. محمَّد بن هادي.

كَتَبَ لِي سائلٌ ما، فقالَ: فضيلةَ الشَّيخ، أسأَلُ اللهَ أن يشرحَ صَدْرك للحقِّ، إنَّني - ولله الحمد - هَدَانِي اللهُ إِلَىٰ الصَّوابِ، ولكن مَعَ اسْتِقامَتِي هَذِهِ وَجدتُ مَجْموعاتٍ سِريَّةً تقومُ بأَنْشطةٍ سِريَّةٍ، وبرامج فِكريَّةٍ مُعَاصرةٍ، وهي عبارة عن سِلْسلةٍ مِن الحلقاتِ السَّريَّةِ حتَّىٰ المسؤول عنَّا لا نَعْرف مَنْ يقوم بتَوْجِيهِهِ، وَهِيَ تقومُ بسبٍّ ولَعْنِ الحُكَّامِ، والبَحْث في الواقعِ أكثر من طَلَب العِلْمِ الشَّرعيِّ، ويَقُولُون: إنَّ الَّذي يَفْقه الواقعَ أَفْضلُ من علماء هَذَا الزَّمن، وهم يَتلقَّون تَرْبيتهم من بَعْض المعاصرين الفكريِّين، وَصِلتهم بالسَّلَفِ الصَّالحِ والأئمَّة قليلةٌ جدًّا بدَعْوىٰ أنَّ هَذَا العصرَ لا يَصْلح إلَّا لهذه الفِكْرة، وهذِهِ المجموعة تُسمَّىٰ: «السُّرورية» أو «القُطْبيِّين»، وأنا منتظمٌ فيها، ولي فيها أربع سنواتٍ، وواللهِ، لم أَستفد أيَّ شيءٍ، فما هي نصيحةُ والدي الغالي، فأنقذني من هَذَا الأمر بالنَّصيحة الفاضلة؟

وقَدْ أجبتُهُ بما يلي:

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، **أمَّا بعد:**

فإنَّ هَذِهِ المجموعات السِّريَّة مجموعاتٌ مبتدعةٌ، ويَتَّضح ذَلِكَ من الأُمُورِ الآتية:

أوَّلًا: السِّريَّةُ والتَّكتُّمُ في دَعْوتهم بدُونِ حاجةٍ إليه، فالدَّولةُ مُسلمةٌ[1]، تُؤيِّد

---

(١) **قلتُ:** لكن محمد سرور لا يرىٰ هذا، بل الَّذي يراه: أنَّ «حكَّامها أخبث من العلمانيِّين»، كما بيَّنت هذا في (ص ٢٥١) من هذا الكتاب في هامش رقم (١)، ونقلت ذلك عنه من مجلته المُسمَّاة زورًا بـ «السُّنَّة»، استمع إليه حيث يقول في العدد (٤٣) (ص ١٧) معلقًا ومتهكمًا بتأييد الدَّولة للدَّعوة والدُّعاة:

«يا للعجب من تناقضات دولة فهدٍ وأشقائه، يفْتخرون بإرسال الدُّعاة إلىٰ جميع بلدان العالم، ويدفعون لهم المكافآت، ويمنعون الدُّعاة الأحرار المتطوِّعين في بلدهم، يمنعونهم حتَّىٰ من رفع صوتهم بالدعوة إلىٰ الله داخل بيوتهم، ترىٰ ماذا أبقىٰ هؤلاء الظَّلَمة - يعني خادم الحرمين وإخوانه وَفَّقهم الله - للقذافي، =

الدَّعوةَ، وتُعِين عليها، وتضعُ مُرتَّباتٍ لأَهْلها، والمجتمعُ مسلمٌ يُؤيِّد كلَّ دعوةٍ إصلاحيَّةٍ، ويَتضَافر معها، فما هو الدَّاعي للسِّريَّة؟! إلَّا أنَّهم عندهم في دَعْوتهم أُمُورٌ غير تَعْليم الأَحْكام الشَّرعيَّة يُريدُونَ التَّكتُّم عليها حتَّىٰ يَصِلوا إِلَىٰ مَآرِبِهِمْ.

ثانيًا: الحزبيَّة والتَّنظيم الَّذي يُفرِّق الأُمَّةَ، وَيَجْعلها فِرقًا مُتعاديةً يبغض بَعْضُها بعضًا، ويَتنكَّر بَعْضُها لبعضٍ، فكلُّ حزبٍ يرىٰ أنَّ الحقَّ ما هو عليه دون غيره، فيَتعَاطفُونَ ويَتنَاصَرونَ فيما بَيْنهم، بَيْدَ أنَّهم لا يَفْعلون ذَلِكَ مع غَيْر حِزْبهم، وهذِهِ بدعةٌ تَشْطر الأُمَّةَ وتُفرِّقها رُغْمَ أنَّ الأُمَّةَ واحدةٌ حسب التَّوجيه القرآنيِّ الكريم، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ثالثًا: مِنْ بِدَعِهم: الإمارةُ في الحَضَر، وهذِهِ بدعةٌ يَسْتَعبدون بِهَا الأَحْرارَ، فلا يَتحرَّك أحدٌ مِمَّن انْتظَموا في حِزْبهم إلَّا بعد إذنِ أَميره، علمًا بأنَّ هَذَا لم يَطْلبه رَسُولُ الله ﷺ من أصحابِهِ، ولا أمرَ الله عَزَّوَجَلَّ عباده بذَلِكَ، أي: بألَّا يَتحرَّكوا إلَّا بَعْد استئذان نَبيِّهم إلَّا إذا كانوا معه عَلَىٰ أمرٍ جامعٍ؛ كالغزو مثلًا، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النُّور: ٦٢].

أَمَّا بدون ذَلِكَ، فكلٌّ منهم يَذْهب لحاجتِهِ، لا يحتاج أن يستأذنَ النَّبيَّ ﷺ، وإنَّ هؤلاء القوم يُلْزمون النَّاسَ بما لم يُلْزمهم به اللهُ، ولا رَسُولُهُ، صلواتُ الله

=

والأسد، وصدام، وجنرالات الجزائر؟».

قلتُ: فانظر إلىٰ الفرق بين مواقف أهل العلم المتمثِّل في اعترافهم بالفضل لهذه الدَّولة - وفَّقها الله - في إرسال الدُّعاة، ودعمهم وتأييدهم، ولا يعرف الفضل لأهله إلَّا أولو الفضل، وبين موقف هذا الخارجي التَّكفيري المحترق، عليه من الله ما يستحقُّ. محمَّد بن هادي.

وسلامُهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

رابعًا: مِنْ بِدَعِهِم وجَرَائِمِهِم: لَعْنُ الحُكَّام، وسَبُّهم، والتَّزهيدُ فيهم، وعَدَمُ اعْتِبارِهم وُلاةً تجبُ طَاعَتهم[١]، وهذا خلافُ ما أمر به رَسُول الله ﷺ، حيثُ يقولُ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ»[٢]، فمَنْ منَّا اليومَ ضُرِبَ ظَهْرُه بدونِ حقٍّ، أو أُخِذَ مالُه بدون حقٍّ؟ إنَّ دَوْلتنا[٣] - ولله الحمد - تُعْطِينا ولا تأخذ منَّا، بل نَحْنُ في أَمْنٍ ورَغَدِ عيشٍ تَغْبطنا عليه جميعُ الأُمَم، فما هو الدَّاعي للعن وُلَاة الأُمُور وسَبِّهم؟

أمَّا المنكراتُ، فهي قَدْ وَقَعتْ في أَبْهىٰ العُصُور وأَفْضلها؛ كعصر الخُلَفاء الرَّاشدين، وعَصْر بني أُميَّة، وأوَّل دولة بني العبَّاس الَّتي هي العُصُور المُفضَّلة، فَاقْرَؤوا التَّاريخَ، وَانْظُروا ما تَجِدونَ فيه في زمن السَّلَفِ الصَّالحِ والأئمَّة المَتْبوعِينَ؛ كالإمامِ مالكٍ والشَّافعيِّ وأحمد بن حنبل، ولمَّا وَصَفَ النَّبيُّ ﷺ

---

(١) ولم يقتصر سَبُّهم علىٰ الحكَّام، بل يتناولون عُلماء السّعوديَّة بالسبِّ، والتَّنقُّص، والتَّجريح، ويُسمِّيهم محمَّد بن سرور بعبيد السِّياسة، وعبيد الحكَّام، كما في مقالٍ له في بعض أعداد مجلَّته المُسمَّاة ظلمًا بمجلَّة «السُّنَّة»، وقال في الكتاب الثَّالث والعشرين من هذه المجلَّة تحت عنوان: «المساعدات الرَّسميَّة»، قال: «وصنفٌ آخر يأخذون ولا يَخْجلون، ويربطون مواقفهم بمواقف سادتهم، فإذا استعان السَّادة بالأمريكان، انبرىٰ العبيد إلىٰ حشد الأدلَّة الَّتي تُجيزُ هذا العمل، ويُقيمون النَّكير علىٰ مَنْ يُخالفهم، وإذا اختلف السَّادة مع إيران الرَّافضيَّة، تذكر العبيد خبث الرَّافضة، وانحراف منهجهم، وعداءهم لأهل السُّنَّة، وإذا انتهىٰ الخلاف، سكت العبيد، وتوقفوا عن توزيع الكتب الَّتي أعطيت لهم، هذا الصنف من الناس يكذبون، يتجسسون، يكتبون التَّقارير، ويفعلون كلَّ شيء يطلب السادة منهم...»، إلىٰ أن قال: «يا إخواننا، لا تغرنكم هذه المظاهر، فهذه المشيخة صنعها الظَّالمون، ومهمَّة فضيلة الشَّيخ لا تختلف عن مهمَّة كبار رجال الأمن».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أي المملكة العربيَّة السّعوديَّة.

لأَصْحابِهِ وُلَاة الجَوْر، قالوا: أفلا نُنَابِذهُمْ؟ قال: «**لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»[١]، وفي حديثٍ آخرَ قال: «**لا، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[٢].

وإنَّ دَوْلتنا - ولله الحمد - تُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُقِيمُ الحُدُودَ، وتُحكِّم شَرْعَ الله، وتَحْكم به في مَحاكِمِها، وتُشجِّعُ علىٰ العِلْم، وتُعينُ عليه، وتُعِين علىٰ الأَمْر بالمَعْروفِ والنَّهي عن المُنْكر، وقَدْ رَصَدتْ له ميزانيَّة، وللدَّعوةِ والدُّعاةِ؛ فهِيَ لَا زَالَتْ - والحمدُ لله - بخيرٍ.

فقُلْ لمَنْ يلعن الحُكَّامَ السُّعوديِّين في هَذَا البلد، لينظر في حُكَّام المعمورة أجمع، هل يجد مثل الحُكَّام السّعوديِّين، بل إنَّ الفرقَ كبيرٌ، والبونَ شاسعٌ، فليتَّقِ اللهَ هؤلاء، وليعودوا إِلَىٰ رُشْدهم قبل أن يُعاقِبهم اللهُ.

ونَحْن لا نَقُولُ: إنَّ الحُكَّامَ في هَذَا البلد مَعْصومون من الخطإ، أو إِنَّهم مَلَائكةٌ لا يُخْطئونَ، فكلُّ بَشَرٍ يخطئ ولا بدَّ، ولكنَّ ذَلِكَ لا يُوجِبُ سبًّا، ولا لعنًا، ولا خُرُوجًا عن الطَّاعةِ ما داموا مُلْتزمين بالشَّرْع في أغلب أُمُورِهم عَلَىٰ أَنْفُسِهم، وعلىٰ مَنْ تَحْت أيديهم.

خامسًا: أمَّا فِقْهُ الوَاقِع الَّذي ما زالَ هؤلاء يشقشقون به، ويطنطنون، فنَحْن نقولُ لهؤلاء: إِنْ كُنْتم تريدون بِفِقْهِ الواقع ما تَترتَّب عليه الأحكامُ الشَّرعيَّة، وتَتبيَّن به الفَتْوىٰ مِمَّا يكون مَناطًا للحُكْم، أو سببًا له، أو وسيلةً إليه، فإنَّ سماحةَ الشَّيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وابن فوزان، والغديان واللحيدان،

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالكٍ الأشجعي ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عُبادة بن الصَّامت ﵁.

والأطرم، وعبد العزيز آل الشَّيخ، وغيرهم من القُضاة أو المُفتين لم يُصدروا الحُكمَ أو الفتوىٰ إلَّا بَعْد أن يعرفوا الواقعَ الَّذي يُحِيط بها، أو يُؤثِّر فيها.

وإنْ كنتم تُريدون بِفِقْه الواقع الاطِّلاع علَىٰ أسْرار الدُّول، وأخبار أَهْل العصر مِمَّا يُكتَب في الجرائد والمجلَّات، أو تتناقَله وسائلُ الإعلام، أو يَسْتنتجه المُحلِّلون السِّياسيُّون، أو غير ذَلِكَ، فإنَّ لأَهْلِ العِلْم شُغْلًا بأَعْمالهم الَّتي نِيطَتْ بهم، وأُوكِلَتْ إليهم من الفَتْوىٰ والتَّدريس والدَّعوة إلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يَتَّسع معه لشيءٍ آخر مع أنَّهم لهم قدرةٌ محدودةٌ، وهذا من خصائص وزارة الدِّفاع في كلِّ بلدٍ، أي: التَّنبُّه لمَكائِدِ الأَعْداءِ ومُخطَّطاتهم، والإعدادُ لكلِّ أمرٍ بما يناسبه.

وأخيرًا: فإنِّي أَنصحك بأَنْ تَبْتعدَ عنهم، وتهربَ منهم بعد أن تقرأ عَلَيهم هَٰذِهِ الإجابةَ المختصرةَ، فإنْ أطاعوكَ ورَجَعوا وإلَّا فَابْتَعِدْ عَنْهم وَعَنْ مُجالَسَتِهِمْ، والسَّلام.

وأخيرًا، فمن هَٰذَا يَتبيَّن أنَّ السُّروريَّةَ وليدةُ الإخوانيَّة، وتَحْذو حَذْوها في سبِّ الحُكَّام ولَعْنهم وإن ادَّعىٰ مُؤسِّسها أنَّه عَلَىٰ المنهجِ السَّلَفيِّ إلَّا أنَّ واقعَ السُّروريَّة الَّذي علمناه خلاف ذلكَ، ولستُ أقطع بأنَّ هذه الجماعةَ تابعةٌ له إلَّا أنَّ الاسمَ يدلُّ علىٰ المُسمَّىٰ، وكونه يقول: إنَّه لم يسمِّ جماعتَه بهذا الاسم، فلعلَّه سمَّاها بهذا الاسم بعضُ أتباعِهِ[1]، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[2]، فما كانَ سبُّ الحُكَّامِ المُسْلمينَ وَلَعْنهم من مَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ، ولا مِنْ طَرِيقهم، ولا يَمُتُّ

---

(١) علمًا بأنَّ كلَّ قوم يسمُّون باسم قائدهم ومتبوعهم غالبًا؛ كالأشعرية، والماتريدية، والجهمية، والحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وما أشبه ذلك.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إِلَىٰ مَنْهجهم بِصِلَةٍ، وإِنَّما هو مَنْهجُ الخوارجِ الَّذين يُكفِّرون بالكبيرة.

أمّا القُطبيُّون: فهُمْ قومٌ دَرَسوا كُتُبَ سيد قطب، وتَابَعوه في كلِّ ما قاله واعْتَقده، بل وَعظَّموه كلَّ التَّعظيم مِمَّا جَعَلهم يَتَّخذون كلَّ ما قالَه في كُتُبِهِ حقًّا وَصوابًا وإِنْ خالفَ الأدلَّةَ، وبَايَنَ منهجَ السَّلَف، ويَتَّضح ذَلِكَ من الثَّورة الكلاميَّة، والإشاعاتِ الإعلاميَّةِ الَّتي أَشَاعوها ضدَّ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حين ردَّ عَلَىٰ سَيِّد قطب في بَعْض الأخطاءِ الاعتقاديَّة الفَظِيعة، وَجَعَلوه مُتجنيًّا عليه، وظالمًا له، ولم يَحْملهم الإنصافُ أَنْ يعودوا إِلَىٰ تِلْك الأماكنِ والأَرْقامِ الَّتي أشارَ «ربيع» في كتابِهِ إليها كالنَّيْل من نبيِّ الله مُوسَىٰ عليه السلام، والتَّحامل عَلَىٰ عثمان رضي الله عنه، وإِسْقاط خِلَافتِهِ من بَيْن خلافة الخُلَفاء الرَّاشدين، وجعلها فجوةً بَيْنها، ونَيْله من باقي الصَّحابة، وجَهْله بتَوْحيد الأُلُوهيَّة، وسُلُوكه مَذْهب الأشاعرة في تَأْويل الصِّفاتِ، وتَمْييعه لكثيرٍ من المَسَائل العَقَديَّة، وغير ذَلِكَ، فاللهُ المُسْتعانُ.



الباب العاشر

فيما انتُقد على جماعة التَّبليغ

[illegible]

[illegible]

الباب العاشر
فيما انتقد على جماعة التبليغ

جماعة التَّبليغ: هِيَ واحدةٌ من الجماعاتِ الدَّعويَّة المَوْجودة عَلَىٰ السَّاحةِ، وقَدْ تَأسَّستْ في مُنْتصف القرن الرَّابع عشر الهجري - أي: القرن الماضي - عَلَىٰ يد المُؤسِّس لها، وهو الشَّيخ محمّد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي.

ترجمة المُؤسِّس:

وُلِد مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة وهو مُحمَّد إلياس عام ١٣٠٢هـ، وحَفِظ القرآن، وقرأ الكُتُبَ السِّتَّة في الحديث عَلَىٰ المَنْهج الديوبندي الحنفيِّ مَذْهبًا، الأشعريِّ الماتريديِّ عقيدةً، الصُّوفيِّ طريقةً.

والطُّرق الَّتي عندهم أربعُ طرقٍ، وهي:

١ - الطَّريقة النَّقشبنديَّة.

٢ - الطَّريقة السَّهْرورديَّة.

٣ - الطَّريقة القادريَّة.

٤ - الطَّريقة الجشتية.

وقَدْ أَخَذ الشَّيخُ محمد إلياس المذكور البيعةَ الصُّوفيَّةَ عَلَىٰ يد الشَّيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثمَّ جدَّدها بعد مَوْت الشَّيخ رشيد عَلَىٰ يد الشَّيخ أحمد السهارنفوري الَّذي أَجازَه في المُبايَعة عَلَىٰ النَّهجِ الصُّوفيِّ المعروف، وكانَ يجلس في الخَلْوة عند قبر الشَّيخ نور محمد البدايوني، وفي المُرَاقبة الجشتية كانَ

يجلس عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي[١] الَّذي كانت تُسَيطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود[٢]، أقامَ ودَرَس ودرَّس وماتَ في دلهي سنة ١٣٦٣هـ. اهـ. من كتاب: «حقيقة الدَّعوة إِلَىٰ الله» للشَّيخ سعد بن عبد الرَّحمن الحصين، بِتَصرُّفٍ.

ظروف نشأتها:

يَرَىٰ الشَّيخُ أبو الحسن الندوي أنَّ الشَّيخ محمد إلياس لجأ إِلَىٰ هَٰذِهِ الطَّريقة في الدَّعوة حين أعْيَته السُّبُلُ التَّقليديَّةُ في إِصْلاح أَهْل منطقتِهِ[٣]، وينقل الشَّيخ ميان محمد أسلم عن (مَلْفوظاتِ إلياس) لمحمد منظور النعماني، قول الشَّيخ محمَّد إلياس نفسه: أنَّه انكشفَ له عَلَىٰ هَٰذِهِ الطَّريقة بأَنْ أُلْقِي في رُوعِهِ في المنام تفسيرٌ جديدٌ لقولِهِ تَعالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، يَقْتضي الخُرُوجَ للدَّعوة إِلَىٰ الله، فإنَّها لا تَتحقَّق بالإقامة في مكانٍ واحدٍ بدليل قولِهِ تَعالَىٰ: ﴿أُخْرِجَتْ﴾، وأنَّ الإيمانَ يزدادُ بالخُرُوج بدليل قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ بعد قولِهِ: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وأنَّ المرادَ بقولِهِ: ﴿أُمَّةٍ﴾: العرب، والمراد بقولِهِ: ﴿لِلنَّاسِ﴾: العجم.

ويُلاحَظ عَلَىٰ هَٰذَا المقطع ما يلي:

أوَّلًا: أنَّ القرآنَ لا يُفسَّر بالكُشُوفاتِ والأَحْلامِ الصُّوفيَّةِ الَّتي يكون أَغْلبُها - بل كلُّها - من وَحْي الشَّيطان.

---

(١) جماعة التبليغ لـ(ميان محمد أسلم) (ص١٢، ١٣) بواسطة كتاب: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للشيخ سعد الحصين (ص٧٥).

(٢) الإمام السرهندي؛ حياته وأعماله: أبو الحسن الندوي (ص١١٨) بواسطة المصدر السابق.

(٣) من رسالة للشيخ أبي الحسن الندوي، كتبها إلىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز تأييدًا للجماعة في ١٨/ ٥/ ١٤٠١هـ بواسطة «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» (ص٧٥ - ٧٦).

ثانيًا: يظهر ممَّا سبق أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة غارقٌ في الصُّوفيَّةِ من أَخْمصِه إِلَىٰ مُشَاشِهِ، فهو أَخَذ بَيْعتين فيها، وفُتِنَ بِطَوَاغِيتها، وأَمْضَىٰ وَقْتَه في الجُلُوسِ عَلَىٰ قُبُورِهم.

ثالثًا: أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة قُبُوريٌّ خُرَافيٌّ، ويظهر ذلكَ من قولِه، وكانَ يجلسُ في الخلوة عند قَبْر الشَّيخ نور محمد... إلخ، وذكر عن الثَّاني أنَّه كَانَتْ تُسَيْطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود، عياذًا بالله، فكيفَ يُوجَد الخيرُ عند مَنْ يَعْكف عَلَىٰ قبر مَنْ كانت تُسَيْطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود؟! وإِنَّ عُكُوفَه عند قبر مَنْ كانت تُسَيْطر عليه هَذِهِ الفكرة لَدليلٌ واضحٌ أنَّه يُؤمِنُ بها، ولَوْ لم يكن يُؤمِن بها لَمَا فَعَل ذَلِكَ.

ما هي وحدةُ الوُجُود؟

وحدةُ الوُجُود: فكرةٌ إلحاديَّةٌ يُؤمِن بها زنادقةُ الصُّوفيَّةِ، يَتغنَّون بها في أَشْعارِهِمْ، ويُعبِّرون عَنْها في مَقَالاتِهم، وأَمَامي الآن عددٌ كبيرٌ من عِباراتِهم الدَّالَّة عَلَىٰ سخف عُقُولِهم، وسوء عقِيدتهم، وخُبْث ما يَنْطوون عليه من الكُفْر القَذِرِ، والزَّندقةِ المُلْحدةِ الَّتي تَقْشعرُّ القُلُوبُ من سَماعِها، ويعفُّ اللِّسانُ عن النُّطقِ بها وإِسْمَاعها، ويَتحرَّج الإنسانُ من كِتَابتِها، وقَدْ قيل: «كَفَاك من شرٍّ سماعُهُ»، لكن لا بدَّ من كتابةِ شيءٍ منها ليستدلَّ به عَلَىٰ ما وراءه، وللشَّيخ عبد الرَّحمن الوكيل رئيس أنصار السُّنَّة بمصر سابقًا كتابٌ صغيرُ الحجم، عظيمُ الفائدة، اقتنيتُه قبْل سنواتٍ، ولمَّا قرأتُه، كتبتُ عليه هَذِهِ العبارة - وإِنِّي لأَعدُّها من صَالِح عَمَلي: «رحمك الله يا عبد الرَّحمن، لقَدْ سَجَّلتَ - حقًّا - في هَذَا الكتابِ، وكشفتَ السِّتْرَ المفتعلَ عَلَىٰ تلك الأَصْنام الجوفاء الَّتي كانت وما زالت بَقَاياها تَقْذفُ

أخبثَ الكفر وأقذَره، وتزعم أنَّه عينُ التَّوحيدِ، وتُضْفِي هالةً من القَدَاسة عَلَىٰ قَائليه الضُّلَّال، مُعْتقدين فيهم أنَّهم أولياءُ الله في الوُجُودِ، وخَاصَّته من بَيْن العباد حتَّىٰ بَيَّنَ اللهُ أمْرَهم عَلَىٰ يديك». اهـ.

وإنِّي لأحثُّ جميعَ طُلَّاب العِلْمِ عَلَىٰ اقْتِنَاءِ هَذَا الكتابِ وقِرَاءتِهِ، واسم هَذَا الكتابِ: «هَذِهِ هِيَ الصُّوفيَّةُ».

أيُّها القَارِئُ الكريمُ، أرْجو مِنْك المعذرةَ إنْ رأيت في هَذِهِ الكتابة ما يقرف مَسَامعك، ولرُبَّما أسالَ مَدَامعك من وَصْف الصُّوفيَّة المارقة للرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا أنَّه حلَّ في مَخْلُوقاتِه، أو اتَّحد بها، جلَّ ربِّي وعزَّ وتَقدَّس وتعالىٰ عمَّا يقول الظَّالمون عُلوًّا كبيرًا.

قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن الوكيل - رحمه الله وأسْكنَه فسيحَ جنَّاته - في كتابِهِ: «هذِه هي الصُّوفيَّة»: «آلهة الصُّوفيَّة، ثمَّ قال: يَفْتري الصُّوفيَّةُ أنَّهم الَّذين يَعْرفون اللهَ معرفةً لا يمسُّ يَقِينَها ريبٌ، ولا يَشُوب جلالَ الحقِّ فيها شُبَهٌ، ويَصِمُونَ المُسْلمين بعَمَىٰ البصيرة، وعمه العَقْل، وخَطَلِ الفِكْر، وجُمُودِ العَاطفةِ، وفَسَادِ الذَّوقِ، وخُمُودِ جَذْوة الحياةِ في الشُّعُورِ، والإغراق العَمِيق في المادَّة الصَّمَّاء، والجُمُود الأَحْمق عَلَىٰ عِبَادةِ التَّاريخ، وما زَالَتْ تِلْكَ دَعْواهم، فما الرَّبُّ الَّذي يَعْبدونه؟ وإنْ شئت إحْكامَ الدِّقَّة، فسَلْهُمْ مَا الرَّبُّ الَّذي اخْتلَقُوه ثمَّ عَبَدوه؟!

نَاشَدْتُكَ الله، إنْ مَسَّك فيما أقول وَهْمٌ وريبةٌ، أو فتنتك مِنْهم عن الحقِّ غزل ابتسامةٍ، أو تَرْنيمةُ عاشقةٍ بتسبيحةٍ أو دعاءٍ، ناشدتك الله إلَّا ما قرأت شيئًا من كُتُبهم لتعرف ربَّ الصُّوفيَّة الأعظمَ، اقرأ من «الفُتُوحات»، أو «الفُصُوص»، أو «ترجمان الأشواق»، أو «عنقاء مغرب»، أو «مواقع النُّجُوم»، وكلُّها لابن عربي،

واقرأ «من الإنسان الكامل» للجيلي، واقرأ من «تائيَّة ابن الفارض»، واقرأ من «الطَّبقَات والجواهر والكبريت الأحمر» للشعراني، واقرأ من «الإبريز» للدباغ، و«الجواهر والرماح» للتيجاني، و«روض القُلُوب المُستطاب» لحسن رضوان، بل اقرأ حتَّىٰ «مجموع الأوراد» الَّتي يَتعبَّدون بها الآنَ، «ودلائل الخيرات»، و«أحزاب الكهنة منهم في العشايا والأسحار».

إنَّ الصُّوفيَّة تَنْعت ابنَ عربيٍّ بأنَّه الشَّيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، وتخرُّ له ساجدةً، والجيليَّ بأنَّه العارفُ الرَّبَّانيُّ، والمعدنُ الصَّمدانيُّ، وابنَ الفارض بأنَّه سلطانُ العَاشِقِين، والشَّعرانيَّ بأنَّه الهيكلُ الصَّمدانيُّ، والقطبُ الرَّبَّانيُّ.

فما أَدْعوك - إذًا - إِلَىٰ كُتُبٍ تَنْقم مِنْها الصُّوفيَّة دلائلَ الحقِّ، وإشراق الهُدَىٰ، بل إِلَىٰ كُتُبٍ تُقدِّسها الصُّوفيَّة عَلَىٰ اخْتِلَافِ نَوَازِعِهم، وتَبايُنِ أَهْوائِهم، ويُجلُّونها، ولا أَعْدو الصِّدقَ إِنْ قلتُ: يَعْبدونها، ويَرَوْنها الأُفُقَ الأَسْمىٰ لنور التَّوحيد، والمَنْبع السّلسال لفُيُوضِ الرَّبَّانيَّة، فإن قرأتَ شيئًا من تِلْك الكُتُبِ فتَدبَّر بَعْده آيةً واحدةً من كِتَابِ الله، وَاقْذِفْ بنُورِ الحقِّ الإلهيِّ عَلَىٰ دياجير الباطلِ الصُّوفيِّ، وثمَّة يَرُوعك ويستفزُّ الغضاب الثَّوائر من لعناتك أن تجدَ الصُّوفيَّةَ تَدِينُ بربٍّ يَتجسَّد في أَحْقر الصُّوَر، وتَتعيَّن هُويَّته وإِنِّيَّته في أنتن الجيف، وتَمثَّل حَقِيقته الوُجُوديَّة صوَر أوهامٍ في الذِّهن الكليل، وظُنُون حَيْرَىٰ في الكُفْر الضَّليل، وتهاويل أُسْطُوريَّة في الخيال.

ألم تُؤلِّه الصُّوفيَّةُ في دين كَاهِنِها التّلمساني رِمَّةَ كلبٍ تَقزَّز من صَدِيدِها الدُّودُ».

ثمَّ بعد ذَلِكَ يقول عبد الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إله ابن الفارض: هُوَ مُؤْمنٌ بِبِدْعةِ الوحدة، أي: وحدة الوُجُود، وسَمِّها بما شئتَ بصيرورة العبدِ ربًّا،

والمَخْلوقِ خالقًا... » إِلَىٰ أن قال: «يؤمنون بأنَّ الرَّبَّ الصُّوفيَّ تَعيَّن بذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِهِ وأفعالِهِ بصورٍ مَادِّيَّةٍ أو ذِهْنيَّةٍ، فكانَ حيوانًا وجمادًا وإنسًا وجنًّا وأصنامًا وأوثانًا، وكان وهمًا وظنًّا، وكانت صفاتُهُ وأسماؤُهُ وأفعالُه عين ما لِتِلْكَ الأشياءِ من صفاتٍ وأسماءٍ وأفعالٍ؛ لأنَّها هي هو في مَاهيَّته ووُجُودِهِ المطلق أو المقيَّد، وكُلَّ ما يقترفُه البُغاة، وما تنهش الضَّاريات من لُحُومٍ، وتعرق من عِظَامٍ، فهو فعلُ الرَّبِّ الصُّوفيِّ وخطيئته وجُرْمه... » إِلَىٰ أن قال: «وتَدبَّر ما سأنقلُ لَكَ عن ابنِ الفارض في «تَائيَّتِهِ» فلعلَّه يزول عجبك، ويفيء غضبك، يقول:

جلَّتْ في تَجلِّيها الوجود لنَاظِري ... فَفِي كلِّ مَرْئيٍّ أَرَاها بِرُؤْيَتِي
وأشْهدُ غَيْبي إِذْ بَدتْ فَوَجدتني ... هنَالِك إِيَّاها بجلْوَةِ خَلْوتِي
فَفِي الصَّحْو بعْدَ المَحْو لَمْ أكُ غيرها ... وذَاتِي بذَاتِي إِذْ تَجلَّت تَجلَّتِ

إلىٰ أَنْ قالَ:

فإِنْ دُعيتُ كُنْتَ المُجيبَ وإِنْ أَكُنْ ... مُنَادىٰ أَجابت مَنْ دَعَاني ولَبَّتِ

يَقُول عبد الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنْ دُعيَ اللهُ، أجابَ ابْنُ الفَارِض؛ لأنَّه عينه، وإنْ دُعيَ ابنُ الفارضِ، لبَّىٰ اللهُ؛ لأنَّه اسمه ومُسمَّاه... إِلَىٰ أن قال:

وَلَا فَلَكٌ إِلَّا وَمِنْ نُورِ بَاطِنِي ... بِهِ مَلَكٌ يَهْدِي الهُدَىٰ بِمَشِيئَتِي
وَلَا قَطْرَ إِلَّا حَلَّ مِن فَيْضِ ظَاهِري ... بِه قَطْرة عَنْها السَّحائِبُ سَحَّتِ
وَلَوْلَايَ لم يُوجَد وُجُودٌ ولم يَكُن ... شُهُودٌ ولم تُعْهَدْ عُهُودٌ بِذِمَّتِي
فَلا حيٌّ إِلَّا مِنْ حَيَاتِي حَيَاتُه ... وطَوْع مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيدَةٍ

يَقُولُ: إنَّ كلَّ نَفْسٍ اسْتَمدَّتْ حَيَاتها من حَيَاة ابْنِ الفارضِ؛ لأنَّه هُوَ الله، عليه لَعَناتُ الله المُتَتَابعة.

ثمَّ يَقُول: «إلهُ ابْن عربيٍّ: أمَّا هذا الطَّاغوتُ الأكبرُ، فَقَدِ افْتَرىٰ للصُّوفيَّة ربًّا عجيبًا يجمعُ بَيْن النَّقِيضينِ المتوتِّرين في ذاتِهِ، وبَيْن الحقيقتين في صفاتِهِ، فهو الوُجُودُ الحقُّ، وهو العَدَمُ الصِّرفُ، وهو الخَلَّاقُ، وهو المَخْلوق، وهو عَيْنُ كلِّ كائنٍ وصفاتِهِ، وعين صفاتِ كلِّ مَوْجودٍ وكلِّ مَعْدومٍ، هو الحقُّ الكريمُ، والباطلُ اللَّئيمُ، هو الفكرةُ العبقريَّةُ، والخرافةُ الحمقىٰ، هو الخاطرةُ المُلْهمةُ، والوهمُ الذَّاهلُ، والخيالُ الحيرانُ، والمستحيلُ الَّذي لا يتصور فيه العقل أبدًا... **إلىٰ أن قال:** هو المؤمنُ وهو الكافرُ، هو المُوحِّدُ الخالصُ التَّوحيد، وهو المشركُ الأصمُّ الوثنيَّة، هو الجمادُ الغليظُ، والحيوانُ ذو المشاعر المُرْهفة والحَساسيّة المُتوقِّدة، هو المَلاكُ السَّاجدُ تحت العرش، وهو الشَّيطانُ الَّذي يَصْرخ في سَقَر، هو القِدِّيسُ النَّاسكُ يذوب دَمْعُهُ في دُمُوع التَّسابيح، وهو العِرْبيدُ يضجُّ الماخور من بَغْي خَطَاياه... »، وَلَا أُرِيدُ أن أُطِيلَ عليك. **انظر:** «هذه هي الصُّوفيَّة» لعبد الرَّحمن الوكيل.

ثمَّ يقول: «الرَّبُّ هو صوَر العالم - أي: في عَقِيدة ابن عربيٍّ -: وَاسْمَع إليه يُؤكِّد لكَ أنَّ ربَّه كلُّ ما ترىٰ من صُوَر العالم، هي ظاهر الحقِّ إِذْ هو الظَّاهرُ، وَهُو بَاطِنُها إِذْ هو الباطنُ، وهو الأوَّلُ إِذْ كانَ ولا هي، وهو الآخر إِذْ كانَ عَيْنها». اهـ. «الفُصُوص»[1].

ثمَّ قال: «التَّجسُّدُ في النِّساء:... وإليك نصًّا واحدًا من فُصُوصِهِ يكشفُ لَكَ

---

(١) (ص ١١٢) ط الحلبي.

عن مَدَىٰ إيغال ابن عربيٍّ في عبادة الأنثىٰ: «ولمَّا أحبَّ الرَّجلُ المرأةَ، طلَب الوصلةَ، أي: غاية الوصلة الَّتي تكونُ في المحبَّةِ، فلم يَكُنْ في صورة النَّشأة العُنْصريَّة أعظم من وصلة النِّكاح، ولهذا تعمُّ الشَّهوةُ أجزاءه كلَّها، ولذَلِكَ أُمِرَ بالاغْتِسالِ منه، فَعمَّتِ الطَّهارةُ كما عمَّ الفناءُ فيها عند حُصُولِ الشَّهوة؛ فإنَّ الحقَّ غيورٌ عَلَىٰ عبدِهِ أن يعتقدَ وأن يلتذَّ بغيره، فَطهَّره بالغُسْل، ليرجعَ بالنَّظر إليه فيمَنْ فنىٰ فيه، إذْ لا يكون إلَّا ذَلِكَ، فإذا شاهدَ الرَّجلُ الحقَّ في المرأة، كانَ مَشْهودًا في مُنْفَعلٍ، وإذا شَاهَده في نفسِهِ من حَيْث ظُهُور المرأة عنه، شَاهَده في فَاعلٍ، وإذا شَاهَده في نفسِهِ من غير اسْتِحْضارِ صُوَر ما تكون، كان شُهودُه في مُنْفعلٍ عن الحقِّ بلا واسطةٍ، فشهودُهُ للحقِّ في المرأة أتمُّ وأكملُ؛ لأنَّه يشاهد الحقَّ من حَيْث هو فاعلٌ بلا واسطةٍ، فشهودُهُ للحقِّ في المرأة أتمُّ وأكملُ؛ لأنَّه يشاهد الحقَّ من حَيْث هو فاعلٌ مُنْفَعلٌ». اهـ. «الفصوص»[(١)].

ثمَّ قال: «فَقْرُ الإله الصُّوفيِّ إِلَىٰ الخَلْق: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥].

غير أنَّ الصُّوفيَّةَ تؤمن بإلَهٍ فقيرٍ إِلَىٰ الخَلْقِ؛ فقيرٍ إليهم في وُجُودِهِ، فقيرٍ إليهم في عِلْمِه، فقيرٍ إليهم في بقائِهِ، فقيرٍ إليهم في طعامِهِ وشرابِهِ، فقيرٍ إليهم في كلِّ شيءٍ، يهب له الظُّهور بعد الخفَاء، والوُجُود بعد العَدَم، ويَحُول بَيْنهم وبَيْن الفَناءِ. يقول ابن عربي: فوجُودُنا وُجُودُه، ونَحْن مُفْتقِرونَ إليه من حَيْث وُجُودُنَا، وهو مُفْتقرٌ إلينا من حَيْث ظُهُورِه لنفسِهِ، ويقول: فأنتَ غِذَاؤُهُ بالأَحْكامِ، وهو غِذَاؤُكَ بالوُجُودِ، فتَعيَّن عليه ما تَعيَّن عليكَ، والأمرُ منه إليك، ومِنْك إليه، غير أنَّك تُسمَّىٰ مُكلَّفًا،

---

(١) (ص ٢١٧).

وما كَلَّفك إلَّا بما قلت له: كَلِّفني بحالك، وبما أنتَ عليه، ولا يُسمَّىٰ مُكلَّفًا.

فَيَحْمَدُنِي وَأَحْمَدُه ... وَيَعْبُدُنِي وَأَعْبُدُهُ».

ثمَّ ذكر عن الجيلي وادِّعائه الرُّبوبيَّة العُظْمىٰ حَيْث يقول:

فَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ مَعْدَنٍ وَنَبَاتِهِ ... وَحَيْوَانِهِ مَعْ إِنْسِهِ وَسَجَايَاهُ

وَمَهْمَا تَرَىٰ مِنْ أَبْحُرٍ وَقِفَارِهِ ... وَمِنْ شَجِرٍ أَوْ شَاهِقٍ طَالَ أَعْلَاهُ

إلىٰ أن قال:

فَإِنِّيَ ذَاكَ الكُلُّ وَالكُلُّ مَشْهَدِي ... أَنَا المُتَجَلِّي في حَقِيقَتِهِ لا هُوْ

وإِنِّيَ رَبٌّ لِلأَنَامِ وَسَيِّدٌ ... جَمِيعُ الوَرَىٰ اسْمٌ وَذَاتِي مُسَمَّاهْ

ثمَّ ذكر عن الغزاليِّ، وأنَّه يُدَنْدنُ بوحدة الوُجُود، فيقول: «العارفون بعد العُرُوج إِلَىٰ سماء الحقيقة اتَّفقوا أنَّهم لم يَرَوْا في الوُجُود إلَّا الواحدَ الحقَّ، ولكن مِنْهم مَنْ كان له في هَذِهِ الحالة عرفانٌ علميٌّ، ومنهم مَنْ صارَ له ذوقٌ وحالٌ، فَانْتفَتْ عَنْهم الكثرةُ بالكُليَّة، وَاسْتَغرقوا بالفردانيَّة المحضة، فلَمْ يَبْقَ عِنْدهم إلَّا الله، فسكروا سكرًا وَقَع دُونَه سلطانُ عُقولِهم، فقالَ بَعْضهم: أنا الحقُّ. وقال بَعْضُهم: سبحاني! ما أعظمَ شَانِي!

وقَالَ آخر: «ما في الجُبَّة إلَّا الله».

وكلام العُشَّاق في حال السُّكر يُطْوىٰ ولا يُحْكَىٰ». اهـ. من «هذه هي الصُّوفيَّة»[(١)].

وفي (ص ٥٧) قال المُؤلِّف: «إله ابن عامر البصري: ولكيْ لا تَرْتاب أنَّ ما

---

(١) (ص ٥٣).

ذكرتُه لك هو دين الصُّوفيَّة جميعًا مِن سلَفهم إِلَىٰ خلَفهم ومُعَاصريهم، أذكرُ لك دينَ بَعْض أَصْنامِهم الصَّغيرة، فَاسْمَع إِلَىٰ ابْنِ عامرٍ الَّذي عارض «تائيَّة» ابن الفارض بتائيَّةٍ مثلها؛ وزنًا ومعنىً، ولَطَّخها بنفس الزَّندقة الفارضيَّة، قال:

تَجلَّىٰ لِيَ المَحْبُوبُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنًى وَصُورَةِ

وَخَاطَبَنِي مِنِّي بِكَشْفِ سَرَائِرٍ ... تَعَالَتْ عَنِ الأَغْيَارِ لُطْفًا وَجلَّتِ

فَقَالَ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا قُلْتُ أَنْتَ يَا ... مُنَايَ أَنَا إِذْ كُنْتَ أَنْتَ حَقِيقَتِي»

وفي (ص ٥٨) قال المُؤلِّف: إله الصَّدر القونوي:

«قال في كتابِهِ (مراتب الوُجُود): فالإنسانُ هو الحقُّ، وهو الذَّاتُ، وهو الصِّفاتُ، وهو العرشُ، وهو الكرسيُّ، وهو اللَّوحُ، وهو القلمُ، وهو الملكُ، وهو الجنُّ، وهو السَّموات وكَوَاكبها، والأرضون وما فيها، وهو العَالمُ الدُّنيويُّ، وهو العالمُ الأُخْرويُّ، وهو الوُجُودُ وما حَوَاه، وهو الحقُّ، وهو الخَلْقُ، وهو القديمُ، وهو الحادثُ». اهـ.

ثمَّ ذكر عن النابلسي وابن بشيش والدمرداش وابن عجيبة وحسن رضوان عباراتٍ تُفِيد أنَّهم يُؤمنون بوحدة الوُجُود القذرة.

أمَّا صاحب «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مَرَّةٍ في التَّاريخ» وهو الشَّيخ مُحمَّد عبد الرَّؤوف القاسم، جزاه الله خيرَ الجزاءِ، فهو يقول:

«إنَّ الصُّوفيِّين كلَّهم من أوَّلهم إِلَىٰ آخِرِهم إلَّا المُبْتدِئين منهم، يُؤمِنون بوحدة الوُجُودِ، وما مَضَىٰ ومئات النُّصُوصِ التَّالية هي أدلَّةٌ وبراهين». اهـ. «الكشف»[1].

(١) (ص ١٠٥).

ويقول: «قبل الوُلُوج في مَتَاهاتِ النُّصُوصِ الصُّوفيَّة ودَهَاليزها الملتوية المُتعرِّجة، وزَحَاليقها المتقنة الصُّنع، قبل ذَلِكَ يجب أن نأخذَ فكرةً واضحةً عن الأَسَاليبِ الَّتي يَتَّبعونها في بَسْط أَفْكَارِهم وعَقَائدِهم في أَقْوالِهم وكِتَاباتِهم، في تَوَالِيفهم ودِعَايَاتِهم، لنستطيع فَهْم كَلَامِهم بوُضُوحٍ تامٍّ، وأن نعرفَ أغراضَه وأَهْدافَه، وبدون ذَلِكَ لا نَسْتطيعُ دراسةَ الصُّوفيَّة دراسةً صحيحةً، وسَتكُون دِرَاستُنا لأَسَالِيبِهم من أَسَاليبِهم، ومن أَقْوالِهم وتَوَاصِيهم فيما بَيْنَهم، سَنَرىٰ بوُضُوحٍ تامٍّ في هَذِهِ الدِّراسة ما يلي:

١ - هناك سرٌّ غريبٌ يَتواصَوْن بكتمانِهِ عن غير أهلِهِ.

٢ - أهلُ هَذَا السِّرِّ هُم الصُّوفيَّة.

٣ - هَذَا السِّرُّ هو كفرٌ وزندقةٌ، يُقتَل مَنْ يَبُوح به عَلَىٰ أنَّه مُرْتدٌّ عن الإِسْلامِ.

٤ - يقسمون المجتمعَ الإسلاميَّ إِلَىٰ صِنْفينِ:

أ - أَهْلِ الشَّريعةِ، ويُسمُّونهم أهلَ الظَّاهر، أو أَهْلَ الرُّسُوم، أو أَهْلَ الأَوْراق، أو العامَّة.

ب - أَهْلِ الحقيقة، وهُم الصُّوفيَّة، ويُسمُّونهم أيضًا أَهْلَ البَاطِنِ، وأَهْلَ الأَذْواقِ أو الخاصَّة، وخاصَّة الخاصَّة، وهُمْ كِبَارهم.

٥ - يَتَواصَوْنَ دائمًا وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ أن يُظْهِروا لأَهْلِ الشَّريعة ما يُوافِقهم من الأَحْكامِ الإِسْلاميَّة، وأن يَكْتُموا عَنْهم ذَلِكَ السِّرَّ حتَّىٰ لا تُبَاح دِمَاؤُهُمْ.

٦ - لا يُعرَف هَذَا السِّرُّ إلَّا بالذَّوق، أَنْ يَذُوقه الإنسانُ بنفسِهِ، وضَرَبوا لذَلِكَ مثلًا باللَّذَّة الجنسيَّة، لا يَعْرفها إلَّا مَنْ ذَاقَها.

٧ - في العادة يَرْمزونَ إِلَىٰ الذَّاتِ الإلهيَّة بأسماءٍ مُؤنَّثةٍ، مثل: ليلىٰ وبثينة وغيرها.

قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ». اهـ. «الكشف»[(١)].

لقَدْ ملأ كتابَ «الكشف عن الصُوفيَّة لأوَّل مَرَّة» مُؤلِّفُهُ بمئاتِ النُّصُوص الصُّوفيَّة الَّتي تُفِيد أنَّ أصْحابَها يؤمنونَ بوحدة الوُجُود، وخَصَّص لها بابًا أو فصلًا في (ص١٠٥) قال فيه: «الفصل الثَّالث وحدة الوُجُود عقيدةُ كلِّ الصُّوفيَّة»، وساقَ فيه نُصُوصًا كثيرةً جدًّا في مئةٍ وسبعٍ وخمسين صفحةً (١٥٧)، ولَوْلا أنِّي أخْشَىٰ عليك المللَ والسَّآمةَ، لأوردتُ كثيرًا منها؛ لا حبًّا في تلك النُّصُوصِ، ولا رغبةً في سَمَاع أو كتابةِ ما فيها من الكُفْرِ والزَّنْدقةِ، ولكن رغبةً في إقناع أقوامٍ لا يُصدِّقون في فلانٍ وفلانٍ أنَّ صُوفيَّتَهم صُوفيَّةٌ مَذْمُومةٌ، وكأنَّهم قَدْ تَيقَّنوا أنَّ الصُّوفيَّةَ منها ما هو مَذْمومٌ، ومِنْها ما هو غير مَذْمومٍ، ولنعلم أنَّ الصُّوفيَّةَ كلَّها مَذْمومةٌ؛ لأنَّ مَنْ لم يؤمن بوحدة الوُجُودِ منهم قَدْ اسْتَمْرأها من غيره، فسَكَت عنها ولم يُنْكرها، ولم يُنْكر عَلَىٰ أَصْحابِها، وربَّما عَظَّمهم، وتعظيمُهُ إيَّاهم عَلَىٰ ما عِنْدَهم من الكُفْر جريمةٌ كُبْرَىٰ، ومن جهةٍ أُخْرَىٰ، فإنَّ مَنْ دَخَل في الصُّوفيَّةِ أقلُّ أحوالِه أن يَسْتَمرئَ الشِّرْكَ الأكبرَ، فلا يُنْكره، بل يَرَاه حسنًا أو مباحًا، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون، ماذا جرَّت الصُّوفيَّةُ عَلَىٰ الإسْلَام من بلاءٍ، وماذا خرَّبت فيه من تخريبٍ.

وأخيرًا:

فإنَّ عقيدةَ وحدة الوُجُود عقيدةُ إلحادٍ وزندقةٍ وتأليهٍ للمادَّة، وهي في ذَلِكَ تُشَابهُ الشُّيوعيَّةَ شبهًا بيِّنًا، فالشُّيوعيَّةُ شِعارُها: «لا إلهَ، والحياةُ مادَّةٌ»، فألَّهوا بذَلِكَ المادَّةَ، وهي كلُّ ما نراه في هَذَا الكونِ، والصُّوفيَّةُ يَقُولون في وحدة

---

(١) (ص١٧، ١٨).

وُجُودِهم: «لا شيءَ في هَذَا الكون سِوَىٰ الله»، وكلُّ ما نراه ونَسْمعه ونُحسُّه بأيِّ نوعٍ من أنْواعِ الإِحْساسِ فهو الله، فهو الإنسُ والجنُّ والملائكةُ، وهو الطَّيرُ والهوامُّ والحشراتُ الزَّاحفةُ، وهو البحرُ المائجُ، والبرُّ المترامي، والهواءُ الطَّلْق، وهو الشَّجَرُ والحَجَرُ، وهو الجِيفةُ العفنةُ والشَّهوةُ العارمةُ، وهو الحيُّ الحياة الَّتي تَسْري في الأحياءِ، وهو الموتُ الَّذي يُصيِّرُ المَيِّتَ جُثَّةً، وهو الَّذي يُولد ويموتُ، وهو كلُّ شيءٍ».

وبقليلٍ مِن التَّفكير نَرَىٰ أنَّ كلَّ ما قالُوه هو المادَّةُ الَّتي أَلَّهها الشُّيوعيُّون، ويَتَّضحُ لنا أنَّ هذهِ الأشياءَ قائمةٌ بنفسها، وأنَّ الخالقَ لها والمُتصرِّفَ فيها هو الله الَّذي اتَّفقتْ عَلَىٰ إنكارِه النِّحلةُ الشُّيوعيَّةُ، والنِّحلةُ الصُّوفيَّةُ، سواء كان ذلكَ بقصدٍ أو بغير قصدٍ.

ولقَدْ عقَد مُؤلِّفُ كتاب «الكشف عن الصُّوفيَّة لأوَّل مرَّة» فصلًا في آخر كتابِهِ ببيان التَّشابه بَيْن الصُّوفيَّة والشُّيوعيَّةِ، وهو آخرُ فصلٍ فيه (ص ٨٧١) قَالَ فيه: هناك تشابهٌ عجيبٌ بَيْن الصُّوفيَّة والشُّيوعيَّة، ومن وُجُوه هَذَا التَّشابه:

١ - الصُّوفيَّةُ والشُّيوعيَّةُ تَلْتقيان بعقيدة وحدة الوُجُود، والخلافُ بَيْنهما لفظيٌّ، فالصُّوفيَّةُ تقول: «لا موجودَ إلَّا الله، وكلُّ الموجودات هي الله»، والشُّيوعيُّون يقولون: «لا موجودَ إلَّا المادَّة، وكلُّ الموجودات هي المادَّة»، إذًا فالخلافُ في التَّسمية فقط، هؤلاء يُسمُّونها: الله - تعالىٰ اللهُ عن قَوْلهم -، وهؤلاء - (أي: الشُّيوعيَّة) - يُسمُّونها: المادَّة.

٢ - الصُّوفيَّةُ والشُّيوعيَّةُ تَلْتقيان في الكذبِ الَّذي لا يَعْرف الحُدُودَ، فالصُّوفيَّةُ يَكْذبون عَلَىٰ الله ومخلوقاتِهِ من العرش إِلَىٰ الفرش من دون خوفٍ ولا حياءٍ،

والشُّيوعيُّونَ شِعارُهم: اكْذبْ، ثمَّ اكْذبْ، ثمَّ اكْذِبْ، وسوف يُصدَّق الكذبُ.

٣ - تَلْتقيانِ في الكَيْد للدِّين والمَكْر به، مثلًا تقول الصُّوفيَّةُ: إنَّ الصُّوفيَّةَ نَزَلَتْ وَحْيًا من اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وكانَ مُحمَّدٌ ﷺ صُوفيًّا، وأخذَ الطَّريقة عنه أبو بكرٍ وعمر وعليٌّ وغيرهم، والشُّيوعيُّون يقولون: إنَّ الإِسْلَامَ دينُ الاشتراكيَّة، وقَدْ كانَ مُحمَّدٌ ﷺ اشتراكيًّا.

قلتُ[1]: وتَلْتقيانِ في العَدَاءِ للدِّين الصَّحيح، وهو دينُ التَّوحيدِ والحقِّ والعدلِ والعقيدةِ الصَّحيحةِ، فالصُّوفيَّةُ تخصُّ بعَدَائها السَّلَفيِّين، وتُسمِّيهم الوَهَّابيِّينَ مع أَنَّها تَتَعَاطف مع سَائِرِ النِّحَل الوثنيَّة والباطلة حتَّىٰ ولو كانوا مِمَّنْ يَزْعمون لأنفسهم أَنَّهم عَلَىٰ السُّنَّةِ والسَّلَفيَّةِ، وقَدْ رأينا كيفَ تَعَاطف الإخوانيُّون مع الشِّيعة وإمامهم الخميني، وزَعَموا أنَّ الشِّيعةَ هُمْ أهلُ الإِسْلَام الصَّحيح وَحْدهم، وَنَسَوْا أو تَنَاسَوْا أنَّ الشِّيعةَ يُؤلِّهون الأئمَّةَ، ويَسبُّون الصَّحابةَ، ويُبيحونَ الزِّنا مُمثَّلًا في المُتْعة، أمَّا الشِّرْكُ فلَيْس من قَوَاعِدهم إنكارُه، ولا مَحبَّة مَنْ يُنكرُه.

والشُّيوعيَّةُ تُعَادي الإِسْلَامَ وحده، وتَتعَاطفُ مع سَائِر الأديانِ، فتَشَابَهتا في ذَلِكَ... ثمَّ قال:

٤ - وتَلْتقيانِ بتأْليهِ البشر وَعِبَادَتِهم وتَقْديسهم في حَيَاتِهم، وبَعْد مَوْتِهم؛ فالمُتصوِّفةُ يُؤلِّهون سَدَنَةَ الصُّوفيَّة وكَهَنتها (الشُّيوخ) بشكلٍ عامٍّ، وشيخَ طَرِيقتِهم بشَكْلٍ خاصٍّ، والشُّيوعيَّةُ يُؤلِّهون الشُّيوعيَّةَ وكُهَّانها (ماركس ولينين وماوتسي تونغ) وغيرهم بشكلٍ عامٍّ، وحاكمَ بَلَدِهم بشكلٍ خاصٍّ.

٥ - تَلْتقيان في سجن الفَرْدِ المُنْتمي إليها في زنزانةٍ فكريَّةٍ لا تَسمح له

(١) القائل هو: شيخنا المؤلف - حفظه الله -. محمد بن هادي.

بالتَّطلُّع خارجها.

٦ - تَلْتقيانِ أو تتشَابهانِ في الغاية، فالصُّوفيَّةُ تُعِدُّ مُرِيدَها أن يكونَ هو الله المُتصرِّف في الكَوْن، والشُّيوعيَّةُ تُعِدُّ مُرِيدَها أن يكونَ سَيِّد مَصِيرِه.

٧ - تَدَّعي الصُّوفيَّةُ أنَّها الطَّريقُ إِلَىٰ السَّعادةِ الأبديَّة الَّتي لا تزيد عَنْ كَوْنِها تَلْبيسًا وخدعةً، والشُّيوعيَّةُ تَدَّعي أنَّها تُؤدِّي إِلَىٰ نَعِيم الإنْسانِ والَّذي لا يَزِيد عن كونِهِ تَلْبيسًا وخدعةً.

٨ - كِلْتاهما تَنْبذان الآخرة، وقَدْ مرَّ مَعَنا قولهم: «وَاخْلَعْ نَعْلَيك؛ الدُّنيا والآخرة».

إِلَىٰ أن قالَ: «تشابهٌ بَيْن الضَّلالتين يُثِير الانتباهَ، وتلاقٍ يَبْعث عَلَىٰ التَّساؤل».

وَأَخيرًا: فهذِهِ هي الصُّوفيَّةُ، وهذِهِ عَقِيدتُها، إيمانٌ بالمادَّة، وكفرٌ بالله، إيمانٌ بالكَشْف الشَّيطانيِّ للشُّيُوخ، وكفرٌ بالقرآن، تَصْديقٌ للخرافة، وجُحُودٌ للتَّوحِيدِ، انغماسٌ في البِدَعِ، ورفضٌ للسُّنَن، إيمانٌ بالباطل، وكفرٌ بالحقِّ، تطاولٌ عَلَىٰ عَظَمة الله وأُلُوهيَّته، وادِّعاءٌ لها، أمنٌ مِنْ مَكْر الله، وتَجرُّؤٌ عَلَىٰ مَحارِمِ الله، وتَعدٍّ لحُدُودِهِ، وطغيانٌ وتجاوزٌ للحُدُودِ البشريَّة بناءً عَلَىٰ التَّخييلاتِ الشَّيطانيَّةِ الَّتي حَوَتْ كلَّ شرٍّ، وخَلَتْ من كلِّ خيرٍ.

وبالجُمْلة، فما كيدَ الإِسْلَامُ بشَيْءٍ أعظم من الصُّوفيَّةِ، فاللهُ المُستعانُ.

ظُرُوف نَشْأتها، أي: دَعْوة جماعة التَّبليغ:

يَرَىٰ أَبُو الحَسَنِ النَّدوي في كتابٍ كتَبه للشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الشَّيخَ محمَّد إلياس لجأ إِلَىٰ هذهِ الطَّريقةِ في الدَّعوة بَعْد أن أَعْيَتْهُ السُّبلُ التَّقليديَّة في إِصْلاح أَهْل منطقتِه[1].

(١) من رسالة كتبها أبو الحسن لسماحة الشيخ ابن باز تأييدًا للجماعة في ١٨/ ٥/ ١٤٠١هـ بواسطة =

قلتُ: أيُّ إصلاحٍ يُرجَىٰ مِمَّنْ يؤمن بوحدة الوُجُود، إنْ كانَ المقصودُ هو الإصلاح الصَّحيح، أمَّا الإصلاحُ في حسبانهم فهو إدخالُ العامَّة في صُوفيَّتهم وَوَثنيَّتهم، إيمانٌ بالقبُور، وعُكوفٌ عليها، وتأليهٌ لأَصْحابها.

قال - أي: الحصين في «الدَّعوة إِلَىٰ الله» (ص ٦٣) -: «وينقل الشَّيخ محمد أسلم عن مَلْفوظاتِ[1] إلياس لمحمد منظور النعماني، قول الشَّيخ محمد إلياس نفسه: «إنَّه انْكشَف عَلَىٰ هَذِهِ الطَّريقة بأَنْ أُلْقِي في رُوعِهِ في المنام تفسيرٌ جَيِّدٌ لقولِه تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، يَقْتضي الخُرُوجَ للدَّعوة إِلَىٰ الله، فإنَّها لا تَتحقَّق بالإقامةِ في مكانٍ واحدٍ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿أُخْرِجَتْ﴾، وأنَّ الإيمانَ يَزْداد بهذا الخُرُوج، بدليلِ قولِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ بعد قولِه: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وبعد قولِه: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وأنَّ معنىٰ ﴿أُمَّةٍ﴾: العرب. ومعنىٰ ﴿لِلنَّاسِ﴾: الأعاجم، أمَّا العرب فقَدْ قِيلَ في حَقِّهم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وأنَّ النِّيَّةَ في الدَّعوةِ إِلَىٰ إِصْلاح النَّفس بدليل قوله (تؤمنون)، وقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾، ولم يقُل: (خيرًا لكم)».

وتعليقي عَلَىٰ هَذَا المقطع ما يلي:

١ - أنَّ القرآنَ لا يُفسَّر بالمناماتِ والكُشوفِ الصُّوفيَّة الَّتي هي من الشَّيطان.

٢ - قوله: «إنَّ الدَّعوةَ لا تَتحقَّق إلَّا بالخُرُوجِ، وأنَّها لا تَتحقَّقُ بالإقامةِ في

=

«حقيقة الدعوة إلىٰ الله» (ص٦٣).

(١) «جماعة التبليغ» ميان محمد أسلم (ص ١٤) بواسطة «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للحصين (ص٦٣).

مكانٍ واحدٍ»: هَذَا كلامٌ باطلٌ، فقَدْ تَحقَّقتْ دعوة النَّبيِّ ﷺ وهو مُقِيمٌ في مكَّة، وتَحقَّقتْ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو مقيمٌ بالدّرعيَّة، ومَنْ فَتحَ مدرسةً وعلَّم النَّاس، تَحقَّقت الدَّعوةُ عَلَىٰ يديه إذا أَخْلصَ ونصحَ وهو مقيمٌ، فالدَّعوةُ تَنْتشر وصَاحبُها مقيمٌ في مكانٍ مُعيَّنٍ.

٣ - وأمَّا قوله: «إنَّ الإيمانَ يزيدُ بالخُرُوجِ»، فهَذَا كلامٌ غيرُ صحيحٍ أيضًا، بَلْ يزيدُ بالطَّاعة أيًّا كان نَوْعها إذا توفَّر فيها شَرْطَا القَبُول؛ بأَنْ تكونَ خالصةً لله، وصوابًا عَلَىٰ ما شَرَعه رَسُولُهُ ﷺ؛ قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۝٧٦﴾ [مريم: ٧٦].

فَقِرَاءةُ القرآنِ بالتَّدبُّر، وقراءةُ السُّنَّةِ، والتَّفقُّهُ في الدِّين، والذِّكْرُ المَشْروع، ونَوافِلُ الصَّلاةِ والصَّدقةِ والصَّومِ، وغير ذَلِكَ، هَذِهِ هي الَّتي تزيد في الإيمانِ، لَيْس مُجرَّد الخُرُوجِ.

٤ - أمَّا قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ فهَذَا قَدْ تَركَه التَّبليغيُّون مرَّةً واحدةً، فهُمْ حتَّىٰ الأمر بالمَعْروفِ صراحةً لا يَفْعلونه، ولا يُحبُّون مَنْ فَعَله، أمَّا النَّهي عن المنكر فإنَّهم لا يَقْتصرون عَلَىٰ تَرْكه، ولَكنَّهم يَغْضبون أشدَّ الغضبِ، وينفرون أشدَّ النُّفور مِمَّنْ ينكر منكرًا ولَوْ كان في البيان كما يَقُولون، ولو قالَ المُنْكِر له: ما بالُ أقوامٍ كما قال النَّبيُّ ﷺ، فإنَّهم يَشْمئزُّون من ذَلِكَ جدًّا، وربَّما فَصَلُوه إنْ كانوا قَدْ أَدْخلوه في حِزْبهم.

٥ - أمَّا تفسير ﴿أُمَّةٍ﴾ بأنَّهم العرب خاصَّة، و﴿لِلنَّاسِ﴾ بأنَّهم العَجَم، فهَذَا التَّفسيرُ لم أرَ له فيه سَلفًا، بل الخطابُ لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ عامَّةً؛ عربهم وعجمهم، وفي الحديث: «أَنْتُمْ تُوفونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُم خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣) (٢٠٠٣٧) من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحَسَّنه الألبانيُّ في

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَحْنُ خَيْرُ النَّاس للنَّاسِ، نَسُوقُهُمْ بالسَّلَاسِلِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ»[١].

وقالَ عبدُ الله بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هُمُ الَّذين هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ، وَشَهِدُوا بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَةَ»[٢].

وقال عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ فَعَلَ فِعْلَهُمْ، فَهُوَ مِثْلُهُمْ»[٣].

وفي الحديثِ الصَّحيح: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، الحديث[٤].

فتبيَّن أنَّ الخيريَّة ثابتةٌ لهذه الأُمَّةِ عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ، ولِصَدْرِ هَذِهِ الأُمَّة عَلَىٰ مَنْ بَعْدهم، وللسَّابقين إِلَىٰ الإِسْلَام، ونُصْرة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد مَعَه من الصَّدر الأوَّل عَلَىٰ غيرهم.

٦ - يَظْهر من فَحْوىٰ كلامِهِ أنَّ العربَ لَيْسوا بحاجةٍ إِلَىٰ تَذْكيرٍ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حقِّهم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام: ١٠٧].

=
«الجامع الصغير» (٤٠٦٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال: «خَيرُ النَّاس للنَّاس تَأْتُونَ بهم في السَّلاسِل في أعناقِهم، حتَّىٰ يدْخُلوا في الإِسْلَام».

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠١).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠١) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لو شاء الله لقال: «أنتم»، فكنّا كلّنا، ولكن قال: ﴿كُنتُمْ﴾ في خاصةٍ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَنْ صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمّة أُخرجت للنَّاس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر».

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإنْ كان قَصْده هذا، فهو قولٌ باطلٌ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذي الخَلَصَةِ**»[1]، وهُوَ صَنمٌ لدوسٍ كَانُوا يَعْبدونَه في الجاهليَّةِ، وقالَ أيضًا: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْربُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[2].

٧ - قوله: «وأنَّ النِّيَّةَ في الدَّعوةِ إِلَىٰ إِصْلاحِ النَّفس بدليل قوله: (تُؤمنون)، وقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾، ولم يقل: خيرًا لكم» وصلاح الغير هي الدَّعوةُ المبنيَّةُ عَلَىٰ التَّوحيد، وأن تكونَ خالصةً لله، صوابًا علىٰ شَرْعِه.

منهج دعوة التَّبليغ:

قال الشَّيخ سعد الحصين: «لا يُعْرف عن الجماعةِ إصدارُ وثيقةٍ واحدةٍ عن مَنْهجها، فهي لا تَسْتخدم نُظُمَ الإدارة الحديثة في تَسْيير شُؤونِها، إنَّما يتمُّ التَّخطيطُ والتَّنفيذُ بالطَّريقةِ البسيطةِ الأُولَىٰ دون حاجةٍ إِلَىٰ الثَّقافةِ العالميَّةِ المستوردة.

ولا يَظْهرُ مِنْ مَنْهجِها للمُشَارِك العَادِي في نَشَاطها إلَّا قراءة السُّورِ العَشْر الأَخِيرة من القُرْآنِ مَعَ فَاتحةِ الكِتَابِ، والقِرَاءة في كِتَابِ «رياض الصَّالحين» للنَّووي، وكتاب «حياة الصَّحَابة» للكاندهلوي (من قصص عن الصَّحابة لا يَثْبت أَكْثرُها)، وَهُمَا للعَرَبِ خاصَّةً، وكتاب «تبليغيّ نصاب» لمحمَّد زكريا، وهو لغير العرب، وهو فَضَائلُ الأَعْمال، ويقومُ عَلَىٰ القصَّةِ والحديثِ الضَّعيفِ والموضوعِ والخُرَافة والبِدْعة غالبًا، ولا يَخْلو من الشِّرْكِ، وسَأَعْرض منها أمثلةً

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. و«**الأليات**»: معناها: الأعجاز؛ جمع: أَلْيَة، والمراد: يضطربْن من الطواف حول ذي الخَلَصَة، أي: يكفرون ويرجعون إلىٰ عبادة الأصنام وتعظيمها. و«**دَوْس**»: قبيلة من اليمن.

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

قليلةً إن شاء الله.

يُضَاف إِلَىٰ ذَلِكَ أُصُول الجماعةِ السِّتَّة، وتَغلَّب عَلَيها في الأَعْوامِ الأخيرة تَسْميتها بـ«الصِّفاتِ السِّتّ المختارة من صفات الصَّحابة»، ويَبْدو أنَّ قيادة الجماعة لجأتْ إِلَىٰ هَذَا التَّغيير للتَّخلُّص من اتِّهامها بِاسْتِبْدالِ أُصُولها السِّتَّة بأركانِ الإِسْلَام الخمسة.

والأُصُولُ السِّتَّةُ أو الصِّفاتُ السِّتُّ كما تَرِد في خُرُوجهم، هي:

١ - تحقيق الكلمة الطَّيِّبة: «لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رَسُولُ الله».

٢ - الصَّلاةُ ذات الخُشُوع والخُضُوع.

٣ - العِلْمُ بالفَضَائلِ لا المسائل مع الذِّكْرِ.

٤ - إكرام المسلم.

٥ - تصحيح النيَّة.

٦ - الدَّعوةُ إِلَىٰ الله، والخُرُوجُ في سبيل الله (علىٰ منهج التَّبليغ).

ولكلِّ من هَذِهِ الأُصُول أو الصِّفات مَقْصدٌ وفضيلةٌ وطريقةُ حُصُولٍ مُحدَّدٍ.

فمَقْصد «لا إله إلَّا الله» عَلَىٰ سبيل المثال: إخراجُ اليَقِينِ الفاسدِ من القلبِ عَلَىٰ الأشياء، وإِدْخَالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله، وأنَّه لا خالقَ إلَّا الله، ولا رازقَ إلَّا الله، ولا مُدبِّرَ إلَّا الله.

وفَضِيلتُها: قولُ رَسُولِ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَل الجنَّة»[1].

وطريقةُ الحُصُولِ عليها: تَرْديدها»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٢١).

(٢) من كتاب: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله» للحصين، جزاه الله خيرًا.

وملاحظاتي عَلَىٰ هَذَا المقطع وعلىٰ قوله: «فمَقْصد لا إلهَ إلَّا الله: إخراجُ اليقين الفاسد عَلَىٰ الأشياء، وإدْخالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله»: أنَّه كلامٌ خطيرٌ يُقرِّر فيه قائلُهُ وحدةَ الوُجُود، ولكن في قالبٍ وعبارةٍ لا تُنكَر عليه، فاليقينُ الفاسدُ عند أصحاب وحدة الوُجُودِ هو التَّوحيدُ الَّذي جَاءَتْ به الرُّسُلُ، واعتقادُ أنَّ كلَّ ما في هَذَا الكون هو خَلْقٌ لله، وأنَّ اللهَ مُسْتوٍ عَلَىٰ عرشِهِ، بائنٌ من خَلْقِهِ، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ.

ولهذا يقولُ بَعْضهم وهو عبد السلام بن بَشِيش: «وزُجَّ بي في بحار الأَحَديَّة، وانشلنِي من أَوْحالِ التَّوحيدِ، وأَغْرقني في عين بحر الوحدة حتَّىٰ لا أَرَىٰ ولا أسمعَ ولا أحسَّ إلَّا بها»[1].

فهُمْ يَعْتقدونَ أنَّ التَّوحيدَ أَوْحالٌ[2]، ويَعْتبرون وحدة الوُجُودِ هي اليقينُ الصَّحيحُ، وأن تَتيقَّن أنَّ كلَّ ما تُشَاهده هو الله - جلَّ الله عمَّا يقولون -، ولكنَّهم يَتسترَّون عَلَىٰ ذَلِكَ، ويَأْتون بعباراتٍ مُحْتملةٍ حتَّىٰ لا يُحْكَمَ عليهم بالرِّدَّة، فيُقْتلوا، ويذهبَ القَبُولُ لهم عند العامَّة، والتَّصريحاتُ في كُتُبهم كثيرةٌ، لكنَّهم لا يَبُوحُونَ بها إلَّا علىٰ أَمْثالِهم، فإذا ماتَ القائلُ نَشَروا مَقُولاتِه، فإذَا قال أَحَدُهُمْ: «لا إله إلَّا الله»، فإنَّه يعتقدُ في هَذِهِ الكلمة أنَّه لا مَوْجودَ إلَّا الله، بمَعْنىٰ أنَّ كلَّ الموجودات هِيَ الله، وإنْ كنتَ في شكٍّ مِمَّا قرَّرته عَنْهم، فإليك هَذَا الذِّكْر، وهو من أذكار النَّقشبنديَّة.

قال في «الكشف عن الصُّوفيَّة»: «ومن أَذْكَار النقشبنديَّة: ذِكْر النَّفي والإثبات

(١) «النفحة العلية في الأوراد الشاذلية» (ص ١٨).

(٢) انظر كتاب: «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» لمحمود عبد الرؤوف القاسم (ص٢٤٨).

(لا إله إلَّا الله)، جاءَ فِي آدابِهِ:... ضاربًا بلفظ الجلالة إِلَىٰ القلب منفذًا إِلَىٰ قَعْره، بقوَّةٍ يتأثَّر بحَرارتِها جميع البدن، مع مُلَاحظة مَعْنَىٰ هذه الجُملة، وهو أنَّه لا مَقْصودَ إلَّا ذات الله تَعَالىٰ، وينْفي بشقِّ النَّفي «لا إله» جميعَ المُحْدثاتِ الإلهيَّة، ويَنْظرها بنَظَر الفَناءِ، ويُثبت بشقِّ الإثبات «إلَّا الله» ذات الحقِّ تَعَالىٰ، وينظره بنَظَر البَقاءِ»[١].

ومَعْنَىٰ «نظر الفَناء» عندهم: أنْ ينظر إِلَىٰ المَخْلوقاتِ مع تَعدُّدها وتَعدُّد أَسْمائِها وصِفَاتِها - أنَّها شيءٌ واحدٌ، هو الله، جلَّ الله عمَّا يَقُولون، وتَعالىٰ عُلوًّا كبيرًا.

وقالَ فِي المَرْجع السَّابق: «ومِنْ أَوْرادِهم - أي: الشَّاذليَّة - مُنَاجاة ابن عَطَاء الله، وتُقْرَأ فِي السَّحَر: إلَهي كُلَّما أَخْرَسني لُؤمِي، أَنْطقنِي كَرمُك، وكُلَّما أيأستني أَوْصَافِي، أطمعتني مِنَّتُك، وتَردُّدي فِي الآثارِ، يُوجِبُ بُعْد المزار، فَاجْمعنِي عليك بخِدْمةٍ تُوصِلني إليك».

تأمَّل فِي العِبَاراتِ الآتية: «أيكونُ لِغَيْرِكَ من الظُّهُور ما ليس لكَ حتَّىٰ يكون هو المظهر لَكَ، مَتَىٰ غبت حتَّىٰ تحتاجَ إِلَىٰ دليلٍ يدلُّ عليك، ومَتَىٰ بعدت حتَّىٰ تكونَ الآثارُ هي الَّتي تُوصِل إليك، حَقِّقني بحَقَائِق أَهْلِ القرب، وَاسْلك بي مَسَالِكَ أَهْلِ الجذب، أنتَ الَّذي أَشْرقَتِ الأنوارُ في قُلُوبِ أَوْليائِك، أنتَ الَّذي أزلتَ الأغيارَ من أَسْرار أَحِبَّائك». اهـ[٢].

توْضيحُ هَذهِ العبارةِ أو العباراتِ:

مَعْنىٰ قولِهِ: «أيكون لِغَيْرك من الظُّهُور ما لَيْس لك حتَّىٰ يكونَ هو المظهر لك»: يعني أنَّه لا يعقل في عُقُولِ أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ المُنْحرفة أن يكونَ لغيرِهِ

(١) المصدر السابق (ص ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٧).

من الظُّهور ما لَيْس له حتَّىٰ يكونَ ذَلِكَ الغير هو المظهر له، وعلىٰ هَذَا فيكون: أنَّ كلَّ ما ظَهَر لك فرأيته ببَصَرِك، أو سَمِعتَه بأُذُنِك، أو لمستَه بيَدِكَ، فهُو الله، عياذًا بالله من ذَلِكَ.

وعلىٰ هَذَا المعنىٰ يُحْمَل قولُهُ: «متىٰ غبتَ حتَّىٰ تحتاجَ إِلَىٰ دليلٍ يدلُّ عليك، ومتىٰ بعدتَ حتَّىٰ تكون الآثارُ هي الَّتي تُوصِل إليك»: يَعْني أنَّك لم تَغِبْ، بل أنتَ موجودٌ نَراكَ ونَسْمعُك ونَلْمسُك، فأنتَ الشَّمسُ، وأنتَ القمرُ، وأنتَ الكواكبُ، وأنتَ السَّماءُ، وأنتَ الأرضُ، وأنتَ الصَّخرُ، وأنتَ الإنسانُ، وأنتَ كلُّ شيءٍ نَرَاه ونَسْمعُهُ ونَلْمسُهُ، ولو كانَ حقيرًا كالكلبِ والخنزيرِ، أو مُسْتَقذرًا كالجيفِ والنَّتنِ.

اللَّهمَّ فَاكْتُبْ لَعَناتك المُتَتابعةَ وغَضبَك المستمرَّ عَلَىٰ الصُّوفيَّةِ المارقةِ الَّذين يَزْعمون أنَّك حَلَلْتَ في الفَرْجِ المَنْكُوحِ، والطَّعامِ المأكولِ، والجيفةِ المُسْتحيلةِ.

فهَلْ هناك كفرٌ أعظمُ من هَذَا الكفر؟ ! كلَّا[1]!

---

(١) قال محمد زكريا الكاندهلوي في كتابه: «فضائل الصدقات» (ص٥٥٦): أريد أن أسجل هنا قصتين لأكابرنا كنموذج:

إحداها: رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرة الكنكوهي قدّس سرّه، الَّتي كتبها إلىٰ شيخه شيخ العرب والعجم، الحاج إمداد الله أعلىٰ الله مرتبته... يقول: «إنَّ إطالة الكلام إساءة أدب، اللهمّ اغفر، فإنَّما كتب بأمر الشيخ، أنا كذّاب، أنا لا شيء، لا ظلَّ إلَّا ظلّك، ولا وجود إلَّا وجودك، من أنا؟، لا شيء، وما أنا هو أنت، وتفريق أنا وأنت هو شرح محض، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقول أيضًا في كتابه: «تبليغي نصاب» فضائل القرآن (ص٣٠٠): «إنَّ الحق - سبحانه - منبع في الواقع لكل حسن وجمال، والحق أنَّه لا يوجد في الكون جمال سواه».

قلت: فانظر إلىٰ هذا الضلال والانحراف في عقيدة وحدة الوجود الكفريّة عند شيخ الجماعة محمد زكريا الكاندهلوي.

=

نقلتُ لَكَ هَذِهِ النُّقُولَ وهي قليلٌ من كثيرٍ، لتستيقن أنَّ ما قلتُه عَنْهم أنَّهم حِينَما يَقُولون: «لا إله إلَّا الله» إنَّما يَقْصدون مَعْنىٰ أنَّه لا يُوجَد إلَّا الله، وأنَّ هَذِهِ عَقِيدتُهم الَّتي يَتستَّرون عليها، وأنَّ معنىٰ قولِهِ: «إخراجُ اليقينِ الفاسدِ عَلَىٰ الأشياء، وإدخالُ اليقينِ الصَّحيح عَلَىٰ ذات الله»، لا يقصد به إلَّا هَذَا الاعتقاد الخبيث كما أوضحتُهُ سابقًا.

ومِمَّا يدلُّ عَلَىٰ صِحَّة ما أوضحتُهُ أنَّ محمد إلياس كان يجلسُ في المُراقَبة الجشتية عِنْدَ قَبْر عبد القدوس الكنكوهي الَّذي طَغَتْ عليه فكرةُ أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ، ولو كان مُنْكِرًا لهذه الفكرة ما جَلَس عند قبرِ مَنْ قالها، وأقرَّها، وتَفوَّه بها.



=

وإذا أردت أخي المسلم معرفة ضلال هؤلاء، فاقرأ كتاب: «الديوبندية»، ففيه بيانٌ شافٍ لضلال وانحراف جميع مشايخ التبليغ في جميع أبواب العقيدة بلا استثناء، فجزىٰ الله مؤلِّفه خيرًا. محمد بن هادي.

فصل
فيما ذكره عنهم الشيخ
حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال: «وأمَّا في بابِ السُّلُوكِ فهُمْ صوفيَّةٌ، والصُّوفيَّةُ من شرِّ أَهْلِ البِدَعِ، وقَدْ تقدَّم ذِكْر الطُّرُق الأربع الَّتي كانوا يُبَايعونَ أَتْباعَهم عليها - قال: هي الجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية - قال: ومِنْ أَوْرَادِهم: «إِلَّا الله» أربع مئة مرَّةٍ، و«الله، الله» ست مئة مرَّةٍ يوميًّا، والأنفاس القدسيَّة عشر دقائق يوميًّا، وتَتحقَّق بالْتِصاقِ اللِّسان في سَقْف الفَمِ، والذِّكْر بإِخْراجِ النَّفَس من الأنف عَلَىٰ صورة لفظ «الله»، والمُرَاقبة الجشتية نصف ساعةٍ أسبوعيًّا عند أَحَد القُبُور بتَغْطية الرَّأس، والذِّكْر بهذه العبارة: «الله حاضري، الله ناظري»، وهذِهِ الأَوْرَادُ بِدَعٌ وضلالاتٌ مخالفةٌ لما كان عليه رَسُولُ الله ﷺ، وأصحابُهُ، والتَّابعون لهم بإِحْسانٍ.

وقَدْ ذَكَر بعضُ العُلَماءِ عَنِ التَّبليغيِّين نوعًا آخر من الذِّكْر، وهو أنَّهم يُكرِّرون كلمة: «لا إله» ست مئة مرَّة، و«إِلَّا الله» أربع مئة مرَّة، وذِكرٌ آخر عن عددٍ كثيرٍ من الرِّجال أنَّهم سَمِعوا جماعةً من التَّبليغيِّين الهنود وهُمْ في بيتٍ في شارع المنصور في مكَّة يُكرِّرون كلمة «لا إله» نحوًا من ست مئة مرَّة، ثمَّ بعد ذَلِكَ يُكرِّرون كلمة «إِلَّا الله» نحوًا من مئتي مرَّة، ويقولون ذَلِكَ بصوتٍ جماعيٍّ مُرْتفعٍ يَسْمعه مَنْ كان في الشَّارع، وذَلِكَ بحضرة شيخ من كِبَارِ مَشَائخهم الهنود، وقَدِ استمرَّ فِعْلهم هَذَا مُدَّةً طويلةً، وكانوا يَفْعلون ذَلِكَ في الشَّهر مرَّتين؛ مرَّةً في

نصفِهِ، ومرَّةً فِي آخرِهِ.

ولا شكَّ أنَّ هذا من الاستهزاءِ باللهِ وبذِكْرِه، ولا يَخفىٰ عَلَىٰ مَنْ له عِلْمٌ وفهمٌ أنَّ فِعْلهم هَذَا يَتضمَّنَ الكفرَ ست مئة مرَّة؛ لأنَّ فَصْل النَّفي عن الإثبات في قول: «لا إله إلَّا الله» بزَمَنٍ مُتراخٍ بَيْن أوَّلِ الكلمةِ وآخِرِها عَلَىٰ وَجْه الاختيار، يَقْتضي نَفْي الأُلُوهيَّة عن الله ست مئة مرَّة، وذَلِكَ صريحُ الكفر، ولَوْ أنَّ ذَلِكَ وَقَع من أحدٍ مَرَّةً واحدةً لكانَ كفرًا صريحًا، فكيفَ بمَنْ يفعل ذَلِكَ ست مئة مرَّة في مَجْلسٍ وَاحِدٍ؟!

ثمَّ إنَّ إِتْيانَهم بكَلِمةِ الإثبات بَعْد فَصْلها عن كَلِمةِ النَّفي بزَمَنٍ مُتراخٍ لا يُفِيدهم شيئًا، وإنَّما هو التَّلاعبُ بذِكْرِ الله والاستهزاءِ به، وهذا المنكرُ القبيحُ والضَّلالُ البعيدُ من نَتائجِ تَقْليدهم لشُيُوخِهم؛ شُيُوخِ السُّوءِ والجهلِ والضَّلالِ الَّذين أَغْواهم الشَّيطانُ، وزَيَّنَ لهم ما كَانُوا يَعْملون». اهـ[(١)].

وقال أيضًا: «ومِمَّا ذَكَره بعضُ العُلماءِ عن التَّبليغيِّين أيضًا: أنَّ رجلًا من طَلَبة العِلْمِ خَرَج مَعَهم من المدينةِ إِلَىٰ الحناكية، وأميرهم أحد رُؤَسَاء جماعة التَّبليغ، وفِي أثناءِ اللَّيل رَأَىٰ أَحدهم يهتزُّ، ويقول: هو.. هو.. هو، فأَمْسَكه، فترك الحركةَ وسكتَ، وفي الصَّباح أخبر أميرهم بما فَعَله الهنديُّ الصُّوفيُّ التَّبليغيُّ، فأنكرَ الأميرُ عَلَىٰ طَالِبِ العِلْم إنكارَه عَلَىٰ التَّبليغيِّ، وقال له بغضبٍ شديدٍ: أنت صرتَ وَهَّابيًّا، والله، لَوْ لِي من الأمر شيءٌ، لأحرقتُ كُتُبَ ابن تيمية، وابن القيِّم، وابن عبد الوهَّاب، ولم أترك عَلَىٰ وَجْه الأرض منها شيئًا.

ففَارَقهُمْ طالبُ العِلْم حينَ سَمِع منه هَذَا الكلامَ السَّيِّئ؛ لأنَّه عَرفَ عَداوَتهم لأَهْلِ العِلْمِ والهُدَىٰ من أَهْلِ التَّوحيدِ وأَنْصار السُّنَّةِ، وعَرَف مُحاربَتهم لكُتُبِهم

(١) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» لمؤلفه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المُشْتملة عَلَىٰ تَقْرير التَّوحيدِ والدَّعوة إليه، وإِخْلاص العِبَادةِ لله وَحْده، والنَّهي عن الشِّرْك والبِدَعِ والخُرافَاتِ وأنواع الضَّلالاتِ والمنكراتِ والتَّحذير مِنْها ومن أَهْلِها... ».

إِلَىٰ أن قالَ: «ومِنْ أَوْرَادِ التَّبليغيِّين أيضًا: «دلائل الخيرات» ذكر ذَلِكَ بَعْض العلماء عَنْهم[١]، وفي هَذَا الكتابِ من الشِّرْك والغلوِّ والأحاديث المَوْضُوعة ما لا يَخْفىٰ عَلَىٰ مَنْ نوَّر اللهُ قلبَه بنُورِ العِلْم.

وذكر بعضُ العلماءِ عن التَّبليغيِّين[٢] أنَّهم يَعْتنون بالقصيدةِ الَّتي تُسمَّىٰ

(١) بل سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وهو من كبار رؤوس التبليغيين وعلمائهم:

«س/ ما قولكم في تكثير الصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ، وقراءة: «دلائل الخيرات»، والأوراد؟

فأجاب: يستحب عندنا تكثير الصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ، وهو من أرجىٰ الطاعات، وأحب المندوبات، سواء كان ذلك بقراءة «الدلائل»، والأوراد الصلواتية المؤلفة في ذلك، أو بغيرها، وكان شيخنا العلامة الكنكوهي يقرأ «الدلائل»، وكذلك المشايخ الآخرون من ساداتنا، وقد كتب في إرشاداته مولانا ومرشدنا قطب العالم، حضرة الحاج إمداد الله قدس سره العزيز، وأمر أصحابه بأن يجربوه، وكانوا يروون «الدلائل» روايةً، وكان يجيز أصحابه «بالدلائل» مولانا الكنكوهي رحمة الله عليه». اهـ. من كتاب «المهند علىٰ المفند» (ص ٤١) السؤال السّابع. محمد بن هادي.

(٢) مثال ذلك ما قاله الشيخ حسين أحمد المدني، وهو ديوبندي تبليغي محترق خرافي منحرف: «إنَّ الوهابية الخبيثة ترىٰ أنَّ الإكثار من الصَّلاة والسَّلام علىٰ النَّبيِّ عليه السلام، وقراءة «دلائل الخيرات»، و«قصيدة البردة»، و«القصيدة الهمزية»، وغيرها، وجعلها وردًا، أمر قبيح جدًّا، كما أنَّهم يعدُّون بعض أبيات «قصيدة البردة» شركًا، كبيت:

يَـا أَشْـرَفَ الخَلْـقِ مَـا لِـي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ ... سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الحَـادِثِ العَمِـمِ

وأمَّا مشايخنا الأجلَّاء: فكانوا يمنحون أتباعهم وثائق لقراءة «دلائل الخيرات»، وغيرها، ويأمرونهم بالإكثار من قراءتها، ومن الصلاة والسلام علىٰ النبي عليه السلام، وقد كان الشيخ الكنكوهي، والشيخ النانوتوي - رحمة الله عليهما - يقرآن «دلائل الخيرات»، كما أنَّهما منحا الإجازة لقراءتها لآلاف من أتباعهما». اهـ.
=

بـ«البُرْدة» وبالقَصِيدةِ «الهَمزِيَّة»، وفيها من الشِّرْك والغُلُوِّ ما هو مَعْروفٌ عند أَهْلِ العِلْمِ من أَهْلِ التَّوحِيدِ».

قلتُ: والقَصِيدتَانِ في مَدْح النَّبيِّ ﷺ، وقَدْ أسرفَ صَاحِباهُما في الغُلُوِّ في النَّبيِّ ﷺ بما لا يَرْضاه النَّبيُّ ﷺ.

قال الشَّيخ التويجري: «وأهمُّ كتابٍ عند التَّبليغيِّين كتاب: «تبليغي نصاب»؛ الَّذي أَلَّفه أحدُ رُؤسَائِهم المُسمَّىٰ محمد زكريا الكاندهلوي، ولهُمْ عنايةٌ شديدةٌ بهَذَا الكِتَابِ، فهم يُعظِّمونه كما يُعظِّمُ أَهْلُ السُّنَّةِ «الصَّحيحين»، وقَدْ جَعَل التَّبليغيُّون هَذَا الكتابَ عُمْدةً ومَرْجعًا لهم - أي: الهنود وغيرهم من الأعاجم التَّابعين لهم - وفيه من الشِّرْكيات والبِدَعِ والخُرافَاتِ والأَحَاديثِ الموضوعة والضَّعيفة شيءٌ كثيرٌ، وهو في الحقيقةِ كتابُ شرٍّ وضلالٍ وفتنةٍ، وقَدِ اتَّخذه التَّبليغيُّون مَرْجعًا لنَشْر بِدَعِهِمْ وضَلَالاتِهم وتَرْويجها وتَزْيينها للهمج الرَّعاع الَّذين هم أضلُّ سبيلًا من الأَنْعام.

ومِمَّا زَيَّنوه لهم: إيجابُ زيارة قَبْر النَّبيِّ ﷺ بعد الحجِّ، واستدلُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ بأحاديثَ مَوْضوعةٍ».

وذكر عن الأستاذ سيف الرَّحمن أنَّه ذكر في كتابِهِ المُسمَّىٰ: «نظرة عابرة اعتباريَّة عن الجماعة التَّبليغيَّة»[1]: أنَّ كبارَ أَهْلِ التَّبليغ يُرَابطون عَلَىٰ القُبُور،

=

من «الشهاب الثاقب» (ص٦٦) بواسطة كتاب: «الديوبندية».

فانظر إلىٰ الضلال المبين في محاربة أهل التوحيد، ووصفهم بأخبث الأوصاف، وتولي أهل الشرك والخرافة، والذب عنهم وعن باطلهم، فهل من عاقلٍ منصفٍ؟ محمَّد بن هادي.

(١) (ص٤٧).

وينتظرون الكشفَ والكراماتِ والفُيُوضَ الرُّوحيَّة من أَهْل القُبُورِ، وذكر أنَّهم يُقرُّون بمسألة حياة النَّبيِّ ﷺ وحياة الأولياء حياةً دُنيويَّةً لا حياةً برزخيَّةً كعادة القُبُوريِّين.

وذَكَر عَنْه أَيْضًا في كتابِهِ الَّذي تَقدَّم ذِكْره أنَّ من الشِّرْكياتِ الرَّائجة عند التَّبليغيِّين: تَعْليقَ التَّمائمِ والحُرُوزِ والحُجُبِ الَّتي تَشْتمل عَلَىٰ الطَّلاسم، والأَسْماء الغريبة، والمُرَبعات، والأَرْقام، والرُّمُوز المُبْهمة الَّتي لا تَخْلو من الالْتِجاءِ لغَيْر الله وَالاسْتِعاذَة به.

وذَكَر عَنْه أيضًا أنَّه ذَكَر في كتابِهِ المَذْكور[1] أنَّ من أُصُولهم تَعْطيلَ جَمِيع النُّصُوصِ الوَاردة في الكِتَابِ والسُّنَّةِ بصَدَدِ الكُفْر بِالطَّاغوتِ، وبصَدَدِ النَّهْي عن المُنْكَرِ تعطيلًا باتًّا، وذكَر أيضًا مِن أصولهم: التَّجنُّب بشدَّةٍ بل المنع بعنفٍ مِن الصراحة بالكفر بالطَّاغوت، ومن الصَّراحة بالنَّهي عن المنكر، وتَعْليل ذَلِكَ بأنَّه يورث العناد لا الإصلاح.

وذَكَر لهم أيضًا أُصُولًا كثيرةً ابْتَدعوها، وَشَذُّوا بها عن المُسْلمين، وكلُّها من أُصُولِ الغيِّ والضَّلال.

ولا يَخْفىٰ ما في أُصُولهم المذكورة ها هنا من المُعَارضة للكتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّ الله تَعالىٰ يَقُول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]»[2].

قال: «وقَدْ دلَّت الآيةُ الأُولىٰ عَلَىٰ أنَّ الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوة الوُثْقىٰ له شَرْطان

---

(١) (ص١١).

(٢) انظر: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

لا بُدَّ منهما:

أحدهما: الكُفْرُ بالطَّاغوت.

والثَّاني: الإيمان بالله.

فمَنْ أتىٰ بهٰذين الشَّرطين، فَقَدِ اسْتَمْسك بالعُرْوة الوُثْقىٰ، ومَنْ لم يأتِ بهما أو تَرَك واحدًا مِنهما، فلَيْس له حظٌّ في الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ.

والعُرْوةُ الوُثْقىٰ هي الإيمانُ، وقيل: الإسْلامُ، وقيل: (لا إله إلَّا الله)، وقيل: الحبُّ في الله، والبُغْض في الله.

قال ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره): وكلُّ هذه الأَقْوالِ صَحِيحةٌ، ولا تنافيَ بينها. اهـ[1].

وإذا عَرَضْنا الأُصولَ الثَّلاثةَ الَّتي تَقدَّم ذِكْرها من أُصول التَّبليغيِّين عَلَىٰ نصِّ الآية الكريمة الَّتي تَقدَّم ذِكْرها، تَبيَّن لنا أنَّه لا حظَّ لهم في الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ؛ لأنَّهم قَدْ تركُوا شَرْطًا من شُرُوطِ الاسْتِمْساكِ بها، وهُوَ الكُفر بالطَّاغوتِ، ومَنْ لَيْس لهم حظٌّ من الاسْتِمْسَاكِ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ، فلا خَيْرَ فيهم، ولا في مُرَافَقتِهِمْ، ولا الخُرُوج معهم.

ثُمَّ إنَّ التَّبليغيِّين لم يَقْتصروا عَلَىٰ تَرْك التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوت، بل ضَمُّوا إِلَىٰ ذَلِكَ ما هو شرٌّ منه، وهو التَّجنُّبُ بشدَّة، والمنعُ بعُنْفٍ من التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوت، وتَعْطيلهم جميعَ النُّصُوصِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصَدَد الكُفْر بالطَّاغوتِ، وهذا من زيادة ارْتِكاسِهم في الغيِّ والضَّلال، عَافَانا الله وإِخْوانَنا المسلمين مِمَّا ابْتلَاهُمْ به.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٤).

وأمَّا تَرْكهم التَّصريحَ بالنَّهي عن المنكر، وتَجنُّبهم ذَلِكَ بشدَّةٍ، ومنعهم منه بعُنْفٍ، وتَعْطيلهم لجَمِيعِ النُّصُوصِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصَدَد النَّهْي عن المُنْكر، فهو من أَوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ زَيْغهم وفَسَادِ مُعْتقدهم، وسُلُوكِهم طريق الغيِّ والضَّلالِ الَّذي ذَكَره الله عَزَّوَجَلَّ عن العُصَاةِ من بَنِي إِسْرائيلَ، وذَمَّهم عَلَىٰ ذَلِكَ ولَعَنهم، فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

ورَوَىٰ الإمامُ أحمد، وأبو داود، والتِّرمذيُّ، وابن ماجه عَنْ عبد الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرائيلَ في المَعَاصي، نَهَتْهُمْ عُلَماؤُهُمْ فلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ في مَجَالِسِهِمْ، وآكَلُوهُمْ، وشَارَبُوهُمْ، فضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ ببعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْن مَرْيَمَ، ذَلِكَ بمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»، وكان رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا فجَلَس، فقال: «لا والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حَتَّىٰ تَأْطُرُوهُمْ عَلَىٰ الحَقِّ أَطْرًا[(١)]»، هَذَا لفظُ أحمد والتِّرمذيِّ[(٢)].

ولفظ أبي دَاودَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ أَوَّلَ مَا دَخَل النَّقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَىٰ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا صَنَعُوا ذَلِكَ، ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ ببَعْضٍ»، ثمَّ قالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) أي: حتىٰ تعطفوهم علىٰ الحقِّ عَطفًا، وتُلْزموهم به إلزامًا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) (٣٧١٣)، والترمذي (٣٠٤٧)، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (١٣٨٨).

مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة: ٧٨]، إِلَىٰ قولِهِ: ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨١]، ثمَّ قالَ: «كَلَّا واللهِ، لتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، ولتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، وَلتَأْخُذُنَّ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ، وَلتَأْطُرُنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَطْرًا، وَلتَقْصُرُنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ قَصْرًا[(١)]»[(٢)]، زادَ في روايةٍ: «أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ ببعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»[(٣)].

وفِي هَذَا أَبْلغُ ردٍّ عَلَىٰ التَّبليغيِّين الَّذين لا يُبَالون بالنَّهي عن المُنْكر، ولا يَعدُّونه من وَاجِبَاتِ الإِسْلَام، وقَدْ زَادُوا عَلَىٰ ما ذَكَره اللهُ عن بَنِي إِسْرائِيلَ بزِيَاداتٍ من الغَيِّ والضَّلالِ؛ وهي تَجنُّبهم الصَّراحة في النَّهي عن المُنْكر بشِدَّةٍ، ومنعهم من ذلكَ بعُنفٍ، وتَعْطيلهم جميع النُّصوصِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّةِ بصدَدِ النَّهي عن المُنكر، وفي هَذَا أَوْضَحُ دليلٍ عَلَىٰ مُخَالفتِهِمْ لطريقِ الرُّسُلِ صَلَواتُ الله وسلامُهُ عليهم». اهـ[(٤)].

الملاحظات نعدُّها باختصارٍ؛ لأنَّ الكَلامَ فيها قَدْ تقدَّم، أمَّا ما لم يُذْكر من المُلاحظاتِ، أي: ما تجدَّد، فسأذكُرُه مع التَّوضيحِ:

الملاحظة الأُولَىٰ: أنَّ مُؤسِّسَ جماعة التَّبليغِ نَشأ عَلَىٰ الصُّوفيَّةِ، وأَخَذ فيها بَيْعتَينِ، وعَاشَ عليها إِلَىٰ أَنْ ماتَ، لذَلِكَ فهو صوفيٌّ عريقٌ في الصُّوفيَّةِ.

الملاحظة الثَّانية: أنَّه كانَ يُرَابط عند القُبُور، ينتظر الكَشْفَ والفُيُوضاتِ

---

(١) أي: لتحبسنَّه عليه، وتُلزمنَّه إياه. انظر: «عون المعبود» (١١/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود» (٩٣٢).

(٣) أخرجها أبو داود (٤٣٣٧)، وضَعَّفها الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود» (٩٣٣).

(٤) من «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري، رحمه الله، ورفع درجته في الفردوس.

الرُّوحيَّةَ من أصْحابِها.

الملاحظة الثَّالثة: أنَّه كانَ يُرَابط في المُراقَبة الجشتية عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي؛ الَّذي كان يُؤمِن بفكرة وحدة الوُجُودِ.

الملاحظة الرَّابعة: المراقبة الجشتية: أَنْ يجلسَ عند القبر نصفَ ساعةٍ مِن كلِّ أُسْبوعٍ بتَغْطية الرَّأس، والذِّكْر بهذه العبارة: «اللهُ حَاضِري، اللهُ نَاظِرِي»، وهذا العملُ إِنْ كانَ لله، فهو بِدْعةٌ، وإنْ كانَ الخُضُوعُ لصاحبِ القبر فهو شِرْكٌ بالله، والأخيرُ هو الظَّاهرُ؛ لأنَّه لَوْ كان هَذَا الخُضُوعُ لله لعمِلَه في المسجد ولم يجلس عند القبر، فلمَّا جَلَسَ عند القبر بهذا الخُضُوعِ، كان ذَلِكَ دليلًا عَلَىٰ أنَّه قَصَد بهذا الخُضُوعِ صاحبَ القبر.

الملاحظة الخامسة: أنَّ مُؤسِّسَ هَذِهِ الجماعة وأَتْباعَه في السُّلُوكِ صُوفيَّةٌ يَعْملون عَلَىٰ أربع طُرُقٍ، هي: الجشتية، والنقشبندية، والسَّهروردِيَّة، والقادرية[1].

---

(١) يقول خليل أحمد السهارنفوري - وهو من كبار التبليغيين الديوبنديين - كما تقدم في كتابه: «المهند علىٰ المفند» (ص٣٠)، وهذا الكتاب ألَّفه خليل لبيان معتقدات علماء ديوبند للرَّدِّ علىٰ الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته، وعلماء ديوبند هم التبليغيّون، قال: «ليعلم أولًا قبل أن نشرع في الجواب، أنَّا بحمد الله ومشايخنا - رضوان الله عليهم أجمعين - وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلّدون لقدوة الأنام، وذروة الإسلام، الإمام الهمام، أبي حنيفة النّعمان - رضي الله تعالىٰ عنه - في الفروع، ومتّبعون للإمام الهُمام أبي الحسن الأشعري، والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصّوفيّة إلىٰ الطريقة العليّة المنسوبة إلىٰ السادة النقشبنديّة، والطريقة الزكية المنسوبة إلىٰ السادة الجشتية، وإلىٰ الطريقة البهية المنسوبة إلىٰ السادة القادرية، وإلىٰ الطريقة المنسوبة إلىٰ السادة السهروردية، رضي الله عنهم أجمعين». اهـ.

وقد اعترف أميرهم الَّذي هلك منذ ثلاث سنوات تقريبًا إنعام الحسن، وكتب ذلك بخطّ يده أنَّهم يأخذون البيعة علىٰ الطَّرائق الأربع المذكورة، ونشر اعترافه هذا في الوثائق التي بآخر كتاب: «وقفات مع جماعة =

والملاحظة السَّادسة: أنَّ جُلُوسَ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة عند قبر مَنْ يؤمن بوحدة الوُجُودِ يدلُّ عَلَىٰ أنَّه يؤمن بها، ولَوْ لم يكن يُؤمِن بها ما جَلَس عند قبر مَنْ يُؤمِن بها عَلَىٰ تِلْك الهيئة وذَلِكَ الخُضُوع، عَافَانا اللهُ ممَّا ابْتَلاهُمْ.

الملاحظة السَّابعة: أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة صوفيٌّ قُبُوريٌّ خرافيٌّ.

الملاحظة الثَّامنة: أنَّ مَسْجِدَهُمُ الَّذي انْطَلَقَتْ منه دَعْوتُهم فيه أَرْبعة قُبُورٍ، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ مِنْ شِرَارِ الخَلْق الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ، ألا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، الحديث في «الصَّحيحين»[1].

الملاحظة التَّاسعة: أنَّ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة يُؤمِن بالكَشْف كما ظَهَر من قولِهِ في تَفْسير آية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أنَّه فَسَّرها بالكَشْف الصُّوفيِّ، ولا يجوز أن يُفسَّر القرآنُ بالكَشْفِ الصُّوفيِّ.

الملاحظة العاشرة: أنَّ التَّبليغيِّين يَتعبَّدون بالذِّكر المُبْتَدع عَلَىٰ طريقة الصُّوفيَّةِ، وهو تَفْريقُ كلمةِ التَّوحيد: «لا إله إلَّا الله».

الملاحظة الحادية عشرة: أنَّ مَنْ قَطَع النَّفيَ عن الإثبات عمدًا بأَنْ يقولَ: «لا إله» لَزِمَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الكُفْر، وأنَّ مَنْ قال: «لا إله» خمس مئة مرَّة، فقَدْ كَفَر خمس مئة مرَّة، كما قرَّر ذَلِكَ الشَّيخُ حمُود التّويجري نقلًا عن العُلماء.

=

التبليغ» لنزار الجربوع، فانظره إن أردت غير مأمور.

قلت: ولمعرفة هذه الطرائق وضلالها انظر كتاب: «الماتريدية» (١/ ١٧٥) لصاحبه شمس الدين الأفغاني السلفي، وهو أطروحة نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية من قسم العقيدة بكليّة الدعوة وأصول الدّين. محمد بن هادي.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) من حديث أمّ سلمة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا، وعند مسلم أيضًا (٥٣٢) من حديث جندب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

الملاحظة الثَّانية عشرة: أنَّ الذِّكرَ بهذه الصِّفة الَّتي عَلَيها الصُّوفيُّون بِدْعةٌ وضَلالةٌ لا يَجُوزُ التَّعبُّدُ به، فمَنْ يقول: «لا إله» خمس مئة مرَّة، ثمَّ يقول: «إلَّا الله» أربع مئة مرَّة، فإنَّه مُبْتدعٌ ضَالٌّ، بل كافرٌ؛ لأنَّه فَصَل النَّفيَ عن الإثْباتِ، ومَنْ فَعَل ذَلِكَ عمدًا، كَفَر وإنْ كانَ جاهلًا لم يُعْذر بالجَهْلِ.

الملاحظة الثَّالثة عشرة: أنَّهم أو بَعْضهم يَجْعلون وِرْدهم حرز الجوشن، وَفِيهِ بدعٌ وشِرْكيَّاتٌ كثيرةٌ.

الملاحظة الرَّابعة عشرة: أنَّهم يُجِيزون حَمْلَ الحُرُوزِ الَّتي فيها طَلَاسم وأَسْماء مَجْهولة لعلَّها أسماء شَيَاطين، وهذَا لا يَجُوزُ.

الملاحظة الخامسة عشرة: أنَّهم يَعْتقدونَ أنَّ حياةَ النَّبيِّ ﷺ وحياةَ الأَوْلياءِ حياةٌ دُنيويَّةٌ ليست حياةً برزخيَّةً.

الملاحظة السَّادسة عشرة: أنَّهم يَجْهلُونَ توحيدَ الأُلُوهيَّةِ، ولا يَجْعلونَ له قيمةً ولا اهتمامًا في حِسَابِهم لما قَدْ تقدَّم تَوْضيحُهُ في الملاحظاتِ السَّابقةِ.

الملاحظة السَّابعة عشرة: وَهُمْ في تَوْحيدِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ أشعريَّةٌ ماتريديَّةٌ، وإنْ كانوا يَقْرؤونَ الحديثَ للبَرَكَةِ.

الملاحظة الثَّامنة عشرة: أنَّ عِبَارَاتِهم تَدُور حولَ تَوْحيدِ الرُّبوبيَّة، وهذا التَّوحيدُ لا يُدْخِل أحدًا في الإِسْلَام، كما لم يُدْخِلْ مُشْركي العرب فيه.

الملاحظة التَّاسعة عشرة: أنَّهم يُبْغضونَ دُعَاةَ التَّوحيد الَّذين يُسمُّونهم بالوَهَّابيَّة[1]؛ كابْنِ تَيْمية، وابْنِ القَيِّم، وَابْنِ عبد الوهَّاب، وهذا يدلُّ علىٰ

(١) انظر ذلك فيما تقدَّم (ص ٢٨٩) تعليق رقم (٢) وقولهم عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنصار دعوته: «الوهابيَّة الخبيثة». محمَّد بن هادي.

انحرافِهم وخُبثِهم.

الملاحظة العشرون: أنَّهم لا يُصرِّحون بوُجُوب الكفر بالطَّاغوتِ، ولا يَرْضون لأحدٍ أن يتكلَّم عن الكُفْر بالطَّاغوتِ، ويَغْضبونَ غضبًا شديدًا إنْ تكلَّم أحدٌ عن ذَلِكَ، بل ويَطْردونَه من بَيْنهم.

الملاحظة الحادية والعشرون: أنَّهم لا يَنْهونَ عن مُنْكرٍ، ولا يُصرِّحون لأحدٍ بإنكار أيِّ منكرٍ؛ بل يَعدُّون التَّنصيصَ عَلَىٰ بَعْض المُنْكراتِ يُنَافي الحِكْمةَ كَما زَعموا، واللهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ ذمَّ بَنِي إِسْرائيلَ ولَعَنهم بِسَببِ عَدَم تَناهِيهم عن المُنْكرِ، فقَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، فهَلَ تَرىٰ أنَّهم هُمْ أَعْلمُ أم الله؟ !

الملاحظة الثَّانية والعشرون: أنَّ قولَ مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة: «فمَقْصد (لا إله إلَّا الله) إخْراجُ اليَقِين الفاسدِ من القَلْب عَلَىٰ الأشياءِ، وإدْخالُ اليَقِينِ الصَّحيح علىٰ ذات الله»؛ مَفْهومه الإيمان بوحدة الوُجُودِ، وهو أنَّ اليقينَ الفاسدَ عِنْدهم ما يعتقدُهُ كلُّ مُسْلمٍ أنَّ كلَّ ما نَرَاه ونَسْمعه ونَلْمسه ونحسُّه، فهو مَخْلوقٌ إلَّا كلام الله، فهو صفةٌ مِن صفاتِهِ غير مَخْلوقٍ، واللهُ خالقُ هذا الكونِ، والمالكُ له، والمُتصرِّفُ فيه، وهو مُسْتوٍ بذاتِه علىٰ عرشِه، بائنٌ من خَلْقِه، وعلمُه بكلِّ مكانٍ، فهذه العقيدةُ باطلةٌ عند أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ، وَاعْتقادُها اعتقادٌ باطلٌ وفاسدٌ عِنْدهم، واليقينُ الصَّحيحُ علىٰ ذاتِ الله: أنَّه لَيْس علىٰ العرش، وأنَّ الرَّبَّ كلُّ ما نراه من المَخْلوقاتِ كما سَبَق أَنْ بَيَّنته ودَلَّتْ عليه مِنْ كَلامِهم وتَصْريحاتِهِمْ وأَوْرادِهم.

وعلىٰ هذا، فمَعْنىٰ «لا إله إلَّا الله» أنَّه لا مَوْجودَ إلَّا الله، وذَلِكَ نفيٌ لوُجُودِ

كلِّ مَوْجودٍ إلَّا الله تَعَالىٰ، تَعَالىٰ الله عن قَوْلهم عُلُوًّا كبيرًا.

الملاحظة الثَّالثة والعشرون: اعْتِقادُهُمْ في المناماتِ والكراماتِ والحِكَاياتِ والخُرَافاتِ، وأنَّ فُلانًا خرجَ من عند أهلِه، وأغْلق عليهم البابَ، ومكَث عَنْهم أَرْبعة أشهرٍ، ثمَّ عادَ إليهم فوَجَدهم عَلَىٰ أحسنِ حالٍ، ولمَّا سألهم، قالوا له: إنَّ عجوزًا تَدْخل عَلَيهم وتَخْدمهم، وقَدْ سمعتُ مثلَ هَذَا من بَعْضهم بأُذني، ويَزْعمونَ أنَّ هَذِهِ كرامةٌ تدلُّ عَلَىٰ أنَّ عَملَهم مَرْضيٌّ لله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

الملاحظة الرَّابعة والعشرون: أنَّ المُؤَسِّسَ لهذه الجَماعَةِ قَدْ نَصَّبَ نَفْسَه مُشرِّعًا، فشَرَع لأَتْباعِه هذهِ الأركانَ السِّتَّةَ أو الصِّفات السِّتَّ، وشَرَع لهم الخُرُوجَ ثَلاثةَ أَيَّامٍ، أو عشرة أيَّامٍ، أو أَرْبعين يومًا، أو أربعة أشهرٍ... إلخ، وهذا يُعَدُّ تَشْريعًا لأتباعِه، وإذا وقَف أتباعُه عَلَىٰ ما رَسَمه لهم ولم يَتَجاوزُوه، فقَدْ جعَلوه مُشرِّعًا لهم حيث مَشَوا علىٰ الخُطَّة الَّتي رَسَمها لهم ممَّا سبَق ومن غيره؛ كعَدَم التَّصريح بالكُفْر بالطَّاغوتِ، وعَدَم التَّصريح بإِنْكار المُنْكر، إِلَىٰ غير ذلكَ.

الملاحظة الخامسة والعشرون: ما ذَكَره الشَّيخ حمّود التويجري نقلًا عن الأُسْتاذ سيف الرَّحمن بن أحمد في كتابِهِ: «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة» أنَّ لهم شَبهًا بالشِّيعة في عدَّة أمورٍ، فقالَ: وقَدْ ذَكَر سيف الرَّحمن في كتابِهِ أنواعًا كثيرةً من مُشَابهة التَّبليغيِّين للشِّيعة[(٢)]، و: «مَنْ تَشبَّه بقَوْمٍ فَهُو مِنْهُمْ»[(٣)]، وهَذَا مُلخَّص ما ذَكَره.

---

(١) بل هذه خرافات ما أنزل اللهُ بها مِن سُلطان، عليهم مِن الله ما يستحقُّون.

(٢) انظر: «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة» لسيف الرَّحمن بن أحمد (ص ٥٦، ٥٧).

(٣) لفظُ حديثٍ أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (٤٣٤٧).

قال: «ومِمَّا لا يَخفَىٰ أنَّ لَهم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخفاءِ الشَّتمِ بالأَجسَامِ، ولهم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخفاءِ ما في كُتُبِهم، ولهم الشَّبَه بالشِّيعةِ في إخفاءِ كثيرٍ من عقائدهم المبتدعة في الغُلوِّ والضلالِ والتطرُّفاتِ النَّائيةِ، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في التَّقيَّةِ باسمِ الحِكمة والاحتياطِ، حيثُ يُظهرون شيئًا، ويُخفون شيئًا، ويُحرِّفون الكَلِمَ عن مَواضعِهِ ويقولون شيئًا ويفعلون شيئًا، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في كثيرٍ من التَّأويلاتِ النَّائيةِ عن طريقِ السَّلَفِ الصَّالحِ، ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في بُعدِهم عن النُّصُوصِ، وعن العِلْمِ بالنُّصُوصِ،

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في تَحديدِ عِلمِهم، وعِلْمِ طائفتِهم في كُتُبِهم المعروفةِ عِندَهم دُونَ غيرِها من الكُتُبِ، ودُونَ غيرِهم من عُلماءِ المُسلمين،

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في مَنعِ أتباعِهم عن البَحثِ وطَلَبِ الحقِّ من عندِ غيرِهم،

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في جَعلِ مُعظَمِ الدِّينِ مَحصورًا في المَناقِبِ والمثالبِ وتَعظيمِ الأكابرِ،

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في المَقدرةِ عَلَىٰ المُغالطاتِ والمُبالغاتِ.

ولهم شَبَهٌ بالشِّيعةِ في المَقدرةِ عَلَىٰ النِّفاقِ وإظهارِ التَّوحيدِ وإخفاءِ الإشراكِ؛ بل النِّداءِ بالتَّوحيدِ وتَرويجِ الإشراكِ»[1].

ثُمَّ ذَكَرَ في نَفسِ الصَّفحةِ أوجهَ الشَّبَهِ بَينَهم وبَيْنَ القاديانيين أيضًا، نقلًا عن كتابِ سَيفِ الرَّحمنِ أحمد «نظرة عابرة اعتباريَّة في الجماعة التَّبليغيَّة»، فمَنْ شاءَ الازْدِيادَ فَلْيرجِعْ إلَىٰ ذينك الكتابين أو أحدهما، واللهُ المُوفِّق لمَنْ يشاءُ من عبادِهِ، وهو الهادي إلىٰ صراطٍ مُستقيمٍ.

---

(١) انظر كتاب: «العطر الطيب» للمصنف أشرف علي التهارفوري، (ص ٥، ٦) من كتاب: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشيءٍ من التصرف.

الباب الحادي عشر

في بيان وجوب السّير على منهج النّبي ﷺ في الدّعوة إلى اللّه وغيرها

الباب الحادي عشر
في بيان وجوب السّير على منهج
النّبيّ ﷺ في الدّعوة إلى الله وغيرها

لقَدْ بَعَث اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ عَلَىٰ حين فَتْرةٍ مِن الرُّسُلِ، وانْطِماسٍ مِن السُّبُلِ، فدَعَا إِلَىٰ الله ليلَ نهار، وصَبَر وصَابَر حتَّىٰ نَشَر الله عَزَّوَجَلَّ دعوتَه، ففَتَح بها أَعْينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلفًا، وهَدَىٰ به من الضَّلالةِ، وعَلَّم به من الجَهالَةِ، كَسَّرَ به الأصنامَ، وأبادَ به الأوثانَ، وأزالَ بِهِ عِبادةَ المَخْلُوقينَ، وأرْسَىٰ به دَعَائِمَ التَّوحيدِ، وثَبَّتَ أساسَ المِلَّة عَلَىٰ عبادة الله وَحْده دون سِوَاهُ، فَدانَتْ له ولأَصْحابِهِ من بعده بذَلِكَ العرب، ومَلَكوا به العجم.

ومَكَّن اللهُ لهذا الدِّين وحَمَلته، فكَسَروا المُلُوكَ، وابتَزُّوا الممالكَ حتَّىٰ وَصَلوا إِلَىٰ مَشَارفِ الصِّين شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، وإلىٰ أَسْوار القسطنطينيَّة شمالًا، وتَحقَّق بذَلِكَ وَعْدُ الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين المُوحِّدين بالنَّصر والتَّمكين، حيث يقول عزَّ من قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

فظَهَر الدِّينُ، وَانْتَشر الإِسْلَامُ، وكان بذَلِكَ الدِّينُ كلُّه لله، فكانَ مَنْ دَخَل في الإِسْلَام يَعْلم أنَّ دُخُولَه في الإِسْلَام يعني رَفْض العُبُوديَّة لغير الله، والاتِّجاه بها

إِلَىٰ خَالِق هذا الكون ومُبدعه، وهو اللهُ ربُّ العَالَمين، وواهبُ الحياة، وخَالِقُ الأحياءِ ورَازِقُهُمْ، والمُتصرِّفُ فيهم، كانَ يَعْلم ذلكَ الصَّغيرُ مِنهم والكبيرُ، والذَّكَرُ والأُنثىٰ، والحرُّ والعبدُ، والعَامِّيُ والمُتعلِّمُ.

وتَحقَّق بذَلِكَ ما قَالَه نبيُّ الهُدَىٰ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ بالتَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(١).

ولقَدْ بَقِيَ النَّاسُ عَلَىٰ ذَلِكَ ردحًا من الزَّمن غير قليلٍ حتَّىٰ ظَهرَتْ بِدْعةُ التَّصوُّفِ، وبَزَغَتْ نِحْلةُ التَّشيُّعِ والرَّفضِ في القرن الأفريقي عَلَىٰ أيدي العُبَيْدِيِّين الَّذين مَلكوا المغرب في آخر القرن الثَّالث الهجري، وامتدَّ مُلْكُهم فيما بعد إِلَىٰ مصر، فأَبَاحَتْ هَاتَانِ النِّحْلتانِ الشِّرْكَ الأكبرَ باسم محبَّةِ الصَّالحين والتَّوسُّل بهم إِلَىٰ الله، فشاعَ الشِّرْكُ بَيْنَ المُسْلمين، وفَشَا شيئًا فشيئًا حتَّىٰ أصبح كثيرٌ من المسلمين، بل غالبهم يَظنُّونَ أنَّ التَّعبُّدَ للأَضْرحةِ والقُبُورِ، والهُتَافَ عند الشَّدائِدِ بأَسْماءِ أَصْحابِها، والتَّطوُّفَ بها، والتَّقبيلَ لأَعْتابِها، والسُّجُودَ عَلَىٰ تُرابها - يَحْسبُونَ أنَّ ذَلِكَ هو الدِّينُ الَّذي جاءَ به نبيُّ الهُدَىٰ ورَسُولُ الرَّحمةِ ﷺ.

ذَلِكَ لأنَّ هَذا أمرٌ نَشأ عليه الصَّغيرُ، وهَرَم عليه الكبيرُ، وعَاشُوا عَلَيه قُرُونًا طويلةً لا ينكر إِلَّا عَلَىٰ مَنْ أَنكره، فَرَسَخ في أَذْهانِ النَّاشِئَة أنَّ الآباءَ والأجدادَ لا يُقرُّون ما يُنَاقِضُ الدِّينَ، وهُمْ أَهْلُ الدِّين، يُصلُّون ويَصُومونَ ويُزكُّون ويَحجُّونَ، ويُحرِّمونَ الفواحشَ، ويَسْتنكرُونَ الظُّلْمَ، وزَعَموا أنَّ الآياتِ الكثيرةَ الواردةَ في القرآن الكريم بِذَمِّ الشِّرْك والمُشْركين خاصَّةٌ بمَنْ عَبَد الأصنامَ المَنْحُوتَةَ،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢/ ٢٦٥) (١٤٣٦٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٤/ ١٩٤) (٢٢٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٨).

وسَجَد لها، وزَيَّنَ لهم ذَلِكَ كَهَنةُ الصُّوفيَّةِ، وسَدَنةُ القُبُور، والمُنْتَفِعُونَ، والمَأْجُورُونَ مِمَّنْ يُرِيدُونَ أَنْ يخضعَ النَّاسُ لسُلْطانِهم، ويَتَّخذونهم أَرْبابًا من دون الله، تُسَاق إِلَيهم الأموالُ نُذُورًا وقَرابين، ويَسْجد النَّاسُ عَلَىٰ أَيْدِيهمْ وأَرْجُلِهِمْ.

فأَخْرَجوا النَّاسَ من الدِّين باسْمِ الدِّين، وكانوا بذَلِكَ مُدَّعين كذبًا وزُورًا لحقِّ الله ربِّ العالمين، يُدْخِلون في جَنَّته ورحمته - حسب زعمهم - مَنْ شَاؤُوا، ويَمْنعُونَ من ذَلِكَ مَنْ أَرادُوا حتَّىٰ راجَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ نَصَّبُوا أنفسَهم للدَّعوة إِلَىٰ الله، وهذا هو السِّرُّ في ضَعْفِ المُسْلمينَ، وتَسلُّط أَعْدائِهم عَلَيهم، ولن يصلحَ آخر هَذِهِ الأُمَّة إِلَّا بما صلح به أوَّلها كما أُثِرَ عن الإِمَام مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

والله، لَنْ يعودَ للمسلمين نَصْرُهُم وعِزُّهم، إِلَّا إذا عَادُوا إِلَىٰ المَنْبع الصَّافي، والمَوْردِ العذبِ، والسَّلسبيلِ الفيَّاضِ، كتابِ اللهِ المُبينِ، وحَبْلِهِ المَتينِ، وصراطِهِ المُسْتقيم، ثمَّ السُّنَّةِ والآثارِ وطريقِ السَّلَفِ الأخيارِ من أَصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، ومَنْ تَبِعَهُمْ عَلَىٰ الهُدَىٰ في غَابِرِ الأَزْمِنةِ وحَاضِرِها من جَمِيعِ الأَقْطارِ.

وهَذَا هو ما أَمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ به حَيْث يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]، ويقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النّساء: ٦٤]، ويقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥]، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويقول: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ [التَّغابن: ١٢].

هٰذِهِ بَعْضُ الآياتِ الآمِرة بطَاعَةِ الرَّسُول ﷺ، وهي شاملةٌ للمَنْهج الدَّعويِّ وغيره مِمَّا يَتعلَّق بالدِّين.

أمَّا الأحاديثُ الواردةُ في ذَلِكَ أيضًا، فإِلَيْكَ بعضَها:

فمِنْهَا ما رَوَاه العرباضُ بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: صلَّىٰ بنا رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثمَّ أقبلَ علينا بِوَجْهِهِ، فوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بتَقْوَىٰ الله، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وروَىٰ مالكٌ في «الموطَّأ» بلاغًا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ»(٢).

وهَذَا الحديثُ من بَلَاغاتِ مَالكٍ، وفيه نظرٌ إلَّا أنَّه يَشْهد له حديثُ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الحَاكِمِ: حدَّثنا إسماعيل بن مُحمَّد بن الفضل الشَّعْرَاني، حدَّثنا جدِّي، حدَّثنا ابن أبي أويس، حدَّثني أبي عن ثور بن زيد الدِّيلي، عن عِكْرمة، عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خطَبَ النَّاسَ في حَجَّة الوَدَاع، فقَالَ: «قَدْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) بنحوه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

(٢) أخرجه مالك في «موطَّئه» بلاغًا (٢/ ٨٩٩) برقم (٣)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٨٦).

يَئِسَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ: إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[١].

قَالَ الحَاكِمُ: قَدِ احْتَجَّ البُخَارِيُّ بِأَحَادِيثِ عِكْرِمة، وَاحْتَجَّ مُسْلِمٌ بِأَبِي أُوَيس، وسَائِرُ رُوَاتِهِ مُتَّفقٌ عَلَيهم، ووافَقَه الذَّهبِيُّ في احْتِجَاج البخاريِّ بعِكْرمةَ، ومُسْلم بأبي أُوَيس، وقالَ: ولَهُ أصلٌ في الصَّحيح.

ثمَّ قالَ الحاكمُ: وقَدْ وَجدتُ لَه شاهدًا من حديث أَبِي هُرَيْرة، ثمَّ سَاقه بِسَندِهِ إِلَىٰ عَبْد العزيز بن رفيع، عن أبي صَالحٍ، عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ الله وسُنَّتي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**»، وسَكَت عَلَيه الحاكمُ والذَّهبيُّ، ولا يُعْتبر شاهدًا إلَّا وَهُو صحيحٌ أو مُقَاربٌ، لكن قَالَ الذَّهبيُّ: صالح بن مُوسَىٰ الطَّلحي وَاهٍ.

قلتُ: كتابُ الله وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ هُمَا الأَصْلانِ اللَّذان يُؤخَذ الدِّينُ عَنْهما باتِّفاقِ جَمِيع المُسْلمينَ، ومَنْ خَرَج عن هَذَا الإِجْماعِ فَهُو ضَالٌّ، ومَنِ اسْتَثْنَىٰ الآحادَ فَهُو مَفْتونٌ ومُبْتدعٌ ومُخَالفٌ لِمَا عَلَيه سَلَفُ الأُمَّة وعُلَماؤها، وَعَليه أَنْ يستغفرَ اللهَ ويَتُوبَ إِلَيه.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المُستدرك» (١/ ١٧١) برقم (٣١٨).

وعَنِ المِقْدامِ بن مَعْدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حلالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»، هَذِهِ رِوَايَةُ التِّرمذيِّ(١).

وروايةُ أَبِي داود قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيكُمْ بهَذَا القُرْآنِ، مَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُم الْحِمَارُ الأَهْلِيُّ، ولا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بقَومٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يُقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بمِثْلِ قِرَاهُ»(٢).

وعَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا أَعْرِفَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي إِمَّا مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: مَا نَدْرِي مَا هَذَا، عِنْدَنا كِتَابُ الله، وَلَيْسَ هَذَا فِيهِ، وَمَا لِرَسُولِ الله أَنْ يَقُولَ مَا يُخَالِفُ القُرْآنَ، وَبِالقُرْآنِ هَدَاه اللهُ»(٣).

وعَنْ أبي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلِي ومَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمَهُ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الجامع الصغير» (٢٤٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٦٣)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (١٦٢).

وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُم الجَيْش فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتي تَقَعُ فِي النَّار يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَزَعُهُنَّ ويَغْلِبْنَه، فيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا»، هَذِهِ روايةُ البخاريِّ(٢).

ولمُسْلمٍ نَحْوه، وقالَ في آخِرِها: «فذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَن النَّارِ، هُلَمَّ عَن النَّار، هُلَمَّ عَن النَّار، فَتَغْلِبُونَنِي وَتَقَحَّمُونَ فِيهَا»، وأَخْرجه التِّرمذيُّ بنَحْوه، وعَنْ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوه، رَوَاه مُسْلمٌ(٣).

وعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «إنَّ أَحْسَنَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ ﷺ، وَشِرارُ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعَدونَ لآتٍ، ومَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ»، أَخْرجه البخاريُّ(٤).

هذِهِ أحاديثُ صحيحةٌ إضافةً إِلَىٰ الآياتِ الَّتي سَبَقَ ذِكْرها، وكلُّها تُفِيد وُجُوبَ مُتَابعةِ النَّبيِّ ﷺ، وَالاقْتِدَاءِ بسُنَّتِهِ، واتِّباعِ طَرِيقتِهِ، فخَيْر الهَدْي هَدْيه، وخَيْر السُّننِ سُنَّته صلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، فمَنْ زَعَم أَنَّه يَأْتي بأَحْسَنَ مِنْ سُنَّته

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨٤)، والترمذي (٢٨٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٧٧).

أو يَأْتِي بِأَفْضَلَ من طريقَتِهِ في الدَّعوةِ إِلَىٰ الله، فإنَّه قَدْ كَذَبَ وَافْتَرَىٰ، وَضَلَّ ضَلالًا بعيدًا.



الباب الثَّاني عشر
في ذمّ البدَع والمُبتدعين

[illegible]

[illegible]

الباب الثاني عشر
في ذمّ البدَع والمبتدِعين

البِدْعةُ إِحْداثٌ في الدِّين، واستدراكٌ عَلَىٰ سَيِّد المُرْسلين، الَّذي أَكْمَل اللهُ لنا به الدِّينَ، وتكذيبٌ لله ربِّ العَالَمين في إِخْباره بأنَّ الدِّينَ قَدْ كَمُل، ولَمْ يَعُدْ بِحَاجةٍ أن يكمِّلَه أحدٌ، أو يَزِيدَ فيه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفْسير هَذِهِ الآية: «وقَالَ عليُّ بن أبي طَلْحة عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، وَهُو الإِسْلَامُ، أَخْبرَ اللهُ نَبيَّه ﷺ والمُؤْمِنِينَ أنَّه قَدْ أَكْمل لَهُم الإيمانَ، فَلَا يحتاجُ إِلَىٰ زِيَادةٍ أبدًا، وقَدْ أتمَّه، فلا ينقصه أبدًا، وقَدْ رَضِيَهُ، فَلَا يَسْخطه أبدًا». اهـ[(١)].

ثمَّ ذَكَر أثرًا من طَرِيق هَارُون بن عَنْترة عن أَبِيهِ، قالَ: لمَّا نَزلَتْ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، ذَلِكُم يوم الحجِّ الأكبر، بَكَىٰ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقَالَ له النَّبيُّ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟» قال: أَبْكانِي أنَّا كُنَّا في زيادةٍ من دِينِنا، فأمَّا إِذَا كَمُلَ، فإنَّه لا يَكْمل شيءٌ إِلَّا نقص، فقَالَ لَه: «صَدَقْتَ»[(٢)].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَشْهد لهَذَا المَعْنىٰ الحَدِيثُ الثَّابتُ بأنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، وقال الألبانيُّ: لا أعرف له أصلًا بهذا التمام. انظر: «السّلسلة الضعيفة» (٥٨٦٠).

غريبًا، وسَيَعُود غريبًا كَمَا بَدَأ، فطُوبَىٰ للغُرَباءِ». اهـ[١].

قلتُ: المُرَاد بالنَّقص هُنَا: النَّقصُ في قُلُوبِ النَّاس، أمَّا أَحْكام الإِسْلَامِ فَهِيَ كاملةٌ وباقيةٌ عَلَىٰ كَمَالها إِلَىٰ يَوْم القِيَامَة، ولهَذَا كانَ مَنِ ابْتَدعَ بِدْعةً في الدِّين مَذْمومًا ومَلُومًا وآثمًا، اتَّفق عَلَىٰ ذَلِكَ الكتابُ، والسُّنَّةُ، والآثارُ، وَإِجْماعُ أَهْلِ السُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الآية: هُمْ أَهْلُ البِدَعِ، وأَهْلُ الشُّبُهاتِ، وأَهْلُ الضَّلالةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ في حديث عَائِشَةَ المُتَّفق عَلَيه: «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هَذا مَا لَيسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»[٢]، وَفِي رِوَايةٍ: «مَنْ عَمِلَ عملًا لَيسَ عَلَيه أَمْرُنا، فهُو رَدٌّ»[٣].

وقَالَ في حَدِيثِ العِرْباضِ بن سارِيَةَ: «عَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعةٍ ضَلالَةٌ»[٤].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنا فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُخْتَلَجَنَّ رِجالٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣)، ط. الشعب، و«تفسير الطبري» (٩/ ٥١٩). محمَّد بن هادي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧).

مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[(١)].

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَصْحابَ البِدَعِ يُذَادون عن حَوْض النَّبِيِّ ﷺ؛ لقولِهِ: «**وَلَيُخْتَلَجَنَّ رِجَالٌ دُونِي، فأَقُولُ: يَا ربِّ، أَصْحَابِي، فيُقَالُ: إنَّك لا تَدْري مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

وقَدْ تَقدَّمَ[(٢)] أنَّ عبدَ الله بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا وَقَف عَلَىٰ حِلَقٍ في مَسْجد الكُوفَة، كلُّ حلقةٍ فيها رجلٌ يَقُول: سَبِّحوا مئةً، فيُسبِّحون مئةً، كَبِّروا مئةً، فيُكبِّرون مئةً، هَلِّلوا مئةً، فيُهلِّلون مئةً، فقَالَ: إنَّكم لعَلَىٰ مِلَّةٍ، هِيَ أَهْدىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحمَّدٍ، أو مُفْتَتِحُو بَاب ضَلالةٍ، فَقَالُوا: واللهِ يا أبا عبد الرَّحمن، ما أَرَدْنا إلَّا الخيرَ. فقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكَمْ من مُرِيدٍ للخَيْر لم يُصِبْه.

وقَدْ رَوَىٰ ابْنُ الجَوْزي بسَنَدِهِ إِلَىٰ سُفْيان الثَّوريِّ، أنَّه قالَ: «البِدْعةُ أحبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ من المَعْصية، المَعْصيةُ يُتَابُ منها، والبِدْعةُ لا يُتَابُ مِنْها».

قالَ رجلٌ للفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ زوَّج كَرِيمتَه مِنْ فَاسقٍ، فَقَدْ قَطَع رَحِمَها! فقَالَ له الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ زوَّج كَرِيمتَه مِنْ مُبْتدعٍ فقَدْ قَطَع رَحِمَها، ومَنْ جَلَس مع صَاحبِ بِدْعةٍ لَمْ يُعْطَ الحِكْمةَ، وإِذَا عَلِمَ اللهُ من رَجُلٍ أنَّه مُبْغِضٌ لِصَاحبِ بِدْعةٍ، رَجَوْتُ أَنْ يَغْفرَ اللهُ لَه سَيِّئَاتِهِ».

وقالَ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ مُبْتدعًا في طَرِيقٍ، فَخُذْ في طَرِيقٍ آخرَ، وَلَا يُرْفعُ لِصَاحبِ البِدْعةِ عَمَلٌ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومَنْ أعانَ صَاحبَ بِدْعةٍ، فقَدْ أَعانَ عَلَىٰ هَدْم الإِسْلامِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٥).

(٢) (ص ١١٨).

وعَنْ مُحمَّد بن سهلٍ قال: «كنَّا عند الفريابي، فجَعَل يَذْكر أهْلَ البِدَعِ، فقَالَ له رجلٌ: لَوْ حَدَّثتنا كانَ أَعْجبَ إِلَيْنا، فغَضِبَ، وقَالَ: كَلامي في أهْلِ البِدَعِ أحبُّ إليَّ من عِبَادةِ سِتِّين سَنَةً». اهـ(١).

وقَالَ الشَّاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خَفاءَ أنَّ البِدَعَ من حَيْث تَصوُّرها يَعْلمُ العاقلُ ذَمَّها؛ لأنَّ اتِّباعها خُرُوجٌ عن الصِّراطِ المُسْتقِيمِ، ورَمْيٌ في عِمَايةٍ، وبَيان ذَلِكَ من جِهَةِ النَّظر والنَّقْل الشَّرعيِّ العامِّ، أمَّا النَّظَرُ فمِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدها: أنَّه قَدْ عُلِمَ بالتَّجاربِ وَالخِبْرَةِ السَّاريةِ في العَالَم من أوَّل الدُّنيا إِلَىٰ اليوم أنَّ العُقُولَ غير مُستقلَّةٍ بمَصَالِحِها اسْتِجْلابًا لَهَا، أو مَفَاسِدها اسْتِدْفاعًا لَهَا؛ لأَنَّها إمَّا دُنيويَّةٌ أو أُخْرويَّةٌ:

فأمَّا الدُّنيويَّة، فَلَا يَسْتقلُّ بِاسْتِدْراكِها عَلَىٰ التَّفصيل البتَّة، لا في ابْتِداءِ وَضْعها أوَّلًا، وَلَا في اسْتِدْراكِ ما عَسَىٰ أن يَعْرض في طَرِيقِها، إمَّا في السَّوابقِ، وإمَّا في اللَّواحقِ؛ لأنَّ وَضْعها أوَّلًا لم يكن إلَّا بتَعْليمٍ مِنَ الله تَعالىٰ؛ لأنَّ آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا أُنْزِل إِلَىٰ الأرض، علمَ كَيْف يَسْتجلبُ مَصَالحَ دُنْياه، إِذْ لم يكن ذَلِكَ من مَعْلومه أوَّلًا.

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: وأمَّا المَصَالحُ الأُخرويَّةُ، فأبعد عن مَصَالح المَعْقولِ مِن جهة وَضْع أَسْبَابها، وَهِيَ العِبَاداتُ مَثلًا، فإنَّ العبدَ لَا يَشْعرُ بِهَا عَلَىٰ الجُمْلةِ، فَضْلًا عن العِلْمِ بِهَا عَلَىٰ التَّفصيل.

الثَّاني: أنَّ الشَّريعةَ جَاءَتْ كَاملةً، لا تَحْتملُ الزِّيادةَ، وَلَا النُّقصانَ؛ لأنَّ الله تَعالىٰ قَالَ فيها: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) من كتاب: «نقد العلم والعلماء» = «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١٥).

ثمَّ ذَكَر حديث العِرْباض بن سَارِيَة الَّذي سَبَق ذِكْرُهُ، ثمَّ قال: وثَبتَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ حتَّىٰ أَتَىٰ بِبَيَانِ جَمِيع ما يحتاج إليه في أَمْر الدِّين والدُّنيا، وهَذَا لَا مُخَالِفَ فِيهِ من أَهْلِ السُّنَّةِ، فإِذَا كانَ كذَلِكَ، فالمُبْتدعُ مُحَصِّلُ قَوْلِهِ بلسانِ حالِهِ أو مقالِهِ أنَّ الشَّريعةَ لَمْ تتمَّ، وأنَّه بَقِيَ منها أَشْياءُ يجب - أو يُسْتَحبُّ - اسْتِدْرَاكُها.

قَالَ ابن المَاجشون: «سمعتُ مَالكًا يَقُول: مَنِ ابْتدَعَ في الإِسْلَام بِدْعةً يراها حَسَنةً، فقَدْ زَعَم أنَّ مُحمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسالةَ؛ لأنَّ الله تَعَالىٰ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمئذٍ دينًا، لَمْ يكن اليومَ دينًا»[(١)].

والثَّالث: أنَّ المُبْتدعَ مُعَاندٌ للشَّرع، مُشَاقٌّ له؛ لأنَّ الشَّارعَ قَدْ عَيَّن لمَطَالبِ العَبْد طُرُقًا خَاصَّةً عَلَىٰ وُجُوهٍ خاصَّةٍ، وقَصَر الخَلْقَ عليها بالأَمْر والنَّهي، والوَعْد والوَعِيد، وأَخْبر أنَّ الخيرَ فيها، وأنَّ الشَّرَّ في تَعدِّيها إِلَىٰ غَيْرها؛ لأنَّ الله يَعْلم ونَحْن لا نَعْلم، وأنَّه إنَّما أرسل الرَّسُول ﷺ رَحْمةً للعَالَمين.

والمُبْتدعُ رادٌّ لهَذَا كلِّه، فإنَّه يَزْعم أنَّ ثَمَّ طُرقًا أُخرىٰ، ولَيْس ما حَصَره الشَّارعُ بمَحْصورٍ، ولا ما عَيَّنه بمُتعيِّنٍ، وكأنَّه يقول: الشَّارعُ يَعْلم ونحن نَعْلم؛ بل ربَّما يفهم من اسْتِدْراكِهِ الطُّرُقَ عَلَىٰ الشَّارع أنَّه علم ما لم يَعْلمه الشَّارعُ، وهذا إِنْ كان مقصودًا للمُبْتدع، فهو كفرٌ بالشَّريعةِ والشَّارعِ، وإِنْ كان غَيْر مَقْصودٍ، فهو ضلالٌ مبينٌ.

وإِلىٰ هَذَا المَعْنىٰ أَشَار عُمَر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حِينَ كتب له عدي بن أرطاة يَسْتشيرُهُ في بَعْض القَدَريَّة، فكَتَب إليه الْخَلِيفةُ يَقُول: أَمَّا بعد، فإنِّي أُوصِيكَ بتَقْوىٰ الله، والاقْتِصَادِ في أَمْرِهِ، واتِّباع سُنَّة نَبيِّه ﷺ، وتَرْك ما أَحْدَثه المُحْدثُونَ فِيمَا

---

(١) أخرجه ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٥٨ شاكر).

قَدْ جَرَتْ به سُنَّتُهُ، وكُفُوا مُؤنَته، فعَلَيك بلُزُوم السُّنَّةِ، فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها مَنْ قَدْ عَرَفَ ما في خِلافِها من الخطَإ والزَّلل والحُمْقِ والتَّعمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضِيَ به القومُ لأنفُسِهِمْ، فإنَّهم عن عِلْمٍ وَقَفوا، وبِبَصرٍ نَافذٍ قَدْ كُفُوا، وهُمْ كانُوا عَلَىٰ كَشْفِ الأُمُورِ أقوىٰ، وبِفَضْلٍ كَانُوا فيه أحرىٰ، فلئن قلتُم: أمرٌ حَدَثَ بعدَهم، ما أحْدثَه بعدَهم إلَّا مَنِ اتَّبعَ غيرَ سُنَّتِهم، ورَغِبَ بنفسِه عَنْهم، إنَّهم لَهُم السَّابقون، فقَدْ تكلَّموا منه بِمَا يَكْفي، ووَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فما دُونَهم مُقصِّرٌ، وما فَوْقهم مُحسِّرٌ، لقَدْ قصر عَنْهم آخرونَ فغَلَوا، وإنَّهم بَيْن ذلكَ لعَلَىٰ هُدًىٰ مُستقيم[(١)].

الرَّابع: أنَّ المُبْتَدِعَ قَدْ نَزَّل نَفْسه مَنْزلةَ المُضَاهي للشَّارع؛ لأنَّ الشَّارعَ وَضَع الشَّرائعَ، وألْزمَ الخَلْقَ الجَرْيَ عَلَىٰ سُنَنِها، وصَارَ هو المُنْفرد بذَلِكَ؛ لأنَّه حَكَمَ بَيْنَ الخَلْق فِيمَا كانوا فيه يَخْتلفُون.

وإلَّا فلَوْ كانَ التَّشريعُ من مُدْركَاتِ الخَلْقِ، لم تَنْزل الشَّرائعُ، ولَمْ يَبْقَ الخلافُ بَيْنَ النَّاس، ولا احْتِيجَ إِلَىٰ بَعْث الرُّسُل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثمَّ إنَّ هَذَا الَّذي ابْتدَعَ في دين الله قَدْ صَيَّرَ نَفْسَه نظيرًا ومُضاهيًا للشَّارع، حَيْث شرَّع مَعَه، وفتَح لِلاخْتِلَافِ بَابًا، وردَّ قَصْدَ الشَّارع في الانفِرادِ بالتَّشريعِ، وكَفَىٰ بِذَلِكَ ضَلالًا.

الخامس: أنَّ المُبْتدعَ مُتَّبعٌ للهَوَىٰ؛ لأنَّ العقلَ إذا لَمْ يَكُنْ مُتَّبعًا للشَّرع، لَمْ يَبْقَ له إلَّا الهَوَىٰ والشَّهوة، وأَنْتَ تَعْلم ما في اتِّباع الهَوَىٰ، وأنَّه ضَلالٌ مُبِينٌ، أَلَا تَرَىٰ قَوْلَ الله تَعالَىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٢)، والآجري في «الشريعة» (٥٢٩)، وغيرهما. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: «صحيح مقطوع».

فحَصَر الحُكْمَ في أمْرينِ لَا ثَالِثَ لهما عنده، وَهُو الحقُّ والهَوَىٰ، وعزل العقل مُجرَّدًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨].
فجَعَلَ الأَمْرَ مَحْصورًا في أَمْرينِ: اتِّباعِ الذِّكْر، واتِّباعِ الهَوَىٰ.
ومثل ذَلِكَ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وتأمَّلوا هَذِهِ الآيَةَ، فهي صَرِيحةٌ في أنَّ مَنْ لم يَتَّبع هُدَىٰ الله، فهو مُتَّبعٌ هَوَىٰ نَفْسِهِ، فلا أحدَ أضلُّ منه». اهـ[1].

وفي هَذَا كفايةٌ ومَقْنعٌ لمَنْ أرادَ الحقَّ، ومَنْ أرادَ أن يَسْتزيدَ فَعَلَيْهِ بِالْكُتُبِ التَّاليةِ:

١ - كتاب «الاعتصام» للشَّاطبيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
٢ - كتاب «اقتضاء الصِّراط المستقيم» لشيخ الإسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
٣ - «تلبيس إبليس»، أو «نقد العلم والعُلماء» لابن الجوزي.
٤ - «ذم البِدْعة والمُبْتدع».
٥ - كتاب الاعتصام من «صحيح البخاريِّ».
٦ - كتاب السُّنَّة من «سنن أبي داود».
٧ - كتاب «السُّنَّة» لابْنِ أبي عاصم.
٨ - كتاب «الشَّريعة» للآجري.
٩ - كتاب «السُّنَّة» لعبد الله بن الإمام أحمد.
١٠ - «شرح أُصُول اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعة» للإمام اللالكائي.
١١ - «السُّنَّة» للإمام الخَلَّال.

---

(١) من كتاب «الاعتصام» للشاطبي، (الباب الثاني في ذم البدع وسوء منقلب أهلها) (١/ ٤٦)، وما بعدها بتصرف.

١٢ - «الحُجَّة فِي بَيَانِ المَحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّةِ» للإمام قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني.

١٣ - «الكتاب اللَّطيف لشَرْح مَذَاهب أَهْل السُّنَّةِ» للإمام الحافظ ابن شاهين.

١٤ - «أُصُول السُّنَّةِ» للإمام أبي عبد الله مُحمَّد، المعروف بابن أبي زمنين.

١٥ - «التَّنبيهُ والرَّدُّ عَلَىٰ أَهْل الأَهْواءِ والبِدَعِ» للإمام أبي الحسين مُحمَّد بن أحمد الملطي.

١٦ - «المختار في أُصُول السُّنَّةِ» للإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن البنَّا الحنبلي.

١٧ - «الإبانة الصُّغرىٰ».

١٨ - «الإبانة الكُبْرىٰ» كِلَاهُمَا للإمام ابن بطَّة، رَحِمَ اللهُ الجميعَ.



الباب الثَّالث عشر والأخير

باب فضل الالتزام بالسُّنَّة ومُتابعتِها

الباب الثالث عشر والأخير
باب فضل الالتزام بالسُّنَّة ومُتابعتها

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصّلت: ٣٠ - ٣٢].

إنَّ الاسْتِقَامةَ هِيَ إخلاصُ الدِّين لله، والمُتَابعةُ لرَسُول الله ﷺ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُول تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، أي: أَخْلَصُوا العملَ لله، وعَمِلُوا بطَاعَةِ الله عَلَىٰ ما شَرَع الله لَهُمْ.

وَفِي «صحيح مسلم» عن سفيان بن عبد الله قال: قلتُ: يا رَسُولَ الله، قُلْ لِي في الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْه أَحدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ عَلَىٰ أَدَاء فَرَائضِهِ، وكَذَا قَالَ قتادة.

وقالَ أبو العَالية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: أَخْلَصُوا له الدِّينَ والعَمَلَ.

وكَانَ الحسنُ يَقُول: اللَّهمَّ أنت ربُّنا، فَارْزُقْنا الاسْتِقَامةَ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قَالَ مُجَاهدٌ والسُّدي وزيد بن أَسْلم وابنه (يَعْني: عند المَوْتِ) قَائِلِينَ: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾، قَالَ مُجَاهدٌ وعِكْرمة وزَيْد بن أَسْلم، أي: مِمَّا تَقْدُمونَ عَلَيه من أَمْر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ عَلَىٰ ما خلَّفتموه من أَمْر

الدُّنيا من وَلَدٍ، وأَهْلٍ، ومَالٍ أَوْ دينٍ، فإِنَّا نُخْلِفُكُمْ فِيهِ، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيُبشِّرونهم بذهابِ الشَّرِّ، وحُصُولِ الخَيْرِ، وهَذَا كَمَا جاءَ في حديث البَراءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ المَلائكةَ تَقولُ لرُوحِ المُؤمِنِ: «اخْرُجِي أَيَّتُها الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ تَعْمُرُهُ، اخْرُجِي إِلَىٰ رَوْحٍ ورَيْحانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبانَ»[(١)].

وَقِيلَ: إِنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِل عَلَيهم يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ. حَكَاه ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، والسُّدي.

وقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتمٍ: «حَدَّثَنا أبو زُرْعة، حدَّثنا عبد السَّلام بن مطهر، حدَّثنا جَعْفر بن سُلَيمان، قال: سمعتُ ثابتًا قرأ سُورَة (حم السَّجدة) حتَّىٰ بَلَغَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصِّلت: ٣٠]، فوَقَفَ، فقَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ العبدَ المُؤمنَ حين يَبْعثُهُ اللهُ من قَبْره، يَتلقَّاه المَلَكانِ اللَّذانِ كَانَا مَعَه في الدُّنيا، فيَقُولَانِ لَه: لا تَخَفْ، ولَا تَحْزَنْ، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، قَالَ: فيُؤمِّن اللهُ تَعَالَىٰ خَوْفَه، ويُقِرُّ عَيْنَه، فَمَا عَظِيمةٌ يَخْشَىٰ النَّاسُ مِنْها يَوْمَ القِيامَةِ إِلَّا هِيَ للمُؤمِنِ قُرَّةُ عَيْنٍ لِمَا هَدَاه اللهُ تَبارَكَ وتَعَالىٰ، ولِمَا كانَ يَعْمل في الدُّنيا.

وقالَ زَيْد بن أَسْلم: يُبشِّرونه عند موتِهِ، وفي قَبْرِهِ، ويَوْمَ بَعْثِهِ»[(٢)].

قلتُ: لَا يَكُونُ من أَهْلِ هَذِهِ البِشَارةِ إِلَّا مَنْ عاشَ حياتَه الدُّنيا عَلَىٰ النَّهجِ السَّلَفيِّ، والعَقِيدةِ السَّلَفيَّةِ (عقيدة التَّوحيد)؛ لقولِهِ ﷺ: «افْتَرقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «السنن الكبرىٰ» (١٩٧٢) مِن حديثِ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٣٠٩).

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ١٧٧): «رواه ابن أبي حاتم، وهذا القول يجمع الأقوال كلَّها، وهو حسن جدًّا وهو الواقع».

إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قالَ: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١).

أي: كَانُوا فِي حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنيا مُسْتقِيمِينَ، وثَابِتِينَ عَلَىٰ النَّهْجِ الَّذي تَرَكْتُ أَصْحَابِي عَلَيه، كَمَا قَالَ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ بَيْضَاءَ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»(٢).

فَمَنْ زَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ الوَاضِحَةِ الَّتي تَركَنا عَلَيها رَسُولُ الله ﷺ، وأَشَار إِلَيْها فِي هَذَا الحَدِيثِ، وَهِيَ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله، ولَا نَعْبُدُ الله إِلَّا بِمَا شَرَعَ رَسُولُ الله ﷺ - فَقَدْ هَلَكَ، وَمَنِ اتَّبَعهَا فَقَدْ نَجَا.

وقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّ شَرِيعةَ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّته كسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخلَّفَ عَنْها هَلَكَ(٣).

وعلىٰ ذَلِكَ دَلَّتِ الأدلَّةُ؛ فمِنْهَا قولُهُ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥]، وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٢) من حديث العرباض رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٩٣٧).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٦٢٣).

وَفِي «صحيح البخاريِّ» من طَرِيقِ جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، قَالَ: فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ، دَخَلَ الدَّارَ، وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، ومَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا، فَقَدْ عَصَى اللهَ»(١).

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»(٢).

وَهَذِهِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ نُذُرٌ لِمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَه ﷺ، وبَشَائِرُ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَه ﷺ.

ومِنَ البَشَائِرِ حَدِيثُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٣).

يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ الله وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا»[(٢)].

وعَنْ عَمْرو بن شُعَيبٍ عن أبيهِ قَالَ: قَامَ مُعَاوِيةُ خَطِيبًا، فقَالَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ إلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، لا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ نَصَرَهُمْ»[(٣)].

وَعَنْ ثَوْبانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٤)].

ومِنْها حَدِيثُ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ»، أَخْرَجهُ مُسْلمٌ من حَدِيث أبي هريرة[(٥)]، وابن عمر، وَلَمْ يقل ابن عمر: «فَطُوبَىٰ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠١) (١٦٩٧٤) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٩٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٩٦٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٩)، وفي «الصَّحيحة» رقم (١١٩٥)، و(١٩٥٨)، و(١٩٧١).

قلت: ظاهره الانقطاع، فإنَّ شُعيبًا - والد عمرو - لم يُدرك معاوية إلَّا أن يكون سقط منه: عن جدِّه، إلَّا أنَّ الحديث صحيح من غير طريق عمرو بن شعيب، أخرجه البخاري من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن حميد، سمعت معاوية يخطب يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»، ورَوَاه مسلم (١٠٣٧) وغيره ممَّا لا نطيل بذكره، وقَدْ أطال الألبانيُّ في «الصَّحيحة» في تخريج طرقه، فانظره علىٰ الأرقام المشار إليها سابقًا.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (١٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٤٥)، وفي رواية له: «إِلَىٰ جُحْرِهَا» برقم (١٤٧).

للغُربَاءِ»، ولكنْ قَالَ: «وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»[١].

ورَوَاهُ ابْنُ ماجه مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمِثْلِ رِوَاية مُسْلمٍ، وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرةَ، ومِنْ حديث ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بزِيَادَةِ: قِيلَ: ومَنِ الغُرَباءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ»[٢]. اهـ.

والمُرَادُ بِالنُّزَّاعِ مِنَ القَبَائِلِ: مَنْ هَداهُمُ اللهُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الحقِّ، والصِّراطِ السَّويِّ، وَهِيَ العَقِيدةُ السَّلَفيَّةُ الصَّحِيحةُ.

وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنِ الغُربَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»[٣].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأ، فطُوبَىٰ يَوْمئذٍ للغُرباءِ، إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، والَّذي نَفْسُ أَبِي القَاسِمِ بِيَدِهِ، لَيَأْرِزَنَّ الإِيمَانُ إِلَىٰ بَيْنَ هَذَيْنِ المَسْجدَينِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا»[٤].

وعَنْ جَابرِ بْنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ»، قالَ: ومَنِ الغُربَاءُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٧٣) (١٦٧٣٦)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٢٧٣).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨٤) (١٦٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٢٩)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٢٧٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ونَحْنُ عِنْدَه: «**طُوبَىٰ للغُرَبَاءِ**»، فَقِيلَ: مَنِ الغُرَباءُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أُناسٌ صَالِحُونَ فِي أُناسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**»(١).

وأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمذيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعباني قَالَ: سألتُ أَبَا ثَعْلبة الخُشَني، فقُلْتُ: يا أَبَا ثَعْلبةَ، كَيْفَ تَقُولُ في هَذِهِ الآيَةِ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قَالَ: أَمَا - واللهِ - لقَدْ سَألتَ عَنْها خَبِيرًا، سَألْتُ عَنْها رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: «**بَلْ ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، ودُنْيَا مُؤْثَرَةً، وإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه، فَعَلَيْكَ يَعْنِي بنَفْسِكَ، ودَعِ العَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهَا مِثْلُ قَبْضٍ عَلَىٰ الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِم مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**»، وزَادَ في غَيْرِهِ قَالَ: يا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنهُمْ؟ قَالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنكُمْ**»، هَذَا لفظ أبي داود(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) (٦٦٥٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السّلسلة الصّحيحة» (١٦١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وفيه ضعف خفيف، وخرَّجه الألبانيُّ في الضعيفة من «سنن ابن ماجه» (ص٣٢٢، ٣٢٣)، وقال: لكن فقرة: «أيام الصّبر» ثابتة في «الصحيحة» (٤٩٤)، وقال: وفي «الصحيحة» (١/ ٨١٢) بالرقم المشار إليه (٤٩٤): «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، المتمَسكُ فِيهِنَّ يومَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، قالوا: يا نبي الله، منَّا أو منهم؟ قال: «**بَلْ مِنْكُمْ**»، أخرجه ابن نصر في «السُّنَّة» (ص ٩٠) من طريق إبراهيم بن أبي عبلة، عن عتبة ابن غزوان أخي بني مازن - وكان من الصَّحابة - أنَّ رسول الله ﷺ.

قلتُ - يعني الألباني -: وإسنادُهُ صحيح، الحديث رجاله كلّهم ثقات، لولا أنَّ إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان مرسل كما في «التهذيب»، لكن له شاهدٌ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا به، أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٣/ ٧٦/ ١) من طريقَين عن أحمد ابن عُثمان بن حكيم الأودي، حدَّثنا سهل بن عُثمان البجلي، حدَّثنا عبد الله بن نَمير، عن الأعمش، عن زيد بن وهبٍ عنه، وقال: قلتُ: وهذا إسنادٌ =

ولَفظ التِّرمذيِّ: «فَإنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أيَّامًا، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، للعَامِلِ مِثْلُ أجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»[1].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَزَادَ في غير عتبة، قِيلَ: يا رَسُولَ الله، أجْر خَمْسِينَ رَجُلًا منَّا أو مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لا، بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ».

= صحيح، ورجال سنده كلهم ثقات، رجال مسلم، وله شاهد آخر من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا به أخرجه أبو داود رقم (٤٣٤١)، والترمذي (٢/ ١٧٧)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (١٨٥٠)، وابن أبي الدنيا في «الصبر» (ق ٤٢/ ١)، وقال الترمذي: حديث حسن. اهـ.

قلت: وتحسين الترمذي هنا لا يبعد عن الحقيقة، فإنَّ عتبة بن أبي حكيم وثَّقه قومٌ، وضعَّفه آخرون، وقال ابن عدي: أرجو أنَّه لا بأس به. وقال في «التقريب»: صدوقٌ، يخطئ كثيرًا. وعمرو بن جارية وهو عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بفتح أوله، ابن جارية = بالجيم = الثقفي، المدني، حليف بني زهرة، وقد ينسب إلى جده، ويقال: عمر، ثقة من الثالثة (خ م د س).

وأمَّا أبو أمية الشعباني، واسمه يُحْمِد، بضم التحتانية، وإسكان المهملة، وكسر الميم، وقيل بفتح أوله والميم، وقيل: اسمه عبد الله، مقبول من الثانية (عخ د ت ق) تقريب (ت ٧٩٤٧).

ومن هنا نعلم أنَّ تحسين الترمذي لا يبعد عن الحقيقة كما قلتُ، وقد استشكل جعله للعامل بالسُّنَّة، الثابت عليها في ذلك الزمن أجر خمسين من الصَّحابة، ويلزم منه تفضيل المتأخرين على الصَّحابة، ووجِّه بأنَّ المزيَّة الخاصَّة لا يلزم منها التَّفضيل المُطلق. وقال ابن عبد السَّلام: ليس هذا على إطلاقه؛ بل هو مبنيٌّ على قاعدتين:

إحداهما: أنَّ الأعمال تشرف بثمراتها.

والثانية: أنَّ الغريب في آخر الزَّمان كالغريب في أوَّله، وبالعكس؛ لقوله ﷺ: «بَدَأَ الإسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى للغُرَبَاءِ مِنْ أُمَّتي»، يريد المنفردين عن أهل زمانهم، يعني المتمسِّك بالسُّنَّة.

إذا تقرر ذلك، فنقول: الإنفاق في أوَّل الإسلام أفضل؛ لقوله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه: «لَوْ أَنْفَقَ أحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». اهـ بواسطة «عون المعبود» (١١/ ٤٩٦).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨)، وقال الألبانيُّ: ضعيف، لكن بعضه صحيح. اهـ انظر: «ضعيف سنن الترمذي» (١/ ٣٧٠).

والشَّاهدُ في الحديثِ قولُه: «لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا». قِيلَ: يا رَسُولَ الله، أَجْرِ خَمْسينَ منَّا أو مِنْهم؟ قالَ: «لا، بَلْ مِنْكُمْ»، وهذِه فضيلةٌ عظيمةٌ لمَنْ عمل بالسُّنَّةِ، وَاسْتَقامَ عَلَىٰ الشَّرع الحَنِيفِ في آخِرِ الزَّمانِ.

وبالله التوفيق.



فصل
في صفات الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

وقَدْ تَبيَّنَ من هَذِهِ النُّصُوص: فَضِيلةُ المُتمسِّك بالسُّنَّةِ الَّذي قَالَ: ربِّي اللهُ، ثمَّ اسْتَقَامَ، أي: وَقَف وثَبتَ، ولكِنْ مَنْ هُم الغُرَباءُ الَّذين يصلحون إِذَا فَسَد النَّاسُ؟ فَاسْتحقُّوا هَذَا الثَّناءَ العاطرَ من نَبيِّ الهُدَىٰ ﷺ، الَّذي جاءَ يَتخطَّىٰ الزَّمَنَ، فَرفَعهُمْ فَوْقَ هَامَةِ الثُّريَّا، وإِنْ كَانُوا أَصْحابَ فَقْرٍ وعِوَزٍ وحَاجةٍ وضعفٍ.

ومَنْ هِيَ الفِرْقةُ النَّاجيةُ وَالطَّائفةُ المَنْصُورةُ؟

ومَا هُوَ ظُهُورُهُمْ عَلَىٰ النَّاس وغَلَبتُهُم لَهُمْ؟

مَا هُوَ نَوْعُ هَذِهِ الغَلَبَةِ وهَذَا الظُّهُور؟ وأَنَّه لا يَضرُّهم مَنْ خَذَلهم، وَلَا مَنْ خَالَفهُمْ.

إِنَّ أَصْحابَ هَذِهِ البِشَارَاتِ وَالمَعنيِّينَ بِهَا هُمْ أَصْحابُ العقيدةِ السَّلَفيَّةِ الصَّحيحةِ الَّذين اعْتقَدوا مَا اعْتقَدَ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ مِن التَّوحيدِ الَّذي لا يَشُوبُه شِركٌ، والإيمانِ الَّذي لا يَشُوبُه شكٌّ، والسَّير علىٰ السُّنَّةِ الَّتي لا تَشُوبُها بِدْعةٌ، الَّذين اعْتقَدوا وَحْدانيَّةَ الله وانفِرَادَه بالكَمَالاتِ الَّتي لا يُشاركُه فيها أحدٌ، لَا في أَسْمائِه الحُسنىٰ، ولا في صِفاتِه العُليا، فَأَثْبتُوهَا لَهُ إِثْبَاتًا يَلِيقُ بِجلَالِهِ عَزَّوَجَلَّ كما وَصَفَ نَفْسَه بِهَا، وكما وصَفه رَسولُهُ ﷺ بها، مُعْتقدِينَ بأنَّ الاشْتِراكَ في الاسْمِ لَا يَلْزمُ مِنه الاشْتِراكُ في الحقيقةِ.

وَاعْتقَدُوا وَحْدانيَّةَ الله وَانْفراده بالأُلُوهيَّةِ، فَأَفْردُوه بِالْعِبادةِ؛ مِنْ دُعَاءٍ وخَوفٍ ورَجاءٍ ورَغْبةٍ وخُشُوعٍ وخَشْيةٍ، وغير ذلكَ، وعمِلُوا بالقَاعدةِ الشَّرعيَّةِ في الولاءِ والبراءِ.

وَاعتقدُوا وُجوبَ البُغْض للكُفَّارِ الملِّيِّين، والمُشْركين الخُرَافيِّين مِمَّن يَنْتمون إِلَىٰ الإِسْلَام، ويَدْعون أَصْحابَ الأَضْرحةِ، ويَفْزعُونَ إِلَيْهم في الشَّدائدِ مُعْتقدِينَ فيهم القُدْرةَ عَلَىٰ إِزَالةِ الشِّدَّة، وفَكِّ الكُرْبةِ، وإِعْطَاء المَطْلُوبِ.

وَاعْتقَدُوا أَيْضًا أنَّ مَنِ اعْتقَدَ أنَّهم بَاقُونَ عَلَىٰ شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ معَ هذه العقيدةِ فهو كَافرٌ مِثْلهم، وإِنْ صلَّىٰ وصامَ وزَعَمَ أنَّه مُسلمٌ.

وَاعْتقَدُوا وُجُوبَ المُتَابعة للنَّبيِّ ﷺ، وأنَّ الواجبَ عَلَىٰ كلِّ مُسْلمٍ طاعتُه فيما أَمَر، وَاجْتِنابُ مَا نَهَىٰ عنه وزَجَر، وتَصْديقُه فيما أَخْبر، وألَّا يعبدَ الله إلَّا بما شرَع.

وأنَّه لا عِصْمةَ لأَحَدٍ سِواهُ، ولَا يُعَارض قولُه بقَوْلِ أَحَدٍ، ولا حُكْمُه بحُكْمِ أَحَدٍ.

وأنَّه لا سَبِيلَ إِلَىٰ الجَنَّةِ إلَّا من طريقِه.

وأنَّه لا يَقْبل اللهُ من أَحَدٍ عملًا إلَّا أن يكونَ علىٰ شَرْعِه.

وأنَّه - صَلَواتُ الله وسلامُه عليه - هو خَاتمُ الرُّسل، فلا نبيَّ بعده.

وأنَّه صاحبُ الشَّفاعةِ العُظْمىٰ، والمقامِ المحمودِ، والحَوْض المَورُودِ في الآخرةِ، وأنَّ له مُعْجزاتٍ، وأَعْظمها مُعْجزةُ القُرآنِ.

وَاعْتقَدُوا أنَّ القُرْآنَ كلامُ الله، مُنزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ.

وأنَّ الله يُرَىٰ في الآخرةِ؛ يَرَاه المُؤْمِنُونَ في الجَنَّةِ كَمَا يَرَوْن القمرَ لَيْلةَ البَدْرِ، ويُكلِّمونَه ويُكلِّمهم.

وأنَّه لا تَخْلِيدَ في النَّار عَلَىٰ صَاحِبِ الكبيرةِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَهُو التَّوحيدُ.

وأنَّ أَصْحابَ الكَبَائِر تَحْتَ المَشِيئةِ الإِلَهيَّة، مِنهُمْ مَنْ يَعْفو الله عَنْه بِدُونِ عَذَابٍ، ومِنْهم مَنْ يُعذَّبُ في النَّار وقتًا من الزَّمن، ثمَّ يُخْرجهُ اللهُ منها بشَفَاعةِ الشَّافِعينَ، أو بِرَحْمةِ أَرْحم الرَّاحمينَ، ثمَّ يُدْخلهُ الجنَّةَ.

وَاعْتَقَدوا أنَّ أَصْحابَ رَسول الله ﷺ كلَّهم عُدولٌ، وأَفْضلُهُمْ أَبُو بكرٍ، ثمَّ عُمَر، ثمَّ عُثمان، ثمَّ عليٌّ، ثمَّ سَائِر العَشْرةِ المَشْهود لَهُمْ بالجنَّةِ، ثمَّ أَهْل بدرٍ، ثمَّ أَهْل بَيْعةِ الرِّضوان، ثمَّ مَنْ أَسْلَم قبْل الفَتْح وهَاجَر، ثمَّ مَنْ أَسْلَم بَعْد الفَتْحِ.

ويَتولَّون أَهْلَ بَيْت رَسُولِ الله ﷺ، ولا يَعْتقدُونَ فيهم وَلَا في أَحَدٍ مِنهم العِصْمةَ؛ بَلْ يَعْتقدُونَ أنَّ فيهم المُطِيعَ والعَاصِي، والبرَّ والفَاجِرَ، شَأْنُهم شأنُ غَيْرهم إلَّا أنَّ المُطِيعِينَ مِنْهم لهم حقُّ القرابةِ من رسول الله ﷺ، وحقُّ الإِسْلامِ.

وَأنَّ الفِرْقةَ النَّاجيةَ هِيَ الطَّائفةُ المنصورةُ، وهُمُ الغُرباءُ، وهُمُ النُّزَّاعُ مِنَ القَبائِلِ، وإنَّما سُمُّوا غُربَاءَ لِقِلَّتهم ومُخَالفتِهم لِما عليه أَهْلُ زمانِهِمْ ومَكَانِهِمْ مِنَ الفَسَادِ والشَّرِّ، واتِّباعهم للشَّرْعِ في وَسَطِ الجُمُوعِ الفَاسِدَةِ(١).

(١) الحقُّ أنَّ الطَّائفة المنصورة هي الفرقة النَّاجية، وهم الغُرباء، وهم النُّزَّاع من القبائل، وأنَّ هذه أوصافٌ لفئةٍ واحدةٍ، هم أهل الحديث ومَن اعتقد عقيدتهم، وهي العقيدة التي ذكرت شيئًا منها علىٰ سبيل الإجمال، وهي مبسوطةٌ في الكتُب المخصّصة لها، وهم متَّبعو الآثار كما نصَّ علىٰ ذلك أهلُ العلم، وأئمَّة الهدىٰ، فروىٰ الحاكم في «معرفة الحديث» عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه: «سئل عن معنىٰ هذا الحديث: «لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُم حَتَىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»، فقال: إن لم تكن هذه الطَّائفةُ المنصورةُ أصحابَ الحديث،، فلا أدري مَنْ هُمْ؟! قال أبو عبد الله: وفي مثل هذا قيل: مَن أَمَّرَ السُّنَّة علىٰ نفسِه قولًا وفعلًا، نطَق بالحقِّ.

فلقد أحسن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذا الخبر، أنَّ الطَّائفة المنصورة الَّتي يدفع الخذلان عنهم إلىٰ قيام السَّاعة هُمْ أصحاب الحديثِ، ومَنْ أحقُّ بهذا التَّأويل مِن قومٍ سلكُوا مَحجَّة الصَّالحين، واتَّبعوا آثار السَّلف مِن الماضين، ودمغُوا أهل البدع مِن المُخالفين بسُنن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؟! مِن قوم آثروا قطع المفاوز والقفار علىٰ التنعُّم في الدِّمن والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم بالأخبار. وساق إسناده إلىٰ حفص بن غياث أنَّه قيل له: ألَا تنظرُ إلىٰ أهل الحديثِ وما هم فيه؟ قال: هم خيرُ أهل الدُّنيا. وإلىٰ أبي بكر بن عيَّاش أنَّه قال: إنِّي لأرجو أن يكون أصحابُ الحديث خيرَ النَّاس. ثمَّ قال الحاكم: ولقد صدقا جميعًا أنَّ أصحاب الحديث خيرُ النَّاس، وكيف =

فصل

بيان معنى ظهورهم على مَن خالفهم

وأمَّا مَعْنىٰ ظُهُورِهِمْ عَلَىٰ عَدوِّهم، فهُوَ ظهورُهُمْ بالحُجَّةِ في كلِّ زَمانٍ ومكانٍ، وقَدْ يَظْهرونَ أَحْيانًا بالقوَّة المادِّيَّة، وقَدْ يَكُونُونَ غَيْر ظَاهِرِينَ مَادِّيًا،

=

لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدُّنيا وراءهم بأَسْرها، وجعَلُوا غذاءَهم الكتابة، وسموهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، فعقولُهم بلذاذة السُّنَّة غامرة، وقلوبهم بالرِّضا في الأحوال عامرة، تعلم السُّنن سرورهم، ومجالس العلم حُبُورهم، وأهل السُّنَّة قاطبة إخوانهم، وأهل البدع بأسرها أعداؤهم.

سمعتُ أبا الحسين محمَّد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعتُ أبا إسماعيل محمَّد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن حسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكَّة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قومُ سوءٍ، فقام أبو عبد الله وهو ينفضُ ثوبَه، فقال: زنديقٌ، زنديقٌ، زنديقٌ، ودخل البيت.

ثم ساق سنده إلىٰ أحمد بن سنان القطَّان أنَّه قال: ليس في الدُّنيا مبتدعٌ إلَّا وهو يبغضُ أهلَ الحديث، وإذا ابتدع الرَّجل، نزع حلاوة الحديث مِن قلبه.

قال أبو عبد الله: وعلىٰ هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كلَّ من ينتسب إلىٰ نوعٍ من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلىٰ الطائفة المنصورة إلَّا بعين الحقارة، ويُسمِّيها الحشوية». اهـ. بواسطة كتاب: «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة» للشيخ ربيع المدخلي (ص٩٩ - ١٠١).

وقَدْ تبيَّن مِن هذا أنَّ الفِرقةَ النَّاجية، والطَّائفة المنصورة، والغُرباء الَّذين يصلحون إذا فسد النَّاس، والنُّزَّاع مِن القبائل هم أهل الحديث، وهم حملة السُّنن المُقتفون للآثار، العاملون بها، الذَّابُّون عنها، المجاهدون في سبيل تعلمها ونشرها ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وقولًا وفعلًا، ومن تبعهم علىٰ عقيدتهم، وسَلَك سبيلهم في العقيدة والعمل، فهو منهم، وسبيله سبيلهم، وإن كان دونهم في الرتبة، فكُنْ منهم يا عبد الله تنجُ وتسعد، وتنال في الجنَّة أحسنَ مقعد ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ولكِنَّهُمْ يَكُونُونَ ظَاهِرِينَ بِالحُجَّةِ الفَالِجَةِ، والسُّلطانِ الغَالِبِ، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

وَلَمْ يَكُنْ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظاهرًا عَلَىٰ قَوْمِهِ مادِّيًا، وإِنَّما ظَهَر عليهم بالحُجَّةِ الفَالجةِ، والسُّلطانِ الغَالِبِ، ومَنِ اسْتَقرأَ التَّاريخَ، يَعْلم صِحَّةَ مَا قُلْتُهُ، فأَصْحابُ الحَديثِ والعَقِيدةِ السَّلَفيَّةِ المُنوَّه عَنْهم في الأَحاديثِ الصَّحِيحةِ بالفِرْقةِ النَّاجيةِ تارةً، والطَّائفةِ المَنْصُورةِ تارةً، والغُرباءِ الَّذين يصلحونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ تارةً، والنُّزَّاعِ من القَبائِلِ تارةً، لَمْ يَكُونوا ظَاهِرِينَ حِسِّيًا؛ أَوْ بالأَحْرىٰ سِيَاسيًا وعَسْكريًا في زَمانٍ ومَكانٍ، وإِنْ كانوا قَدْ يَظْهرونَ أَحْيانًا حِسِّيًا وماديًّا، كَمَا أَنَّهم ظَاهِرُونَ بِالحُجَّةِ والسُّلطانِ في كلِّ زَمانٍ.

وقدْ يكونُ ظُهورهُم في بلدٍ دونَ آخر، وزمَنٍ دونَ آخر، كَمَا تَحقَّق ذَلِكَ في الجَزيرةِ العَربيَّةِ في عَهْدِ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، والأمير مُحمَّد بن سعود وأَنْجالهما، رحمهم الله، ثمَّ اخْتفَىٰ قليلًا بسَبَب حَمْلة إِبْراهِيم باشا المُعادِيَة لدَعْوةِ التَّوحيدِ، ثمَّ عاد إِلَىٰ الظُّهُور في عَهْد الأمير فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ اخْتفَىٰ بَعْد ذلكَ، ثمَّ عاد إِلَىٰ الظُّهُور بصُورةٍ أَقْوَىٰ وأَعمَّ وأَوْضَح في عَهْد المَلِكِ عبد العزيز بن عبد الرَّحمن الفيصل، رحمهُ اللهُ رَحْمةَ الأَبْرارِ الأَخْيارِ، فَقَدْ نَشَر التَّوحيدَ والعقيدةَ السَّلفيَّةَ في عَهده، وقضَىٰ علىٰ المعابدِ الوثنيَّةِ، ومَحا آثَارَها، ومَنَع البِدَعَ المُخالِفةَ للشَّرع الحنيفِ، وأَبْدلَ بها السُّنَّةَ، ونَشَر العلمَ الشَّرعيَّ، وأعانَ عليه، ونصَر حمَلته.

ثمَّ سارَ أَنْجالُه الغُرُّ الميامِين علَىٰ نَفْس الطَّريقةِ الَّتي رَسَمها لهم، رَحِمه الله

ورَحِمَ مَنْ قَدْ وَافَىٰ أجلَه من أَوْلَادِهِ، وحَفِظَ مَنْ بَقِيَ مِنْهم من كلِّ سُوءٍ ومَكْروهٍ، وَوَفَّقهم لِكُلِّ خيْرٍ، فالمَدَارسُ في هَذِهِ البلادِ يُدرَّس فيها التَّوحيدُ من السَّنةِ الأُولَىٰ الابتدائيَّة إِلَىٰ آخر سَنةٍ في الجَامِعة بطَريقَةِ التَّدرُّج الصُّعوديِّ.

والمَذْهبُ السَّلَفيُّ سائدٌ، والبِدَعُ مُحَاربةٌ، والحمد لله، وإنْ كان هناك مَظَاهرُ سَيِّئةٌ أَوْجَدها التَّرفُ إلَّا أنَّها مُحَاربةٌ، والحَمْد لله، والدَّولةُ تُعِينُ عَلَىٰ إِزَالةِ كلِّ مَظْهرٍ سَيِّءٍ يُخَالف الشَّرعَ، وفَّقها اللهُ، ونَصَر بِهَا الإسْلامَ، وَنَصَرها به.

ولستُ أُرِيدُ بهَذَا إلَّا التَّمثيلَ أنَّ العقيدةَ السَّلَفيَّةَ قَدْ تكونُ أَحْيانًا مَنْصورةً حِسِّيًّا إِلَىٰ جَانِبِ أنَّها مَنْصورةٌ دَائمًا وأبدًا بالحُجَّةِ والسُّلطانِ، ولكن ذلكَ يكونُ في مكانٍ دون مَكَانٍ، وزمانٍ دون زمانٍ، والأكثرُ دائمًا أَنْ تكونَ السُّلْطةُ والقوَّةُ المادِّيَّةُ في الجانبِ المُعَادي لهم، ولَوْ حَمَلْنا الحديثَ علىٰ الظُّهورِ الحسِّيِّ المادِّيِّ لكَانَ خَبرُ الشَّارعِ المَعْصومِ - والَّذي لا يَنْطق عن الهوىٰ - قَدْ تخلَّفَ، وما كان لخَبَرِ الرَّسُول ﷺ أَنْ يَتخلَّف أبدًا؛ لأنَّه وحيٌ من الله الَّذي علم كلَّ شيءٍ.

لذَلِكَ، فإنَّ حَمْله عَلَىٰ الظُّهُور بالحُجَّةِ والسُّلطانِ هو المُتعيِّن، كما ظَهَر إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ قومِهِ بالحُجَّةِ الَّتي أَضَافَها الله عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ نفسِهِ تَعالىٰ؛ لأنَّه هو الَّذي عَلَّمها نبيَّه وخَلِيلَه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذا فإنَّا نجد أنَّ أتباعَ الرُّسُل، وحَمَلةَ العَقِيدَةِ السَّلَفيَّةِ من العُلَماءِ تكُونُ الغَلَبةُ لهم عَلَىٰ أَعْداءِ الحقِّ في كلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ.

وَلِذَلِكَ، فَإنَّ أَعْداءَ الحَقِّ يَلْجؤونَ إذَا غُلِبُوا إِلَىٰ القوَّةِ المادِّيَّةِ ليَسْتعملُوهَا ضدَّ أَهْلِ الحقِّ، كما قَالَ فرعون - لَعنَه الله - لمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين غَلَبه بالحُجَّةِ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشُّعراء: ٢٩].

وكَمَا حَصَل لشيخ الإسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين كَانَتْ تُعقَدُ مَجَالسُ

المُنَاظرةِ بَيْنه وبَيْنَ عُلَماءِ عَصْره، الَّذين كَانُوا عَلَىٰ العَقِيدةِ الأَشْعريَّةِ، فيخرج مُنْتصرًا في كلِّ مَجْلسٍ، فلَمْ يَجِدُوا شيئًا يَتشفَّون به إلَّا كَوْنهم يَحْملونَ الدَّولةَ عَلَىٰ سَجْنِهِ خوفًا من أن يُضِلَّ النَّاسَ - فِيمَا زَعَموا - ولَمْ يفعلوا ذَلِكَ إلَّا حين غُلِبُوا بالحُجَّةِ مع أنَّه واحدٌ، وهم كثيرٌ، ولَهُمْ مَناصبُ في دولةِ ذَلِكَ الزَّمن تُمكِّنهم من أنْ يَقُولُوا فيُسمَع لِقَوْلِهمْ، فمَنْ يَنْظر إِلَىٰ الحَالَةِ الحِسِّيَّة يَقُولُ: إنَّهم هُمُ الَّذين انْتَصرُوا عَلَيه، وظَهَروا عَلَيه؛ لكونِهِ كَانَ مَسْجونًا وهُمْ مُتَبوِّئون للمَنَاصبِ العَالِيَةِ، ومَنْ نَظَر إِلَىٰ الحقيقة يجد أنَّه هو الَّذي انْتَصَرَ عَلَيهم، وظَهَر عَلَيهم بالحُجَّةِ، وَهُو الطَّائفةُ وإِنْ كانَ واحدًا، كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمَّةً وَحْده.

وبالله التوفيق.



الخاتمة

أوَّلًا: قَدْ تبيَّن مِمَّا سبق أنَّ هَذِهِ المناهجَ الَّتي كَتَبتُ عنها، وهُمَا: منهجُ الإخوان المُسْلمين؛ وما تَفرَّع عنه من قُطبيَّةٍ أو سروريَّةٍ، ومَنْهجُ التَّبليغ، قَدْ ترك أَصْحابُها أَعْظمَ أَصْلٍ في الإِسْلَامِ، وأَعْظم أَسَاسٍ فيه، أَلَا وهو التَّوحيدُ الَّذي دَعَتْ إليه جَمِيعُ الرُّسُل، مِن أَوَّلهم - نوحٍ - إِلَىٰ آخِرِهِمْ - مُحمَّدٍ عليهم السلام - بشَهَادة القرآن، الَّذي لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيه ولا من خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ، حَيْثُ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وقَدْ أَخْبر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن كلِّ رَسُولٍ أنَّه يقولُ لقومِهِ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقَدْ تَركَ هَؤُلَاءِ هَذَا الأصلَ الأَصِيلَ الَّذي بَدَأَتْ به الرُّسُلُ عليهم السلام، وَاسْتَهانُوا بِضِدِّه، وهو الشِّرْكُ الأَكْبرُ، ففعَلوه، أَوْ فُعِلَ أَمامَهم فَأَقرُّوه وشَجَّعوا عَلَىٰ فِعْلِهِ بالسُّكُوتِ عَمَّنْ فعَله، والتَّغاضي عنه، حتَّىٰ ظنَّ الجُهَّالُ أنَّ عبادةَ القُبُور ودَعْوةَ أَصْحابها عِنْدَ الشَّدائدِ هُوَ الدِّينُ؛ فدعَا الأموات، وطَلَب مِنْهم قَضَاءَ الحَوَائِجِ، وكَشْفَ الشَّدائِدِ، وتَفْريجَ الكُرُوبِ من غَيْر نكيرٍ، بَلْ وقَع الشِّرْكُ الأَكْبرُ مِن قادتِهم كما قدْ تقدَّم.

ثانيًا: أنَّ القَادَةَ والمُؤسِّسينَ في هذهِ المَناهجِ شرَعوا لأَتْباعِهِمْ قوانينَ في الدَّعوة لَمْ يَشْرعها اللهُ ولا رسولُه صلى الله عليه وسلم، فأَوْجبُوا ما ليس بِوَاجبٍ بمَحْض الشَّرعِ، وتَركوا بَعْضَ الفَرَائِضِ المُهمَّةِ، والوَاجباتِ المُؤكَّدةِ، فَاعْتَنَىٰ أَتْباعُهُمْ بِمَا حَضُّوهم

عَلَيه من السُّننِ، وكَانَ لَهُ عِنْدَهُم الأَوْلويَّةُ، وتَركُوا ما لَمْ يَحضُّوهم عَلَيه من الأُصُولِ والأُسُسِ في الدِّين.

ثالثًا: وتَرتَّب عَلَىٰ ذلكَ أَنْ قَدَّم أَتْباعُهم المُؤخَّرَ، وأَخَّروا المُقدَّمَ، فإنْ سَمِعُوا داعيًا يحضُّ علىٰ التَّوحيدِ، ويُبيِّن مَنْزلتَه مِن الدِّينِ، وأنَّه هو الأَسَاسُ الأَعْظمُ فيهِ، ويُبيِّن خَطرَ الشِّرْكِ وفَظَاعته وفُحْشه، سَخِروا منه، وحَقَّروه، وزَعَموا أنَّه صاحبُ عَقْلٍ بدائيٍّ؛ لأنَّه يُوجِّه نَقْده إِلَىٰ الشِّرْكِ البِدَائيِّ السَّاذجِ، ويَتْرك الشِّرْكَ السِّياسيَّ، والخمرَ، والعُهْرَ، والإباحيَّةَ السَّائدةَ.

قلنا: أمَّا النَّهي عن الخَمْر، والعُهْر، والإباحيَّة، وتَحْريمها، وبَيَان مَضارِّها، فما أَحْسَنه إنْ بُنِي عَلَىٰ التَّوحيدِ، وكَانَ بَعْد بَيَانِ مَضارِّ الشِّرْكِ بالله المُخلِّد في النَّار، وأمَّا الشِّرْكُ السِّياسيُّ، فنقول:

أ - إنَّ الدَّعوةَ إِلَىٰ عِبادةِ الله وَحْده لا شَرِيكَ لَهُ شَامِلةٌ للدَّعوة إِلَىٰ تَرْك الشِّرْكِ السِّياسيِّ، وشِرْكِ العِبَادةِ.

ب - وأنَّ اللهَ قَدْ أَرْسلَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، ولَمْ يَأْمر أحدًا مِنْهُمْ أن يَنْهىٰ عن الشِّرْكِ السِّياسيِّ ويَتْرك شِرْكَ العبادةِ، بَلْ أَمَرهم أَنْ يَدْعُوا أُمَمهم إِلَىٰ عِبَادةِ الله وَحْده، وتَرْك ما كَانُوا يَعْبدُونَ من الآلِهَةِ.

ج - أنَّه مَا مِنْ قَوْمٍ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولٌ إلَّا ولَهُمْ كُهَّانٌ يَتحَاكمُونَ إِلَيْهم، ولَهُمْ رُؤَسَاءُ يَحْكمونَ بغير ما أَنْزلَ اللهُ، فلَمْ يَأْمُرْهُمْ أن يُخصِّصوا دَعْوتَهم لِهَؤُلَاءِ دُونَ أُولَئِكَ.

د - أمَّا تَسْمية شِرْكِ القُبور شِرْكًا بِدَائيًّا أو بسيطًا ساذجًا، فهي مَكِيدةٌ شَيْطانيَّةٌ يريدُ الشَّيطانُ أَنْ يُلْهيَ بها مَنْ يَتسمَّون بالدُّعاة عن الشِّرْك الأكبر الَّذي اكْتسحَ

العالَمَ الإسلاميَّ أَجْمعَ، وعمَّ جميعَ البُلْدانِ إلَّا ما شاءَ الله.

رابعًا: بَلْ تَجَاوزُوا ذلكَ إِلَىٰ بُغْضِ مَنْ دعا إِلَىٰ التَّوحيدِ، وحذَّر مِن الشِّرْكِ، وبَيَّن خَطَرَه، وَالاشْمِئْزاز مِنْهُ، وإِسْكاته أو التَّنفيرِ عنه، زَاعِمِينَ أنَّ ذَلِكَ ليس من الحِكْمةِ، وكأنَّ شُيُوخَهُم الَّذين سَنُّوا لهم ذَلِكَ أَعْرفُ بالحِكْمةِ من الله ورَسُولِه ﷺ.

خامسًا: تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْيِ الإِسْلَامِ عَنِ المُوحِّدينَ، والحُكْمِ بالإسلامِ للمُشْرِكِينَ الوَثنيِّين، ولا أدلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ من قَوْل جابر رزق في مُقَابلةٍ له نُشِرَتْ في مجلة «الاعتصام»(١): «... وقَدْ نَسِيَ صدام حسين أنَّه سَيُقَاتِلُ شَعْبًا تعداده أَرْبعةُ أَضْعافِ الشَّعب العِرَاقيِّ، وهَذَا الشَّعبُ هُوَ الشَّعبُ المُسْلمُ الوحيدُ الَّذي اسْتطَاعَ أن يَتمرَّدَ عَلَىٰ الإمبرياليَّة الصَّليبيَّة واليَهوديَّة».

وقول التَّنظيم الدّولي للإخوان: «ولَوْ كانَ الأمرُ يخصُّ إيران وَحْدها لقبلت حلًّا وسطًا بَعْد أن تبيَّنت ما حَوْلها، ولكنَّه الإِسْلَامُ وشُعُوبُهُ في كلِّ مكانٍ، وقَدْ أَصْبحَتْ أمانةً في عُنُقِ الحُكْمِ الإِسْلاميِّ الوحيد في العَالَمِ الَّذي فَرضَ نَفْسَه بِدِمَاءِ شَعْبِهِ في القَرْن العشرين لتَثْبيتِ حُكْم الله فَوْق حُكْمِ الحُكَّامِ، وفَوْقَ حُكْمِ الاسْتِعْمارِ والصُّهيونيَّة العالميَّة ٤٦م».

فَالقَارِئُ يَرَىٰ أَنَّ الإخوانَ قَدْ قرَّروا بكُتَّابهم الَّذين هم أَلْسِنتُهُمْ النَّاطقة وتَنْظيمهم أنَّ الشَّعبَ الإيرانيَّ هو الشَّعبُ المسلمُ الوحيدُ، مُتَجاهلِينَ جَمِيعَ المُسْلمينَ في الأَرْضِ، وعَلَىٰ رَأْسِهم الدَّولة السّعوديَّة الَّتي قَامَتْ من أَوَّلِ يَوْمها عَلَىٰ التَّوحِيدِ، ومَا زَالَتْ عليه، والحَمْدُ لله، فَهِيَ الَّتي يُدرَّس فِيهَا التَّوحيدُ في مَدَارِسها ومَعَاهِدِهَا وجَامِعَاتِها، ولَيْسَ فيها أَضْرحةٌ ولا قُبُورٌ يَرْتادها الجُهَّالُ،

---

(١) عام ١٤٠١ هـ (ص ٢٧) عدد محرم.

وشَعْبُها كلُّه شَعْبٌ مُسْلِمٌ، والحَمْدُ لله، علمًا بأنَّ سَائِرَ الشُّعُوبِ الإسلاميَّة ما من شَعْبٍ وإِنْ كانَ قَادَتُهُ يحكمون بالقَانُونِ وعَامَّته يَعْبُدُونَ القُبُورَ إِلَّا وَفِيهِ مُسْلمونَ حقًّا يُوحِّدون الله، ويُحكِّمونَ شَرْعَه في أَنْفُسِهِمْ ومن تَحْت أَيْدِيهِمْ عَلَىٰ حسَبِ الاستطاعةِ، فنَفْيُ الإِسْلَام عَنْ جَمِيعِ المُسْلِمينَ والحُكْمُ بِهِ لإِيرَانِ وَحْدها - مع ما في مَذْهبِها من البُعْد عَنِ الإِسْلامِ - جَهْلٌ مِن أَقْبَحِ الجَهْلِ، وظُلْمٌ مِن أَعْظَمِ الظُّلْمِ.

سادسًا: ضَعْفُ الوَلَاءِ والبَراءِ في المَنْهجَينِ، وقَدْ سَبَق الاسْتِدْلالُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

سابعًا: أنَّ المُؤسِّسين في المَنْهجَينِ قَدْ تربَّوْا في أَحْضَانِ الصُّوفيَّةِ، وإِنْ كانَ مُؤسِّسُ التَّبليغِ أَعْظمَ إِيغالًا في الصُّوفيَّةِ، وتأَثُّرًا بها.

ثامنًا: اتِّخاذهم لِهَؤُلَاءِ المُؤسِّسينَ مُشرِّعينَ يَتحَاكَمون إِلَىٰ أَقْوالِهِم، ويَترَسَّمونها ويَؤُمُّونها ويتَّخذونها نِبْراسًا يَعُودُونَ إِلَيْها عِنْدَ التَّشاجر، فيَقُولُونَ: قالَ الإمامُ كَذَا في كتابِ كَذَا.

تاسعًا: سَنُّوا لَهُمْ بِدَعًا فَأَخذُوهَا، وَرَسَموا لَهُمْ خُطَّةً فَاتَّبعوها، وزَعَموا أَنَّها هي الضَّمانُ للمَصْلحةِ دُونَ غَيْرها.

عاشرًا: سَنُّوا لَهُمُ البَيْعةَ، فأَخَذوا بِهَا، وإِنْ كانَ في ذَلِكَ مُخَالفةٌ لهَدْي النَّبيِّ ﷺ وأَصْحابِهِ وعُلَماءِ السَّلَفِ من ذَلِكَ الزَّمَنِ إِلَىٰ زَمَننا هذا، لا نَعْلم أنَّ دَاعيةً قَدْ قامَ بدَعْوةٍ إِلَىٰ الله، فأَخَذ البيعةَ من النَّاس عَلَيها إِلَّا إذَا كانَ يُريدُ بِدَعْوتِه مُلْكًا.

حادي عشر: أَنَّهم سَنُّوا لهم الإمارةَ في الحَضَر، فأَخَذوا بها وإِنْ كانت مُخَالفةً لهَدْي المُصْطفىٰ ﷺ وأَصْحابِهِ ومَنْ سار عَلَىٰ هَدْيه من سَلَف الأُمَّة وإِلىٰ يَوْمنا هذا، وغَرَّروا بهذا عَلَىٰ الأَحْداثِ، وأَعْطَوهم مَناصب وَهْميَّةً، فَظَنُّوا أَنَّهم قَدْ حَازُوا من العِلْمِ مَا يَكْفِي، فكَانُوا مثل عتاب بن أسيد، ومُحمَّد بن

القاسم رحمهم الله.

ثاني عشر: سَنُّوا لهم الخُرُوجَ للدَّعوة - فيما زَعموا - وإن اختلَفَتْ صفتُهُ من مَنْهجٍ إلَىٰ مَنْهجٍ، وما عَرَفنا عن السَّلَفِ أنَّهم كَانُوا يَخرجون إلَّا للغزو، وما كانوا يَجْلسونَ لإلْقاءِ الدُّروسِ، وتَعْليم القرآن، والسُّنن وتَعلُّمها إلَّا في المَسَاجِدِ.

ثالث عشر: سَنُّوا لهم التَّقيَّةَ زَاعِمِينَ في ذَلِكَ أنَّهم يَتأسَّوْنَ بالنَّبيِّ ﷺ في دعوتِه السِّريَّةِ.

والجوابُ: أنَّ الدَّعوةَ السِّريَّةَ قَدْ نُسِخَتْ بقولِهِ تَعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

رابع عشر: أنَّ كُلًّا من المَنْهجينِ قَدْ حَصَر الإسْلَامَ في الأُصُولِ الَّتي أَلْزمَ بها أَتْباعَه؛ فالمَنْهجُ الإخْوانيُّ - مثلًا - حَصَر الإسْلَامَ في الأُصُولِ العِشْرِينَ، أو جعَل لها مَزيَّةً علىٰ غَيْرها.

والمَنْهجُ التَّبليغيُّ قَدْ أَلْزمَ أَتْباعَه بالأُصُولِ السِّتَّةِ، أو جَعَل لها العنايةَ دون غيرها، وهذا ما أنزلَ اللهُ به من سُلْطانٍ.

خامس عشر: أنَّ كُلًّا من المَنْهجينِ يُعْنَون بالفَضَائِلِ، ويُزَهِّدونَ ويَزْهَدون في العَقَائِدِ وتَعلُّمها، وتَعلُّم السُّنَّةِ، ويُفضِّلون العبادةَ والدَّعوةَ - وإن كَانَتْ عَلَىٰ جَهْلٍ وبِدَعٍ - عَلَىٰ الفِقْهِ في الدِّينِ؛ سواء كانَ هو الفِقْهَ العقائديَّ المبنيَّ عَلَىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ، أو الفِقْهَ الفُرُوعيَّ المأخوذ مِنْهما، فكَمْ غرُّوا من جُهَّالٍ وأطفالٍ عن أَنْفُسِهِمْ وعَنْ طَلَبِ العِلْمِ الَّذي يَنْفع بِمَا أَعْطوهُمْ مِنْ إِمَارةٍ، ورُتَبٍ وَهْميَّةٍ لكي يَقُودوا جُهَّالًا مِثْلهم إلَىٰ الدَّينونةِ بذَلِكَ المَنْهجِ الخَاطِئِ، ويَغرُّوهم كَمَا غُرُّوا، ويظنُّ الجميعُ بأَنْفُسِهِمْ أنَّهم علماءُ، ويَكُونُونَ كلُّهم ضَحيَّةً لِتِلْكَ المَنَاهجِ

الخَاطِئَةِ، وفِيمَا ذُكِر كِفَايةٌ يستدلُّ بِهِ عَلَىٰ ما وَرَاءه.

وأخيرًا:

فَإنِّي أَدْعو القُرَّاءَ الكرامَ مِمَّنِ انخَدعوا بتِلْكَ المَنَاهِجِ المُبْتدعَةِ؛ سواء كَانُوا مِنْ إخْوَانِنا طُلَّابِ العِلْمِ في المَمْلكةِ الَّذين دَرَسوا التَّوحيدَ مُنْذ نُعُومةِ أَظْفارِهِمْ إلَىٰ آخِرِ سَنَةٍ في الجَامِعَةِ، أو من غَيْرهم، أَدْعُوهم إِلَىٰ قِرَاءةِ المُلَاحظَاتِ الَّتي حَوَاها هَذَا الكتابُ، ولَاحَظَها عَلَيهم أَهْلُ العِلْم، وما كان لي فيها إِلَّا مَزِيَّةُ الجَمْع والتَّرتيب فقط.

أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ قراءتها مُتجرِّدينَ عن الحِزْبيَّة والعصبيَّةِ، وأَنْ يَنْظروا إِلَيْها بعَيْنِ الحقِّ والعَدْلِ، لا بِعَيْنِ البُغْضِ لِكَاتِبِها لكونِهِ نَقَدَ الحِزْبَ الَّذي يَنْتمي إليه هَذَا القارئُ، فلعلَّ النَّاقدَ كان مُشْفقًا عَليكم وعلىٰ أَمْثالِكم أَنْ تَعِيشُوا وتَمُوتُوا عَلَىٰ باطلٍ.

وليعلموا أنَّه لَا يَنْفع عند الله، ولا يُنْجِي من عذابِهِ إِلَّا مُتَابعة نبيِّ الهُدَىٰ ﷺ الَّذي أَرْسَله اللهُ رَحْمةً للعَالَمين، وحُجَّةً عَلَىٰ الكَافِرينَ والمُعَانِدِينَ مُحمَّد بن عبد الله الأمين، صَلَواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه وعلىٰ سَائِرِ الأَنْبياءِ والمُرْسلِينَ.

وأنَّ كلَّ خُلَّةٍ وقرابةٍ وصداقةٍ وصلةٍ منقطعةٌ يوم القيامة، وذاهبةٌ، وغير مفيدةٍ، إلَّا ما قدَّمه العبدُ من عملٍ مطيعًا فيه لله، مُتَّبعًا لرَسُول الله ﷺ، وأنَّ كلَّ قريبٍ وصديقٍ وخليلٍ سيتخلَّىٰ عنك في ذَلِكَ المَوْقفِ العَصِيبِ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [النحل: ١١١].

اقْرَؤوا هَذِهِ المُلَاحَظاتِ لِتكُونُوا عَلَىٰ بَيِّنَةٍ من أَمْرِكُمْ، وَلَا يَغُرَنَّكُمْ مَنْ يَقُول: إنَّ هَذَا تَجَنٍّ عَلَىٰ هَذِهِ المَنَاهِجِ، ومُبَالغةٌ في النَّقد بدون حقٍّ، رَاجِعوا الفَقَراتِ المَنْقودةَ في الكُتُبِ الَّتي أخذت منها إن شَكَكتُمْ، وَاسْأَلوا الله أن يَهْديكم إِلَىٰ الحقِّ، ويُثَبِّتكم عليه، فهو لا يردُّ مَنْ طَرَقَ بابَه صادقًا.

اللَّهمَّ إِنَّ هَذَا جهدُ مُقلٍّ فتقبَّله منِّي، فأنتَ تَعْلمُ أنِّي دافعتُ بِهِ عن التَّوحيدِ والسُّنَّةِ الَّتي هي عَقِيدةُ السَّلَفِ من الصَّحابةِ والتَّابعين، ومَنْ بعدهم من الأئمَّةِ المُهْتدينَ، وانْفعنِي به في يوم الفَاقَةِ والحاجةِ، يوم لا يَنْفع مالٌ ولا بَنُون إلَّا مَنْ أتىٰ الله بقلبٍ سليمٍ.

اللَّهمَّ ما كان فيه من حقٍّ وصوابٍ فهو منك؛ لأنَّه تمَّ بعَوْنك وتَوْفيقك وتَسْديدك، وما كان فيه من خطإٍ وباطلٍ فهو منِّي، واللهُ ورَسُولهُ بَرِيئانِ من ذَلِكَ.

سبحان رَبِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ عَلَىٰ المُرْسلين، والحمدُ لله ربِّ العَالَمينَ، وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمعينَ.

وَكَانَ الانتهاءُ من هَذَا السِّفر المبارك في يوم الخميس ١٤/ ٩/ ١٤١٤هـ

حرَّر ما فيه

أحمد بن يحيى النجمي



رَدُّ الجواب
على مَن طَلَب منِّي
عَدم طَبْع الكتاب

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ
عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين
عضو إفتاء بالرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد

التاريخ ١١ / ٤ / ١٤١٨هـ
الموافق / / ١٩م

من محبك بلا ريب الداعي لك بظهر الغيب محبك وأليفك وتالدك وطريفك من عز عليك فراقه وتعززت لك أحداقه وزاد عليك اشتياقه أخيك في الله عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين إلى الأخ وصديقي وحبيبي وشقيقي الشيخ أحمد بن يحيى النجمي سلمه الله وهداه وحفظه وتولاه وأصلح له أمر دينه ودنياه وجعله من حزبه وأوليائه الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه وبعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته وأزكى وأشرف تحياته وبعد سؤالنا عن أحوالكم جعلها الله أحوالاً سليمة وعلى الحق مستقيمة ثم إني تسلمت كتابكم الذي بعنوان (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال) ولقد راقني هذا العنوان الشيق إلى أن أقرأ كله ولكن وجدت في أوله موضوعات مفيدة في الدعوة إلى التوحيد ومناهج الدعوة ولما وصلت إلى الباب التاسع وقعت فيه ما لم أكن أتوقعه من مثل فضيلتكم من الوقيعة في شخصية الشيخ حسن البنا فقد صببت عليه جام الغضب وحملت كلامه ما لم يحتمل وقد كنت منذ أربعين سنة أتلقى أخباره من مشايخ أجلاء مثل الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد الرحمن الدوسري والشيخ عبد الله بن حميد والشيخ عبد العزيز بن باز ونحوهم ممن عرفوه شخصيا وأثنوا على دعوته وذكروا آثاره الحسنة وسبروا أخباره وعذروه في الأخطاء التي وقعت منه ووجهوا كلامه بما يعرف به أنه مخلص مجتهد نفع الله بدعوته وهدى به خلقا كثيرا ولم نزل نسمع الثناء عليه في المجالس والقراءة في كتبه إلى نحو سبع سنين حيث انقلب عليه أكثر الإخوان وبحثوا حقه وتسلطوا عليه بدون موجب للتخصيص فهناك كتب مشهورة شر من كتبه وهناك دعاة أحياء وأموات اشتد انحرافهم فشأننا النصيحة أيها الشيخ أن تعيد النظر وتخرج عن الوقيعة في هذا الداعية الذي نفع الله به وأرى أن لا تطبع هذا الكتاب الذي تشوه به سمعتك وتقع في عرض هذا أخيك المسلم وأنا أعتذر عن إرسال النسخة الأخرى التي علقت عليها تعليقات لا أحب ظهورها ولعل لنا مناقشة تكون شفهية إذا يسر الله لنا اللقاء والله يتولى حفظك ورعايتك وأبلغ سلامي الأولاد والمشايخ ونستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
عضو دار الإفتاء والبحوث العلمية

تلفون العمل ٤٥٩٦٥٢٠ - المنزل ٤٢٥٣٠٥٠ - الرياض - المملكة العربية السعودية
Tel. Work 4596520, Res. 4253050, Riyadh, Saudi Arabia

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشَّيْخ

عبد الله بن عبد الرَّحمن بن عبد الله الجبرين

عضو إفتاء بالرِّئاسة العامَّة لإدارة البُحُوث العلميَّة

والإفتاء والدَّعوة والإرشاد.

التَّاريخ ١١/٤/١٤١٨هـ

الموافق / / ١٩م

من مُحبِّك بِلَا رَيبٍ، الدَّاعي لَكَ بظَهْرِ الغَيْب، مُحبُّك وأَلِيفك، وتَالِدُك وطَرِيفُك، مَنْ عزَّ عَلَيك فراقُهُ، وتَرَقْرقَت لَكَ أحداقُهُ، وزادَ عَلَيك اشْتياقُهُ، أَخِيكَ في اللهِ عَبْد الله بن عَبْد الرَّحمن الجبرين، إلىٰ أخي وصَدِيقِي، وحَبِيبِي وشَقِيقِي؛ الشَّيخ أَحْمد بن يَحْيىٰ النجمي سَلَّمه الله وهَدَاه، وحَفِظَهُ وتولَّاه، وأَصْلَحَ له أمرَ دينِه ودُنياه، وجعَله مِن حزبِه وأوليائِه الَّذين يَغضبون لغضبِه، ويَرْضونَ لِرضاه، وبَعْد:

السَّلامُ عليكم ورَحمة الله وبركاتُهُ، ومَغْفرتُهُ ومَرضاتُهُ، وَأَزكىٰ وأَشرف تَحيَّاته، وبَعد سُؤالِنَا عن أَحْوالِكم جَعَلها اللهُ أَحْوالًا سليمةً، وعَلَىٰ الحقِّ مُسْتقيمةً، ثمَّ إنِّي تَسلَّمتُ كِتَابَكم الَّذي بعُنوان: «المَوْرد العَذب الزُّلال فيما انْتُقِدَ عَلَىٰ بَعض المَنَاهج الدَّعويَّة من العَقَائد والأَعْمال».

ولقَدْ رَاقَني هَذَا العُنْوان الشَّيِّق إلىٰ أَنْ أَقْرأه كلَّه، وَلَكِن وَجدتُ في أَوَّله مَوضوعاتٍ مفيدةً في الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ومَنَاهج الدَّعوة، ولَمَّا وَصَلتُ إلىٰ

الباب التَّاسع، وَقَعتُ علىٰ ما لَم أكُن أتوقَّعه من مثل فَضيلتكم؛ من الوَقِيعَةِ في شَخصيَّة الحسَن البنَّا، فقَد صَبَبتَ عليه جامّ الغضَب، وحمَّلتَ كلامَه ما لم يَحْتمل، وقَد كُنْت مُنْذ أربعينَ سنةً أتلقَّىٰ أخبارَه من مَشَايخ أجلَّاء؛ أمثال الشَّيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي، والشَّيخ عبد الرَّحمن الدوسري، والشَّيخ عبد الله ابن حميد، والشَّيخ عبد العزيز بن باز، ونحوهم مِمَّن عرَفوه شخصيًّا، وأثْنَوا علىٰ دَعْوتِهِ، وذكرُوا آثارَه الحسَنة، وسَبرُوا أخبارَه، وعذَروه في الأخطاءِ الَّتي وقعتْ منه، ووَجدوا كلَامه ما يُعْرف به أنَّه مخلصٌ مُوحِّدٌ، نَفَع اللهُ بدعوتِه، وهدَىٰ به خلقًا كثيرًا، ولَم نَزل نَسمع الثَّناء عليه في المجالس، والقِرَاءة في كتُبه نحو سَبْع سنينَ، حيثُ انْقلَب عليه أكثرُ الإخوان، وبخَسوه حقَّه، وتَسلَّطوا عليه بدون موجبٍ للتَّخْصيص، فهُناك كتبٌ مشهورةٌ شرٌّ من كُتُبه، وهُنَاك دُعَاة أحياءٌ وأمواتٌ أشدُّ انحرافًا منه.

فأنَا أَنْصَحك أيُّها الشَّيخ أن تَصُونَ لِسانَك وقلمك عن الوقيعةِ في هذا الدَّاعية الَّذي نفَع اللهُ به، وألَّا تطبعَ هذا الكتابَ الَّذي تُشوِّه به سُمْعتك، وتَقَع في عِرضِ أخيكَ المُسلم، وأنا أعتذرُ عن إرسالِ النُّسخة لأنِّي قد علَّقتُ عليها تعليقاتٍ لا أُحبُّ ظُهورَها، ولعلَّ المُناقشة تكون شفهيَّةً إذا يسَّر اللهُ لنا اللِّقاءَ، واللهُ يَتولَّىٰ حِفْظَك ورِعايَتك، وأبلغ سلَامنا الأولادَ والمشايخَ، ونَسْتَودعك اللهَ الَّذي لا تَضيعُ ودائعُه، وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وَسلَّم.

الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن الجبرين

عضو في دار الإفتاء والدَّعوة والإرشاد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي إلىٰ الأخ في الله المُحبِّ فيه العضو في دار الإفتاء:

الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن الجبرين المحترم:

السَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ، **وبعد:**

فقَدْ وَصَلَ إليَّ كِتَابُكُم الكريمُ المُحرَّر ١١/ ٤/ ١٤١٨هـ، ومَعَه هَدِيَّتكم الثَّمينةُ، وهِيَ مُؤلَّفاتكم القَيِّمةُ، فجَزَاكم اللهُ خيرًا، وبَارَك فِيكُمْ وعَلَيكُم، وَأَلْهَمنا وإيَّاكُم رُشْدَنا، وأعاذَنا وإيَّاكُم مِن شَرِّ أَنفُسنا، وإنِّي إذْ أَشكرُكم علىٰ الهديَّة، أَشكركم أيضًا علىٰ النَّصيحة والمُصَارحةِ إنْ كَانَت في محلِّها، وإنَّ الواجب علىٰ المُسلم أنْ يقبلَ النَّصيحة إن كانت في محلِّها، وَأنْ يُبيِّن الصَّوابَ للنَّاصح إذا كَانَت نصيحتُهُ مُشْتملةً علىٰ خطأ في الفَهْم، أَوْ خَطَلٍ في القَولِ، وإنِّي أَسْتمِيحُكُم عُذْرًا، وأعتذر إلَيكم سلفًا إنْ حَصَل في المُنَاقشةِ شيءٌ من الصَّراحةِ الَّتي ربَّما فُسِّرت بأنَّ فِيهَا جَرحًا للمَشَاعر.

فأقول: قلتَ في رِسالَتِكَ: «كتابكم الَّذي بعنوان: (المَوْرد العَذْب الزُّلَال فيما انتُقد علىٰ بَعْض المَنَاهج الدَّعويَّة من العَقَائد والأَعْمال)، ولَقَدْ رَاقَنِي هذا العنوانُ الشَّيِّق... »، إلىٰ أَنْ قُلْتَ: «ولمَّا وَصَلتُ إلىٰ الباب التَّاسع وقعتُ علىٰ ما لَمْ أَكُنْ أتوقَّعه منكم... ». اهـ.

وأقول: لقَدْ أَسِفتُ حين قرأتُ رِسَالتكم أن يَصْدر مثل هذا من مِثلكم في علمِهِ ومكانتِهِ، ولَيْتك واصلتَ القراءةَ لِتعلمَ هل سَطَّرتُ فيه حقًّا أو باطلًا، فإنْ كان حقًّا أَيِّدتَه؛ امتثالًا لِقول النَّبيِّ ﷺ، نبيِّ الهُدىٰ ورسولِ الرَّحمة حيثُ يقول: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قال: هذا أَنْصرُهُ إذا كان مَظْلُومًا، فَكيفَ أَنْصُرُه

إذا كَانَ ظَالِمًا؟ قال: «تَرْدَعُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ عَنْ ظُلْمِهِ»(١).

وَإِنْ كانَ الَّذي سَطَّرتُه باطلًا، نَصرْتَني ببيان الحقِّ لي بِدلائلِه وبراهينِه، وأنا مُسْتعدٌّ أَنْ أَقْبلَ مِنكَ وأَشكرك وأَدْعو لكَ؛ لأنَّك رَحِمْتَنِي من إثمٍ وظُلمٍ كدتُ أَنْ أَقَعَ فيه، بشَرط أن يكونَ ذلكَ النَّقْدُ مُفصَّلًا بالبراهينِ السَّاطعةِ، والأدلَّةِ القاطعةِ الَّتي تُبيِّنُ خطئِي، أمَّا أن تصلَ إلىٰ الباب التَّاسع، وتتْرُك القراءةَ، وتَحْمل عليَّ حمْلة شَعْواء بلا دليلٍ، فهذا لا أَقبلُه منك، ولا أُوافِقك عليه أبدًا.

وأمَّا قولُك: بأنَّ العنوانَ راقَك، فَقرَّرت قراءتَه كلَّه، حيثُ قلتَ: «ولقَدْ راقَني هذا العُنوان الشَّيِّق إلىٰ أَنْ أَقْرأه كلَّه، ولكِن وَجدتُ في أَوَّله مَوضوعاتٍ مفيدةً في الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ومَناهج الدَّعوة، ولَمَّا وَصَلتُ إلىٰ الباب التَّاسع، وَقَعتُ علىٰ ما لَم أَكُن أَتوقَّعه من مثل فَضيلتكم؛ من الوَقِيعةِ في شَخصيَّة الحَسَن البنَّا، فقَد صَببتَ عَليه جامّ الغضَب».

وأقول: أَوَّلًا: يَعْلم اللهُ عالمُ الغيب والشَّهادة أنِّي لا أريدُ الوَقيعةَ في عِرض أَحدٍ؛ لا حسن البنَّا ولا غيره، وأنا أعلمُ أنَّ الحُقُوقَ تُؤخَذ يوم القيامة بالحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ.

ثانيًا: أَنتُم تَعلمون أنَّ ذِكْرَ الشَّخص بِمَا فِيهِ من الخِصَالِ الذَّمِيمة جائزٌ إذا كان ذلكَ لِمصلحةٍ، وهي مِن الغيبة المُباحة.

والدَّليلُ علىٰ ذلكَ: قولُ النَّبيِّ ﷺ لِفاطمة بنت قيس حين جاءَتْ تَسْتشيرُهُ مِمَّن تتزوَّج، فقالَ: **«أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَه، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَضَرَّابٌ**

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٩٥٢) مِن حديثِ أنس رضي الله عنه بلفظ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»، وأخرجه بنحوه مُسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ انْكِحِي أُسَامَةَ»(١).

وأقرَّ هندَ بنت عُتبةَ علىٰ قولها: «إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، لَا يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِيَّ... » الحديث(٢).

وقَالَ فِي الَّذي استأذَنَ عليه: «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ»(٣).

ثالثًا: أنتُم تَعلمونَ أنَّ أصحابَ الحديث تكلَّموا في الرُّواة الَّذين فيهم ما يُوجِب ردَّ رِوايتِهم وضَعفها، فقالوا: فلانٌ كَذَّابٌ، وفلانٌ وضَّاعٌ، وفلانٌ يَروي عن الثِّقات ما ليس مِن حدِيثهم، وفُلانٌ سيِّئُ الحفظِ، وفلانٌ كثيرُ الخطأ، وفلانٌ فيه غفلةٌ، فعَلوا ذلك نصيحةً لله ولرسولِه وللمسلمينَ، وذبًّا عن سُنَّةِ رسول الله ﷺ أن يُدخلَ فيها ما ليس منها؛ حتَّىٰ قيل لبعضهم: كيف تَصنع إذا جاءَ هؤلاء - يعني: الَّذين تكلَّم فيهم وجرَّحهم - يوم القيامةِ كلُّهم خُصومك، فقال: «لأَن يأتي هؤُلاء كلُّهم خُصومي أحبُّ إليَّ مِن أن يكونَ رسولُ الله ﷺ يومَ القيامةِ خصمِي»(٤).

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١٤٨٠) من حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بلفظ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٣٦٤) ومسلمٌ (١٧١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتتمته: «إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ».

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلمٌ (٢٥٩١)، والحديث بتمامه: أنَّ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ»، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الكَلَامَ؟ قَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتِّقَاءَ فُحْشِهِ».

(٤) قال ابنُ الصَّلاح في «مُقدِّمته» (ص ٢٣٦): «ورويتُ عن أبي بكر بن خلَّاد قال: قلتُ ليحيىٰ ابن سعيد: أمَا تخشىٰ أنْ يكونَ هؤلاء الَّذين تركتَ حديثَهم خصماءَك عند الله يوم القيامةِ؟ فقال: لَأَنْ يكونُوا =

ومِن أَجْل ذلكَ فقدْ تكلَّم أئمَّةُ الحديث في الرُّواة المجروحينَ بِدونِ تحرُّجٍ، بلْ اعتبَروا ذلك مِن خير أعمالِهم الَّتي يُرجَىٰ ذُخْرها، ويُؤمَّل ثوابُها.

رابعًا: قلتَ في كتابك «أخبار الآحاد في الحديث النَّبويِّ»، وفي الفصل الخامس: (جهُود عُلماء السُّنَّة في حِفْظِ الحديث) (ص ٣٠)، قلتَ - وأحسنتَ فيما قلتَ -: «تَتبُّع أَحْوالِ الرُّواةِ والبَحثُ عن مَكانتِهم في الحديث وأَهْليَّتهم علىٰ تَحمُّله، وقَد أَقْدَموا علىٰ الكلَامِ فيهِم مِن بابِ النَّصيحة للأُمَّةِ، حيثُ إنَّهم تَولَّوا نقْلَ شيءٍ مِن أَمْر الدِّين له حُكْمٌ.

وقدْ خصَّصُوا هذا النَّوعَ مِن عُموم النَّهي عن الغيبة لِمَا فيه من المصلحةِ العامَّةِ للأُمَّة». اهـ.

وهذا هو قولُ أهل العلمِ مِن الفقهاءِ والمُحدِّثين قاطبةً، فجَزاهم اللهُ خيرًا، وسترَىٰ فيما يأتي أنِّي إنَّما تكلَّمتُ في حسن البنَّا وأهل حِزبِه نُصحًا للأمَّةِ، ولستُ أُزكِّي نَفسِي، واللهُ تعالىٰ مُطَّلعٌ علىٰ ما نُخفي وما نُعلِنُ، وما يَخفىٰ علىٰ الله من شيءٍ في الأَرض ولا في السَّماءِ.

خامسًا: فكِّر ما الَّذي حَملني علىٰ الكلَام في رجلٍ ماتَ وأنا في سنِّ الطُّفُولةِ، ولَم يَسفِك لي دمًا، ولَم يَنتهِك لي عِرضًا، ولَم يَأْخذ عليَّ مالًا، فمَا الَّذي يَحْملُني علىٰ الكلَام فيهِ، ولَم يَظلمني أنا شَخصيًّا بشيءٍ، إن كنت تكلَّمتُ فيه من غير سابقِ ظلمٍ منه لي، ولا مصلحةٍ دينيَّةٍ تكلَّمت فيه من أَجْلِها، فأنَا ظالمٌ مُعتدٍ، وسيأخذُ اللهُ له بحقِّه منِّي.

=

خصمائِي أحبُّ إليَّ مِن أنْ يكون خصمِي رسولَ الله ﷺ، يقول لي: لِمَ لَمْ تذُبَّ الكذِب عن حدِيثِي».

سادسًا: بُلِينَا في زمنِنا هذا بمناهجَ دَعويَّةٍ وَرَدتْ إلينا مِن خارج بِلادِنا، تَغضُّ الطَّرفَ عنِ الشِّركِ الأكبرِ، وتَتهاونُ في التَّوحيد، وتَتعبَّد بالبدَعِ، ومن أهمِّ تلكَ المناهِجِ وأكثرِها شُيوعًا وأكثرِها فسادًا وإفسادًا: منهجُ (الإخوان المسلمين) إنَّه يغسل أدمغةَ الشَّباب الَّذين يَتربَّون فيه، ويُحوِّلهم إلىٰ ثوريِّين تكفيريِّين إرهابيِّين خوَارج، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ، ومِن أهمِّها: اعترافات الَّذين فجَّروا في «العُليَّا» في «الرِّياض» عبد العزيز المعثم ورفاقه، فهذا ما جعَلني أكتبُ عنه وعن أَهل حزبِه قبل أن تقَع قصَّةُ التَّفجير.

سابعًا: قولك: إنَّك لمَّا وصلتَ إلىٰ (الباب التَّاسع) وقعتَ علىٰ ما لمْ تكن تَتوقَّعه منِّي مِن الوقيعة في شخصيَّة حسن البنَّا، فقَد صببت عليه جامّ الغضب، وحمَّلت كَلامَه ما لَم يَحتمل، فجوابه:

أنَّك لو قرأتَ الكتابَ كلَّه بإنصافٍ لعلمتَ أنِّي بَيَّنتُ ما في هذا المَنهجِ ومُؤسِّسه من المُخَالفاتِ للشَّرع الإسلاميِّ، ولعقيدة السَّلفِ، فهو الَّذي يقول باعتراف أَخيهِ مفتخرًا وهو مَنْشورٌ في كتُبِ أَهلِ حِزبِه:

اللهُ قُلْ وذَرِ الوُجُودَ وَمَا حَوَىٰ إنْ كنتَ مُرْتادًا بُلُوغَ كمالِ
فجميعُ مَا في الكونِ إنْ حَقَّقتَه عدمٌ علىٰ التَّفصيلِ والإجمالِ[1]

(١) نقل جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذتِه ومعاصريه» (ص ٧٠ - ٧١) عن مجلَّة (الدَّعوة) فبراير (١٩٥١هـ) حديث عبد الرَّحمن البنَّا عن أخيه حسن البنَّا، قال فيه: «وعقِب صلاةِ العشاء يجلس أخي (حسن البنَّا) إلىٰ الذَّاكرين مِن جماعة الإخوان الحصافيَّة، وقد أشرق قلبُه بنور الله، فأجلس إلىٰ جواره نذكر الله مع الذَّاكرين، وقَد خلا المسجد إلَّا مِن أهل الذِّكر، وخبأ الصَّوتُ إلَّا ذبالة مِن سراج، وسكن اللَّيل إلَّا همسات مِن دعاءٍ، أو ومضات مِن ضياءٍ، وشمل المكان كلّه نور سماويٌّ، ولَفَّه جلال =

فإن كنتَ ترىٰ أنّي حمَّلتُ كلامَه ما لم يَحتمله، ففسِّر لي كلامَه هذا بما يَحتمله شرعًا وعقلًا غير وحدة الوجُود.

ثانيًا: وَهُو الَّذي كان ينشد:

صَلَّىٰ الإلَه عَلَىٰ النُّور الَّذي ظَهَرا ... للعَالَمين ففَاقَ الشَّمسَ والقَمَرا

هَذَا الحبيبُ مَعَ الأحبَابِ قَد حَضَرا ... وسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَد مَضَىٰ وجَرَىٰ(1)

فسِّر لي هذِهِ الأبيات بتفسيرٍ يَحتملُه هذا اللَّفظ غير الشِّرك الأكبر في قولِه:

=

ربانيٌّ، وذابت الأجسام، وهامت الأرواح، وتلاشىٰ كلُّ شيءٍ في الوجود، وانمحىٰ وانساب بصوت المنشد في حلاوة وتطريب.

الله قُلْ وذرِ الوُجودَ ومَا حَوىٰ ... إنْ كُنتَ مُرتَادًا بُلوغَ كَمَالِ

فَالكُلُّ دون اللهِ إنْ حقَّقتَه ... عدم علىٰ التَّفصيل والإجْمَالِ

(1) ونقَل - أيضًا - في المصدر المذكور (ص ٧٠ - ٧١) عن عبد الرَّحمن البنَّا قوله: «وذلك أنَّه حينَ يهلُّ هلال ربيع الأوَّل، كنَّا نسير في موكبٍ مسائيٍّ كلَّ ليلة الثَّاني عشر ننشد القصائد في مدح الرَّسول ﷺ، وكان مِن قصائدِه المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صَلَّىٰ الإلَهُ علىٰ النُّورِ الَّذِي ظَهَرَا ... لِلْعَالَمِينَ فَفَاقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَا

كان هذا البيت تردِّده المجموعة، ينشد أخي وأنشد معه.

هَذَا الحَبيبُ مَعَ الأحبابِ قدْ حضَرَا ... وسَامَحَ الكُلَّ فِي مَا قَد مضَىٰ وجرَىٰ

لقَدْ أدَارَ عَلَىٰ العُشَّاقِ خَمْرَتَهُ ... صرْفًا يكَادُ سَناهَا يُذهِبُ البَصَرَا

يَا سَعْدُ كرِّر لنا ذِكْرَ الحَبيبِ لَقَدْ ... بَلْبَلْتَ أسْماعَنَا يا مُطربَ الفُقَرَا

وَمَا لِرَكْبِ الحِمَىٰ مَالَتْ مَعاطِفُه ... لا شَكَّ أنَّ حَبيبَ القَومِ قَدْ حضَرَا

بواسطة «دعوة الإخوان في ميزان الإسلام» (٦٣ - ٦٢).

«وسَامحَ الكُلَّ فِيمَا قَد مَضَىٰ وجَرَىٰ»، وغير الكذِبِ علىٰ النَّبيِّ ﷺ في قوله: «هذَا الحبيبُ مَعَ الأَحبَابِ قَد حَضَرا»، وتصديق فِرية الصُّوفيَّة الَّذين يقُولون: إنَّه ﷺ يَحضر حَفلهم البِدعيَّ، أَلَا وَهُو الاحتفالُ بالمَولِد.

ثالثًا: فسِّر لي ثناءَه علىٰ المرغني المَعروف بوحدة الوُجُودِ بتَفسيرٍ مُرضٍ لله ولرسولِه، ثمَّ للمؤمنين غير الرِّضا بوحدة الوجُود، والثَّناء علىٰ أَصحابها[1].

رابعًا: فَسِّر لي قولَه للَّجنَة المُشتركة: «لَيس بَيننا وبَين اليَهوُدِ عَداوةٌ دينيَّةٌ»[2]

---

(١) قال الشَّيخُ النَّجميُّ في «المورد العذب الزُّلال»: (٧/ ١٧٤-١٧٥ المجموع): «ومِن ذلكَ إقامتُه حفلًا لِتكريم السَّيِّد مُحمَّد عثمان الميرغني، قال فيه البنَّا: «إنَّ دارَ الإخوان لَتسعَد أكبر السَّعادة، وتَأنس أعظمَ الإيناسِ؛ إذ تَستقبلُ هذهِ القلوبَ الطَّاهرةَ، والنُّفوس الكريمةَ، أعلامَ الجهادِ، وأبطالَ العُروبةِ، وأقطابَ قادة السَّلام، أتقدَّم إلىٰ الزَّعيم السُّوداني الكريم السَّيِّد محمَّد عثمان الميرغني، وإلىٰ حضَرات الَّذين أجَابوا الدَّعوة بأجزل الشُّكر وأعظمه... »، إلىٰ أن قال: «أيُّها السَّادة، لعلَّ الكثيرَ لا يَعلمون أنَّنا نحن الإخوانُ مَدِينون للسَّادة الميرغنية بدَيْن المودَّةِ الخالصةِ، والحَفَاوةِ البالِغةِ الَّتي غَمَرونا بها مِن قبلُ ومِن بعدُ، كلَّما ذَهَب مَبْعوثنا إلىٰ السُّودان، لا، ولكن دَيْنٌ قديمٌ مُنذ نَشَأت الدَّعوةُ بالإسماعيليَّة، فقَد كان أوَّل أنصارها والمجاهدون لتركيزها الإخوان الختمية الميرغنيَّة، وقَد حضرت في سنة (١٩٣٧هـ) حفلًا للإسراءِ والمِعراجِ في زاويةِ وخلوةِ السَّيِّد عثمان الميرغني الكبير بالإسماعيليَّة، وهي لا تزالُ قائمةً، ولا زلتُ أذكرُ أخانا هناك، فالقلبُ الختمي والتَّأييدُ الختمي يَسِير مع الدَّعوةِ منذ فَجرِها، وسماحة السَّيِّد عثمان الميرغني الكبير ووارثه السَّيِّد محمد عثمان، هو أوَّل مَن حمَل هذا اللِّواء وبَشَّر به، فهذا تاريخٌ قديمٌ نَتحدَّث عنه أيُّها السَّادة لنُعبِّر لفرع الدَّوحة الكريمة السَّيِّد محمد عثمان عمَّا يكنُّه الإخوانُ لسماحتِه من حبٍّ ومودَّةٍ وتقديرٍ». «قافلة الإخوان المسلمين» للسيسي (١/ ٢٥٩).

(٢) نقل محمود عبد الحليم عن حسن البنَّا قولَه: «فأقرِّرُ أنَّ خصومتنا لليهود ليست دينيَّةً؛ لأنَّ القرآنَ حضَّ علىٰ مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبل أن يكون شريعةً قوميَّةً، وقَد أثنىٰ عليهم وجعَل بيننا وبينهم اتِّفاقًا: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وحينما أراد القرآنُ الكريمُ أنْ يتناولَ مسألةَ اليهود تناولَها مِن الوجهةِ الاقتصاديَّة والقانونيَّة». «أحداث صنعَت التَّاريخ» لعبد الحليم محمود (١/ ٤٠٩ - ٤١٠).

=

بتَفْسيرِ مُرضٍ لله ولرسولِه، ثمَّ للمؤمنين غير المُجَاملة لليهود وللنَّصارىٰ بالافتراءِ علىٰ الله ورَسُولِه والدِّين الإسلاميِّ.

خامسًا: فَسِّر لي مُحاضرتَه في مَشهد السَّيِّدة زينب بمُناسبة حفل العام الهجريِّ[1]، وعَدَم ذِكره للشِّرك، ولا نَهيه عنه مع أنَّه يرىٰ مَن يَتطوَّفون بالقبر، ويَسألون مِن صاحبتِه ما لا يُطلب إلَّا مِن الله، فَسِّر لي ذَلِك بتفسيرٍ مُرضٍ لله =

وقد سُئل سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الكلام:

ما حُكم الشَّرع فيمَن يقول: إنَّ خصومتنا مع اليهود ليستْ دينيَّة، وقد حثَّ القرآن علىٰ مصافتهم ومصادقتهم، وجعل بيننا وبينهم اتِّفاقًا، فقال: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، والإسلام شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبْلَ أنْ يكون شريعةً قوميَّةً، وحينما أراد القُرآن أنْ يتناولَ قضيَّةَ اليهودِ تناوَلَها مِن وجهةٍ اقتصاديَّةٍ وسياسيَّةٍ، فقال: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، إلىٰ نهاية الآية.

ما حُكمُ الشَّرع في هذه المقولة يا شيخَنا؟ **فأجاب سماحةُ الشَّيخ بقوله:** هذه مقالةٌ باطلةٌ خبيثةٌ، اليهودُ مِن أعدىٰ النَّاس للمؤمنين، هم مِن أشرِّ النَّاس، بل هم أشدُّ النَّاس عداوةً للمؤمنين مع الكفَّار، كما قال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾، فاليهودُ والوثنيُّون هُم أشدُّ النَّاس عداوةً للمُؤمنين، وهذه المقالةُ خاطئةٌ، ظالمةٌ، قبيحةٌ، منكرةٌ، والدَّعوة إلىٰ الله بالحُسنىٰ ليستْ خاصَّةً باليهود، ولا بغيرِهم، بل الدَّعوة إلىٰ الله مع اليهود، ومع الوثنيِّينَ، ومع الشُّيوعيِّين، ومع غيرهم، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، هذا عامٌّ للكفَّار ولغير الكفَّار، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، ليس خاصًّا بهم، ولكن مِن باب التَّنبيه علىٰ أنَّهم وإن كانُوا يهود أو نصارىٰ، فإنَّهم يجادلون بالَّتي هي أحسن؛ لأنَّ هذا أقرب لِدُخولهم في الإسلام، وإلىٰ قَبولهم الحقّ، إلَّا إذا ظلمُوا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، الظَّالم له ما يستحقُّ مِن الجزاء.

فالحاصلُ: أنَّ الدَّعوةَ بالَّتي هي أحسنُ عامَّةٌ لجميع الكفَّار، ولجميع المسلمين، الَّدعوة بالَّتي هي أحسنُ ليستْ خاصَّةً باليهود، ولا بالنَّصارىٰ، ولا بغيرهم.

فهذا الكلام الَّذي نقلتَه عن هذا الشَّخص، هذا غلطٌ، نسألُ اللهَ للجميع الهداية». نقلًا عن شريط مسجَّل بتاريخ (٢٨/ ٧/ ١٤١٢هـ) للشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) نَقَل ذلكَ عباس السيسي في كتابِه: «قافلة الإخوان المسلمين» (١/ ١٩٢).

ولرسوله ثمَّ للمؤمنينَ، غَير الرِّضا بِالشِّرك الأكبر، والإباحة له عنده وفي مَنهجِه.

سادسًا: فَسِّر لي مَشْيه إلىٰ قَبر الدّسوقيّ وسَنجر عشرين كيلو ذهابًا، وعشرينَ كيلو رُجُوعًا سَيرًا علىٰ الأقدام[1] بتفسيرِ مُرضٍ لله ولِرَسُولِهِ ثمَّ للمُؤمِنينَ، غير الزِّيارة الشِّركيَّة أو البِدعيَّة.

سابعًا: فَسِّر لي سَعيَه للتَّقريب بينَ السُّنَّة والرَّافضةِ[2] بتَفسير مُرضٍ لله ولرسولِهِ وللمؤمنين غير الجَهل بما عليه الرَّافضة مِن بِدَعٍ وضلالات أو تَهاونه

(١) قالَ حسَن البنَّا في «مذكرات الدَّعوة والدَّاعية» (ص ٣٣): «وكنَّا في كثيرٍ من أيَّام الجُمَع الَّتي يَتَصادف أنْ نَقضيَها في دمنهور، نقترحُ رحلةً لزيارة الأولياءِ القَريبينَ من دمنهور، فكُنَّا أحيانًا نزور «دسوقي»، فنَمشي علَىٰ أقدامنا بعد صَلاة الصُّبح مباشرةً بحَيثُ نصلُ حوالي السَّاعة الثَّامنة صباحًا، فنَقطع المسافةَ وَهِيَ حوالي عشرينَ كلم في ثلاث ساعاتٍ، ونَزُور ونُصلِّي الجُمُعة، ونَستريح بَعد الغداء، ونُصلِّي العصرَ، ونَعُود أدراجَنا إلَىٰ دمنهور حيث نَصِلها بعد المغرب تَقريبًا».

وقال أيضًا في الصفحة نفسها: «وكُنَّا أحيانًا نَزُور عزبة النَّوام حيثُ دُفِنَ في مَقبرتها الشَّيخ «سيد سنجر» مِن خواصِّ رجال الطَّريقة الحصَافيَّة، والمَعروفين بصَلاحهم وتَقواهم، ونَقضي يومًا كاملًا هناك، ثمَّ نعودُ».

(٢) قال عُمر التِّلمسانيّ في كتابه «ذكريات لا مُذكَّرات» (ص٢٤٩ - ٢٥٠): «وفي الأَربعينات - عَلَىٰ ما أذكرُ - كانَ السَّيِّدُ القميُّ وهو شيعيُّ المذهب، يَنزلُ ضيفًا علىٰ الإخوانِ في المركز العامّ، ووَقتها كان الإمامُ الشَّهيدُ يَعمل جادًّا علىٰ التَّقريبِ بينَ المذاهبِ حتَّىٰ لا يَتَّخذ أعداءُ الإسلام الفُرقةَ بين المذاهبِ مَنفذًا يَعملون من خلالِه علىٰ تمزيقِ وَحدةِ الأُمَّةِ الإسلاميَّة، وسَألناه يومًا عن مدَىٰ الخلافِ بين أهلِ السُّنَّةِ والشِّيعة، فنهَانا عن الدُّخولِ في مثل هذه المسائل الشَّائكة الَّتي لا يليق بالمسلمينَ أن يَشغلوا أنفسَهم بها، والمسلمون علىٰ ما ترىٰ من تَنابذٍ يعملُ أعداءُ الإسلامِ علىٰ إشعالِ ناره، قلنا لفضيلتِه: نحنُ لا نسألُ عن هذا للتَّعصُّبِ، أو توسعة هُوَّة الخلاف بين المُسلمين، ولكنَّنا نسألُ للعِلم؛ لأنَّ ما بين أهل السُّنَّة والشِّيعةِ مذكورٌ في مُؤلَّفات لا حصرَ لها، وليس لدينا من سَعة الوقتِ ما يمكنتنا مِن البحثِ في تلك المراجع».

فقال رضوان الله عليه: «اعلمُوا أنَّ السُّنَّة والشِّيعة مُسلمون، تَجمعُهم كلمةُ: (لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رسولُ الله)، وهذا أصلُ العقيدة، والسُّنَّةُ والشِّيعةُ فيه سواءٌ، وعلىٰ النَّقاءِ، أمَّا الخلافُ بينهما فهو في أُمُورٍ مِن المُمكن التَّقريبُ بينهما فيها».

بِضلالاتهم، وتَضحيته بالعقيدة الإسلاميَّةِ مِن أجل إرضائِهم.

ثامنًا: فَسِّر لي جَمْعه بَين المُتَناقِضَاتِ في وَصفه لدعوتِهِ بأنَّها دَعوةٌ سَلفيَّةٌ، وطَريقةٌ سُنيَّةٌ، وحقيقةٌ صُوفيَّةٌ[1]، وهل يُمكن أن تَجتمعَ الصُّوفيَّةُ وَالسَّلفيَّةُ، والصُّوفيَّةُ والسُّنَّةُ؟ إنَّ الجَمْعَ بينهما كالجَمع بين الماءِ والنَّارِ.

تاسعًا: فَسِّر لي أركانَ بَيْعتِه العشرة[2] بتَفسيرٍ مُرضٍ لله ولِرسولِه ثمَّ للمؤمنين، غير إتيانِه للدَّعوة بتَشريعٍ جديدٍ.

عاشرًا: فَسِّر لي أَخْذَه للبيعة مِن أَقوامٍ في أعنَاقِهم بَيعةٌ[3] غير العِصيَانِ لله ولرسولِه، وإدخال تَشريعاتٍ جديدةٍ علىٰ الإسلامِ لَم يَأذَنِ اللهُ بها، ولا رسولُهُ.

الحادي عشر: فَسِّر لي جَعْلَه للطَّاعةِ - الَّتي جَعَلها شَرطًا في البَيعة - وَاجِبَةَ الإنفاذِ توًّا - أي فورًا بدون مُراجعةٍ -[4]، مع أنَّ الطَّاعةَ في الشَّرع الإسلاميِّ

---

(١) قدَّم حسن البنَّا في رسالة المؤتمر الخامس للجماعة الَّذي عُقد في فبراير (١٩٣٩)، تعريفًا بالجماعة بعد عشر سنواتٍ علىٰ تأسيسها، فقال: إنَّها «دعوة سلفيَّة، وطريقة سُنيَّة، وحقيقة صوفيَّة، وهيئة سياسيَّة، وجماعة رياضيَّة، ورابطة عِلميَّة ثقافيَّة، وشركة اقتصاديَّة، وفكرة اجتماعيَّة».

(٢) قال حَسَن البنَّا في «رسالةِ التَّعاليم»: مِن «مَجموعَةِ الرَّسائل» (ص ٢٦٨): «أيُّها الإخوةُ الصَّادقون، أركَانُ بَيْعتنا عشرةٌ، فَاحْفَظوها:

(١) الفَهْمُ. (٢) الإخلَاصُ. (٣) العَمَلُ.
(٤) الجِهادُ. (٥) التَّضْحِيَةُ. (٦) الطَّاعَةُ.
(٧) الثَّبَاتُ. (٨) التَّجَرُّدُ. (٩) الأُخوَّةُ.
(١٠) الثِّقَةُ».

(٣) ذكر الباحث: حسين بن محسن بن علي جابر في كتابه: «الطريق إلىٰ جماعة المسلمين» (ص ٣٩٣) أنَّ من شُرُوطِ العُضو النَّقيب: «أن يُعطيَ البيعةَ علىٰ الطَّاعةِ في العُسرِ واليُسرِ، والمَكره والمَنشط، للقيَادةِ المُنبثقةِ عَنِ الأنظمةِ المُعتمدةِ للجَماعةِ».

(٤) قال حسن البنَّا في «رسالة التَّعاليم» من «مَجموعةِ الرَّسائل» (ص ٢٧٤): «وأُريدُ بِالطَّاعةِ امتِثَالَ الأمر، =

مُقيَّدةٌ بشيئين:

الأوَّل: أن تكونَ في المَعروفِ.

والثَّاني: أن تكون مُقيَّدةً بالاستِطاعةِ.

أَليسَ هَذا تَشرِيعًا في الدِّين لَم يَأذن به اللهُ، ولا رسولُهُ!

الثَّاني عشر: فَسِّر لي حَصْرَه للإسلام في أُصولِه العشرين، أو جَعله لأُصُولِهِ المذكورة أهميَّةً قُصوىٰ[١]، بتَفسيرٍ يرضاه اللهُ ورَسُولُهُ، ثمَّ المؤمنون غير إدخال تَشريع جديدٍ علىٰ الإسلام.

الثَّالث عشر: فَسِّر لي قولَه بأنَّ التَّفويضَ للصِّفات هو مذهبُ السَّلفِ جميعًا بدُونِ استِثناءٍ[٢] - أي: تَفويض المَعنىٰ - بِتَفسيرٍ مُرْضٍ لله ولِرَسُولِهِ ثمَّ للمؤمنين، غير الجَهل بمَذهبِ السَّلفِ في الصِّفاتِ، أو الافتراء عليهم، عِلمًا بأنَّ السَّلفَ يُؤمِنونَ بالمعنىٰ، ويُفوِّضُون الكيفيَّة.

=

وإنفاذَه توًّا في العُسرِ واليُسرِ، والمَنشط والمَكرهِ، وذلك أنَّ مَراحِلَ هذه الدَّعوةِ ثلاثٌ...

إلىٰ أنْ قالَ في المرحلةِ الثَّانيةِ الَّتي هي مرحلةُ التَّكوينِ: ونظامُ الدَّعوةِ في هذه المرحلة صوفيٌّ بَحتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وعسكريٌّ بَحتٌ مِن النَّاحية العمَليَّةِ، وشِعارُ هاتينِ النَّاحِيَتينِ دائمًا: «أمرٌ وطاعةٌ» من غير تَردُّدٍ، ولا مُراجعةٍ، ولا شكٍّ، ولا حرَجٍ».

(١) والأدهىٰ والأَمَرُّ أن يؤلف بعضهم (وهو: جمعة أمين عبد العزيز) كتابه: «فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، ويا لله العجب! هل يُفهم الإسلام (دين الله العظيم) ضمن الأصول العشرين؛ نَعَم، لقد تَحجَّر واسعًا، وأراد أن يُدخل الجَمل في سَمِّ الخِيَاط.

(٢) حيث قال في رسالة «العقائد» من «مجموعةِ رسائلِه» (ص ٣٢٤): «مَذهب السَّلَف في آياتِ الصِّفاتِ وأحادِيثِها: وأمَّا السَّلفُ رضوان الله عليهم فقالُوا: نُؤمِن بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وَردت، ونَترك المَقصُود منها لله تبارك وتعالىٰ، فهُم يُثبِتون اليدَ، والعينَ، والأعينَ، والاستواءَ، والضَّحِكَ، وَالتَّعجُّبَ... إلخ، وكلُّ ذلكَ بِمعانٍ لا نُدرِكُها، ونَترُكُ لله تعالىٰ الإحاطةَ بِعلمِها». اهـ.

وأخِيرًا أقولُ:

إن فَسَّرتَ هذِه الأقوالَ الَّتي سبَق ذِكرها بتَفسيراتٍ لا تُنافي الشَّرعَ، ولا تَخرج عمَّا يَحتملُهُ اللَّفظُ، فأنَا مُستحقٌّ لقَولِك بأنِّي حَمَّلتُ لَفظَه ما لا يَحتملُهُ، وإن عجزتَ عَن ذلك تبيَّن أنَّك افْتريتَ عليَّ، وبَهتَّني بهَذَا القَولِ، واعلَم أنِّي لا أُطَالِبك بحقِّي وإن ظَهَر ظُلمُك لي إلَّا بَين يدي الله يومَ القِيَامةِ، إلَّا أنِّي أجعلُ بَيني وبَينك سَمَاحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة، ورئيس هيئة كبار العُلَماء، ورئيس البُحُوث العِلميَّة والإفتاءِ، ونائبه الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ، والشَّيخ صالح بن فوزان الفوزان، والشَّيخ عبد الله الغديان، والشَّيخ صالح الأطرم، علىٰ أنْ يقرؤوا البابَ التَّاسع مِن أوَّلِه إلىٰ آخرِه، فإن رأَوني حَمَّلتُ كلامَ البنَّا ما لَم يَحتمَّله كلامُه، فليُدِينُوني، وإن رأوا أنَّ الَّذي قال ذلكَ قَد ظلَمني وبهتَني بهذا القَول أدانُوه.

وأَمَّا قولك: «بأنِّي صببتُ عليه جامَّ الغَضَب»:

فالله يَعلمُ أنِّي مَا كتبتُ الَّذي كتبتُ إلَّا بَيانًا للحقِّ، ونَصِيحَةً للخَلقِ، وأَرجو ذلكَ، ومَا أزكِّي نَفسي: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

وإن كان هناك غَضَبٌ، فيَعلم اللهُ أنَّه لله؛ لأنَّه لا يُتصوَّر أن أَغضَب لنَفسي عَلَىٰ إنسانٍ لم يَظلمني بشَيءٍ مع تَباعُد البُلدان والأَزمانِ، وإنِّي أسألُ الله - جلَّ شأنُهُ، وعزَّ سلطانُهُ - أن يَجعَلَ عَمَلي خالصًا لوجهِه، مَقصودًا به رِضَاه، وألَّا يجعَلَ فيه حظًّا لأَحدٍ مِن خلْقِه، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

وأمَّا قَولُك: إنَّك وَقَعْتَ علىٰ ما لَم تكن تَتوقَّعه منِّي.

فهل ترى أني عصيت الله ورسوله وخالفت الشرع الإسلامي ببياني للحق الذي بينته؟

أليس الله عز وجل قد أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوه للناس ولا يكتمونه؟ أليس الميثاق الذي أخذ عليهم أخذ علينا؟(1).

أليس النبي ﷺ قد أخذ على أصحابه في البيعة كما في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه قوله: «وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف لومة لائم»؟(2).

أليس الله عز وجل قد لعن في كتابه الكاتمين للحق، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]؟

أليس الرد على من خالف مقتضيات الشرع وأحكامه واجبًا على أهل العلم؟ فإن قصروا فيه قصروا في الواجب المفروض، وإن قام به البعض سقط عن الباقين.

ومن حقه على الآخرين الدعاء له بالتوفيق، والشكر له بعد شكر الله على الإحسان والجميل، لا توجيه التهم إليه وإساءة الظن به.

أليس السلف قد امتثلوا هذا الأمر، وأدوا هذا الواجب، فألفوا مؤلفات لا تحصى في الرد على أهل البدع من عصر التابعين إلى يومنا هذا، ولا يزالون كذلك؟

---

(1) يشير الشيخ رحمه الله إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

(2) أخرجه البخاري (٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

ألستَ أنتَ - يا شيخ - قد ألّفتَ كتابين في الرّدّ على أهل البِدَع، أحدُهما كتابك «الأسرار الأخاذة» الّذي رددتَ به على المُعتزلة ومَن قالَ بقولِهم، والثّاني كتابك «الدقائق في الرّدّ على مُبدِّل الحقائق»؟

وإنّي واللهِ الّذي لا إلهَ إلّا هو، أحبُّ الرّجلَ أن يكون مُنافحًا عن الدِّين، مُدافعًا عنه، ذائدًا عن حياضه، رادًّا على مَن أدخل فيه ما ليس منه.

ولكن لا أدري لِمَ يحيدُ بعضُ المشايخ - هداهم الله - عن الحقِّ وهُم يعرفونه فيُنكِرون على مَن قامَ بشيءٍ مِن هذا الواجب، فيجعلونه مُتجنيًا ومُعتديًا وظالمًا، مع أنَّ هذا المُنكِر لو مسَّه أحدٌ بكلمةٍ لأقامَ الدُّنيا وأقعدها، ولكن إذا مُسَّ الدِّينُ، واعتُدي عليه، وهُضِمَ حقُّه، فالدُّنيا كلُّها سلامٌ وعافيةٌ، أفهذا يكونُ منه إنصافًا للدِّين، وقيامًا بحقِّه؟ أم هضمًا له، وإهمالًا لحقِّه، وتضييعًا لمعالمه؟ لا سيَّما إذا كان الّذي مُسَّ منه أُسسُه وقواعدُه وأصولُه ومبانيه؛ كالتَّوحيد إذا هُدِمَ بالشِّرك الأكبر، والسُّنَّة إذا هُدِمت بالبدعة، والحقِّ إذا هُدِمَ بالباطل، أفترونه حينئذٍ يسعُنا السُّكوتُ؟ لا واللهِ! إلّا أن يقومَ به بعضُنا؛ لأنَّه فرضُ كفايةٍ، ولمَن قامَ به الأجرُ الكبيرُ، والثَّوابُ الكثيرُ من عند الله العليِّ القدير - كما أسلفتُ قريبًا -.

وأمّا قولُك إنّك: «منذ أربعين سنةً تتلقّى أخباره مِن مشايخ أجِلّاء؛ أمثال الشَّيخ عبد الرَّزّاق عفيفي، والشَّيخ عبد الرَّحمن الدَّوسري، والشَّيخ عبد الله ابن حُميد، والشَّيخ عبد العزيز بن باز مِمَّن عرفوه شخصيًّا، وأثنَوا على دعوته، وذكروا آثاره الحسنة، وسيَّروا أخباره».

وأقول أوّلًا: أمّا المشايخ الّذين ذكرتَهم، فلعلَّك سألتَهم قبل أن يعرفوا مِن حاله ما هو معروفٌ الآن.

ثانيًا: لَعلَّه في ذاك الزَّمن بَلَغتهم أخبارٌ عن المَظهر العامِّ لدعوتِه، والمظهرُ العامُّ لدعوتِهِ يَغترُّ به كثيرٌ من النَّاس حتَّىٰ الآن؛ لأنَّهم لَم يَعرفوا هذا المنهجَ حقَّ المعرفةِ؛ لِكَونِهم لَم يَقرؤوا عنه آنذاك.

ثالثًا: إِذَا كَانُوا لَم يَقُولوا فِيهِ شيئًا، فلأنَّهم لَم يَعرفوا شيئًا من القوادِح، ولهمْ الحقُّ إذا تَورَّعوا والحالة هذه.

رابعًا: أمَّا الآن فقَد ظَهَرتْ في منهجِه قَوادحُ كثيرةٌ، و«مَنْ حَفِظَ حُجَّةٌ علىٰ مَن لم يَحفظ»، هذه قاعدةٌ معروفةٌ عندَ المُحدِّثين، والعملُ بها في مثل هذه القضيَّةِ واجبٌ.

خامسًا: أمَّا الشَّيخُ عبد العزيز بن عبد الله بن باز هو باقٍ مِنهم علىٰ قَيْدِ الحياة[1]، فقَدْ عرَفَ ما عندهم ولا شكَّ، فقالَ مُجيبًا علىٰ سؤالٍ يَتعلَّق بحركة الإخوان المسلمين الَّتي أَسَّسها حسن البنَّا، فقال السَّائلُ: سماحة الشَّيخ، حركةُ الإخوان المسلمين دخلَتْ المملكةَ مُنذ فترةٍ، وأصبحَ لها نشاطٌ بين طلبة العلمِ، ما رأيُكم في هذه الحركةِ؟ وما مدىٰ تَوافُقها مع نَهج أَهل السُّنَّة والجماعة؟

أجاب قائلًا: «حركةُ الإخوان المُسلمين يَنتقدها خواصُّ أَهلِ العِلمِ؛ لأنَّه لَيس عندهم نشاطٌ في الدَّعوة إلىٰ توحيدِ الله، وإنكار الشِّرك، وإِنكار البدَعِ، ولهمْ أساليبُ خاصَّةٌ، يَنقصها عدَم النَّشاط في الدَّعوة إلىٰ الله، وعدَم التَّوجيه في العقيدَة الصَّحيحة الَّتي عليها أَهلُ السُّنَّة والجماعة، فينبغي للإخوانِ المسلمينَ أن تكون عندهُم عنايةٌ بالدَّعوة السَّلفيَّة؛ الدَّعوة إلىٰ تَوحيد الله، وإنكار عبادة القُبور، والتَّعلُّق بالأمواتِ، والاستغاثة بأَهل القُبور؛ كالحُسَين أو البدَويِّ، أو ما

(١) كتب الشَّيخُ هذه الرِّسالة في زمَن حياة سماحة الشَّيخ ابن باز، رحمهما الله تعالىٰ رحمةً واسعةً.

أشبَهَ ذلكَ»، هذا ما أردتُ نقْلَه. اهـ[(١)].

أَسَمِعت - يا أخا الإسلام - ما قالَه الشَّيخُ عبد العزيز بن باز أمتع الله بحياته، فهلَّا قلتَ مثل ما قالَ حِيَالَ دَعوة الإخوان المسلمين وما فيها مِن مُخَالفاتٍ لِمنهجِ السَّلفِ الصَّالح، فتكون بذلكَ قد تسبَّبتَ في نُصرةِ الحقِّ، وبراءة الذِّمَّةِ، ونُصح الأُمَّة.

أمَّا المشايخُ الَّذين ذكرتَهم - غير سماحة الشَّيخ عبد العزيز - إِن كان أَحدٌ منهم ذكَر أنَّ له آثارًا حَسَنةً فهو مغرورٌ مِثلك، ولكن الَّذي يَظهرُ مِن كلامِك أنَّك مُقتنعٌ بأنَّ له آثارًا حسنةً، وأنا أسألُك أسئلةً أحبُّ أن تُجيبني عليها بالحقِّ والصَّراحة، فأقول:

١ - **هل من آثارِه الحسَنةِ**: سكوتُه عن شِركِ العبادة الَّذي يَفعلُه النَّاسُ عند المشاهِدِ والأضرحةِ المُقامةِ في مصر، وعدَم إنكارِه لذلك، حتَّىٰ كأنَّه نزَل حُلَّةَ من السَّمَاءِ في آياتٍ تُتلَىٰ؟

٢ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ**: الحزبيَّةُ الَّتي خلَّفها، والتَّفريقُ الَّذي خَلَّفه بين الأُمَّة؟

(١) نقلًا مِن مجلَّة: «المجلَّة» عدد (٧٠٦): وتتمَّة فتوىٰ سماحة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجبُ أنْ يكونَ عندَهم عنايةٌ بهذا الأصْل الأصيل بمعنىٰ «لا إلهَ إلَّا الله»، الَّتي هي أصلُ الدِّين، وأوَّلُ ما دعا إليه النَّبيُّ ﷺ في مكَّة، دعَا إلىٰ توحيد الله، إلىٰ معنىٰ «لا إله إلَّا الله»، فكثيرٌ مِن أهل العلم ينتقدون علىٰ الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النَّشاط في الدَّعوة إلىٰ توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجُهَّال مِن التَّعلُّق بالأموات، والاستغاثة بهم، والنَّذر لهم، والذَّبح لهم، الَّذي هو الشِّرك الأكبر، وكذلك ينتقدون عليهم عدَم العناية بالسُّنَّة: تتبع السُّنة، والعناية بالحديث الشَّريف، وما كان عليه سلف الأُمَّة في أحكامهم الشَّرعيَّة، وهناك أشياءُ كثيرةٌ أسمعُ الكثيرَ مِن الإخوان ينتقدونهم فيها، ونسأل الله أنْ يُوفِّقَهم ويُعِينَهم، ويُصلحَ أحوالَهم».

٣ - **هل مِن آثارِه الحسَنةِ:** الدَّعوة إلىٰ خِلافةٍ، وتَركُ الدَّعوةِ إلىٰ التَّوحيدِ الَّذي دعا إليه الرُّسلُ؟

٤ - **هَل من آثارِهِ الحَسنَةِ:** تَبْغيضُ الوُلَاةِ والعُلَماءِ إلىٰ النَّشءِ، والإعدَادُ للإطاحةِ بالدُّوَل الموجودةِ، وإقامةُ خِلافةٍ - زَعمُوا - علىٰ أنقاضِها؟

٥ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ:** اختلاقُ عُيوبٍ ومثالبَ للوُلاةِ والعلماءِ الَّذي يَفعلُه أتباعُه، ويَزعمون بَعدَ ذلك أنَّهم لا يَصلحُون للولاية، وأنَّ العُلماءَ مُداهنون معهم؟

٦ - **هل مِن آثارِه الحسَنة:** التَّغريرُ علىٰ النَّشءِ، وَإنزالُهم ميدان الدَّعوة وهمْ جهَّالٌ؟

٧ - **هَل مِن آثارِه الحسنةِ:** جعْلُ البيعةِ في الحضَر، وتركُ أصحابِ البيعةِ الحقيقيّين أَصحابِ السُّلطانِ؟

٨ - **هل مِن آثارِه الحسَنة:** دعوتُه للتَّقريبِ بين الشِّيعةِ والسُّنّةِ، ومعنىٰ التَّقريب: أنْ يَتنازَل كلُّ فريقٍ عن شيءٍ مِن مُعتقداتِه حتَّىٰ يَقتربَ مِن الفريقِ الثَّاني؟

٩ - **هل مِن آثارِه الحسَنةِ:** زَعْمه بأنَّ السَّلفَ كلَّهم مُفوِّضُونَ لمعاني الصِّفاتِ كلِّها؟

١٠ - **هل مِن آثارِه الحسنة:** قولُه: «ليس بينَنا وبين اليهود عداوةٌ دينيَّةٌ»، وهذا معناه أنَّ اليهودَ إخوانُنا؟

١١ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ:** قولُه: «نَتعاونُ فيما اتَّفقْنا عليهِ، ويَعذُر بعضُنا بعضًا فيما اختلفْنا فيه»، وهذا معناه إبطالُ الأَمر بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكرِ الَّذي وصَفَ اللهُ به المؤمنين ومدحهم في قولِه تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وغيرها؟

١٢ - **هَل من آثارِه الحسَنةِ**: جمعُه بينَ أقوامٍ عقائدُهم مختلفةٌ، وقناعاتُهم متباينةٌ، فهذا سُنِّيٌّ، وهذا شِيعيٌّ، وهذا صوفيٌّ، وهذا جهميٌّ، وهذا معتزليٌّ، وهذا، وهذا... إلىٰ آخر ما يُقال، ويَزعمُ أنَّهم كُلَّهم إخوةٌ؛ لأنَّهم يَقُولون: «لا إله إلَّا الله، مُحمَّدٌ رسولُ الله»! وإن كان عندَهم ما يُناقضُ هذا القولَ؟

١٣ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ**: إحياؤُه للبدَعِ، ومنها بدعةُ المولدِ، ومُحاضرتُه فيها؟

١٤ - **هل من آثارِه الحسنةِ**: أنَّ الرَّسول ﷺ يَحضر حَفلَهم ويُباركُه، ويَغفر ذُنوبَ أهلِه؟

١٥ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ**: إغراقُه في الصُّوفيَّة وولَعُه بها، وحدَبُه عليها[(١)]؟

١٦ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ**: جعْلُه لشروطِ البيعةِ عشْرةً، وفرضُه شروطًا ليستْ في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسولِه ﷺ؟

١٧ - **هل مِن آثارِه الحسَنةِ**: جعْلُه شرْطَ الطَّاعة العَمْياء في البَيعة حيثُ قال: «أُريدُ بِالطَّاعةِ امتِثَالَ الأَمر، وإِنفاذَه تَوًّا في العُسرِ واليُسرِ، والمَنشط والمَكرهِ، وذلك أنَّ مراحلَ هذه الدَّعوةِ ثلاثٌ... »، إلىٰ أن قال في المرحلةِ الثَّانيةِ الَّتي هي مرحلةُ التَّكوينِ: «وَنِظَامُ الدَّعوةِ في هذه المرحلة صوفيٌّ بَحتٌ من النَّاحيةِ الرُّوحيَّةِ، وعسكريٌّ بحتٌ من النَّاحية العمليَّةِ». اهـ[(٢)].

والسَّمعُ والطَّاعةُ وَاجِبَةٌ لوليِّ الأمر إلَّا أنَّها مُقيَّدةٌ بقيدَين:

الأوَّل: أن تكونَ في المَعروف، فلا طاعةَ في مَعصية الله.

---

(١) **الحدب**: العطف والشفقة، يقال: حَدَبَ فلانٌ علىٰ فلان أي عطف عليه وحنا، **انظر**: «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٢٤٨ إحياء التراث)، «الصحاح» للجوهري (١/ ١٠٨ دار العلم).

(٢) **مِن مجموعةِ الرَّسائل للبنَّا**، «رسالة التعاليم» (ص ٢٦٨).

الثَّاني: أن تكونَ فيمَا يَستطيع العبدُ، فلا تَلزمُ العبد فيما لا يَستطيع، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُلقِّنُ أصحابه: «فِيمَا استَطعْتُمْ»، إذَا بَايَعُوه عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ[1].

١٨ - هل مِن آثارِه الحسنةِ: مُحاضرتُه في مَشهدِ السَّيِّدةِ زينبَ بمُناسبةِ حفْل الهجرة، ولم يَذكُر عن الشِّرك حرفًا واحدًا في مُحاضرتِه، بل كان يُوصِي ويُؤكِّد أن يُطهِّر الحَاضِرونَ أنفسَهم وقلوبَهم مِن الحِقْدِ والضَّغينةِ؟

١٩ - هل مِن آثارِه الحسنةِ: إدخالُ النَّصارىٰ الأقباطِ في تَنظيمِه، وجَعلهم مِن أَنصَار دعوتِه؟ وهل فعَل ذلكَ أحدٌ مِن الدُّعَاة إلىٰ الله؟

٢٠ - هل مِن آثارِه الحسنةِ: إقامتُه حفلًا لـ «مُحمَّد عثمان الميرغني» المَعروف عنه القَول بوحدة الوُجود، وثناؤُه عليه، وقولُه في هذا الحفل: «إنَّا - مَعشر الإخوان - مَدينُونَ للسَّادة الميرغنية بدَيْن المَودَّة الخالصة والحفاوة البالغَة».

٢١ - هَل من آثارِه الحسنةِ: سَيرُهُ في حَفْلٍ حَاشِدٍ من ليلة (١ من ربيع الأوَّل إلىٰ ١٢ من ربيع الأوَّل)، وتَغنِّيه بغناءٍ يتضمَّن الشِّرك الأكبر:

صَلَّىٰ الإلَه عَلَىٰ النُّور الَّذي ظَهَرا ... للعَالَمين ففَاقَ الشَّمسَ والقَمَرا

هَذَا الحبيبُ مَعَ الأَحبَابِ قَد حَضَرا ... وسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَد مَضَىٰ وجَرَىٰ

٢٢ - هَل من آثارِه الحَسَنةِ: سَيرُه هوَ ورفاقُهُ ثلاثَ ساعاتٍ علىٰ الأقدامِ ذَهابًا، وثلاثَ سَاعاتٍ رُجُوعًا ليَزُورُوا قُبُورَ كَهنَةِ الطَّريقة الحصافية الشَّاذليَّة، فإن قيلَ:

---

(١) أخرج البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي: «فِيمَا استَطَعْتُ، وَالنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

وأخرجه البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم (١٨٦٧) - واللَّفظ له -، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا استَطَعْتَ».

إنَّ الزِّيارةَ الَّتي أرادَهَا زيارةٌ سُنِّيَّةٌ، قلْنا إذًا: لا يَجوزُ شَدُّ الرَّحل إليها.

٢٣ - **هل مِن آثارِه الحسَنةِ**: تَغَنِّيه بالبيتين اللَّذين يَدُلَّان صَراحةً علىٰ وحدة الوُجُودِ:

اللهَ قُلْ وذَرِ الوُجُـودَ وَمَـا حَـوَىٰ — إنْ كنـتَ مُرْتَـادًا بُلُـوغَ كَمَـالِ

فَجَمِيـعُ مَـا في الكَـوْنِ إنْ حَقَّقتَـه — عَـدَمٌ علـىٰ التَّفصِيلِ والإجْمَـالِ

٢٤ - **هل مِن آثارِه الحسنةِ**: زعمُه أنَّ التَّوسُّلَ - الَّذي هو دُعاءُ الصَّالحين أو الدُّعاء بجاهِهم الَّذي هو ذَريعةٌ إلىٰ الشِّرك مِن أعظم الذَّرائع - مِن الأُمُور الفَرعيَّة الَّتي لا يهتمُّ فيها؟

وأخيرًا: أَسألُك بالله يا شيخُ، هل هذه الأمورُ الَّتي سبرْتُها في هذِه الأَرقام مُوافقةٌ للشَّرع، أو مُخَالفةٌ له؟

وأسألُك بالله مرَّةً أخرىٰ: هل عِرضُ حسن البنَّا أَولىٰ بالمُحَاماةِ عَنه أو التَّوحيدُ!

وأَسألُك بالله مَرَّةً ثالثةً: هل مَن بَيَّن الحقَّ للنَّاس، ودافعَ عن العقيدة يُعَدُّ مُخطئًا ومُجرمًا، ويستحقُّ أن يُبكَّتَ ويُؤنَّبَ ويُجرَّمَ، ويُقَالَ له: لا تَطبَعْ كتابَكَ؟ !

أمَّا قولك: «بأنَّهم عَذَروه في الأخطاءِ الَّتي صَدَرتْ منه»:

فأقولُ: **أوَّلًا**: ما هي الأَخطاءُ الَّتي يَنبغي أَن يُعْذَرَ فيها؟ أَليست الأَخطاءَ الفرعيَّةَ المبنيَّة علىٰ الاجتهادِ، فهَل أَخطاءُ البنَّا فرعيَّةٌ حتَّىٰ يُعذَر فيها؟ وهل البنَّا مِن أَهلِ الاجتهادِ الَّذين أَحرزُوا مُقوِّماتِه؟ ومَن أشياخُه الَّذين درَس العلْمَ الشَّرعيَّ علىٰ أيدِيهم؟

ثانيًا: الأخطاءُ في العقيدةِ لا يُعذرُ فيها باتِّفاق أهلِ العلْمِ مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وكتُبُ الرُّدودِ علىٰ المُبتدعةِ الَّتي أَلَّفوها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، والَّتي

لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ مِن زمَن التَّابعين إلىٰ وَقتنا الحاضِر شاهدةٌ بذلكَ.

ثالثًا: المشايخُ الَّذين ذكرتَهم هُم مِن أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، ولو عرَفوا من البنَّا مُخالفةَ الشَّرع في الأُصولِ والعقائد ما عذرُوه.

رابعًا: وقولُك بأنَّهم عذرُوه، فهذا ادِّعاءٌ منك، فإن كان عندك ما يُثبتُ هذا الادِّعاء فأَظهِرْه، وهذا إنَّما يَتمشَّىٰ لكَ في حقِّ مَن قَد وافاهُ أجلُه، أمَّا الشَّيخ عبد العزيز فمَوجودٌ[1]، ومَوقفُه مِن هؤلاء معروفٌ، وهو إمامُنا وقُدوتُنا، ونحنُ نعرفُ عن الشَّيخ أنَّه يَردُّ علىٰ كلِّ خطإٍ سَمِعَه أو علِمَه، ولَو كان صاحبُه بعيدًا، ولَو كان الخطأ في الأمُور الفرعيَّةِ، فكَم مِن أَخطاءٍ ردَّ عليها! إنَّها لا تُحصَر، وإنْ حُصِرتْ فَحَصرُها يَطولُ، وبالإمكانِ أَنْ أَكتُبَ له بأنَّ فُلانًا يَزعمُ بأنَّك تَعذرُ حسن البنَّا في الأخطاءِ العقديَّةِ الَّتي صدَرتْ منه، فهل هذا صحيحٌ؟

خامسًا: ولَو فُرِضَ أنَّ أحدًا مِن أَهلِ العِلمِ عَذَره فيما حَصَل منه من الأخطاءِ العقديَّة، فهو يُعتَبر في إِعذاره لَه شاذًّا مُخالِفًا لما عليه أَهل السُّنَّةِ والجماعةِ.

سادسًا: ومَن عذَرَه هل يَقول: لا يُرَدُّ عليه، إن قال: لا يُرَدُّ عليه، فقَد أعانَ المُبتدعِينَ والمُفسدينَ الَّذين يَبغونها عِوَجًا.

وأَمَّا قَولك: «ووَجَدوا مِن كلامِهِ ما يُعْرف به أنَّه مُخْلصٌ مُوحِّدٌ»:

فأقول: أمَّا كونُه مُخْلِصًا، فهذَا لا يَعلمُه إلَّا اللهُ، فإنَّ الإخلاصَ أَمْرٌ خفِيٌّ لا يَعلمُهُ إلَّا الله، وفي الحديثِ الصَّحيحِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[2].

---

(١) يقصد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالىٰ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (١)، ومسلمٌ (١٩٠٧) مِن حديثِ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي حَدِيث أَبِي مُوسَىٰ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَفِي حديث ابنِ مَسعودٍ الَّذي رَواه أحمد: «رُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ صَفَّيْنِ؛ اللهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ»(٢).

وفي حَدِيثِ عُبادة: «مَنْ غَزَا وَهُوَ لا يَنْوِي إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَىٰ»(٣)، أَخرَجه النَّسائيُّ(٤).

وفي قِصَّة الرَّجل الَّذي كَانَ لَا يَتْرُكُ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا تَبِعَهَا(٥)، فعَجِبَ مِنْهُ الصَّحَابةُ، وقالوا: مَا أَغْنَىٰ مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ مِثْلَ مَا أَغْنَىٰ فُلَانٌ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ وَهُو يُقَاتِلُ حَتَّىٰ إِذَا كَثُرَتْ فِيهِ الجِرَاحَاتُ، وَضَع ذُبَابَةَ سَيْفِهِ فِي نَحْرِهِ(٦)، ثمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ، فَقَتَل نَفْسَه، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ فِيهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤) عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٧ قرطبة) (٣٧٧٢)، وضعَّفه الألبانيُّ في «الضَّعيفة» (٢٩٨٨).

(٣) أي: وهو لا يريد إلَّا شيئًا من الغنيمة ولو قليلًا جدًّا؛ كالعِقال الَّذي يربطُ به ركبة البعير؛ فله ما نوىٰ، وليس له غيره، والقصدُ: الحثُّ علىٰ قطع النَّظر عن الغنيمة، وجعل الغزو خالصًا لله. انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمُناوي (٢/ ٤٣٢ مكتبة الشافعي).

(٤) أخرجه النَّسائيُّ في «السنن الصغرىٰ» (٣١٣٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٨٥٠).

(٥) الشَّاذَّة: ما انفرد عن الجماعة، وبالفاء مثله، ما لم يختلط بهم، والهاء فيهما للمبالغة.

والمعنىٰ: أنَّه لا يلقىٰ شيئًا إلَّا قتله، وقيل: المراد بالشَّاذّ والفاذّ: ما كبُر وصغُر، وقيل: الشَّاذّ: الخارج، والفاذّ: المنفرد.

والرَّجل المذكور: اسمه قزمان، وكان منافقًا. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٤٧٢المعرفة)، و«شرح السُيوطي علىٰ مسلم» (١/ ١٢٨ابن عفّان).

(٦) ذباب السَّيف: هو طرفه الأسفل، انظر المصدر السَّابق.

بِالْأَمْسِ مَا قُلْتَ، قَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُمْ يَا بِلَالُ، فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»، وأصل القِصَّة في «صحيح البخاريِّ»[(١)].

والمهمُّ: أنَّ الإخلاصَ أمرٌ خفيٌّ لا يَعلمه إلَّا الله.

وأمَّا قولك: «إنَّه مُوحِّدٌ»:

فهذِهِ شَهادةٌ مِنك وتَزكيةٌ، اللهُ يَسألك عَنها، وكانَ يَجِبُ عَلَيكَ أَن تُفكِّر قَبل أن تُرسِلها، هَل وَضَعتَ هذِهِ التَّزكيةَ في مَحلِّها أم لا؟

ولَستُ أَدري هل هذا مِنك جهلٌ بما وَقَع فيه البنَّا مِن الشِّرك وتَغاضيه عن المُشركينَ، وأَعمالِهم الشِّركيَّة، وقَبُوله لهم أَعضاء في مَنهجِهِ؛ فهو الَّذي كان يقُولُ في بِدعَة المَولد:

هَذَا الحَبِيبُ مَعَ الأَحبَابِ قَدْ حَضَرا   وسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَد مَضَىٰ وجَرَىٰ

يعني: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَحضر حَفلَهم، ويُبَاركه، ويُسَامحهم، ويَغْفر ذُنُوبَهم، فهل هذا شِركٌ يا فضيلة الشَّيخ أم لا؟

وهل مَن يقولُه ويتغنَّىٰ به مُوحِّدٌ؟

هَل مَن يأخُذُ البَيْعةَ علىٰ الطَّريقة الحصَافيَّة الشَّاذليَّة مُوحِّدٌ؟

وهل علمتَ أنَّ الصُّوفيَّةَ مُوحِّدونَ ويَدْعون إِلَىٰ التَّوحِيد، أَمْ أَنَّهم مُشركونَ ويَدعُون إلىٰ الشِّركِ والبدعِ؟

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٦٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهل تَعلمُ أنَّ الصُّوفيَّةَ مبنيَّةٌ علىٰ الشِّرك، ومَنسوجةٌ لُحْمتها وسُداها من الشِّرك والبدَعِ؟

وهل تَعلمُ أنَّ حسن البنَّا كانَ يَمشي علىٰ قدَميه عشرين كيلو ذهابًا، ومثلها رُجُوعًا في كلِّ جُمُعةٍ ليَزُورَ قُبُورَ كهَنةِ الصُّوفيَّةِ؛ كالدّسوقي وسنجر وأَمثالهم، هل الَّذي يَفعل ذَلِكَ مُوحِّد؟

يا شيخ، اتَّقِ الله، وَاعلَم أنَّك قَد خَدَشْتَ تَوحيدَك، وقَدَحْتَ فِيهِ بشهادتِكَ للمُشركِينَ والمُبتدعينَ بأنَّهم مُوحِّدونَ، فتُب إلىٰ اللهِ، وَارْجِع إليه قَبل أن يَفوتَ الأَوانُ.

إنَّ الدَّاعيَّةَ المُوحِّدَ هو الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومَن سَارَ علىٰ نَهْجِه، واتَّبَع طَرِيقتَه من العُلماءِ والأُمراءِ مِن زمنِه وزمَن الأمير مُحمَّد بن سعود إلىٰ يَومنا هذا، رحِمَ الله مَن قَد وَافَىٰ أَجَلَه مِنهُم، وحفِظَ اللهُ مَن بَقِيَ.

وإنَّ الدَّاعيَّةَ المُوحِّدَ هو الشَّيخ عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي ناشر التَّوحيد في الجنوبِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمُسَاعدةِ الملِكِ الرَّاحل المُسمَّىٰ بـ«صقر الجزيرة»[1]، والَّذي ضمَّ مُعظم أَطراف الجزيرة تحت ولايتِهِ، وَوَحَّدها تحت سُلطَانِهِ، ومَحَا منها مظاهرَ الشِّركِ والبدَعِ، وتبِعَه علىٰ ذلك أبناؤُه الكرامُ، رحِم اللهُ مَنْ وافىٰ أجلَه منهُم، وحفِظَ اللهُ مَن بقِيَ.

أَسأَلُكَ بالله يا شَيخ؛ إذا سأَلَكَ سائلٌ ما تقُولُ في شَخصٍ يَمشي في مَوكبٍ من (١ ربيع الأول إلىٰ ١٢ ربيع الأول)، ويَتغنَّىٰ مُغْتبطًا بالأَبياتِ الَّتي سَبَقَ أَن ذَكرتُها، ومِنها:

---

(١) «صقر الجزيرة»: هو الملك عبد العزيز بن عبد الرَّحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هَذَا الحبيبُ مَعَ الأحبَابِ قَد حَضَرا وسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَد مَضَىٰ وجَرَىٰ

هَل تَحْكم عليه بالشِّرك، أو تَحكم له بالتَّوحيد؟ ما هو جوابُك؟

ولَو سألَكَ سائلٌ عن رجلٍ يَتحمَّل مَشقَّةَ السَّفر علىٰ الأقدام في كلِّ أسبوعٍ مسافةَ عشرين كيلو إلىٰ قُبورِ الصُّوفيَّةِ، ثُمَّ رُجوعًا مثل ذلكَ، وقالَ لك: بِمَ تَحْكمُ عليه؟ هل هو سُنِّيٌّ أَم مُبتدعٌ، وهل هو مُوحِّدٌ أو مُشركٌ؟

فَاتَّقِ اللهَ يا رجل، وعُد إلىٰ صوابِكَ، وتُب إلىٰ الله، فَإِنَّه يَقبلُ التَّوبةَ، لَا تُضِلَّ النَّاسَ وبالأخصِّ طُلَّابَ العلمِ بِدفاعِك عن المُبتدعين، إنَّ هذِهِ الرِّحلةَ الَّتي يقوم بها حسن البنَّا هو ورفاقُه لا تَخْلو من احتِمالاتٍ ثلاثةٍ: إِمَّا أَنَّهم يَقصدون دَعوة هؤلاء المَقْبُورين، وهَذا شِركٌ أكبر، مُخرجٌ مِن المِلَّةِ.

وإِمَّا أن يَقصدوا الدُّعاءَ لله عند هذه القُبور، وهذا بدعةٌ.

وإِمَّا أن يَقصدوا الزِّيارةَ السُّنيَّةَ، ولكنَّها لا تَحصل إلَّا بشَدِّ رَحلٍ، وشدُّ الرَّحلِ للزِّيارة السُّنيَّةِ بدعةٌ.

وعلىٰ هذا ففَاعِلُ ذَلِكَ إمَّا مُشرِكٌ، وإمَّا مُبتدعٌ.

وأمَّا قَولُك: «نَفَع اللهُ بدعوتِهِ، وهَدَىٰ به خَلْقًا كثيرًا»:

فأيُّ نفعٍ حَصَلَ لهم، هل التَّغاضي عن الشِّركِ الأكبر والسُّكوتُ عن فاعليه الخُرافيِّين والمُبتدِعِينَ نَفْعٌ؟ هل السُّكوتُ عن المَناكر وعَدَم إنكارها اسْتِنادًا إلىٰ القَاعِدَة الَّتي قَعَّدها حسن البنَّا: «نَتعاونُ فيما اتَّفقنا عليهِ، ويَعْذرُ بَعضُنا بَعضًا فيما اخْتلفنَا فيهِ»، هلْ هذا نَفْعٌ؟

هل الدَّعوةُ إلىٰ خِلافةٍ، وتَرْك الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد الَّذي هو طريق الرُّسُل نَفْعٌ؟ هل نِيَّةُ الإطاحةِ بالدُّولِ القائمةِ، والخُرُوج عليها وإِن كان أَصحابُ السُّلطةِ

فيها مُسلمينَ، وإن كانُوا يُحكِّمون شَرْعَ الله ويُقيمون حُدودَه نفعٌ؟

إنَّ دعوة الإخوان خرَّبت الشَّبابَ ولَمْ تَنفعْهم، وأفسدَتْهم ولم تُصلحهم.

وأمَّا قولُك: «إنَّك لَم تَزل تَسمعْ الثَّناء عليه في المَجالسِ، والقراءة في كُتُبِهِ إلىٰ نحو سبع سنين، حيثُ انْقلَبَ عليه أكثرُ الإخوان وبَخَسُوه حقَّه»:

وأقول: فهَلْ هذا حجَّةٌ أنْ أثنَىٰ علىٰ مَنْهجِه أو أثنىٰ عليه مَن لا يَعلم ما في مَنهجِه مِن الكوارث، وما عنده مِن الأخطاءِ الفادِحةِ، فهذِه ليستْ حُجَّةً، ولا ميزانًا لصحَّةِ منهجِه.

وأنتَ في قَرارةِ نفسِك تعلمُ أنَّ هذا ليس بحُجَّةٍ، وأنَّهم أثْنَوا عليهِ حينما كانُوا مُنخدِعِينَ بالمَظهر العامِّ لِمنهجِه، فلمَّا عرَفوا ما فيه، أنكروا ذلك، وتَنكَّروا له، وهُم مُحقُّون فيما فعَلُوا.

اللَّهمَّ إنَّك تَعلم أنَّا لا نَقصد تجريحَ أَحدٍ، ولا الكلام في أَحَدٍ، وإنَّما نَقْصد بيانَ الحقِّ، وتَحْذيرَ الشَّباب طُلَّابِ العِلمِ من المَنَاهِجِ الَّتي تَشتمل علىٰ بِدَعٍ وضَلالاتٍ، وإنَّما نُنبِّههم علىٰ ما فِيهَا من الأَخطاءِ حتَّىٰ لا يَنْخدعوا بها، ويَدْخلوا فيها، فيُخطئوا طريقَ الحقِّ، فيَضلُّوا هُم، ويُضِلُّوا مَنْ وَرَاءهم.

وأمَّا كونُهم بخسُوه حَقَّه فهذا ليس بِصحيح، ولكن قالُوا فيه ما نُقِلَ لهم بأقوالٍ مُوثَّقةٍ مِن مصادرِها بأَسماءِ الكتُبِ وأَرقام الصَّفَحات، فهَل بَخسُوه حقَّه حينما يَنقلون تِلك النُّقول ليُقْنعوا الشَّبابَ أنَّ ذلك المنهجَ خاطئٌ؛ لأنَّه يَشتمل علىٰ حقٍّ وباطلٍ، وصوابٍ وخطإٍ، كمَشْربٍ كثيرِ الأَقْذاءِ والأَخلاطِ، وإلىٰ جانبِهِ مَشرَبٌ صافٍ سليمٌ مِن الأَقذاءِ، فأَيُّها أَحبُّ إليكَ أن تَشربَ منه؟ فهَل هُم بهذا بَخسوهُ حقَّهُ أو هَضموه قدْرَه؟

وأقولُ: لا، ثمَّ لا، بلْ مَا قامَتِ السَّمواتُ والأرضُ، وأُرسِلتْ الرُّسلُ، وأُنزِلتْ الكُتُبُ إلَّا بإحقاقِ الحقِّ، وقَمْعِ الباطلِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المُنكرِ، فإذا خَلَا الكونُ أو بالأحرىٰ خَلَتِ الأرضُ مِن قائمٍ لله بحقٍّ، وآمرٍ بمَعروفٍ، وَناهٍ عن منكَرٍ وَجَبَ الغضبُ، وإذا وَجَبَ الغضبُ نَزَلَت العقوبةُ[1]، وحُمِلَ علىٰ ذَلكَ قولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

«قال قَتَادةُ: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: وَجَبَ الغضبُ عليهم.

وَقَالَ ابنُ عمرَ وأبو سعيدٍ الخُدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِذَا لَم يَأمروا بالمَعروف، ويَنْهوا عن المُنكر، وَجَبَ السّخطُ عليهم.

وَقَالَ عبدُ الله بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقْعُ القولِ يكونُ بِموتِ العُلَماءِ، وذَهَابِ العِلمِ، ورَفعِ القُرآنِ»[2].

قلتُ: وقَد تَبيَّن من هذا أنَّ الأمرَ بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر أَمَنةٌ من نُزُولِ العذابِ، ووُجوبِ السَّخَطِ من الله تعالىٰ علىٰ عِبَادِه.

ومِنَ الأَمر بالمَعروفِ والنَّهي عن المُنكر: ردُّ الأَخطاءِ العَقَديَّة علىٰ قَائليها؛ مَن كانوا، وحَيث كَانُوا، أَفتُريد من أَهلِ الحقِّ أن يَسكتوا عن بيانِه، ويَنْكلوا عن تَصفيته مِمَّا يُخلط به، ويَدخلُ فيه مِن غيرِه؟

---

(١) أخرج التِّرمذيُّ (٣٠٥٧) عن أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هذِه الآيَةَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمَ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرمذيّ» (٢٢٥٧).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٤ الكتب المصريّة).

كلَّا، إنَّ هذا لا يكونُ - إن شاء الله - ما دامَ للحديث رِجَالٌ، وللقَولِ مجالٌ، وللحقِّ وأهله صَولَةٌ ونِزالٌ، يَرجون مِن ورَاءِ ذلكَ رضوانَ الكبيرِ المُتعالِ.

وأَمَّا قولُك: «وتَسلَّطوا عَلَيه بدُون مُوجِبٍ للتَّخصيص، فهُنَاك كُتُبٌ مَشهورةٌ شرٌّ من كُتُبِه، وهُنَاك قادةٌ أَحْيَاءٌ وَأَمواتٌ أشدُّ انْحرافًا منه»!

وأقولُ: الحَمْدُ لله الَّذي أنطقَكَ بالحقِّ من حيثُ لا تشعرُ، فَاعْترفت أنَّ في كتُبِه شرًّا، وفي منهجِه وسيرته انْحرافًا، وما أشبهَ قولك يا شيخ بقَول أهلِ البِدَعِ في التَّناقضِ، فتَأمَّل!

ثانيًا: أنَّ الوَاجبَ علىٰ أهلِ العِلمِ أن يُبيِّنوا للنَّاس بِقَدر استطاعتِهم ما خَفِيَ عليهم، ويُميِّزوا الحقَّ مِن الدَّخيل.

ثالثًا: بُلينَا بهذَا المَنْهجِ في عُقْر دارِنا، فأَفْسَد عُقولَ أبنائِنا، فَتنكَّروا للوالِدِ الحاني، والحَمِيم المُشْفق، والأستاذ المُربِّي، ولَم يُصدِّقوا نُصْحَ نَاصِحٍ، ولَا نَقْدَ ناقدٍ إلَّا أن يكونَ مِن أَهْلِ حِزبهم، فأشبَهُوا مَن قال اللهُ تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وهمْ قالُوا: لا تُؤمِنوا إلَّا لأَهلِ حِزبِكم، فكان ذلكَ هو المُوجِبَ للكلام في هذا المنهجِ، ومُؤسِّسه، وفُرُوعه؛ كالسُّروريَّة، والقُطبيَّة[1]، وكان هَذَا هو مُوجِب التَّخصيص؛ لأَنَّه شَاعَ عندنا وَانْتَشَر في جميعِ البلادِ والأصقَاعِ، وأَفسدَ عُقولَ الشَّباب، فَحوَّلهمْ إلىٰ ثَوْريِّين، تكفيريِّين، إرهابيِّين.

---

(١) **السُّروريَّة**: فصيلٌ مِن فصائل جماعةِ الإخوان المُسلمين، ينسبُ إلىٰ محمَّد سرور زين العابدين، وهو رجلٌ سوريٌّ كان يعيش في الكويت، وعاش في بلاد الحرمَين فترةً مِن الزَّمن، وهو الآن يعيشُ في بريطانيا.

والقطبيَّة: فصيلٌ آخرُ مِن فصائل جماعة الإخوانِ المُسلمين؛ يُنسَب إلىٰ سيِّد قُطبٍ، والمقصودُ بها: مَن تأثَّروا بفكْر سيِّد قُطبٍ، ودعوته، ومبادئِه.

فلا غرابةَ إنْ أنكرَ طُلَّابُ العِلم السَّلفيُّون هذا المنهجَ، ونَشرُوا القوادحَ فيه إحقاقًا للحقِّ، ونصحًا للخَلق، وتَقرُّبًا إلىٰ الله، وجهادًا في سبيلِه، واللهُ لا يُضيعُ أَجْرَ مَنْ أحسنَ عملًا.

وأمَّا قولك: «إنَّهم خَصُّوا كُتُبه من بَين كُتُبٍ مَشهُورةٍ هي شَرٌّ من كُتُبِه، وهُنَاك دُعَاةٌ أحياءٌ وأمواتٌ أشدُّ انحرافًا منه»:

وأقول: قَد بَيَّنتُ لَكَ السَّببَ في ذَلِكَ مع أنَّ السَّلفيِّين لَم يسكتوا - والحَمدُ لله - علىٰ بَاطلٍ، فقَد ردُّوا علىٰ كلِّ فئاتِ الباطلِ سابقًا ولاحقًا، قديمًا وحديثًا ما اسْتطاعوا إلىٰ ذَلِك سَبيلًا.

وأَخصُّ في هَذَا الزَّمان سماحة شَيخنا الجليل، وجِهْبذنا الفذِّ، وعَالِمنا النَّاصح الفَاضِل الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله، ثمَّ هَيئة كِبَار العُلَماءِ من بَعده، وَفَّقهم الله جميعًا، وأَعَانهم علىٰ كلِّ خيرٍ، وأَعَاذهم من كلِّ شرٍّ، فمَن تَصفَّح فتَاوىٰ الشَّيخ عبد العزيز بن باز البالغ عَددُها سَبْعَةَ مُجلَّداتٍ، بل تزيد، يعرف أنَّه قَد كَتَب رُدُودًا كثيرةً جدًّا علىٰ أَهل البَاطِل بكلِّ عَناصرِه، وكلِّ فِئَاتِهِم، كَذَلِكَ ما كُتِبَ في مجلَّة البُحُوثِ الإسلاميَّة من فَتَاوىٰ ورُدُودٍ منه، ومن هَيئة كبار العُلماء - جزاهم الله خيرًا، وبارَك في أَوقاتهم.

والمقصود أنَّ قولَك: «إنَّ أكثرَ الإخوان تَسلَّطوا عليه بدون موجبٍ للتَّخصيص، فهناك كتبٌ مشهورةٌ شرٌّ من كتُبه، وهناك دعاةٌ أحياءٌ وأمواتٌ أشدُّ انحرافًا منه»، يعني أنَّهم لم يَردُّوا عليهم، هو قولٌ في غير مَحلِّه، عَافَانا الله وإيَّاكم، وأصلح حالنا وحالكم، وما هكذا يا شيخ حُجَج العُلماء، بل إنَّ حُجَجهم في إثباتِ ما يُثبتونَ، ونَفي ما ينفون؛ نُصُوصُ الكتاب والسُّنَّة بفَهْم سَلَفِ الأُمَّةِ.

فإذَا كُنتَ - يَا أَخَا الإسلام - ترىٰ أنَّ الرَّدَّ علىٰ حسن البنَّا وأهلِ حزبِه مِمَّن تَمرَّغوا في الصُّوفيَّةِ والوثنيَّةِ، وأدخلوا في الدِّين بِدَعًا، وشَرعُوا فيه ما لمْ يَشرعه اللهُ ولا رسولُه، إذا كنتَ تَعتبرُ الرَّدَّ علىٰ هؤلاءِ وبيان ما احتوىٰ عليه مَنهجُهم مِن الباطل والضَّلالِ اعتداءً علىٰ أصحابِ هذا المنهج ومُؤسِّسه، فنحنُ لا نَملكُ لك الهدايةَ، ولكن علينا أن نَدعوَ لكَ أن يُخرجَك اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن هذا الفِكْرِ الغريب، والفَهم المُريبِ الَّذي اعتراك، وخَلَّط عليك الأُمُور، وفي نَفسِ الوقت نخافُ عليكَ أَن يُدخلَك هذا الفكرُ في عِداد مَن قالَ الله فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: ١١٥].

وَاعْلَم أنَّ تَولِّي أَهل الباطلِ، والدِّفاع عَنهم، لَيس من سَبِيل المُؤمِنِين؛ سواء كَانُوا مُشركينَ أَو مُبتدعينَ بدعًا مُكفِّرةً أو مُفسِّقةً، فأنَا أَنصحك، وأسأَلُ اللهَ لَكَ يا أخا الإسلام بالعَودة إلىٰ الحقِّ ونُصرتِهِ، ونسأل اللهَ أن يُبصِّرك بِهِ، ويُزيل عن بَصِيرتك الغشاوةَ.

هذه نَصيحتي لكَ، وهي نَصِيحَةُ كلِّ سَلفيٍّ يُحِبُّ لكَ الخيرَ، ويخافُ عليكَ من عواقبِ هذا الفكرِ الغريبِ، والفَهْمِ المُريبِ، وبالله التَّوفيق، عليه تَوكَّلتُ، وإليه أنيبُ.

وأمَّا قولك: «فأنَا أَنصحُك أيُّها الشَّيخ أَن تَصُونَ لِسَانَك وَقَلَمك عن الوَقيعَةِ في هَذَا الدَّاعيةِ الَّذي نَفَع اللهُ به»:

وأقول: ما أحسن النَّصيحة إذا كانت في مَحلِّها! إنَّها هديَّةٌ ثمينةٌ لمَن أرادَ أن يَصُونَ بِها دِينَه، ولكنَّك نَصَحتني أَلَّا أَنْصحَ، وهَل هَذِهِ نصيحةٌ؟ ! إنَّها في الحقيقة

تَثْبيطٌ عن الخير، وصَدٌّ عن سَبِيلِ الله، فاتَّقِ الله يا شيخ عبد الله(١)، وعُد إلىٰ الصَّوابِ، والله الَّذي لا إله إلَّا هو، ما في قَلبي شكٌّ بنسبة ١٪ في حِلِّ ما فَعلتُهُ، بَل أَرَىٰ أنَّه من الواجب عليَّ، وقَد علمتُ عن هذا الرَّجل وعن مَنهجِهِ ما يُؤهِّلني أن أنصحَ غَيري، وأن أُبيِّن ما علىٰ هذا المَنهج من المَآخِذِ نَصِيحَةً لطُلَّاب العِلمِ المُغرَّر بهم، وأداءً لحقِّ الله عليَّ في الدِّفاع عن الدِّين الإسلاميِّ، وذَوْدًا عن التَّوحيدِ، وحِمىٰ لجَنابِهِ بما حَمَاه به نبيُّ الهُدىٰ ورسول الرَّحمة، صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه كلَّما هَبَّت النَّسائم، ونَاحَت علىٰ الأَيْكِ(٢) الحَمائمُ، وكلَّما صلَّىٰ لله مُصلٍّ، وصَامَ لله صائمٌ، وسلَّم تَسليمًا كثيرًا.

وأمَّا قولك: «إنَّك تَنْصحني ألَّا أَقَع في عِرض هذا الدَّاعية»:

وأقول: ما هُوَ الأَولىٰ في نَظَرِكَ بالحِمَايَةِ والدِّفاع عنه: التَّوحيد والعقيدةُ الصَّحيحةُ (عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعةِ)، أو عِرض حسن البنَّا، أَلَيسَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَمَر بِقتَالِ المُشركين والكُفَّار من أَجل العقيدة، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣] الآية، وفُسِّرت الفِتنةُ بالشِّرك، أَلَيس اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَبَاح إزهَاقَ أَرواح الكُفَّار والمُشركين وسَبْي نِسائِهم وأَولَادهم، وجعَل أَموالَهم غنيمةً للمُسلمينَ مِن أجل العقيدةِ؟ أفلا يُبَاح عِرض مَن فعَلَ الشِّركَ الأكبرَ، وأقرَّ فَاعِليه، وأَدخَل في الدِّين بِدَعًا، وأَدخل فيه شَرْعًا لَم يَكُن مَشروعًا؟

أفلَا يُبَاح عِرضُه مِن أَجْل بيان الحقِّ للمَغرُورِينَ بهذَا الرَّجلِ ومَنهجِه؟

---

(١) يقصد الشيخُ النجميُّ الشيخَ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين؛ رحمهما الله تعالىٰ رحمةً واسعةً.

(٢) الأيك: جمعُ أَيكَة، وهي الشَّجَرُ الكثيف المُلْتَفُّ، انظر: «الصِّحاح» للجوهري (٤/ ١٥٧٣)، «لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٣٩٥ صادر).

بلىٰ واللهِ الَّذي لا إله إلَّا هو، إنَّ الواجبَ عليَّ وعليكَ وعلىٰ جَميع طُلَّاب العلمِ أن يكونَ نَصْرُ الدِّين وبيان الحقِّ مُقدَّمًا علىٰ كلِّ شيءٍ في هذِهِ الدُّنيا؛ طاعةَ لله، وقيامًا بحقِّه، ونُصرةً لدينِه، وحمايةً لعقائدِ المُسلمينَ من اللَّبْس.

وأمَّا قولك بأنَّ تنصحني ألَّا أطبعَ كتابي:

فأوَّلًا: أعتبرُ هذا منكَ صدًّا عن سبيل الله؛ لأنَّ هَذَا الكتابَ أَعْتبرُهُ من أَفضل حَسَناتِي؛ لأنِّي نَصرتُ به الحقَّ، وحميتُ به جنابَ التَّوحيد، ودَافَعتُ به عن العَقِيدَةِ الصَّحيحة، وأَرجو أنِّي فَعَلتُ ذلك مُخلِصًا لله، وقائمًا بحقِّه، وذَائدًا عن حِمَىٰ دينِه، وما أُبرِّئُ نَفسي من التَّقصيرِ والخَطَأ، وأسألُ اللهَ أن يغفرَ لي، فإنَّ العبدَ مهما عَمِلَ، فهو محلٌّ للقُصور والتَّقصيرِ.

وثانيًا: أَعْتَبرُ هذا مِنك خِذلانًا للحقِّ، وتَظَاهرًا مع أهل البَاطِلِ، وإِعَانةً لهم، وكَفَىٰ بذلك إِسَاءةً إلىٰ الشَّرع، ثمَّ إلىٰ حملتِه الَّذين قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في حَقِّهم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصِّلت: ٣٣].

ثالثًا: سَمِعتُ أنَّ بعضَ الحِزبيِّين يَشترون الكُتُبَ الَّتي تَقدح في حِزبهم بكَمِّيَّات كبيرةٍ، ثمَّ يَحرقُونها، فما الفرقُ بَين مَن يَحرق الكتابَ بَعد أن يُطبَع، وبَين مَن يقول: لا تَطبع.

رابعًا: وإنِّي أَعُدُّ هذا التَّدخُّل في شؤون الغير لِصَرْفِهِ عن نَشْر الخير، وفي الحديث: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(١).

خامسًا: إِنْ طبعتُه وتَداوَله النَّاسُ، فأنا أطبع كتابًا يُقرِّرُ التَّوحيدَ، وينكرُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨١).

الشِّركَ، ويُقرِّرُ السُّنَّةَ، وينكرُ البدعة، ويُقرِّرُ الحقَّ، وينكرُ الباطلَ، وكان الواجبُ عليك أنْ تطلبَ التَّعجيلَ بطَبعه نُصرةً للتَّوحيد والحقِّ والسُّنَّةِ، ولكنَّك عَكَستَ القضيَّةَ، وطلَبْتَ عدَم طَبعه، وكنتَ بذلك ظَهيرًا لأَهلِ البدَعِ والتَّحزُّبِ بالباطل علىٰ أَهلِ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ، وأتباع نَهج السَّلَف، فاستَغْفِرِ اللهَ، وتُب إليه قبل أنْ يفوتَ وينقضي العمُرُ، فواللهِ لا يَنفعك عند الله فلانٌ ولا عِلَّانٌ، وإنَّما يَنفعك قِيامُك بِالحقِّ، ونَصْرك له ولأَهلِهِ، واللهُ هو المسؤول وَحده أن يَهدينا وإيَّاك إلىٰ الحقِّ ونُصرتِه ونُصرة أهلِه، ويُعيذَنا مِن الهوىٰ والضَّلالِ.

وأمَّا تحذيرك إيَّاي من أن أَطْبعَه خوفًا عليَّ من أن «تُشوَّه سُمْعتي»؛

فأَنا أقولَ لَكَ: اعْلَم أنَّ تَشويهَ السُّمْعَةِ إنَّما يكون بنُصرة الباطل، أو قَولِهِ، أو فِعلِهِ، وأنا من فضلِ ربِّي لَم أعمل باطلًا، ولَم أَنصر أهلَ الباطل، فتُشوَّه سُمعتي عند المُؤمنين الَّذين هُم شُهَداء الله في أَرضِهِ، ولكنِّي عَمِلتُ حقًّا، ونَصَرتُ حقًّا أَرجو به الثَّوابَ عند الله، ولسانَ صِدْقٍ في الآخرين.

أمَّا أَهل الباطل، فأَنا لا أَحْرِصُ علىٰ سُمْعتي عِندهم، وأَسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العَرش الكريم أن يَكفيني شَرَّهم، وأَن يَحْميني مِن كَيْدِهِم، وأَنا ماضٍ في طَبْعِ الكِتَابِ ونَشْرِه، إن شاءَ الله، وَمُتوكِّلٌ علىٰ الله الَّذي بِيَدِهِ نَواصي العبادِ جميعًا، وإِلَيهِ مَرْجِعُهُم ومَآبُهُم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه

أحمد بن يحيى محمد شبير النجمي

الرَّدُّ الشَّرعيُّ المعقول
على
المُتَّصل المجهول

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

فإنَّ الباعث علىٰ هذا الرَّدِّ، هو ما كتَبه إليَّ أحدُ الأقرباء بقولِه:

فضيلة الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي حفظه الله:

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعدُ:

فقَد كَلَّمني رجلٌ لا أَدري مَن هو، ولا مِن أيِّ مكانٍ هو؛ لأنَّه كلَّمني بـ«التِّليفون»، وأَبَىٰ أن يُفْصِحَ عن اسمِه ومكانِه، وسألني بقولِه: أنتَ قريبٌ للشَّيخ أحمد النَّجميّ؟

قلتُ: نعم، قال: نريدُ منك أن تُوصِلَ له هذه الرِّسالةَ، وهي في حُكْمِ النَّصيحة.

قلتُ له: أَنْظُرُ في الأَمر مُراعاةً للأدبِ مع العُلماءِ.

فقالَ: إنَّ للشَّيخ مَكَانةً كبيرةً في قُلوبنا نحنُ الشَّباب، وكذلكَ في قلُوب العامَّة باعتبارِه فقيهًا مُحدِّثًا ومُفْتيًا آتاه الله من العِلمِ ما يَعلمُه الجميعُ، إلَّا أنَّه لُوحِظَ عليه في الفترة الأخيرة كثرةُ تَركيزِه علىٰ أُسلوبِ الحديث عن الجماعاتِ والأَحزابِ، وما إلىٰ ذلكَ، مِمَّا لا يستفيدُ منه الشَّبابُ، ولا يفهمُه كثيرٌ منهم، ولا مِن العامَّة.

وهذا أُسلوبٌ لم يَتَّبعه كبارُ عُلمائِنا، مثل الشَّيخ عبد العزيز بن باز، والشَّيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين، والشَّيخ صالح الفوزان، ونحن نَعتبرُه من هؤلاءِ، ومكانتُه لدينا مثل مكانتِهم، ولقدْ تَتبَّعْنا مُعظمَ أشرطتِهم، وكتبِهم، ومحاضرَاتِهم، فلمْ نجدْ إلَّا اليسيرَ جدًّا في هذا الموضوعِ، حسَب ما تَقتضيه الحاجةُ فقط، أَو ردًّا علىٰ الأَسئلة في حُدُودِها.

ولا أُخْفِيكَ أنَّ تركيزَ الشَّيخ علىٰ هذِه المواضيع أَثَّرت علىٰ مكانتِه في قلوبِ كثيرٍ من النَّاس، قَد يصل الحدُّ عند ضُعَفاء النُّفُوس، وبَعض الجَهَلة أنَّه يسقط من أعينِهم.

لِذَا، نَرغب أن تُبلغَ الشَّيخَ، أنَّنا نرغب منه أن يَترِكَ هذا الأُسلوب غير اللَّائق بمثلِه، وإذا سُئل عن شيءٍ مِن هذا، فليُجِب بما يراه في حُدودِ السُّؤال فقط. انْتهَىٰ مَعنىٰ الرِّسالة.

فضيلة الشَّيخ، لقَدْ تَردَّدتُ كثيرًا في حمْل هذا الكلَام إليكم لعِلمي أنَّ صغارَ الطَّلَبة - إن صحَّ التَّعبير - لا يَنبغي لهم التَّقدُّمُ بين يدَي عُلمائهم في مثل هذه الأُمور.

ولكنِّي رأيتُ مُؤخَّرًا أنْ أكتبَ لكَ الموضوع كتابةً؛ لأتمكَّن من نَقل الفكرة بِدقَّةٍ، وللإحاطة ببعض مَرئيَّاتِ الكثير من الشَّباب، طمعًا في كلمةٍ تَوجيهيَّةٍ، إنْ أَخْطؤوا في ذلكَ، أو إبداء وجهة نظَركم الَّتي تَرونها، وَفَّقنا اللهُ وإيَّاكم لما يُحبُّه ويَرضاه، والسَّلام.

كتبه

أبو محمَّد

في ١٤١٧/٦/٩ هـ.



بدْءُ الجواب

وأَقُولُ: بَعْد حَمدِ الله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّهِ المَبعوث رَحمةً للعالَمين، وحُجَّةً علىٰ المُعَانِدين المُعرِضين عن نَهْجِه، المُتَّبعين لغير سبيلِه وسبيل المُؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: ١١٥].

أمَّا بعدُ:

فإنِّي أَحمِلُ هذا المُتَّصلَ المجهولَ الَّذي أَبىٰ أنْ يُسمِّيَ نفسَه، أَحْمِله علىٰ السَّلامة، وأنَّه حمَله علىٰ هذه النَّصيحةِ الإشفاقُ علىٰ المنصوح - حسَب زعمِه - مِن أذيَّة الحِزبيِّين أصحاب المناهج الحزبيَّةِ المبتدعةِ؛ لأنَّهم مِن عادتهم أنَّهم يَتحمَّسون لنُصرةِ منهجِهم الباطل، فيُؤذُون مَن انْتقَده، وهذه عادةُ أهل الباطل في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، مِن عهد نُوح إلىٰ يومِنا هذا، قال اللهُ تعالىٰ عن قوم نُوحٍ: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشُّعراء: ١١٦]، وقال مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدُّخان: ٢٠ - ٢١].

مع أنَّ المُتبادِرَ إلىٰ الذِّهن هو أنَّ هذا المُتَّصلَ هو نفسُه مِن الحِزبيِّين، وأنَّه إنَّما أراد بفضيحتِه هذه الَّتي سمَّاها نصيحةً، إنَّما أراد بها التَّهديدَ، وعلىٰ كِلَا الاحتمالَين، فأنا مُتوكِّلٌ علىٰ الله، مؤمنٌ بقضائِه وقدَرِه، لا يَمنعُني مِن النُّصح - إن شاء الله - تهديدٌ ولا وعيدٌ، وأسألُ اللهَ أن يُوفِّقني إلىٰ أداءِ النَّصيحةِ إخلاصًا له، وعملًا بطاعتِه، وامتثالًا لأَمرِه، وحِرصًا علىٰ نَيل رِضاه - جَلَّ وَعَلَا - حتَّىٰ ألقاه.

وإنَّما سَمَّيتها «فضيحةً» لأمرَينِ:

الأمر الأوَّل: أنَّ هذا المُتَّصلَ أبانَ عن نفسِه بنصيحتِه المزعومة أنَّه مِن الحِزبيِّين، فهو بذلكَ قد فضَحَ نفسَه بنفسِه.

الأمر الثَّاني: إنَّه يُريد منِّي أنْ أتركَ النَّصيحةَ، فنصيحتُه: ألَّا أنصحَ، وألَّا أُبيِّنَ الحقَّ لمَن يَجهلُه، فهذه فضيحةٌ، ولَيستْ نصيحةً؛ لأنَّ النَّصيحةَ هي قولُ الحقِّ، ولَيسَتْ السُّكوت عنه وتَرْك بيانِه.

ومِن ناحيةٍ أخرىٰ هذه النَّصيحةُ مُخالفةٌ لِما أمَر اللهُ به ورسولُه، واللهُ عَزَّوَجَلَّ أمَرَ ببيانِ الحقِّ، ونَهىٰ عن كِتمانِه، حذَّرَ من كِتمَانِ الحقِّ، ولعَنَ فاعلَه في غيرِ ما آيةٍ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

لَكِنَّ هَذَا المُتَّصلَ يَقُولُ: اسكت عن بيَان الحقِّ، ويَزعم بأنَّ هذِهِ نصيحةٌ، فهل تَرَون أنَّ الأجدرَ بها أن يُقال لها: نصيحة، أَو يُقالَ لها: فضيحة؟ أَترُكُ الحُكمَ للقارئ.

ومِن المعلوم عند كلِّ مسلمٍ له حظٌّ مِن دينٍ أو أَثَارةٌ مِنْ عِلمٍ، وعندَه مُسْكةٌ من عقلٍ، أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أوجبَ علىٰ أَهلِ العلمِ أن يُبيِّنوا للنَّاس الحقَّ من البَاطِل، والحلالَ مِن الحرامِ، والصَّوابَ مِن الخطإ، وأَن يَدعوهم إلىٰ سبيلِه(١)؛ ليَهلكَ

---

(١) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ =

مَن هلَكَ عن بيِّنةٍ، ويَحْيا مَن حيَّ عن بيِّنةٍ.

ولقدْ أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذِه الأمَّةِ، وأثبتَ لها الخَيريَّةَ علىٰ سائرِ الأُمَمِ؛ لأنَّ مِن أبرزِ صِفاتِها: الأمر بالمَعروف، والنَّهي عن المُنكر، والإيمان بالله[1].

وأنَّ مَن نَصَح ألَّا ينصحُوا، قَد حَاوَل سَلْبَ الأُمَّة من أبرَزِ صِفَاتِها الخيريَّة، وَهُو جَدِيرٌ بأن يُقال له: اسكت، قَطَعَ اللهُ لِسَانَك، وشلَّ بَنَانَك؛ لأنَّك تأمر بضِدِّ ما أمَرَ اللهُ به في كتابِهِ، وعلىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ، ألَم تَسمع رَبَّك عَزَّوَجَلَّ يَقُول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال تعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦].

فهذِهِ الآياتُ الَّتي نزلَتْ في أَهلِ الكتاب الَّذين كتمُوا ما عندهم مِن العلمِ

=

مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال عزَّ من قائل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

بصفةِ النَّبيِّ ﷺ، فَاسْتَحقُّوا بِذلكَ غضَبَ الله ومقتَه وعذابَه.

قَالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِ الآياتِ من سورة (البقرة): «إنَّما اسْتَحقُّوا هذا العذابَ الشَّديدَ؛ لأنَّ اللهَ تَعالىٰ أنزلَ علىٰ رسُولِه مُحمَّدٍ ﷺ، وعلَىٰ الأنبياءِ قَبْلَه كتبَه، بتَحقيقِ الحقِّ، وإبطالِ البَاطِلِ، وهَؤُلاءِ اتَّخذوا آياتِ الله هُزُوًا، فكتابُهم يأمرهم بِإظهار العِلمِ ونَشره، فخالَفوه وكَذَّبوه، وهذَا الرَّسولُ الخاتمُ يَدعوهم إلَىٰ الله تعالىٰ، ويأَمرهم بالمَعروفِ، ويَنهَاهُم عن المُنكر، وهُمْ يُكذِّبونَه، ويُخالفونه ويَجحدُونه، ويَكتمُون صفتَه»(١).

قلتُ: وليس هذا الحكمُ، وهو ذمُّ الكاتمين ولعنُهم وتَوعُّدُهم بالعذابِ المهينِ، ليسَ خاصًّا بأَهلِ الكتابِ، بلْ هو عامٌّ في كلِّ مَنْ عندَه علمٌ شرعيٌّ مأخوذٌ مِن كتُبِ الله بواسطة رسُلِه، ثمَّ كتَمَه عن النَّاس، ولَم يعلمهم إيَّاه، ولَم يَنصحهم به؛ فإنَّه داخلٌ في هذا الوعيد، ومُتوعَّدٌ بلَعْنِ اللهِ له، ولَعْن كلِّ لاعنٍ مِن الملائكةِ والإنسِ والجنِّ، وغيرِهم.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وهذا الخطابُ عامٌّ لأَهل الكتاب وغيرِهم، ونحنُ المُخاطبون به داخلونَ فيه دُخولًا أَوَّليًّا، وقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٤ سلامة).

الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

أَفَتُرِيد منِّي - يا هذَا المجهول - أن أترُكَ ما دَلَّتْ عليه هذه النُّصوصُ مِن اللهِ ورسولِه، وأسكُتَ عن أصحاب المناهج المُبتدعةِ بعْد أنْ عرَفتُهم وعرَفتُ مناهِجَهم بما فيها مِن أخطاءٍ فَاحشةٍ، ومِنْ شِركيَّاتٍ، وبِدَعٍ وضلالاتٍ؟

هذا لا يكونُ - إن شاء الله - أبدًا، بلْ سأمضي في بيانِ النَّصيحة بحَول الله وقُوَّته، وأسألُ الله الثَّباتَ علىٰ ذلكَ حتَّىٰ ألقاه.



(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الدَّاري رضي الله عنه.

لا سبيلَ إلى السُّكوت
بعدَ معرفةِ ما في المنهج الإخواني مِن شركٍ وبدَعٍ

لقَد عَرَفتُ تلك المَناهج بِعُجرها وبُجَرها[1]، كما قيل، عَرفتُها بشِركها وبِدَعها وبِضلالِها، فكَيفَ أسكتُ؟ كَيفَ أَسكتُ علىٰ مَنهجٍ مُؤسِّسُهُ يقول:

هذَا الحَبيبُ معَ الأَحْبَابِ قَدْ حَضَرَا ... وَسَامَحَ الكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَىٰ وَجَرَىٰ[2]

---

(١) أصل (العُجرة): نفْخةٌ في الظَّهر، فإذا كانتْ في السُّرَّة فهي بُجرةٌ. وقِيل (العُجَر): العُرُوق المتَعقِّدة في الظَّهر، و(البُجَر): العُرُوق المُتَعقِّدة في البطنِ. أي: ما ظهرَ منها وما بَطَن. انظر: «النِّهاية في غريب الأثر» مادَّة (بجر) (١/ ٩٧).

(٢) نقل جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذته ومعاصريه» (ص ٧٠ - ٧١) عن عبد الرَّحمن البنَّا قوله: «وذلك أنَّه حين يهلُّ هلال ربيع الأوَّل كنَّا نسير في موكب مسائيٍّ كلَّ ليلةٍ، حتَّىٰ ليلة الثَّاني عشر، تنشد القصائدَ في مدْح الرَّسول ﷺ، وكان مِن قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صَلَّىٰ الإلَـهُ عَلَـىٰ النُّـورِ الَّـذِي ظَهَـرَا ... لِلْعَـالَمِينَ فَفَـاقَ الشَّـمْسَ والْقَمَـرَا

كان هذا البيتُ تردِّده المجموعةُ، ينشد أخي وأنشد معه.

هَـذَا الْحَبِيـبُ مَـعَ الأَحْبَـابِ قَـدْ حَضَـرَا ... وَسَـامَحَ الكُـلَّ فِيمَـا قَـدْ مَضَـىٰ وَجَـرَىٰ
لَقَـدْ أَدَارَ عَلَـىٰ الْعُشَّـاقِ خَمْـرَتَهُ ... صِـرْفًا يَكَـادُ سَـنَاهَا يُـذْهِبُ البَصَـرَا
يَـا سَـعْدُ كَـرِّرْ لَنَـا ذِكْـرَ الْحَبِيـبِ لَقَـدْ ... بَلْبَـلْتَ أَسْمَـاعنَا يَـا مُطْـرِبَ الْفُقَـرَا
وَمَـا لِرَكْـبِ الحِمَـىٰ مَالَـتْ مَعَاطِفُـهُ ... لا شَـكَّ أَنَّ حَبِيـبَ القَـوْمِ قَـدْ حَضَـرَا

بواسطة «دعوة الإخوان في ميزان الإسلام» (٦٢ - ٦٣).

فهُو يَزعمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يَحضرُ معهم حفْلهم البدعيَّ، ويُسامحُهم فيما قدْ مضىٰ وجرَىٰ مِن الذُّنوب، ويُسامحُهم ويَغفرُ لهم ذُنوبَهم، هذا زعْمُ المُؤسِّس لِمنْهج الإخوان حسن البنَّا، وزَعْم النِّحلة الصُّوفيَّة وأصحابِها، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]، استِفهامٌ إنكاريٌّ، أي: لا أحدَ يَغفرُ الذُّنوبَ إلَّا الله، ويَدخلُ في هذا الرَّسولُ ﷺ وغيرُه، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ عن المُنافقين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

والنَّبيُّ ﷺ يَقولُ لأَقرب النَّاس إليه: «اشْتَرُوا أَنفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

وفي ذِكرِ الرُّكوبِ في السَّفر: «عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ»(٢).

كَيف أسكتُ وهو الَّذي يقول في نَشيدٍ له:

اللهَ قُـلْ وذَرِ الوُجُـودَ ومَـا حَـوَىٰ ... إنْ كُنـتَ مُرْتَـادًا بُلُـوغَ كَمَـالِ

فَجَمِيـعُ مَـا في الكَـوْنِ إنْ حَقَّقْتَـهُ ... عَـدَمٌ عَلَىٰ التَّفصِيلِ وَالإجْمَـالِ(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) نقل جابر رزق في كتابه: «حسن البنَّا بأقلام تلامذتِه ومُعاصريه» (ص ٧٠ - ٧١) عن مجلَّة (الدَّعوة فبراير (١٩٥١م) حديث عبد الرَّحمن البنَّا عن أخيه حسن البنَّا، قال فيه: «وعقب صلاةِ العِشاءِ يجلسُ أخي حسن البنَّا إلىٰ الذَّاكرين مِن جماعة الإخوان الحصافيَّة، وقد أشرقَ قلبُه بنورِ الله، فأجلس إلىٰ جوارِه نذكرُ الله مع الذَّاكرين، وقد خلا المسجد إلَّا مِن أهل الذِّكر، وخبأ الصَّوت إلَّا ذبالة مِن سراج، وسكن اللَّيل إلَّا =

وهذان البيتان يَنضحانِ بوحدة الوُجودِ.

كيفَ أسكتُ علىٰ هذه الطَّوامّ؟ كيفَ أسكتُ ومُؤسِّس هذا المنهج يُثني علىٰ الميرغني الغارق في وحدة الوجود، ويقول: «إنَّ الإخوانَ مَدينون للطَّريقة الميرغنيَّة وأصحابها بدَينٍ قديمٍ؟ ». انظر في كتاب: «قافلة الإخوان المسلمين»، الجزء الأوَّل (ص ٢٥٩).

كَيفَ أسكتُ عن مَنهجٍ يقول مُؤسِّسُهُ: «ليس بَيننا وبَين اليهود عَداوةٌ دينيَّةٌ»(١)؟ أتَرون أنَّه يَجوزُ السُّكوتُ علىٰ هذه البلاوي والطَّوامّ؟

=

همسات مِن دعاءٍ، أو ومضات مِن ضياءٍ، وشمل المكان كله نور سماويّ، ولفّه جلال ربانيّ، وذابت الأجسام، وهامت الأرواح، وتلاشىٰ كلُّ شيءٍ في الوجُود، وَانْمحىٰ وانساب بصوتِ المنشد في حلاوةٍ وتطريبٍ.

اللهَ قُلْ وذَرِ الوُجُودَ وَمَا حَوَىٰ ... إنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ

فَالكُلُّ دُونَ اللهِ إنْ حَقَّقْتَهُ ... عَدَمٌ عَلَىٰ التَّفصِيلِ والإجْمَالِ

(١) نقل محمود عبد الحليم عن حسن البنَّا قولَه: «فأقرِّر أنَّ خصومتَنا لليهود ليستْ دِينيَّةً؛ لأنَّ القُرآن حضَّ علىٰ مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلامُ شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبل أن يكون شريعةً قوميَّةً، وقَد أثنىٰ عليهم وجعل بيننا وبينهم اتِّفاقًا: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وحينما أراد القُرآن الكريم أن يتناولَ مسألةَ اليهود، تناوَلها مِن الوجهةِ الاقتصاديَّة والقانونيَّة». «أحداثٌ صنعَتْ التَّاريخ» لعبد الحليم محمود (١/ ٤٠٩ - ٤١٠).

وقد سُئلَ سماحةُ الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الكلام:

ما حُكم الشَّرع فيمَن يقول: إنَّ خصومتَنا مع اليهودِ ليستْ دينيَّة، وقد حثَّ القُرآنُ علىٰ مصافتهم ومصادقتهم، وجعل بيننا وبينهم اتِّفاقًا، فقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، والإسلام شريعةٌ إنسانيَّةٌ قبلَ أنْ يكونَ شريعةً قوميَّةً، وحينما أراد القُرآنُ أنْ يتناولَ قضيَّةَ اليهودِ، تناوَلها مِن وجهةٍ اقتصاديَّةٍ وسياسيَّةٍ، فقال: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، إلىٰ نهاية الآية.

ما حكم الشرع في هذه المقولة يا شيخنا؟ فأجاب سماحة الشَّيخ بقوله: هذه مقالةٌ باطلةٌ، خبيثةٌ، اليهودُ مِن

=

بَل كيفَ أَسكُتُ عن مَنهجِ مُرشدُه يقول: «إنَّ دعوةَ الأولياء في قُبُورهم لَيسَ فيها شِركٌ، وَلَا وَثنيَّةٌ»؟ ! وهَذَا المُرشدُ هو عمر التِّلمساني في كتابِهِ: «شهيد المحراب»، يقول هذا(١)، ولا أَدري بِمَ يَحكم أصحابُ المنهج الإخوانيِّ وولائده علىٰ مَن يقول: «إنَّ دعاءَ الأموات - فيما لا يَقدر عليه إلَّا اللهُ - لَيس فيه شِركٌ ولا وَثنيَّةٌ»؟ !

هَل سيتركون العقيدةَ الَّتي درَسُوها منذ نُعُومةِ أَظَافِرهم من أَجل انتمائِهم للمنهجِ الإخوانيِّ ومُوالاتهم لحزبِه؟ أم أَنَّهم سيحكمون بالعقيدةِ الَّتي درَسوها

=

أعدىٰ النَّاس للمؤمنين، هم مِن أشرِّ النَّاس، بل هم أشدُّ النَّاس عداوةً للمؤمنين مع الكفَّار، كما قال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾، فاليهود والوثنيون هم أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، وهذه المقالةُ خاطئةٌ، ظالمةٌ، قبيحةٌ، منكرةٌ، والدَّعوة إلىٰ الله بالحسنىٰ ليستْ خاصَّةً باليهود، ولا بغيرهم، بل الدَّعوة إلىٰ الله مع اليهود، ومع الوثنيِّينَ، ومع الشُّيوعيِّين، ومع غيرهم، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، هذا عامٌّ للكفَّار ولغير الكفَّار، قال تعالىٰ: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، ليس خاصًّا بهم، ولكن مِن باب التَّنبيه علىٰ أنَّهم وإنْ كانُوا يهود أو نصارىٰ، فإنَّهم يجادلون بالَّتي هي أحسنُ؛ لأنَّ هذا أقربُ لدُخُولِهم في الإسلام، وإلىٰ قَبولِهم الحقَّ، إلَّا إذا ظلمُوا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، الظَّالم له ما يستحقُّ مِن الجزاء.

فالحاصلُ: أنَّ الدَّعوةَ بالَّتي هي أحسنُ عامَّةٌ لِجميع الكفَّار، ولِجميع المُسلمين، الدَّعوة بالَّتي هي أحسنُ ليستْ خاصَّةً باليهودِ، ولا بالنَّصارىٰ، ولا بغيرِهم.

فهذا الكلام الذي نقلته عن هذا الشَّخص، هذا غلطٌ، نسأل الله للجميع الهداية». نقلًا عن شريط مسجل بتاريخ (٢٨/ ٧/ ١٤١٢هـ) للشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) حيثُ قال في كتابه: «شهيدُ المحراب عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (ص ٢٣٢): «ولَئن كان هوَايَ مع أولياء الله وحُبِّهم، والتَّعلُّق بهم، ولَئِن كان شُعوري الغامر بالأُنس والبَهجةِ في زياراتهم ومقاماتهم بما لا يُخِلُّ بعقيدة التَّوحيد؛ فإني لا أُروِّج لاتِّجاهٍ بذاتِه؛ فالأمر كلُّه من أوَّله إلىٰ آخره أَمْرُ تَذَوُّق، وأقولُ للمُتشدِّدين في الإنكار: هَوْنًا ما، فما في الأمر مِن شِركٍ، ولا وثنيَّةٍ، ولا إلحادٍ».

مِن كتابِ الله وسُنَّةِ رسولِه ﷺ حيثُ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، والمُرَادُ بالظُّلم: الشِّركُ الأكبر المُخرج من الإسلام بدليل أنَّ الآيةَ الَّتي بعد هٰذِهِ الآية قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقَالَ فِي سورة (الزُّمر): ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥]، فالله تعالىٰ سَمَّىٰ مَن يدعو غيره: ظالمًا وكافرًا ومشركًا وخاسرًا، فمَاذَا بَقِيَ يا عباد الله؟! هل بَقِيَ عليكم لَبسٌ في الحُكمِ علىٰ مَن دَعَا غير الله بالكفر!!

أَمَّا السُّنَّة، ففي الحَدِيثِ الصَّحيح: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»[(١)]، وفي السُّننِ أيضًا: «الدُّعاءُ مخُّ العبادة»[(٢)].

وبَعْدَ هذا هل تُصَدِّقون الله عَزَّوَجَلَّ في أنَّ مَن دَعَا غير الله، يَطلب منه جلبَ النَّفعِ أو دفعَ الضُّرِّ فهُو مُشركٌ شِركًا أكبر مُخرجًا من المِلَّةِ، كافرٌ بوحدانيَّةِ الله، وظالمٌ أَعظم الظُّلمِ، وخاسرٌ أَفظع الخُسرانِ، أَو تُصدِّقون التلمساني الَّذي يَقُول: «إنَّ دعاءَ الأَمواتِ لَيسَ فيه شِركٌ وَلَا وَثنيَّةٌ؟».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والتِّرمذيُّ (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٣٧١) مِن حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف سنن التِّرمذيِّ» (١/ ٤٤١).

ويقولُ أحدُ مُنظِّري المنهج الإخوانيِّ سعيد حَوَّىٰ ما نَصُّه: «إنَّ مِن كَرامةِ الله لأصحابِ الطَّريقة الرِّفاعيَّة أنَّ الواحدَ منهم يُضرب بالشِّيش أو السَّيف من ظهره حتَّىٰ ينفذَ من صَدره، ثمَّ يُسحَب منه ولا جرح، ولا ضرر»(١).

قلتُ: هل أصحَابُ الطَّريقة الرِّفاعيَّة أفضل من رسول الله ﷺ حين ضُرِب علىٰ رأسِه في غَزوة أُحدٍ، فغَاصَت حَلْقَتا المِغْفر في وَجْنَتيه، فسَالَ الدَّمُ علىٰ وَجهه، فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ»(٢).

أمَّا أصحابُ الطَّريقة الرِّفاعيَّة فيُطعَن أَحَدُهُم بالسَّيف أو غَيره من ظهره حتَّىٰ ينفذَ من صَدره أو العكس، ثمَّ يُسحَب ولا دم يسيل، ولا جرح يَنفتح،

(١) قال سعيد حَوَّىٰ في كِتَاب: «تربيتنا الرُّوحيَّة» (ص ٣): «وقَد حدَّثني مَرَّةً نَصرانيٌّ عن حَادثةٍ وقَعت له شَخصيًّا، وهي حَادثةٌ مَشهورةٌ مَعلومةٌ جَمَعني اللهُ بصَاحِبها بعْد أنْ بلَغتْني الحادثةُ من غيرِه، وحَدَّثني كَيف أنَّه حَضَر حلقةَ ذِكرٍ، فضرَبه أحدُ الذَّاكرين بالشِّيش في ظَهرِه حتَّىٰ خرَج الشِّيش، وحتَّىٰ قبَض عليه، ثمَّ سحبَ الشِّيشَ مِنه، ولم يكن لذَلِك أثرٌ ولا ضررٌ.

إنَّ هذا الشَّيءَ الَّذي يَجري في طَبقات أبناءِ الطَّريقةِ الرِّفاعيَّةِ هُو من أعظم فَضل الله علىٰ هذه الأُمَّةِ؛ إذْ إنَّ مَن رأىٰ ذلك، تَقُوم عليه الحُجَّةُ بشَكلٍ وَاضحٍ علىٰ مُعجزاتِ الأنبياءِ، وكراماتِ الأولياءِ.

إنَّ مَن يرىٰ فَرْدًا مِن أفرادِ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ يخرجُ السَّيفُ مِن ظهرِهِ بعد أن يُضرَبَ به في صدرِه، ثمَّ يُسحَبُ ولا أثَرَ ولا ضرَرَ، هل يَستغربُ مثل هذا حادِثةَ شقِّ الصَّدرِ للنَّبيِّ ﷺ، إنَّ هذَا الموضوعَ مهمٌّ جدًّا، ولا يجوزُ أن نقفَ منه مَوقفًا ظالمًا، ومحلُّه في إقامَةِ الحُجَّةِ في دين الله عَلَىٰ مِثلِ هَذِهِ الشَّاكلةِ، إنَّ الحُجَّةَ الرَّئيسةَ لِمُنكِري هذا الموضوع هُوَ أنَّ هذه الخوارقَ تَظهر علىٰ أيدي فُسَّاقٍ من هؤلاء، كما تَظهر عَلَىٰ أيدي قَوم صالحينَ، وهذا صحيحٌ، والتَّعليلُ هنا هو أنَّ هذه الكرامةَ للشَّيخ الأوَّلِ الَّذي أَكْرمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الكرامةِ، وجعلَها مُستمرَّةً في أتباعِه مِن بابِ المُعجزةِ لِرسولنا ﷺ، فهي كرامةٌ للشَّيخِ الَّذي هُو أحمد الرِّفاعي». اهـ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٨ قرطبة) (١٢٨٥٤)، وابن ماجه (٤٠٢٧)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٥٣)، ورواه مسلم (١٧٩١) بلفظ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ؟».

سبحان الله! أتُقاس الشَّعوذة بالنُّبوَّة، والسِّحر بالإيمان، والحقُّ بالباطل، أم ماذا؟ أترون السُّكوتَ عن بيَان مثل هذا سائغًا؟ إن كنتم ترونه سائغًا فهاتُوا بُرهانكم من كتابِ الله أو سُنَّةِ رسولِه ﷺ إن كُنتُم صادقِينَ!

وهذا مُرشدُ الإخوان المُسلمين في سوريا مصطفىٰ السِّباعي يَنظمُ أبياتًا يَستغيثُ فيها بالنَّبيِّ ﷺ، يَطلبُ فيها شفاءَ مرَضِه، فيقولُ:

يَا سَائقَ الظَّعن نَحوَ البَيتِ والحَرمِ ... ونَحوَ طَيبَةَ تَبغِي سَيِّدَ الأُمَمِ

إِنْ كانَ سَعيُكَ للمُختَارِ نَافلَةً ... فَسَعْيُ مِثلِي فَرضٌ عِندَ ذي الهِمَمِ

يَا سَيِّدِي يا حَبيبَ اللهِ جِئتُ إلَىٰ ... أَعْتَابِ بَابِكَ أَشكُو البرحَ مِنْ سَقَمِي

يَا سَيِّدي قَدْ تَمادَىٰ السّقمُ في جَسَدِي ... مِنْ شِدَّة السّقْم لَمْ أَغْفلْ ولَمْ أَنَمِ (١)

هذا هو مُرشد الإخوان في سوريا، يَستغيثُ بالرَّسول، ويَنسىٰ اللهَ الَّذي أَرسَله بالتَّوحيدِ، وقال له: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال له: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّخرف: ٤٥].



(١) من قصيدة بعنوان: «مُناجاة بَين يدي الحبيب الأعظم»، انظر مجلَّة: «حضارة الإسلام»، عدد خاصٌّ بمناسبة وَفاة مصطفىٰ السِّباعيّ، جمادىٰ الآخرة/ رجب/ شعبان (١٣٨٤هـ)، العدد (٦، ٥، ٤)، السَّنة الخامسة (ص٢٠٤).

فصلٌ:
أيغيظكم أن يُبيَّن الحقُّ؟

أَقصِروا أيُّها القومُ، وتُوبُوا إلىٰ الله مِن نُصرةِ الباطل، أيغيظكم أن يُبيَّنَ الحقُّ للنَّاس، ويُزعجكم أَن يَنبريَ بعضُ إخوانِكم لِتوضيحِ العقيدةِ الصَّحيحة بالأدلَّةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ، فإن كانَ عندكُم حُجَّةٌ في ردِّ ما نقولُ مِن القَدْح في هذه المناهج، فهَاتُوا حُجَّتكم الَّتي تدحض حُجَّتَنا، وأَدلَّتكُم الَّتي تُبطل أَدلَّتَنا، وإلَّا فاعْلموا أنَّكم تَدفعون الحقَّ نهارًا، وتُدَافعون عن الباطل جِهارًا، شئتم أم أبيتُم، رضيتُم أم سخطتُم، وإنِّي أخاف عليكم أنْ تكونوا قدْ دخلتُم في عِدادِ الصَّادِّين عن سبيل الله الَّذين يَبغونها عِوَجًا، والَّذين قال عنهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].



إلى أيِّ شيءٍ نحن ندعو؟

فنحن نَدْعو إلىٰ التَّوحيدِ، ونُحذِّر مِن الشِّركِ، وأنتم إلىٰ أيِّ شيءٍ تَدعون، ومِن أيِّ شيءٍ تُحذِّرون؟

نحن ندعُو إلىٰ السُّنن، ونُحذِّر مِن البدَعِ، وأنتم إلىٰ أيِّ شيءٍ تَدعون؟ ومِن أيِّ شيءٍ تُحذِّرون؟

نَحنُ نَدعو إلىٰ مَنهج الرَّسول ﷺ الَّذي سارَ عليه في دعوتِه، وأنتم إلىٰ منهجِ مَن تَدعون، وعلىٰ طريقةِ مَن تَسيرونَ؟

نَحنُ نَدعو إلىٰ عقيدَة السَّلَفِ، ومنهجِ السَّلف، وآثارِ السَّلفِ، وأَنتم تَدعون إلىٰ مَن يَرىٰ الشِّركَ عبادةً مشروعةً، والبدعةَ طاعةً وقُربةً، وتَعطيلَ الصِّفات توحيدًا.

نحن ندعو إلىٰ أَخْذِ الحقِّ مِن يَنْبُوعِه الصَّافي، ومَعينِه العذْبِ، وسلسبيلِه الفيَّاضِ مِن كتابِ الله وتفسيرِه بالأثر، وأَخْذِ السُّنَّةِ مِن الكتُب المُخصَّصة لها علىٰ طريقةِ المُحدِّثين أصحاب الجرح والتَّعديل، وأَنتم تَدعون الشَّبابَ جميعًا إلىٰ الضَّياعِ والإفلاسِ، والتَّغاضي عن الشِّركِ والتَّعبُّدِ بالبدَعِ.



فصل

أَترضَون لأَنفُسِكُم أَن تكونُوا دُعاةً إلىٰ الباطلِ، ومُدافِعِينَ عنه وعن أهلِه؟

أَترضَون لأَنفسِكُم أَن تَكُونُوا مُعظِّمين لأهْلِ الشِّركِ والبدَعِ الَّذين يجبُ هجرُهم، والبراءةُ مِن صنيعِهم تَقرُّبًا إلىٰ الله؟

أَترضَون لأنفُسِكمْ أن تكونُوا مُتَّبعين لتَشريعِ مَن ليس بمعصومٍ، تاركِين التَّشريعَ المعصوم الَّذي شهِدَ اللهُ له بالعِصمة، فقال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجم: ٣ - ٤]؟

أَترضَون لأنفسِكم أن تكونوا مُتَّبعين لغَير سبيل المؤمنين المُوحِّدين، وأنتم تَتْلُونَ قولَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النِّساء: ١١٥]؟

أَتَرَون هذا مِنكُم وفاءً لعقيدةِ التَّوحيدِ الَّتي تَعلَّمتمُوها أَم ماذا؟



فصلٌ:
ما هو الواجبُ على كلِّ مُوحِّدٍ؟

أَلَيسَ الواجبُ على كلِّ مُوحِّدٍ أن يَبرأَ مِن المُشْركينَ مُتأسِّيًا بإبراهيم الخليل عَلَيهِ السَّلَامُ حَيثُ يقولُ كما حَكَىٰ اللهُ عنه بقولِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وَتَأسِّيًا بالنَّبيِّ ﷺ حيثُ يقولُ: «أَلا إِنَّ آلَ فُلانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ المُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»[(١)].

أَليسَ لكم في الخليلَين أُسوةٌ، كما أَمرَكم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بقولِه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [المُمتحنة: ٦].

لقدْ مدحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المُؤمِنينَ بالبراءة مِن المُشركينَ والكافرينَ حيثُ يقولُ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) أخرجه الحكيمُ التِّرمذيُّ في «نوادر الأصول» (٥/ ١٤٣) (١١٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولفظه: «أَلا إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ لَيْسُوا بِبَنِي فُلَانٍ، وَلَكِنْ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ المُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا». وفي سنده الفضل بن محمد الباهلي الأنطاكي الأحدب، كذبه الدارقطني وابن عدي وغيرهما كما في «لسان الميزان» (٦/ ٣٥١).

وأصل الحديث أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «أَلا إِنَّ آلَ فُلانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ».

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

لقد أَمَر اللهُ عِبادَه المُؤمِنِينَ بالبراءة من كلِّ كافرٍ ومُشركٍ، سواء كان وثنيًّا أو كِتابيًّا أو غير ذلك، وربَّىٰ نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أتباعَه علىٰ هذا النَّهجِ، فقالَ صلواتُ الله وسلامُه عليه: «لا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا»[١]، يَعني: نار المُسلمينَ والمُشركينَ.

وتابعَه علىٰ ذلك أصحابُه، فكان الرَّجلُ منهم يُسْلمُ، فيَنْفصلُ عن أهلِه في النَّسَبِ انْفصالًا كليًّا حتَّىٰ قالَ المشركون: ما مُحمَّدٌ إلَّا ساحرٌ، ألَا ترونَ أنَّه يُفرِّقُ بين المرءِ وزوجِه، وبينَ المرءِ ووالدِه وولدِه، وبينَ المرءِ وعشيرتِه.

وفي حديثِ إسلامِ الطُّفيل بن عمرو الدّوسي، حينَ قدِمَ علىٰ أهلِه بعْد إسلامِه، فجاءَ إليه أبوه، فقال: إليكَ عنِّي، فلستُ منكَ، ولستَ منِّي قال: وما ذاكَ؟ قال: إنِّي أَسلمتُ واتَّبعتُ دينَ مُحمَّدٍ، فقال: أي بُنَيَّ، ديني دينُك، وكذا أُمُّه، فأَسلَما»[٢].

وفي قِصَّةِ إسلام سَعد بن أبي وَقَّاصٍ، أنَّ أُمَّ سعدٍ - وكان سعدٌ قبل إسلامِهِ برًّا بها - قالت له لمَّا أَسلَم: لَتَدعَنَّ دِينَك هَذَا الَّذي أحدثتَ أو لا آكلُ ولا أَشربُ حتَّىٰ أموتَ، فتُعيَّر بي، يُقَال: قاتِل أُمِّه، فقال سعدٌ: يا أُمَّه، تَعْلمين - واللهِ - لَو كانت لكِ مئةُ نَفسٍ، فخَرجَتْ نفسًا نفسًا ما تركتُ ديني، إن شئتِ فكُلِي، وإن شئتِ فلا تأكُلِي، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَىٰ خَثْعَمٍ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلَ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ، وَقَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ؟ قَالَ: «لا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النُّبوَّة» (١/ ٢١٩)، والبيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (٥/ ٤٦٠)، وابن سعد في «الطَّبقات» (٤/ ٢٣٧ - ٢٣٩).

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨]. انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١/ ١٠٩)(١).

وفي قصَّة عاصم بن ثابت بن الأقلح الأنصاريّ الَّذي حلَفَ حين أسْلمَ ألا يمسَّ مُشركًا، ولا يَمسَّه مُشركٌ، وَوَفَّىٰ في حياتِه، فلمَّا قُتِل في مَوقعة الرَّجِيع(٢)، أرادَ المُشركُونَ أن يأخُذُوا جُثَّته فيَبيعُوها مِن مُشْركي قريش، فأرسَلَ اللهُ ظُلَّةً من الدَّبْر(٣)، فَحَمَتْه مِنهم، ثمَّ أرسلَ الله المطرَ، فجاءَ السَّيلُ، فَاحْتَمل جُثَّته، فلمْ يَدْرُوا أين ذَهَبَتْ(٤).

هذه نمَاذجُ من براءة الصَّحابة من المُشركينَ والمُبتدعينَ، ولَكِنَّكم قَد عَكستُمُ القَضيَّةَ تبعًا لقَادَتِكم الَّذين قَلَّدتُموهُم وَعَظَّمتُموهُم، فأنتُم تَتبرَّؤونَ من المُوحِّدين، وَتَتولَّون المُشركينَ.

ألَم يُعظِّم التَّنظيمُ الدَّوليُّ للإخوان الرَّافضةَ، ويَحكم لهم بالإسلام دون سائِر الدُّول، ومِنها المَملكة العربيَّة السَّعوديَّة، وهي الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي قَامَت

(١) وقد أخرج القصَّةَ ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٣٣١)، ومسلم (١٧٤٤٨) عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه نزلتْ فيه آياتٌ من القرآن، قال: حَلَفَتْ أمُّ سعْدٍ ألَّا تُكلِّمَه أبدًا حتَّىٰ يكفُرَ بدِينِه، ولا تأكُلَ ولا تَشربَ، قالتْ: زعمْتَ أنَّ اللهَ وصَّاكَ بوالديكَ، وأنا أمُّكَ، وأنَا آمُرُكَ بهذا. قالَ: مَكثَتْ ثلاثًا حتَّىٰ غُشيَ عليها مِن الجَهْدِ، فقامَ ابنٌ لها يُقالُ له: عُمارةُ، فسَقاها، فجعلَتْ تَدْعُو علىٰ سَعْدٍ، فأنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في القُرآنِ هذه الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لُقمان: ١٥].

(٢) غزوة الرَّجيع: اسم موضع من بلاد هذيل، كانت الوقعة بالقرب منه في صفر من سنة أربع من الهجرة. انظر: «تاريخ الطَّبري» (٢/ ٥٣٨التراث)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/ ٥٥ الكتاب العربي).

(٣) الدَّبر: ذكور النَّحل، أو الزَّنابير، واحده: دبْرة، انظر: «الصِّحاح» للجوهريِّ (٢/ ٦٥٢ العلم للملايين).

(٤) انظر القصَّة في: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٧١ السقا)، و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم (١/ ١١٠ - ١١١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨)، وفي «صحيح البخاري» (٣٩٨٩) طرفٌ منها.

منذ قامت في أوَّل عهد صقر الجزيرة الملِك عبد العزيز، رحمهُ الله رحمةَ الأبرار الأخيار، وتَبِعَهُ على ذلكَ أبناؤه الكرامُ، رحِمَ اللهُ مَن قد ماتَ، وحَفِظَ مَن بقِيَ، وهي الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي تُحكِّم الشَّرعَ الإسلاميَّ، وتَحكُم به في مَحاكِمها، وهي الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي ليس فيها أضرحةٌ ولا مَشاهد يُدعَىٰ أصحابها، ويُدرَّس فيها التَّوحيدُ من أوَّلِ سنةٍ في الابتدائيِّ إلىٰ آخر سنةٍ في الكُلِّيَّة.

ومع ذلك يقولُ التَّنظيمُ الدّوليُّ للإخوان: «ولَو كان الأمرُ يخصُّ إيران وَحدها، لقبلَتْ حلًّا وسطًا بعد أن تَبيَّنت ما حَولها، ولكنَّه الإسلامُ وشُعُوبه في كلِّ مكانٍ، وقَد أَصبَحتْ أمانةً في عُنُقِ الحُكمِ الإسلاميِّ الوحيدِ في العالَم، الَّذي فرَضَ نَفسَه بدماءِ شعبِهِ في القرن العشرين، ليثبت حُكم الله فوق حُكمِ الحُكَّام، وفوق حُكمِ الاستِعمار والصُّهيونيَّة العالميَّة». اهـ.

فَانظُر إلَيهِ، لم يُثبتِ الإسلامَ إلَّا لدولة إيران مع ما فيها مِن شِركيَّاتٍ وعقائدَ فاسدةٍ، أمَّا السّعوديَّة الَّتي قامَت علىٰ التَّوحيد مِن أوَّل يومِها وما زَالَت عليه حتَّىٰ الآن، فقَد أَسقَطها مِن الحسابِ، أهذَا قول مَن يُؤمنُ بالتَّوحيدِ، وأنَّه لا يَصحُّ إيمانُ عبْدٍ إلَّا به، أتكونُ الدَّولةُ الَّتي تُكفِّر أبا بكرٍ وعمر وسائر الصَّحابة، ما عدا عليَّ بن أبي طالبٍ وعددًا معه يَستثنُونهم؛ أتكون الدَّولة المُسلمة دون السّعوديَّة الَّتي عَاشَت وما زَالَت علىٰ مَنهجِ السَّلفِ؟!



فصلٌ

إنَّ جَمْعَ البنَّا بَينَ الأَخلاطِ المُتضادَّة، وزَعمه أنَّهم كُلَّهم مسلمون، يدلُّ علىٰ جَهلِه الغليظ بالتَّوحيد، وقَدِ استنكَره في هذا الصَّنيع كثيرٌ مِن النَّاس حتَّىٰ مِمَّن كانُوا مِن أتباعِه، انطلاقًا مِن المبدإ الَّذي أَسَّسَه، والَّذي يقولُ فيه: «نَتَعاونُ فيما اتَّفقْنا عليه، ويعذرُ بعضُنا بعضًا فيما اخْتَلَفْنَا فيه».

فَاسْمَع إلىٰ مُحمَّد سرور زين العابدين الَّذي قَضَىٰ في المَنهج الإخوانيِّ عِقدًا من الزَّمن، يَقُول في نَقدِه اللَّاذع للمنهجِ الإخوانيِّ: «لَم يَعُد عَقلي يَتصوَّرُ وُجودَ جماعةٍ واحدةٍ فيها السَّلفيُّ، والصُّوفيُّ، والأشعريُّ، والخارجيُّ، ودُعَاةُ الاعتزال والعقلانيَّة، وغير ذلك مِن الاتِّجاهات المُختلفة المُتبَاينة.

لقَد سئمتُ من سياسةِ التَّجميع علىٰ أَساسٍ غير سَليمٍ، وَصِرتُ أَعتقدُ فَشَلَ سياسة وتَخطيط هذا الخَليط من الخلائق، وإِن زَعَموا أَنَّهم من النَّصْر قابَ قَوسينِ أو أَدنىٰ، ومَلَلتُ مِن تَردادِ مَن حولي: «ويَعذرُ بعضُنا بعضًا فيما اختلَفْنَا فيه»».

كيفَ يعذرُ بَعضُنا بعضًا في اختِلَافِ التَّضادِّ، وهَذَا الإعذارُ يَعني أَنَّه لا فرقَ يَستحقُّ الذِّكرَ بَين السَّلفيِّين وأَهل الاعتزال وغَيرِهم مِن أَهل البدَعِ.

وإِنَّ مِن أَعظم الأَدلَّةِ علىٰ جَهل أَصحاب المَنهج الإخوانيِّ بالتَّوحيد، وعدَم اهْتِمامهم به، وعدَاوتهم لأَهلِه، تَجمع فَصائل المُجاهدينَ جميعًا علىٰ جماعة جميل الرَّحمن في «كُنَر»، وقتالهم له ولهم، وأَخِيرًا اغتيالهم لِرئيسِهم، وقضائِهم علىٰ دعوة التَّوحيد في أفغانستان، لقدْ فزِعُوا أشدَّ الفزعِ حين رأَوا جميل الرَّحمن

أَسَّسَ في ولايتِه أكثر من مِئَتي مَدرسةٍ، تُدرَّس فيها كتُبُ التَّوحيد الَّتي أَلَّفها ذلكم الإمامُ العظيمُ المُجدِّدُ الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، مثل «الثَّلاثة أصول»، و«الأربع القواعد»، و«كشف الشُّبُهات»، وكتاب «التَّوحيد».

لقَد جُنَّ جنُونُهم حين رأوا التَّوحيد يَنتشر في أَرض أفغانستان الَّتي أرادَ أصحابُ الجِهَادِ فيها أن تَنتشرَ عليها الصُّوفيَّةُ بكرامتها المَكذوبة الَّتي يُروَّج لها بالبَاطِل، حيثُ كانُوا يزعمُون أنَّ مَن قُتلَ في هذا الجهاد تَنبعث من جثمانِه رائحةُ المِسك، ولقَد رَاجَت تِلك الأكاذيبُ الَّتي كان يُروِّجها الإخوانُ، ونَشَرها عبدُ الله عزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «آيات الرَّحمن في جهادِ الأفغان».

وَلَقد قرأتُ ذلك الكتابَ أو بعضَه علىٰ جماعة مسجدي، مُقتنعًا بما فيه، ومُعجَبًا به، بَل وغضبتُ علىٰ مَن جادلنِي في صحَّةِ ذلكَ، وقال: إنَّ الخبرَ الواردَ أنَّ الشُّهداءَ يكون دمُهُم راحتُه رائحةُ المسكِ مُقيَّدٌ بيوم القيامة، ورغْم أنِّي أعرف جيِّدًا أنَّ الحديث مُقيَّدٌ بِيومِ القيامةِ، **إلَّا أنَّ ذلك رَاجَ عليَّ لأمرين:**

الأمر الأوَّل: أنِّي اعتقَدتُ في ذلك الوقت أنَّ الله عَجَّل ذلكَ في الدُّنيا؛ لأنَّ جهادَ الأفغان جهادُ حقٍّ؛ لِكونِهم يُقاتلون المُلحدين.

الأمر الثَّاني: أنِّي اعتقدتُ أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ صادِقُون في كلِّ أَقوالِهم، وأنَّهم لا يَكذِبون.

وزادنِي اغترارًا بهذا القولِ: أنَّ الشَّيخ عبد الله عزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إنَّه شَهِدَ عنده بذلك رجالٌ، لَو كانوا عند البخاريِّ ومسلمٍ لَمَا عَدَلا عن شَهادتِهم، ولَرَوَيا عنهم![1]

---

(١) ورد بعض هذا الكلام في مجلة «السُّنَّة» عدد سنة (١٤١٣هـ).

فصل

ثُمَّ تَأَكَّد عندي أنَّ أصحابَ المَنهج الإخواني يَتديَّنون بالكذبِ إذا كان لمَصلحةِ الدَّعوةِ كما زعمُوا، والحقيقة أنَّهم يَستعملُونَ الكذبَ إذا كان لمَصلحةِ حزبِهم؛ إمَّا للرَّفعِ مِن شأنِ رجالِه ومَن يُوالِيهم، وإمَّا للحطِّ مِن شَأن مَن يُخالفهم، ويُبيِّن بُطلان ما هُم عليه مِن حزبيَّةٍ ممقوتةٍ، ولقَد أصبَح مشهورًا عنهم، وواضحًا مِن حالتِهم وأعمالِهم للمُتتبِّع لأَعمالهم وأَحوالهم، والمُطَّلع علىٰ ما كُتِبَ عنهُم، أو قيل عنهُم، ممَّن اغْترُّوا بهم ثمَّ تركُوهُم.

والمُهمُّ: أنَّه قَدِ اتَّضح كذِبُهُم في هذا الزَّعم فيما بَعد، ومِمَّا يُبيِّنُ كذِبَهم ويَزيدُه وُضوحًا بصورةٍ أكثر أنَّا إذا قرأنا في سيَرِ السَّلفِ لا نجدُ ذلك حصَل لشُهداءِ الصَّحابة الَّذين قُتِلوا مع النَّبيِّ ﷺ، ولا في القرُونِ المُفضَّلةِ في جِهَادِهم وقتالِهم للكفَّار، ولا ادَّعاه أحَدٌ بعْدَهم.

فإمَّا أن يكونَ شهداءُ الإخوان أفضلَ مِن شُهداءِ الصَّحابة الَّذين قُتلُوا مع النَّبيِّ ﷺ، ومِن سائر شُهداءِ المُسلمينَ في عَصر التَّابعين وأتباع الأتباع في القُرُونِ المُفضَّلة، لذلك وُجِدَت مِن شُهدائِهم رائحةُ المِسك دون شُهداءِ الصَّحابة وسائرِ السَّلَف، وإمَّا أنْ يكون الإخوانُ كاذبين مُموِّهين.

وأمَّا ما نقَله عبد الله عزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِه: «آيات الرَّحمن في جهاد الأفغان» (ص ٨٦) عن «الكنز» - أي: «كنز العمال» - مَعزوًّا إلىٰ أبي نُعيمٍ في «المعرفة»

عن مُحمَّد بن شرحبيل قال: اقتبَض إنسانٌ من تُرَابِ قَبْر سعد بن مُعَاذٍ رضي الله عنه، ففتحها، فإذا هي مِسكٌ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «سُبْحَان اللهِ! سُبْحَان اللهِ!» حتَّىٰ عُرِف ذلك في وَجهِهِ[1]، فهَذَا لا يَثبتُ.

وأبو نعيم له نُقُولٌ كثيرةٌ لا تثبتُ في «الحِلية» وَغيرها، ولَو كان مثل هذا صحيحًا لَنقلَه أهلُ الكتُبِ المُعتمدةِ في فضائلِ سعْدٍ، وأنا أؤمن بكرَاماتِ الأَولياءِ، ولكن ما لَم يكن كرامةً لأصحابِ النَّبيِّ ﷺ، لا يكون كرامةً لغيرهم.

وقد ذَكَر عبد الله عزام في كتابِهِ المذكور سابقًا (ص ١٢٤) تحت عنوان: «رائحةَ الشُّهَداء» (١١/ ٢١) قال فيه: «أَصبحَت رائحةُ دمِ الشُّهداءِ مَعروفةً لَدَىٰ المُجَاهدين، وأَصبحوا يَشمُّونها من مَكَانٍ بعيدٍ.

١ - حَدَّثني أَرسلان قال: عرفتُ مكان الشَّهيد «عبد البصير» في اللَّيل المُظْلم من رائحتِه العطرة.

٢ - رائحة الشَّهيد «ولي جان» علىٰ بعد ٢،٥ كم، وذَكَر قصصًا من هَذَا القَبِيل ليثبت ما ادَّعاه.

وَاسْمَع إلىٰ حديث المُصطفىٰ ﷺ الَّذي لا يَعْتريه شكٌّ، ولا تَتسرَّبُ إليه ريبةٌ، روَىٰ البخاريُّ ومسلمٌ ومالكٌ في «الموطأ»، والتِّرمذي، والنَّسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمِي، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ»[2].

---

(١) انظر: «كنز العمال» (١٣/ ٤١٢ الرسالة) (رقم: ٣٧٠٩٠)، و«الجامع الكبير» للسيوطي (٥٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية: «كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا، إِذَا طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ مِسْكٍ[١]»[٢].

وفي رواية ثالثة: «لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»[٣].

هذه روايات البخاريِّ في (الجهاد)، باب (مَن يخرج في سَبيل الله)، وفي (الوضوء)، باب (ما يقع من النَّجاسات في السَّمنِ والماءِ)، وفي (الذَّبائح) باب (المسك).

ولأبي داود، والتِّرمذي، والنَّسائي، عن معاذ بن جبل ضمن حديث: «وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ[٤]، لَوْنُهَا لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ، وَرِيحُهَا الْمِسْكُ»، والحديثُ صحيحٌ، صَحَّحه التِّرمذيُّ، وابن حِبَّان، والحاكمُ في «المُسْتدرك»[٥].

فهذِهِ الأحاديثُ وما في مَعناها تُفيد أنَّ رائحة دم الشُّهَداء إنَّما تكون مِسْكًا يومَ القيامة، أمَّا اليوم - أي: في الدُّنيا - فإنَّ الحياةَ قد جعل اللهُ لَهَا سُنَنًا لا تَختلفُ، وأنا أؤمن بأنَّ الله قادرٌ على خَرْقِ السُّنن، وخَرْقُ السُّنن لا يكونُ إلَّا في مُعجزةِ نبيٍّ، أو كرامةِ وليٍّ، والكرامة تكون لشَخصٍ واحدٍ إذا دَعَتِ الحاجةُ إليها، والوليُّ يحبُّ سِترها وإخفاءَها، ولا يحبُّ نَشرَها، أمَّا أن يكونَ جميعُ

(١) العَرْف: الريح الطيبة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أي: كأكثر أوقات أكوانها في الدنيا. انظر: «تحفة الأحوذي» (٥/ ٢٤٣ الكتب العلمية).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧)، والنسائي (٣١٤١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في تعليقه على «المشكاة» (٣٨٢٥).

الشُّهداءِ أو أكثرهم تُوجَد منهم رائحةُ المسكِ، ويَنبعثُ من أجسامِهم نُورٌ، فهذا لا أُصدِّقُه.

وربَّما كانت مثل هذهِ الأخبارِ ذَريعةً إلى الشِّركِ، وسيُصبِح هؤلاءِ يَعبدونَه؛ لأنَّ أهلَ الجهلِ من عادَتِهم أنَّهم يَغلون في مَن ظنُّوا فيه الولايةَ كما صنعَ أهلُ الجاهليَّةِ مع اللَّاتِ، فلو حَصَل شيءٌ من ذلك بالفعلِ لكانَ الأَولى سَترُه لا نَشرُه، واللهُ الموفِّق.



فصل

وقال في كتاب: «الطَّريق إلىٰ الجماعة الأُم»، تأليف الشَّيخ عُثمان عبد السَّلام نوح (ص ١٣٧): «بعْد إعلان الحكومة المُؤقَّتة للمُجاهدينَ الأفغان برئاسة مُجَدِّدي، صدَر العددُ رقم (٥٣) من مجلَّة «الجهاد»، شهر مارس (١٩٨٩م) وتَحتَ عُنوان: «جَاءَ الحقُّ وزَهَق الباطلُ»، كتب الدُّكتور عبد الله عزَّام يقول: «تَأكَّدت أنَّ هَذَا القرآنَ لا يَفتحُ أَسرارَه لفَقيهٍ قاعدٍ، وهذا الدِّينُ لا يَسبرُ أَغوارَه[1]، ولَا يُدركُ مَعَانيه حفظة المُتُونِ والحَوَاشِي، مِمَّن لا يَتحرَّكون به، ولا يَعِيشُونَ لنُصرتِهِ، وأيقنت أكثر من أيِّ وقتٍ مضىٰ سر اتِّفاق الفقهاء البَارزِينَ علىٰ عَدَم انْعِقَادِ البيعة لفاسقٍ، واشتراط العِلمِ والتَّقوىٰ لمَن يَلِي أمرًا من أُمُور المسلمينَ، أو يَتصرَّف في شُؤونِهِم».

وقَبلَ أنْ أَدخلَ في الرَّدِّ علىٰ الدُّكتور؛ سأنقلُ مقاطِعَ مِن ردِّ مُؤلِّف كتاب: «الطَّريق إلىٰ الجماعة الأُمِّ» حيث قال (ص ١٣٨):

«نَقُولُ للأسفِ الشَّديد: كان علىٰ الدُّكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألَّا يثيرَ حَساسيَّات المجاهدين بِانتِمَائِهم إلىٰ حزبٍ مُعيَّنٍ، أو جماعة مُعيَّنَةٍ، بل كان عليه أن يدعُو إلىٰ عقيدةِ السَّلفِ؛ لأنَّها محلُّ اتِّفاقِ الجميع خاصَّةً بين المُجاهدين العرب؛

---

(١) السَّبر: هو الجمع والإحصاء. والأغوار: جمع غور، وهو الشيء الخفيُّ أو البعيد. ومعنىٰ «يسبر أغواره» أي: يحيط به علمًا ظاهرًا وباطنًا.

لأنَّ الثَّناء علىٰ جماعةٍ بِعينِها، وتَنَقُّص غيرها يُؤدِّي إلىٰ تفكيكِ الصُّفوف، بلْ لأنَّ المجاهدين يَنتمُون إلىٰ جماعاتٍ مُتعدِّدةٍ، وبينهم خُصوماتٌ كثيرةٌ في وجهات النَّظر، وفي المناهجِ، فإذا قال عن جماعةٍ ما: إنَّهم أصحاب حواشٍ ومُتونٍ، فلا بدَّ أن يقومَ مَن يردُّ علىٰ مِثل هذا الاتِّهام».

إلىٰ أن قال: «لقد أَبىٰ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلَّا أن يُثني علىٰ قَادةٍ، ويطيروا صِيتَهم إلىٰ الآفاقِ؛ لأنَّهم مُوَالُونَ لجماعته، ويدفن مَجهودَ آخرين، ويَحطُّ مِن قَدرهم لا لِشيءٍ إلَّا لأنَّهم لا يَنتمون لجماعتِه.

ولقد أفصَح رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رَغبتِهِ في ضرورة بيان نِسبة الجهاد الأفغاني لجماعتِه، فقال: «إذْ كلُّ ما أردتُ أن أُبيِّنه للنَّاس أنَّ الحركةَ الإسلاميَّةَ (جماعة الإخوان) هي باعثة هذا الجهاد الإسلاميِّ، وهي النَّوَاةُ الَّتي كانت طليعةَ هذا العمل المبارك». «آيات الرَّحمن» (ص ٢٨)». اهـ

وقالَ: «وفي مُعسكر «صدا»، ألقىٰ علينا درسًا، أثنىٰ فيه علىٰ قائد منطقة بنجشير، وحَطَّ مِن قَدْر قَائِدِ منطقة كُنَر؛ لأنَّ الأَوَّلَ مُوَالٍ للإخوان، والثَّاني يُخالفهم في المنهج، وذكر ذلك أيضًا في كتابِهِ المُسمَّىٰ: «خضم المعركة» (ص ١١٩)».

ولقَد دَافَع المُؤلِّف عن السَّلفيِّين بكلامٍ أقتطفُ منه ما يَلِي، قال في (ص ١٣٩):

«عُمومًا ما دامَ هذا قد حدَث، وتمَّ طبع هذا الكلَام في الكتُبِ، وعَلِمَ النَّاسُ أنَّ دُعاةَ المَنهجِ السَّلفيِّ مُجرَّد حفظة للمُتونِ والحواشي، وأنَّهم لا يُدركونَ معانيَ الدِّين، ولا يَتحرَّكون به، وَجَبَ علينا بيانُ الحقِّ من الباطل.

فنقول: وأيُّ شيءٍ فرَّط فيه أتباعُ المنهج السَّلفيِّ، وصار عندهم قولًا بِلَا عملٍ؟ بل المَعروف عَنهم تَمسُّكهم الشديد بالأُصولِ والفُرُوع حتَّىٰ إنَّ الآخرين

يُنكِرون عليهم شِدَّة تَمسُّكهم بالسُّنَنِ والمُستَحبَّاتِ، فَضلًا عن الواجبات، وفضلًا عن أصُول هذا الدِّين.

فالتَّوحيدُ بأنواعِهِ الثَّلاثة عرَفوه، وعملوا به، وبيَّنوه للنَّاس، وخَاصَموا المُخَالفين لأَجله، وأَحَبُّوا فيه، وأبغضوا فيه، وَوَالَوْا فيه، وعَادَوْا فيه، في الوقت الَّذي يَعلمُ فيه الجميعُ مَوقفَ الإخوان من هذا التوحيد حتَّىٰ آلَ بهم التَّفريطُ في حُقوقِه إلىٰ الدِّفَاع عن أعدائِه مِن الأشاعرة، والمُتصوِّفةِ، بل والشِّيعةِ، بل آلَ بهم الأمرُ إلىٰ عدَم العلمِ به عند بَعض قادتِهم».

قلت: يُشيرُ بذلك إلىٰ بَعض قادة الإخوان الَّذين وَقَعوا في الشِّركِ الأكبر، والَّذين سَبَقَ ذِكرُهم؛ وهُم المُؤسِّسُ نفسه حسن البنَّا، وعُمر التّلمساني، ومصطفىٰ السِّباعي، وغيرهم، والَّذي نعتقدُ أنَّ هؤلاء وقَع بهم ما وقَع بِسبب جهلِهم بعقيدةِ التَّوحيد.



فصل

وقدْ آنَ الأوانُ أنْ أرُدَّ عليه في المقطعِ السَّابِق، فأَقُولُ: قال الدُّكتور عبد الله عزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلَّة رقم (٥٣) من مجلَّة (الجهاد) كما سبَق نقلُه قبل قليلٍ: «تأكَّدت أنَّ هذا القرآنَ لا يَفتح أسرارَه لفَقيهٍ قاعدٍ، وهذا الدِّينُ لا يَسبر أَغْوارَه، ولَا يُدركُ مَعَانيه حفظة المتونِ والحواشِي، ممَّن لا يَتحرَّكون به، ولا يَعيشونَ لنُصرتِه».

والرَّدُّ عليه في هذا المقطع من وُجُوهٍ:

الوجهُ الأوَّل: أنَّه زَعَم أنَّ فَهْمَ القرآن مُنْعدمٌ، وطريق الدِّين مَسدُودٌ عن كلِّ فقيهٍ لا يَشْترك معهُم في حِزبهم الثَّوريِّ، ومَنهجهم التَّكفيريِّ، فحفظَةُ المُتونِ والحواشي القاعدون عن الجهاد - بزعمِه - أَتْعبُوا أنفسهم بغيرِ فائدةٍ؛ فلا القرآن فهمُوا، ولا الدِّين عرَفوا، ولازمُ ذلكَ أنَّهم أشبهُ شيءٍ بمَن قالَ الله فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥].

الوجه الثَّاني: يُفهَمُ مِن قولِه هذا أنَّ القرآنَ لَم يُفصْح أَسرارَه إلَّا لأَهل حزبِهم، والدِّينُ لم يَسبر أَغوَاره إلَّا أَهلُ حِزبهم الثَّوريِّ التَّكفيريِّ، ولا أَدري هل يعدُّ مُجاهدًا، وسعيدَ بن جبير، وعطاءَ، وطاوسَ، وعكرمةَ، وسعيدَ بن المُسيّب، وعليَّ بن طلحة، والَّذين جاءوا من بَعدهم؛ كمالكِ بن أنسٍ، وحمَّاد بن زيدٍ، وسُفيان الثَّوريِّ، وعبد الله بن المُبارك، والشَّافعيِّ، وأحمد بن حنبل، وابن

مردويه، وابن جرير الطَّبريِّ، وغيرهم مِمَّن جاء في أزمنتِهم أو بعْد أزمنتِهم ممَّن فسَّروا القرآنَ، هل يَعُدُّهم جميعًا ثوريِّين مثلَه، لِذلك انفَتحتْ عليهم أسرارُ القُرآنِ، وسبَروا أغوارَ الدِّين، أم أنَّهم لم تَنفتِح عليهم أسرارُ القرآن؛ لأنَّهم لم يكونوا ثائرينَ؟!

الوجهُ الثَّالث: يَلزم مِن قولِه هذا أنَّ الاشتغالَ بحِفظِ المتون والحواشي مِمَّن لا يَتحرَّك به حركة الثَّوريِّين، أنَّ عمَلَه عمَلٌ باطلٌ، وجُهدَه جُهدٌ ضائعٌ؛ لأنَّه لا يُستَفاد منه، وفي ذلك ردٌّ لِكلام الله، وكلام رسولِه، وإبطالٌ لأمْرِه تعالىٰ وأمر رسولِه ﷺ، وإجماع الأُمَّة، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

فالنُّصوصُ الشَّرعيَّةُ مُطلقةٌ، لَم تُقيَّد بِحركةٍ ولا غيرها، والمسلمون مُجمعونَ علىٰ أنَّ التَّفقُّه في الدِّين فرضُ كفايةٍ علىٰ المسلمين مِن غير شرْطِ الحركةِ الَّتي هي الخرُوج علىٰ الوُلَاة والمُنَازعة لهم، بَل إنَّ المُنَازعة للوُلَاة وإثارة الشَّعب عليهم، وإرهاب المُسلمين وإخَافتهم بالاغتيالاتِ والتَّفجيراتِ، معصيةٌ كُبرىٰ، وفسادٌ عظيمٌ.

الوجه الرَّابع: لقدْ فتَح عبدُ الله عَزَّام بابَ الاستهزاء بالعلماءِ السَّلفيِّينَ، والتَّحقير لِشأنِهم، فتَبِعَه علىٰ ذلك أصحاب فقهِ الواقِع، فزعمُوا أنَّ كبارَ العُلماء

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في السّعوديّة جاهلون بفقهِ الواقع، ولَازم ذلك أنّهم مُغفَّلون أغرارٌ لا يَفهمون الواقعَ؛ فمنهم مَن يقولُ: إنَّهم جهَّالٌ بفَهْم الواقع، ومنهُم مَن يقولُ عنهم: علماء الحيض والنِّفاس، ومنهُم مَن يقولُ: حفَظَة مُتون وحواشٍ، ومِنهم مَن يقول: إنَّهم عبيدٌ للوُلَاة، ومنهم...، ومنهم...

ولقدْ قامَ واحدٌ مِن جماعةِ حزبه في جامعٍ بإحدىٰ المُدن، وقال: إنَّ أركان الإسلام سِتَّةٌ، وليست خمسةً كما قالَ رسولُ الله ﷺ، وزاد عليها: الجهاد، الَّذي سَمَّاه عزام: حركةً.

ولقدْ أنكر عليه ذلك كلُّ فَصائلِ المُجتمع، وَاسْتَأْنَىٰ به[1] طُلَّابُ العلمِ شهرًا ليقفَ في المكان الَّذي وَقف فيه، ويردَّ علىٰ نفسِه بنفسِه، فلمْ يفعلْ، ثُمَّ ردُّوا عليه.

ولقدْ تَلقَّفها منه شاعرُهُم عائضُ القرنيُّ الَّذي رجع الآن عن بعضِ أخطائِه، واعترَفَ بخطئِه فيها، نسأل الله أَن يُثبِّته علىٰ ذلكَ، ويُوفِّقه للتَّراجع عن جميعِ الأخطاءِ الَّتي حصلتْ منه، فاسمَعْ إليه في قصيدتِه الَّتي نشَرَها في ديوانِه: «لحْن الخلُود»، وعنوانها: «دعْ الحواشي واخْرُج» فهو يقُول تحت هذا العنوان:

صَلِّ ما شِئْتَ وصُمْ فالدِّين لا ... يَعْرفُ العابِدَ مَنْ صلَّىٰ وصَامَا

واجْعَلِ السُّبحةَ مِترَين وخُذْ ... عمَّةً صفراءَ واصْبَغْهَا رخامَا

وَاتْرُكِ العَالَم في غَوْغائِهِ ... يَتلظَّىٰ في لَيالِيهِ اضْطِرامَا

أَنْتَ قِسيسٌ من الرُّهْبان مَا ... أنتَ مِنْ أَحْمدَ يَكْفِيكَ المَلَامَا

تَتْرُكُ السَّاحةَ للأَوْغادِ مَا ... بَيْن قزمٍ مُقرفٍ يلوي الزِّمَامَا

---

(١) أي: أمهله.

أَوْ دَعِـــيٍّ فَــاجِرٍ أَوْقَــعَ فِي ... أُمَّتِــي جُرْحًــا أَبَــىٰ ذَاكَ الْتِئَامَــا
لا تُخَــادِعْنِي بِــزِيِّ الشَّــيْخِ مَــا ... دَامَــتِ الــدُّنْيَا بَــلاءً وظَلامَــا
أَنْــتَ تَأْلِيفُــكَ لِلأَمْــوَاتِ مَــا ... أنــتَ إلّا مُــذْنِبٌ حُــبَّ الكَلامَــا
وَالحَواشِــي السُّــودُ أُشْــغلتَ بِهَــا ... حِينَمَــا خِفْــتَ مِــن البَــاغِي حُسَــامَا
لا تَقُــلْ شَــيْخِي كَلامًــا وانْتَظِــر ... عُمــر فَتْــوىٰ مثلكم خَمْسُــون عَامَــا
والسِّياسَــات حِمًــىٰ مَحْــذُورَةٌ ... لا تُــدَانِيهَا فتُلْقِيــكَ حُطَامَــا
فَقُــدْ الأَجْيَــالَ فِي ســاح الــوَغَىٰ ... واسْــقِ أَعــداءَ الهُــدىٰ كَأْسًــا زُؤَامَــا

أَتدرِي مَن يُرِيدُ بأَعداءِ الهُدَىٰ؟

إنَّه يريد مَن خالَف المنهجَ الَّذي يريده؛ ومنهم أبناءُ الملك عبد العزيز آل سعود - وفَّقهم الله - الَّذين قَامَتْ دَولتُهم علىٰ التَّوحيد، وما زالَتْ عليه.

أتَعلمُ - يا عائض - أنَّ دولة آل سعود دولةٌ مسلمةٌ يَحرُم الخروجُ عليها، ومُنَازعة ذوي السُّلطان فيها امْتِثالًا لأَمْر الله عَزَّوَجَلَّ وأَمْر رسولِه ﷺ؛ فاللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: ٥٩]، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «اسْمَعْ وَأَطِعْ لِلأَمِيرِ؛ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ»(١)، ويقولُ: «مَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَىٰ الأَمير فَقَدْ عَصَانِي، وَمَن عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧)، من حديث حُذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَمَا تَعلمُ - يَا عَائِضُ -، أنَّ دولةَ آل سعودٍ هي أَحسنُ دولةٍ علىٰ وَجه الأَرضِ، يَتمتَّعُ أَهلها بالأَمنِ والإيمانِ، ورغَدِ العَيش، إنَّها الدَّولةُ الَّتي تَنشرُ العقيدةَ الإسلاميَّةَ الصَّحيحةَ في مدارسِها، ومعاهِدها، وكُلِّيَّاتِها، إنَّها الدَّولةُ الوحيدةُ الَّتي تُحكِّم شَرعَ الله في محاكِمها، وتُقيم حدودَ الله، أَيَجوزُ لكم أَن تَغرُّوا بها السُّفهاءَ، وتُثيروا عليها وضدَّها الغَوغاء.

أَلَم تكن رَبَّتكم في مدارسِها، وأَنفقَتْ عليكم حتَّىٰ وصلتُمْ إلىٰ مَا وَصلتُمْ إليه، ثمَّ يكون هذا جزاءها منكم، أمَا وجدتَ شيئًا تستعمل فصاحتَك فيه إلَّا هذا الباب الَّذي عصَيتَ فيه اللهَ ورسولَه وأُولي الأَمر جميعًا؟ !

ألستَ أنتَ الَّذي تقولُ أيضًا في (ص ٥) «لحن الخُلود» تحت عنوان: (ملوك الإيمان):

وعَبِيــدُ الأَرْض لا حَــوْلَ لَهُــمْ ... وزَوالُ المُلْــك عَــنْهُمْ في وَشَــك
أَيُّهَــا المُــؤْمِنُ لا تَحفَــلْ بِمَــنْ ... يَرْفَــعُ السَّــوْطَ ومَــنْ يُلْقِــي الشَّــبَكْ
فَــارْفعِ الــذُّلَّ وَلَا تَرْضَــىٰ الخُضُــوع ... لِــــرَئِيسٍ مُسْــــتَبِدٍّ أَوْ مَلِــــكْ
أَنْــتَ كَالبُرْكَــانِ لا يُــدْرَىٰ بِــهِ ... فَــإِذَا ثَــارَ تَلَظَّــىٰ وَاحْتَــرَكْ
دَمُــكَ الطُّهْــرِيُّ لا تَبْخَــلْ بِــهِ ... وَابْــذُلِ الــنَّفْسَ بِسَــاحِ المُعْتَــرَكْ

والمهمُّ: أنَّ الشَّيخَ عبد الله عزام هو الَّذي فتحَ البابَ للحِزبيِّين في الطَّعن في العُلَماءِ السَّلفيِّين، والوُلَاة المُسلمينَ، وإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجعونَ.

الوجه الخامس: من أَينَ له أنَّ العُلماءَ السَّلفيِّين لا يَتحرَّكون بالدِّين، ولا يعيشُونَ لِنُصرتِه؟ !

إنْ هذا إلَّا افتراءٌ عليهم، وبُهتانٌ لَهُم، إنَّهم يعيشُونَ لنُصرتِه، ويَسعَونَ في نَشرِه ليلًا ونهارًا، فهُم دَائمًا أوقاتُهم مَشغولةٌ بالتَّعليمِ، والفتاوىٰ، والمُحاضراتِ، والمُذاكرة استعدادًا للدُّروسِ والفتاوىٰ، أو بحث الفتاوىٰ الَّتي تحتاج إلىٰ بحثٍ، والرَّدّ علىٰ المُبتدعينَ بالمؤلَّفات والفتاوىٰ والإجاباتِ علىٰ الأسئلةِ.

إنَّهم جِسرٌ مَنيعٌ، وسدٌّ قويٌّ في الدِّفاع عن الدِّين، والدَّعوة إليه، ونَشر أحكامِه، أمَّا العمل به في ذات أنفسِهم، وتَطبيقه في ولايتهم، وعلىٰ مَن تحت أَيديهم فحَدِّث ولا حرج، إلَّا أنَّهم ليسوا معصومين مِن الخطأ، فهُمْ بشَرٌ كسائر البشَر، يُصيبونَ ويُخطئون، ولكن الصَّواب عليهم أغلب، وهذا بالنِّسبة للأحكامِ الفرعيَّةِ.

أمَّا العقيدة، ومنهج الدَّعوة، ومنهج الولاء والبراء، والوفاء بالبَيْعة للوالي المسلم، واحترام بَيعتِه؛ فهم جميعًا علىٰ نهجٍ واحدٍ، وعقيدةٍ واحدةٍ، لا يَتزحزحون عنها قِيد أُنملةٍ، نسأل اللهَ أن يُثبِّتَ الأحياءَ منهم، ويرحمَ الأمواتَ، إنَّه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

نعَمْ، هم لا يتحرَّكون بالدِّين الحركةَ الَّتي يَعنيها أصحابُ التَّنظيماتِ السِّريَّةِ، والَّتي يُبيِّتون من ورائها الإطاحةَ بالسُّلطةِ القائمةِ، ويَنوُون إنشاءَ سُلطةٍ - زعموا - بدلًا عنها، إنَّهم لا يَنوون ذلكَ، ولا يُفكِّرون فيه؛ لأنَّهم يَرون أنَّ ذلك فسادٌ في الأرض، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

إنَّهم لا يَرون الخرُوجَ علىٰ السُّلطةِ المُسلمةِ امتثالًا لأَمر الله، وأَمر رسولِه، وإِجماعِ السَّلفِ المُستند إلىٰ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ.

الوجه السَّادس: ويَتبيَّن مِن هذا أنَّ أصحابَ المنهج الإخوانيِّ ومَن علىٰ

شاكلتِهم يَخصُّون بعدائِهم المُوحِّدين فقط، وإذا لاحَظنا مُعَاملتَهم لِغير المُوحِّدين من أصحابِ المناهج الضَّالَّة، وحتَّىٰ الدِّيانات الكافرة، تجدهم يَتعاطفون معهم، ويُصافونهم المودَّة، ويَجعلونهم إخوانًا لهمْ وأعضاءَ في مَنهجِهم، ولِهذا فلَم يبعد عن الحقيقة مَن قال: إنَّهم ضدُّ التَّوحيد، وضدُّ الوُلاةِ، وضدُّ السُّنَّة.



فَصلٌ:
في الأدلَّة على كونِهم ضدَّ التَّوحيدِ

وَيَتبيَّن أنَّهم ضِدُّ التَّوحيد من خِلَالِ الأُمُورِ الآتية:

١ - أنَّ حسن البنَّا لمْ يَدْعُ إلىٰ التَّوحيدِ، ولَم يأمُر به أحدٌ مِن أتباعِه قطّ.

٢ - أنَّه لَم يَنْهَ عن الشِّرْكِ الأكبر مع كثْرةِ الواقعين فيه، فهو يَراهم يَطوفون بالقُبور، ويَنذرُون لها، ويَذبحُون علىٰ اسمِها، ولم يُنقل عنه أنَّه نهىٰ أحدًا عن فِعْل ذلك الشِّركِ الأكبر المُخرج مِن الملَّةِ، بل شارَكهم في ذلك باعترافِه، فهو يقول عن نفسِه إنَّه كان يَذهب من دمنهور مسافة ثلاث ساعاتٍ ذهابًا، وثلاث ساعاتٍ إيابًا لِيَزورَ قبْرَ الدّسوقيّ وغيره، وهذا يدلُّ علىٰ ما وراءه.

٣ - أنَّه وقع في الشِّرك الأكبر بقولِه:

هذَا الحَبيبُ معَ الأحْبابِ قَدْ حَضَرا ... وسَامَحَ الكُلَّ فيمَا قَد مَضَىٰ وَجَرَىٰ

يعني أنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَامَحهم، وغَفَر ذنُوبَهم، فهلْ هو يَمْلكُ ذلك؟!

٤ - وقدْ وقَع في الشِّرك الأكبر أتباعُه، بَل المُرشدون منهم، والمُنظِّرون فيهم، كما قد سبَق بيانُه وذِكرُه في أوَّل البحث، ومنهم عُمر التِّلمسانيّ، ومصطفىٰ السِّباعيّ، وسعيد حوَّىٰ، وما لم يُدوَّن أكثر.

٥ - وَمِمَّا يدلُّ علىٰ ذلك: تعَاطف حسن البنَّا وأتباعه وولاؤهم واندماجهم مع الشِّيعةِ المُشركينَ، وتَبنِّيهم لِدَعوة التَّقريب بَين الرَّافضةِ والسُّنَّة، رغمَ ما عند

الرَّافضةِ من شِركيَّاتٍ وكُفريَّاتٍ وبدَعٍ، وتَصريحهم بأُخوَّتهم لهمْ.

٦ - يقول التَّنظيمُ الدّوليُّ للإخوان: «ولَو كان الأمرُ يخصُّ إيران وحْدها، لقبلَت حلًّا وسطًا بعد أنْ تبيَّنتْ ما حولَها، ولكنَّه الإسلامُ وشعُوبه في كلِّ مكانٍ، وقدْ أصبَحت أمانةً في عنُقِ الحكْمِ الإسلاميِّ الوحيدِ في العالَم، الَّذي فرَضَ نفسَه بدماءِ شَعبِه في القرن العشرين؛ لِيُثبتَ حُكم الله فوق حُكمِ الحكَّام، وفوق حُكم الاستِعمار والصُّهيونيَّة العالميَّة». اهـ.

فانظر إليه، أَثبتَ الإسلامَ للرَّافضةِ وَحْدهم الَّذين يُكفِّرون أبا بكرٍ، وعمر، وعُثمان، وسائر الصَّحابة، وتَجاهلَ دولةَ التَّوحيد الَّتي قَامت عليه، وما زَالَتْ تَحمِيه، وتُدافعُ عنه، وتُعلِّمه وتَنصرُه، وهي الدَّولةُ السّعوديَّةُ.

٧ - اجتماع فصائِل الجهادِ في أفغانستان على جماعةِ جميل الرَّحمن في كُنَر، وقِتالهم لَهُم، وهذا مِن أعظمِ الأدلَّةِ على بُغضهم للتَّوحيد وأَهل التَّوحيد.

٨ - ثناء حسن البنَّا على محمَّد عُثمان الميرغني السُّوداني، القائل بوحدة الوُجود.

٩ - قول الحسن البنَّا للَّجنة المُشتركة: «ليس بيننا وبين اليهود عداوةٌ دينيَّةٌ، أو خُصومةٌ دينيَّةٌ». انظر: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (١/ ٤٠٩).

١٠ - كان بعضُ أَعضاءِ المنهج الإخوانيِّ مِن الأَقباط، وهذا لا أَقولُه تَخيُّلًا ولا تَخمينًا، بل هو الحقيقةُ، نقل في كتاب: «دعوة الإخوان المسلمين في الميزان»: «وفي مجلَّة: (لواء الإسلام)، (العدد الأوَّل السَّنة الخامسة والأربعون رمضان ١٤١١هـ، ص ٣٩) قالت المجلّة: والإمامُ حسنُ البنَّا عندما شَكَّل اللَّجنةَ السِّياسيَّةَ العليا للإخوان المسلمين كان ضمن أَعضائِها ثلاثةٌ من المسيحيِّينَ، هُم الأساتذة: (١) لويس أخنوخ. (٢) وهيب دوس. (٣) ثابت

كريم»[(١)].

١١ - لقدْ جمَع البنَّا في حزبِه خليطًا مِن أصحاب الاتِّجاهات البدعيَّة والشِّركيَّة؛ فمنهم الجمهيُّ، والمُعتزليُّ، والصُّوفيُّ، والأَشعريُّ، وغير ذلك، بَل ودخَل في حزبِه النَّصارىٰ واليهود، ولمْ يَضِقْ بأحدٍ منهم، وتبِعَه علىٰ ذلك أصحاب حزبِه، فلم تَضِق صدُورهم بأحدٍ حتَّىٰ ولو بلَغ الدَّرجةَ القُصوىٰ في الوثنيَّة كمَن يُؤمِن بتَصرُّف الأقطابِ في الكون بدلًا مِن ربِّ الكون، كما هي عقيدة مُجدِّدي (الَّذي قال عزام هذا القول، وكتَبَ هذا المقطعَ في مجلَّته وهو تحت رئاستِهِ)، ولم يَمنع ذلك عَزامًا - وهو النَّاطق باسم الجهاد الأفغانيِّ في ذلك الوقت - من أن يَهمزَ ويَلمزَ الشُّيُوخ السَّلفيِّين، ويَطعن فيهم مع أنَّه تَحت رئاسةِ وثنيٍّ، مسفٍ في الوثنيَّةِ.

١٢ - **والمُهمُّ**: أنَّ أصحابَ المنهجِ الإخوانيِّ لم تَضِقْ صدُورهم بأحدٍ من فرَقِ الضَّلالِ، بَل والكفر الصَّريح ما داموا يُوَافقونهم علىٰ منهجِهم، فما من أحدٍ منهم إلَّا وقدِ اتَّسعت صدُورهم له ما عدَا المُوحِّدينَ أصحاب المنهج السَّلفيِّ، فإنَّهم وقَفوا منهم مَوقِفَ العداءِ، فمَن نالَتْه أَيدِيهم مثل جميل الرَّحمن، قاتَلوه أو قتَلوه، ومَن لَم تَنله أيديهم ورأَوْا أنَّهم بِحاجةٍ إليه، نَالُوا منه بِكلامٍ يَحمل في طيَّاتِه السُّخريةَ والازدراءَ، وأَهانوه بذلك وحقَّرُوه لكي يُنفِّروا الشَّباب عنه وعن مَنهجِه، وهذا ما فعَله عبد الله عزَّام - غفَر الله لنا وله - وتَبِعَه علىٰ ذلك مَن تَبِعَه؛ كعائض القرنيّ وغيره، والآن سأعود إلىٰ مُتابعة الرَّدِّ، فأقولُ:

الوجه السَّابع: سمعتُ ما زعَمه عبد الله عزام، في قولِه: «إنَّ القرآنَ لا يَفتحُ

---

(١) «دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام» لفريد آل الثبيت (ص١٦٩ المنار) ط/ أولىٰ.

أسرارَه على فقيهٍ قاعدٍ، بل على فقيهٍ مُتحرِّكٍ...»، إلخ.

واسمع إلى الله العليم الخبير حيثُ يقول تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

وإذَا فَسَّرنا الحركةَ الَّتي يَقصدها بالخرُوج على الوُلَّاة، وإن كانوا مُسلمينَ، ويُحكِّمونَ شَرعَ الله فِيمَا تَحت أيديهم، ومحاكِمُهم كلُّها شَرعيَّةٌ كما هو بَيِّنٌ في قولِه: «وأيقنتُ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مَضَى سرَّ اتِّفاقِ الفُقَهاءِ البَارزينَ على عدَم انعقادِ البَيْعة لفاسقٍ، وَاشْتراط العلمِ والتَّقوى لمَن يلي أمرًا من أُمورِ المسلمينَ، أو يَتصرَّف في شُؤونِهم».

فإنَّه سيكون هؤلاء بَعِيدينَ عن التَّقوى والإيمان الكامِل الَّذي جعَله الله - جلَّ شأنُه - شرْطًا في العِلمِ النَّافعِ، والعملِ الصَّالحِ، والمغفرة والرَّحمة، وصدِّق بَعد ذَلِكَ مَن شئت.

فقَد فَسَّر مجاهدٌ وعكرمةُ وغيرُهما ﴿فُرْقَانًا﴾: «مَخْرجًا».

قال مُجَاهدٌ: في الدُّنيا والآخرة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فُرْقَانًا﴾: نَجاةً، وفي روايةٍ عنه: نَصْرًا.

وقال ابن إسحاق: ﴿فُرْقَانًا﴾: فَصلًا بَين الحقِّ والباطل.

قال ابن كثيرٍ: «وهذا التَّفسيرُ من ابن إسحاق أعمُّ ممَّا تَقدَّم، وهو يَستلزمُ ذلك كلَّه، فإنَّه مَنِ اتَّقى اللهَ بفِعل أوامرِه، وتَركِ زواجرِه، وُفِّق لمَعرفة الحقِّ من الباطلِ، فكان ذلك سببًا لنُصرتِه ونجاتِه ومَخرجِه من أمور الدُّنيا، وسعادتِه يومَ

القيامة، وتكفير ذنوبه، وهو مَحْوها وغَفرها وسَترها عن النَّاس، وسببًا لنَيل ثَواب الله الجزيل؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨]»[(١)].

فإذا أردتَ أن تَعلَمَ أنَّ عملَ الحَركيِّين وما عقَدوه من جواز الخروجِ علىٰ الوُلَاة - حتَّىٰ ولو كانوا مُسلمين - باطلٌ؛ فاقرأ الرَّدَّ عليه في الوجه التَّاسع لكي تعلمَ أنَّ الأدلَّة، وعَقيدة السَّلف علىٰ خلافِ ما قال عزّام، ثمَّ قول حكايته اتِّفاق الفُقهاءِ البارزينَ علىٰ عدَمِ انعقادِ البيعة لِفاسقٍ، أين وجد هذا الاتِّفاق، والعُلماء مُجمعونَ علىٰ صِحَّة ولاية المُسلم الفاسق، وتحريم الخُروجِ عليه، اللَّهمَّ إلَّا إن كان يَقصد فقهاء المُعتزلة وأَتباعهم مِنَ الحَركيِّين اليَوم، وسَيَأتي لهَذَا مزيدُ بيانٍ في الوَجه التَّاسع.

الوجه الثَّامن: لمَّا كتب عبد الله عزام هذا المقطعَ في الطَّعن علىٰ العُلَماء السَّلفيِّين، وتَنقُّصهم فيه؛ كان تَحتَ رئاسة صبغة الله مُجدِّدي، وهو رجلٌ يُؤمنُ بأنَّ الكونَ يُديرُه ويَتصرَّف فيه أولياءُ الصُّوفيَّة، ويَتَّضح لك ذلك مِمَّا نَقَله الشَّيخُ عثمان عبد السَّلام نوح، في كتابِه: «الطَّريق إلىٰ الجماعة الأمِّ» (ص ١٥٧) حيث قَالَ بعد كلامٍ عن مُجدِّدي!:



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣ سلامة).

شِركُه في الرُّبوبيَّة

تُوجدُ رسالةٌ لصبغة الله مُجدِّدي، بعنوان: «متن بيان بروفيسور مُجدِّدي» وفيها بيانٌ لانْحرافِه في العقيدة مِن كلِّ النَّواحي، حتَّىٰ وصَلَ إلىٰ شِركِ الرُّبوبيَّةِ الَّذي فاقَ شِرْكَ أَبي جهلٍ وأَصحابِه، حيث قال في صفحة سبعة عشر ما نصُّه: «جاءَ في بعْض كتُب الصُّوفيَّة بأنَّه في كلِّ عامٍ يَنعقدُ مجلسٌ للأولياءِ والمُتصرِّفينَ علىٰ وجْهِ الأرض، اسمُه: «دِيوان الصَّالحين»، وفي هذا الدِّيوان تَحضر رُوح النَّبيِّ ﷺ، وَيحضُر الأَولياء الكرام، ويَحضر غَوث الزَّمان، وهو مُتصرِّفُ الحوادث في الدُّنيا، ويَحضر قطب الزَّمان، وهو مُتصرِّف الوقت». انتهىٰ.

قلت: وهَذَا القولُ فيه تَعليقٌ لعثمان عبد السلام نوح، قال فيه: «فهَذَا شِركٌ واضحٌ في الرُّبوبيَّة، تبرَّأَ منه حتَّىٰ المُشركون القدماء، إذْ أثبتَ رئيس الدَّولة الإسلاميَّة المَزعومة أنَّ تَدبيرَ الكون بِيَدِ أَولياءِ الصُّوفيَّةِ، بينما أقرَّ المُشركون القُدماءُ أنَّ هذا كلَّه بِيَدِ الله وَحده، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨ – ٨٩]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

فصحَّ بهَذَا أنَّ هذ الرَّجلَ قَد فاقَ شِركُه شِرْكَ المُشركين، ولا أَدري أيَّ صاحبِ عقيدةٍ صحيحةٍ يُقَاتل لأجل أن يكون الدِّينُ كلُّه لله، ثمَّ يَقبل القتالَ

تحت قيادة هذا الرَّجل؛ لأنَّ هذا الرَّجلَ إذا تَمكَّن في مكانٍ فسوفَ يَنتصرُ فيه لعقيدتِه، ويَنشر فيه مَذهبَه الشِّركيَّ، فيكون مَعنىٰ هذا أنَّنا نقاتل لِتمكِين المشركِين، والعياذُ بالله». انتهىٰ ما أردتُ نقله.

قلتُ: قارِنْ بينَ هذا المَقطع وبينَ المقطع الأوَّل الذي ذمَّ فيه عزام عُلماءَ السَّلفيَّة، وزعم أنَّهم فقهاء قاعدون لا يهمهم إلَّا حفظ المتون والحواشي بدون عمَل، أَليسَ هذا يدلُّ علىٰ أنَّهم يُبغضون السَّلفيِّين، ويُحبُّون ويَتعاطفونَ مع الوثنيِّين أَصحاب الخُرافاتِ والبدَع، وحتَّىٰ مع الكفَّارِ الصُّرحاءِ؟ !

ثمَّ اسْمع أَيضًا إلىٰ شِركِه في الأُلُوهيَّةِ، حيثُ نقل صاحبُ المصدر المذكور أنَّه قالَ في صفحة ثمانية: «وفي هذِهِ الحالةِ يُوجَد أشخاصٌ - يعني السَّلفيِّين - يُرِيدُونَ إِدخالَ مَذاهب أُخرَىٰ في أفغانستان، ويُرِيدونَ الدَّعوةَ إليها، وهُم يَحكمونَ علينا بالشِّرك، ويقولون: أنتُم مُشركونَ؛ لأنَّكم تقولون: (يا مُحمَّد)، أستغفرُ الله، في أيِّ مَنطقٍ هذا، وفي أيِّ دينٍ هذا، وفي أيِّ مذهبٍ هذا، إذا قلت: يا وزير، يا مَلِك، من هؤلاء النَّاس، الذين قُلُوبهم مثل الحَجَر لا يكون شِركًا، وإذا ناديت بِاسمِ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ أَفضلُ العالمين يكون شِركًا؟ !». انتهىٰ.

قلت: أَلَا تَرَىٰ أيُّها القارئ المحبُّ للحقِّ أنَّ هذا الرَّجلَ قَد جمَع الشِّركَ بحذافيره (شِرك الرُّبُوبيَّة، وشِرك الأُلوهيَّة)، وتَجاوز في شِركِه كلَّ المُشركين الَّذين سَبقوهُ، ومع ذلك فقدْ رَضِيَ به عزَّام وفئتُه رئيسًا للدَّولة الَّتي يَسعَون في إِقامتِها مع ما ظهَر منه من استخفافٍ بالسَّلفيَّةِ، وظُلمٍ لأصحابها المُوحِّدين، وعلىٰ هذا فقُل علىٰ الإسلامِ السَّلام إِن تَمكَّن هَؤُلاء، وإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون.

الوجه التَّاسع: وأمَّا قوله: «وأَيقَنتُ أَكثرَ مِن أيِّ وَقتٍ مضىٰ سرَّ اتِّفاقِ

الفُقهاء البارزِينَ علىٰ عدَمِ انعقادِ البيعة للفاسقِ، وَاشتراط العلمِ والتَّقوىٰ لمَن يلي أمرًا مِن أمور المسلمين، أو يَتصرَّف في شُؤونِهم».

فيردُّ عليه في هذا المَقطع مِن وُجوهٍ:

الأوَّل: في قولِه: «أيقنتُ أكثرَ مِنْ أيِّ وقتٍ مضىٰ سرَّ اتِّفاق الفُقَهاء البارزين علىٰ عدم انْعِقَاد البَيعة للفاسق»: حكاية إجماع؛ لأنَّ كلمةَ: «اتِّفاق الفقهاء البارزين» معناه إجماعهم علىٰ ذلك، وهذا الإجماعُ المُدَّعىٰ غيرُ صحيح، بل إنَّ هذا الادِّعاءَ ادِّعاءٌ باطلٌ، تَردُّه ظواهرُ الأدلَّةِ من كتابٍ وسنَّةٍ، وإجماعُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ علىٰ تحريمِ الخروجِ علىٰ الوالي المُسلم، وإن كان جائرًا، فاللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النِّساء: ٥٩]، وفُسِّر أُولو الأَمر: بالأُمراءِ والعُلماءِ، فطاعتُهم واجبةٌ؛ سواء كانُوا من أهلِ العدلِ أَو من أَهل الجَورِ للأدلَّةِ الآتية:

روىٰ مُسلمٌ، وابن ماجه، والطيالسيُّ، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**[1]»[2]، وفي رواية البخاريِّ: «**وَلَوْ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيبَةً**»[3].

ورَوَىٰ البخاريُّ، ومسلمٌ، والتِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه، وأحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**عَلَىٰ المَرْءِ**

---

(١) أي: مقطع الأطراف. والجدع: القطع، والمجدَّع: أردأُ العبيد لخسَّته، وقلَّة قيمته ومنفعته، ونُفرة النَّاس منه، انظر: «شرح النَّوويِّ علىٰ مسلم» (٥/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٧)، وابن ماجه (٢٨٦٢)، والطيالسي في «مسنده» (٤٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٦).

المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(١).

وفي حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قلتُ: فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَىٰ أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»(٢).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(٣).

ورَوَىٰ الإمامُ أحمد في «المسند» عن طريق الحارث الأشعريِّ، أنَّ نبيَّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ،

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩)، والترمذي (١٧٠٧)، والنسائي في «الصغرى» (٤٢٠٦)، وابن ماجه (٢٨٦٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧) (٤٦٦٨)، وأبو داود (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

فَقَعَدَ عَلَىٰ الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...».

وذكر الحديث إلىٰ أن قال: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّىٰ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّىٰ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وأخرج أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٠) عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»[(٢)].

وبالسَّند الَّذي في الحديث الأوَّل عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟» قال: قُلْتُ: إِذًا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، أَضَعُ سَيْفِي عَلَىٰ عَاتِقِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ أَوْ أَلْحَقَ بِكَ، قَالَ: «أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ تَصْبِرُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي»[(٣)]، ورِجَالُ السَّند الأوَّل والثَّاني ثِقَاتٌ، إلَّا خالد بن وهبان ابن خالة أبي ذرٍّ والرَّاوي عنه، فإنَّه مُخْتَلَفٌ فيه، ذَكَره ابنُ حِبَّانَ في «الثِّقاتِ»، وقالَ الذهبيُّ وابنُ حجر: مجهولٌ، والمتنُ في

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠) (١٧٢٠٩)، وصححه الألبانيُّ في «المشكاة» (٣٦٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٠) (٢١٦٠١)، وصححه الألبانيُّ في «السّلسلة الصحيحة» (٩٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٩) (٢١٥٩٨)، وضعَّفه الألباني في «المشكاة» (٣٧١٠).

كِلا الحديثَينِ معروفٌ بشواهدِه الصَّحيحةِ.

وفي «صحيح البخاريِّ» عن قَتادة عن أنس بن مالكٍ عن أسيد بن حضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا وَلَمْ تَسْتَعْمِلْنِي، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَونِي»»، أَخْرَجه في كتاب (الفتن)، باب (قول النَّبيِّ ﷺ: «سَتَرَوْن بَعْدِي أُمُورًا تُنكِرُونَهَا...»، رقم الحديث (٧٠٥٧)[1].

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا عن جُنادةَ بن أَبِي أُميَّة قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْنا بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ ﷺ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَة عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»، رقم الحديث (٧٠٥٦)[2].

وعَن أَبِي سعِيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخرَ مِنهُمَا»، رقم الحديث في «صحيح مسلم»: (١٨٥٣)[3].

وعِندَ مُسلمٍ أيضًا من حديث عَرْفَجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَو يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

وفي روايةٍ: «إِنَّهُ سَتكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ[1]، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»، «صحيح مسلم»، باب (مَن فرَّق أَمْر المُسلمين وهو مُجتمعٌ)، رقم الحديث (١٨٥٢)[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ؛ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[3].



(١) الهناتُ: جمع هنة، وتُطلقُ علىٰ كلِّ شيءٍ، والمُرادُ بها هنا: الفتنُ والأمورُ الحادثةُ، انظر: «شرح النَّوويِّ علىٰ مُسلم» (١٢/ ٢٤١).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

فصلٌ

ومِن هذهِ النُّصُوص يَتبيَّن أنَّ قول عَزَّام هذا قولٌ باطلٌ؛ أعني قولَه: «أيقنتُ أكثرَ مِن أيِّ وقتٍ مَضَىٰ سرَّ اتِّفاقِ الفُقَهاءِ البارزين علىٰ عَدَم انعِقَادِ البَيْعة لفاسقٍ»، وذَلِكَ أنَّ هذه النُّصوصَ تدلُّ علىٰ استئثارٍ، والاستئثارُ يدلُّ علىٰ ضَعْفِ العَدَالة، ومَعَ ذَلِكَ فإنَّ الشَّارعَ ﷺ يُوصِي بالصَّبر، ويَنهىٰ عن الخُرُوجِ، بَل والمُنَازعة.

وتدلُّ النُّصُوصُ أنَّ مَن خَرَج عن الطَّاعةِ، وفَارَق الجماعةَ، فإنَّه إن ماتَ عَلىٰ ذلك مَاتَ مِيتةً جاهليَّةً، وتدلُّ النُّصُوصُ أنَّ مَن فارقَ الجَمَاعة وَخَرَج عن الطَّاعَةِ، لَقِيَ اللهَ وَلَا حُجَّةَ له.

وتَدُلُّ النُّصُوصُ أنَّ مَن خَرَج عن الطَّاعة، وفَارَق الجماعةَ، فقَد خلَع رِبقةَ الإسلام مِن عُنُقِه.

والرِّبقة: حبلٌ مستطيلٌ فيه فلكاتٌ تُوضَع فيها رِقَابُ الغنَمِ فيَجْمعها.

فعقيدةُ الإسلام بمَنزلةِ الرِّبقةِ للمُسلمينَ، إذْ إنَّها تَجْمعهم جميعًا في هذه العقيدَةِ، كما يُجْمَعُ الغنَمُ في الرِّبقة، فمَن خلَعَ طاعةَ الإمام فقد خرَج مِن جماعةِ المُسلمين.

وقالَ في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قلتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ

وَأَنتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ»[(١)].

قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٣٦): «الإشارة بقولِهِ: «الْزَمْ جَمَاعَةَ المُسلِمينَ وَإِمَامَهُم»، يَعني: وَلَوْ جارَ، ويُوضِّح ذَلِكَ رواية أبي الأسود: «وَلَوْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ»، وكانَ مِثل ذلك كثيرًا في إِمَارة الحَجَّاج ونحوه.

قَوله: «تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلمين وإِمَامَهم» - بكسر الهَمْزة - أي: أَمِيرَهم، وزاد في رواية أبي الأسود: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ».

وكذا في رواية خالد بن سُبَيع عند الطَّبرانيِّ: «فإنْ رأيت خَلِيفةً فالْزَمهُ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةٌ فَالْهَرَبُ»، قوله: «وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ» - بفتح العَين المُهملة وتَشديد الضَّادِّ المُعجمة - أي: لَو كان الاعتزالُ بالعضِّ فَلَا تَعْدل عنه -، و«تَعضَّ» بالنَّصب للجَميع، وضَبَطه الأشيري بالرَّفع، وتعقّب بأنَّ جَوَازه مُتوقِّفٌ علىٰ أَن يكونَ الَّتي تقدَّمته مُخفَّفةً مِن الثَّقيلة، وهنا لا يَجُوز ذلك؛ لأَنَّها لا تلي (لو)، نبَّه عليه صاحب «المُغني».

وَفِي رواية عَبد الرَّحمن بن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه: «فَلأَنْ تَمُوتَ وأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جِذْلٍ خيرٌ لَكَ من أَنْ تَتبَعَ أَحَدًا مِنهُمْ»، والجِذلُ - بكسر الجيم وسُكُون المعجمة بَعدها لامٌ: عُودٌ يُنْصَبُ لتَحْتكَّ به الإبلُ، وقولُه: «وأَنتَ علىٰ ذَلِكَ»؛ أي: العَضّ، وهو كِنَايَةٌ عن لُزُومِ جَماعةِ المُسلمينَ، وطَاعَة سَلَاطِينِهم ولَو عَصَوْا.

قال البيضاويُّ: المَعنىٰ إذا لَم يَكُن في الأَرض خليفةٌ، فعَلَيكَ بالعُزلةِ، والصَّبر علىٰ شِدَّةِ الزَّمَان، وعضُّ أَصل الشَّجرة كنايةٌ عن مُكابدَةِ المَشقَّةِ؛ كقولِهم: فُلانٌ يَعَضُّ الحجارة مِن شِدَّةِ الأَلَمِ، أو المُراد اللُّزوم، كقولِه في الحديث الآخر:

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

«عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّوَاجِذِ».

قال الحافظ: ويُؤيِّد الأوَّل في الحديث الآخر: «فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جِذْلٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ». اهـ.

قلتُ: القَولانِ مُتلازِمَانِ، فَإِنَّ مِن لازِمِ المُفَارقةِ: حُصُولُ المَشقَّة، وقَد تَحصل المشقَّةُ بمُلازمةِ الجماعة، والثُّبُوتِ علىٰ طاعة الوُلاة إذا كانوا عُصَاةً جائرين.

وقدْ أشارَ إلىٰ ذلكَ بَل أَبَانَه نبيُّ الهُدَىٰ، ورسولُ الرَّحمة الَّذي ما ترك خيرًا إلَّا دلَّ أُمَّته عليه، ولا شرًّا إلَّا حَذَّرها منه، بقولِه في حديث ابنِ عَبَّاسٍ عند البخاريِّ في (الفتن)، رقم (٧٠٥٣ - ٧٠٥٤):

لفظ الأوَّل عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

ولفظ الثَّاني عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّه مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وفي حديث عبادة بن الصَّامت عند البخاريِّ أيضا (٧٠٥٦): «فقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَه إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[1].

وفي حديث عوف بن مالكٍ الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مُسلم مَرفوعًا بلفظ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[١].

وأقولُ: لَم يَنقصنا من الله ورسولِه البيانُ حتَّىٰ نَحتاجَ إلىٰ أقوالِ الرِّجال، لقَد بيَّن اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنا أعظمَ بيانٍ، ووَضَّح لنا أعظمَ تَوضيحٍ بأنَّ مِن الوُلاة مَن يكون عدلًا، أو جائرًا، ومِنهم مَن يكون جائرًا وقَد يكون فاسقًا، وأنَّ الطَّاعةَ واجبةٌ للسُّلطان؛ سواءٌ كان عدلًا أو جائرًا، وإلَّا فما معنىٰ قولِه: «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونكُمْ» إذن؟

وهذا ما فهِمَهُ الصَّحابةُ حين قالوا: أفلَا نُنابِذهم بالسَّيفِ عند ذلك؟ فكانت الإجابةُ من النَّبيِّ الكريم ﷺ، والرَّدُّ علىٰ مَن قال ذلكَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»، إنَّ هذِهِ النُّصوصَ وغيرَها تُفيدُ أنَّ بيعةَ الجائر مُنعقدةٌ، وأنَّ طاعته وَاجبةٌ، والإجماع علىٰ ذلكَ قائمٌ.

قال الحافظُ ابنُ حجَر في «الفتح» (١٣/ ٣٧) في شرْح حديثِ حُذيفةَ، ط. محبّ الدِّين الخطيب: «وقالَ ابن بطَّال: فيه حُجَّةٌ لجماعةِ الفُقَهاءِ في وُجوبِ لُزومِ جماعةِ المُسلمينَ، وتَرْك الخروجِ علىٰ أئمَّة الجَوْر؛ لأنَّه وصَف الطَّائفة الأخيرة بأنَّهم دُعاةٌ علىٰ أبْواب جهنَّم، ولمْ يَقُل فيهم: تَعرفُ وتُنكرُ، كما قال في الأوَّلين، وَهُم لا يكونون كذلكَ إلَّا وهُمْ علىٰ غير حقٍّ، وأمَر مع ذلك بلُزومِ الجماعةِ.

قال الطَّبريُّ: اخْتُلِفَ في هذا الأَمر وفي الجمَاعة، فقالَ قومٌ: هو للوجوبِ. والجماعةُ: السَّوَادُ الأعظمُ، ثمَّ سَاقَ عن مُحمَّد بن سيرين عن أبي مسعودٍ أنَّه وصَّىٰ مَن سأله لمَّا قُتل عُثمان: «عَلَيْكَ بالجماعةِ، فإنَّ اللهَ لم يكن ليجمع أُمَّةَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

مُحمَّدٍ علىٰ ضَلَالةٍ». وقال قومٌ: المرادُ بالجماعةِ: الصَّحابة دون مَن بَعدَهم. وقال قومٌ: المُرَادُ بهم أَهْلُ العلمِ؛ لأنَّ اللهَ جعَلهم حُجَّةً علىٰ الخَلْق، والنَّاس تبَعٌ لَهُم في أَمْر الدِّين.

قال الطَّبريُّ: والصَّوابُ أنَّ المرادَ مِن الخبر لُزوم الجماعة الَّذين في طاعة مَنِ اجتمَعُوا علىٰ تأميرِه، فمَن نكَثَ بَيعتَه، فقدْ خرَج عن الجماعةِ، وفي الحديث أنَّه متىٰ لم يكُنْ للنَّاس إمامٌ، فافترقَ النَّاسُ أَحزابًا، فلا تَتبعْ أحدًا في الفُرقةِ، ويَعتزل الجميع إنِ استطاع ذلك خشيةً من الوُقوعِ في الشَّرِّ». اهـ.



فصلٌ

قال في (١٣/ ٧) في شرح حديث ابنِ عبَّاسٍ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»: «وقال ابنُ بطَّالٍ: في الحديث حُجَّةٌ في ترك الخُرُوج على السُّلطانِ، ولو جَارَ، وقد أَجْمَعَ الفُقهاءُ على وُجُوبِ طَاعةِ السُّلطان المُتغلِّبِ، والجهاد معه، وأنَّ طَاعتَه خيرٌ مِن الخروجِ عليه لِما في ذلك مِن حقْنِ الدِّماءِ، وتَسْكينِ الدَّهْماءِ، وحُجَّتُهُم هذا الخبرُ وغيرُه، مِمَّا يُساعدُه، ولَم يَستثنُوا مِن ذلك إلَّا إذا وقَعَ مِن السُّلطان الكُفْرُ الصَّريحُ، فلا يَجوزُ طاعتُهُ في ذلك، بل تجبُ مُجاهدتُه لِمَن قدَرَ عليها، كما في الحديث الَّذي بعده». اهـ.

وقال الحافظُ (١٣/ ٨) ط. محبّ الدِّين الخطيب: «ونقَل ابنُ التِّين عن الدَّاوُدي قال: الَّذي عليه العُلماءُ في أُمَراء الجَوْر، أنَّه إنْ قدرَ على خَلْعِه بغيرِ فِتنةٍ ولا ظُلْمٍ، وجَبَ، وإلَّا فالواجبُ الصَّبرُ، وعَن بَعضِهم: لا يَجوزُ عقْدُ الولاية لِفاسقٍ ابتداءً، فإنْ أَحدثَ جورًا بعْد أَنْ كان عدْلًا، فَاختلفُوا في جوازِ الخُروجِ عليه، والصَّحيحُ المنعُ إلَّا أنْ يكفُر، فيجب الخروجُ عليه». اهـ.

قلتُ: يجبُ أنْ نَأخذَ مِن أقوالِ العُلماءِ ما أيَّده الدَّليلُ، وما لم يُؤيِّدُه الدَّليلُ بل خالَفه فإنَّ الواجبَ علينا تَرْكُه؛ لأنَّه اجتهادٌ مِن غيرِ معصومٍ تبيَّن لنا خطَؤه بمُخالفتِه لِما ثبتَ عن المعصومِ الَّذي أمرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ باتِّباعِه وطاعتِه، ورتَّب عليها دُخول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا۟ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ اللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ الرَّسُولَ وَأُو۟لِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]، وغير ذلك مِن الآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ هذا المعنىٰ.

ولا يَجُوزُ لأحدٍ أنْ يَقولَ: أنا إنَّما فعلتُ ذلك غَيرَةً علىٰ دينِ الله تعالىٰ؛ فإنَّ الخوارِجَ إنَّما قتَلُوا عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنَّما فعَلوا ذلك - بزعمهم - غَيرَةً علىٰ دينِ الله، فهل هُم صادقُونَ في ذلك؟ !

بَلْ كلُّ مُسلمٍ يَعرفُ دِينَ الحقِّ يقولُ: هُم كاذبون ظالمون مُعتدونَ.



فصلٌ

في عَرْض أَقوال رِجَالٍ من أهل العِلم، غيرِ مَنْ ذُكِر في طاعة الوُلَاة، وعدَم الخُرُوجِ عليهم وإِن جارُوا، قال في «العقيدة الطَّحاويَّة» (٢/ ٥٤٠) من شَرح ابن أبي العزِّ الحنفيِّ الدمشقي: «ولَا نَرَىٰ الخُرُوجَ علىٰ أَئمَّتنا ووُلَاة أُمُورنا، وإِن جارُوا، ولا نَدْعوا عليهم، ولَا نَنْزِعُ يدًا مِن طاعتِهم، ونَرَىٰ طَاعَتهم من طَاعَةِ الله عَزَّوَجَلَّ فَرِيضةً، ما لَم يَأمروا بمَعصيةٍ، ونَدعو لهم بالصَّلاح والمُعَافاةِ».

قال الشَّارحُ بعد أَن ساقَ الأدلَّةَ الَّتي سُقْناها من الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أو بَعضها: «فقَدْ دلَّ الكتابُ علىٰ وُجُوبِ طاعة أُولِي الأَمر ما لَم يَأمروا بمَعصيةٍ، فتَأمَّل قَوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، كَيفَ قَالَ: وأَطِيعُوا الرَّسولَ، ولَم يقل: وأَطيعُوا أُولِي الأَمر منكم؟ لأنَّ أُولِي الأَمر لا يُفرَدون بالطَّاعةِ، بل يُطَاعون فيما هو طاعةٌ لله ورسولِهِ، وأَعَاد الفعل -أي: أَطِيعُوا - مع الرَّسول؛ لأنَّه مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقَد أطاعَ اللهَ، فإنَّ الرَّسولَ لا يَأمر بغير طاعةِ الله، بل هو مَعصومٌ في ذلك، وأمَّا أُولو الأَمر فقَد يَأمر أحدُهم بغَير طاعة الله، فلا يُطَاع إلَّا فيما هو طاعةٌ لله ورسولِه.

وأمَّا لُزوم طاعتِهم وإِن جارُوا، فلأنَّه يَترتَّب علىٰ الخُرُوج عن طَاعَتِهم من المَفاسِدِ أَضعاف ما يَحصل من جَوْرهم، بَل في الصَّبر علىٰ جَورِهم تكفيرٌ للسَّيِّئات، ومُضاعفةُ الأُجُور، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ما سَلَّطهم علينا إلَّا لفساد أعمالنَا، والجزاءُ من جِنسِ العَمَل، فعَلَينا الاجتِهَادُ في الاستغفارِ والتَّوبَةِ وإصلاحِ العَمَل؛

قالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشُّورىٰ: ٣٠]».

وقَالَ في كتاب «الحُجَّة في بيَان المَحجَّة»، للإِمَامِ الحَافِظِ أبي القاسم إسماعيل بن مُحمَّد بن الفضل التَّيمي الأصبهاني، المُلقَّب: «قوَّام السُّنَّة» المُتوفَّىٰ سنة (٥٣٥ هـ):



«فصلٌ:
في بيانِ منع الخُروجِ على أُولي الأمْر»

ثمَّ أَورَدَ[١] في هذا الفَصلِ أحاديثَ تَدلُّ علىٰ مَنع الخرُوجِ:

منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**سَيَلِيكُمْ بَعْدِي وُلَاةٌ، فَيَلِيكُمْ الْبَرُّ بِبِرِّهِ، وَيَلِيكُمُ الفَاجِرُ بِفُجُورِهِ، فَاسْمَعُوا لَهُمْ وَأَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الحقَّ، وصَلُّوا وَرَاءَهم، فَإِنْ أَحْسَنُوا فَلَهُمْ، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[٢]، هَذَا الحديثُ ضَعَّفَ المُحقِّقُ سَنَدَه، ونقَل تَضْعيفَه عَن مُحقِّق «الكنز» رقم (١٤٨٤٦).

قلتُ: لكن مَعنىٰ المَتن صحيحٌ ومَعروفٌ من أحاديثَ أُخرىٰ صَحِيحَةٍ، أَعني أنَّ الأحاديثَ المشارَ إليها تَدُلُّ علىٰ صحَّةِ المَتنِ، ولَفظُه قَد صحَّ في أئمَّة الصَّلَاة بلفظ: «**يُصَلُّون لكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُم، وَإِنْ أَخْطَؤوا فَلَكُم وعَلَيْهِمْ**»[٣]، عَزَاه في تَخريج «الجامع الصَّغير» (٨٩٥٥) إلىٰ البُخاريِّ.

ثمَّ أوردَ أحاديثَ أُخرىٰ تدلُّ علىٰ الموضوع الَّذي تَرْجَمَ له، قالَ المُحقِّق مُحمَّد بن محمود أبو رحيم في تَعليقِه علىٰ التَّرجمة السَّابقة الذِّكْر، والَّتي عَنونها بفصلٍ في بَيَانِ مَنْع الخُرُوجِ علىٰ أُولِي الأَمر (٢/ ٣٩١): «وهذا هُوَ مَذهبُ أَهلِ الحَدِيثِ، وَلَم يُخَالِف في ذَلِكَ إلَّا المُعتزلةُ وَالخَوارج والزَّيديَّة» اهـ.

---

(١) أي: الإمام الأصبهانيّ في كتابه: «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ٣٩١-٣٩٢ أبو رحيم).

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الأوسط» (٦٣١٠)، وقال الألبانيُّ في «إرواء الغليل» (٢/ ٥٠٥): «ضعيفٌ جدًّا».

(٣) أخرجه البخاريُّ (٦٩٤)، مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فصلٌ

وقَالَ أبو عبد الله عُبيد الله بن محمَّد، المعروف بابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» له (١/ ٣٢٨) في باب (ذِكر ما أمَر به النَّبيُّ ﷺ مِن لزُوم الجماعة، والتَّحذير من الفُرقة) بَعد أن ذكر الأحاديث الواردةَ في الأَمر بِلُزُومِ الجماعة، وذَمِّ الفُرْقَةِ.

ثمَّ رَوَىٰ حديثًا من طريق الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة الجملي، عن خيثمة بن عبد الرَّحمن الجعفي الكوفي قال: قال عَبدُ الله: «**إِنَّهَا سَتكُونُ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالتُّؤَدَةِ؛ فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ**»[١].

ورَوَاه مِن طريق عُبيد الله بن مُوسَىٰ العَبسي الكوفيِّ، قال: أَخْبرنا مِسعَر ابن كدام الهلالي الكوفي عن عمرو بن مُرَّة، قال: قالَ عبد الله... الحديث[٢]، وفي آخرِه: «ثمَّ إيَّاكم وتَصرُّف الأَخْلاقِ، اجْعلُوا الوجهَ وَاحدًا، والدَّعوةَ واحدةً، فإنَّه بَلَغَنَا أنَّه مَن كان ذَا وَجهَين، وذَا لِسانَين، كان له يوم القيامَةِ لِسَانَانِ مِن نَارٍ»[٣].

وقال عثمان بن حاضر: قلتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: «أَوْصِني». قالَ: «عَلَيْك بِالاستِقَامةِ، واتِّباع الأثر، وإيَّاك والتَّبدُّع»[٤].

وصحَّ عن ابنِ مسعودٍ أنَّه قالَ: «الاقتصادُ في السُّنَّةِ خيرٌ من الاجْتِهادِ في

(١) رقم (١٧٦).

(٢) رقم (١٧٧).

(٣) رقم (١٥٦) عن قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رقم (١٥٧).

البِدْعَةِ»[١].

وعن مُعَاذ بن جبلٍ: «إيَّاكم وما ابتُدِعَ؛ فإنَّ ما ابتدع ضَلَالَةٌ»[٢].

وَقَالَ ابْنُ عُمَر: «كلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وإنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»[٣].

وقَالَ النُّعمان بن بَشِيرٍ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الجَمَاعةُ رَحْمةٌ، وَالفُرْقةُ عَذَابٌ»[٤].

وعَنْ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه لَمَّا قَدِمَ الجَابية[٥]، قامَ خطيبًا، فحَمِدَ اللهَ، وأثنىٰ عليه بما هُوَ أَهْلُهُ، ثمَّ قال: قَامَ فِينَا رسولُ الله ﷺ، وفي روايةٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قامَ فِينَا كمَقَامي، فقالَ: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي - وفي روايةٍ: أَكْرِمُوا أَصْحَابِي -؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّىٰ يَحْلِفَ الرَّجُلُ عَلَىٰ الْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ، وَيَشْهدَ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ بُحْبُوحَةَ الجنَّةِ فَلْيَلْزَم الجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٦]. اهـ.



(١) رقم (١٦١).

(٢) رقم (٢٠٤).

(٣) رقم (٢٠٥).

(٤) رقم (١١٧)، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨) (١٨٤٧٢)، وابنُ أبي عاصم (٨٩٥)، والقضاعي (١٥)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٦٦٧).

(٥) الجابية: قريةٌ بدمشقَ.

(٦) أخرجه الترمذيُّ (٢١٦٥)، وابنُ ماجه (٢٣٦٣) مُختصرًا، وأحمدُ (١/ ١٨) (١١٤)، وابنُ حبَّان في «صحيحه» (٧٢٥٤)، وصحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسان» (٧٢١٠)، وفي «الصَّحيحة» (١١١٦).

فصلٌ

وفي كتاب: «شعار أصحاب الحديث»، للإمام أبي أحمد محمَّد بن أحمد ابن إسحاق الحافظ، المعروف بأبي أحمد، في «عقيدة أصحاب الحديث» المأخوذة عن أبي رجاء قتيبة بن سعيد، وفي تِلكَ العقيدة (ص ٣١): «والجِهَاد مَعَ كلِّ خليفةٍ، جِهاد الكُفَّار، لَكَ جِهَادُهُ، وعليه شرُّهُ، والجماعة معَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ، يعني: الجمُعةَ والعِيدَينِ».

إلىٰ أن قالَ: «ولا نُكفِّر أحدًا بذَنْبٍ إلَّا الصَّلاة، وإنْ عَمِلَ بالكبائرِ، ولَا نَخْرجُ علىٰ الأُمَراء بالسَّيفِ وإن حارَبُوا، - والصَّواب: وإن جارُوا -، وَنَبْرَأُ مِنْ كلِّ مَنْ يَرىٰ السَّيْفَ كائنًا مَنْ كَانَ». اهـ.



فصلٌ

وقال في «أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ» لإمام أَهلِ السُّنَّةِ أَحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، رواية عَبْدُوس بن مالك العطَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شرح وتحقيق: الوليد بن محمَّد نبيه بن سيف النَّصْر، النَّاشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة (ص ٦٤): «والسَّمع وَالطَّاعة للأئمَّةِ وأَمِيرِ المُؤمِنِينَ البَارِّ والفَاجِرِ، ومَنْ وَلِيَ الخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيهِ، ورَضُوا به، ومَن عَلِيَهُم بالسَّيْفِ، حتَّىٰ صَارَ خليفةً وسُمِّيَ أَميرَ المُؤمنين.

والغزو مَاضٍ مع الأُمَرَاءِ إلىٰ يوم القِيَامَة؛ البارِّ والفاجرِ، لا يترك، وَقِسْمَة الفَيء وإِقَامَة الحُدُودِ إلىٰ الأئمَّةِ، مَاضٍ لَيْسَ لأَحَدٍ أَن يَطعنَ عَلَيهم، ولا يُنَازِعهُم، وَدَفْع الصَّدَقاتِ إِلَيهِم جائزةٌ نافذةٌ، مَن دَفَعَها إليهم أجزأتْ عنه؛ برًّا كان أو فاجرًا، وَصَلَاةُ الجُمُعة خلفَه وخَلْف مَن ولَّاه جائزةٌ باقيةٌ تامَّةٌ رَكْعتين، مَن أَعَادَهما فهو مُبتدعٌ، تاركٌ للآثارِ، مُخَالِفٌ للسُّنَّةِ، ليس له من فَضْل الجُمُعة شيءٌ، إذا لَمْ يَرَ الصَّلاة خَلْفَ الأئمَّة مَن كانوا؛ بَرِّهم، وفاجِرِهم، فالسُّنَّةُ بأن يُصلِّي معه رَكعتين، ويَدِينَ بأنَّها تَامَّةٌ، لا يَكُن في صَدْرِكَ من ذلك شكٌّ.

ومَن خَرَج عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أئمَّة المُسلمينَ، وقَد كانَ النَّاسُ اجْتَمعُوا عليه، وأَقرُّوا له بالخِلافةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كانَ؛ بِالرِّضا أو الغَلَبَةِ، فقَد شقَّ هذا الخارجُ عَصَا المُسلمينَ، وخَالَفَ الآثارَ عَن رسولِ الله ﷺ فإنْ مَاتَ الخارجُ عليه، ماتَ مِيتةً جَاهليَّةً، ولا يَحِلُّ قتالُ السُّلطانِ، ولا الخُرُوجُ عليه لأحدٍ مِن النَّاس، فمَن فَعَل ذلك فَهُوَ مُبتدِعٌ علىٰ غير السُّنَّةِ والطَّرِيقِ». اهـ.

فصلٌ

وَبِمَا سَبَقَ ذِكرُه مِن الأدلَّة وأَقوالِ أَهلِ العِلمِ، تَعلم أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ أَهلِ العِلمِ قَد تَطَابَقت واتَّفقتْ علىٰ انْعِقَادِ البَيْعة ووُجوبُ الطَّاعة لمَن ولَّاه اللهُ أمْرَ المُسلمين؛ سواء كان برًّا أو فاجرًا، مؤمنًا أو فاسقًا، وأنَّ قولَ عزَّام أنَّ بَيعةَ الفاسق لا تَنعقدُ: قولٌ باطلٌ، لا يدلُّ عليه دليلٌ مِن كتابٍ ولا من سُنَّةٍ، ولَم يَقُل به أحدٌ مِن أَهل السُّنَّة؛ لا مِن الصَّحَابةِ، ولا مِن التَّابعينَ، ولا مِمَّن بعْدَهم مِن أهلِ العلمِ والإيمانِ والاتِّباع، وإنَّما هو مِن قَوْلِ أهلِ الزَّيغِ والابتداع.

وكان حين قالَ هذا القولَ تحتَ قيادةِ ورئاسةِ مُجدِّدي ذلك الوثنيِّ الخبيثُ الَّذي تَجاوزَت وَثنيَّته وثنيَّةَ أبي جهل وأبي لهب، وغيرهم من مُشركي العرب الَّذين قاتلَهم الرَّسولُ ﷺ واستحلَّ دِمَاءَهم وأموالَهم، وسَبَيَ ذَرَاريهم بأَمرٍ مِن رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيثُ يقولُ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التَّوبة: ٣٦]، وحيث يقول: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [التَّوبة: ٥]، مع أنَّ المُشركينَ العرَب مُعترفونَ بتوحيدِ الرُّبوبيَّة، لَم يُنازعوا فِيهِ أبدًا، كما حكىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عنهم في كتابِهِ في مواضع منه، ومن ذلكَ الآيات في سورة (المؤمنون) مِن الآية رقم (٨٤) إلىٰ نهاية (٨٩) قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾ [المؤمنون: ٨٤]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩].

وكَيفَ انْعَقدَت بَيْعَةُ مُجدِّدي الَّذي زادَ شِرْكُه علىٰ شِركِ مُشركي العرَب الَّذين قاتَلهم رسولُ الله ﷺ حتَّىٰ دَخلُوا في الدِّين أفواجًا، ولا تَنْعقدُ البَيعةُ لمُسلمٍ مُوحِّدٍ مُؤدٍّ لفرَائض الله إلَّا أنَّ عنده مِن المعاصِي ما يُوجبُ له حُكْمَ الفِسقِ، إنَّ هذا لهو الباطل الَّذي لا يَقبلُه أحدٌ ممَّن تأمَّله.

وبالله التَّوفيق.



قول سحنون رَحِمَهُ اللَّهُ

وأَختمُ هذه الجولةَ في الرَّدِّ علىٰ الشَّيخ عبد الله عزَّام في زعمِه هذا بِهذه القصَّة الَّتي حكاها العالِمُ النَّقَّاد الإمامُ شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الذَّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تَرجمة سُحْنون صاحب «المُدوَّنة» رَحِمَهُ اللَّهُ في (ج١٢/ ٦٧) من «سير أعلام النُّبلاء» قال: «وعن يَحيىٰ بن عون، قال: دخلتُ مع سُحنون علىٰ ابنِ القصَّار وهو مَرِيضٌ - يَعني: وكان قَلِقًا - فقالَ له سحنون: ما هذا القلَقُ؟ فقَالَ له: الموتُ والقُدُوم علىٰ الله، فقَالَ له سحنون: أَلَست مُصدِّقًا بالرُّسُلِ، والبَعْثِ، والحسابِ، والجنَّةِ، والنَّارِ، وأنَّ أفضلَ هذِهِ الأُمَّة: أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، والقرآنُ كلامُ الله غير مَخلوقٍ، وأنَّ الله يُرىٰ يَومَ القيامة، وأنَّه علىٰ العَرش استَوىٰ، ولا تَخْرج علىٰ الأَئمَّة بالسَّيفِ وإِنْ جَارُوا؟ قال: أي واللهِ، فقال: مُتْ إذا شئتَ، مُتْ إذا شئتَ» اهـ.



القولُ بالخُروجِ قولٌ باطلٌ ولا يَعتمِدُ على دليلٍ

قلتُ: وبهذا يَتبيَّنُ أنَّ قولَ عبد الله عزَّام الَّذي نقلتُه، ورَدَدْتُ عليه، وقول أصحابِ المنهج الإخواني عُمومًا، في إجازتِهم الخروجَ على الأئمَّة المُسلمينَ قولٌ باطلٌ مُخالفٌ للنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، ومُخالفٌ لِما أَجمَعَ عليه أَهلُ العلمِ المُعتبرون، وما ذكرته من الآثار عن السَّلفِ، وما نقلتُه عن أَهل العِلمِ مِن الإجماع على عدَم الخُروجِ، وأنَّه لم يَقُل بجوَاز الخرُوج إلَّا الخوارج والمُعتزلة، وليسُوا من الفرَقِ النَّاجية، وإنَّما هُم مِن الفِرَقِ الهالكةِ.

يا قوم، إنْ كنتم تُرِيدُونَ الحقَّ والطَّريقَ السَّويَّ، فعودُوا إلى الحقِّ، فإنَّكم لا تُسألون عن أحدٍ غير النَّبيِّ الأعظم، والقُرآن الَّذي يَهدي للَّتي هي أَقوَمُ.

إنَّ الخروجَ الَّذي نهى عنه رسولُ الله ﷺ فسادٌ ودمارٌ وعارٌ ونارٌ، وسفكٌ للدِّماء، وإزهاقٌ للأرواح، وإهلاكٌ للحرْثِ والنَّسل، وسلبٌ للأموالِ، واستباحةٌ للأعراضِ، خوفٌ بعْد أَمْنٍ، وجوعٌ بعْد شِبَعٍ، وفقرٌ بعْد غنًى، وذلٌّ بعْد عزٍّ، وخرابٌ بعد عَمارٍ.

أمَا لكم عِظةٌ في الصُّومال وما حصَل لأَهلِها من الخرابِ والدَّمارِ، والتَّشرُّدِ في جميع الأَقطار، أَمَا لَكُم عِظَةٌ في الجزائر، وما وقَع فيها من المجازِرِ، أَمَا لكم عِبرَةٌ فيهم وفي غيرِهم ممَّن حولَكم، أرجو أن تُفكِّروا، وتُراجِعوا حِسابَكم قبل أن يَفوتَ الأوانُ، ويعضُّ كثيرٌ مِنكم أصابعَ النَّدم، ولا ينفع النَّدمُ بعد تَبيُّنِ الخُسرانِ، وأنَّ الفائزَ هو مَن اتَّبعَ الهُدى، واجْتنبَ سبُلَ الرَّدى، واللهُ المُوفِّق لمَن يشاءُ من عبادِه، وهو الهادي إلى الصِّراطِ المُستقيمِ.

فصلٌ

وفي مَجلَّة «الصَّحوة اليمنيَّة»، الخميس ٢شوال ١٤٢٢هـ، المُوافق ٢٣ أبريل ١٩٩٢م، وعلىٰ الصَّفحة السَّابعة نُشِر ما يلي بالخطِّ المُكبَّر:

بيانٌ من التَّجمُّع اليَمَني للإصْلاحِ وحِزب البَعث العربيِّ الاشتراكيِّ.

وبعد مُقدِّمةٍ قال: فَقَد عَقَدتْ قِيَادتا التَّنظيمين لقاءاتٍ مُكثَّفةٍ في الآونة الأخيرة بِهَدَفِ تَطوير العَلَاقاتِ القائمةِ بَينهما، حيث تمَّ التَّوصُّلُ في نِهَايَة هذِهِ اللِّقاءات إلىٰ وثيقةٍ حَدَّدت أُسُسَ ومُنطلقاتِ التَّعاون والتَّنسيق في مُختلف المَجَالات ذات الاهتِمامِ المُشترِكِ.

إنَّ التَّجمُّعَ اليمنيَّ للإصلاحِ، وحِزب البعث العربي الاشتراكي في القطر اليمني وهُمَا يُعْلنان تَوصُّلهما إلىٰ صِيغَةِ التَّنسيقِ والتَّعاونِ بَينَهُما يُؤكِّدان أَنَّ ذلك هو السَّبيلُ الصَّحيحُ والوحيدُ الَّذي يَضمن استمراريَّة التَّجربةِ الدِّيمقراطيَّةَ الثَّوريَّة الوليدة في بِلادِنا، والمُتمثِّلة بالتَّعدُّديَّةِ السِّياسيَّةِ، والحزبيَّةِ، ويُجذِّر الوحدةَ اليمنيَّةَ، ويُحَافظ عليها... إلخ.

وأقول: مَن هُوَ مُؤسِّسُ حِزْبِ البعثِ العربيِّ الاشتراكيِّ؟

أَليسَ هو ذَلِكَ النَّصرانيُّ المُلحدُ الَّذي أَفسدَ في الشَّام حديثًا، كما أَفسَدَ ابن سبأ في العراق قديمًا، أَليسَ هو «مِيشيل عَفْلَق»، وإنِّي لأسأَلُ: كَيف يَجتمعُ الإسلامُ والبعثُ الاشتراكيُّ إلَّا إذا اجْتمعَ الماءُ والنَّارُ، والرَّحمةُ واللَّعنةُ؟!

ولقَد تَذكَّرت وأنا أقرأُ هذا المَقطَعَ الَّذي نُشِرَ فيه تَوصُّل حزب الإصلاح

اليمنيِّ الإخوانيِّ، وحزب البَعث إلىٰ اتِّفاقٍ بَينهما، يُجذِّرُ الوحدةَ اليمنيَّةَ، ويَعمل علىٰ اسْتِمراريَّة المُحَافظة عليها، كما يَقُولونَ البيت الَّذي قاله بشَّار الخوري المُسمَّىٰ بـ «قديس القوميَّة العربيَّة»:

سَلامٌ عَلَىٰ كُفْرٍ يُوَحِّدُ بَيْنَنَا ... وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّم

إنَّها - والله - المَآسِي، كلَّ يَومٍ نَطْلعُ من جَمَاعة الإخوان المُسلمينَ علىٰ سوءةٍ تُفسدُ من الدِّينِ قَاعِدتَه وعَقِيدتَه، فضلًا عن أَحكَامِهِ وآدَابِه، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

علامَ يَدلُّ اتِّفاقُ حزب الإصلاح في اليمن مع البَعثِ؟

إنَّ عَمَلَهُم هَذَا يُعتبر إِقرارًا للإلحادِ والزَّندقةِ والكفرِ الصُّراحِ، ونَشْرًا له، وتَشْجِيعًا لأَهلِه، فأينَ هؤلاء مِن قَولِه تعالىٰ في سورة (التَّوبة): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التَّوبة: ٢٣ - ٢٤].

وقولِه في سورة (المُجادلة): ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ فُلانٍ لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي مِنكُمُ المُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»[(١)].

وَبِالتَّالي فَأَفْكَارُ حزب البَعث مُستمدَّةٌ من الشُّيوعيَّة، وعَقَائدُ الإسلامِ وأَحكَامُهُ وآدابُهُ مُستمدَّةٌ من كِتَاب الله، ومن سُنَّةِ رَسُولِه ﷺ، وأيُّ اتِّفَاقٍ مع حِزْبِ البَعثِ فإنَّه يُعدُّ تَنازلًا عن أَحكَامِ الشَّريعَةِ، وإيمانًا بأفكَارِ الشُّيُوعيِّين، وذَلِكَ أَعْظمه كفرٌ، وأَخفُّه فسقٌ، فهَل يَلِيق بمُسلم فضلًا عَمَّن يَزعم لنفسِهِ أنَّه من الدُّعاة إلىٰ الله أن يَفعَلَ ذلك، ومِن جهةٍ أُخرىٰ، فهل نحن - المُسلمون - بحَاجَةٍ إلىٰ إجرَاءِ تَجارب علىٰ نُظُمٍ، ودساتيرَ جديدةٍ، وأفكارٍ غريبةٍ، إنَّها - واللهِ - المآسي.



(١) أخرجه الحكيمُ التِّرمذيُّ في «نوادر الأصول» (٥/ ١٤٣) (١١٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ولفظه: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ لَيْسُوا بِبَنِي فُلَانٍ، وَلَكِنْ أَوْلِيَائِي مِنكُمُ المُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا». وفي سنده الفضل بن محمد الباهلي الأنطاكي الأحدب، كذبه الدارقطني وابن عدي وغيرهما كما في «لسان الميزان» (٦/ ٣٥١).

وأصل الحديث أخرجه البخاريّ (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «أَلَا إِنَّ آلَ فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

فصلٌ

وقالَ الدُّكتور مصطفىٰ السِّباعيُّ، في مجلَّة «حضارة الإسلام السُّوريَّة» (ص٤٧٠) تحت عنوان: «السِّباعيُّ ومعركة الدُّستور في نَصِّ البَيانِ التَّاريخيِّ»: «لقَد كنتُ أُوثِرُ بِناءً علىٰ رَغبة لجنة الدُّستور، ورَغبة المُخلِصينَ جَمِيعًا أَن يَظَلَّ النِّقاشُ مَحصورًا بَين أَعضاءِ لجنة الدُّستور والمَجلس التَّأسيسيِّ». اهـ.

قلتُ: وهَل دين الدَّولة المُنتمية إلىٰ الإسلام أَساسًا، تُخَالطها أَقليَّةٌ غير مُسلمةٍ، هَل في انْتِمائها إلىٰ الإسلام شيءٌ يَحتاج إلىٰ مُسَاومةٍ!

وقال (ص٤٧١): «وحيثُ نزَل أصحابُ الرَّأي الثَّاني إلىٰ المَيدان الصُّحُفيِّ الشَّعبيِّ يُدلُون بِآرَائِهم وحُجَجِهم، أصبَحَ مِن واجبِنا أن نُدْلِيَ بحُجَجنا وآرَائِنا، وأَن نُطلِعَ الرَّأيَ العامَّ علىٰ حقيقة فِكرتِنا، وأَنْ نُناقشَ أدلَّة المُخَالِفِينَ ونُفنِّدها، والأمرُ بَعد ذلك كلِّه للشَّعب، إِذْ هو مَصدر كلِّ سلطةٍ، وسِيَادتُهُ هي السِّيادةُ الحاكمةُ الَّتي تَتمثَّل في مَجلسِه التَّأسيسيِّ، وحُكُومته الدُّستوريَّة».

قلتُ: في هذا الكلَامَ تَأليهٌ للشَّعبِ حيثُ قال: «والأمرُ بعْد ذلك كلِّه للشَّعب»، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عِمران: ١٥٤].

وقوله: «وسيادتُهُ هي السِّيادة الحاكمة الَّتي تَتمثَّل في مجلسه التَّأسيسيِّ، وحكومته الدُّستوريَّة».

قلتُ: هذه فِكرةٌ شُيوعيَّةٌ؛ فَالشُّيوعيُّونَ هُمُ الَّذين يَقُولون: إنَّ الشَّعبَ هو مَصدر الحُكم، والدُّستورُ يُستمدُّ من رَغَباتِ الشُّعُوبِ، وإن كُنَّا نَعلمُ أنَّ هذه

حيلةٌ من مُؤسِّسي هذا الفِكْر، وكذبةٌ منهم يَضحكون بها علىٰ الشُّعوب، ثمَّ يَحكُمون الشُّعُوبَ بالحديدِ والنَّار، وقَد ظهَرتْ هذه الحيلةُ، وبَدَأت تنكشفُ أمامَ كلِّ ذي عَينَين.

وقد تبيَّن من هذا أنَّ هذا الكلامَ مُستمدٌّ من الفِكرِ الشُّيوعيِّ، أمَّا الشَّريعةُ الإسلاميَّة الحَقَّة فهي تُقرِّر أنَّ اللهَ خالقُ العبادِ ورَازِقهم، وإليه الحُكمُ فيهم؛ الحُكمُ القدريُّ الكونيُّ من إحياءٍ وإمَاتةٍ، ومرضٍ وصِحَّةٍ، وفقرٍ وَغِنًىٰ، وسعادةٍ وشقاوةٍ، والحكمُ الشَّرعيُّ الَّذي أنزلَهُ علىٰ ألسنةِ رُسلِه - صلواتُ الله عليهم وعلىٰ خاتَمهم مُحمَّدٍ ﷺ الَّذي أنزلَ عليه الكتاب المُهيمن علىٰ سَائِر الكتُبِ وهو القُرآنُ، وأَوحىٰ إليه السُّنَّةَ، ثُمَّ أَمَره باتِّباعِ ذلك، فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

وما هذا مِن الدُّكتور السِّباعيِّ إلَّا مُجاراةٌ لأَعداءِ الإسلام.

وَاسْمَع إليه يقول: «الدَّساتير تُعبِّر عن رَغائِبِ الشُّعُوبِ ومُمثِّليها في الإصلاحِ الَّذي يَلزمها... ».

إلىٰ أَن قال: «وسنذكرُ فيما بعْدُ أنَّ الدَّساتيرَ الرَّاقيةَ مِن شرقيَّةٍ وغربيَّةٍ قدْ نَصَّتْ علىٰ الدِّين في دُستورِها».



هل نحنُ بحاجةٍ إلى دساتيرَ؟

قلتُ: هل نحنُ المُسلمين في حاجةٍ إلىٰ دساتيرَ، وعندنا شَرعُ الله المُتمثِّل في الكتابِ والسُّنَّةِ؟

إنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مُسلمٍ أنْ يُذْعِنَ لحُكْمِ الله دون غيرِه، وإذا كان مَن طَلَبَ الحُكْمَ مِن غيرِ الله ورسولِه في مسألةٍ واحدةٍ مُعْتقدًا أنَّ حُكمَ غير الله أحسن مِن حُكمِه، كفَرَ، فكَيفَ بمَن نبَذَ شَرْعَ الله ورَاءَه، ورَأَىٰ أنَّه غيرُ كافٍ، وطلَبَ الحُكْمَ مِنَ القَانُونِ الَّذي هو زُبالةُ أَذهَانِ المَخلوقين الَّذين قَد فتَنَتْهُمُ الدُّنيا وشَهَواتُها، والعياذُ بالله؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

إنَّ الثَّناء علىٰ الدَّساتير ومَدْحها بأنَّها رَاقيةٌ، سواء كانتْ شرقيَّةً أو غَربيَّةً، إنَّه لَهُو الارْتِكَاسُ والانْتِكَاسُ[1].



(١) **الارتكاس**: الانقلابُ عن الجهة المحمودة، **والانتكاس**: الانقلاب علىٰ الرَّأس، **انظر**: «**النِّهاية في غريب الحديث**» لابن الأثير (٥/ ١١٥ المكتبة العلمية)، و«**لسان العرب**» لابن منظور (٢/ ٢٤١ صادر)، و«**تفسير غريب ما في الصَّحيحَين**» للحُميديِّ (١/ ٦٧ مكتبة السُّنَّة).

القواعد الدِّيمقراطيَّة

واسْمَع إلىٰ الدُّكتور السِّباعيِّ، يقولُ: «إنَّ القَوَاعِدَ المُتَّبعةَ في دَسَاتيرِ العَالَم، وأَنْظِمَةِ الأَحزابِ، ومُدَاولاتِ المَجَالِسِ النِّيابيَّةِ، بل في عُرف الدُّنيا جميعًا، أنَّ رأيَ الأكثريَّة هو المُتَّبع والمَعمول به».

قلتُ: إنَّ الواجبَ علىٰ العُلَماءِ أن يُعَرِّفوا النَّاسَ بربِّهم وَدِينِهم وَعَقِيدَتِهم، ويُبيِّنوا لَهُم أنَّ شَرعَ الله هو الَّذي يجبُ أن يُحكَّم دون الدَّساتيرِ المُستوردة من الكُفَّار؛ سواء كانوا شَرْقيِّين أو غَربيِّين، يهودًا أو نَصَارىٰ، أو شُيوعيِّين، وإنْ لَم يَفْعلوا فَقَد تَركوا دِينَهم، وَجَارَوْا مَن لا يُؤمِنُ باللهِ، ولا بِكُتُبِهِ، ولا بِرُسلِه، ولا باليومِ الآخر.

وإنَّ مُجاراةَ مَن يَعلمُ لِمَن لا يَعلم، ومُتَابعتَه علىٰ البَاطِلِ، إهدارٌ للدِّين، ورَمْيٌ له في سَلَّةِ المُهْملاتِ، فإلَىٰ الله نَشْكُو ما حلَّ بالإسلامِ من أَهلهِ، بَل مِمَّن يَزْعمونَ أنَّهم من دُعاتِه، وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ.

وقال في (ص ٤٧٥) مِن مجلَّة «حضَارة الإسلام» تحت عنوان: «السِّباعي ومعركة الدّستور»: «يَتَّضح مِمَّا قرأناه لرُؤسَاء المَسِيحيَّة، ومِمَّا سمِعناهُ أنَّ اعْتِراضَهم يَنصَبُّ علىٰ ناحيتَين اثنتَينِ:

أوَّلًا: أنَّ مَعنىٰ دِين الدَّولة الإسلام، وأنَّ أحكامَ الإسلام ستُطبَّق علىٰ المُسلمينَ والمسيحيِّين، ولمَّا كانتْ للمَسيحيِّين عقائدُ، وأَحكامٌ، وأَحوالٌ شَخصيَّةٌ عن دين الإسلام، فكيفَ يُجبَرون علىٰ دين الإسلام؟!

(قال): وهذا الفهْمُ خاطئٌ من نوَاحٍ عدَّةٍ، أهمُّها: أنَّ الإسلامَ يَحترمُ المسيحيَّة كدينٍ سماويٍّ، ويَتْرك لأهلِهَا حريَّةَ العقيدَة والعِبادة دون أن يَتدخَّلَ في شُؤونِهم، أمَّا أحوالُهم الشَّخصيَّة فلا يَتعرَّض لها بحالٍ، ولا يُمكن أن يُطبِّق عليهم أيَّ حُكمٍ مِن الأحكامِ الَّتي تُخالفُ شَريعَتهم، أو تَقاليدَهم.

إلىٰ أنْ قالَ: ويَترتَّب علىٰ ذلكَ أنَّه مع احترامِ الإسْلامِ لِكلِّ ما ذَكرْناه، فنحنُ لم نكْتفِ بذِكر هذه الأشياء في الدُّستور، بل اقْترَحْنا أن تَنصَّ علىٰ احترامِ الأديانِ السَّماويَّة وقُدسيَّتها، واحترامِ الأحوالِ الشَّخصيَّة للطَّوائفِ الدِّينيَّة، فكيفَ يَخطرُ في البالِ أنَّ هناك خطَرًا علىٰ عقيدةِ المسيحيِّين وأحوالِهم الشَّخصيَّة». اهـ.

قلتُ: لو أنَّ الدُّكتورَ السِّباعيَّ قال: «هذا ما قرَّرناه في الدُّستور»، لكَانَ هذا أمْرًا هيِّنًا، ولَمْ نعن أنفسنا بالرَّدِّ عليه، ولا بالنَّظَرِ فيه أَصْلًا، ولكن الدُّكتور يَزعمُ بأنَّه يَتكلَّم عن الإسلامِ، ويُبيِّنُ أحكامَه؛ ولِذلكَ فإنَّ الواجبَ علينا أنْ نُبيِّنَ خطأَه في هذه الأحكامِ الَّتي نَسبَها إلىٰ الإسلامِ، والإسلامُ براءٌ منها.



هل النَّصرانيَّة المُحرَّفة دينٌ سماويٌّ؟

وأقولُ: إنَّ قولَ الدُّكتور: «إنَّ الإسلامَ يَحترمُ المسيحيَّة كدينٍ سَمَاويٍّ، ويَتْرُكُ لأَهلِها حُريَّةَ العقيدةِ والعبادةِ». اهـ.

أقولُ: قَوْل الدكتور هذا يَقْضي أنَّ الإسلامَ أقرَّ النَّصرانيَّة المُحرَّفة علىٰ ما هي عليه، ولم يَتعرَّض لها بنقْدٍ، ولا تَجْرِيحٍ، وهذا الزَّعم باطلٌ، نَشأ عنْ جهلٍ، أَو مُغَالطةٍ، فاللهُ تَعالىٰ قَد ذمَّ النَّصرانيَّة ذمًّا بليغًا في آياتٍ مُتعدِّدةٍ من كتابِه.

انظُر - مثلًا - إلىٰ الآية الرَّابعةِ عشر مِن سورة (المائدة)، وهي قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

إلىٰ أن قال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله في آخر سورة (النِّساء): ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾

[النساء: ١٧١].

إلىٰ غَيرِ ذلك من الآياتِ المُصرِّحة بكُفرِهم، وبالإنكارِ عليهم.

ثانيًا: مَن قالَ إنَّ النَّصرانيَّة المُطبَّقة الآن، السَّائدة عند النَّصارىٰ دينٌ سماويٌّ مُحترمٌ، فقَدْ كذَبَ وافترىٰ علىٰ الله وعلىٰ الإسلامِ، وكفَرَ بهذه الآياتِ الَّتي بيَّنَ اللهُ فيها كفْرَهم، وبُطلان ما هُم عليه من التَّثليثِ، وتأليه عيسىٰ وأُمِّه مع الله.

ثالثًا: لو فُرِضَ أنَّ دينَ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة كانت قَبل شريعةِ مُحمَّدٍ ﷺ أَدْيانًا صحيحةً، ثمَّ نَزَلَتْ شريعةُ محمَّدٍ ﷺ فنسختْهَا، لم تكُن بعدَ ذلك صحيحةً، ولا مُحترمةً.

وقد دلَّ علىٰ ذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ لعُمَر بن الخطَّاب حينَ أتىٰ إليه بورقةٍ مِن التَّوراة لِيقرأَها علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فغضِبَ النَّبيُّ ﷺ غضَبًا شَدِيدًا، وقال: «**وَاللهِ، لَوْ كَانَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»[(١)].

مَا الَّذي يَلزمُ علىٰ حرِّيَّة العقيدةِ والعبادةِ؟

رابعًا: قوله: ويَتْرك لأَهْلِهَا حرِّيَّة العقيدةِ والعبادةِ.

أقولُ: هذه العبارةُ فيها تَجاوزٌ كبيرٌ؛ إِذْ ليس المُراد مِن حرِّيَّة العقيدة إلَّا أنَّه حرٌّ فيما يريدُ أن يعتقدَ مِن يهوديَّةٍ، أو نصرانيَّةٍ، أو مجوسيَّةٍ، أو وثنيَّةٍ، أو إِلحادٍ، أو غير ذلك، طليق فيما يشاء منها، يَأخُذُ ما يُريدُ، ويتركُ ما يُريدُ، فلا لَوْمَ عليه، ولا تعنيفَ، ولا يَجوزُ أن ينكر عليه أحدٌ، أو يقول له: أنتَ أخطأتَ، فَضلًا أن يَحكم عليه بحدٍّ أو تَعزيرٍ كما هو مُقتضىٰ هذه العبارة، أمَّا هَل قائلُ هذا القَول

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٧) (١٥١٩٥) مِن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (١٥٨٩).

بَنَىٰ قولَه علىٰ الدَّليل الصَّحيح الصَّريح، أم أنَّه بناهُ علىٰ مُجرَّد الهوىٰ أو التَّقليد للغير؟ فهذا ما سنراه إنْ شاء الله.

خامسًا: أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خالقُ الكونِ، وبَارئُ النَّسم، الَّذي بيَدِهِ الخَلْقُ والأَمرُ، تَبارَكَ اسمُه، وعزَّ سلطانُه، وتَعالَتْ صفاتُه، أن يُقاتَل أَهلُ الكتابِ حتَّىٰ يُعْطوا الجزيةَ عن يدٍ وهُم صَاغرون ذَليلونَ؛ قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التَّوبة: ٢٩].

قال القُرطبيُّ في «تفسيره» (ج ٨/ ١١٥): «﴿عَن يَدٖ﴾، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يَدْفعها بنفسِهِ غير مُسْتنيبٍ فيها أحدًا.

وروَىٰ أبُو البختري، عن سَلمان قال: مَذْمُومينَ.

وروَىٰ معمرٌ، عن قتادة: عن قَهْرٍ».

وقال في ص (١١٣): «إذَا أدَّىٰ أَهلُ الجِزْية جِزْيَتَهُم الَّتي ضُربتْ عليهم أو صُولِحُوا عليها، خُلِّي بينهم وبَينَ أَمْوَالِهم كلِّها، وبَينَ كُرُومِهِمْ وعَصْرها، ما سَتَروا خُمورَهُم، ولم يُعْلنوا بَيْعَها من مُسلمٍ، ومُنِعوا من إِظْهَارِ الخَمْر والخِنْزِيرِ في أسواقِ المُسلمينَ، فإن أظْهَروا شيئًا من ذَلِكَ، أُرِيقَتِ الخَمر عليهم، وأُدِّبَ مَن أظهرَ الخنزيرَ». اهـ.

قلتُ: فَدلَّ ذلكَ أنَّهم لَيسُوا أحرارًا، ولكنَّهم مُلْتزمون بشروط المُسلمينَ عليهم الَّتي اشْترطَها عليهم عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما سيأتي نَقْلُه.

فإنْ تَحاكَموا إلينا في شيءٍ ممَّا يُوجبُ الحُدودَ، حُكم عليهم بالحدِّ الَّذي في شريعةِ الإسلام، وفي «الصَّحيح» أنَّ النَّبيَّ ﷺ رجمَ يَهُودِيَّينِ زَنَيا، وقالَ في روايةٍ:

«اللَّهمَّ إنِّي أوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»[١].

فَتبيَّنَ من هذِهِ الإشارةِ أنَّ قولَه: «ويترك لأهْلها حريَّةَ العقيدةِ» قولٌ باطلٌ، لا دليلَ عليه.

وفي الصَّحيح أيضًا: أنَّ مُعاذ بن جبلٍ قَدِمَ علىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ، فوَجد عِندَهُ رجلًا مَرْبوطًا، أو قالَ: مُوثَّقًا، فقالَ معاذٌ: ما شأنُهُ؟ قال أَبُو مُوسَىٰ الأشعريُّ: «هذا كَانَ يَهُوديًا فأَسْلَمَ، ثمَّ رَاجَعَ دِينَهُ السّوءَ»، فقالَ مُعَاذُ بن جبلٍ: «وَاللهِ، لا أَنْزِلُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ، قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ»[٢].

فتبيَّنَ بأنَّه إذا دَخل في الإسلام، ثمَّ تَركه، وَارْتدَّ إلىٰ دينِه الأوَّل فإنَّه يُقتَل، ولا تُقبَل منه جِزيةٌ ولا غَيرها، ولَوِ افتدَىٰ بجميعِ مالِه، وهذا يَتنافىٰ مع الحُرِّيَّةِ الَّتي زَعَمها السّباعي.

ولستُ أريدُ التَّقصِّي في بَحث هذا المَوضُوع، وإنَّما أردتُ بَيانَ بُطلانِ ما ذَهَبَ إليهِ الإخوانُ المُسلمونَ في حُكمِ الأَقباطِ، وأنَّهم لم يَرجعُوا في أقوالِهم هذه إلىٰ كتابٍ ولا سُنَّةٍ، وإنَّما قَلَّد بَعضُهم بَعضًا في هذه التَّجاوزاتِ، والأخيرُ يزيدُ علىٰ الأوَّل حتَّىٰ حكمَ بَعضُهم لليهود والنَّصارىٰ بدُخولِ الجنَّةِ كما سيأتي.



(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٣٤١) ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي بُردةَ عن أبيه رضي الله عنه.

تجاوزات الإخوان تعطيل للشَّريعة

ولقد كَتَبَ لِي شيخٌ مِن بلَدٍ عربيٍّ مُجَاورٍ، وهو مِن أصحابِ الغَيرةِ علىٰ الإسلامِ والاستقامةِ عليه، كذلك أَحسبُه، واللهُ حسيبُنَا جميعًا، قال: ظهَر علىٰ التِّليفزيون الأمريكيِّ أحدُ كِبارِ زُعماءِ من يُسمَّون باتِّحاد الطَّلبَةِ المُسلمين في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة في لِقَاءٍ مع مذيعٍ يهوديٍّ.

سأَلَ اليهوديُّ الزَّعيمَ المُسلِمَ عن اعْتِقَادِ المُسلِمِينَ بأنَّ المُسلِمَ وَحْده هو الَّذي يَدخلُ الجنَّةَ، وهُوَ المُؤمن، أمَّا غَيرهم من اليَهُودِ والنَّصَارىٰ فهم كُفَّارٌ، لا يَدخلونَ الجنَّة، فأجَابَ الزَّعِيمُ بغضَبٍ قائلًا: هذا جهلٌ، ولا يقوله إلَّا الجُهَّال، ثمَّ قال: نحن نعتقد أنَّ اليهوديَّ والنَّصرانيَّ وكلَّ مَن يسيرُ علىٰ دينٍ ويَستقيمُ عَليه مُؤمنٌ، ويَدخل الجنَّة. اهـ.

قلتُ: يا لها مِن فِريةٍ، ما أَعظَمها! وقد قال أهلُ العلمِ: مَن لَم يُكفِّر الكفَّارَ فهو كافرٌ.

ومِمَّا كتَبَ به إليَّ ذلك الشَّيخ الغَيورِ - حفظه الله ووَفَّقه - وهو يَعملُ مُدرِّسًا في دولتِه، قال: الحمدُ للهِ، وَصَلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ، وبَعد:

ففي عام (١٤٠٧هـ) دُعِينا إلىٰ مُؤتمرٍ للإخوانِ المسلمينَ في بلدة (Tobago) بأَمريكا الوُسطىٰ، وكانَ مُنظِّمو المُؤتمر جَمعيَّة (IFSO)، وهيَ فرعٌ من اتِّحاد الطَّلبَة المسلمين في الولايات المُتَّحدة وكندا، وبطَلَبٍ من مُنسِّقِ برنامج المُؤتمر، بَدأَ الضُّيوفُ بِتقديمِ كلماتِهم، وكان أوَّل مَن تكلَّم وزيرًا من البلدةِ الَّتي

اسْتَضافَتِ المُؤتمر، وكان الوزيرُ قسِّيسًا.

وكان مَضمُون كلمة الوزيرِ بعد ثَناءٍ مُوجَزٍ علىٰ مُنظِّمي المُؤتمر كلامًا حَول التَّثليثِ عند النَّصارىٰ، وكان يَشرحُ بِانبساطٍ وَافتخارٍ معنىٰ التَّثليث أمامَ الجُمهور مِن عامَّة المسلمينَ هناك، وتَضمَّنت كلمتُه الحثَّ علىٰ الأُخوَّةِ بين أهلِ الأديان، والعمَل لأجلِ مُحاربةِ الفسادِ كما زعَم.

وعندما انْتَهَىٰ القِسِّيسُ، تَقدَّم مُنسِّق المُؤتمر (س. س)، وأَثنىٰ علىٰ كلمة القِسِّيس، وقال: إنَّ القسِّيسَ بِكلمتِه المختصرة بَيَّنَ رُوحَ الإسلامِ، ولم يَحِدْ عنه ولو قليلًا.

ولمَّا انتهتْ كلماتُ الضُّيُوف، طلَب منِّي المُنسِّقُ أن أَدعَو بدُعاءٍ أَختمُ به، ولم أَقبَل إلَّا لأجلِ التَّنبيه علىٰ كلمةِ القِسِّيس، وثناء المُنسِّق عليها، ولكن ما إِن بدأتُ أتكلَّم عن بُطلان ما قاله القِسِّيسُ، حتَّىٰ جاءتني الورقةُ تِلْوَ الأُخرىٰ مِن المُنسِّق يَدْعوني لأن أقطعَ كلامِي فورًا، وأدْعوَ، ولَم أَعبَأ به، وللهِ الحَمدُ، وأَنْهيتُ كلامي، ودَعوتُ دُعاءً مُقْتضبًا، ثمَّ جلستُ.

واتِّحادُ الطَّلَبة المُسلمين افْتَتَحَ مُؤتَمره العامّ بمدينة «إنديانا بولس» في العام الَّذي قَبْله بكلمةِ مُرَشح الرِّئاسة الأمريكيَّة القس جيسي جاكسون (Jesse Jackson)، وهذان مثَلانِ فقط، وإلَّا فالأمرُ صار سياسةً جديدةً لهم في الغرب، هدانا اللهُ وإيَّاهم سواءَ السَّبيل، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم.

وكتبه/ ع م ف - في ١٣/ ١٠/ ١٤١٧هـ



فصلٌ

وأَخِيرًا، أَترىٰ قَولَ هؤلاء وتَصرُّفاتهم قولَ مَن يتّبع الحقَّ، ويَدْعو إليه، أم هُوَ العكس؟ !

لقَد بلَغ بهم التَّهوُّرُ إلىٰ أَنْ حكَمُوا لليهود والنَّصارىٰ بدُخولِ الجنَّةِ، ومِن لَازم ذلك صِحَّةُ دينِهم، ومِن لَازم القولِ بِصحَّةِ دِينِهم، والقَول بدخولِهم الجنَّةَ: تكذيبُ الله عَزَّوَجَلَّ في خبَرِه؛ قال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النِّساء: ١٦٠ - ١٦٢].

وفي الآيَةِ الأُولَىٰ أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه حَرَّمَ علىٰ بَنِي إِسرائيلَ طيِّباتٍ أُحِلَّت لهم بِسببِ ذُنوبٍ ارْتكبُوها، أَعظمُها الصَّدُّ عن سبيلِ الله، وأَخْذ الرِّبا، وقد نُهوا عنه، وأَكْل أَموالِ النَّاسِ بالباطلِ، هذه عقوبةٌ دُنيويَّةٌ، ثمَّ قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فسمَّاهُم كافرينَ، وَأَخبر أنَّه أَعَدَّ وهيَّأَ لهُم في نارِ جهنَّم عذابًا أليمًا، أي: مُؤلِمًا مبرحًا شاقًّا، والعياذ بالله.

ثمَّ استثنَىٰ الرَّاسخينَ في العِلمِ مِنهم، والمُؤمنينَ بالله ومَا أَنزل علىٰ أنبيائِه قَبلَ مُحمَّدٍ، وما نَزلَ علىٰ مُحمَّدٍ - صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعينَ -، وَالمؤمنين باليوم الآخر، وأَخبرَ أنَّه سَيُؤتيهم أَجْرًا عظيمًا في الجنَّة.

وهذه الآيةُ نزَلت في الَّذين آمَنُوا بالنَّبيِّ ﷺ وتابعُوه، وهي شامِلةٌ لمَن آمنَ منهم بما ذكر قبل نَسْخ شرائعِهم، فمَن زعَم أنَّها شاملةٌ لمَن جاءَ مِنهم بَعْدَ نَسخِ شرائعِهم، فقدِ افْترىٰ عَلَىٰ الله أعظمَ الفِرىٰ، وكفَر بِمَا جاءَ به النَّبيُّ المُصطفَىٰ ﷺ.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أُنزلتْ - يعني: هذه الآيةَ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ [النِّساء: ١٦٢]، في عبدِ الله بن سَلام، وثَعْلبة بن سَعْيَة، وأسد وزيد بن سَعية، وأسَد بن عُبَيد؛ الَّذين دخلُوا في الإسلامِ، وصدَّقوا بِما أرسَلَ اللهُ به مُحمَّدًا ﷺ»[1]. اهـ.



(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٦٨).

فصل

ومَن زعَمَ أنَّ النَّصارىٰ القائلينَ بالتَّثليثِ، وَالمُؤلِّهينَ لِعيسَىٰ ابنِ مريم - عليه الصَّلاة والسَّلام - وأُمِّه البتُول الصِّدِّيقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، والَّذين يَنْسبُونَ إلىٰ الله - عزَّ وجلَّ وتَعَالىٰ وتَقدَّس - الولدَ، مَن زعَم أنَّ أَصحابَ هذه العقائدِ علىٰ دينٍ صحيح يَرْضاه الله، ويُدخلُ أهلَه الجنَّةَ، فقدْ كذَب، وافترَىٰ، وأعظمَ علىٰ الله الفِرَىٰ[1]، وكفَر بما أُنزِلَ علىٰ مُحمَّد بن عبد الله النَّبيِّ الهاشميِّ ﷺ، بل إنَّه بعد بعثةِ مُحمَّدٍ ﷺ مَنْ لَمْ يَتَّبعه فهُو كافرٌ مِن أيِّ دِينٍ كان.

وأخيرًا: فإنِّي أَرَىٰ أنَّ الدُّكتور السِّباعيّ هو الَّذي وضَع بُذورَ المُساواةِ بين المُسلمينَ والنَّصارىٰ حين وَضعَ الدُّستورَ السُّوريَّ، وكانَ هو الرَّجل المَنْظور إليه في اللَّجْنة، ثمَّ تَنامىٰ هذا الموضوعُ عند الإخْوانيِّين حتَّىٰ سَوَّوا النَّصارىٰ بالمُسلمينَ في صِحَّة الدِّين، وفي دخولِ الجنَّةِ، هذا ما يَظْهر لي، وهو لَيسَ ببعيدٍ عن الحقيقةِ.

فَاسْمَعْ إليه يَقُولُ في (ص٤٧٦) من مجلَّة: «حضارة الإسلام» في مَعرض الرَّدِّ علىٰ مَن زعَم من المسيحيِّين أنَّه إذا نصَّ الدُّستُور علىٰ أنَّ دينَ الدَّولةِ هُوَ الإسلامُ، فإنَّ ذلكَ يُؤدِّي إلىٰ العَداءِ للنَّصارىٰ ودِينِهم، وَانْتقاص حُقوقِهم، والنَّظَر إليهم نَظرًا يَختلفُ عن أَتباع الدِّين الرَّسميِّ، فقال: «وهذا خطأٌ بالغٌ أيضًا، فليسَ الإسلامُ دينًا مُعَاديًا للنَّصرانيَّة حتَّىٰ يكونَ النَّصُّ عليه عداء لها، بل

---

(١) الفرىٰ: جمع الفرية، وهي الكذب المختلق.

هو مُعْترفٌ بها، ومُقدَّسٌ لسيِّدنا المسيح عليه السلام». اهـ.

قلتُ: النَّصرانيَّة المَوجودةُ الآن علىٰ السَّاحةِ غَيْرُ الدِّين الَّذي جاء به المسيحُ عليه السلام، فالمسيحُ جاء بالتَّوحيدِ، قال تعالىٰ عنه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - أنَّه قالَ لقومِه بني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

ودينُ النَّصرانيَّةِ الموجودة الآن مُخالفٌ لِدينِ المسيحِ عليه السلام، بَعيدٌ عنه كلَّ البُعد، ومَن اعْترَفَ بدين التَّثليث وتَأليهِ المسيح وأمِّه، وزَعَم أنَّ الإسلامَ يَحترمُ هذا الدِّينَ، ويَعترفُ به، ويَراه حقًّا وصوابًا، فإنَّهُ ضالٌّ مُضلٌّ كاذبٌ مُفْترٍ علىٰ الله، وعلىٰ رَسولِه، وعلىٰ الدِّين الإسلاميِّ.

وأمَّا المسيحُ عيسىٰ ابن مريم الصِّدِّيقة البَتول، فإنَّ تَعْظيمَه وإجلالَهُ وتَوقيرَهُ واجبٌ؛ لأنَّه نبيٌّ مُرسلٌ من أُولي العزْم، ولا يَرتبط الإيمانُ به بالإيمانِ بالنَّصرانيَّةِ المَوجودةِ المَبنيَّةِ علىٰ الوثنيَّةِ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١١٦ - ١٢٠].

وَمِن هُنا نَعلم أنَّ شَرِيعَة التَّثليثِ، وَشَريعَة النُّبوَّة، والتَّأليه لِعيسَىٰ عليه السلام وأُمِّه،

أنَّ هذه العقائدَ عقائدُ كُفريَّةٌ وَثنيَّةٌ، لا تمُتُّ إلىٰ دين عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصلةٍ، فمَن زعَم أنَّ الإيمانَ بها مُرتبطٌ بالإيمانِ بعيسىٰ، أو أنَّ الإيمانَ بِعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُرتبطٌ بتلكَ العقائدِ الضَّالَّةِ، فهو ضالٌّ مُضلٌّ كافرٌ باللهِ وشرائعِه ورُسلِه مِن حقِّه أنْ يُستتابَ، فإنْ تابَ وإلَّا قُتلَ كافرًا مُرتدًّا.



فصلٌ

وأخيرًا: فإنِّي سَأَخْتِمُ بكتابة الفقراتِ الَّتي نصَّ عليها الدُّكتور السِّباعيّ في الدُّستور، وقال في نفْس الصَّفحة (٤٧٦) من «حضارة الإسلام»: «وإنِّي سأَضَعُ أمامَ القُرَّاءِ وأمامَ أبناءِ الشَّعبِ جميعًا نصَّ المادَّة المُقْترحةَ في هذا الشَّأنِ، لِيرَوْا بعد ذلكَ أيَّ خَوْفٍ منها، وأيَّ غَبْنٍ يَلحق بالمَسِيحيَّةِ فيها.

١ - الإسلامُ دينُ الدَّولةِ.

٢ - الأَدْيان السَّماويَّةُ مُحْترمةٌ ومُقدَّسةٌ.

٣ - المُوَاطِنُونَ مُتساوُونَ في الحقوقِ، ولا يُحالُ بين مُواطنٍ وبَين الوُصولِ إلىٰ أعلىٰ مَناصب الدَّولة بِسبَبِ الدِّينِ، أو الجنْسِ، أو اللُّغةِ». اهـ.

وقال الدُّكتور السِّباعيُّ ردًّا علىٰ العلمانيِّين الَّذين يَعْتقدُون بأنَّه إذا نُصَّ في الدُّستور علىٰ أنَّ دينَ الدَّولة: الإسلام، بأنَّ ذلكَ سيَجعلُ رجالَ الدِّين يُسيِّرون أُمُورَ الدَّولةِ، فقال: «ونحنُ نُجِيبُهم بأنَّ النَّصَّ علىٰ دينِ الدَّولةِ: الإسلام، ليس معناه أن يُسيِّر رجالُ الدِّين أمورَ الدَّولَة».

إلىٰ أَن قال: «وأَعُودُ فأَقُولُ لِهَؤُلَاءِ: إنَّ البُعْبُعَ الَّذي يُخوِّفون به بَعضَ المُثقَّفين من أنَّ النَّصَّ علىٰ الإسلامِ دينًا للدَّولة يَجعل لِرجال الدِّين الكلمةَ الأُولَىٰ في البلادِ، هو بُعْبُعٌ لا يُخِيفُ إلَّا مَن خيَّم الوهمُ الباطلُ علىٰ عُقولِهم، فليسَ في الإسلام رِجالُ دينٍ تكونُ لهم الكلمةُ العُليا.

ونحن لا نُريدُ بهذَا النَّصِّ أن نُلغيَ البرلَمان، ونَطرد مُمثِّلي الأُمَّةِ، ونُلغي

القوانينَ كُلِّيًّا، كُونوُا مُطْمئنِّينَ، فَسيظلُّ كلُّ شيءٍ علىٰ حالِه، سَيبقىٰ مَجلسُنا ونُوَّابنا، وقوانيننا، وأَنظمتُنا، ولكن مع سمُوِّ الرُّوح، ونظافةِ اليدِ، واستقامةِ الأخلاقِ، وعَيْش الإنسانِ الكريمِ». اهـ. من مجلَّة «حضارة الإسلام» (ص٣٧٩) بعنوان: «السِّباعيُّ ومعركة الدُّستور».



الرَّدُّ على السِّباعيِّ

وأقولُ: إنَّ كَلَام السِّباعيِّ هذا خطيرٌ وخطيرٌ جدًّا، إنْ لَمْ يكن أَخْرَجَهُ من الإسلام، فإنَّه قَد أَوْبَقَه وأَوقَعَهُ في إثمٍ عَظيمٍ؛ ذلك لأنَّ تَسميتَهُ لِرجالِ الدِّين بُعْبُعًا يَدلُّ علىٰ اسْتخفافِهِ بِرجالِ الدِّين وسُخْريتِه مِنهم، فاللهُ حسيبُه.

وإنَّ السُّخريةَ مِن رجالِ الدِّين، والاستخفافَ بِهِم، رِدَّةٌ عن الإسلامِ، وكفرٌ به، والعياذُ بالله.

ثانيًا: قوله: «ونحنُ لا نُريدُ بهذَا النَّصِّ أَن نُلْغِي البَرْلَمَانَ، ونَطْرُدَ مُمثِّلي الأُمَّةِ، ونَمْحُوَ القَوانِينَ كُلِّيًا، كُونُوا مُطمئنِّين».

قلت: وإِذَا كَان القَصْدُ من دين الدَّولة: الإسلام، هو أَن يُوضَع في رَأسِ القَائِمَةِ إِسْكَاتًا للمُسلِمينَ الَّذين يُطالبونَ بحُكمِ الإسلامِ، ثمَّ تُوضَعُ تحتَه القَوانين؛ شَرقيَّةً أَو غربيَّةً، فهذا نِفاقٌ، وحُكْمٌ بغَير ما أَنزلَ اللهُ.

ثالثًا: إنَّ مَن يَحكُمُ بالقانون بدلًا عن الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ مُعْتقدًا صلاحيَّته للمُجتمعِ، وملاءَمَته للزَّمنِ أَكثر من الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، فقدْ كفَر بالشَّريعةِ الإسلاميَّةِ المُنزَّلةِ مِن ربِّ الأَرضِ والسَّماءِ، ولا يَنْفعُه أَنْ يَكتُبَ في رأس القائمة: دينُ الدَّولة: الإسلامُ.

رابعًا: أمَّا مَن فعَل ذلك رَغْبةً أو رَهبةً لِضُغوطٍ خارجيَّةٍ مع اعتقادِه في قرارةِ قلبِه أنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ هي الحقُّ، وما سِواهَا باطلٌ، فهو فاسقٌ ناقصُ الإيمانِ، ولا يُحكمُ عليه بالكُفر المُخرجِ من المِلَّةِ، إلَّا أنَّ كلامَ السِّباعيِّ يدلُّ أنَّه فعَل ذلك

مُخْتارًا، وذلك يَبعث الشَّكَّ والرِّيبةَ في مَوقِفِه من الإسلامِ، فاللهُ المُستعانُ.

خامسًا: قولُه: «سَيَبْقى لنا مَجلسنا، ونُوَّابنا، وقَوانِيننا، وأَنظِمتنا، ولكن مع سُمُوِّ الرُّوح، ونَظَافةِ اليَدِ، وَاسْتِقَامةِ الأخلاقِ».

وأقولُ: هَيْهاتَ! يَأْبَىٰ اللهُ أن يكونَ ذلك إلَّا في ظِلِّ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ الحقَّةِ المُنزَّلةِ من عنده تَعالىٰ علىٰ رسولِه وخِيرَتِه من خلْقِهِ مُحمَّد بن عبد الله، صلواتُ الله وسلامُه عليه، أمَّا بدون الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، فلا سُمُوَّ للرُّوح، ولا نظافةَ لليَدِ، ولا اسْتقامةَ للأَخلاقِ، وَالتَّجربةُ خيرُ شَاهِدٍ.

ثمَّ قال: «هذا مع العِلمِ بأنَّ مسألةَ التَّشريعِ غير مسألة دين الدَّولة، فلَيس لوَضْع دِين الدَّولة من غَرَضٍ إلَّا بِصَبْغ الدَّولة بصِبغَةٍ رُوحيَّةٍ، خلُقيَّةٍ، تَجْعل النُّظُمَ والقوانينَ مُنفَّذةً من الشَّعب بِوازِعٍ نَفسيٍّ خلُقيٍّ، ومن أَغراضِ هذه المادَّة: تَقْوية الصِّلات بَيننا وبَين إِخواننا العرب، والتَّعاون بيننا وبين الشَّرقِ الإسلاميِّ».

وأقول: هذا هُوَ النِّفاقُ بعينِه، وهُوَ اسْتِخدامُ الدِّينِ لأغراضٍ دُنيويَّةٍ، إنَّ المُنافقينَ الَّذين كانوا في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ كانت هذه هي أَغراضُهم، وهو اسْتِخْدَامُ الدِّين لأغراضٍ دُنيويَّةٍ.

لقد أَوضحَ الدكتور السّباعي أنَّ المقصدَ مِن جعْلِ دين الدَّولة الإسلام ليس العمل بتعاليمِ الدِّين، وتحكيم شريعتِه، وجعْله نِبْراسًا يُحتذىٰ، وقُدوةً يُقتَدىٰ، ونموذجَ هِدايةٍ يُتَّبعُ.

فقَد طَمأنَ الَّذين يريدون مَحْوَ كلِّ أثرٍ للدِّين، وإِلْغاءَ كلِّ سلطةٍ له ولأهلِه، بقولِهِ: «ونحن لا نُريدُ بهذا النَّصِّ أَنْ نُلغيَ البرلمانَ، ونَطرُد مُمثِّلي الأُمَّة، ونَمْحوَ القوانينَ كلِّيًّا، كُونُوا مُطْمَئِنِّين، فسَيَظلُّ كلُّ شيءٍ علىٰ حالِهِ».

بَلْ أرادَ زعيمُ الإخوان المُسلمين في سوريا ومُرشدهم أن يُبيِّن للعلمانيِّين والبَعثيِّين بأنَّه أعظمُ مِنهُم دهاءً وخُبثًا ومكرًا بالدِّين وأهل الدِّين، ومَن يُريدُونَ الدِّين فسيقْنعُ مَن يُريدون الدِّينَ بهذا العنوان: «دينُ الدَّولة الإسلامُ»، وسَيُنفِّذُ ما يُريدونَ مِن القوانين والتَّشريعات المدنيَّةِ من وراء ذلك.

وبِهذا تَعلمُ أنَّه قد أثْخنَ في الدِّينِ أكثر مِن أعدائِه المُتظاهرين بالعداوةِ له، ويَتبيَّن ذلك من قولِه: «وخُلاصة القول: إنَّنا لا نُريدُ انْقِلابًا في قوانيننا الحاليَّة، وإنَّما نُريد التَّقريب بينها في التَّشريعات المدنيَّة وبينَ نَظريَّات الإسلام المُوافِقة لرُوح العصْرِ، ولأَصْدقِ النَّظرياتِ الحُقُوقيَّةِ السَّائدة فيه، فإذا اتَّفق التَّشريعُ الإسلاميُّ مع النَّظرياتِ الحديثةِ، فهَل تجدُونَ حرَجًا في الأَخْذِ به تُراثًا قوميًّا عربيًّا تَعْتزُّون به وتفاخرون».

فَانْظُر إلىٰ كلامِه، تَجِد أنَّه لا يَمتُّ لرُوح الإسلام بِصلةٍ، إنَّ كلامَه لا يدلُّ علىٰ أنَّ الإسلامَ دينٌ سماويٌّ وتشريعٌ إلهيٌّ، ضَمِنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لمَن أَخذه بإيمانٍ، واتَّبَع تَعاليمَه بإخلاصِ العِزَّةَ في الدِّين، والسَّعادةَ في الآخرة، بل سمَّىٰ تَشْريعاتِه وتَعاليمَه نَظريَّاتٍ، وسمَّىٰ القوانينَ المدنيَّةَ تشريعاتٍ، وقَرَّر الأَخْذَ بما وافق من نَظريَّاتِ الإسلامِ والتَّشريعاتِ المُنزلَّةِ من السَّماء ودين الرَّسول مُحمَّدٍ ﷺ بقوانينِ الأَرض، وحُثالةِ الأَذهانِ؛ لأنَّه إذا قَرَّر الأَخْذَ بما وَافَق القوانينَ من تَعاليمِ الإسلام فقدْ جعَل القوانينَ أَكْملَ مِن تعاليمِ الإسلامِ الَّتي نَزَلتْ مِن السَّماءِ، وهذا مِن أَعْظمِ الكُفر بِتعاليمِ السَّماءِ ودين الرَّسولِ ﷺ، بَل إنَّ مَن جعَل شَريعةَ اللهِ مُساويةً للقوانين، كفَر كُفْرًا اعْتقاديًّا يُخرِجُه مِن الملَّةِ، ويَجْعلهُ مُخلَّدًا في النَّار.

وقَد عدَّ الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك نَاقِضًا من نواقضِ الإسلامِ، فقالَ: «الرَّابع من نَوَاقِض الإسلام: مَنِ اعْتَقَدَ أنَّ غير هَدْي النَّبيِّ ﷺ أَكْمَلُ من هَدْيِه، أو أنَّ حُكْمَ غَيرِه أَحسنُ مِن حُكمِه كالَّذي يُفضِّل حُكْمَ الطَّواغيتِ علىٰ حُكْمِه».

قلتُ: والأدلَّةُ علىٰ كُفْرِ مَنِ اعْتقَد هذا الاعتقادَ كثيرةٌ في كتاب اللهِ، وفي سُنَّةِ رسولِه ﷺ، مِنْها:

قولُ الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣]، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النّساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ [النُّور: ٤٧ - ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١]، وقال سُبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النَّجم: ١ - ٥].

ومِمَّا سبَقَ تَعلمُ أنَّ كلامَ الدُّكتور السِّباعي أَوْقَعه في ورطةٍ عظيمةٍ تُخرِجُ مِنَ الإسلام، وتُرْدِي قائلَها في نارِ جهنَّمَ إنْ لم يكُن تابَ قبْلَ موتِه بتفضيلِه للقوانينِ الوَضْعيَّةِ علىٰ شريعة الله العليمِ الحكيمِ.

فتأمَّلْ ما قالَه في المَقْطعَين السَّابقَين.

وتأمَّل الآياتِ القرآنيَّةَ الَّتي تأمر باتِّباع الشَّريعة المُمثَّلة في الكتابِ وصحيحِ السُّنَّةِ.

وتأمَّل ما قاله أَهلُ العلمِ فيما يُوجبُ الرِّدَّة ويَنْقضُ الإسلامَ، تَرىٰ الحقيقة ماثلةً كفلق الصُّبح، ولا يهولنَّك أمرٌ أن تَحْكُمَ علىٰ شَخصٍ بما سَطَّرَت يَدَاه، أو لَفَظَه لسانُه مهْمَا نُسج حَوْله من هالاتِ التَّقديس إلَّا أنْ تكونَ مجلَّة «حضارة الإسلام» السُّوريَّة قَد نَسبَت إليه هذا المقالَ زُورًا وبُهْتَانًا، وزَوَّرت اسْمَه ظلمًا وعدوانًا، ولا إخال ذلك يكون.

بل قد جاء في نهاية المَقال المُعنوَن بعنوان: «السِّباعيِّ ومعركة الدُّستور»، دمشق ٢١ ربيع الثَّاني ١٣٦٩هـ، الموافق ٨ شُباط ١٩٥٠م.

وبِذلكَ تَعْلمُ أنَّ هذا قَولُ لسانِه، ونسجُ ذهنِه، وكتابةُ قلمِه، لم يَظلمْه به أحدٌ، ولا زَوَّره عليه مُزوِّرٌ، فقَد كتب هذا قبل حوالي ٤٧ سنة، ونشر في حياتِه، ولم يُنكرْه، وما زالَ مَنشورًا مِن ذلك الزَّمان إلىٰ الآن.

وَاسْمَعْ إليه يَقُول في (ص٤٧٩) من مجلَّة «حضارة الإسلام»: «ويَعْترض بعضُ الحُقُوقيِّين بأنَّ جَعْلَ دين الدَّولة: الإسلام: يُلْغي القوانينَ الحاليَّة، ويَضطرُّنا إلىٰ تَنْفيذِ الحُدودِ الإسلاميَّة مِنْ قَطْع يدِ السَّارق، وجَلْد الزَّاني. قال: وهذا قولٌ خَاطئٌ، فنحنُ لا نُفكِّر قَطعًا بِالدَّعوةِ إلىٰ تَنفيذِ الحُدودِ؛ لأنَّ الإسلامَ دينٌ كاملٌ، لا يَظهر صَلَاحُهُ إلَّا في مُجْتمعٍ كاملٍ، ومِنْ كَمَالِ المُجتمع أن يَشْبعَ كلُّ بطنٍ، ويَكْتسي كلُّ جِسمٍ، ويَتعلَّم كلُّ إنسانٍ، ويَكتفي كلُّ مواطنٍ، فإذا وَقَعتِ السَّرقةُ بَعد ذلك - مثلًا - وَقَعتْ شرًّا مَحْضًا، لا يُقْدِمُ عَلَيه إلَّا العَرِيقُونَ في الإجْرَامِ، وَالإسْلامُ يُريدُ أن يُرْهِبَ هَؤُلَاءِ». اهـ.

وأقول: يجب أن نُفكِّر: هل السُّرَّاقُ الَّذي قُطِعَت أَيدِيهم في عَهْدِ النُّبوَّة كَانُوا

كما وَصَفَ الدكتور، أم كانوا يأكُلُونَ الشَّعيرَ، ويَلْبَسُونَ الشَّعرَ؟!

إِلَىٰ أن قال: «أَمَّا الحُدُودُ الإسلاميَّة فَلَا تَسْتلزمها هٰذِهِ المادَّة بدليل أنَّ مصر والعراق وَضَعَتَا هٰذِهِ المادَّة في دُسْتُوريهما منذ رُبع قرنٍ، ولَم تُفكِّرا بإقامةِ الحُدُودِ الإسلاميَّة، هذا ما نُصرِّح به علنًا، لا مُجاملِينَ ولا مُوارِبِينَ». اهـ. من مجلَّة «حضارة الإسلام».

وأقول: إنَّ قول السِّباعيِّ: «فَنحنُ لا نُفكِّر قَطْعًا بالدَّعوة إلىٰ تَنْفيذِ الحُدُودِ»: نفيٌ حتَّىٰ لمُجرَّد التَّفكير في الدَّعوة إلىٰ تَنفيذِ الحُدُودِ، وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً علىٰ عَدَمِ رَغْبتِه في إقامة الحدودِ! ولستُ أدري كيف يتمُّ إسلامٌ بلا إقامةِ حدودٍ؟

إنَّ تَرْكَ الحدودِ مُصيبةٌ عَظِيمةٌ علىٰ المُسلمينَ، وجرحٌ كبيرٌ في إسلامِهِم، والحُكْمُ الشَّرعيُّ أنَّ مَن أَنْكرَ الحُدودَ كفَرَ، ومَن تركَها لا جَحْدًا لها لكِن نُزُولًا علىٰ رَغبة الكُفَّار، وَاسْتِرضاءً لهم، مع عِلمِه واعتقادِه أنَّ الحُدودَ الَّتي شرَعَها الله عَزَّوَجَلَّ هي الحقُّ، فهو فاسقٌ، آتٍ عَظِيمةً مِن العظائمِ، وكبيرةً مِن الكبائرِ.

وفي «الصَّحيحين» أنَّ قُريشًا لمَّا أَهَمَّهم شأنُ المَخْزوميَّة، قالوا: مَن يُكلِّمُ لنا رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنِها؟ قالوُا: ومَن يستطيعُ ذلكَ إلَّا أسامة بن زيد، حِبُّه وابنُ حِبِّه، فكلَّمه أُسامةُ، فغضِبَ غضَبًا شَدِيدًا، ثمَّ قالَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**».

ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «**يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** - وفي روايةٍ: **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1].

أخي المُسلم؛ تَأمَّلْ هذا النَّصَّ تَرَىٰ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ ضَلالًا وَهَلاكًا إِقامَةَ

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤٧٥)، ومسلمٌ (١٦٨٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الحَدِّ علىٰ الضَّعيفِ، وتَرْكَه علىٰ الشَّريفِ، فكَيْفَ بِمَنْ ترَكَ إقامةَ الحَدِّ فلَمْ يُقِمْه علىٰ شريفٍ أو وَضِيعٍ، وكيف بمَنْ لم يُفكِّر في إقامةِ الحُدودِ أصلًا حتَّىٰ ولا مُجرَّد تفكيرٍ - كما قال الدُّكتورُ السِّباعيُّ: «فنَحنُ لا نُفكِّر - قَطْعًا - بالدَّعوة إلىٰ تَنْفيذ حُدُودٍ».

وهكذا يُصرِّح أحدُ قَادَةِ الإخوانِ المسلمينَ بتَعْطِيلِ الحُدُودِ، وَهُمْ يَتظاهرُونَ بالمُطالبةِ بتَحْكِيمِ الشَّريعةِ، فأَينَ هُوَ تَحْكيمُ الشَّريعة من هذه التَّصريحاتِ؟ !

ترىٰ هَلْ بقي مع هذا من الاهْتِمَامِ بالإسلامِ شَيءٌ؟ ! إنَّا للهِ وإنَّا إلَيهِ رَاجِعُونَ.



فصل

جاء في جريدة «الحياة المصريَّة» بتاريخ السَّبت، ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٩٧م، المُوافق ٥ ذي الحجَّة ١٤١٧هـ، تَصْريحٌ لمُرْشد الإخوان المسلمين في مصر حاليًا مصطفىٰ مشهور، بعنوان: «أبناء الوطن مُسلمين ومَسيحيِّين مُتَساوُونَ في الحُقُوق والوَاجِبَاتِ»، وتحته مرشد الإخوان يُوضِّح الموقفَ من الأقبَاطِ، أي: مَوْقف جماعة الإخوان من الأَقباطِ.

ومِنَ النِّقاط الَّتي تَطرَّق إليها بالبيان - حسَب زعمه - قولُه ورأيُه في مسألةِ الجِزية يقومُ علىٰ أنَّها ضريبةٌ لِتولِّي المُسلمين الدِّفاعَ عن المَسيحيِّين بدلًا من الدِّفاع عن أَنفُسِهِم.

ثانيًا: ذكر في البيان أنَّ لَجْنةً من مُنظِّري الإخوان أَعدَّت بيانًا قام مشهورٌ بالتَّوقيع عليه، وبَعَثَ به إلىٰ الأهرام، يَقصدُ منه تصحيح المَوْقف، وَاعْتَذَرَ مَشْهُورٌ في بيانه أنَّ تصريحاتِه الأُولَىٰ نُشِرَت وبها تَشْويشٌ في المفاهيم، مُشِيرًا إلىٰ أنَّ تفسيرَ الآية القرآنيَّة الواردة في سورة (التَّوبة) بخُصُوصِ الجِزيةِ مُسْتقرٌّ علىٰ أنَّه خاصٌّ بمَنْ حاربَ الإسلامَ والمُسلمينَ.

وقال: «الإخوةُ المُوَاطنون الأَقباطُ في مصر يَخْرجون عن هذا النِّطاقِ بالكُلِّيَّةِ، ومُنذ أَجيالٍ مُتَلاحِقَةٍ، وجميعُ أهلِ مِصر يعيشون معًا مُوَاطِنِينَ مُتَساوِينَ في الحُقُوقِ والوَاجِبَاتِ».

قلتُ: ما كُنتُ أظنُّ أنَّ مُسلِمًا يَتلاعَبُ به الشَّيطانُ إلىٰ هَذَا الحدِّ، فيُفسِّر القرآنَ حسَب مِزاجِهِ ورَغْبتِهِ؛ فتَارةً يقول: إنَّ الجِزْيَةَ إنَّما جُعِلَت ضَرِيبةً مقابل حِمَاية المُسلمين لَهُم بدلًا عَن حِمَايَتِهم لأنفُسِهِم، وذَلِك يَعني أنَّهم إِذَا قَامُوا بِحِمَايَةِ أَنفُسِهِم سَقَطت عَنهم الجِزيةُ.

وتارةً يقول: إنَّ الجِزيةَ إنَّما فُرِضَت علىٰ مَن حَارَبَ الإسلامَ والمسلمينَ، وأقباطُ مِصر ليسوا كذلك، فلا تجبُ عليهم، وهذا قولٌ في كتاب الله بالرَّأْي الَّذي لا يَستندُ إلىٰ دَليلٍ، ويَظهر أنَّ هَذَا الرَّأي يَقصد منه صاحبُهُ مُجَاملةَ الأَقباطِ، فوَيلٌ لمَن يقول في كتاب الله بِرأيِه.

ثالثًا: تَسْويتُه بينَ الكَافرينَ والمُسلمينَ في الواجباتِ والحُقوقِ حيثُ يقولُ: «الإخوةُ المُوَاطِنُونَ الأقباطُ في مصر يَخرجُون عن هذا النِّطَاقِ بالكُلِّيَّةِ، ومنذ أجيالٍ مُتَلاحقةٍ وجميعُ أَهل مصر يَعِيشون معًا مُوَاطنينَ مُتَساوِينَ في الحُقُوقِ والوَاجِباتِ».

وقال: «فَالدِّفَاعُ عن الوَطَنِ مِمَّا يأمُرُ به الدِّينُ الإسلاميُّ، وأَن يُدَافعَ المُوَاطنُ غير المُسلم عن وطنِه المصريِّ، فهو - إذًا - يُشَارك المُواطنَ المصريَّ في الدِّفاع عن وطنِه، ولا مجالَ لأيِّ تفْرِقةٍ».

وقالَ في البَنْد الثَّاني من الوفاق الوطنيِّ: «إنَّنا لا نَشْتغل بتكْفير أَحَدٍ، ونَقْبل من النَّاس ظواهِرَهُم وعلانيتَهم، فنحنُ دُعاةٌ، لا قُضَاةٌ».

قال: «كُنَّا أَعَدْنا التَّذكيرَ بمَوْقِفِنَا الثَّابِتِ والمَعروفِ بخُصوصِ إخواننا الأَقباطِ، وأنَّهم إِخوةٌ مُشاركونَ في الكِفاحِ لِتخليصِ هذا الوطنِ من الاستِعمارِ الأَجنبيِّ، فهُم لهم حقُّ المُوَاطنةِ كَاملةً، المَادِّيُّ منها والمعنويُّ».

فانْظُر كَيفَ صَرَّح بأُخوَّة الأَقباط للمُسلمينَ!

وهذا يَتعَارضُ مع الولَاءِ والبراء في الإسلامِ، وأَكَّدَ مَشْهورٌ أنَّ الإخوانَ المُسلمين يُقرُّون حرِّيَّةَ الاعتقادِ الخاصِّ، وحرِّيَّة إقامةِ الشَّعائرِ الدِّينيَّة لجميع الأديانِ السَّماويَّة المُعترف بها، حرِّيَّةَ الرَّأي والجهْر به، والدَّعوة السِّلميَّة إليه في نِطاقِ النِّظام العامِّ والآدابِ العامَّة.

وقال: «إنَّ أبناءَ الوطنِ مُسلمينَ ومَسيحيِّين هُم مُواطنونَ مُتساوُونَ في الحقوقِ والواجباتِ، وعلىٰ وجهِ الخُصوصِ في تَولِّي الوظائفِ العامَّة، ومِن حقِّ كلِّ مُواطنٍ ومُواطنةٍ المُشاركةُ في الانتخابات؛ سواء حقُّ التَّصويتِ والتَّرشيح، وتولِّي عُضوية المجالس النِّيابيَّة».

وَاخْتَتَمَ مَشْهورٌ بيانَه قائلًا: «الإخوانُ المُسلمون الَّذين أَكَّدوا ذلكَ في أَدبيَّاتهم مُنذ قيامِ جَماعتهم في عام ١٩٢٨م حتَّىٰ اليوم، اسْتنْكروا ويَستنكرونَ أيَّ عُدوانٍ علىٰ فريقٍ من أبناءِ هذا الوطنِ، أو انْتِقاصٍ لحُقوقِ أيٍّ مِن أَبنائِه، يَهمُّهم أن يُؤكِّدوا هذه الأُصول والمعالمَ المُستندة إلىٰ فَهمِهم للكتابِ والسُّنَّة، وَالْتزامهم لِشَرعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

قلتُ: فأيُّ تَمْييعٍ للإسلامِ أَعْظم من هذا التَّمييع! يَرىٰ الإخوانُ المُسلمونَ أنَّ المُسلمينَ والمَسيحيِّينَ واليهودَ سواءٌ، مُسْتوُونَ في الحُقوقِ والواجِباتِ.

إنَّ هذا تَضْييعٌ لحُقوقِ المُسلم، وتَسوِيةٌ له بالكافر، وهذا يُعَدُّ اعْتِداءً علىٰ الدِّين وأهلِه، وإنكارًا لحُقُوقِ المُسلمينَ الَّتي مَنحَهُ اللهُ إيَّاها بالإسلام، وحتَّىٰ كلمة «كافر» لا يُريدُ الإخوانُ أن يَقولُوها لليهودِ والنَّصارىٰ خَوْفًا عَلَيهِم من جَرْح المشاعرِ، وفي البَنْدِ الثَّاني من الوِفاقِ الوطنيِّ يَقولون إنَّهم لا يَشْتغلون بتكفيرِ أحَدٍ.

ويُقَالُ للإِخْوَانِ إذًا: فما تقولُونَ في الآياتِ الَّتي صَرَّح اللهُ فيها بِكُفرِ اليَهُودِ

والنَّصارىٰ من القُرآنِ، مثلَ قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٦ - ٨].

لقَدْ سَمَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَهْلَ الكتابِ؛ مِن يهود ونَصارىٰ، سَمَّاهم كَافِرينَ، وسَمَّىٰ المُشرِكِينَ كَافِرينَ، وأخبر أنَّهم جميعًا في نَارِ جَهنَّم خَالِدِينَ فِيهَا، وأَخْبَرَ أَنَّهم شرُّ البريَّة، أي: شرُّ الخَلِيقَةِ، وأَخبرَ أنَّ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات خَيْرُ البريَّةِ، وأَخْبَرَ أَنَّهم في جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجري مِن تحتِها الأَنهارُ خَالدِينَ فيها أبدًا، رَضِيَ الله عنهُم، وَرَضُوا عنهُ، ذلكَ لِمنْ خَشِيَ ربَّه.

إذًا، فهل يَستوِي المؤمنونَ والكُفَّارُ؟ ! هَل يَستوي مَن آمنَ باللهِ، وملائكتِه، وكتُبِه، ورُسلِه، واليومِ الآخرِ، وبالقدَرِ خَيرِه وشرِّه؟ ومَن كفَرَ بِذلكَ كُلِّه أو بَعضه؟ هلْ يَستوي خَيرُ البريَّةِ وشَرُّ البريَّة؟ هل يَستوي مَن رَضِيَ اللهُ عنه ومَن سَخِطَ عليه؟ !

وعلىٰ هذا، فأَينَ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ في طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أَضْيقِهِ»[(١)]؟ وكذلكَ نَهْيه ﷺ أن يَبْدأَهُم المُسلمُ بِالسَّلامِ[(٢)]؟

ثمَّ أين شروطُ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّتي شرَطها علىٰ الذِّمِّيِّينَ؟

ثمَّ أَيْنَ أَمْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في قولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحِسان»، وأصلُه في «صحيح مسلم» (٢١٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ؛ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ».

وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التّوبة: ٢٩].

إنَّ الجِزيةَ عنوان الصَّغارِ والذِّلَّة علىٰ أَهلِ الكتابِ من اليَهودِ والنَّصارىٰ، ويلحق بهم المَجوسُ لاختيارِهم البقاءَ علىٰ الكُفر، فأَوْجبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليهم الجِزيةَ، وأَعْفَاهُم مِن القَتْلِ، فَهُم إنَّما يُعْطُونَها مُقابِلَ إِعْفائِهم مِن القَتْلِ؛ لِتكُونَ عُنوانًا لإذلالِهم، وتَصغيرًا وتحقيرًا لهم، وإعلانًا لتَبعيَّتهم لحُكمِ الإسلامِ.

قالَ القُرطبيُّ (٨/ ١١٠ - ١٠٩): «وَخصَّ أَهلَ الكِتَابِ بالذِّكرِ إِكرامًا لكِتَابِهِم، ولِكَونِهم عَالِمِينَ بالتَّوحيدِ، والرُّسُلِ، والشَّرَائِعِ، وَالمِلَلِ، وخُصُوصًا ذِكر مُحمَّدٍ ﷺ، ومِلَّتِه، وأُمَّتِه؛ فلمَّا أَنكرُوا، تأَكَّدَت عليهم الحُجَّةُ، وعَظُمَت مِنهم الجريمةُ، فنبَّه علىٰ مَحلِّهم، ثمَّ جعَل للقتالِ غايةً؛ وهي إعطاءُ الجِزيةِ بدَلًا عن القَتْلِ». اهـ.

وقالَ ابنُ كثيرٍ في تَفسير الآية (٣/ ٣٤٧): «قولُه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾؛ أي: إنْ لَمْ يُسلِمُوا، ﴿عَن يَدٍ﴾؛ أي: عَنْ قَهْرٍ لهم وغَلَبةٍ، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: ذَلِيلُونَ حَقِيرُونَ مُهَانُونَ، فلِهذَا لا يَجوزُ إِعْزَازُ أَهلِ الذِّمَّةِ، ولَا رَفْعُهُم علىٰ المُسلمينَ، بَل هُم أَذلَّاءُ صغَرةٌ أَشقياءُ، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ والنَّصارىٰ بالسَّلامِ، وإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في الطَّرِيقِ فاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»[(١)].

ولِهذا اشْترطَ عليهِم أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تلكَ الشُّروطَ المعروفةَ في إذلالِهم، وتَصغيرِهم، وتَحقيرِهم، وذلكَ مِمَّا رواهُ الأئمَّةُ الحُفَّاظُ

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

مِن رواية عبد الرَّحمن بن غَنْم الأشعريِّ، قالَ: كتبت لعُمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِين صالَحَ نصارىٰ من أهلِ الشَّامِ:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذَا كتابٌ لعَبْدِ الله عُمرَ أميرِ المؤمنين، مِن نصارىٰ مدينةِ كذَا وكذَا، إنَّكم لمَّا قَدِمْتُم علينا سَألْناكُمُ الأمانَ لأنْفُسِنَا، وذَرَارِينَا، وأهلِ مِلَّتنا، وشَرَطْنَا لَكُم علىٰ أنْفُسِنَا ألَّا نُحْدِثَ في مَدِينَتِنَا، ولَا فِيمَا حَوْلَهَا دَيْرًا، ولَا كَنِيسَةً، ولا قَلَّايةً[1]، ولا صَوْمعةَ راهبٍ، ولا نُجدِّدُ ما خَرِبَ منها، ولا نُحْيِيَ مِنها ما كانَ خُططًا للمُسلِمينَ.

وألَّا نمنعَ كَنَائِسَنا أَن يَنْزلها أحدٌ من المُسلمينَ في لَيْلٍ ولا نَهارٍ، وأَنْ نُوسِّعَ أبْوابَهَا للمارَّةِ وابْنِ السَّبيل، وأَن نُنزلَ مَنْ مرَّ مِن المُسلمينَ ثلاثةَ أيَّامٍ نُطْعِمُهُ.

ولَا نُؤْوِي في كنائسِنَا، ولا مَنازِلِنا جاسوسًا، ولا نكْتم غشًّا للمُسْلمينَ، ولا نُعلِّم أَولادَنا القرآنَ، وَلَا نُظْهر شِرْكًا، ولا نَدْعو إليه أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ أحدًا من ذَوِي قَرَابَتِنا الدُّخُول في الإسلام إنْ أَرَاده.

وأنْ نُوقِّر المسلمينَ، ونَقُومَ لهم من مجالِسنا إنْ أرادُوا الجلوسَ، ولا نَتشبَّه بهم في شيءٍ مِن ملابسهِم؛ في قلنسوةٍ، ولا عِمامةٍ، ولا نَعْلَينِ، ولا فَرْق شَعَرٍ، ولا نَتكلَّم بكلامِهم، ولا نكْتَنِيَ بِكُناهُم.

وَلَا نَرْكبُ السُّرُوجَ، وَلَا نتقلَّد السُّيُوفَ، ولا نَتَّخِذُ شَيْئًا مِن السِّلاحِ، ولا نَحْملُه معَنا، ولا نَنْقشُ خواتيمَنا بالعربيَّةِ، ولا نَبيعُ الخُمورَ، وأن نَجُزَّ مَقَادِيمَ رُؤوسِنَا، وَأَنْ نَلتزِمَ زِيَّنَا حَيثما كنَّا، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَانيرَ عَلَىٰ أَوْسَاطِنَا[2].

---

(١) **القَلَّاية**: من بيوت عبادة النصارىٰ. **انظر**: «لسان العرب» (١٥/ ٢٠١).

(٢) **الزُّنَّارُ والزُّنَّارَةُ**: حِزَامٌ ذو خُيوط مُلوَّنَة، يَشدُّ به الذِّميُّ وَسَطَه؛ ليتميز به عن المسلم، **انظر**: «لسان =

وألَّا نُظْهِرَ الصَّليبَ علىٰ كَنائِسِنا، وألَّا نُظهرَ صُلُبَنا، ولا كتُبَنا في شيءٍ مِن طُرُق المُسلمينَ، ولا أسْواقِهِم، ولا نَضرِبُ نَواقيسَنا في كنائسِنا إلَّا ضَرْبًا خفيفًا، وألَّا نَرْفعَ أصواتَنا بالقراءةِ في كنائسِنَا في شيءٍ من حَضْرَةِ المُسلمينَ.

وَلَا نخرجُ شعَانِينَ ولا بُعُوثًا[1]، ولَا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنا مع مَوْتانا، وَلَا نُظْهِر النِّيران مَعَهم في شيءٍ من طُرُق المُسلمينَ، ولَا أَسْوَاقِهم، وَلَا نُجَاوِرهُم بمَوتانَا، وأَنْ نُرشِدَ المسلمينَ، ولَا نَطَّلع عليهم في منازِلِهم.

قَالَ: فلمَّا أتيتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالكتابِ، زَادَ فيه: ولا نَضْربُ أحدًا من المُسلمينَ...

شَرَطْنا لكُمْ ذَلِكَ علىٰ أَنْفُسِنَا وأَهْل مِلَّتنا، وقَبِلنَا عليه الأمانَ، فإنْ نَحن خَالَفنا في شيءٍ مِمَّا شَرطْنَاهُ لَكُم، وَوظَّفنا علىٰ أَنْفسنا، فلا ذِمَّةَ لَنا، وقَد حلَّ لَكُم مِنَّا ما يَحلُّ من أهل المُعاندةِ وَالشِّقَاقِ[2]». اهـ.

وبِهذا تَعلمُ أَنَّ ما قَرَّره مُرشد الإخوان المُسلمين في مصر مصطفىٰ مشهور، وما قَرَّره مُنظِّرو هذا المنهجِ هناك، وارتضاه مُرشدُهم المذكورُ، ووقَّع عليه، وما احتَوىٰ عليهِ مِن فقراتٍ، كلُّه بَاطلٌ مُخالفٌ لكتابِ اللهِ ولِسُنَّة رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَّةِ خُلفائِه الرَّاشدين مِن بعْدِهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولِما أَجمعَ عليه أَهلُ العِلمِ مِن عَصر

=

العرب» (٤/ ٣٣٠).

(١) الشَّعانين: عيدٌ للنَّصارىٰ يُقيمونه يوم الأحد السَّابق لعيد الفصح، ويحتفلون فيه بحمل السّعف، ويزعمون أنَّ ذلك ذكرىٰ لدُخُول المسيح بيت المقدس كما في «اقتضاء الصِّراط المستقيم» (١/ ٥٣٧)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٨٨).

والباعوث: يخرج فيه النصارىٰ، ويجتمعون فيه، كما يخرج المسلمون يوم الأضحىٰ والفطر، ينبعثون إليه من كل ناحيةٍ. ويُراجع: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٢١)، و«أحكام أهل الذِّمَّة» (٢/ ٧٢١).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٣٩) (١٨٧١٧).

الصَّحابةِ إلىٰ يَومنا هذا، وأَنَّ ذلك يدلُّ علىٰ واحدٍ مِن أَمرَين، وهُما:

١ - إمَّا جَهْلهم بالشَّرع الإسلاميِّ جَهْلًا فظيعًا.

٢ - وإمَّا تَجاهُلهم لَهُ وَإِرْضاؤُهُمْ للأقباطِ بإسخاطِ الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن كانُوا جاهلينَ بالشَّرْعِ فكيفَ يَزعُمون أنَّهم يَدْعون إليه وهُمْ جاهلونَ به! وإن كانوا يَعْلمون أحكامَ الشَّرعِ ولكنَّهم قصَدُوا مُخالفتَها إرضاءً للنَّصارىٰ؛ فهُم ظالمُونَ كاذبُونَ فيمَا يَدَّعونَه مِن الدَّعوة إلىٰ الله، فلوْ كانوا دُعاةً إلىٰ الله كما زعمُوا لَأَرْضَوا اللهَ بإسخاطِ النَّاس، ولَم يُسخطُوا اللهَ بإرضاءِ النَّاس.

لقَد خَالَفوا الشَّرْعَ الإسلاميَّ في بَيانِهم هذا مِن عدَّة وُجوهٍ:

الوجه الأوَّل: إسقاطُهُم لحُكمِ الجِزيةِ الَّذي أَمَر اللهُ به في كِتابِه، ومُخالفتُهم لِكتابِ الله بِذلكَ.

الوجه الثَّاني: نَفْيهم للصَّغار والذِّلَّة عن أَهل الذِّمَّة الَّذين أَلْزَمَهم اللهُ بها بِسببِ إعراضِهم عنِ الإسلامِ، واختيارِهم البقاءَ علىٰ دينِهم الباطِل.

الوجه الثَّالث: تَفْسيرهم للقرآن - أعني آية الجِزية - بأَهْوَائِهم، وبِغَير ما فسَّرها به الصَّحَابةُ - رضوان الله عليهم - والتَّابعون، ومَنْ بَعْدَهُم، رحمهم الله.

الوجه الرَّابع: حُكْمُهم بالمُسَاواةِ بينَ المُسلمينَ والكافرين حينَ قالُوا: إنَّ المُسلمينَ والأقباطَ مُتَساوُونَ في الحقوقِ والواجباتِ، وهُم بِذلك أذَلُّوا مَن أَعَزَّهُ اللهُ، وأَعزُّوا مَن أَذلَّ اللهُ، ورَفَعوا مَن وضَعَ اللهُ، ووضَعُوا مَن رَفَع اللهُ، وتَركوا الحقَّ، ودانُوا بالباطلِ.

الوجه الخامس: أَنَّهم قَد أَضَاعُوا حُقُوقَ المُسلمين وأَهْدَروها حين زَعَموا أَنَّهم مُتَساوُونَ هُم والنَّصارىٰ في الحقوقِ والواجباتِ، فهَل هذا حالُ مَن يُحبُّ

الإسلامَ، ويَدْعو إليه، ويُدَافع عنه وعنْ أهلِه؟ أَمْ حال مَن لا يُبالي بالإسلامِ ولا بالمُسلمينَ؟!

الوجه السَّادس: أنَّهم حين تَحاشَوا أنْ يُطلقُوا اسْمَ الكُفْر علىٰ النَّصارىٰ الأقباطِ لَا يَخلو حَالُهُم من أمرينِ:

الأمر الأوَّل: إمَّا أن يكونُوا فعَلوا ذلك مُجاملةً لهم - أي: للأقباطِ - وخوفًا عليهم مِن جَرْح المشاعر، أَو خَوفًا من أَذِيَّتِهم، أو رغْبةً في إِبْقاء المَودَّة الَّتي بَينهم مع أنَّهم مُعْتقدُونَ بأنَّ حُكمهم الكُفر، ولكن لا يُريدونَ التَّصريحَ به لهم لغَرَضٍ من هذه الأغراضِ، فهم جَاهِلون فُسَّاقٌ، أَرْضَوا الأقباطَ بسَخَطِ الله، واللهُ يَتولَّىٰ جزاءَهم علىٰ ذلك.

الأمر الثَّاني: أَن يَعْتقدُوا في أنفُسِهم أنَّهم لَيسُوا كُفَّارًا، ولا يَسْتحقُّونَ هذا الوَصْفَ، فهُم بِذلكَ قد كفَروا بالآياتِ القرآنيَّةِ الَّتي وَصَفتْهم بالكُفر وَحدهم؛ كقولِه تعالىٰ في سورة (المائدة) في الآيتين الثَّانية والسَّبعين والثَّالثة والسَّبعين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣].

وكقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

وكقولِهِ في سورة (المائدة) - أيضًا - الآية السَّابعة والسَّبعين: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

إلَىٰ غيرِ ذَلِكَ من الآياتِ الَّتي خَصَّتْهُم بالكُفرِ.

ومِنَ الآيَاتِ الَّتي حَكَمَت عَليهِم ضِمْنَ أَهلِ الكِتَابِ: قولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

ومِن هنا تَعلمُ أنَّ قولَ مُرشد الإخوان ومُنظِّرهم: «لَا نَشْتَغِلُ بتَكْفيرِ أَحدٍ؛ فنَحنُ دُعَاةٌ لا قُضَاةٌ» - أنَّه قولُ ضَلَالٍ مِن أفظع الضَّلالِ.

الوجه السَّابع: قولُهم بحرِّيَّةِ الاعتقادِ الخاصِّ، كما أكَّد ذلك مُرشدهم مُصطفىٰ مَشهُور عنهم، وكما ذكَرتْ الجريدةُ فيما نَقلْناه سابقًا عنها، وهذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا، أخطرُ مِن كلِّ ما سبَق؛ لأنَّه يُوجِبُ كُفْرَ مَن قال بهِ، أو اعْتقدَه، كُفْرًا يُخْرِجُ من الملَّةِ، وسأعود إلىٰ هذا المَوضوعِ بَعد نَقْلي تَمويهاتِ نَشَرها سالم البهنساوي، وبَعْدَ الرَّدِّ عليها.

وبالله التَّوفيق.



فصلٌ:

في ردِّ شُبهاتٍ ألقاها سالمٌ البهنساويّ في مجلّة «المُجتمع» تحت عنوان: (رأيٌ)

قال: «لَم تَكُنِ الجِزْيَةُ اخْتِراعًا إسلاميًّا، فَهِيَ نظامٌ سابقٌ علىٰ الإسلام ودولتِهِ، فَنظَّمها الإسلامُ وَهَذَّبها، وجعَلَها اختيارًا للشَّعبِ الَّذي أصرَّت قيادتُهُ علىٰ الحَرب، ثمَّ هُزِمَت، فليسَ صحيحًا أنَّ الجِزيةَ ضريبةٌ علىٰ كلِّ مُواطنٍ، ولَيسَ صحيحًا أنَّها نِظَامٌ إجباريٌّ».

قلتُ: الجِزيةُ شَرعٌ إلهيٌّ أَنزلَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من فَوق عَرشه عَلَىٰ لِسَانِ عبدِهِ ورسولِهِ مُحمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في آيةٍ تُتْلىٰ إلىٰ يومِ القيامةِ، وجعَلَ ذلك حُكمًا في أهلِ الكتابِ؛ وَهُمْ اليهودُ والنَّصارىٰ، وأَلْحقَ بهِم المجوسَ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ**»[(١)].

وذلك مُقابل رَفْع القَتْل عنهم، وتأمين المُسلمين لهُم علىٰ حياتِهم وحياة نسائِهم وأولادِهم وأموالِهم مُقابلَ شروطٍ تُشتَرط عليهم، وهي الشُّروطُ الَّتي شَرَطها عليهم أميرُ المُؤمنينَ عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وليسَ بِلازِمٍ أن نَعتذرَ عن هذا الحُكم الرَّبَّانيِّ أنَّه كان مَوْجودًا قبلَ الإسلامِ، مَعْمولًا به بَينَ الأُمَمِ، وأنَّ

---

(١) أخرجه مالكٌ في «الموطَّأ» (١/ ٢٧٨إحياء التُّراث) (٤٢)، ومِن طريقه الشَّافعيُّ (١٧٧٣ سنجر)، والبيهقي (١٨٦٥٤) من حديث عبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعَّفه الألبانيُّ في «إرواء الغليل» (١٢٤٨).

الإسلامَ قَلَّد غيرَه في ذلكَ.

إنَّ الاعتقادَ بمِثلِ هذا دفْعًا لقَالةِ القائلينَ الَّذين يُريدونَ الطَّعنَ في الإسلامِ وأحكامِه ليُزهِّدوا فيه، ويَصدُّوا عنه، ويَصرفوا مَن أطاعَهم عن اعتناقِه، إنَّ هذا الاعتذارَ هو نفسُه جريمةٌ لا تَقلُّ شَناعةً عن القَالةِ الَّتي أُريدَ بها الطَّعنُ فيه؛ ذلك لأنَّ هذا الاعتذارَ بهذا الأُسلوبِ تَضمَّن أنَّ حُكمَ الإسلام بالجِزيةِ لَيسَ حُكمًا استقلاليًّا نزَلَ من عندِ حكيمٍ خبيرٍ، وإنَّما هو مُقلِّدٌ لغيرِه، وتابعٌ لَهُم.

إنَّ الطَّعنَ علىٰ الإسلام من أعدائِهِ قَد بدأ مُنذ فَجْرِ الإسلامِ وبُزوغِه، فقد أنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حين حوَّلَ نَبيَّه إلىٰ الكعبة قولَه تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢]، فسمَّىٰ الطَّاعنينَ: سُفهاءَ.

فيجبُ علىٰ دُعاة المُسلمين وعُلمائِهم وفُقهائِهم ألَّا يَكترثوا بالإشاعاتِ الَّتي يُلقيهَا أَعداءُ الإسلام ضِدَّ الإسلامِ، ولْنَقُلْ لَهُم: هذا حُكمُ اللهِ الَّذي خَلَقنا وخَلَقكُم، وليس مِن صُنْعِنَا، ونَحن نُؤمِنُ بأنَّ اللهَ لا يشرع إلَّا ما فِيهِ الخَيْرُ والصَّلاحُ، وباللهِ التَّوفيقُ.

وقالَ أيضًا: «فالجِزْيَةُ ترتبطُ بالمَعركةِ الحربيَّةِ، ولهذا لم يُعامل يهود المدينة بنِظامِ الجزيةِ، فقَد تَضمَّنت وثيقةُ المدينةِ أنَّهم أُمَّةٌ مع المُؤمنين، وينفقون معهُم».

وأقول: إنَّ هذا الكلامَ فيهِ تَمويهٌ عَجيبٌ، فقولُه: «الجِزْيةُ تَرتبط بالمَعركةِ»، كلامٌ لا صِحَّةَ له، فقَد صالحَ النَّبيُّ ﷺ أَهلَ نَجران علىٰ الجِزيَةِ[1]، ولَمْ يَجْرِ بَينَهُ

(١) أخرجه البيهقيُّ في «معرفة السُّنن والآثار» (١٥/ ٥٧٦٦) عن الشَّافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكَره البغويُّ في «شرح السُّنَّة» (١١/ ١٧٤) عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه البخاريُّ (٤٣٨٠) عن حذيفة، قال: جاءَ العاقِبُ =

وبينهُم حربٌ، وصالحَ أهلَ البَحْرين على الجِزيةِ[(١)]، ولم يَجرِ بينه وبينهم حربٌ.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا أمَّرَ أميرًا على جيشٍ أو سَريَّةٍ أَوْصاهُ فِي نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**[(٢)]، **وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ إِلَيهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ**».

إلىٰ أَنْ قَالَ: «**إِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ؛ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُم وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَيهِمْ وَقَاتِلْهُمْ**»، الحديث أخرجه أحمدُ، ومسلم، وابن ماجه، والتِّرمذيُّ وصَحَّحه، وَأَوْرَده الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح التِّرمذيِّ» بأخصر مِمَّا في «المُنتقىٰ»، وقال: «صحيحٌ»[(٣)].

وَفِي «صحيح البخاري» من كتاب (الجِزْيَةِ والمُوَادعة)، في حديثٍ طَويلٍ،

=

وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ**» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**». وقولهما: «**ما سألتنا**»، أي: الَّذي طلبته منَّا مِن الجزيةِ.

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف الأنصاريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قوله ﷺ: «**وَلَا تَغُلُّوا**»، مِن الغلول، ومعناه الخيانة في الغنم، أي: لا تَخُونوا في الغنيمة. «**ولا تغْدِرُوا**»، أي: ولا تنقضوا العهد. «**وَلَا تُمَثِّلُوا**»، أي: لا تشوِّهوا القَتْلىٰ بقطع الأُنوف والآذان. «**وَلِيدًا**»، أي: صبيًّا؛ لأنَّه لا يقاتل، انظر: «كشف المشكل من حديث الصَّحيحين» لابن الجوزي (٢/ ٢٨ الوطن).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٥٨) (٢٣٠٨٠)، ومسلم (١٧٣١)، وابن ماجه (٢٨٥٨)، والتِّرمذي (١٦١٧) من حديث ابن بريدة، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رقم (٣١٥٩): «وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَىٰ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ المُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَىٰ مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ - تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ **«أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّىٰ تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَىٰ الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ»**[(١)].

وأَوْرَدَ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» الباب رقم (٣٠) باب (في أَخْذِ الجِزيةِ): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ أُكَيْدِرِ دُومَةَ، فَأُخِذَ، فَأَتَوْهُ بِهِ، فحَقَنَ النَّبيُّ ﷺ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ»، قَالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَسَن»[(٢)].

وقَدْ تَبَيَّنَ مِن هذه الأدلَّةِ أنَّ الجزْيةَ حُكْمٌ شرعيٌّ أنزله اللهُ في كتابِه، وعَمِلَ به رسولُه ﷺ والخلفاءُ من بعْدِه حتَّىٰ دَبَّ الضَّعْفُ إلىٰ أهلِ الإسلام بسَببِ المعاصِي وتَرْكِ الجهادِ، فمنَعَ اليهودُ والنَّصارىٰ والمجوسُ ما كان مَفْروضًا عليهم بالذِّلَّةِ والصَّغارِ لهمْ.

وهذه مُصِيبةٌ علىٰ الإسلامِ والمُسلمينَ يجبُ علىٰ ذَوي الألبابِ فيهِم أن يُفكِّروا في أَسبابها حتَّىٰ يَتلافُوا في المُستقبلِ ما وقَعوا فيه مِن أَخْطاءٍ لعلَّ اللهَ - عزَّ شأنُه وتَعالَتْ عَظمتُه - أن يُعِيدَ عليهم عِزَّهم ومَجْدَهم، ويُدِيلَهم علىٰ عَدوِّه وعَدوِّهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٣٧) مِن حديثِ أنس بن مالكٍ، وعُثمان بن أبي سُليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لَكِنَّ المُصيبةَ العُظمىٰ والكارثةَ المُدمِّرةَ أنْ يأتيَ أقوامٌ مِمَّن يَزْعمونَ لأنفُسِهِم أنَّهم دُعاةٌ إلىٰ الله، فيجْحدوا هذا الحُكْمَ، أو يُميِّعُوه؛ تَزلُّفًا إلىٰ أعداءِ الله، وتَقرُّبًا إليهم، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ، فأينَ تَعْظِيمُ أَمْرِ الله وأَمْرِ رَسُولِهِ، والرِّضا بحُكمِ الله، وحُكم رسولِه وتَقْديمِه علىٰ كلِّ قولٍ وكلِّ رأيٍ؟!

وأمَّا قوله: «ولهذا لَم يعامل يهود المدينة بنِظامِ الجِزية، فقدْ تَضمَّنت وَثِيقَةُ المَدينة أنَّهم أُمَّةٌ مَعَ المُؤمنينَ، وينفقون معَهم».

قلت: وفي هذه الفقرة تَمْويهٌ عجيبٌ، أو جهلٌ فظيعٌ، فإنَّ يهود المدينةِ قَدْ أُجْليَ آخرهم سنةَ خمسٍ من الهجرة بعد غَزْوة الخندق الَّتي تَبيَّنَ فيها غَدْرُ بني قُريظة، ثمَّ غزاهم النَّبيُّ ﷺ بَعْد أن تَرحَّل الأحزابُ عن المدينةِ بأمْرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ.

فقَدْ جاءَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بَعْد رجوعِه من غزْوة الخندق (وهيَ الأحزابُ)، فقَال له: وضعْتَ السِّلاحَ! أَمَا إنَّ المَلائِكَةَ لَم تَضعِ السِّلاحَ، وأَمَره أن يَسِيرَ إلىٰ بني قُرَيْظة، فأمَرَ النَّبيُّ ﷺ مُنَادِيه أن يُنَادي ألَّا يُصلينَّ أحدٌ العصرَ إلَّا في بني قريظة.

فحَاصَرهم النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ نَزَلُوا علىٰ حُكْمِ سَعد بن معاذٍ، فَحكَمَ فِيهِم أنْ تُقْتلَ مُقاتلتهم، وتُسبَىٰ ذراريهم، وتُغْنَم أَمْوَالُهُم[1]، وأنزل اللهُ فِيهِم سورة (الحشر)، وكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ أَجْلَىٰ قَبْلهم بني قَينُقاع وبني النَّضير، وكلُّ هذا وقَعَ قبل سنةِ خمسٍ، وفي سنة خمسٍ آخره، وآية الجِزية نَزَلت في سنةِ تِسْعٍ من ضمن سورة (براءة)، فأين يهودُ المدينة وَأَينَ الجِزية؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٤) من حديث أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأيضًا النَّبيُّ ﷺ عقَدَ معَهم الصُّلْحَ في أوَّل قُدُومِه المدينَةَ في حالةِ ضَعْفِ المُسلمينَ، وَهيَ حالةٌ لها حُكْمُها.

وإن كان تَرْكُ الجزيةِ أوَّلًا ثَبت بحُكمٍ شرعيٍّ، فإنَّ نُزولَ آية الجِزيةِ في سنة تسعٍ يُعتبرُ نَسْخًا لذلك الحُكْمِ.

وإنْ قُلنا: إنَّ عدمَ فَرْض الجِزْيةِ علىٰ يهود المدينة في أوَّل الإسلامِ كانَ مَبْنيًّا علىٰ البراءةِ الأصليَّةِ، وهي لَيْسَتْ حُكْمًا، ولكنَّها عدَم حُكْمٍ، فحِينئذٍ نَقُولُ: إنَّ نُزولَ آيةِ الجِزيةِ في سَنةِ تِسْعٍ يُعَدُّ حُكْمًا مُبْتدأً.

وأمَّا مُصَالحةُ النَّبيِّ ﷺ لأَهْل نجران فقَدْ كانَتْ في سنةِ تِسعٍ؛ لأنَّ انْصِرافَ النَّبيِّ ﷺ عن مُحَاصرةِ أَهْلِ الطَّائفِ كانَ في ذي القَعْدة من سنةِ ثمانٍ، ولَم يَبْقَ من سنةِ ثمانٍ إلَّا شهر ذي الحجَّة، وكان الشُّهودُ علىٰ كتاب النَّبيِّ ﷺ الَّذي كتبه لهم: أبو سُفيان بن حَرْب، وغيلان بن عمرو، ومَالك بن عَوف من بني نصر، والأَقْرَع بن حَابِس الحنظلي، وكتَب لهم هذا الكِتابَ عبدُ الله بن أبي بكرٍ، رَوَىٰ ذلكَ أبو يُوسفَ في كتابِه: «الخرَاج» (ص ٧٢ - ٧٣ السَّلفيَّة).

وقدْ تبيَّنَ مِمَّا سبرتُه أنَّ شَرْعيَّةَ الجِزيةِ كانت مُتأخِّرةً عن إجلاء يهود المدينةِ بأكثرَ من ثَلاثِ سنواتٍ، وأنَّ قولَ البهنساوي بأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمْ يُعامل يَهُودَ المدينةِ بنِظَامِ الجزيةِ؛ إمَّا تمويهٌ من البهنساوي إنْ كان يَعْلم ما ذَكر، أو جَهْلٌ منه إنْ كَانَ لا يَعْلمه، وكِلَاهُما يَدلُّ علىٰ ما ورَاءهُ من سُوءِ القَصْد، عِيَاذًا بالله من الضَّلالِ المُهْلِكِ، والهَوَىٰ المُعْمِي، وإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وقَد ذَكَر الآيَةَ الَّتي في سورة (البقرة): ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]، وبَعض آيةٍ من سورة

(النِّساء)، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النِّساء: ٩٠].

ثمَّ قالَ: فلَا قِتالَ مع قَومٍ لَمْ يُقاتِلوا، ولا مَعَ قَوْمٍ بَينهم وبين المُسلمينَ عَهْدٌ، ولا مع قَومٍ لا عهدَ لهم، ولكنَّهم يَقفُونَ علىٰ الحِيادِ.

قلتُ: فمَنْ هو الَّذي يُقاتَلُ بعدُ إذا كان كما قال المستشار البهنساويُّ؟!

وسترىٰ تَمْويهَه العجيبَ، فهذه الآيةُ أو بَعض الآيةِ الَّتي ساقَها مُرتبطةٌ بالآيةِ الَّتي قَبْلها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النِّساء: ٨٩ - ٩٠].

فانظُر إليهِ، اقْتَطعَ مِن الآيةِ الأخيرةِ الجزءَ الأخيرَ، وهو قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ إلخ، وَهُوَ الَّذي يَخُصُّ المُستثنين ومَنْ يَلْتحق بهم، كدُخولِ بني بكرٍ في عَهْد قريشٍ، ودُخولِ خُزاعة في عَهْد النَّبيِّ ﷺ يومَ الحُدَيْبيَة.

فمثلًا بنو بكر لا يُقاتلُهم المُسلمونَ إلَّا إن ابْتدَؤُوا المُسلمينَ بالقِتالِ، وقد ترك الآية الأولىٰ، وخاتمتها هي الفَاصلَةُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾، وهي عامَّةٌ في جميعِ الكفَّارِ، وترك من آياتِ (البقرة) مَا بَعْدَ الَّتي أوردَها، وهي قولُه: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

فأين قولُ هذا المستشار: لا قتال مع قوم لمْ يُقاتِلوا، ولا مع قَومٍ لهم عَهْدٌ

مع المُسلمينَ، ولا مع قَوْمٍ لا عَهْدَ لهم، ولكنَّهم يَقِفُون علىٰ الحِيادِ؟!

قلتُ: إنَّ جِهادَ الكُفَّارِ دَعوةٌ للدُّخولِ في الدِّينِ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال العُلَماءُ: «الفتنة: الشِّركُ»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التَّوبة: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التَّوبة: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التَّوبة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

إلىٰ غيرِ ذلكَ من الآياتِ الآمِرَةِ بالقِتالِ لجَميعِ أَجْناسِ الكُفَّارِ؛ مُشْرِكِينَ وَثَنِيِّينَ، ويَهُود، ونَصارىٰ وغَيرهم، لَم يُمْنع القتالُ إلَّا عن المُعاهدين حتَّىٰ يتمَّ إليهم عَهدهم، ثمَّ يَكُونُونَ مثل غيرهم، هذا إذا لم يَحصل مِنهم غَدْرٌ ولا خِيانةٌ؛ فإن حصَل منهم غَدْرٌ وخيانةٌ، كانَ ذلك نَقْضًا لعهْدِهم، كما اعْتبر النَّبيُّ ﷺ قتالَ قُريشٍ لخُزاعةَ مع بَني بَكْرٍ نَقْضًا لعهدِهم معه، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم

(١) أخرجه ابن جرير الطَّبريّ في «تفسيره» (١١/ ١٧٩ هجر) عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤].

ولابنِ القيِّمِ في «الهدي النَّبويِّ» (٣/ ٦٩) وما بعْدها بحثٌ خُلاصتُه: إنَّه لمَّا هاجر النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، ووَجَدَ مِن المُهاجِرينَ والأَنصارِ أنصارًا أنَّ اللهَ تعالىٰ أَذِنَ له ولأصحابِه في القتالِ، ولم يُفْرض عليهم فرضًا، فقال تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

ثمَّ فُرِضَ عليهم بَعدَ ذلكَ قتالُ مَن قاتَلهم دون مَن لَم يُقاتِلهُم بقولِه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ثمَّ فُرِضَ عليهم قتالُ المُشركينَ كافَّةً بقولِه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التَّوبة: ٣٦].

ثمَّ قالَ: وكانَ مُحرَّمًا، ثمَّ مَأْذُونًا فيه، ثمَّ مأمورًا به لمَن بدأَهُم بالقِتالِ، ثمَّ مَأْمُورًا له لجَميعِ المُشركينَ؛ إمَّا فرض عَينٍ، وإمَّا فَرض كفايةٍ علىٰ المشهورِ.

قالَ: والتَّحقيقُ أنَّ جِنسَ الجِهادِ فَرضُ عينٍ؛ إمَّا بالقلبِ، وإمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالمالِ، وإمَّا باليَدِ، فعلَىٰ كلِّ مُسلمٍ أنْ يُجاهِدَ بِنوعٍ من هذهِ الأنواعِ، أمَّا الجهادُ بالنَّفسِ ففَرضُ كِفايةٍ، وأمَّا الجهادُ بالمالِ فَفِيهِ قَولانِ، والصَّحيحُ وُجُوبُهُ؛ لأنَّ الأمرَ بالجهادِ به وبالنَّفسِ سواءٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التَّوبة: ٤١].

اهـ. بِتصرُّفٍ من «الهدي النبوي» (٣/ ٦٩ - ٧٢)[1].

وَنَقُولُ لفَضِيلَةِ المُستشَارِ: إذَا كانَ الأمرُ علىٰ ما تَقُولُ، فمَا مَعنىٰ قِتالِ النَّبيِّ الكريمِ ﷺ للكُفَّارِ وتكْثيفِه للسَّرايا والغزَواتِ حتَّىٰ دخَل النَّاسُ في دينِ الله أفواجًا.

---

(١) أي كتاب: «زاد المعاد في هَدْيِ خير العباد» لابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

قالَ في «بداية المجتهد» الفصل الثَّاني (في مَعرفة الَّذين يُحاربُونَ): «وأمَّا الَّذين يُحارَبُونَ، فاتَّفَقوا على أنَّهم جَمِيعُ المُشركينَ، لقولِه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] إلَّا ما رَوَىٰ مالكٌ أنَّه قالَ: لَا يَجوزُ ابْتِداءُ الحَبَشَةِ بالحَربِ، ولَا التُّرْك؛ لِمَا رُوِيَ عَنه ﷺ أنَّه قالَ: «ذَرُوا الْحَبَشَةَ مَا وَذَرَتْكُمْ»[(١)].

وقَد سُئِلَ مَالِكٌ عَن صِحَّةِ هَذَا الأثر، فلمْ يَعْترفْ بِذلكَ، وقَالَ: لَم يَزَلِ النَّاسُ يَتَحامونَ غَزْوَهُم»[(٢)]. اهـ.

وقَدْ أرادَ المُؤلِّفُ بقولِهِ: «فاتَّفقُوا على أنَّهم جَميعُ المُشْرِكِينَ»؛ أي: بِمَا فِيهِم أَهلُ الكتابِ؛ لأنَّ أَهلَ الكتابِ داخلونَ في اسمِ المُشركينَ، فالنَّصارىٰ يَقولونَ: المسيحُ ابن الله، واليهودُ يَقولونَ: عُزيرٌ ابنُ الله، وداخلونَ في اسمِ الكُفَّارِ؛ لأنَّهم كفَروا بوَحْدانيَّةِ اللهِ، وكفَروا بِنُبوَّةِ مُحمَّد ﷺ، وكفروا بالقُرآنِ.

والضَّميرُ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ يعودُ علىٰ جميعِ الكُفَّار بِدليلِ قولِه في الآية الَّتي قَبلها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٨ - ٣٩].

وبِدَلِيلِ اسْتِثناءِ الحبَشةِ، والحبشةُ مَسيحيُّونَ[(٣)].

ثمَّ قال: «إنَّ بَعضَ الكُتَّابِ لَم يَفهَم معنىٰ آية الجِزيةِ، وأَخذَ مِنها حُكمًا عامًّا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٧٧٢)، ولفظه: «دَعُوا الحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ».

(٢) «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» (١/ ٣٨١ البابي الحلبي).

(٣) ذكر الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نسبة النَّصارىٰ إلىٰ المسيح؛ جريًا علىٰ ما كثر ورُودُه مِن ذلك، وإلَّا فالله تعالىٰ قَدْ سَمَّاهم في كتابه: نصارىٰ، والمسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بريءٌ منهم.

يَسري على غير المُسلمينَ جميعًا، بَينما هي تَخُصُّ فئةً خاصَّةً جدًا مِن أهل الكِتابِ، ففيهم نزَلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩].

عندَ نزُولِ هذِه الآيةِ كانتْ جزيرةُ العرَبِ قدْ دانَت بالإسلامِ، وكان نصارىٰ الرُّوم قَد تَجمَّعوا في نَحو مئةِ ألفِ مُقاتلٍ لغزْوِ المدينَة، ومِن ثَمَّ كانَت غزوةُ مُؤتةَ في مُواجهةِ هذا الحَشْدِ، فالْجزيةُ في النَّصِّ القُرآنيِّ خاصَّةٌ بهذه الفئةِ مِن أهلِ الكِتَابِ». اهـ.

قلتُ: في هذا الكلامِ مُغالطةٌ فَاضِحةٌ، وتَعْميةٌ عَجيبةٌ، وذَرٌّ للرَّمادِ في العُيونِ كما يقولُون، ولا أَدري ماذا يَستفيدُ هذا وأمثالُه مِن هذه المُغالطاتِ الَّتي لا تَليقُ بمَن يَتكلَّمُ في شَرعِ الله عَزَّوَجَلَّ، ووَيْلٌ لمَن يَتكلَّمُ في شَرعِ الله بِلَا عِلمٍ، وويلٌ لمَن يَتكلَّمُ في شَرعِ الله فيكتُمُ الحقَّ، ويَنشُرُ الهوَىٰ مع عِلمِه به.

فأقولُ:

أوَّلًا: إنَّ اللهَ أَنزَلَ شَرعَهُ لعَامَّةِ النَّاس، ولَم يُنزلهُ لِفئةٍ مُعيَّنةٍ، وَفي زمنٍ مُحدَّدٍ ثُمَّ يَنتهي.

ثانيًا: لَفظ الآيةِ عامٌّ، صُدِّر بالأمر بالقِتَالِ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾، فـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول ﴿ قَٰتِلُواْ﴾، وهو اسمٌ مَوصولٌ من أدواتِ العُمومِ، وصلتُه: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، فهذهِ الأفعالُ صِفَاتٌ للَّذين أمَرَ اللهُ بقِتالِهم.

ثالثًا: أَينَ المُخصِّصُ لِهذا العُمومِ بفئةٍ مُعيَّنةٍ دُونَ غَيرِها مِمَّن هُم داخلونَ تَحتَ حَيِّزِ العمومِ؟!

رابعًا: إن كانت لك مشاركةٌ في العِلمِ، فتذكَّر ما قرَّره عُلماءُ الأُصولِ في قولِهِم: «العبرةُ بعُمومِ اللَّفظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ»، فهذه الآيةُ بِلفظِها، وإن صحَّ أنَّ لها سببًا، فإنَّ ذلك السَّببَ لا يَجعلها مُخصَّصةً به، بل العبرةُ بعمومِ لَفظِهَا.

خامسًا: إن كانت خاصَّةً بنصارىٰ الرُّوم؛ فإنَّ الأقباطَ في ذلكَ الزَّمَن كانوا مَحكُومِينَ بدولة الرُّوم، وهُم من النَّصارىٰ التَّابعين لدَولة الرُّوم، ولَم تكُن مِصرُ عربيَّةً إلَّا بَعد أن هاجرَ إليها العربُ بعد الإسلامِ وَسَكنُوها.

سادسًا: هل نَصارىٰ الأَقباط لا يَنطبق عليهم الوَصفُ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلىٰ آخر ما جَاءَ في الآية، يَعني: هَل الأقباط يُؤمنونَ بالله واليَوم الآخر؟ هَل هُم يُحرِّمون ما حرَّمَ اللهُ ورسولُه؟ هَل هُم يَدينُونَ دينَ الحقِّ وَهُو الإسلامُ - حتَّىٰ تقول: إنَّ الآيَةَ لا تَنطبق عليهِم، ولا تتناولهم بأوصَافها.

سابعًا: وَصَف اللهُ أَهلَ الكتاب بهذه الأَوصافِ، وهو وصْفٌ مِن عليمٍ خبيرٍ، قُل أَأَنتم أَعلَمُ أم الله؟ !

ثامنًا: إذا عُلِمَ هذا، فالآيَةُ عَامَّةٌ في أَهل الكتاب؛ سواء كانوا يهودًا أو نَصارىٰ، وسواءً كانوا عربًا أو عَجمًا، وسواءً كانوا مُحَاربين أو مُسالِمينَ أو ذمِّيِّين.

تاسعًا: إذا قصَّر المُسلمونَ في حُقوقِهم؛ فإنَّ تَقصيرَهم لا يُسقط تِلكَ الحُقُوقَ، إلَّا أنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مَن تكلَّم في الأحكام الشَّرعيَّة أن يُثبتَ الحُكمَ الَّذي تكلَّم فيه؛ عُبوديَّةً لله، ولا يُراوغ أو يُعمِّي أو يَتخَاذل مُتأثِّرًا بالمُؤثِّراتِ الخارجيَّة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النِّساء: ١٣٥].

عاشرًا: أقولُ: إنَّ لحُكمِ القتالِ نِهايةً، وهي قولُه: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّوبة: ٢٩]، أي: قَاتلوهُم حتَّىٰ يذلُّوا ويردُّوا الجِزيةَ وهُم صاغرون.

الحادي عشر: هَل للآية مفهومُ مُخالفةٍ؟ أي: هَل هناك أحَدٌ من أهلِ الكِتَابِ باقٍ علىٰ دينِه وكتابِه، وهو مع ذلك يُؤمنُ بالله واليوم الآخر، ويُحرِّمُ ما حَرَّم الله ورسولُه، ويَدينُ دينَ الحقِّ؟

الجوابُ: لا، لَو كان فيهم أحَدٌ مُتَصفًا بِهذهِ الصِّفاتِ لَدانَ دينَ الحقِّ بدخولِه في الإسلام، وتَصديقِه للقُرآن ونبيِّ القُرآن.

وقَدْ بَيَّنتُ المهمَّ مِن تمويهاتِ هذا الرَّجل، هدانا اللهُ وإيَّاه، وأَلْهَمَنا رُشْدَنا، وأَعَاذَنا مِن شرِّ أنفُسِنا.



فصل

سَبَقَ أَن نقلتُ عن مُرشدي الإخوان ومُنظِّريهم حَسْبما نُشِرَ في الصَّحيفة عنهم، قالوا بأَنَّهم يُقرُّون حريَّةَ الاعتقادِ الخاصِّ، وحُريَّةَ إقامةِ الشَّعائر الدِّينيَّة للأديانِ السَّماويَّة المُعترف بها حسَب زَعمِهم، وسبق أن قُلتُ: إنَّ هذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا مِن كلِّ ما سبقه؛ لأنَّه يوجب كُفْر مَن قالَ به واعتقَد جوازَه مِن المُسلمين.

ومُقتضىٰ هذا التَّعبير أنَّه يَجُوز لكلِّ أحدٍ أن يختارَ ما شاء من الأَديانِ، فمَن شاءَ دخَل في دين الإسلام، ومَن شاءَ دخَل في دين اليهود، ومَن شاءَ دَخَل في دين النَّصارىٰ، ومَن شاءَ دَخَل في دين المجوس، ومَن شاءَ دَخَل في دين الهنادك، إلىٰ غير ذلك.

وأنَّه لا يَجُوز لأَحَدٍ أن يَعترضَ عليه أو يَنصحه أو يُعَاقبه، فضلًا عن أن يَسْتتيبَه ويَحكم عليه بحَدِّ الرِّدَّةِ، وهَذَا ما يَقتضيه إطلاق هذه الجملة، بَل وهذا الإطلاقُ يُبيحُ لَهُ التَّنقُّل من دينٍ إلىٰ دينٍ؛ فمَرَّةً يكون مُسلمًا، ومَرَّةً يكون يَهوديًّا، ومَرَّةً يكون نَصرانيًّا، وهكذا يَجُوز له التَّنقُّل إلىٰ أديانٍ مُختلفةٍ، لا اعتراضَ عليه، ولَيسَ لِأَحَدٍ أَن يَحْكُمَ عليه بأَنَّه مُخْطئٌ؛ لأَنَّه فعَل ما يَجُوزُ له عند فئةِ وحزْبِ الإخوان المُسلمين.

ولا يَشُكُّ مُسلمٌ بسيطٌ فضلًا عن مُتعلِّمٍ أنَّ هذا القولَ مُخالفٌ للكِتابِ والسُّنَّة، وإجماعِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ؛

فأمَّا مُخالفتُه للكتاب؛ فالله تعالىٰ يقول: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]، ويقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقول: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، إلىٰ أنْ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهذا يَدلُّ علىٰ أنَّ مَحبَّةَ اليهودِ والنَّصارىٰ وغَيرهم من فئات الكُفَّار، وتَولِّيهم والتَّشبُّه بِهِم ومُظَاهرتهم علىٰ المُسلمين، وَدَعوة المُسلمينَ إلىٰ ذلك، والنَّظَر إِلَيهم بعَينِ الإكبَار والإجلالِ، والنَّظر إلىٰ المُسلمينَ بَعيْنِ الإهانَةِ والاحتِقَارِ، كلّ ذلك مُوجبٌ لسَخَطِ الله علىٰ فَاعِله، وقَد يُؤدِّي بفاعلِه إلىٰ الرِّدَّةِ، وإن لم يُعلن الدُّخول في دينِهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول عزَّ من قائلٍ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، ويقولُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

والنَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لا يُؤْمِنُ بِالَّذي جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديثِ حُذيفةَ بنِ اليمانِ في «الصَّحيح» قالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، خَيْرٌ وَفِيهِ دَخَنٌ[(١)]»، قَالَ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قَالَ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»[(٢)].

وأقول: مِنَ الدُّعاة علىٰ أبوابِ جَهَنَّمَ مَن يقول: إنَّ النَّاسَ أحرارٌ في اعْتِقَادِهِم، لهُم أَن يَعتقدُوا ما شَاؤُوا، ومن الدُّعاةِ علىٰ أبوابِ جهنَّمَ مَن يُبِيح الشِّركَ الأكبرَ، ويقرُّ الوَثنيَّةَ، ولَا يرىٰ فِيهَا خُرُوجًا عَنِ الإسلامِ، وَلَا مُناقَضةً له.

وكلُّ ذَلِكَ مَوجودٌ عند الإخوان المُسلمينَ، يَعتقدُونَ حِلَّه، ويَدينُونَ بِهِ، ويَدعون إليه كَمَا سَبَق، وكَمَا سَيَأتي، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُونَ.

وأمَّا مُخالفتُهُ للإجماع؛ فقال ابنُ عبد البرِّ في كتابِه «التَّمهيد» (٥/ ٣٠٦): «وَفِقهُ هذا الحديث: أنَّ مَنِ ارْتدَّ عن دينِه[(٣)] - حلَّ دَمُهُ، وضُرِبَت عُنُقُهُ، والأُمَّةُ مُجتمعةٌ علىٰ ذَلِكَ، وإنَّما اخْتلفوا في اسْتِتابَتِهِ».

---

(١) **الدَّخن**: مِن الدُّخان، أي ليس خيرًا خالصًا، بل فيه ما يشوبه ويكدره، وقيل: **الدخن**: الأمور المكروهة، **انظر**: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٢٠/ ١٨٨)، و«عمدة القاري» للعيني (١٦/ ١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) أي: الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٠١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ بدَّل دِينَه فَاقْتُلُوه**».

وَحَكَىٰ الإجماعَ علىٰ وُجُوبِ قَتْلِ المُرتدِّ ابنُ المنذر في كتابِهِ: «الإجماع» (ص ١٥٣ - ١٥٤).

وحكَىٰ الإجماعَ علىٰ قَتْلِ المُرتدِّ ابنُ حَزْمٍ في كتابِه: «مراتب الإجماع» بشُرُوطٍ، ارْجِعْ إِلَيهِ إِنْ شِئتَ في باب (الإمامة وحرب أهل الرِّدَّة) (ص ١٢٥).

والمهمُّ أنَّ عُلماءَ المسلمينَ أَجمعُوا علىٰ قَتْل المرتدِّ، وإنِ اختلفُوا في بعضِ الشُّروطِ لِذلكَ.

وقَدِ اشتهر الخلافُ في مسألتَين من مسائِلِ حُكْمِ الرِّدَّة، وهي:

أوَّلًا: الخلافُ في قَتْلِ المرأةِ إذا ارْتَدَّتْ، هل يَجِبُ قَتْلُها كما يجبُ قَتْلُ الرَّجلِ؟ ! فذهَب الجمهورُ إلىٰ أنَّ المرتدَّةَ تُقتَل كما يُقتَل المرتدُّ، واستدلُّوا بعمومِ قولِه ﷺ: «**مَنْ بَدلَّ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، وهُوَ حديثٌ صحيحٌ في «صحيح البخاري»، ومسلم، وغيرهما[1].

وَاسْتَدلُّوا أيضًا بعُمُومِ قولِه ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِّي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»[2].

فعُمومُ «مَنْ» في قولِه: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَه**»، وعُمُوم التَّارِك في قولِه: «**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»، تَعُمُّ الذَّكَرَ والأُنثَىٰ، ويَجْعلونَ هَذَا الحُكْمَ في النِّساءِ مُخصَّصًا بالرِّدَّةِ؛ إِذْ إنَّه قَد صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ النَّهيُ عن قَتْلِ النِّساءِ في الحرُوبِ.

وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: تُحبَسُ الحُرَّةُ، ويُؤمَر مَوْلَىٰ الأَمَةِ أن يُجْبرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، وأبو داود (٤٣٥١)، والترمذي (١٤٥٨)، وغيرهم، مِن حديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولم أجده عند مُسلم بهذا اللَّفظ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبه قَال الثَّوريُّ في حَبْسِ الحُرَّةِ، وأَسْنده إلىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهُوَ قَوْل عطاء.

وقالَ عليٌّ بن أبي طالبٍ: تُسْترقُّ.

وقالَ عمر بن عبد العزيز: تُبَاع في أرضٍ غير أرْضِها.

وقول الجُمهور هو الصَّوابُ؛ لعُمُومِ الأدلَّةِ للذُّكُور والإناث[1].

المسألة الثَّانية: اخْتلفوا في استتابة المُرتدِّ: هل يُستَتاب أمْ يُقتَل بدُونِ استتابةٍ؟

ذَهَب الجُمهُورُ إلىٰ أنَّه يُستَتاب مُستدلِّين بالأثَر الَّذي صحَّ عن أمير المُؤمنينَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أنَّه أتَاهُ رَجُلٌ من العراق، فقَالَ له: هَلْ من مُغَرِّبَة خَبَرٍ[2]؟ فقال: نَعَمْ، رَجُلٌ ارتدَّ بَعد الإسلام، قال: فما صَنعتُمْ بِهِ؟ قال: قرَّبناه، فضَربْنا عُنُقَه، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إلَيكَ مِمَّا صنَعُوا، هلَّا حَبَسْتُموه ثَلَاثَةَ أيَّامٍ وأَطْعمتموهُ كلَّ يَوْمٍ رَغيفًا، وسَقَيْتموهُ ماءً، ثمَّ اسْتَتبْتُموه، فإن تابَ وإلَّا قتَلتُمُوه»[3].

ونَقَل الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» عن ابن بطَّال أنَّه قال: «اخْتُلِفَ في اسْتِتَابةِ المُرتدِّ، فقيل: يُسْتَتابُ، فإنْ تَابَ وإلَّا قُتِلَ، وهو قولُ الجُمهورِ.

وَقِيلَ: يجبُ قَتْلُهُ في الحالِ، جاءَ ذَلِكَ عن الحَسَنِ وطاوس، وَبِهِ قالَ أهلُ الظَّاهِرِ».

قلت: - قالَه الحافظُ ابن حجر - ونقَله ابن المُنذر عن معاذ وعُبيد بن عُمَير، وَعَليه يدلُّ تَصرُّفُ البخاريِّ، فإنَّه استظهر بالآياتِ الَّتي لا ذكر فيها للاسْتِتَابةِ،

---

(١) **انظر**: «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٢ - ٢٦٨ المعرفة).

(٢) **مُغَرِّبَة خبر**: هو من الغَرْب: أي: البُعد، أي: هل مِن خبرٍ جديدٍ جاءَ مِن بلدٍ بعيدٍ، **انظر**: «النِّهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه مالك في «موطئه» (٢/ ٧٣٧) (١٦)، والشَّافعيّ في «الأمّ» (١/ ٢٥٨)، والبيهقيّ في «الصُّغرىٰ» (٣/ ٢٧٩ قلعجي) (٣١٧٠).

والَّتي فيها أنَّ التَّوبَةَ لا تنفع، وبِعُمُومِ قولِه ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وبِقِصَّةِ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(١)]. اهـ.

قلت: أمَّا كَونُ البخاريِّ لا يرَىٰ الاسْتتابةَ، فهذا فيه نظَرٌ؛ لأنَّ الآياتِ الأُولَىٰ، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ [آل عمران: ٨٦]، إلىٰ أن قالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٩ - ٩٠].

والآيةُ فيمَنِ اسْتَمرَّ علىٰ كُفْرِه حتَّىٰ الموتِ، وكذلك سائر الآياتِ لَا تَقْتضي مَنْعَ التَّوبَةِ عَمَّن أَرادها وطلبَها، ولكن تَقْتضي العقوبةَ لمَن كَرَّرَ الكُفرَ بخِذلانِه حتَّىٰ يموتَ علىٰ الكُفر، فيَسْتحقَّ العذابَ.

وأَمَّا قصَّةُ معاذٍ فخُلاصتُها: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا أرسلَ أبَا مُوسَىٰ إلىٰ اليمَنِ، وأَتْبعَه بمعاذٍ، قَدِمَ معاذٌ علىٰ أبي مُوسَىٰ، فأَلْقَىٰ له أبو مُوسَىٰ وِسادةً، وقال: انْزِل، فإذَا رجلٌ عنده مُوثَّقٌ، قال: ما هَذَا؟ قال: هَذَا كان يَهُوديًّا فأَسْلَمَ، ثمَّ تَهوَّد - وفي روايةٍ: ثمَّ راجَعَ دِينَه السّوء - قال: اجْلِس، قالَ: لَا أَجْلِسُ حتَّىٰ يقتلَ، قَضاء اللهِ ورسولِه، فأمَر به فقُتِلَ»[(٢)]. اهـ[(٣)].

وقَدِ استدلَّ بِهَذِهِ القِصَّةِ مَن لا يَرَىٰ الاستتابةَ، ولكن بجَمْع طُرُق الحديثِ يَتبيَّن أنَّه لَيس فيه دليلٌ علىٰ عدَم الاستتابةِ، وفَوْريَّة التَّنفيذِ؛ لأنَّه ذكَر أنَّهم كانُوا

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٢٦٩).

(٢) أخرجها البخاري (٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٤).

قَدِ اسْتَتَابُوه مِن مُدَّةٍ قَبْلَ مجيءِ مُعاذٍ، فأبىٰ أن يَعودَ إلىٰ الإسلام، وذلكَ فيما ذكَره الحافظُ في «الفتح» بقولِه: «ولأحمد من طريق أيُّوب، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال: قَدِمَ مُعَاذ بن جبلٍ علىٰ أَبِي مُوسَىٰ، فإذا رجلٌ عنده، فقَالَ: ما هَذَا؟ فَذَكَر مِثله، وزاد: ونَحن نريدُهُ علىٰ الإسلامِ مُنذ أحسبه شَهرين»[1]. اهـ.

وقَدْ ذكَر ابنُ عبد البرِّ الأثرَ عن عمر مِن طرُقٍ، وفي بعضِها أنَّهم جماعةٌ، ورُوِيَ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه «أُتِيَ بالمُسْتَوْرد العجلي وَقَدِ ارتدَّ عن الإسلامِ، فَاسْتتابَه، فأبىٰ أن يَتُوبَ، فَقَتلَه، وفي روايةٍ: أنَّه عَرَض عليه الإسلامَ شهرًا، فأَبَىٰ، فأَمَرَ بقتْلِه.

وقال ابنُ عبد البرِّ: ولا أَعْلَمُ بينَ الصَّحابَة خلافًا في اسْتِتَابةِ المُرتدِّ.

وفِقهُ هذا الحديثِ: أنَّ مَنِ ارتدَّ عن دينِه، حلَّ دمُه، وضُرِبَت عُنقُه، والأُمَّةُ مُجتمعةٌ علىٰ ذلك، وإنَّما اختلفوا في استتابتِه؛ فطَائفةٌ مِنهم قالُوا: لا استتابةَ علىٰ ظاهرِ هذا الحديثِ»[2].

قلت: يَعني مُرسل زَيْد بن أَسلم: «مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»[3]، وَطَائفةٌ مِنهم قَالُوا: يُستتابُ بساعةٍ واحدةٍ، ومرَّةٍ واحدةٍ، ووَقْتٍ واحِدٍ.

وقال آخرون: يُستتابُ شَهْرًا.

وقال آخرونَ: يُستَتَابُ ثلاثًا علىٰ ما رُويَ عن عُمرَ وعُثمان وعليٍّ وابن

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «التَّمهيد» لابن عبد البرِّ (٥/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٣) أخرجه مالك في «الموطَّأ» (٢/ ٧٣٦) (١٥)، والشَّافعيّ في «مُسندِه» (١/ ٣٢١)، والبيهقيّ في «الكبرىٰ» (٨/ ١٩٥).

مسعودٍ، ولَم يَستتب ابنُ مسعود ابنَ النَّوَّاحة، وَحدَّه؛ لقول رسولِ الله ﷺ: «لَوْلا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْتُكَ»، قالَ له - يعني: ابن مسعودٍ: وأنتَ اليومَ لستَ بِرَسُولٍ»[1]، واسْتتَابَ غَيره.

والآن أَعُودُ إلىٰ ما قَرَّره الإخوانُ المُسلمون علىٰ لسان مُرشدهم مصطفىٰ مشهور ومُنَظِّريهم؛ من حرِّيَّةِ الاعْتِقَادِ الخاصِّ، ومُقْتضىٰ ما قَرَّره أنَّه يجوزُ لكلِّ فَرْدٍ أَنْ يَعتقدَ عقيدةَ الإسلامِ إذا شاءَ، وعقيدةَ اليهوديَّة إذا شاء، وعقيدةَ الإلحادِ إذا شاءَ، إلىٰ غير ذلك، وأنَّه لا يجوزُ لأحدٍ أن يَعْترضَ عليه، أو ألَّا يحكمَ عليه بِحَدٍّ أو غيره، ومُقتضىٰ ذلك أيضًا أنَّه يجبُ أن نشطبَ علىٰ كتاب المرتدِّ، ونُلغي حُكمَه من كتُبِ الحديثِ والفقهِ؛ لأنَّه لا فائدةَ لِبقائِه علىٰ ما قرَّره الإخوانُ.

فهلْ رأيتَ - أخي المسلم - إِسْفافًا في الجَهْلِ والتَّهتُّكِ أشدَّ مِن هذا الإسفافِ؟! وخرُوجًا علىٰ تعاليمِ الدِّينِ أشدَّ من هذا الخروجِ؟!

ولَعلَّهم قَالُوا ذلك تأسِّيًا بالحُلوليِّ المُلحِدِ ابن عربيٍّ الَّذي يقول:

عَقَدَ الخَلائِقُ فِي الإِلَهِ عَقَائِدًا ... وَأَنَا اعْتَقَدتُ جَمِيعَ مَا عَقَدُوه

ويقول:

لَقَدْ كُنتُ قَبْلَ اليَوْم أنكرُ صَاحِبي ... إِذَا لَمْ يكنْ دِينِي إِلَىٰ دِينِهِ دَانِي

لَقَدْ صارَ قَلْبي قابلًا كلَّ صُورَةٍ ... فمَرْعَىٰ لِغِزْلانٍ وَدَيرٌ لرُهْبانِ

وبَيتٌ لأَوْثانٍ وكَعبةُ طَائفٍ ... وألواحُ تَوْرَاةٍ ومُصْحفُ قُرْآنِ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤) (٣٦٤٢)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤٨٧٨)، وقال الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسان» (٤٨٥٨): «حسنٌ صحيحٌ».

أَدِينُ بِدِينِ الحبِّ أنَّىٰ توجَّهتْ ... رَكَائبُهُ فالدِّينُ دِينِي وإيمَانِي

اهـ. من كتاب: «هَذِهِ هي الصُّوفيَّة» لعبد الرَّحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (٩٣).

قال الوكيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان: «وحدة الأديان»: «آمنَتِ الصُّوفيَّةُ أنَّ: (الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَيْن خَلقِهِ)، هَذِهِ الأُسْطُورةُ - أسطورة وحدة الوُجُود - اسْتَلزَمَتْ عِندَ الصُّوفيَّةِ الإيمانَ بوحدة الأديَانِ؛ سواءٌ مِنها ما نَسَجَتهُ عَناكِبُ الأَوهامِ، أَوِ افْتَرَتْهُ أَسَاطيرُ الخَيَالِ، أَو فَارَت به الشَّهواتُ، أو ما أَوحاهُ اللهُ إلىٰ رُسُلِهِ». قلت: لَو آمَنُوا بما أَوحَاهُ اللهُ إلىٰ رُسُلِهِ لَمْ يَقُولوا بوحدة الوُجُودِ، ولا وحدة الأديان، وإنَّما أَوْقَعهم في ذلك الجَهلُ بِمَا أَوحَاهُ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ رُسُلِه.

قال: «ولِهَذَا آمَنَ الصُّوفيَّةُ سَلَفُهُمْ وخَلَفُهُمْ أنَّ الإيمانَ والتَّوحيدَ عَيْنُ الكُفْرِ والشِّرْكِ، وبِأَنَّ الإسلامَ علىٰ هُدَاه وقُدْسيَّتِه هو عَينُ الدِّين المَجُوسيِّ في ضلالِه ورِجْسِه».

ثمَّ أَورد الأبياتِ السَّابقةَ لابن عربيٍّ، وعزَاها إلىٰ شَرح «الفُصوص» لعبد الرَّحمن جامي، والأبيات الأخيرة إلىٰ «ذَخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق» لابنِ عربيٍّ».

إلىٰ أن قال في (ص ٩٦): «ولإيمان الجيلي بوحدة الوُجُود آمن بوحدةِ الأديانِ، فقال:

وأسلمتُ نَفْسِي حَيْثُ أَسْلمني الهوىٰ ... ومَا لِيَ عَنْ حُكْمِ الحَبِيبِ تَنَازعُ

فَطَورًا تَرَانِي فِي المَسَاجِدِ رَاكعًا ... وَإنِّي طَوْرًا في الكَنَائِسِ رَاتِعُ

إذا كنتُ فِي حُكْمِ الشَّريعةِ عَاصيًا ... فَإنِّي فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ طَائِعُ

وَيَقُولُ مُفَسِّرًا: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: يعني: الآلهةُ المَعْبودةُ ليست إِلَّا أنا، فأنا الظَّاهِرُ فِي تِلْكَ الأَوْثَانِ والأَفْلاكِ والطَّبائعِ، وفي كلِّ مَا يَعبُدُهُ أَهلُ كلِّ مِلَّةٍ ونِحلَةٍ، فما تِلكَ الآلِهَةِ إِلَّا أنا». عَزَا الأبياتِ إلىٰ «إيقاظ الهِمَم شرح فُصُوص الحِكَم» لابن عَجِيبة (١/ ١٤٣)، ط ١٣٣١هـ. وعزا تفسير: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، إلىٰ كتاب: «الإنسان الكامل» للجِيلي (١/ ٦٩)، وقال: «وتَرَاه يُصوِّب عبادةَ الأصنام، وعبادةَ الأَفلاكِ، وعبادة الطَّبيعةِ؛ لأَنَّ هذه الأشياءَ الَّتي عُبِدَتْ ليست إِلَّا ذات اللهِ مُتعيِّنَةٌ في تِلكَ الصُّورِ، مُسمَّاةٌ بِتلكَ الأسماءِ». اهـ. أي: حسب زَعمهم المَعكوسِ المُنْكوسِ.

فتأمَّل قولَ الإخوان المُسلمينَ في مصر بحُرِيَّةِ الاعْتِقَادِ الخَاصِّ، وحريَّةِ التَّعبُّدِ، ووَازِنْ بَينَ قَولِهم هذا وقولِ مَلَاحدة الصُّوفيَّةِ بوحدة الأَديانِ، تَرىٰ أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ مُقلِّدونَ لأُولئِكَ الملاحِدة، ومُقْتبسونَ مِنهم، ومُقتفونَ آثارَهُم إِلَّا أَنَّهم غَيَّروا العبارةَ، فبَدَلًا أن يَقُولوا: نُؤمِنُ بوحدة الأَديانِ، قَالُوا: نؤمن بحُرِّيَّةِ الاعتِقَادِ الخاصِّ؛ من أَجل أن تَختلفَ العبارةُ، فلا يُنكرُ عليهم، مع أنَّ المَعنىٰ واحدٌ، وهُوَ أنَّ الأديانَ كلَّها صَحِيحةٌ، فخُذ ما شِئتَ، ودَعْ ما شِئتَ، وهذا أسلوبٌ مِن أَخبثِ أَساليبِ المَكْرِ والتَّضليلِ والخِداعِ لسَلْخِ المُسلمينَ مِن إسلامِهم، وإِدخالِهم في العقيدةِ النَّصرانيَّةِ أَو غَيرِها مِن العقائدِ المُنْحرفةِ الضَّالَّةِ.

وَلمَّا لَمَسَ أصحابُ الدِّيانةِ النَّصرانيَّةِ أَنَّ كَهَنَةَ الصُّوفيَّة يَقُولون بوحدة الأَديانِ، طَمِعوا في استِمَالةِ قلُوبِ المسلمين إِلَيهم تحتَ مظلَّة وحدة الأديان، أو تَقَارُب الأَديانِ، سمِّها ما شئتَ، والإخوان المسلمون يَحْسبونَ أَنفُسَهم مِنَ الدُّعاةِ إلىٰ الإسلامِ، وإذا قالُوا بِحُرِّيَّةِ الأديانِ لم يَبقَ للدَّعوةِ إلىٰ الإسلامِ معَنًى.

فصلٌ

وَجدتُ نشرةً مُعَنْونةً: «دَعوىٰ تَقارُبِ الأديانِ في العَصر الحاضِر» للأستاذ حُسين عبد الهادي المُحاضر في الكُليَّةِ، قال فيها بَعْدَ حمْدِ الله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّه ﷺ، «أَمَّا بعدُ:

فإنَّ من أَخْبَثِ أَسَالِيبِ الهُجُومِ الَّذي يَسْتهدف التَّطويق: ظاهرة الإسلام بالإسلام في هذا العَصر، والمُتمثِّلة في عَقْد المؤتمرات بِاسمِ التَّقارب الدِّينيِّ، يَشترك فيها مُسلمون ونَصارىٰ، والمُتأمِّل في سياسةِ الغربِ الاستعماريَّةِ المُوجَّهةِ إلىٰ العالَم الإسلامِيِّ، يجد أنَّها تَتَّجهُ إلىٰ إِقْناعِ المُسلمينَ بِالانْحِيازِ إليهِ، ونِسيَان ماضِيهِ المَمْلوء بالخِزي والعَارِ، ولِأَجْلِ هَذَا فإنَّه يُحَاول التَّقاربَ تحت اسم: «تقارب الأديان» لمُوَاجهة الخَطَر الشُّيوعيِّ علىٰ حَدِّ زعمه، لكن إذا دَقَّقنا النَّظَرَ جَيِّدًا في تاريخِ الاستعمارِ الحديثِ، نجد أنَّه جنَّد الدِّينَ لِخدمةِ أهدافِه ومآربِه كما هو المُلاحظُ في المُؤسَّساتِ التَّبشيريَّةِ المُنتشرة في العالَمِ الإسلاميِّ.

ولمَّا انْكشفتْ أهدافُ هذه المُؤسَّسات للمُسلمينَ من خلال ما قامَت به من نَشْرِ الفَسادِ والضَّلَالِ، أرادَ الغربُ أن يُحقِّقَ أهدافَه تحت اسم: «جبهة إسلاميَّة نَصرانيَّة مُتَّحدة»، وقدْ جنَّد رجالَ الدِّينِ النَّصرانيِّ الَّذين وَضعوا أنفسَهم لخِدمةِ الاستِعمارِ باسمِ الدِّين.

كما جنَّد - أيضًا - لهذا التَّقاربِ بعضَ المُنتسبينَ إلىٰ العِلمِ في أوساطِ المُسلمينَ، وبِداية هذه الفكرةِ كانتْ في أواخرِ القرن المِيلادي السَّابق، وأوَّل مَن

تبنَّاها هو الجانبُ النَّصرانيُّ مُتمثِّلًا في المُبشِّرين ذوي الخِبرةِ والتَّجارِبِ، لكنْ الفِكرةَ لم تَلْقَ تأْييدًا في البدايةِ مِن الجانبِ الإسلاميِّ، وبِخاصَّةٍ الأَزْهر في مصر». اهـ. انظر «مجلَّة الأزهر»، المُجلَّد السَّابع ص (٣٠١) وما بعدها.

لكنْ بعْدَ مُحاولاتٍ، استطاعُوا إقناعَ الأزهَر، فَاشْتركَ في مؤتمر الأديانِ في «بروكسل»، عام (١٩٣٦م)، وقَد مثَّلهُ الشَّيخُ عبد العزيز المراغي، فألقىٰ في المُؤتمر كلِمةً بيَّنَ فيها رأيَ الإسلامِ في التَّعاونِ والوِفاقِ.

كما اشْتَرَكَ الأَزْهَرُ بمَنْدوبٍ عنه هو الدُّكتور مُحمَّد عبد الله دِرَاز في مُؤتمر الأَديانِ في سنة (١٩٣٩م)، ثمَّ تَوقَّفتِ المُؤتمراتُ لفَتْرةٍ لتعودَ من جديدٍ في الخمسِيناتِ من هذا القرن علىٰ المُستوىٰ شِبه الرَّسميِّ، وبِدافِعٍ من الضُّغوطِ السِّياسيَّةِ واقعًا تَحت أسماءٍ مُختلفةٍ؛ مَرَّةً بِاسمِ التَّقارُبِ الإسلاميِّ المَسيحيِّ، ومَرَّةً بِاسمِ التَّفاهم الإسلاميِّ المَسيحيِّ، وكلُّ الطُّرُقِ لا تُؤدِّي إلَىٰ رُوما فحَسب، بَل إلىٰ الفاتيكان.

بَدأتِ المُؤتمراتُ تتوالَىٰ، وهِيَ علىٰ النَّحْو التَّالي:

١ - انْعقَدَ المُؤتمرُ الإسلاميُّ النَّصرانيُّ بدَعْوةٍ من جمعيَّة أصْدقاءِ الشَّرق الأَوسط الأمريكيَّة في «بحمدون» بلبنان عام (١٩٥٤م).

٢ - في سنة (١٩٧٠م) عُقِدَ مُؤتمرٌ للحوار في «عجلون» اشترَكَ فيه مُمثِّلُونَ عن الإسلامِ والنَّصرانيَّة والهندوكيَّةِ والبوذيَّةِ.

٣ - في سنة (١٩٧٢م) أُقِيمَ حِوارٌ إسلاميٌّ نَصرانيٌّ في «برمانا» بلبنان.

٤ - في سنة (١٩٧٤م) عُقِدَ المُؤتَمرُ الإسلاميُّ النَّصرانيُّ الأوَّلُ في «قرطبة» بأسبانيا.

٥ - في سنة (١٩٧٥م) عُقِدَ مُؤتمرٌ للحوار في تُونُس.

٦ - في سنة (١٩٧٦م) عُقِدَ مُؤتمرٌ للحوار بَين الطَّرَفين في ليبيا.

٧ - في سنة (١٩٧٧م) عُقِدَ المُؤتمر الإسلاميُّ النَّصرانيُّ الثَّاني في «قُرطبة» بأسبانيا.

٨ - في سنة (١٩٧٨م) تمَّ اللِّقاءُ بَين وَفْد من الفاتيكان ووَفدٍ من علماء الأزهر برئاسة شَيخ الأزهر عبد الحليم محمود في مكتبِهِ، وقَد حَضَر هَذَا اللِّقاءَ سَفيرُ مصر لَدَىٰ الفاتيكان مع أنَّه حِوَارٌ دينيٌّ لا يَدْخل تَحت اختصاصِهِ، ولكنَّ اشْتراكَه يُؤكِّدُ الطَّابعَ السِّياسيَّ لفكرة الحوار نفسِهِ». اهـ. ما أردت نقله.

وأقول: إنَّ دُعاةَ التَّبْشيرِ لمَّا عجزوا عنْ إخراجِ المُسلمينَ عنِ الإسلامِ دِينِ الحقِّ، والحنيفِيَّةِ والتَّوحيدِ الَّذي جاء وحيًا من الله بِواسطةِ الرَّسولِ الملكيِّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ الرَّسول البشريِّ مُحمَّدٍ ﷺ كما قال جلَّ من قائلٍ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النَّجم: ٣ - ٤].

أقول: لمَّا عَجزَ دُعَاةُ التَّبشيرِ مِنَ النَّصارىٰ عَنْ إِخْرَاجِ المُسلمينَ من دِينِ الإسلامِ إلىٰ دِينِ النَّصرانيَّةِ المَبْنيِّ علىٰ التَّخريفِ والتَّضليلِ والأَساطير الكاذبة المُتَناقضةِ، وأَخْفَقوا في مَساعِيهم المبذولةِ مِن أَجْل ذلك، والمَدْعومة بالجُهْد والمال، ولَمْ يَحْصُل لهم شيءٌ من مَطْلوبِهم إلَّا شَيءٌ لا يُذْكر، عند ذَلِكَ أَرَادوا أن يُخرِجُوهُم من الإسلام ويُدْخلوهُم في النَّصرانيَّةِ بالمَكرِ والخِداعِ تَحت مظلَّةِ الحِوارِ والتَّفاهُمِ الدِّينيِّ، والتَّعاونِ المعيشيِّ.

وقَد انطلَتْ هَذِهِ التُّرَّهاتُ علىٰ بَعض قادة المُسلمينَ وعُلَمائِهم ابْتِداءً من الأَزهر الَّذي هو مَنارةُ العِلمِ في ذلك الزَّمَنِ، وهو القرن الرَّابع عشر، فاشْتَرَكَ

الأزهرُ في كثيرٍ من مُؤتمراتِهِ، وفي القرنِ الحالي قَدْ تَبنَّىٰ الدَّعوة إلىٰ مُؤتمراتِ الأديانِ، أو حوار الأديانِ، أو تَفاهُم الأديانِ، ومَعنَاهُ أَنْ يَتَنَازَلَ المُسلمونَ عن شَيءٍ من عَقَائِدِ دِينِهِم وَتَشريعَاتِهِم الحقَّة ليَقْتربُوا من النَّصارَىٰ، ويَصِيروا بِذلك إخوةً لَهُم، وَلَو كانَ ثمن ذلك اللَّعنة مِن الله علىٰ مَن فعَل ذلك.

أقول: قَدْ تَبنَّىٰ الدَّعوةَ إلىٰ تِلكَ المُؤتمراتِ في الأزمان الأخيرة الإخوانُ المسلمونَ في السُّودان، والإخوان المُسلمون في الكويت، كما سَتَراهُ في الفَصلينِ الآتيين.



فصلٌ

أَهْدَىٰ إليَّ أحدُ الإخوان السَّلفيِّين - جزاه الله خيرًا - كتابًا بعنوان: «تَهافُت الشِّعارات وسُقُوط الأقنعة»، لمُؤلِّفه عبد العزيز بن شبيب الصّقر.

الكتاب صغيرُ الحجم، ولكنَّه عظيمُ الفائدة؛ لأنَّه يَحْوي حَقائِقَ عنِ الإخوانِ المسلمينَ، وإن كانَ الكتابُ يتحدَّثُ عن الإخوان المسلمين في الكويت؛ إلَّا أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ همُ الإخوان المُسلمون أينما حَلُّوا، وكَيفما وُجِدُوا؛ لأنَّ التَّربيةَ تَربيةٌ واحدةٌ، والانطِلاق من عقيدةٍ واحدةٍ، والقدوة والأُسوَة هي قدوةٌ واحدةٌ؛ ذلك لأنَّ المُؤسِّسَ واحدٌ، والكيفيَّةَ الَّتي رَبَّىٰ عليها أَتباعَه واحدةٌ، وهُم يَتداولُونها خلَفُهم عن سلَفِهم، وصغارُهمْ عن كبارِهمْ.

وكان سببُ تأليفِ الكتابِ هو أنَّ أحدَ الإخوانِ المُسلمينَ في الكويت سُئِلَ عن سُؤالٍ هذا لفظُه: سمعتُ أنَّ الإخوانَ المُسلمين فيهمُ الأشعريُّ، والصُّوفيُّ، والسَّلفيُّ، مِنهم الإخوانُ المُسلمون في الكويت؟ !

فأَجَابَ قائلًا: الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، الإخوةُ هنا في الكويت أنا أَعْلَمُ وأَقْرَبُ النَّاس إلىٰ عقيدَتِهم، هُمْ علىٰ ما عَلَيه السَّلَفُ الصَّالحُ، وهُم من أهل الجَماعةِ والسُّنَّةِ، ولَيسَ بَينهم مُنْحرفٌ في دينِه، أَو في عقيدتِه، وإنمَّا ارْتَضيتُ أن أكونَ أنا عُضوًا في جمعيَّةِ الإصلاح.

وقالَ في مَوْضِعٍ آخر وَهُو يَتحدَّثُ عن الإخوان المسلمين في الكويت: وبعدين من خِلَالِ المُعَايَشَةِ، دَرَستُ عَقِيدَتَهم، ما وَجَدتُ فِيهم مُنْحرفًا، ولا وَجَدتُ

فيهم أشعريًّا، ولا وَجدتُ فيهم ضالًّا، وَلا ما جلستُ معهم - هكذا ولعلّ الصواب: ولَما جلستُ معهم -.

ثمّ قالَ - أي: المُؤلِّف -: والحقيقةُ أنَّ هذا الكلامَ غريبٌ جدًّا، والأغربُ منه أنْ يخرجَ على لِسانِ رَجُلٍ يدَّعي أنَّه درسَ عقائدَ الإخوانِ المسلمين في الكويت، فإنَّه في هذه الشُّبهةِ الَّتي ألقاها على مسامعِ الحُضورِ كأنَّه يُحاولُ إقناعَهم بأنَّ الإخوانَ المُسلمينَ في الكويت على العقيدةِ السَّلفيَّة، وعلى ما عليه السَّلفُ الصَّالحُ.

فهل الإخوان المسلمون في الكويت هم على ما عليه السَّلفُ الصَّالحُ؟ وهم من أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ كما ادَّعى المُحاضر؟

وهَل قولُهُ بأنَّهم لا يُوجَدُ بينهم مُنحرفٌ، ولَم يجد فيهم أشعريًّا، ولَم يجد فيهم ضالًّا... ولا أدري إن كان صاحبُ هذا الادِّعاءِ جاهلًا بعقائدِ الإخوانِ في الكويت، أمْ أنَّها الحِزبيَّةُ المقيتةُ والتَّعصُّبُ الأعمىٰ للتَّنظيمِ، وإنْ خالَفَ الحقَّ والصَّوابَ.

ولمَّا قلَّبتُ النَّظَر، وأمعَنتُ فيه، وجدتُ أنَّ هذهِ الدَّعوىٰ ليست جديدةً، بل إنَّها ماضٍ جرَّ إلىٰ حاضرٍ، فقَد قامَ قبل عِدَّة أعوامٍ أحدُ دُعاة الإخوان المسلمين في الكويت أيضًا، وألَّفَ كتابًا كان مِمَّا قال فيه: إنَّ المنهجَ العقَديَّ والفِقهيَّ عند الإخوان هو منهجٌ سلفيٌّ صِرْفٌ لا غُبارَ عليه!

وقد قيَّضَ اللهُ له أحَدَ الفُضلاءِ، فردَّ عليه، وفنَّد شُبَهه، وأبطَلَ دعواهُ في حِينِها، وهو الشَّيخُ مُحمَّد بن سيف العجميّ في كتابِهِ البديع: «وقفات مع كتاب للدُّعاة فقط».

ومِمَّا يزيد الأمرَ سُوءًا أنْ تَتكرَّرَ هذه الادِّعاءاتُ في وقْتٍ ظهَر فيه انْحِرافُ

الإخوانِ المسلمينَ ظاهرًا جليًّا لا يخفى على ذي عينينِ إلَّا من أعماهُ الهوى، فكان لا بُدَّ من كشفِ التَّلبيسِ وتوضيحِ الحقائقِ، ووضعِ الأمورِ في نصابِها الصَّحيحِ.

ومِمَّا دعا إلىٰ الكتابةِ حولَ هذا الموضوعِ هو أنَّ هذه المقولةَ لا يزالُ يُرَدِّدها الكثيرُ مِن المُنتسبينَ لِتنظيمِ الإخوانِ المُسلمينَ، بَلْ وأَعظمُ مِن ذلك وأشدُّ مرارةً أنْ يُرَدِّدَ هذه المقولةَ الجائرةَ بعضُ المُنتسبينَ للمنهجِ السَّلفيِّ، فتجِدُه دائمًا يُدافِعُ عنهم، ويُرَدِّدُ بين طلَّابِهِ وأصحابِهِ أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ في الكويت علىٰ العقيدةِ السَّلفيَّةِ.

وهذا كلامٌ جائرٌ، فارقَ الحقَّ والصَّوابَ، ويَعْكس مَدَىٰ جَهْلِ القائلِ بحقيقةِ دعوةِ الإخوانِ المسلمينَ، وبعضُهم يقولُها لا جهْلًا بالحقيقةِ، ولكنْ لأهْدافٍ سياسيَّةٍ مثلِ أنَّه لا يُريدُ خسارةَ أصواتِهم في الانتخاباتِ، كما نطَقَ بها أحدُهم حيثُ قال: لو اتَّفقَ السَّلفُ والإخوانُ في الانتخاباتِ لكانتِ النَّتائجُ مُذْهلةً...

إلىٰ أنْ قال: وقَدْ قمتُ بتقْسيمِ هذا الكتابِ إلىٰ عدَّةِ فُصولٍ مُبيِّنًا زَيفَ هذهِ الدَّعوى، وبُعْدَها عن الحقيقةِ مِن خلالِ الوقائعِ الحيَّةِ، والنُّقولاتِ الَّتي صَدَرَت علىٰ أَلْسنةِ القَوْمِ، فكانتْ الفصُولُ ما يلي:

الفصل الأوَّل: الإخوان المسلمون في الكويت عُضْوٌ في التَّنظيم الدَّولي.

الفصل الثَّاني: مَنْزلةُ الوَلاءِ والبراءِ مِن العقيدةِ.

الفصل الثَّالث: الإخوان المُسلمونَ في الكويت، والدَّعوة إلىٰ التَّقريب بين الأديانِ، وهذا الَّذي في صميم ما نحنُ بصددِهِ، وسأنْتَقِلُ إلَيهِ بَعْدَ قليلٍ.

الفصل الرَّابع: موقف الإخوان في الكويت من الرَّافضة.

الفصل الخامس: مَوقفهم من الصُّوفيَّة.

الفصل السَّادس: مَوقفهم من الدِّيمقراطيَّة والقوميَّة والعلمانيَّة.

الفصل السَّابع: الثَّناء علىٰ أَهْل البدَعِ والأَهوَاءِ.

الفصل الثَّامن: آثارُ مُوَالاة أَهل البِدَعِ والأَهواءِ.

الفصل التَّاسع: وَشَهِدُوا علىٰ أَنْفُسِهِم.

إلىٰ أَنْ قال في صفحة (١٩): نشرتْ مجلَّة: «الوعي الإسلاميّ» في عددها رقم (٣٥٤) الصَّادر في صفَر (١٤١٦هـ) وقائعَ المُؤتمرِ العالميِّ حَولَ الإسلامِ والتَّفاهم بَين مُختلفِ الأَدْيَانِ والشُّعُوبِ في العالَمِ المُتغيِّر، والَّذي عُقدَ في «مُوسكو» في الفترة من (٢٦ - ٢٩) ذي الحجَّة (١٤١٥هـ)، وذلكَ بمُبادرةٍ من الإدارة الدِّينيَّة لمُسْلمي الإقليم الأُوروبيِّ لرُوسيا، ولجنة مُسلمي آسيا المُنْبثقة عن الهَيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة الَّتي يَرأسها الدُّكتور عادل فلاح أحد المُشَاركين في هذا المُؤتَمر.

كما كان مِن المُشاركين أيضًا من الإخوان الكويتيِّين الدُّكتور مُحمَّد عبد الغفَّار شريف، والدُّكتور أيُّوب الأيُّوب، وقَد ذكرت المجلَّة بعضَ التَّوصيات الَّتي خَرَجَ به المُشَاركُونَ في المُؤتمر، وقبل أن نَسُوقَها كان لا بُدَّ من التَّنبيه علىٰ أَمرين اثنين:

الأمر الأوَّل: أنَّ الدَّعوةَ إِلَىٰ التَّقاربِ بَينَ الإسلامِ والدِّياناتِ الأخرىٰ الَّتي يَقُومُ بها الإخوانُ المسلمون في الكويت ليست دعوةً جديدةً عمَدوا إليها من تلقاءِ أنفسِهم، ولكن هذه الدَّعوةُ لها جذورٌ مُمتدَّةٌ منذ زمَن حسن البنَّا مُؤسِّس حزْبِ الإخوان المسلمين، فقدْ جعَلها أصلًا مِن أصُولِ منهجِه، فهو الَّذي يقول: وليست حركةُ الإخوان مُوجَّهةً ضدَّ عقيدةٍ من العقائدِ، أو دينٍ من الأديانِ، أو طائفةٍ من الطَّوائفِ.

الأمر الثَّاني: حتَّىٰ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ المُستفيدُ من هذا المُؤتمر، انظر إلىٰ المكان الَّذي عُقِدَ فيه، لقدْ عُقِدَ هذا المُؤتمرُ في «موسكو» عاصمة روسيا الشُّيوعيَّة الَّتي تَرْفع لواء: «لَا إلهَ، والحَياةُ مادَّةٌ»، وَفي الوقت الَّذي يَقْتل فيه الجنودُ الرُّوس إِخْوانَنا المُسلمين في الشِّيشان... إلىٰ أنْ قال: وعَوْدًا إلىٰ المُؤتمر والتَّوصياتِ الَّتي صَدَرت عنه:

١ - إنَّ المُؤتمرَ الَّذي ضمَّ مُمثِّلي جميعِ الأَديانِ مُسْتلهمًا قِيَمها نَحو إِيجَادِ مِسَاحاتٍ أَرْحبَ للتَّفاهُمِ والحِوارِ والتَّعايشِ بين الشُّعُوبِ.

٢ - يَستنكر المُؤتَمرُ في ضوءِ تَعَاليم الأَديانِ السَّمحة جميعَ الحُرُوبِ العِرقيَّة والطَّائفيَّة في جمِيع أَنحاءِ العالَم.

قلتُ: وفائدة ذلك إِن كانَ له فائدةٌ بالنِّسبة لبَعض المُشَاركين القضاءُ علىٰ الجهادِ الَّذي يدَّعي الإخوانُ المسلمون أنَّهم يَقُومُون بواجبِه دون غيرهم.

٣ - يُؤكِّد المُؤتَمرُ المبادرةَ العربيَّةَ الَّتي أُعْلنتْ في القاهرة سنة (١٩٩٠م) بضَرورةِ إِخْلاءِ الشَّرقِ الأوسط من جميعِ أَسْلحةِ الدَّمار الشَّامل، وفي مُقدِّمتها السِّلاح النَّووي.

٤ - يُؤكِّد المُؤتَمر ضرورةَ الحِفاظِ علىٰ القُدسِ ووصفها مَهبَط الأَدْيانِ الثَّلاثةِ.

٥ - يُؤكِّد المُؤتَمر مُبَادرةَ الأَزهر الشَّريف في تَشكيل لجنةٍ للوَسَاطةِ من زُعَماءِ الأَديانِ في العالم للتَّدخُّل في حلِّ النِّزاعات الإقليميَّة والدَّوليَّة في ضَوءِ تَعَاليِم الأَديانِ السَّمَاويَّة، وميثاق هَيئةِ الأُمَم المُتَّحدة.

٦ - يُنَاشِدُ المُؤتَمرُ جميعَ المُؤسَّساتِ الثَّقافيَّة والتَّعليميَّةِ العَمَل علىٰ تَرْسِيخِ قِيَمِ الحوارِ والتَّعايش والتَّواصلِ بَين الثَّقافاتِ والأَديانِ المُختلفة.

٧ - يُوصِي المُؤتَمرُ باستمراريَّة وِجْهَاتِ النَّظَر، وتَأكيد رُوح الأُخوَّةِ والتَّعاونِ

بين المسلمين وإخوانهم من أتباع الدِّيانات السَّماويَّة الأُخرىٰ، كما يُطَالبُ المُؤتمر بضَرورةِ تَشكيل أَمَانَةٍ عَامَّةٍ للمُؤتَمر لمُتَابعةِ تَنفيذ تَوصياتٍ وإنشاء مَرْكزٍ للدِّراساتِ تَخدم قضايا التَّعاونِ والحوارِ والتَّفاهمِ بَينَ أتباع الدِّياناتِ السَّماويَّةِ الثَّلاثة.

٨ - يَدْعو المُؤتمر جميعَ الدُّولِ لأنْ تُوفِّر للأَقليَّاتِ أيًا كان انْتِمَاؤُها الدِّينيُّ حقَّها في مُمَارسةِ شعائِرها الدِّينيَّة، والحفاظ علىٰ خُصوصيَّاتها الاجْتِمَاعيَّة والثَّقافيَّة.

قال مُؤلِّفُ الكتابِ المَذكور - جزاه الله خيرًا - في (صفحة ٢٥): «إذا تَأمَّلْتَ التَّوصيَاتِ السَّابِقةَ حقَّ التَّأمُّلِ، اتَّضح لكَ يقينًا مَدَىٰ ما قَدَّمه الإخوانُ المسلمون من التَّنازلاتِ الكثيرة لليهُود والنَّصارىٰ حتَّىٰ جعلوهُم في مَقَام العزَّةِ، وقَدْ أذلَّهم اللهُ، وجَعَلوا المُسلمينَ في مَقَامِ الذِّلَّةِ وقَد أعزَّهم اللهُ في قولِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨] فحَسبُنا الله ونِعمَ الوكيلُ، وإليه المُشتكىٰ».

وأقولُ: إنَّ حريَّةَ الاعتقادِ فِريةٌ يَتلقَّفها الإخوانُ المُسلمون بعضهم عن بَعضٍ، ويُقلِّدُ فيها آخِرهُم أوَّلَهُم، وصَغِيرُهُم كَبيرهُم من أَجل ذلك ومِن أجل انْصِباغِهم بِصِبغةِ الصُّوفيَّةِ الَّتي تُؤمِنُ بوحدة الوجود، ومن ثمَّ بوحدة الأديان، كما سبق أن دلّلتُ عليه من قول شيخهم الأكبر وكِبْرِيتهم الأحمر محمد بن عربي، ثمَّ من أَقوال سائر شُيوخِهِم.

وعلىٰ هذا فلا غرابةَ إن دعا الإخوانُ المسلمونَ في الكويت وفي السُّودان إلىٰ مُؤتَمرات وحدة الأديان، وإلىٰ مؤتمرات تقارُبِ الأَديانِ، وَاشْتركوا فيها؛ لأنَّ هذه العقيدةَ الكُفريَّة من عقائدِ الصُّوفيَّة المُنحرفةِ، والصُّوفيَّة في عقيدةِ شَيخهم ومُؤسِّس حِزبهم حسن البنَّا، تربَّىٰ عليها مِن الصِّغر، وتَرعرَع في

أحضانِها، وَاخْتلطَت بِلَحمِه ودمِه منذُ نُعومةِ أظافرِه حتَّىٰ كان يحلُمُ بشيخِه في الطَّريقةِ الحصافيَّة في النَّوم كما اعْترَفَ بذلك هو بنفسِه في مُذكِّراتِه، وأنَّ الإسلامَ وشَريعتَهُ هي الدِّين الحقُّ، وكلَّ دينٍ سِواهُ باطلٌ، فمَن لَم يَعتقد هَذا الاعتقادَ فهُوَ كافرٌ حَلالُ الدَّمِ والمال، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ١ - ٣].

فهذه الآياتُ تدلُّ علىٰ أنَّه ليس في الأَرض دينٌ يَقبلُه اللهُ ويَرضىٰ التَّعبُّدَ له به إلَّا دينَ الإسلامِ، وأنَّ مَن زعَم أنَّ دينَ اليهود ودين النَّصارىٰ أديانٌ سماويَّةٌ يجوزُ التَّعبُّدُ لله بها بَعْد نَسخِها برسالةِ نبيِّنَا مُحمَّدٍ ﷺ، والتَّقرُّب إليه بعباداتِها فهُو كافرٌ، حلالُ الدَّمِ والمالِ، وأنَّه يجبُ أَنْ يُستتابَ، فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ، وقَد أَفتىٰ بِذَلِكَ الشَّيخُ مُحمَّد بن صالح العثيمين رحمة الله عليه، كما نَقَل ذلك صاحبُ: «تهافت الشِّعارات وسُقُوط الأقنعة» (ص ٢٧)، فقال: قال الشَّيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين: «إنَّ الَّذي يُجيزُ أَن يكونَ الإنسانُ حُرَّ الاعْتِقَادِ يَعتقد ما شاءَ من الأَديانِ؛ فإنَّه كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ يُستَتابُ، فإن تابَ وإلَّا قُتِلَ، وَجَبَ قَتْلُهُ». اهـ. من فتاوىٰ ابن عثيمين (٣/ ٩٩).

وسَتأتِي فتوىٰ لِهَيئةِ كبار العُلَماءِ، فتبًّا وسُحْقًا لَهُم، ثمَّ تبًّا وسُحْقًا لمَن يَسعَىٰ في عَقْد المُؤتَمراتِ لهَذا الكُفرِ الصُّراحِ، وتبًّا وسُحقًا لمَن حَضرَ هَذهِ المُؤتمراتِ، أَو أَعانَ عَليها، وتبًّا وسُحقًا لمَن غابَ عَنها ورَضِيَها، وتبًّا لِمَن سَمِعَ بِهذه المُؤتَمراتِ ولَم يُنكِرها ويَتبرأ مِنها.

فصل

أَمَّا الإخوانُ المُسلمونَ فِي السُّودان، فقدْ قامُوا بدَورٍ أكبر ليُوفِّروا علىٰ دُعاةِ التَّبشيرِ ما كانوا يَقومُونَ به مِن جهدٍ ومالٍ ليُخْرجُوا المُسلمينَ من الإسلامِ ويُدخلُوهُم في دينِ النَّصرانيَّة، فقامَ الإخوانُ المُسلمونَ في السُّودان بقيادة الدُّكتور حسن بن عبد الله التُّرابي، بِما لم يَستطِعْ عليه المُبشِّرون في عشراتِ السِّنين.

فعقَدَ المُؤتمراتِ لوحدة الدِّين بينَ المُسلمينَ والنَّصارىٰ مِن أَجلِ التَّعايشِ السِّلميِّ بينهم، وأَلغَىٰ الفوارقَ، فأمَرَ بسَحْبِ الدِّين مِن الهُوِيَّة ليكون المُسلمُ والنَّصرانيُّ سواءً.

وأباحَ للنَّصارىٰ أن يُحاضِروا في كُليَّاتِ البناتِ المُسلماتِ، وأمر بأن يُبْنَىٰ في كلِّ مكانٍ من أماكِنِ التَّجمُّعاتِ مَسجِدٌ وكنيسةٌ ومعبدٌ.

ودعَا أَنْ يُطبَعَ القرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ فِي غلَافٍ وَاحِدٍ عنوانًا علىٰ التَّسامُحِ، فإنَّا لله وإنَّا إليهِ راجِعونَ.

وهأنَا أَنقُلُ باختِصارٍ ما وصَلَ إليَّ عن المُؤتَمراتِ الَّتي عُقِدَت في السُّودانِ بقَصْد الدَّعوة إلىٰ تَوحيدِ الأديانِ، ونُشِرَت فِي وَثَائِقَ، والَّتي تَرأَسها وَدَعَا إِلَيها حسن عبد الله التُّرابي:

الوثيقة الأولىٰ:

وقَدِ انْعقَدَ المُؤتَمر مَرَّةً أُخرىٰ بمُوجَب الوثيقة رقم (١) في صحيفة السُّودان الحديث بالعدد رقم (١٢٠٢) في ٢٩/ ٤/ ١٩٩٣م، العناوين البارزة: «التُّرابي

يُحاضر الوُفُودَ المُشَاركة في مُؤتمر الأديان»، وكَانَ في المَقَال:

«عَوَّل التُّرابيُّ كثيرًا علىٰ عُلَماء الدِّين المسيحيِّ والإسلاميِّ، ودَعَاهم إلىٰ دَوْرٍ فَاعل ومُتَعاظم من أجل إنقاذِ البَشريَّةِ وإرْساءِ دَعَائم السَّلام، وتَوفير الطُّمأنِينَة للشُّعوبِ مُؤكِّدًا أنَّ العالَمَ الحاليَّ يَتَّجه نَحو التَّوحيد الدِّينيِّ بمُختلفِ أشكالِهِ، وَهِيَ رِسَالَةٌ ينبغي أداؤها علىٰ الوَجهِ الأكمل.

وأوضَح الدُّكتور التُّرابي أنَّ هذا المُؤتمر يُمكن أن يلعبَ دَورًا فاعِلًا ومُؤثِّرًا فِي تَوحيدِ الأفكار، ومِن ثَمَّ التَّوحيد علىٰ أسَاسٍ إنسانيٍّ بَينَ الدِّياناتِ كافَّةً من أجلِ إسعَادِ البَشريَّة». اهـ.

قلتُ: بَل من أجلِ إشْقاءِ البَشَريَّةِ وإضلالهم، إنَّ مَن يرَىٰ من المُسلمينَ أنَّ تَوحيدَ الأديانِ بجَمِيعِ أشكالها هو طريقُ السَّعادةِ، كافرٌ حلالُ الدَّمِ والمَالِ، يُستَتاب، فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ؛ لأنَّه كَذَّبَ الله في خبره حيث يقولُ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

الوثيقة الثَّانية: اسم الصَّحيفة: «السُّودان الحديث»، العدد رقم (١١٢٧) بتاريخ الأربعاء ١٨ شعبان ١٤١٣هـ، الموافق ١٠ فبراير ١٩٩٣م، العناوين البارزة: «**علىٰ شرف زيارة بابا الفاتيكان للسُّودان دعوةٌ مِن أجل السَّلام والمحبَّة والعدل**»، قال: يَصِلُ سَمَاحة البابا يوحنا الثَّاني للبلاد صباحَ اليوم في زيارةٍ للسُّودانِ هِيَ الأُولىٰ من نَوعها في التَّاريخ السُّودانيِّ، ويُعتبَر السُّودان ثاني دَوْلةٍ إسلاميَّةٍ يَزُورُها البابا في أفريقيا بعد المَغرب، ومن المُؤمَّل أن يكونَ البَابَا هو الحَكَمُ الفَصْلُ، والحَاكِمُ العدلُ بينَ المجتمع الدّوليِّ والسُّودان...

إلىٰ أنْ قال: ويَتَّجه السُّودانُ الآن لعَقْد مُؤتَمر حوار الأديان في ٢٦ من أبريل

المقبل، وَهُوَ حَدَثٌ لَم يَشهده أيُّ بلدٍ من بُلدانِ العالَمِ، ويُؤكّد الوَعْيَ الرَّفيعَ الَّذي تَتمتَّعُ به القيادةُ السِّياسيَّةُ في البلاد، أي: السُّودان. اهـ.

قلتُ: وأيُّ وعيٍ رَفِيعٍ الَّذي تَتمتَّع به القيادةُ السِّياسيَّةُ في حِرْصِها علىٰ المَزْجِ بَين الأَديانِ وتَوحيدِها؟! لقَد أضاعَ السُّودان - أو بالأَحرىٰ: لقَد أَضاعَت قيادةُ السُّودان مُمثَّلةً في حسن التُّرابي وحِزبِهِ ومَن سَارَ سَيْرَهم - الإسلامَ، فهُم يَبْحثونَ عنهُ بين رُكامِ الأَديانِ الباطلةِ، فهلْ تُراهُم يَجدونَه أم لا؟

إنَّ الإسلامَ لَا يَصِحُّ إلَّا مِمَّن اعْتقدَه هوَ الدِّين الصَّحيح والمَقبول عند الله عَزَّوَجَلَّ، وما سِوَاهُ باطلٌ ومَرْدُودٌ غيرُ مقبولٍ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

الوثيقة الثَّالثة: اسم الصَّحيفة: «الإنقاذ الوطني»، العدد (١٠٥٠) التاريخ: ٢ رجب ١٤١٣هـ العنوان البارز: **«وزيرُ الإرشاد يفتح الأوقافَ الإسلاميَّة بـ (جوبا) ويتبرع للكنيسة الأسقفيَّة بمئة ألف جُنيه»**.

قلتُ: نَعُوذُ باللهِ مِن الخِذْلانِ، أَموالُ المُسلمين يَتبرَّع بها وزيرُ الأَوقافِ والإرشادِ السُّودانيُّ لِبناءِ الكنيسةِ الأسقفيَّة! أينَ الإسلامُ؟ ما هي العقيدةُ الَّتي تُبيحُ ذلك مع أنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كانَ يَشترطُ علىٰ الذِّمِّيين أنَّهم لا يُجدِّدون ما رمَّ مِن كنائسِهم؟!

الوثيقة الرَّابعة: اسم الصَّحيفة: «الحديث» تاريخ: الأحد ١١ ذو القعدة ١٤١٣هـ الموافق ٢ مايو ١٩٩٣م، عمود حديث الأحد، الكاتب: الأب القمص فليوثاوس مُقرِّر مُؤتمر الأَديانِ، عنوان المقال: **«التَّعايُش الدِّينيُّ في السُّودان»**.

يقول: اسْمَحُوا لي أن أُقدِّم لَكُم مُلَاحظاتٍ علىٰ طَرِيق التَّعايُش الدِّينيِّ في

السُّودان، لقَد قَدَّم عِدَّة مُلَاحظاتٍ تبلغ إلىٰ سَبْعَ عشرة مُلَاحظةً.

الفقرة رقم (٨): البطاقة الشَّخصيَّة في السّودان تُؤكِّد المُواطنَة السُّودانيَّة، ولَيسَ فيها ما يُشيرُ إلىٰ دينِ المُوَاطِنِ.

الفقرة رقم (١٠): تُبْنَىٰ الكنائسُ بجِوَارِ الجَوَامع كنَمُوذجٍ للتَّعايُش، والتَّآخي، والوحدة الوطنيَّة.

قلت: فأَينَ قولُ الله تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقولُ الله تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

الفقرة رقم (١٦): يقول الأب قمص المذكور: أَقُومُ الآن بتَدريس الدِّين المسيحيِّ في بعض الجامعات، وعَلَىٰ الأخصِّ كُليَّة البنَات الجامعيَّة.

قلتُ: علىٰ الإسلامِ في السُّودان السّلامُ، صُوفيَّةٌ، وتَنْصيرٌ، ووحدةُ أديانٍ، وهذا لم يُوجَد إلَّا في عهْد استيلاء الإخوان المسلمين مُمثَّلًا في التُّرابي، وقد سمعتُ شخصًا من الدُّعاةِ المشهورين في السّعوديَّة مِن الحزبيِّين، يقول: مَن أحبَّ أَن يَنظُرَ إلىٰ الإسلامِ مُطبَّقًا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَذهَب إلىٰ السُّودان.

الوثيقة السَّابعة: اسم الصَّحيفة «الإنقاذ الوطنيّ»، التَّاريخ: الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٩١م، قالوا في المؤتمر: رئيس الوفد الياباني ملتقىٰ الأديان في الخرطوم للحوار، والصَّلاة من أجل السَّلام، السُّودان مَعْبر السَّلام إلىٰ أفريقيا.

الوثيقة الثَّامنة: الصَّحيفة: «الإنقاذ الوطني»، التَّاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩١م، العناوين: الدُّكتور حسن مكّي.. التَّعايش الإسلاميُّ المسيحيُّ في أَحسنِ أَوضاعِهِ، ولا يَأبىٰ المزيد.. لا بُدَّ من كنِيسةٍ وطنيَّةٍ تُروِّج لثقافةِ السَّلام، وإشاعةِ المودَّة.

قلتُ: وهذه دعوةٌ للتَّنصير، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله.

الوثيقة التَّاسعة: الصحيفة مجلَّة: «الملتقى»، العدد رقم (٤) في ندوة المُلتقى، رؤية تاريخيَّة للسُّودان، قال الدُّكتور حسن مكّي: نَدْعو لقيام الحِزبِ الإبراهيمي، ويَقصدُون بالحِزب الإبراهيمي: جمع النَّصارىٰ واليهود والمُسلمينَ والَّذين أشركوا والبُوذيِّين في حِزبٍ واحدٍ، زاعِمينَ أنَّ هذه الأديانَ كلَّها تُنسَبُ إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ونقولُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ وهو أصدقُ قائلٍ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

الوثيقة الحادية عشرة: اسم الصَّحيفة: «الحوار»، العدد: (٢) التاريخ ٢٥ صفر ١٤١٤هـ - ١٤ أغسطس ١٩٩٣م، العنوان البارز: «ديسكو إسلامي»، الكاتب: حسين محمد أحمد، قال في مقالٍ طويلٍ، وفيه: «عندمَا تولَّيتُ أمْرَ مَنَاشِطِ الشَّباب في الحركةِ الإسلاميَّة في الثَّمانينات، حاولتُ أن أزجَّ بالتَّنظير دنيَا التَّطبيق، فشرَعْنَا في تكوين المسرح والمُوسيقىٰ والفُنون والصَّحافة، وغيرها.

وأذكُر أنَّه سألني صديقٌ من رُفقاءِ الدِّين - أي: من حزبِهِ - ساخرًا: أظنُّكم سَتُكوِّنون فِرْقَةً للرَّقص بَعد ذلك، ورغمَ أنِّي كنتُ أعلَم أنَّه يَسْتخفُّ منِّي ومِن بَرَامِجِنا بسُؤالِهِ، ولكن رَدِّي كان جادًّا، وأكَّدْتُ له أنَّ الرَّقصَ قيمةٌ جماليَّةٌ وإنسانيَّةٌ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَقَف يُروِّحُ عن نفْسِه بِمُتابعةِ الرَّقص وخلْفه أمُّ المُؤمنِينَ عائشة تَنظر حتَّىٰ ملَّت قدمَاها، وكان خاتم الرُّسُل يقول: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ»[1]. اهـ.

---

(١) «دونكم»: تابعو اللعب. «بني أرفدة»: لقب للحبشة، أو اسم أبيهم الأكبر، انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٦/ ١٨٦).

قلت: إن قصدَ أنَّ النبيَّ ﷺ نظر إلى الحَبَشة وهم يلعبون بحِرَابهم، وخلفه عائشة، وقال لهم هذا القول، فهذا في «الصَّحيحين»[(١)]، إلَّا أنَّ لعبهم لم يكن رَقصًا، وإنَّما كان تدرُّبًا على حمل السِّلاح وآلة الجهادِ، وإن قصدَ أنَّ النبيَّ ﷺ رَقص وخلفه عائشةُ، فهذا كَذِبٌ على النبيِّ ﷺ، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

وأمَّا أنَّ الرَّقصَ قيمةٌ جماليَّةٌ، فهذا باطلٌ، والرَّقصُ لا يَعملُه إلَّا ضُعفاءُ الإيمانِ، سُفهاءُ الأَحلامِ، فمتى كان قيمةَ جَماليَّةً وإنسانيَّةً.

وأخيرًا، هذه شواهدُ مُختصرةٌ تدلُّ أنَّ مُؤتمرَ وحدةِ الأديان أو حِوَار الأَديانِ - أو سَمِّه ما شئتَ أن تُسمِّيَه - انْعقَد في السُّودان مرَّتين على الأقلِّ؛ مرَّةً في عام ١٩٩١م، ومرَّةً في عام ١٩٩٣م، وكان من نتائِجه وآثارِه السَّيِّئةِ على الدِّينِ الإسلاميِّ وأهلِهِ، أَنْ:

أوَّلًا: أُلغِيَت الفوارِقُ بَين المُسلمينَ والمَسيحيِّين، فيُعطى المسيحيُّ بطاقةً مُساويةً لبِطاقةِ المسلمِ، ليسَ فيها ما يدلُّ على الدِّين، ومَعنى ذلك: التَّساوي في الحُقُوقِ بينَ المسلمين والنَّصارى كما صرَّح به الإخوانيُّون في مصر؛ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذَّاريات: ٥٣].

ثانيًا: ومِن آثارِهِ السَّيِّئةِ: اعتقادُ أنَّ الدِّينَ المسيحيَّ صحيحٌ، كما أنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ صحيحٌ، وأنَّه يُمكن أن يُصاغَ منهما دينٌ وسَطٌ، وهذا كفرٌ، مَن فعلَه أو اعتقده جائزًا فهو كافرٌ خارجٌ من الإسلامِ، مُرتدٌّ عنه، يُستتابُ، فإنْ تابَ وإلَّا قُتِل كُفرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٧)، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثًا: ومِن آثارِ هذه الدَّعوة السَّيِّئة: أنَّهم مَكَّنوا للنَّصارىٰ أنْ يَدعُوا إلىٰ التَّنصير في صُفوفِ المسلمين.

رابعًا: ومِن آثارِه السَّيئة: أنَّ كلَّ مَسْجدٍ يُبنَىٰ بجانبه كنيسةٌ، وهذا معناه دعوةٌ للنَّصرانيَّة، والدَّعوةُ إليها كُفْرٌ بالدِّين الإسلاميِّ.

خامسًا: ومِن آثارِ هذه الدَّعوةِ السَّيِّئةِ الَّتي تبنَّاها الإخوانُ المُسلمونَ في السُّودان: أَنْ دعَا بعضُهم إلىٰ طَبْع القُرآنِ الكريم مع التَّوراةِ والإنجيلِ في غلافٍ وَاحِدٍ، وهذا ما أجابَ عليه وحذَّر منه هيئةُ كِبارِ العُلماءِ، وعلىٰ رأسِهم شيخُنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حفظه الله، وحَفِظَ الجميعَ.

نصُّ الفتوىٰ نُشِرَ في جريدة: «المسلمون» العدد ٦٤٦، في ١٥ صفر ١٤١٨هـ، بعنوان: «دعوات مَشْبوهة لطِبَاعَةِ القُرآن الكريم والتَّوراة والإنجيل في غلَافٍ واحدةٍ» قالَ فيها:

وَصَلَت للمُسلمينَ رسالةٌ من سمَاحَة المُفتي العام للمَملكة العربيَّة السّعوديَّة، ورئيس هيئة كبار العُلماء وإِدَارة البُحُوث العلميَّة والإفتاء، الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مَشْفوعةً بِرَدٍّ من اللَّجنة الدَّائمة للبُحوث العلميَّة والإفتاء علىٰ الطُّرُوحات الَّتي تَتعلَّق بقضايا وحدة الأَديانِ، ونَنْشُرُ فيما يلي الخطابَ والفَتوىٰ:

من عَبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ حَضْرة الأَخِ المكرَّم سعادة رئيس تحرير جريدة «المسلمون»، وَفَّقه الله:

السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ، وبعدُ:

فقَدْ كَثُرَتْ في الآونَةِ الأخيرة الأحاديثُ والنَّدواتُ واللِّقاءاتُ حَولَ ما يُسمَّىٰ

بـ «وحدة الأديان»، أو التَّقريب بَينها، ونظرًا لِمَا في ذَلِكَ من مُضادَّةٍ لكثيرٍ من المَفاهِيمِ والتَّعليماتِ الإسلاميَّةِ، فَقَد أَصْدَرَتِ اللَّجنَةُ الدَّائمَةُ للبُحُوثِ العِلميَّةِ والإفتاء الفَتْوىٰ رقم (١٩٤٠٢)، وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ، عن سُؤالٍ في ذلكَ أَشْفَع لِسَعادتِكُم نُسْخةً مِنهُ راجيًا التَّكرُّمَ بنَشرها في الجريدة لَدَيكم لعُمُوم الفائدة، وأَسأَلُ اللهَ أَن يُوفِّقني وإيَّاكُم لِمَا يُحبُّه ويَرضاه، وأَن يُعِينَ الجميعَ علىٰ كلِّ خيرٍ، إنَّه سميعٌ قريبٌ.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ

المفتي العام للمملكة العربيَّة السّعوديَّة

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البُحُوث العلميَّة والإفتاء

فتوىٰ رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ

الحَمْدُ لله وَحده، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَنْ لا نبيَّ بَعده، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يَومِ الدِّين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللَّجنةَ الدَّائِمَةَ للبُحُوثِ العِلميَّةِ والإفتاءِ اسْتَعرضَت ما وَرَدَ لها من تَساؤُلاتٍ، وما يُنْشر في وَسائِلِ الإعلامِ من آراء ومقالاتٍ بِشأن الدَّعوةِ إلىٰ «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النَّصارىٰ، وما تَفرَّع عن ذلك من دَعوةٍ إلىٰ بِنَاءِ مَسْجِدٍ وكنيسةٍ ومعبدٍ في محيطٍ واحدٍ في رِحابِ المطاراتِ والجامعاتِ والسَّاحاتِ العامَّة، ودعوةٍ إلىٰ طِباعةِ القرآنِ الكريمِ والتَّوراةِ والإنجيل في غلافٍ واحدٍ... إلىٰ غير ذلكَ من آثارِ هذهِ الدَّعوة، وما يُعْقد لها من مُؤتمراتٍ وندوَاتٍ وجَمعيَّاتٍ في الشَّرقِ والغربِ.

وبعد التَّأمُّل والدِّراسة فإنَّ اللَّجنةَ تُقرِّرُ ما يلي:

أوَّلًا: إنَّ مِنْ أُصول الاعتقادِ في الإسلامِ المَعْلومة من الدِّين بالضَّرورة، والَّتي أَجْمَعَ عليها المُسلمون: أنَّه لَا يُوجَد علىٰ وَجْه الأرضِ دينٌ حقٌّ سِوَىٰ الإسلامِ، وأنَّه خاتمةُ الأَديانِ، ونَاسِخٌ لجَمِيعِ ما قَبله من الأَديانِ والمِلَلِ وَالشَّرائِعِ، فلَم يَبْقَ علىٰ وَجهِ الأَرضِ دينٌ يُتعبَّد به الله سِوَىٰ الإسلامِ، قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَالإِسلامُ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحمَّدٍ ﷺ هُوَ ما جاء به دون ما سِواهَا من الأَديانِ.

ثانيًا: ومِن أُصولِ الاعتقادِ في الإسلام: أنَّ كتابَ الله تعالىٰ (القرآن الكريم) هو آخِرُ كتُبِ الله نُزولًا وعَهْدًا بربِّ العالمين، وأنَّه نَاسِخٌ لِكُلِّ كتابٍ أُنْزِلَ مِن قبلُ؛ من التَّوراة والإنجيل والزَّبُورِ وغيرِها، ومُهيمِنٌ عليها، فلَم يَبْقَ كتابٌ مُنزَّلٌ يُتعبَّد اللهُ به عبادةً سِوَىٰ القرآن الكريمِ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يَجبُ الإيمانُ بأنَّ التَّوراةَ والإنجيل قَد نُسِخا بالقُرآنِ الكريم، وأنَّه قَد لَحِقَهما التَّحريفُ والتَّبديلُ بالزِّيَادةِ والنُّقصانِ كما جاء بيانُ ذلك في آياتٍ من كتابِ الله الكريمِ؛ مِنها قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٣]، وقولُه جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولِهذا فما كانَ منه صحيحًا، فهُو مَنْسوخٌ بالإسلامِ، وما سِوىٰ ذلكَ فهو مُحرَّفٌ أو مُبدَّلٌ، وقدْ ثبَت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه غضِبَ حين رأىٰ مع عُمر بن الخَطَّابِ رضي الله عنه صَحِيفَةً فيها شيءٌ مِن التَّوراةِ، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَابْنَ الخَطَّابِ؟ أَلَمْ آتِ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً**[1]**؟ لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»، رواه أحمد، والدَّارمي، وغيرُهما[2].

رابعًا: ومِن أُصول الاعتقادِ في الإسلامِ، أنَّ نبيَّنا ورسولَنا مُحمَّدًا ﷺ هو خاتَمُ الأَنبياءِ والمُرسلينَ؛ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فلَمْ يَبْقَ رَسولٌ يجبُ اتِّباعُهُ سِوَىٰ مُحمَّدٍ ﷺ، ولو كان أحدٌ من أنبياء الله حيًّا، مَا وَسعَهُ إِلَّا اتِّباعُهُ ﷺ، وأنَّه لا يسَع أَتْباعَهم إلَّا ذلكَ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

---

(١) قوله ﷺ: «بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»، أراد المِلَّة؛ لذلك جاء التأنيث، كقوله سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة: ٥]، أي: تفسير المِلَّة القيِّمة الحنيفيَّة. انظر: «شرح السُّنَّة» للبغويِّ (١/ ٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد في «المُسند» (٣/ ٣٨٧) (١٥١٩٥)، والدَّارميُّ (٤٤٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (١٥٨٩).

ونبيُّ الله عِيسَىٰ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - إذا نزَلَ في آخِرِ الزَّمانِ يكونُ تابِعًا لمُحمَّدٍ ﷺ، وحاكمًا بشريعتِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أنَّ من أُصُولِ الاعتقادِ في الإسلامِ أنَّ بِعْثَةَ محمَّدٍ ﷺ عامَّةٌ للنَّاس أجمعين، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومِن أصولِ الإسلامِ: أنَّه يَجبُ اعتقادُ كفرِ كُلِّ مَن لَم يَدخلُ في الإسلام مِن اليهودِ والنَّصارىٰ وغيرِهم، وتَسْميته كافرًا، وأنَّه عدوٌّ لله ورسولِه والمُؤمنينَ، وأنَّه من أهلِ النَّارِ كما قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البيِّنة: ١]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦]، وغيرها مِن الآيات.

وثبتَ في «صحيح مسلم» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ، وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»(١).

ولِهذا مَن لَم يُكفِّر اليهودَ والنَّصارىٰ فهو كافرٌ طرْدًا للقاعدةِ الشَّرعيَّةِ: «وَمَنْ لم يُكفِّر الكافرَ فهو كافرٌ».

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

سادسًا: وأمام هذه الأُصولِ الاعتقاديَّةِ والحقائقِ الشَّرعيَّة، فإنَّ الدَّعوةَ إلىٰ وحدةِ الأديانِ والتَّقاربِ بينها، وصَهْرها في قالَبٍ واحدٍ - دَعْوةٌ خبيثةٌ ماكرةٌ، والغرضُ منها خلطُ الحقِّ بالباطلِ، وهَدْم الإسلام، وتَقْويض دعائِمه، وجرُّ أهلِه إلىٰ رِدَّةٍ شاملةٍ، ومِصْداقُ ذلكَ في قولِ الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقولِه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النِّساء: ٨٩].

سابعًا: وإنَّ مِن آثارِ هذه الدَّعوةِ الآثِمةِ: إلْغاءَ الفوارقِ بين الإسلامِ والكُفْرِ، والحقِّ والبَاطِلِ، والمَعروفِ والمُنكرِ، وكَسْرَ حاجِزِ النُّفْرةِ بين المُسلمينَ والكافرينَ، فلا ولاء، ولا براءَ، ولا جِهادَ، ولا قِتالَ لإعْلاءِ كلِمةِ الله في أرض الله، واللهُ جلَّ وتقدَّسَ يقولُ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامنًا: أنَّ الدَّعوةَ إلىٰ وحدةِ الأَديانِ إنْ صدَرتْ مِن مُسلمٍ فهي تُعتبرُ رِدَّةً صَريحةً عن دينِ الإسلامِ؛ لأنَّها تَصْطدمُ مع أصولِ الاعتقادِ، فَترضَىٰ بالكُفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وتُبطِلُ صِدْقَ القُرآنِ ونَسْخَه لِجميع ما قبلَه مِن الكتُبِ، وتُبطل نَسْخَ الإسلام لِجميع ما قبله مِن الشَّرائعِ والأَديان.

وبناءً علىٰ ذلكَ، فهي فِكرةٌ مَرْفوضةٌ شرعًا، مُحرَّمةٌ قَطْعًا بجَميع أدلَّة التَّشريع في الإسلام من قرآنٍ، وسُنَّةٍ، وإجماعٍ.

تاسعًا: وتأسيسًا علىٰ ما تقدَّم:

١ - فإنَّه لا يَجوزُ لمسلمٍ يُؤمِنُ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبِمُحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورَسُولًا الدَّعوةُ إلىٰ هذهِ الفِكرةِ الآثمةِ، والتَّشجيع عليها، وتَسْليكها بينَ المُسلمينَ فَضْلًا عَن الاستجابةِ لها، والدُّخول في مُؤتمراتِها وندواتِها، والانتماء إلىٰ مَحافلها.

٢ - لا يَجُوزُ لمُسلمٍ طباعةُ التَّوراةِ والإنجيل مُنفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلافٍ واحدٍ؟! فمَن فعَله أو دعا إليه فهُو في ضلالٍ بعيدٍ؛ لِما في ذلكَ من الجمْعِ بين الحقِّ (القرآن الكريم)، والمُحرَّفِ، أو الحقِّ المَنْسوخ (التَّوراة والإنجيل).

٣ - كما لا يَجوزُ لمُسلمٍ الاستجابةُ لدعوةِ بِناء مسجِدٍ وكنيسةٍ ومَعْبدٍ في مُجمَّعٍ وَاحِدٍ؛ لِما في ذلك مِن الاعترافِ بدِينٍ يُعبَد اللهُ به غير دين الإسلام، وإنكارِ ظهورِه علىٰ الدِّين كلِّه، ودعوةٍ ماديَّةٍ إلىٰ أنَّ الأديانَ ثلاثةٌ، لأَهْلِ الأَرضِ التَّديُّنُ بأيٍّ مِنها، وأنَّها علىٰ قَدَمِ التَّساوي، وأنَّ الإسلامَ غيرُ ناسخٍ لِما قبْلَه من الأديانِ.

ولا شكَّ أنَّ إقرارَ ذلك أو اعتقادَه أو الرِّضا به كفرٌ وضلالٌ؛ لأنَّه مُخالفةٌ صريحةٌ للقُرآنِ الكريمِ، والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، وإجماعِ المسلمين، واعترافٌ بأنَّ تحريفاتِ اليهود والنَّصارىٰ من عند الله تعالىٰ، تعالىٰ اللهُ عن ذلكَ.

كما أنَّه لا يجوزُ تَسميةُ الكنائسِ بُيوتَ الله، وأنَّ أهلَها يَعبدُون اللهَ فيها عِبادةً صحيحةً مَقبولةً عند الله؛ لأنَّها عِبادةٌ علىٰ غَير دين الإسلامِ، واللهُ تعالىٰ يَقُول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، بلْ هي بُيوتٌ يُكفَر فيها بالله، نَعُوذُ بالله من الكُفرِ وأهلِه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ١٦٢):

«لَيسَت - أي: البِيَعُ والكَنائسُ - بُيُوتَ الله، وإنَّما بُيوتُ الله المَسَاجِدُ؛ بَل هِيَ بُيُوتٌ يُكفَر فيها بالله، وإن كانَ قَد يُذكَر فِيهَا، فَالبُيُوتُ بمَنْزِلَة أهلِها، وأهلُها كُفَّارٌ، فهي بُيُوتُ عبادةِ الكُفَّار».

عاشرًا: وممَّا يجبُ أن يُعلَمَ أنَّ دَعوةَ الكفَّارِ بِعامَّةٍ، وأهلِ الكتابِ بخَاصَّةٍ إلىٰ الإسلامِ وَاجبةٌ علىٰ المُسلمينَ بِالنُّصوصِ الصَّريحةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ، ولكن ذلك لا يكونُ إلَّا بطريقِ البيانِ والمُجادلَةِ بالَّتي هي أحسنُ، وعدَم التَّنازل عن شيءٍ من شرائع الإسلامِ، وذلك للوُصولِ إلىٰ إقْناعِهم بالإسلامِ ودخولِهم فيه، أو إقامة الحُجَّة عليهم؛ ليَهلكَ مَن هلَك عن بَيِّنةٍ، ويَحيا مَن حيَّ عَن بَيِّنَةٍ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

أمَّا مُجَادلَتُهم، واللِّقَاءُ مَعهم، ومُحاورتُهم لأجل النُّزُولِ عند رغباتِهم، وتَحقيق أهدافِهم، ونَقض عُرَىٰ الإسلامِ ومَعاقدِ الإيمانِ، فهذا باطلٌ يَأْباهُ اللهُ ورسولُه والمؤمنون، واللهُ المُستعانُ علىٰ ما يَصفونَ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

واللَّجنةُ إذْ تُقرِّرُ ذلك وتُبيِّنُه للنَّاسِ، فإنَّها تُوصِي المُسلمينَ بعَامَّةٍ، وأَهلَ العِلمِ خَاصَّةً بتَقوىٰ الله تعالىٰ، ومُرَاقبَتِهِ، وحمايةِ الإسلامِ، وصِيانةِ عقيدةِ المُسلمينَ مِن الضَّلالِ ودُعاتِه، والكُفر وأَهله، وتُحذِّرهم مِن هذه الدَّعوةِ الفِكريَّة الضَّالَّةِ (وحدة الأديان) ومِن الوُقوعِ في حبائلِها.

ونُعِيذُ بالله كلَّ مُسلمٍ أن يكونَ سببًا في جلْب هذه الضَّلالة إلىٰ بلادِ المُسلمين

وتَزْويجها بينهم، نسألُ اللهَ بِأسمائِه الحُسنىٰ وصفاتِه العُلىٰ أن يُعيذَنا جميعًا من مُضلَّاتِ الفتنِ، وأنْ يَجْعلَنا هُداةً مُهْتدينَ، حُماةً للإسلام علىٰ هُدًىٰ ونُورٍ من ربِّنا حتَّىٰ نلْقاهُ وهو راضٍ عنَّا.

وباللهِ التَّوفيق، وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

اللَّجنة الدَّائمة للبُحُوث العلميَّة والإفتاء

(الرئيس): الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(نائب الرئيس): الشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ.

(عضو): الشَّيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

(عضو): الشَّيخ صالح بن فوزان الفوزان.

وأخيرًا؛ أَسَمِعْتَ أخي المسلم هذه الفتوىٰ الرَّصينة العظيمة الَّتي عليها نورُ الحقِّ والهُدَىٰ، المَبنيَّة علىٰ كِتَابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِه وإِجماع الأُمَّةِ، النَّابعة من مَعْدنِها من جهابذةِ العِلمِ، وأَسَاطِين المَعرفة، ودُعَاة الخير، بعض كبار علماء الدَّولة السّعوديَّة، دولة التَّوحيد الَّتي تُحكِّمُ شَرْعَ الله في محاكِمِها، وتَنْشر دِينه في أَجيالها مُستقًىٰ من النَّبعِ الصَّافي، والسَّلسبيلِ العَذْبِ، وهو شرْع الله المأخُوذ من كتابِه وسُنَّة رسولِه ﷺ، وما درَجَ عليه السَّلفُ الصَّالحُ من الصَّحابةِ والتَّابعين وأَتْباعِهم في كلِّ زمَنٍ مِن أئمَّةِ الهدَىٰ وقادةِ الخير إلىٰ يوم القيامةِ، الَّذين ذكَرهم نَبيُّ الهُدَىٰ ذِكْرًا جميلًا، ووصَفهم وَصْفًا عظيمًا، فقال: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[١].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاريُّ (٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سُفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

عليكَ أخِي المُسلم بهذِهِ الفَتوىٰ، فخُذْ بِهَا، وتَشبَّث بِهَا، ولا يَغرَّنَّك عن دينِكَ الغرَّارونَ المكَّارونَ الَّذين يُريدُونَ سَلْبَ عقيدَتك مِنك، وإلقاءَك في نارِ جهنَّمَ، وباللهِ التَّوفيق.

ويَعلمُ اللهُ أنِّي فرحتُ بهذه الفَتوىٰ حِينَ نُشرَتْ؛ لأنِّي كُنتُ قَدْ كتبتُ هذا الرَّدَّ، ورُغم أنَّني مُتأكِّدٌ مِمَّا كتبتُ أنَّه حقٌّ، ومِمَّا رددتُ عليه أنَّه باطلٌ إلَّا أنِّي كنتُ أخشىٰ الاتِّهامَ بالتَّسارع إلىٰ التَّكفير، وهذهِ قالةٌ يُردِّدها كثيرٌ من النَّاس لا سِيَّما مَن لهم تعاطفٌ مع أصحابِ المناهج المُنحرفة من غير أن يُتعبُوا أنفسَهم في البَحث عن الحقائقِ، هدانا الله وإيَّاهم.

والمُهِمُّ: أنِّي فرحتُ بِهَذِهِ الفَتوىٰ؛ لأنَّها صدَرت من قِمَمِ الفَتوىٰ والعِلمِ، وأيَّدَتْ ما سطَّرتُه، فالحَمدُ للهِ أوَّلًا وآخرًا، ولا يُستَغربُ الشَّيءُ من مَعدنِهِ، كما قيل.

وأمَّا قولُهُ: «وحرِّية إقامةِ الشَّعائر الدِّينيَّة لجَميع الأديانِ السَّماويَّة المُعترف بها».

قلت: في هذا الكلَام تَمويهٌ وإيهامٌ، وكأنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّةَ مُعترفٌ بها في شريعةِ الإسلامِ، وكأنَّ الإسلامَ أقرَّ هذه الأديانَ ولم يُنكرها، والحقيقةُ أنَّ الإسلامَ أنكرَ علىٰ أهل هذهِ المِلَل ما هُم عليه من الباطِل، ودَعاهُم إلىٰ الحقِّ، وقَد كتبتُ ردًّا علىٰ هذا الزَّعم، وخُلاصتُه: أنَّ دِينَهم ما بين باطِلٍ مُحرَّفٍ، وحقٍّ منسوخٍ.

وأمَّا إقامةُ دِينِهم المُحرَّف؛ فقد ترَكَ لهمْ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ بشَرط أداءِ الجِزيةِ الَّتي فرَضَها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابِه، فإذا أدَّوها فهُم آمِنُونَ علىٰ دِمائِهم وأموالِهم ومِلَّتهم بالشُّروط الَّتي شُرِطَتْ عليهم في زمن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولَيسَ ذلك إباحةً من الإسلامِ ونبيِّ الإسلامِ لدِينِهم الباطلِ، ولا إقرارًا لِما هُم عليه مِن الكُفر، فافهم ذلك، وإنَّما لأجلِ كَفِّ شَرِّهِم عَنِ الإسلامِ

والمُسلمينَ، وإِذْلَالِهم وإِعطَائِهم الفُرصة للتَّأمُّل لَعلَّهم يَدخلون في دِينِ الإسلامِ إِذَا عرَفوه ولَمَسُوا عدالتَه.

إنَّ العِبادةَ الَّتي يُزاولُونها في كنائسِهم ومعابِدهم - إِن صَحَّ تَسميتُها عبادةً - فهي عِبَادةٌ باطلةٌ مَردودةٌ، لا يَعترفُ بها الإسلامُ، ولا يُقرُّهم عليها؛ لأنَّها مَبنيَّةٌ علىٰ مَا في كتُبهم، والَّذي في كتُبِهم لا يَخلُو مِن أَمْرَين: إمَّا باطلٌ مُحرَّفٌ، وإمَّا حقٌّ منسوخٌ.

لِذَا؛ فإنَّهُ لا يصحُّ أَن تُسمَّىٰ شعائِرَ، ولا يُقال: إنَّ الإسلامَ مُعْترفٌ بدِينِهم، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعَل لهم فُرصةَ الحياة إذا أدَّوا الجِزيةَ مُهْلةً عسىٰ أن يتوبَ مِنهم مَن يتُوبُ، ويُنيبَ ويَرجعَ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِنهم مَن يُنيبُ، فإن أَبَوا، جمَعَ اللهُ عَلَيهم العذابَ في الآخرةِ، قال تعالىٰ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ١ - ٣].

والآن سَأعُودُ إلىٰ الكتابِ الَّذي جاءني مِن ذلكَ الصَّدِيقِ، وضمَّنَهُ رِسالةَ المُتَّصلِ المجهولِ.



فصلٌ

وأَمّا قولُهُ: إنَّ للشَّيخِ مَكَانَةً في قُلُوبِنَا نَحن الشَّباب، وكذلك في قُلُوبِ العامَّة باعتبارِهِ فقيهًا ومُحدِّثًا، ومُفْتِيًا آتاهُ اللهُ من العلمِ ما يَعْلمُه الجميعُ.

وأقولُ:

أوّلًا: إنِّي أَحمدُ اللهَ علىٰ ما وَفَّق وأَنْعَم، وأشكرُه علىٰ ما هدَىٰ وعلَّمَ، ويسَّرَ سُبلَ العِلمِ وفهَّمَ، فلهُ الحَمدُ علىٰ كلِّ ذلك حَمدًا كثيرًا طَيِّبًا مُباركًا فيه، سهَّلَ لنا سبُلَ الهدايةِ والدِّرايةِ، ووفَّقنا للدَّأبِ في التَّحصيلِ والعنايةِ، وإن كنتُ أَلُومُ نفسِي علىٰ الكسَلِ والقُصورِ والتَّقصيرِ عن بلوغِ الغايةِ، وأسأله أن يُثبِّتني علىٰ الحقِّ حتَّىٰ أَلقاهُ، وأنْ يَجعلَ عمَلي خَالِصًا لوجهِهِ، خاليًا مِن الشَّوائبِ والمُحبطاتِ، نَقيًّا من الرِّيَاءِ والعُجْبِ وجميعِ الآفاتِ.

ثانيًا: إذا كنتُم تَعلمونَ أنَّ هذا الَّذي تُخاطبونه وتُريدونَ أنْ تُثْنُوه عن النَّصيحةِ أَعلمُ مِنكم عِلمًا، وأَفقهُ مِنكم فِقهًا، وجميعُ أَهل مُجْتَمَعِكُم يَعودونَ إليه، ويأخذون بفتاواه، فلِمَ تَطلبون منه أن يسكتَ عن بيان ما في تلكَ المناهجِ الباطلةِ مِن أَوجهِ البُطلانِ؟ أَتأمنُونَ أَنَّكم رُبَّما تُعاقَبون علىٰ ذلكَ لأنَّكم ستكونونَ في عِدادِ مَن يصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ؟ !

ثالثًا: إنَّ عليكُم أَنْ تَعودُوا إلىٰ قولِه وفَتْواه هو وغيره من عُلماءِ المِنْطقة، وتَتركوا ما أَنتم عليه من الحِزبيَّاتِ.

رابعًا: تأمَّلوا قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وإذا كُنتم قد أُشكِلَ عليكُم أَمْرُ هذه الحِزبيَّاتِ، أليسَ كانَ من الواجبِ عليكم أن تَعودُوا في مَعرفة ما احْتَوت عليه إلىٰ عُلماءِ بلدِكم، فإن قنعتم بقولِ عُلماءِ بلدِكُم لأنَّهم أكبر مِنكُم سِنًّا، وأكثر مِنكُم عِلمًا، وأطول منكم مُمارسةً لعُلومِ الشَّريعة، وأَقْعد مِنكم بمعرفةِ ما يُناقِضُها، فالحمدُ للهِ، وإلَّا رجعتُم إلىٰ كِبارِ العُلماءِ في المملكةِ، وأَخَذْتُم بقَولهم وفَتْواهم.

خامسًا: اعْلموا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حِينما أَمَركم أن تسألوا أهلَ العِلمِ تضمَّنَ أَمرُهُ هذا شيئين:

أوَّلًا: شيءٌ يخصُّ المسؤولينَ، وَهُو أنَّه يجبُ عليهم أن يُبيِّنُوا الحقَّ، وقَبْل أن يَقُولوا يَتبيَّنُوه بالبحثِ والتَّحقيق منه.

وأن يَقُولوا الحقَّ لا يَحيدوا عنه يَمنةً ولا يَسرةً؛ امتِثالًا لقولِه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

ثانيًا: وأمَّا الشَّيءُ الَّذي يَخُصُّ السَّائلين فهو أنَّه يجبُ عليهم أن يَأخذُوا بقَولِهم المُؤيَّد بالدَّليل، إن تركُوه بعدما علمُوه فإنَّهم يستحقُّون بذلك من الله ثمَّ مِن عِبادِه المؤمنين الذَّمَّ والعقوبةَ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

سادسًا: وهَأَنْتُم قد عَرَفتُم أنَّ تلك المناهج قدِ احتوَت علىٰ باطلٍ كثيرٍ في الأُصولِ والفُروع، فهل أَنتم راجعون إلىٰ الحقِّ وعَاملون به أم ماذا؟ !

سابعًا: فإن أَبيتُمْ فاعْلمُوا أنَّ الحِزبيَّةَ قد أصمَّتكم وأَعْمَت أبصارَكم؛ أَصمَّت

أسمَاعكُم عن سماعِ الحقِّ سَمَاعَ قَبولٍ، وَأَعْمَتْ بصائِرَكم عن رُؤيتِهِ، وَاعْلَموا أَنَّه لا يُنقذكُم من هذه الورطَة إلَّا أَن تَعودُوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بجدٍّ، وَتَلْجؤوا إِلَيه بإخلاصٍ أن يُبصِّركُمُ الحقَّ، ويُوفِّقكم للعَودة إليه، فَاغْتَنموا الحياةَ قبلَ فواتِ الأوانِ.



فصلٌ

أمَّا قَولُكم: إلَّا أنَّه لُوحِظ في الفَترة الأخِيرة كَثْرةُ تَركيزِه علىٰ أُسلُوبِ الحديث عن الجماعاتِ والأحزابِ، وَمَا إلىٰ ذلك مِمَّا لا يَستفيد منه الشَّبابُ، ولا يَفهمه كثيرٌ مِنهم، ولا من العامَّة.

وأقول: وما الَّذي يضِيرُكم أن يَتطوَّعَ بَعضُ إخوانِكم بِبَيان الحقِّ لمَن لا يَعرفه؟! أَلَيسَ هذا مِن الأمر بالمَعروفِ والنَّهي عن المُنكر الَّذي أَمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ به عِباده المُؤمنينَ، ووصَفهُم بِهِ، وأثنىٰ عليهم، ومدَحهم بِهِ في قولِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أَتُريدُونَ أَن تُسَكِّتوا الآمرينَ بالمَعروف وَالنَّاهينَ عن المنكر، أَتأمنُونَ أَن يُعاقِبكم اللهُ علىٰ ذلك عقابًا تَتمنَّون منه أنْ لَوْ تكونُوا أَطَعْتُموهُم، تذكَّروا قولَ الله تَعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

ومعنىٰ هذه الآية أنَّ النَّجاةَ لَم تُكتب إلَّا للبقيَّةِ مِن أَهلِ الخير علىٰ قِلَّتهم بِسببِ كونِهم يَنْهون عنِ الفسادِ في الأرْضِ.

قال الشَّيخُ السَّعديُّ في تفسير هذه الآية (٣/ ٤٦٨): «لمَّا ذكَر اللهُ تعالىٰ إِهْلاكَ الأُمَمِ المُكذِّبةِ للرُّسل، وأنَّ أَكثرهُم مُنحرفُونَ عن أهلِ الكتُبِ الإلهيَّةِ، وذلك يَقضي علىٰ الأَديانِ بالذَّهابِ والاضمحلالِ - ذكَر أنَّه لولَا أنَّه جعَل في القُرُونِ الماضيةِ بَقايَا من أَهل الخير يَدعون إلىٰ الهُدَىٰ، ويَنهونَ عنِ الفسادِ

والرَّدَىٰ، فحصَل من نَفعِهم ما أُبقِيَت به الأديانُ، ولكنَّهم قليلُون جدًّا.

وغَايةُ الأمر أنَّهم نَجَوْا باتِّباعهم المُرسلين، وقِيَامِهم بِمَا قَامُوا بِه، وبِكَونِ حُجَّةِ الله أجرَاها علىٰ أيديهم ليَهلَكَ مَن هلَك عن بَيِّنَةٍ، ويَحيا مَن حيَّ عنْ بَيِّنَة،... إلىٰ أن قالَ: وفي هذا حَثٌّ لِهذهِ الأُمَّةِ أنْ يكونَ فيهم بَقَايا مُصلِحونَ لِما أفسدَ النَّاسُ، قائمُون بدين الله، يَدْعون مَن ضلَّ إلىٰ الهُدىٰ، ويَصبرونَ مِنهم علىٰ الأذَىٰ، ويُبصِّرونَهم من العمَىٰ، وفي هذهِ الحالةِ أعلىٰ حَالةٍ يَرغب فيها الرَّاغبون، وصاحبُها يكونُ إمامًا في الدِّين؛ إذْ جعَل عمَلَه خالصًا لله ربِّ العالمين». اهـ.

سمِعتُم ما قاله هذا الإمامُ في تَفسير هذه الآيةِ، وإذا كُنتُم لَا تُريدُون أن تقومُوا أنتم بهذه الحُجَّةِ، ولا تُريدُون أحدًا يقومُ بها، فما هو حالُكم وعلىٰ أيِّ شيءٍ نَحْملُكم؟!

فإن قُلتُم: نَحن نَشْتغلُ بالدَّعوةِ!

قُلنا: هذا حسنٌ، ولكن علىٰ منهجِ مَن تَشتغلونَ بالدَّعوةِ؟ فإن كنتم تَشتغلونَ بالدَّعوة علىٰ منهجِ النَّبيِّ ﷺ فنحنُ - واللهِ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو - نَفرحُ بِكُم، ونَدعُو لَكم، وإن كُنتُم تَشتغلونَ بالدَّعوة علىٰ بَعض المناهج المُخالفةِ الَّتي نَنْصَحُكم بالحذر مِنها، وهذا ما يدلُّ عليه قولُكم هذا، فنحنُ - واللهِ - نَأسفُ لذلك، ولا نَملكُ إلَّا أَن نَقولَ: اللَّهمَّ رُدَّ إخوانَنا إلىٰ الحقِّ ردًّا جميلًا، وأَعِدْهُم إلىٰ الصَّوابِ عَودًا حميدًا.

وأمَّا قولُكم: «مِمَّا لا يَستفيدُ منه الشَّبابُ، ولا يَفهمُه كثيرٌ مِنهم، ولا مِن العامَّةِ».

وأقولُ: هذه دعوَىٰ غيرُ صحيحةٍ، فنحنُ نُخاطبُ عربًا، ولَسْنا نُخاطِبُ عجمًا، ونُخاطبُ عُقلاءَ، لا نُخاطِبُ مَجانينَ، ونُخاطِبُ مُتعلِّمينَ يَفْهمونَ ويَعلمونَ ما في

تلك الحِزبيَّاتِ مِن أخطاءٍ ومُخالفاتٍ للشَّرعِ الإسلاميِّ، والعقيدةِ السَّلفيَّةِ الصَّحيحةِ، ولكنَّكم لا تُريدُونَ أن يَفهمُوا حتَّىٰ تُسيِّروهم علىٰ أهوائِكم.

إنَّكم تَفرِضُون علىٰ أتباعهم حِصارًا ثقافيًّا، فتَمنعُونَهم مِن الحضورِ عند العُلماءِ السَّلفيِّين، ومِن سماعِ دروسِهم، ومِن أن يَسألوهُم عن تِلك المناهج، وعلامةُ ذلك: تَحذيرُكم من فُلانٍ وكُتبِه، وفُلانٍ ونصائحِه وأشرطتِه، وفُلانٍ ودرُوسِه.

فأَشْبهتُم بِعمَلكم هذا أصحابَ النِّحلةِ الصُّوفيَّةِ، وأصحابَ النِّحلةِ الشِّيعيَّةِ حين يَفرِضُونَ علىٰ أبنائِهم وأصحابِ نِحلتهم حِصارًا ثَقافيًّا، يُحذِّرونهم مِن كتُبِ أَهلِ السُّنَّةِ، ويَصِفُونها بأنَّها كتُبُ زَيغٍ وانْحِرافٍ، وأنَّها سمٌّ قاتلٌ، وموتٌ حاضرٌ.

ويُحذِّرونَهم مِن شُيوخِ أَهلِ السُّنَّةِ، ويَصِفُونَهم بأنَّهم أَصحابُ زَيغٍ وَانْحِرافٍ، فلا تُجالسوهُم، ولا تَسْمَعوا مِنهم، وَأَنتُم أَخذتُم مِن أصحابِ هَاتَينِ النِّحلتين طَرِيقتَهم في التَّنفير عن الحقِّ، وتَرويج الباطل، فتوبُوا إلىٰ الله، وتَراجَعُوا عن الأَخطاءِ الَّتي أنتم عليها، لا تَحرِمُوا أَنفُسَكم، ولا تَحرِمُوا أَتباعَكم مِن الخير، وذلك بأَن تَجلِسُوا في درُوس العقيدَةِ، ودرُوسِ الحديث والفقهِ حتَّىٰ ترَوْا الفرقَ بَين ما أنتم عليه، وما عليه أَهلُ النَّهجِ السَّلفيِّ، واللهُ المُوفِّقُ.

وأمَّا قولُهُ: «وهذا أُسْلوبٌ لم يَتَّبعه كبارُ عُلَمائِنا مثل الشَّيخ عبد العزيز ابن باز، والشَّيخ مُحمَّد العثيمين، والشَّيخ صالح الفوزان، ونَحنُ نَعْتبره من هَؤُلاءِ، ومكانتُهُ لَدَينا مثل مَكانتِهم، ولقَد تَتبَّعنا مُعْظمَ أَشرِطتِهم وكتُبِهم ومُحاضراتِهم، فلَم نَجِد إلَّا اليسيرَ جِدًّا في هذا الموضوعِ حَسبَما تَقتضيهِ الحاجةُ، أو ردًّا علىٰ الأسئلةِ في حدُودِها».

وأقولُ:

أوَّلًا: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أوجبَ علىٰ أهل العِلمِ أن يُبيِّنُوه للنَّاس، ولا يَكتمُوه، والبيانُ فرضُ كفايةٍ، إذا قامَ به البعضُ سقَط عن الآخرِينَ، إذا كانَ البيانُ الَّذي حصَل كافيًا ومُؤدِّيًا وإلَّا لَزِمَ الباقينَ البَيانُ حتَّىٰ تَحصلَ الكفايةُ.

ثانيًا: نَحنُ وهؤُلاء المشايخ الَّذين سَمَّيتهم وغَيرهم، الكلُّ مُكلَّفونَ من الله أن نُبيِّنَ، فمَن أدَّىٰ سَلِمَ من الإثمِ، ومَن قَصَّرَ مع القُدرةِ فإنَّه يَنالُهُ من الإثمِ ما ينالُه بحسَبِ تَقصيرِه إلَّا أنَّ سُكوتَ السَّاكتِ لا يَكونُ حُجَّةً علىٰ المُؤدِّي يُوجِبُ عليه السُّكوتَ، بَل علىٰ ذلكَ السَّاكت أن يَنْظرَ: هل تَأدَّىٰ الواجبُ بإنكارِ مَن أنكرَ أم لَا؟ فإن لَم يَحصُلِ الأداءُ، وَجَبَ عليه أن يُؤدِّيَ.

ثالثًا: وفي مِثلِ حالِنَا هَذَا وَهُو أَن يكونَ المُنكرُ قليلًا، والباطلُ كثيرًا؛ يَجِبُ علىٰ أصحابِ العِلمِ والقُدرةِ أن يُعاضِدُوا الَّذي أنكَر المُنكرَ، ويُعينُوه ويُساعدُوهُ حتَّىٰ يقتنعَ الجميعُ ويَتركُوا المُنكرَ، هذا من حيثُ الحُكمُ العامُّ.

رابعًا: وأنا أقولُ: إنَّ هؤلاء المشايخ لَم يَسكتوا، فقَد بيَّنوا بِإجاباتِهم علىٰ الأسئلةِ؛ فمثلًا الشَّيخ عبد العزيز بن باز سُئل، ونُشِرَ السُّؤالُ في الجزء الرَّابع من مَجموع فتاواه (ص ١٣٦ - ١٣٧) قال السَّائل:

ما وَاجِبُ عُلَماءِ المُسلمين حِيالَ كَثْرَةِ الجَمعيَّات والجَماعاتِ في كثيرٍ من الدُّولِ الإسلاميَّةِ واخْتِلافها فِيما بينها، حتَّىٰ إنَّ كلَّ جماعةٍ تُضلِّل الأخرىٰ، ألَا ترون من المُناسبِ التَّدخُّلَ في مثل هذه المَسألةِ بإيضاحِ وَجْهِ الحقِّ في هذه الخِلافَاتِ خَشيةَ تَفاقُمِها وعوَاقِبها الوخيمَة علىٰ المُسلمين؟

فأجاب الشَّيخ بقوله: «إنَّ مُحمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ لنا دَرْبًا واحدًا يَجِبُ عَلَىٰ المُسلمينَ

أن يَسلُكوهُ؛ وهو الصِّراطُ المُستقيمُ ومنهجُ دينِه القويمِ بقولِ الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما نَهَىٰ ربُّ العِزَّةِ والجلالِ أُمَّةَ مُحمَّدٍ عن التَّفرُّقِ وَاختلاف الكلمةِ؛ لأنَّ ذلك مِن أعظمِ أسبابِ الفشَل وتَسليط العَدوِّ في قولِه جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقولِه تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فهذه دعوةٌ إلهيَّةٌ إلىٰ اتِّحاد الكلمة، وتآلُفِ القلوبِ، والجمعيَّاتُ إذَا كَثُرَتْ في أيِّ بلدٍ إسلاميٍّ مِن أجْلِ الخير والمُساعداتِ وَالتَّعاون علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ بين المُسلمين دُون أن تَختلفَ أهواءُ أصحابِها، فهي خيرٌ وبركةٌ، وفوائدُها عظيمةٌ، أمَّا إن كَانتْ كلُّ واحدةٍ تُضلِّل الأُخرىٰ، وتَنْقدُ أعمالها، فإنَّ الضَّررَ بها حينئذٍ عظيمٌ، والعواقب وَخِيمةٌ.

فالواجبُ علىٰ عُلماءِ المسلمين توضيحُ الحقيقة، ومُناقشة كلِّ جماعةٍ أو جمعيَّةٍ، ونُصْح الجميعِ بأَن يسيروا في الخطِّ الَّذي رَسَمه اللهُ لعِبادِه، ودعا إليه نبيُّنا ﷺ، ومَن تَجاوَز هذا وَاسْتَمرَّ في عِنادِه لِمصالحَ شَخصيَّةٍ، أو لِمقاصدَ لا يَعلمُها إلَّا الله، فإنَّ الواجبَ التَّشهيرُ به، والتَّحذيرُ منه مِمَّن عرَف الحقيقةَ حتَّىٰ يَتجنَّبَ النَّاسُ طَريقَهم، وحتَّىٰ لا يَدخل معَهُم مَن لا يعرف حقيقةَ أمرهم، فيُضِلُّوه عن الطَّريق المُستقيم الَّذي أَمَرَنا اللهُ باتِّباعِه في قولِه جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وممَّا لا شكَّ فِيهِ أنَّ كثْرَة الفِرَقِ والجماعَاتِ في المُجتمعِ الإسلاميِّ مِمَّا يَحرصُ عليه الشَّيطانُ أوَّلًا، وأعداءُ الإسلامِ من الإنسِ ثانيًا؛ لأنَّ اتِّفاقَ كلِمةِ المُسلمينَ ووحدتهم وإدراكهم الخطَرَ الَّذي يُهدِّدُهم، ويستهدفُ عقيدتَهم - يَجعلُهم يَنْشطُونَ في مُكافحةِ ذلكَ العمَلِ في صفٍّ واحدٍ من أجل مصلحةِ المُسلمينَ، ودَرْءِ الخطَرِ عن دينِهم وبِلادِهم وإخوانِهم.

وهذا مسلكٌ لا يَرضَاهُ الأعداءُ من الإنسِ والجنِّ، فلِذا هُم يَحرصُونَ علىٰ تَفريقِ كلمةِ المُسلمينَ، وتَشتيت شَمْلِهم، وبَذْرِ أسلوبِ العداوةِ بَينهُم، نسأَلُ اللهَ أن يَجمعَ كلمةَ المسلمينَ علىٰ الحقِّ، وأن يُزيلَ مِن مُجْتمعِهم كلَّ فتنةٍ وضلالةٍ، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه».

وأمَّا الشَّيخ صالح الفوزان فهو مَعروفٌ بغِلْظتِه علىٰ أهلِ البدَعِ، ونَشاطِه في الرَّدِّ عليهم، ومن ردُودِه: «البَيان لأخطاء بعض الكتَّاب» وهو مجلَّد، ولَهُ رُدُودٌ أُخرىٰ، مِنها: ردُّه علىٰ القرَضاوي في كتابِه: «الحلال والحرام»، إلىٰ غيرِ ذلك، هذه رُدودُه باسْتِقلالٍ، وله ردودٌ باشتراكٍ مع لجنة الفَتْوىٰ.

وأمَّا الشَّيخ ابن عثيمين فلا يحضرني الآن شيءٌ يَخصُّه، ولكنَّه قَد حصَلَ منه الإنكارُ علىٰ المبتدعةِ في الجُملةِ، وهو مُنشغلٌ بِأعمالِه الَّتي قد اِلتزمَها؛ مِن درُوسٍ وفتاوىٰ، وهي تَستغرقُ وَقْته، وبلغَني أنَّ له مواقفَ حازمةً ومُناصحاتٍ قَيِّمةً عندما اشْتعلَتِ الفِتنةُ في القصيم بسبَبِ دُعاة الفِكرِ الإخوانيِّ، والفِكرِ السُّروريِّ.

وأمَّا قِلَّةُ كلامِهم عن الأَحزابِ الحَركيَّةِ، فهذا غيرُ صحيحٍ، فلهمْ كلامٌ كثيرٌ في مُحاضراتِهم المُسجَّلةِ، لكنَّها مُحاصرةٌ من قِبَلِ الحِزبيِّين، لا تَنْتشرُ، ولَهُم

مُحاضراتٌ كثيرةٌ لَم تُسجَّل، وذلك بتأثير الحِزبيِّين، وتَنفيرهم مِنها.

ويُمكن أن يُلْتَمس لهم العُذْرُ من وَجهين:

الوجه الأوَّل: قلَّةُ احتكاكِهم بِهِم، فهُم بحُكمِ عمَلِهم لَا يَحْتكُّونَ بهذه الأحزابِ، ولا أهلِها، فلذلك لَم يَكْثُر كلامُهم في أصحابِ الأحزابِ الحركيَّةِ.

الوجه الثَّاني: أنَّهم لكَثْرة ما يُسْنَد إِلَيهم من أعمالٍ لَا يُمكنهم التَّصدِّي لمِثلِ هذا الأمر، ولا التَّفرُّغ له، ولا العناية بِهِ، بالإضافةِ إلىٰ أنَّهم رُبَّما اكْتفوا بالإجاباتِ علىٰ الأسئلةِ المُقدَّمةِ لهم وإِن كانت قليلةً، ومَن أنكَرَ هذه المناهِجَ المُبتدعَة مَرَّةً فهو علىٰ إنكارِهِ حتَّىٰ يَأتيَ منه ما يُناقضُه، ونُعيذُهم بالله من ذلك.

أمَّا نَحنُ فبِحُكمِ احْتِكاكِنا بهم، وقُرْبِنا مِنهم، وكَثْرَةِ ما يُعرَضُ علينا من أَعمالِهم، بحُكمِ ذلكَ كلِّه فقَد ظهَرَ لنا مِن سلبيَّات حِزبيَّاتهم ما رَأينا مِن خِلالِه أنَّه يَتعيَّن علينا أن نُبيِّنه لِمَن لا يَعْلمُه، واللهُ مِن وراء القصْدِ، وهو بالمِرصادِ لكلِّ عبدٍ، وقدْ قال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نداءٌ للمتأثِّرين بالحزبيَّة الإخوانيَّة والمُتعاطفين معهم

أيُّها الإخوةُ، لقد عرَضْنا لكم ما في هذا المنهجِ، ومَا عند أصحابِه مِن سلبيَّاتٍ كثيرةٍ وسيِّئةٍ إلىٰ أبعدِ الحُدودِ، فهَل أنتم تَائبُون وعائدونَ إلىٰ ربِّكم؟ هل أنتم راجعُونَ إلىٰ كتابِه وإلىٰ سُنَّةِ نبيِّهِ وإلىٰ منهجِ السَّلفِ الصَّالحِ؟!

عِباد الله، إنَّه لا نجاةَ من عذابِ الله إلَّا باتِّباعِ نَهجِ نَبيِّه وأصحابِ نبيِّه - صلَّىٰ الله عليه وسلَّم ورَضِيَ اللهُ عَنهم - تَذكَّروا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ في حَديثِ الافتراقِ لمَّا سئلَ عن الفِرقةِ النَّاجيةِ: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(١)].

فهَل أنتُم علىٰ مِثلِ ما هُم في تحقيقِ التَّوحيد، ومُحاربةِ الشِّركِ؟ فهل أنتم علىٰ مِثل ما هُم عليه في مُتابعةِ السُّننِ، ونَبذِ البدَعِ ومُحاربتها؟ هل أنتُم علىٰ ما هُم عليه في طاعة الوُلاةِ، وعدَم مُنازعتِهم والإثارة عليهم، وتأليب العامَّة ضدَّهم؟ هل أنتم علىٰ مِثل ما هُم عليه في عبادتِهم لربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ هل أنتم علىٰ ما هُم عليه في التَّعامل والتَّراحم؟

أيُّها القومُ، زِنُوا أعمالَكم بميزانِ الشَّرع؛ ميزانِ الكتاب والسُّنَّةِ وعمَلِ سلَفِ الأمَّة، وانظُروا هَل أنتُم علىٰ الحقِّ أَو قد تركتمُوه أو تركتُم بَعضَه؟ فإن كنتُم

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٦٤١) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٨٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

علىٰ الحقِّ، حمدتم رَبَّكم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الَّذي وَفَّقكم، وسألتُموه الثَّباتَ عليه، وإن كنتُم قدْ تَركتُموه أو بعضه، راجعتُم حِسابَكم اليومَ قبْل أن يفوتَ الأوانُ، تَذكَّروا بأنَّ اللهَ تعالىٰ سائلٌ كلَّ واحدٍ منَّا ماذا أَجَبتُم المرسلينَ؟ وماذَا كُنتُم تَعملون؟ !

أيُّها الإخوةُ، إنِّي أَدعوكم دعوةَ ناصحٍ لكم، مُشْفقٍ عليكم؛ أن تَتخلَّوا عنِ الحِزبيَّاتِ، وتَعُودُوا إلىٰ رِحَابِ الحقِّ والسُّنَّةِ، فإن أبيتُم فإنَّ الموعدَ بَيننا وبَينكم بين يدَي ربِّنا، وسيعلمُ الَّذين ظلَموا أيَّ مُنقلبٍ يَنقلبونَ.

والسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

لرُبَّما قالَ قائلٌ مِن أَتباعِ الإخوانِ المُسلمينَ في السّعوديَّة: كَيفَ تُؤاخِذُونَنا ونحن في السَّعوديَّةِ بأخْطاءِ غَيرنا، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والنَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «**هَذَا ابْنُكَ؟** » قَالَ: نَعَمْ، قال: «**أَمَا إِنَّه لا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلا تَجْنِي عَلَيْهِ**»[(١)].

وإذا كان الأمرُ كذلك، فكيفَ تُحَمِّلونَنا بأَخطاءِ غيرِنا، وتَتَّخذونه علينا حجَّةً، فنحنُ لَا نَرضىٰ وحدة أديانٍ، ولا نَقولُ بحُريَّةِ اعْتقادٍ، ولا حُريَّةِ تَعبُّدٍ، ولا نُجيزُ الأَخْذَ بالقَوانين وتَرْك الشَّريعة؟

ونقول: نحن معكُم في هَذِهِ القاعدةِ الَّتي قَرَّرها اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابِه، وأَخْبرَ بها أنَّها مُقرَّرةٌ في كلِّ كتابٍ أُنزِلَ، وعلىٰ لِسانِ كلِّ نبيٍّ أُرسلَ، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩٥)، وأحمد (٢/ ٢٢٦) (٧١٠٧)، وابن حبان (٥٩٩٥) من حديث أبي رمثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «إرواء الغليل» (٢٣٠١).

[النَّجم: ٣٦ - ٤١]، ولكن بشَرْطِ أن يَتبرَّأ المُسلمُ من المُشركينَ والمُبتدعينَ والمُحدِثين؛ بأن يُعلنَ بَراءتَه مِنهم، وعَداوتَه ومُحاربتَه لهم ولِما هُم عليه من شِرْكٍ وبِدَعٍ وإِحداثٍ، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، إلىٰ أن قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [الممتحنة: ٦].

وفي «السِّلسلة الصَّحيحةِ» (٢/ ٢٣٠) رقم (٦٣٦) عن جرير بن عبد الله البجلي: «**أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ المُسلمينَ، وتُفَارِقَ المُشركينَ**»[1].

وَفِي «صحيح الجامع» رقم (١٤٧٤): «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَيِ المُشْرِكِينَ، لا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا**»، وقال: «حسنٌ»[2].

وَفِي حديث ابن المُنْتَفِق: «**وَأَنْ تُزَايِلَ الْمُشْرِكِينَ**»[3].

وأَنتُم لَم تَتبرَّؤوا من أَصحابِ هذه المناهج، بل أَنتم مُتولُّون لهم، سَائرون علىٰ نَهجِهم وطريقتِهم، مُدافعون عنهُم وعن كلِّ مَن في حِزبِهم، فلِذلكَ استَحقَّيتُمْ أَن تُصنَّفوا معهم، وتُعَدُّوا مِن أَتبَاعِهم؛ لأَنكم رَضِيتُم بكلِّ ما قالُوه

---

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «الصُّغرىٰ» (٤١٧٧)، وحسَّنه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦٣٦).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (١٦٠٤) من حديث جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنَّه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٣٤١).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣) (١٦٢٥١)، وابنُ أبي عاصم في «السُّنَّة» (٦٣٦)، وفيه: «قال لقيط: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أُبَايِعُكَ؟ قَالَ: فَبَسَطَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، وَقَالَ: «عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَزِيَالِ المُشْرِكِ، وَأَنْ لا تُشْرِكَ بِاللهِ إِلَهًا غَيْرَهُ»، وقال الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (١/ ٢٨٩): «إسنادُه ضعيفٌ».

وما فعَلوهُ، فمتىٰ أعْلَنتُم إنكارَكم لِما أَحْدثُوه في الدِّين من إِحداثاتٍ فظيعةٍ يَأباها الدِّينُ، ويُنْكرُها حتَّىٰ العوامُّ، أَلَمْ تَسْمعوا إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حيثُ يقولُ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ويقُولُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٤ - ٢٥].

وَالنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً؛ فَعَلَيه وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ»[1].

فمَا دُمْتُم أَنتُم لَم تُنكروا ما في هذهِ المناهج مِن باطلٍ، بَل أنتم مُقِرُّون بِها، مُدافعونَ عنها، وعن أصحابِها، فأنتم مُستحقُّون لأَن يَلحق بكم إِثْمُ ما في تلكَ المناهجِ من شِركٍ وبدَعٍ وإِحْداثاتٍ باطلةٍ، يَلحق بكم وِزْرُها وعارُها؛ لأنَّكم خذلتُم الحقَّ بَعد أَن عرفتموه، وأَيَّدتُم الباطلَ، ونَصرتُم أَصحابَه بَعدَ أَن خبرتموهم، فبطلَتْ بِذلكَ حُجَّتُكم، وَضَلَّت مَحجَّتُكم حتَّىٰ تَتبرَّؤوا من تِلكَ المَناهجِ، ومِمَّا فيها من شِرْكٍ وَكُفْرٍ وبِدَعٍ وضَلالاتٍ.

اللَّهمَّ إِني أَعُوذُ بك مِن ضَلَال الرَّأيِ، وخَطَل القَوْلِ، وزَيغ القُلوبِ، وجُنُوح الهَوَىٰ، اللَّهمَّ أَعِذْنَا من مُضلَّاتِ الفِتَنِ، اللَّهمَّ ما كان في هذا الكتابِ من حقٍّ فأَنتَ مُلْهِمُه، والهادي إليه، فلَكَ الحَمدُ علىٰ ذلك، وما كانَ فيه من بَاطِلٍ فهو مِنِّي ومِن الشَّيطَانِ، فاغفِرْه لي، وَاهْدِني لاكتشافِه وَإِخراجِه مِن بَيْنِ الحقِّ الَّذي هَدَيْتَ إليهِ بِفضْلِكَ يا أَرْحمَ الرَّاحِمين وربَّ العالمِين.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبيِّنَا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وَسلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله البجليِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الخاتمةُ

وفي النِّهاية لقدْ كانتْ نصيحةُ المُتَّصل الَّذي يَنْصحُني ألَّا أتكلَّمَ في الجَمَاعاتِ والأَحزابِ سببًا في البَحثِ في واقع هذه الجماعاتِ والأَحزابِ، فَازْددتُ بِمَا اطَّلَعتُ عليه مِن حالِهم؛ إمَّا مِن كِتاباتِهم، أو مِن كِتاباتِ غيرِهم، ازْددتُ بذلك يَقينًا إلىٰ يقينِي، وقناعةً إلىٰ قناعتِي أنَّ ما هُم عليه شرٌّ يجبُ أن يُحارَبَ، وباطلٌ يجبُ أَنْ يُفنَّدَ، ويُردَّ عليه، ويُشهَّر بأهلِه حتَّىٰ يَحْذرَهم النَّاسُ حين يَعرفون الباطلَ الَّذي هُمْ عليه، وإنِّي لا أرىٰ أحدًا من أَهْلِ العِلمِ يَسَعُه السُّكوتُ عنهم بَعدَما عرف ما هُم عليه مِن الباطلِ.

ويُمكن تقسيمُ المُلاحظات علىٰ الإخوان المسلمين علىٰ كثرتها إلىٰ قسمين مكفرة وغير مكفرة:

القسم الأوَّل: مُلَاحظاتٌ تُوجِبُ الكُفْرَ الأَكبرَ، وتُخرجُ مُعْتقدها من دائرة الإسلامِ، وتُوجِبُ له الخُلودَ في النَّار إِنْ ماتَ علىٰ ذلك، وهي:

١) وحدة الوُجودِ في قول المُؤسِّس:

اللهَ قُـل وذَرِ الوُجُـودَ ومَـا حَـوَىٰ ... إنْ كنـتَ مُرْتَـادًا بُلُـوغَ كَمَـالِ

فَجَمِيـعُ مَـا في الكَـوْنِ إنْ حَقَّقتَـهُ ... عَـدَمٌ عَلَـىٰ التَّفْصيـلِ وَالإجْمَـالِ

فالحُكمُ علىٰ ما في الكونِ مِن مَوجُوداتٍ بِأَنَّها عدَمٌ علىٰ التَّفصيل والإجمالِ، وأَنَّ الموجودَ هو اللهُ، هذه عقيدةُ أصحابِ وحدة الوجودِ، وهُمْ المُتوغِّلونَ في

الصُّوفيَّة، ومَنِ اعتقدَ هذه العقيدةَ كفَرَ.

٢) الشِّرْكُ الأكبرُ المُخرجُ من المِلَّةِ في قول المُؤسِّس:

هَذَا الحبيبُ مَعَ الأَحبَابِ قَدْ حَضَرَا وَسَامَحَ الكلَّ فيمَا قَدْ مَضَىٰ وَجَرَىٰ

لأنَّه أَسنَدَ المُسَامحَةَ وهي غُفرَانُ الذُّنُوبِ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وزعَمَ أنَّه يَحضُرُ حفلاتِهم، ويَغفرُ ذُنوبَهم، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ويقولُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥]، استِفْهامٌ إنكَاريٌّ، أي: لا أحدَ يَغفرُ الذُّنوبَ إلَّا الله، وهُوَ ﷺ يَقُولُ لأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيه: «اشْتَرُوا أَنْفسَكُمْ مِنَ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

فمَنِ اعتقدَ أنَّه يَملكُ المغفرةَ، فَقَد كَذَّبَ اللهَ في خبَرِه، وذلكَ مُوجبٌ لِكُفرِه كُفرًا يُخرجُه مِن المِلَّةِ، ويُخلِّدُه في النَّارِ إن لم يَتُب قَبل مَوتِه.

٣) حرِّيَّة الاعْتِقَادِ الخاصِّ كما سبَق أَن نَقلتُهُ عن بَعضهم، ورَدَدتُ عليه، وبيَّنتُ أنَّ ذلكَ كُفرٌ، ونقلتُ من «نواقض الإسلام» للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمة الله عليه - قَولَه: «مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ أَحدًا يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَفَرَ»، وكَمَا نقلتُ فَتْوىٰ بَعض هَيئة كِبَارِ العُلَماءِ بذلكَ.

٤) الدَّعوة إلىٰ وحدة الأَديانِ كما فعَله الإخوانُ المُسلمونَ في السُّودان، فمَنِ اعتقدَ أنَّ أحدًا من المُسلمينَ يَجوزُ له أن يَترُكَ دينَ الإسلامِ، أو يخلطَ بدِينِ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

النَّصَارىٰ، ويَجعل مِنهما مَزيجًا يُسمَّىٰ وحدة دينٍ بين الإسلامِ والنَّصرانيَّةِ من أجل التَّصالحِ مع النَّصارىٰ، والتَّعايُش السِّلميِّ معهم، فقدْ كفَرَ، وهذا ما أَفتَىٰ به هَيئة كبار العُلَماء، وقَرَّرُوا كُفْرَ مَن اعْتقدَه أو دعا إليه.

٥ - ٦) ويَلْتحق بِذلك مَن دَعَا إلىٰ بِنَاءِ مَسجِدٍ ومَعبدٍ وكنيسةٍ في مُحيطٍ وَاحدٍ عنوانًا علىٰ التَّسامح بَين هذه الأديانِ، أو دَعَا إلىٰ طَبْع القرآنِ والتَّوراةِ والإنجيلِ في غلَافٍ واحدٍ؛ مَزْجًا بينها، وعُنوانًا علىٰ التَّسامُح بَين أَهلِهَا، فقدْ كفَرَ؛ لأَنَّه كَذَّبَ اللهَ في خبَرِه، واعتقدَ صحَّةَ هذه الأديانِ مُساويةً لصِحَّةِ دِينِ الإسلام، وصِحَّةَ عِبادةِ أَهلها، كَصحَّةِ عِبادةِ المسلمين في مساجدِهم، وصِحَّةَ كتُبهم مساويةً لصحَّةِ القرآن، وقدْ بيَّنَّا فيما سبق أنَّ التَّوراة والإنجيلَ ما كانَ فيهما من حقٍّ فهو مَنسوخٌ، وما كانَ فيهما من باطلٍ مُحرَّفٍ فهُو باطلٌ علىٰ اسمِه.

٧) مَن اعْتقدَ أَنَّ اليهودَ والنَّصارَىٰ ليسُوا كُفَّارًا فهو كافرٌ، وقَد نشر في جريدة: «الحياة المصريَّة» في التَّاريخ المُشَار إلَيه سابقًا عن مصطفىٰ مشهور والمُنظِّرين في حزبِه أَنَّهم قالُوا في البند الثَّاني من الوفاق الوطنيِّ: «لا نَشْتغلُ بتكْفيرِ أَحَدٍ، ونَقْبَلُ مِنَ النَّاسِ ظَوَاهِرَهُم وعلانيتَهُم، فنَحنُ دُعاةٌ لا قُضَاةٌ».

وأقول: إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ امْتنعوا عَنْ تكْفيرِ النَّصَارىٰ الأقباطِ اعْتِقادًا مِنهم أَنَّهم لَيسوا كُفَّارًا، فهذا كُفرٌ؛ لأَنَّه تكذيبٌ لوَصْفِ الله لهم بالكُفْرِ في آياتٍ كثيرةٍ، وإن كانوا قالُوا ذلكَ مُجاملةً للأقباطِ أو خوفًا مِنهم مع اعتقادِهم في قرارةِ أنفسِهم أَنَّهم كفَّارٌ، فهذه معصيةٌ كبيرةٌ يجبُ عليهم أن يَتوبوا إلىٰ اللهِ منها.

٨) مَن اعْتقدَ أَنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ مُساويةٌ للقوانين أو دُونَها فهو كافرٌ، وقالَ مُرشد الإخوان في سوريا:

«وخُلاصةُ القَول: إنَّنا لا نُريدُ انْقِلابًا في قوانيننا الحاليَّة، وإنَّما نُريدُ التَّقريبَ بينها في التَّشريعاتِ المدنيَّة، وبين نظريَّاتِ الإسلامِ الموافقةِ لرُوح العصرِ ولِأَصدقِ النَّظريَاتِ الحُقوقيَّةِ السَّائدةِ فيه، فإذا اتَّفقَ التَّشريعُ الإسلاميُّ مع النَّظرياتِ الحديثةِ، فهل تَجدُون حرَجًا في الأَخْذِ به تُراثًا قوميًّا عربيًّا تَعتزُّون به وتَتفاخرُونَ».

وأقول: إنَّ مُرْشِدَ الإخوان في سوريا مصطفىٰ السِّباعيّ، قَدْ فضَّل التَّشريعاتِ المدنيَّةَ علىٰ الشَّريعةِ الإسلاميَّة، **وذَلِكَ أنَّه جعَل للأَخْذ بالتَّشريعِ الإسلاميِّ شَرطَينِ:**

الأَوَّل: أَنْ يكونَ مُوافقًا لرُوح العصر.

والثَّاني: أَن يكونَ التَّشريعُ الإسلاميُّ مُوَافقًا لِأَصدَقِ النَّظرياتِ الحقُوقيَّةِ السَّائدة في العَصر، وإذا اجْتمعَ الشَّرطانِ فإنَّه يعرض علىٰ جماعتِه الأَخْذَ بالتَّشريعِ الإسلاميِّ عَرْضًا لا يُلْزِمُهم به إِلْزامًا.

فيقول: فإذا اتَّفقَ التَّشريعُ الإسلاميُّ مع النَّظرياتِ الحديثةِ، فهل تَجِدُونَ حَرَجًا في الأخْذِ به تُراثًا قَوميًّا؟

وأخيرًا؛ فإنَّه يُقرِّر بأنَّه يَنبغي الأَخْذُ به للاعتزازِ والمُفاخرةِ لَا للعمَلِ، اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

٩) **قَول التِّلمساني:** «لَيسَ في دُعَاءِ الأَمواتِ شِركٌ ولا وَثنيَّةٌ»، هذه المُلاحظةُ تُضمُّ إلىٰ المُلاحظاتِ المُكفِّرةِ الَّتي تُخرِجُ مِن الإسلامِ؛ لأنَّ ذلك تكذيبٌ للآياتِ القرآنيَّةِ الَّتي تَجعلُ مَنِ اعتقدَ ذلك مُشركًا شِركًا أَكبرَ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

١٠) **اسْتِغاثَةُ** مُرشد الإخوان في سوريا بالنَّبيِّ ﷺ لِيشْفِيَه مِنْ مرضِه، ومَنِ اسْتغاثَ بالنَّبيِّ ﷺ زَاعِمًا أنَّه يَقدرُ علىٰ شِفَاءِ المَرَضِ، فَقَد كَفَرَ كُفْرًا يُخرِجُ من

المِلَّةِ، وبهذا تكونُ الملاحظاتُ المُكفِّرةُ في حقِّ الإخوان عشر ملاحظات.

القسم الثاني: ملاحظات غير مكفرة:

١١) قَولُ البنَّا: «لَيس بَيْننا وبين اليهود عداوةٌ دِينيَّةٌ».

١٢) تَرْكُ الإخوان لمَنْهجِ الرَّسُولِ المَعصوم، واتِّباعُهم لِمنهَجِ مَن ليس بمعصومٍ.

١٣) عَدَمُ تَطبيقهم للولاء والبراءِ.

١٤) تَرْكُهُم التَّأَسِّي بالخليلَينِ؛ إبراهيم ومُحمَّدٍ - صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين - في الولاء والبراءِ.

١٥) التَّنظيمُ الدّوليُّ للإخوان يَحْكم بالإسلامِ للرَّافضة دُونَ الدَّولةِ السّعوديَّة.

١٦) جَمَعَ البنَّا بَينَ الأَخلاطِ المُتضادَّة في حِزبِه؛ فهذا أَشعريٌّ، وهذا مُعتزليٌّ، وهذا جهميٌّ... إلىٰ غيرِ ذلك.

١٧) تقريرُه للقاعدة الباطلة: «ويَعذر بَعضنا بعضًا فِيمَا اخْتَلفنَا فيه».

١٨) أنَّهم يَخصُّون بالعَداءِ والبُغْضِ المُوحِّدينَ دون غيرِهم، ومِن الأَدلَّةِ علىٰ ذلك: اجْتِمَاعُ فصائِلِ الجِهادِ في الأَفغانِ علىٰ قتالِ جميل الرَّحمن، ومَن كان معه مِن المُوحِّدينَ.

١٩) دَعوىٰ الإخوان: أنَّه يَنْبعثُ مِن أَجسادِ قَتْلاهُم ومِن قُبُورِهم رَائِحَةُ المِسكِ.

٢٠) الإخوانيُّون يَسْتحلُّونَ الكذبَ لتَرويجِ مَنهجِهم، ونَصرِ حِزْبِهم.

٢١) دَعْوىٰ عزَّام أنَّ القرآنَ لا يَفتح أَسرارَه لفَقِيهٍ قَاعِدٍ.

٢٢) ازْدِرَاء عَزَّام للعُلَماءِ السَّلفيِّين.

٢٣) قَوْل مَنْ قالَ من الحِزبيِّين: «إنَّ أركانَ الإسلامِ سِتَّةٌ».

٢٤) تَكْفير بَعضِهم للمُصلِّين الصَّائِمينَ العَابِدينَ إِذَا لَم يَكُونُوا ثَوريِّينَ.

٢٥) اسْتِخفافُ الشَّيخ عائض بالعِلمِ والعُلماءِ إذا لَم يَكونوا ثَوريِّينَ.

٢٦) إجازَةُ الإخوانيِّين الخُرُوجَ علىٰ الوُلَاةِ المُسلمينَ، ومُنازعتَهم ما آتاهُم اللهُ من سُلطانٍ.

٢٧) أنَّه حِين كتَب ذَمَّ العُلماء السَّلفيِّين، كان تَحت ولاية مُجدِّدي الَّذي يرىٰ أنَّ الكونَ يَتصرَّف فيه جَماعةٌ من الأَوليَاءِ، يُقَال لهم: المُتصرِّفون.

٢٨) أنَّ شِرْكَ مُجدِّدي في الرُّبُوبيَّة تَجاوَز شِرْكَ العرب الَّذين قاتلهُم رسولُ الله ﷺ، وَاسْتحلَّ دِماءهُم، وغَنِمَ أموالَهم، وسبىٰ نِساءَهم.

٢٩) زَعَم عَزَّام اتِّفَاقَ الفُقَهاءِ علىٰ أنَّ البيعةَ لا تَنعقدُ لفاسقٍ، وأنَّه حِينَ كتَب ذلك كان تَحت ولاية مُشركٍ شِركًا يَزِيدُ فيه علىٰ مُشْركي قُريشٍ.

٣٠) ما نُشِرَ في مَجلَّة: «الإصلاح» اليمنيَّة من الاتِّفاقِ بين حِزبِ الإصلاحِ اليَمنيِّ؛ وهُم الإخوان المُسلمون في اليمن، وبَين حِزبِ البَعث الاشتراكيِّ اليمنيِّ أيضًا.

٣١) أنَّ تولِّي الإخوانيِّين في اليمَنِ للبَعثيِّين دَلِيلٌ علىٰ عدَم الولاءِ والبراءِ عِندهُم، وأنَّهم دُعَاةُ سِياسةٍ، لا دُعاةُ دِينٍ.

٣٢) قَول مُرشد الإخوان في سوريا: «والحُكْمُ بَعْدَ ذلِكَ للشَّعبِ»، حيثُ جعَل الشَّعبَ حاكمًا، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

٣٣) قوله: «إنَّ الدَّساتيرَ تُعبِّر عن رغائبِ الشُّعوبِ».

٣٤) قوله: «إنَّ القواعدَ المُتَّبعةَ في دَساتير العالَمِ أنَّ رأْيَ الأكثريَّةِ هو المُتَّبعُ والمعمولُ به».

٣٥) زَعْمُهُ أنَّ الإسلامَ يَحترمُ الأديانَ المنسوخةَ والمُحرَّفةَ، وهي اليهوديَّةُ

والنَّصرانيَّةَ.

٣٦) زَعْمه أنَّ الإسلامَ تَرَكَ لليَهودِ والنَّصارىٰ حرِّيَّة العقيدةِ.

٣٧) زَعيمٌ في اتِّحاد الطَّلبةِ المُسلمينَ في أمريكا يُفتي بدخولِ الجنَّةِ لليهودِ والنَّصارىٰ إذا استقامُوا علىٰ دينِهم حسَب زعْمِه.

٣٨) زَعيمٌ آخر من اتِّحادِ الطَّلبةِ المُسلمينَ في أمريكا يَزْعم بأنَّ الإسلامَ يُقرُّ التَّثليثَ.

٣٩) زَعْمه أنَّ المُسلمينَ وَالمَسيحيِّينَ مُتساوُونَ في الحُقُوقِ والوَاجِبَاتِ.

٤٠) تَقريرُهُ إلْغَاءَ الفوارِقِ علىٰ أَسَاسِ الدِّينِ ليُسوِّي بَين المُسلمينَ والنَّصارىٰ.

٤١) سُخْريةُ المُرشد للإخوان من رِجَالِ الدِّينِ، وَزَعْمه أنَّهم بُعْبُعٌ.

٤٢) تَفْضيلُهم للقانونِ علىٰ الدِّينِ الإسلاميِّ.

٤٣) قولُه: إنَّ جَعْلَ دين الدَّولةِ الإسلام، لَيس الغرَضُ مِنهُ العمل بأحكَامِ الشَّرعِ، ولكن لِتكُونَ النُّظُمُ مُنفَّذةً بدَافعٍ روحيٍّ.

٤٤) زَعْم المُرشد للإخوان في سوريا أنَّ حدَّ السَّرقةِ بقَطْع اليدِ لا يُطبَّق إلَّا إذا شَبِعَ كلُّ بَطْنٍ، واكْتَسَىٰ كلُّ عَارٍ، ويُقَالُ: هَلِ الَّذينَ قُطِعُوا في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ كانُوا كذلك؟ !

٤٥) قَوْل مُرشد الإخوان في سوريا: «نَحنُ لا نُفكِّرُ في تَطْبيقِ الحدُودِ».

٤٦) تَصْريح مُرشد الإخوان في مصر بسُقُوط الجِزْيَةِ عن الأَقباطِ؛ لأنَّها لا تجبُ إلَّا علىٰ مَنْ حاربَ، وليسَ الأقباطُ كذلكَ.

٤٧) تَصْريح مُرشد الإخوان في مصر بأنَّ الإخوانَ يُقرُّون حُرِّيَّةَ الاعْتِقَادِ الخاصِّ.

٤٨) إنَّهُم يُقرُّونَ حرِّيَّةَ إقامةِ الشَّعَائِرِ الدِّينيَّة.

٤٩) امتناعُهم عَن إطلاق اسمِ الكُفر علىٰ الأقباطِ النَّصارىٰ.

٥٠) زَعَمَ البهنساوي أنَّ آيةَ الجِزيةِ إنَّما نَزَلت في جَيش الرُّومِ الَّذينَ وَقَعتْ معهم مَعركة مُؤتَة.

٥١) زَعْمُه أنَّ يهودَ المدينة لَمْ يُعامَلوا بنِظامِ الجِزيةِ.

٥٢) تَلاعُبُه بالآياتِ حَيث اقْتَطَعَ من الآيةِ ليُبطِلَ بِهِ حُكْمًا شَرعيًّا مُجْمعًا عليه، وهو الجِهَادُ.

٥٣) زَعْمه أنَّ الإسلامَ لَمْ يَأمر بِقِتَالِ قومٍ لَم يُقاتِلوا المُسلمينَ، ولا بِقتالِ قَومٍ للمُسلمينَ معهم عَهْدٌ، ولا بِقتالِ قَومٍ لا عَهْدَ لهم، ولكنَّهم وَقَفوا علىٰ الجِهَادِ، فلَم يُقاتِلوا المُسلمينَ.

٥٤) أنَّ القولَ بِحرِّيَّةِ الاعْتِقَادِ فيه إبطالُ حُكْم المُرْتدِّ المُجمَع عليه من عَصْر الصَّحابةِ حتَّىٰ الآن.

٥٥) أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ يُريدونَ أَنْ يُبدِّلوا بشَرْع الله شَرْعًا مِن عِندهم.

٥٦) أنَّ القولَ بِحُرِّيَّةِ الاعْتقادِ وَرِثَهُ الإخوانُ المُسلمونَ عَنِ الصُّوفيَّةِ القَائِلينَ بوحدةِ الوُجُودِ ووحدة الأديانِ، وذلكَ يُبيِّن ارْتباطَهم الوثيقَ بابن عربيٍّ وأمثالِه من زنادقةِ الصُّوفيَّة.

٥٧) إنَّ وحدة الأديانِ الَّتي دَعَا إليها الإخوانُ في الكويت والسُّودان هي وليدةُ وحدة الوجودِ وَابْنتُها، انظر: «هذهِ هي الصُّوفيَّة» (ص ٩٣) لعبد الرَّحمن الوكيل.

٥٨) اشْتَرَكَ الإخوانُ المُسلمونَ في الكويت في مؤتمر وحدة الأديانِ في موسكو.

٥٩) أنَّ الإخوانَ المُسلمينَ في السُّودان بقيادة التُّرابي قَد كَفَوْا المُبشِّرينَ من النَّصارىٰ المُؤْنَةَ بِعَقْد المُؤتمراتِ لوحدة الأَديانِ، أو حِوَارِ الأَديانِ، أو تَفَاهُمِ الأديانِ، أو غير ذلك.

٦٠) أنَّ تَفنُّنهم في الأسماءِ لِتلك المُؤتَمراتِ إنَّما هُوَ كَيْدٌ منهم للمُسلمينَ، ومَكْرٌ مِنهم بِهِمْ ليُخْرِجُوهُم من الإسلام إِلَىٰ النَّصرانيَّة بِاسمِ التَّفاهُمِ السِّلميِّ، والتَّعايش المَعِيشيِّ.



المُلاحظات على التُّرابي

وهي ملاحظاتٌ على الإخوان؛

لأنَّهم لم يتبرَّؤوا منه وممَّا أعلنه مِن أعمالٍ واعتقاداتٍ

٦١) يَرَىٰ أنَّ الفكرَ الإسلاميَّ العقَديَّ يَطرأ عليه التَّقادمُ، وأنَّه يَحتاجُ إلىٰ تَجديدٍ.

٦٢) زَعَم التُّرابيُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليس بمَعصومٍ في الأخبارِ الَّتي يُخْبرها بخُصوص الدُّنيا، ومِن ذلكَ ما يتعلَّق بالطِّبِّ.

٦٣) طَعْنه في آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيمَ الخليلَ ﷺ.

٦٤) تَكْذيبُه لنزُول عِيسَىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام.

٦٥) زَعمُه أنَّ العقلَ مَصْدرٌ للتَّشريع، واعْتِقادُ هذا كُفْرٌ بالشَّرع الإسلاميِّ الَّذي قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

٦٦) دَعْوتُه إلىٰ تفسيرٍ جديدٍ للقُرآنِ، وهذا معناه أنَّه هُوَ وأَضرابَه أَفضلُ مِن الصَّحابةِ والتَّابعين؛ لأنَّه لَمْ يَرْضَ تَفْسيرَهُم.

٦٧) دَعْوتُه لتَجْديدِ الفِقهِ الإسلاميِّ، والفِكرِ الإسلاميِّ، وأُصول الفقهِ، وكأنَّه يقولُ: اتَّخِذوني نبيًّا.

٦٨) إِلْغاؤُه لِحَدِّ المُرْتدِّ، وزَعْمُهُ أنَّه اجتهاديٌّ، ولَيس توقيفيًّا.

٦٩) إِلْغاؤُهُ لِحَدِّ رَجْم الزَّاني المُحْصَن، وتَخْفيف حَدِّ الخَمْر.

٧٠) دعوتُه إلىٰ تَجديد الإجماعِ والقياسِ.

٧١) دعوتُه للفنِّ، وزَعْمه أنَّ في الجنَّةِ بابًا للفَنَّانين.

٧٢) عنايتُه بالمرأةِ، وزَعْمُه أنَّ اخْتِلاطَهَا بالرِّجَالِ هو الَّذي يَقْضي علىٰ الفِتنةِ.

٧٣) خُطبتُه في مُؤتَمر الأديانِ، وزعمُه أنَّه إنقاذُ البشريَّةِ وَإِرْساءُ دعائمِ السَّلامِ وتَوفير الطُّمَأنينة.

٧٤) دعوتُهُ هو ومَن مَعَه أَنْ يبْني في كلِّ مكانٍ من أماكنِ التَّجمُّعاتِ مَسْجِدًا وكَنِيسَةً ومَعْبَدًا.

٧٥) دَعْوتُهُم إلىٰ طَبْعِ القرآنِ والتَّورَاةِ والإنجيلِ في غلَافٍ واحدٍ، وقَد ردَّ مَجلس كبار العُلَماءِ علىٰ هذه المزاعِم، وكَفَّر القائلينَ بها، والدَّاعين إليها.

٧٦) تَمْكينُهم للقسِّ النَّصرانيِّ بتَدْريسِه النِّساءَ في الكُلِّيَّةِ (كُليَّة البنات)، أي: تَدْرِيسَهنَّ الدِّينَ النَّصرانيَّ.

٧٧) سَحْبُهم للدِّيانَةِ مِن البِطَاقةِ الشَّخصيَّةِ للمُواطنِ السُّودانيِّ حتَّىٰ لا يَكُونَ له فَضْلٌ علىٰ المسيحيّ، وزَعْمه أنَّ ذلك من التَّعايش السِّلميِّ بين المُسلمين والمَسيحيِّين.

٧٨) مُحَاولتُهم إِسْكاتَ كلِّ مَن يَتكلَّم في حِزبيَّاتهم، ويُبيِّنُ ما فيها من مَثالبَ وسلبيَّاتٍ واتِّخاذه عَدُوًّا لهم.

٧٩) وهي المُلاحظةُ الأَخيرَةُ، فَرْضُهمْ حِصَارًا علىٰ أَتْبَاعِهم من النَّظرِ في كُتُبِ السَّلفيِّين، أَوِ الجُلُوسِ إلىٰ أَحَدٍ من شُيُوخِهم، وهذا يُعتبرُ مُحاربةً للحقِّ، ونَصْرًا للباطلِ، وصَدًّا عن سبيلِ الله، فأَشْبَهوا بِذلكَ مَن قال اللهُ فيهم: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

اللَّهمَّ إنَّك تَعْلم أنِّي لا أُريدُ الكلامَ في أحدٍ، ولا تَتبُّعَ عَوْرَةِ أَحَدٍ، وَلَا تَنقُّصَ أَحَدٍ، ولَوْلا أنَّ الإسلامَ هُضِمَ حقُّه، وَاسْتُبِيحَتْ مَحارِمُهُ، واحتُلَّ حِمَاهُ، وهِيضَ جَنَاحُه مِمَّنْ يَزْعمون أنَّهم دُعَاتُه وحُماتُه والذَّائدونَ عنه، فكان لِزَامًا عليَّ وعَلَىٰ أمثالي من طُلَّابِ العِلمِ الذَّوْدُ عنْه، وتَصفيتُه مِمَّا عَلِقَ بِهِ مِمَّا ليس منهُ، ولَولَا ذلك ما كتبْتُ حَرفًا، إنَّ اللهَ أَوجبَ علىٰ أَهْلِ الدِّينِ أنْ يَحمُوه بالسَّيف: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والدِّفاع عن الدِّينِ بالكلمةِ والقلَمِ، وتَصْفيتُه ممَّا عَلقَ به من باب أَولىٰ.

وباللهِ التَّوفيقُ، وصلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا.



رسالةُ الإرشادِ
إلى بيانِ الحقِّ في حُكمِ الجهادِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تقريظ

معالي الشَّيخ الدُّكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

فضيلة الشَّيخ العلاَّمة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

تقريظ
فضيلة الشَّيخ العلاَّمة الدُّكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الحمد لله ربِّ العالمين، شرع الجهاد لإعلاء كلمة الله وإظهار الدِّين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّنا محمَّد خاتم النَّبيِّين، وإمام المجاهدين، وعلىٰ آله وأصحابه الَّذين فتحُوا القلوب بالعلم النَّافع، وفتحوا البلاد بالسُّيوف حتَّىٰ نشروا هذا الدِّين في العالمين.

أمَّا بعدُ:

فإنه لا يَخفىٰ فضلُ الجهاد ومكانته في الإسلام، حتَّىٰ ذهب بعضُ العُلماء إلىٰ أنَّه مِن أركانِه، وقد أُلِّفَتْ في موضوعِه مؤلَّفاتٌ، وجُعل له حيِّزٌ كبيرٌ في كتُب الفقه والأحكام ممَّا يدلُّ علىٰ اهتمام المسلمين به.

ولكن لما قلَّ العلم في هذا الزَّمان، وتغلْغَلَتْ شُبهات المستشرقين في المجتمع الإسلاميّ، وكان مِن بينها أنَّ دينَ الإسلام قام بالسِّيف والجبروت، حاوَل بعضُ الكتَّاب الإسلاميِّين أنْ يَردُّوا علىٰ هؤلاءِ بأنَّ دينَ الإسلام إنَّما شُرع فيه الجهادُ مِن أجْل الدِّفاع فقطْ(١).

واستدلُّوا بالآيات الَّتي ذَكرتْ الجهادَ في بعض مراحلِه الأُولىٰ؛ مثل قوله

---

(١) وهناك فرقة من المتصوِّفة في عصرنا الحاضر تُفسِّر الجهادَ بأنَّه الخروجُ والتَّجوال في البلدان.

تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ولم ينتبهوا للآيات الَّتي فيها الأمر بقتال الكفَّار مطلقًا مِن أجْل نشر الدِّين وإعلاءِ كلمةِ الله؛ مثل قولِه تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التَّوبة: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] حتَّىٰ يعلمُوا أنَّ القِتالَ في الإسلام مرَّ تشريعُه علىٰ مراحل أربع: كان منهيًّا عنه، ثُمَّ أُذن فيه مجرَّد إذْن، ثُمَّ أُمر به في حَقِّ مَن قُوتِلَ، ثُمَّ أُمِر به مطلقًا، وأنَّ الجهادَ في الإسلام لم يُشرع مِن أجل السُّلطة والغلَبة والمُلك، وإنَّما شُرع لإزالة الشِّرك والكُفر والظُّلم، ونشر التَّوحيد والإيمان والعدْل.

ويُقابلُ هذه الطَّائفةَ الَّتي أنكرتْ مشروعيَّة الجهادِ لِغير الدِّفاع طائفةٌ غلَتْ في إثباتِه حتَّىٰ رأتْ وُجوبَه علىٰ الأعيانِ مُطلقًا، وأنَّه ألزمُ مِن الصَّلاة والزَّكاة، وأنَّه مُقدَّم علىٰ حقِّ الوالدَين تمسُّكًا ببعض النُّصوص الَّتي فيها الأمرُ به والحثُّ عليه، دون النَّظر إلىٰ النُّصوص الأخرىٰ الَّتي تُبيِّنها وتقيِّدها.

وخطأ الطَّائفتين نَشأ عن الجهل بقواعد الاستدلال ومدارك الأحكام، والجهل داءٌ قاتلٌ.

وقد تصدَّىٰ لهذه الطَّائفة الأخيرة فضيلة الشَّيخ: أحمد بن يحيىٰ النَّجمي، المدرِّس بمعهد صامطة العلميّ، فردَّ عليها ردًّا مُقنعًا، وبيَّن فرضيَّة الجهاد في الإسلام بيانًا مُفصَّلًا بالأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة وأقوال أهل العلم، وأنَّه فرض كفايةٍ علىٰ المسلمين، وقد يكون فرضَ عينٍ في حالات معيَّنةٍ نصَّ عليها أهلُ العلم، وذكرُوا أدلَّتها.

وقد ذكرها الشَّيخُ أحمدُ - وفَّقه الله - مستوفاةً، وبيَّن أنَّه ليس قصدُه فيما كتب التَّقليل مِن شأن الجهادِ أو التَّخذيل عنه، وإنَّما قصدُه بيان الحقِّ الَّذي التبسَ علىٰ هؤلاء، ولَبَّسوا علىٰ غيرهم، وهذه وظيفةُ العُلماء: أن يُبيِّنوا للنَّاس أحكامَ دِينِهم، لاسيما عند خفائِها، أو وقوع الغلط واللَّبس فيها عندما يتكلَّم في الأحكام مَن ليس له إلمام بمداركها وتفاصيلها، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ثُمَّ إنَّ الشَّيخَ أحمدَ - حفظه الله - بيَّن فضائل الجهاد وثمراته، وما يترتَّب علىٰ تركه مِن الأضرار العظيمة.

وبالجملة؛ فهو - حفظه الله - قد أجاد وأفاد في هذا الموضوع، وبيَّن ما يحتاج إلىٰ البيان بأدلَّةٍ صحيحةٍ، وحُجج مُقنعةٍ.

فجزاه اللهُ خيرًا، وأثابه علىٰ ما كتَب وبيَّن، ووفَّقنا وإيَّاه للعلم النَّافع والعمل الصَّالح، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه.

وكتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

في ١٢/١/١٤١٠هـ



تقريظ

فضيلة الشَّيخ العلَّامة

زيد بن محمَّد بن هادي المدخلي

الحمدُ لله القائل: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً يعيش أهلها في ظِلها الوارف الظَّليل، وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمَّدًا عبدُ الله ورسوله المخصوص بالرِّسالة العامَّة والشَّريعة السَّمحة، والهادي - بإذن ربِّه - إلىٰ سواء السَّبيل.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ القارئَ لمؤلَّفات شيخنا الجليل أحمد بن يحيىٰ النَّجميّ - وفَّقه اللهُ لنيل رضاه - يجد فيها الدِّقَّة في بيان الأحكام بالإيضاح والتَّدليل، كما يجد فيها البيان في حَلِّ القضايا ومسائل العلم بالشَّرح والتَّفصيل، ولا غرابةَ أنْ يكون الأمر كذلك، فإنَّ الرَّجل قد نذر نفسه طيلة حياته المباركة في طلب العلم الشَّريف والتَّوسّع في تحصيله، ونشره بكلِّ طريق من طُرق النَّشر النَّافعة المفيدة:

١ - فلقد سلَك طريق التَّأليف في علوم الشَّريعة، فألَّف:

أ - في شرح الحديث كتابًا أسماه: «**تأسيس الأحكام علىٰ ما صحَّ عن خير الأنام**»، وهو كتاب يصدرُ متتابعًا، وقد صدر منه الجزء الأوَّل، فرأيته يمتاز بحسن العرض وسهولة العبارة، والدِّقَّة في استنباط الأحكام، والحكمة في الجمع بين النُّصوص، وتوجيه الأقوال عندما تكون المسألة من مسائل الخلاف

المشهورة بين أهل العلم، واختيار القول الرَّاجح الَّذي يؤيِّده المنقول والمعقول.

ب - وألَّف كتابًا أسماه: «**أوضح الإشارة في الرَّدِّ علىٰ مَن أجاز الممنوع مِن الزِّيارة**»، طبعته ونشرته الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد، وجعلته وقفًا لله تعالىٰ، وهو ردٌّ علىٰ رسالة من رسائل الضَّلال والإضلال، كتبَها رافضيٌّ متعصِّبٌ يدعو فيها إلىٰ الوثنيَّة، ويتَّهِمُ فيها الأئمَّة مِن أهل السُّنَّة والجماعة عبر تاريخ زمانهم بالزَّيغ والضَّلال عن سبيل الحقِّ ونور الهدىٰ، فتصدَّىٰ له شيخُنا أحمدُ بن يحيىٰ النَّجميُّ، فردَّ عليه بهذا الكتاب ردًّا واضحًا مؤيِّدًا بالنُّصوص الصَّريحة والأدلَّة المستقيمة الصَّحيحة، ففنَّد شُبَهَه، وأزهق باطلَه نصرًا للحقِّ، ودفاعًا عن سُنَّة سيِّد الخلق، وذبًّا عن أولئك الأمجاد الَّذين نال منهم ذلكم الشِّيعيُّ المتعصِّب بقلمه الظَّالم ولسانه القذِر.

وإنَّ مِن الدّلالة علىٰ الهُدىٰ أنْ أرشدَ طلَّاب العلم إلىٰ اقتناء هذا الكتاب ليتزوَّدوا مما دُوِّن فيه من إيضاح عقيدة التَّوحيد الصَّافية النَّقيَّة، وبيان ما عليه مجوس هذه الأمَّة (الشِّيعة الرَّافضة البغيضة) من خبثٍ ومكرٍ وانحرافٍ.

ج - وألَّف كتابًا أسماه: «**تنزيه الشَّريعة عن إباحة الأغاني الخليعة**»، وما إخال هذا الاسم إلَّا مطابقًا لمسمَّاه؛ إذْ قد بيَّن فيه حُكم الأغاني مستندًا في ذلك إلىٰ أدلَّة صريحة مِن الكتاب والسُّنَّة وأقوال السَّلف الصَّالح (أهل العلم النَّافع والعمل الصَّالح)، كما بيَّن فيه خطرها الكبير وشرَّها المستطير علىٰ الذَّكَر والأنثىٰ، والصَّغير والكبير، وقد أرشدتُ القرَّاء الكرام إلىٰ قراءة هذا الكتاب في كتابي الصَّغير المسمَّىٰ: «**الأجوبة السَّديدة علىٰ الأسئلة الرَّشيدَة**»، حيث قلتُ هناك في جواب سؤالٍ عن الأغاني ما نصُّه: «ومَن أراد الحقائق الجليَّة في

الموضوع، والأدلَّة الصَّريحة، وشرح مدلولاتها ووجه الدّلالة منها، فليقرأ كتاب: «تنزيهِ الشَّريعةِ عن إباحةِ الأغاني الخليعة»، لمؤلّفه الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجميّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي هذه الأيّام يُطبع لشيخِنا الفاضل كتاب أسماه: «الإرشاد إلىٰ بيان الحقّ في حُكم الجهادِ»، تصدَّىٰ فيه لبيان حقائق شرعيَّة مهمَّة تتعلّق بالجهاد مِن حيثُ الحُكم والفضل والثَّواب والشَّرف، فأبان فيه وجه الحقّ والصَّواب بالأدلَّة القاطعة والحجج الشَّرعيَّة الواضحة، لا سيّما ما تكرّرت الأسئلة عنه، وهو التَّفصيل في الحُكم، واستئذان الوالدَين ونحوهما، كتَبَ ذَلِكَ براءةً للذِّمَّة، ونُصحًا للأمَّة، وخروجًا مِن تبعةِ كتمان العلم عند الحاجة إلىٰ بيانِه ونَشره، أحسبه كذلك واللهُ حسيبه.

٢ - وسلك الشَّيخ أحمد في نشر العلم طريق الفتوىٰ، فهو المفتي في منطقة الجنوب بإذنٍ من سماحة مفتي العالم الإسلامي الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - أمتع الله بحياته، وجعلها حياةَ خير ودعوة وجهاد[(١)].

٣ - وسلك في نشر العلم طريق الجولات في المدن والقُرىٰ للوعظ والإرشاد؛ قيامًا بواجب الدَّعوة إلىٰ الله الَّتي اختار لنفسِه طريقها مِن زمن طويل لا أستطيع تحديدَه - أسألُ اللهَ أنْ يُثيبَه علىٰ ذلك.

٤ - كما سلك مسلكَ علمائنا الأوائل في المحاضرات والتَّدريس في المساجد الَّتي كانتْ هي الجامعات لأصحاب القرون المُفضَّلة، ومَن تأسَّىٰ بهم في الزَّمان والمكان ممَّن أتىٰ بعدَهم، ونهجَ نهجهم، وتأسَّىٰ بهم في القول والفعل والمعتقد.

(١) توفِّيَ سماحةُ الشَّيخ ابن باز يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ، رحمه الله رحمةً واسعةً.

هذا ما استطعتُ تدوينَه تقريظًا لما قد وصل إليَّ من مؤلَّفات شيخنا الجليل أحمد بن يحيىٰ النَّجميّ.

ومعذرة، آملُ قَبولها من القرَّاء الكرام؛ فإنَّ كتابتي لهذه السُّطور كانت في وقتٍ مملوءٍ بالشَّواغل الَّتي حالت بيني وبين تسطير ما يجب تفصيلُه عن محاسن مؤلَّفات شيخِنا النَّافعة المفيدة، وجهودِه الإصلاحيَّة المجيدَة.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ مَن أُنزل عليه تشريفًا وتكريمًا له ولأتباعِه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورضاه

زيد بن محمد هادي المدخلي

صامطة في ٢٠/٦/١٤١٠هـ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة الطَّبعة الثالثة

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه.

وبعدُ:

فإنِّي أحمدُ الله الَّذي لا إلهَ غيرُه، ولا ربَّ سواه، وأسألُه أنْ يجعلَ عملي خالصًا لوجهه الكريم، لا يَشوبُه شيء مِن المقاصد الدَّنيئةِ الَّتي تفنىٰ بفناء الدُّنيا وتزولُ بزوالها.

ثُمَّ إنِّي أشكرُ الله علىٰ ما وفَّقني إليه مِن بيانٍ للحقِّ بالأدلَّة الشَّرعيَّة في حُكم الجهاد الَّذي ظلَّ خافيًا علىٰ كثير مِن الشَّباب بُرهةً مِن الزَّمن؛ حيثُ زُعِمَ لهم أنَّ الجهادَ قد تحوَّل حُكمُه في هذا الزَّمن مِن فرض كفايةٍ إلىٰ فرض عينٍ.

وقد بيَّنتُ - بفضل من الله وتوفيق منه - بطلان هذا الادِّعاء مِن وجوهٍ عدَّة، وأجبْتُ علىٰ الشُّبهِ الَّتي ربَّما انطلَتْ علىٰ مَنْ ضعف إلمامه بالنُّصوص الشَّرعيَّة، فظهر الكتاب علىٰ صِغَر حجمه، وهو كتاب: «**رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حُكْم الجِهادِ**» مُقنعًا لمن وفَّقهُ اللهُ في هذا الحكم إلىٰ حدٍّ كبيرٍ، ولمن قرأه بتجرُّدٍ.

فأسألُ اللهَ - جلَّ شأنه - أن ينفع به، وأن يجعله ذُخرًا لي يوم لقاه.

وهذه مقدِّمة للطَّبعة الثَّالثة، فالحمد لله علىٰ ما أنعم، والشُّكر له علىٰ ما علَّمَ وفَهَّمَ. وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

كتبه: **أحمد بن يحيى النجمي**

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
المكتبة السلفية الخيرية
بمدينة صامطة

أحمد بن يحيى النجمي
التاريخ : / /
المشفوعات :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
وبعد فإني أحمد الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه
وأسأله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم لا يشوبه
شيء من المقاصد الدنيئة التي تفنى بفناء الدنيا وتزول بزوالها
ثم إني أشكر الله على ما وفقني إليه من بيان للحق بالأدلة الشرعية في حكم الجهاد
الذي ظل خافياً على كثير من الشباب برهة من الزمن حيث زعم لهم
أن الجهاد قد تحول حكمه في هذا الزمن من فرض كفاية إلى فرض عين
وقد بينت بفضل من الله وتوفيقه بطلان هذا الادعاء من وجوه
عدة وأجبت على الشبه التي ربما انطلت على من ضعف إلمامه
بالنصوص الشرعية فظهر الكتاب على صغر حجمه وهو كتاب رسالة
الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد مقنعاً لمن وفقه الله
في هذا الحكم إلى حد كبير لمن قرأه بتجرد فأسأل الله جل شأنه
أن ينفع به وأن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه وهذه هي الطبعة الثالثة
فالحمد لله على ما أنعم والشكر له على ما علم وفهم وصلى الله على نبينا محمد وعلى

العنوان جازان - صامطة - ص.ب ٢١٥ ت/ ٠٧٣٢٢١٠٤٩ جوال ٠٥٥٧٦٩٧٥٩

آله وصحبه وسلم. كتبه أحمد بن يحيى النجمي

مقدّمة بين يدي الرّسالة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَن اختاره اللهُ لهدايةِ البشريَّةِ، فجعلَه أزكىٰ النَّاس نَفْسًا، وأطيبَهم قلبًا، وأحسنَهم خُلُقًا، وأقومَهم منهجًا، وأعلمَهم بالله، وأتقاهم وأخشاهم له، فصلَّىٰ اللهُ وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذريَّته، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللهَ أرسلَ رسولَه محمَّدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحقِّ؛ ليظهره علىٰ الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، أرسله بشريعةٍ سمحةٍ، ودين يتَّصف بالحق والعدل واليُسر والشُّموليَّة في جميع أحكامه وتشريعاته، وأزال منه الحرج والعَنَتَ والمشقَّة رحمةً منه بهذه الأمَّة، وتفضُّلًا عليهم، ومنًّا وإحسانًا إليهم، وامتنَّ عليهم بذلك في أكرم الكتب وعلىٰ لسان أكرم الرُّسل ﷺ؛ فقالَ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾، أي: يا هذه الأمَّة، اللهُ اصطفاكم واختاركم علىٰ سائر الأمم، وفضَّلكم وشرَّفكم وخصَّكم بأكرم رسول، وأكمل شرْع، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾: أي: ما كلَّفكم ما لا تُطيقون، وما

أَلزَمَكُمْ بشيءٍ فَشَقَّ عليكم إلَّا جعلَ لكم فرجًا ومخرجًا»(١).

قلتُ: وفي جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الأمر بالجهاد ورفع الحرج من التَّكاليف الدِّينيَّة في آيةٍ واحدةٍ إشارةٌ إلىٰ أنَّ الجهاد فرضُ كفايةٍ، لا فرض عين، ومَنْ زعَم أنَّ الجهادَ فرضُ عين فقد زعَم أنَّ في التَّكاليف الإسلاميَّة حرجًا ومشقَّةً وعنتًا، وردَّ خبر الله الَّذي أخبره عبادَه وامتنَّ به عليهم في كتابه في هذه الآية وغيرها حيثُ يقولُ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحجّ: ٧٨]، ويقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التَّغابن: ١٦]، ويقول: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالىٰ قالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، رواه مسلم عن أبي هريرة(٢).

أفيُعقل بعد هذا أن يُكلّف اللهُ أمّةَ محمّدٍ ﷺ بما ليس في وُسعِها؟!

وإنَّ ذهابَ جميع الرِّجال المُكلَّفين إلىٰ ميادين الجهاد أمرٌ لا يُطاق، وتكليفٌ بما لا يُستطاع، وقد زعَم قومٌ مِن المعاصرين أنَّ الجهادَ أصبحَ الآن فرضَ عينٍ، وذلك لأنَّ دُخولَ العدوِّ في بلدٍ مِن بُلدان المسلمين قد حوَّل الجهادَ مِن فرض كفايةٍ إلىٰ فرضِ عينٍ، بل زعموا أنَّ الجهادَ الآن نظيرٌ للصَّلاة والزَّكاةِ والصَّوم.

وقد اغترَّ بقولهم هذا كثيرٌ مِن طلَّاب العلم حتَّىٰ أصبحَ حُكمُ الجهادِ هو

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٥٥)، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّانية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (١٢٥)، بلفظ: «قَالَ: نَعَمْ»، وأخرجه بهذا اللَّفظ من حديث ابن عبَّاس (١٢٦).

حديث السّاعة، ومحلّ القيل والقال، والمناظرة والجدال، غافلين عمّا يجرُّه قولهم هذا مِن بلبلةٍ للأفكار، وتكليفٍ بما لا يُطاق، وقولٍ علىٰ الله ورسولِه بدون دليلٍ، ولو أمعنُوا النّظر قليلًا وتأمّلُوا في الأدلّة جيّدًا، وتركُوا الثّورة الّتي تتجاوزُ الحدودَ؛ لَعلمُوا أنّ القولَ بأنّ الجهادَ فرضُ عين كالصّلاة، والزّكاة، والصّوم، يلزمهم بإلزاماتٍ لا يستطيعون أن يقولُوا بها إلّا أنْ يرَوْا رَأْيَ الخوارج:

أوّلها: أنّه يلزمهم أنْ يقولُوا بأنّ مَن ترَك الجهاد كفَر كفرًا يخرجه من الملّة؛ لأنّ مَن ترَك الصّلاة عامدًا كفر كُفرًا يُخرجه من الملّة؛ للأدلّة الّتي تنصّ علىٰ ذلك، وإذا جعلُوا الجهادَ مثل الصّلاة، لزمَهم في تركه مع القُدرة عليه ما يلزمُ في تركِ الصّلاة عمْدًا، فيلزمُهم أنْ يقولُوا: إنّ تاركَ الجهادِ مع القُدرةِ عليه كافرٌ كُفرًا يُخرجُه مِن الملّة، تَبِينُ به زوجتُه منه، ولا يُعاد إذا مَرِض، ولا تُتبع جنازتُه إذا مات، ولا يُغسّل، ولا يُكفّن، ولا يُصلّىٰ عليه، ولا يُدفنُ في مقابر المسلمين، ولا يَرِثُ مِن مُورِّثه إذا مات مُورِّثه، ولا يَرِثُه وَارثه إذا مات هو، بل يكون مالُه فَيْئًا لبيت مال المسلمين؛ كحال المرتدّ.

ثانيًا: يلزمهم أنْ يقولُوا إنّ مَنْ فرّ مِن الزّحفِ كفَر وخرَج مِن الملّة مع أنّ علماءَ المسلمين قد أجمعُوا علىٰ عدم كُفرِه.

ثالثًا: يلزمهم أنْ يقولُوا: إنّ مُرتكبَ الكبيرة كافرٌ مخلّدٌ في النّار، وهذا مذهبُ الخوارج الّذين سمّاهم النّبيّ ﷺ كُفّارًا[1].

رابعًا: إذا كان الجهادُ فرضَ عينٍ، فيلزمُ مَن يقولُ هذا القول أنْ يذهب إلىٰ

---

(١) يشير الشّيخ رحمه الله إلىٰ قوله ﷺ فيهم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ميادين القتال، فلا يعودُ حتَّىٰ ينتصر المسلمون، أو يبقىٰ في الميدان حتَّىٰ يموت؛ وإلَّا فإنَّه قد قال ما لا يفعلُ.

خامسًا: يلزمهم أنْ يُوجبُوا علىٰ كلِّ مكلَّفٍ مِن الرِّجال أنْ يَتوجَّهَ إلىٰ ميادين القِتال، ويتركُوا ما وراءهم مِن أبناءٍ وزوجاتٍ وأعمالٍ ووظائفَ، فيؤدِّي ذلك إلىٰ تعطيل الزِّراعة والصِّناعة والتِّجارة وغير ذلك من أسباب المعيشةِ، ويُؤدِّي إلىٰ تعطيل الوظائف، وإن استثنينا الأميرَ والقاضيَ فلا يبقىٰ معهم إلَّا النِّساء والأطفال بغير عائلٍ.

سادسًا: ويُؤدِّي ذلك إلىٰ الحشد في بلدٍ واحدٍ، وترك جميع بلدان المسلمين لقمةً سائغةً للعدوِّ يأخذها متىٰ شاء.

سابعًا: ويترتَّب علىٰ ذلك: التَّكليف بما لا يطاقُ، وفي ذلك مخالفةٌ لكتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ وإجماع أهل العلم.

ثامنًا: إنَّ مَن قال: الجهادُ فرضُ عينٍ؛ فقد حكَم بغير حُكم الله ورسوله، وقال بغير ما قال اللهُ ورسولُه، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن قال: إنَّ الجهادَ فرضُ عينٍ، فقد زعم أنَّ عليهم أنْ ينفرُوا كافَّةً، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «مَنْ آمَنَ باللهِ وَبرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ؛ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»(١).

ومَن قال: إنَّ الجهادَ فرضُ عينٍ فقد قال خلاف ذلك، وأوجب في الدِّين ما لم يوجبْه اللهُ ورسولُه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فإنْ قِيلَ: فما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التَّوبة: ٤١]، وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وغيرها من الآيات التي تُفيد وجوبَ النَّفير على الجميع.

فالجوابُ: أنَّ الَّذي يجبُ علينا أنْ نجمع بين الآيات المتعارضة حتَّىٰ نكونَ قد عملنا بجميع آيات القُرآن، وهذه الآيات قد عارضَتْهَا آياتٌ أخرىٰ تُفيدُ عدمَ الوجوب العينيِّ كآية (براءة): ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية، وآية (النِّساء): ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، حيثُ شرَّكَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين المجاهدين والقاعدين بالوعد بالحسنىٰ.

وآية (المزَّمِّل): ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [المزمِّل: ٢٠]، حيثُ جعَل الضَّاربين في الأرض مَقرونين مع المجاهدين في سبيل الله، وشملهم بالتَّيسير، فهذه الآيات تحملُ علىٰ الحُكم العامِّ، وتلك الآيات الَّتي يُفيدُ ظاهرُها وجوبَ النَّفير علىٰ الجميع قد صرَّح المفسِّرون أنَّها نزلَتْ في المنافقين الَّذين ندبَهم رَسولُ الله ﷺ للخروج معه، فتثاقلُوا وانتحلُوا المعاذيرَ الكاذبةَ.

ونحنُ نقولُ: إنَّ مَن عيَّنهم الإمامُ يجبُ عليهم أن ينفروا؛ لقوله: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[1]. وإنْ تأخَّروا كانُوا داخلين في حُكم تلك الآيات، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (١٣٥٣)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، والاستنفار: هو الاستنجادُ والاستنصار، والمراد: إذا طُلِبَ منكُم النُّصرة فأجيبوا وانفروا خارجين إلىٰ الإعانة.

تاسعًا: إنَّ الحكمَ بأنَّ الجهادَ فرضُ عين لا يُفيدُ المسلمين نصرًا، ولا يُعيدُ إليهم حقًّا مسلوبًا، بل ربَّما عُوقِبَ عليه المسلمون؛ لأنَّه يُعتبرُ معصيةً لله، وحُكمًا بغير ما أنزلَ.

عاشرًا: أنَّ العلماءَ جميعًا قد أجمعُوا أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، والأدلَّة علىٰ ذلك واضحةٌ، فمَن زعَم أنَّ الجهادَ تحوَّل الآن إلىٰ فرض عين، فقد نصَّب نفسَه مشرِّعًا مع الله ورسولِه، وظلَم نفسَه وأوبقَها.

حادي عشر: أنَّ العُلماءَ مسؤولون أمامَ الله عمَّا أفتَوا به وحكموا بِهِ مِن أحكام.

ومتىٰ حكمُوا بغير ما أنزل، وأفتَوا بغير ما شرع، فقد استحقُّوا المقتَ واللَّومَ والذَّمَّ العظيمَ مِن الله عَزَّوَجَلَّ، كما حصل ذلك لأهل الكتاب، فعلىٰ عُلماء المسلمين أنْ يحذرُوا مِن الحُكم بالهوىٰ؛ لأنَّهم يوقِّعون عن الله ورسوله.

وأخيرًا؛ فهذا بيانٌ بما تحمله هذه الفتوىٰ مِن مخاطر، وما يلزم عليها من إلزامات.

ونسألُ الله أنْ يهديَ إخوانَنا إلىٰ التَّبصُّر في شرعه، والحكم بما حَكم هو ورسوله حتىٰ يرضىٰ الله عنَّا وينصرنا علىٰ عدوِّنا، فالنَّصر بالطَّاعة مضمون للفئة القليلة، والخذلان بالمعصية مرتقب ولو كثُر العدد.

اللهَ اللهَ يا علماء الإسلام، اتقُّوا اللهَ في أنفسِكُم، وفيمَن تقودونهم مِن الجماهير، قولوا كما قال الله، واحكُمُوا بما حكَم اللهُ، وأَفتُوا بما أراكم الله.

هذه نصيحتي إليكم، والسَّلام علىٰ من اتَّبع الهُدىٰ.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

المؤلِّف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سؤالٌ مهمٌّ عن حُكم الجهادِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحْبه وسلَّم.

وبعدُ: ما قولُ أهل العلم في حُكم الجهاد: هل هو فرضُ عين، أو فرضُ كفاية؛ فإنَّ المُفتين اختلفُوا علينا؛ فمنهم مَن يقولُ: هو فرضُ عين، ومنهم من يقولُ: هو فرضُ كِفَايةٍ؟

كما نرجُو أنْ تكونَ الإجابةُ مُدعَّمةً بالدَّليل وأقوال أهل العلم في المسألة، مع بيان متَىٰ يتعيَّن الجهادُ؟ وهل يجوزُ أنْ يُجاهِدَ الرَّجلُ بدون إذْن أبويهِ؟

أفيدُونا جُزيتم خيرًا، والسَّلام.

سائل مستفيد

الجوابُ: إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستهديه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الإجابة علىٰ هذا السُّؤال ينبغي أن يتقدَّمها بيانٌ لفضل الجهادِ حتَّىٰ نخرج عن كوننا مُثبِّطين عن الجهاد.

ولقد سُئلتُ عن هذا السُّؤال في كثير من المعسكرات الإسلاميَّة، والنَّدوات

الثَّقافيَّة، ورأيتُ مَنْ صَرَّحَ من المعاصرين بأنَّ الجهادَ أصبحَ الآن - وفي هذه الظُّروف الَّتي تحيطُ بالأمَّة الإسلاميَّة في هذا الزَّمن - فرْضَ عين، لا فرض كفاية، فرأيتُ أنَّ مِن الواجب عليَّ أنْ أبيِّن الصَّواب في هذه المسألة خدمةً للدِّين، وبيانًا للحقِّ، إلَّا أنَّه ربَّما فَهم منه بعضُ النَّاس أنَّ هذا البيان فيه تثبيطٌ للعزائم؛ لذلك فقد تأرجحت أوَّلًا في الكتابة عنه، ثمَّ ترجَّح لي بعد ذلك أنْ أكتبَ في هذه المسألة ما يُبيِّن الحقَّ فيها لمبتغيه، وأُقدِّم قبل بيان الحُكم بيان فضل الجهاد، وما له مِن مزايا تعود على الأمَّة بالخير في الدُّنيا والآخرة.

فأقولُ وبالله التَّوفيقُ ومنه العونُ:

اعلم أنَّ الجهاد في سبيل الله هو لبُّ الإسلام وخلاصتُه؛ بل هو رُوح الدِّين وحياتُه، يعني: حياته في نفس المجاهد، وحياته في المجتمع الجهاديِّ، وبالتَّعبير النَّبويِّ الشَّريف: «**هو ذُرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلَامِ**»[1].

فالمجاهدُ حين يسعى في حياة غيره هو يسعى في حياة نفسِه، وكلَّما سعى في حياة غيره، ازداد حياةً في نفسِه؛ لأنَّ الله يُكافئ العباد على قدر معاملتهم لبعضهم بعضًا، فيعاملهم كما يُعاملون غيرَهم، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرْ لَهُ اللهُ**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ؛ فَأَحَبُّهُمْ**

---

(١) جاء هذا في حديث معاذ ﷺ الذي أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابنُ ماجه (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألبانيُّ بمجموع طُرقه في «السِّلسلة الصَّحيحة» تحت حديث رقم (١١٢٢).

(٢) أخرجه الألبانيُّ في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٢٠٥٩)، وقال: «أورده السُّيوطيُّ في (الجامع) من رواية البيهقيِّ في (الدَّلائل)، وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني، وأبي نصر السِّجزي في (الإبانة) عن أبي الدَّرداء، وابن أبي شيبة في (المصنف) عن ابن مسعود موقوفًا. وزاد المناوي في تخريجه فقال: رواه =

إِلَيهِ أَنفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[1].

فالمجاهد في سبيل الله يسعىٰ في حياة الأرواح بنور الوحي؛ لذلك فإنَّ الله يزيدُه حياةً في نفسِه، ونورًا وتوفيقًا وسدادًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والمهمُّ: أنَّ الإسلامَ الحقيقيَّ هو الإسلام الحيُّ المتحرِّك الذي يَشعُّ نورُه فيضيء لصاحبه، ويهتدي به غيره.

أمَّا الإسلامُ الوراثيُّ التقليديُّ فهو ميتٌ في نفس صاحبه، أو مُحتضر مُشرف علىٰ الموت إلَّا أنَّ جذوةَ الإيمان كامنة فيه غالبًا، فإذا وَجَدَتْ مُحرِّكًا تحرَّكَتْ، كالنَّار الَّتي تكاثَر الرَّمادُ عليها فأخفاها.

وكذلك حقيقةُ الإسلام وجذوتُه ونورُه، تختفِي تحت رُكام الأهواء والأطماع والشَّهوات، ومتىٰ وجدَتْ مَن يَنفضُ عنها هذه الأوساخ تحرَّكَتْ، فيتبدَّلُ الموت حياةً، والظُّلمة نورًا، والرُّكود حركةً.

وعلىٰ هذا، فينبغي لكلِّ مُسلم أن يبذلَ جهدَه لإعلاء كلمةِ الله، وإحياء دينه في نفسه بمجاهدتها للعمل بما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، وفي نفس غيره بالكلمة الطَّيِّبة، والتَّوجيه الحسن، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ثُمَّ يحمل السِّلاح إن

= العسكري والديلمي عن عقبة، وأبو نعيم في (الحلية)، والقضاعي في (الشهاب) عن أبي الدَّرداء، قال بعض شُرَّاحه: حسنٌ غريبٌ...».

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٦/ ٦٥) رقم (٣٣١٥)، والبزَّار في «مسنده» (١/ ٣٢٤) رقم (٦٩٤٧) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الضَّعيفة» (١٩٠٠): «ضعيف، وقد ثبت الشطر الثاني من الحديث بلفظ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ للنَّاسِ»، وهو مخرَّج في «الصَّحيحة» (٤٢٧)».

أمكن وتهيّأت الفُرصةُ لإعلاءِ كلمةِ الله، وليدين العبادُ كلُّهم بدين الله؛ فيدخلوا في دينه مُذعِنين، ويعبدوه وحدَه مخلصين، ويُحكّموا شرعه مُنقادِين، ومتىٰ فعَل العبدُ ذلك ازداد في نفسه هدًىٰ وإيمانًا.

ويزدادُ ذلك وضوحًا بالتّأمُّل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الشّيخُ عبدُ الرّحمن بن ناصر السّعديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] علىٰ قولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: «﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ وهم الّذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتّباع مرضاته.

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾؛ أي: الطُّرق الموصلة إلينا، وذلك لأنّهم مُحسنون.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالعَون والنّصر والهداية.

دلَّ هذا علىٰ أنَّ أحرىٰ النّاس بموافقة الصّواب: أهلُ الجهاد، وعلىٰ أنَّ مَن أحسنَ فيما أُمر به أعانَه الله، ويسّر له أسباب الهداية، وعلىٰ أنَّ مَن جَدَّ واجتهد في طلب العلم الشّرعيّ فإنّه يَحصلُ له مِن الهداية والمعونة علىٰ تحصيل مطلوبه أمورٌ إلهيّة خارجةٌ عن مُدرك اجتهاده، وتيسّر له أمر العلم، فإنَّ طلَبَ العلم الشّرعيّ مِن الجهاد في سبيل الله، بل هو أحدُ نوعَي الجِهادِ الّذي لا يقوم به إلّا

(١) عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي: علّامة القصيم، ولد في عام (١٣٠٧هـ)، وتوفّيت أمّه وله أربع سنوات، وتوفّي أبوه وله سبع سنوات، نشأ يَتيمًا، فحَبّبَ اللهُ إليه العلم، وكان يتمتّع بشيءٍ عظيم من الذّكاء، كان زاهدًا في الدّنيا، حفظ القرآن وهو ابنُ إحدىٰ عشرة سنةً، وأقبل علىٰ التّعلُّم، فلمّا بلغ ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتّدريس؛ فكان يُعلّم ويتعلّم، له مؤلّفات كثيرة، منها: تفسيرُه للقرآن الّذي سمّاه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان»، وله مؤلّفاتٌ غيرُه. توفي في عام (١٣٧٦هـ).

خواصُّ الخلق، وهو الجهاد بالقول واللِّسان للكفَّار والمنافقين، والجهاد على تعليم الدِّين، وعلىٰ ردِّ نزاع المخالفين للحقِّ، ولو كانُوا مِن المسلمين». اهـ[١].

وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾: يعني: الرَّسول ﷺ وأصحابَه وأتباعه إلىٰ يوم الدِّين، ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾: لنُبصِّرنَّهم سُبلَنا؛ أي: طُرقَنا في الدُّنيا والآخرة».

ثُمَّ روىٰ عن ابن أبي حاتم بسنده إلىٰ عبَّاس الهمداني - أبو أحمد من أهل عكَّا - في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]: قال: «الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم اللهُ لما لا يعلمون. قال أحمد بن أبي الحواري[٣]: فحدَّثت به أبا سليمان؛ يعني: الدَّاراني[٤]، فأعجبَه، وقال: ليس ينبغي لمن أُلهمَ شَيئًا مِن الخير أنْ يعملَ بهِ حتَّىٰ يَسمعَه في الأثر، فإذا سَمِعَهُ في الأثر عَمِلَ بهِ، وحَمدَ اللهَ حِينَ وافق ما في قلبه»[٥]. اهـ.

قلتُ: بالتَّأمل في معنىٰ الآية يتبيَّن أنَّ الجهاد سبب في الهداية، وأنَّ الإحسان

---

(١) «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» للسَّعدي (ص ٦٣٦).

(٢) هو العالم السَّلفيُّ الجليلُ، المفسِّر، المؤرِّخ، صاحب المؤلَّفات النَّافعة، منها: تفسيره المشهور، ومنها: «البداية والنِّهاية» في التَّاريخ، وغيرها؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ولد في سنة (٧٠١هـ)، وتوفي في سنة (٧٧٤هـ).

(٣) أحمد بن عبد الله بن ميمون، أبو الحسن، المشهور بابن أبي الحواري - بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الرَّاء -، ثقةٌ زاهدٌ من العاشرة، مات سنة (٢٤٦). اهـ. تقريب، ت (٦١).

(٤) أبو سليمان الدَّارانيّ، عبد الرَّحمن بن أحمد، وقيل: ابن عطيَّة، وقيل: ابن عسكر، الإمامُ الكبير زاهدُ العصر، ولد سنة (١٤٠)، وتوفي سنة (٢١٥)، وقال أحمد بن أبي الحواريّ: توفي سنة (٢٠٥)، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٨٢ الرسالة).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٦ سلامة).

سبب في معيّة الله للمحسنين، وهذا يزدادُ وُضوحًا بالتَّأمُّل في قولِه تعالىٰ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦]، أي: أنَّ ثمرةَ جهادِه ونفعَ جهادِه إنَّما يعودُ علىٰ نفسِه أوَّلًا وقبل كلِّ شيءٍ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، فالتَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبر شرطان مُكملان لإيمان العبد بعْد العمل الصَّالح، فلا يكمل إيمانُ عبدٍ وفلاحُه ولا ينجُو مِن الخُسران إلَّا بهما.

والجهادُ بمعناه العامِّ: وهو بذلُ العبد جُهدَه في كلِّ ما مِن شأنه أن يرفع دينَ الله، ويُعليَ كلمتَه، ويجعله هو المسيطر علىٰ حياة النَّاس في واقعهم الاعتقاديِّ وواقعهم التَّعامليِّ، سواء كان ذلك في تعامُلِهم مع الله، وهو ما يُسمَّىٰ بالعِبادةِ، أو في تعامل بعضِهم مع بعض، وهو ما يُسمَّىٰ بالمعاملة، أو في واقعهم الاقتصاديِّ، وهو كسب المال وتنميتُه وتصريفُه، أو في واقعهم الخُلقي؛ فيكون الكلُّ مُستقًىٰ مِن شرْع الله عَزَّوَجَلَّ.

ومِن هذا يَتبيَّنُ أنَّ الجهادَ سمةٌ أصيلةٌ في الدِّين الإسلاميِّ، لا يتمُّ إلَّا به، وهذا التَّعريفُ للجهاد هو بمعناه العامّ الشَّامل لجميع مراتبه الثَّلاث: اليد واللِّسان والقلب.



الجهادُ بمعناه الشَّامل
وسمَّاه بعضُهم: الجهادَ المعنويَّ

ثمَّ إنَّ الجهادَ بمعناه الشَّامل: هو بذل العبد جُهدَه، أي: طاقتَه وقُدرتَه فيما يُقرِّبُ إلىٰ الله، أي: في حصول ما يحبُّه اللهُ تعالىٰ مِن الواجبات والمندوبات، وترك ما يَكرهُه اللهُ تعالىٰ من المحرَّمات والمكروهات، سواء كان ذلك بتطويع نفسِه لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، أو بتطويع غيره لله تعالىٰ بدعوته إلىٰ الله تعالىٰ بالحِكمة والموعظة الحسنة، والتَّرغيب والتَّرهيب، وبيان محاسن الإسلام وكماله وسموّ تعاليمه، وما يحتوي عليه من تشريعات عظيمة هي غاية في الطُّهر والحكمة والعَدالة[1].

فأمَّا تطويع النَّفس لله: فهو جهادُها لفعل ما أمَر اللهُ به مِن الواجبات والمستحبَّات، وترك ما نهىٰ الله عنه من المحرَّمات والمكروهات؛ لأنَّ اللهَ خلَق العبدَ مجبولًا علىٰ الخير والشَّرِّ، مُهيَّأً لهما.

وقد أمدَّه الله بقوَّتَين؛ قوَّة خير وقوَّة شرٍّ، فأمَّا قوَّة الخير فهي تتألَّف مِن القُرآن، والرَّسول، والمَلك، والنَّفس المطمئنة، وقرناء الخير، وأمَّا قوَّة الشَّرِّ فهي تتألَّفُ مِن الشَّيطان، والدُّنيا، والهوىٰ، والنَّفس الأمارة بالسُّوء، وقُرناء السُّوء، والحكم لمن غلب علىٰ القلب الذي هو المَلِك علىٰ الأعضاء، ومحلُّ

---

(١) كتاب «الجهاد» للدكتور عبد الله قادري، بتصرف.

إصدار الأوامر؛ فإنْ غلبَتْ قوَّة الخير كان الحكم لها، وانبعثَتْ الأوامر خيرة، وإنْ غلبَتْ قوَّة الشَّرِّ كان الحُكم لها، وانبعثَتْ الأوامر شريرةً، وإنْ غلبَتْ هذه تارةً وهذه تارةً، كان العبد متأرجحًا بين الخير والشَّرِّ، وهذه الحالة هي الغالبةُ عند معظم النَّاس مِن المسلمين.

وقد أخرج الترمذيُّ[(١)]، والنَّسائيُّ[(٢)]، وغيرُهما عن عبد الله بن مسعود[(٣)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للشَّيْطَانِ لَمَّةً[(٤)] بابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ؛ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾** [البقرة: ٢٦٨]»[(٥)].

---

(١) **الترمذي**: هو محمَّد بن عيسىٰ بن سورة، السّلمي، التّرمذي، أبو عيسىٰ، صاحب الجامع، أحد الأئمَّة، من الثَّانية عشرة، مات سنة (٢٧٩). اهـ. تقريب، ترجمة (٦٢٠٦).

(٢) هو أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرَّحمن النّسائي، الحافظ، صاحبُ السُّنن، توفي سنة (٣٠٣)، وله ثمان وثمانون سنة. اهـ. تقريب، ت (٤٧).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرَّحمن، من السَّابقين الأوَّلين، ومِن كبار العُلماء من الصَّحابة، مناقبه جمَّة، أمَّره عمر رضي الله عنه علىٰ الكوفة، مات سنة (٣٢). اهـ التقريب، ت: (٣٦١٣).

(٤) **اللَّمَّة**: المرَّة الواحدة من الإلمام، وهو القُرب مِن الشَّيءِ، والمراد بها: الهمَّة الَّتي تقع في القلب من فعل الخير والشَّرِّ والعزم عليه.

(٥) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» (٢٩٨٨)، وقال: «حسنٌ غريب»، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٧) رقم (١٠٩٨٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رحمه الله في «ضعيف الجامع» (١٩٦٣)، و«المشكاة» (٧٤)، ثمَّ صحَّحه في «هداية الرُّواة» (٧٠)، و«النَّصيحة» (٣٤)، و«صحيح موارد الظمآن» (٣٨).

وقد رُوِيَ هذا الحديث موقوفًا علىٰ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

والشَّاهدُ منهُ: أنَّ للشَّيطان لمةً بالقلب، وللملك لمة به، فإذا ألَمَّ به الشَّيطان وجَّهه إلىٰ الشَّرِّ، وإذا ألَمَّ به المَلك وجَّهه إلىٰ الخير، ولمَّاتُ الشَّيطان تأتِي عند الغفلة عن الذِّكر واتِّباع الهوىٰ والانغماس في الدُّنيا ولذَّاتها؛ إمَّا إسرافًا في المباح، وإمَّا إلمامًا بالمُحرَّم، وإمَّا عند مصاحبة الغافلين وطاعتهم، وقد نهىٰ اللهُ عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأما لَمَّات المَلك فهي تأتِي عند الذِّكر والطَّاعة ومُصاحبة الأخيار الأبرار الَّذين يذكرون بالله؛ لأنَّ الشَّيطانَ يَخنس حينئذ ويبتعد؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤ - ٦].

وقد مكَّن الله الشَّيطان أن يدخل في جوف الإنسان، ويلتقم قلبه، ويجري من ابن آدم مجرىٰ الدَّم.

وفي «الصَّحيحَين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لرجُلَين مَرَّا به، وَهُوَ وَاقِفٌ مع زوجته صفيَّةَ بنت حُيَيٍّ[(٢)] فأسرعا؛ فَقَالَ: «عَلَىٰ رِسْلِكُمَا؛ إنَّها صَفِيَّةُ». قَالَا: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أو قال -: شَيْئًا»[(٣)].

---

(١) أخرجه الهيثميُّ في «موارد الظَّمآن» (ص٤٠).

(٢) صفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ بن أخطب، الإسرائيليَّة، أمُّ المؤمنين، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خيبر، وماتَتْ سنة (٣٦)، وقيل: في خلافة معاوية، وهو الصَّحيح. اهـ. تقريب، ت (٨٦٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٨١)، وأخرجه مسلم (٢١٧٥)، واللَّفظُ له.

والشَّاهدُ منه: قولُه: «إنَّ الشَّيطَانَ يَجْرِي مِن ابْن آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ».

والمهمُّ: أنَّ النَّفسَ لا ترتاض علىٰ الطَّاعة وتمرَّن عليها إلَّا بمُجاهدة لها ولشيطانِها وأهوائها وشهواتِها وأطماعِها، مع تعليمها مِن الجهالة، وإيقاظها مِن الغفلة، وكفِّها عن الظُّلم، وقد حذَّرنا اللهُ مِن الشَّيطان في آياتٍ كثيرةٍ؛ منها:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. والغَرور: هو الشَّيطانُ الَّذي يغرُّ بني آدم؛ فكم قد غرَّ وأهلك بغُروره!

كما حذَّرنا من اتِّباع الهوىٰ في آيات كثيرة، فقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والهوىٰ: هو كلُّ ما تميلُ إليه النَّفسُ، سواء كان حقًّا أو باطلًا، إلَّا أنَّه في الباطل أكثرُ وأغلبُ.

وفي «لسان العرب»: «قال اللُّغويُّون: الهوىٰ: محَبَّة الإنسان الشَّيء وغلبته علىٰ قلبه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، معناه: نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله عَزَّوَجَلَّ.

الليث[1]: الهوىٰ - مقصور - هوىٰ الضَّمير، تقول: هَوِيَ بالكسر يهوىٰ

(١) هو الليث بن المظفر، أو ابن نصر بن يسار أو ابن رافع بن نصر بن يسار، من أئمة العربية. انظر: «بغية =

هوًىٰ؛ أي: أحبَّ... »، إلىٰ أن قال: «ومتىٰ تُكُلِّمَ بالهوىٰ مُطلقًا لم يكن إلَّا مذمومًا حتَّىٰ يُنعتَ بما يُخرج معناه؛ كقولهم: هوًىٰ حسنٌ، وهوًىٰ موافقٌ للصَّواب»[١].

قلتُ: ومن الحَسَن قولُ رسولِ الله ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[٢].

ومن السَّيِّئِ قولُه في الحديث: «**إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ...**»[٣].

فاتِّباع الهوىٰ ضلالٌ وهلكةٌ؛ لأنَّ النَّفسَ ميَّالةٌ إلىٰ الباطل بحسب استعدادها، فالنَّفسُ الغضبيَّة ميَّالةٌ إلىٰ الانتقام والتَّشفِّي وحُبِّ الاستعلاء، والنَّفسُ البهيميَّة ميَّالةٌ إلىٰ اللَّذائذ؛ حقًّا كانت أو باطلًا، والنَّفس الجشعةُ ميَّالةٌ إلىٰ التَّملُّك واكتساب المال من الحِلِّ أو من الحرام، والنَّفس المطمئنَّة قريبةٌ إلىٰ الخير تميل إلىٰ العدل والحقِّ والخير.

ونفوسُ البشر جميعًا مجبولةٌ علىٰ الشَّرِّ وعلىٰ الخير؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، إلَّا أنَّ النِّسب تتفاوت

=

الوعاة» (٢/ ٢٧٠).

(١) «لسان العرب»، لابن منظور، (١٥/ ٣٧٢ صادر).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «التَّاريخ» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠٤)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥)، وابن بطَّة في «الإبانة» (١/ ٣٨٧)، وقال النَّوويُّ في الأربعين: حديثٌ صحيحٌ، وفيه نعيم بن حمَّاد مختلفٌ فيه، ونقل ابن حجر التَّصحيح ولم يتعقَّبه، وضعَّفه ابنُ رجب، والألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (١٥).

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» (٣٠٥٨)، وقال: «حسنٌ غريبٌ»، وابنُ حبَّان في «صحيحه» (٣٨٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذيِّ».

وتزيد وتنقص بحسَب التَّربية والتَّوفيق مِن الله؛ فمَن أراد اللهُ به خيرًا يسَّر له مَن يغرسُ الخير في نفسه، وينمِّيه حتَّىٰ يثبتَ، يشهد لهذا قول النَّبيِّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١).

ومجاهدةُ النَّفس بصرفها عن هواها وشهواتها المحرَّمة إلىٰ المباحة يعتبر مِن أفضل الجهاد الَّذي يُثيبُ اللهُ عليه بالجنَّة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات: ٤٠، ٤١].

وينبغي للمُسلم أنْ يكون نزَّاعًا إلىٰ الكمال في كلِّ أمور دِينِه، راغبًا فيه، محبًّا له، حريصًا علىٰ ما يزيد إيمانَه ويُنمِّيه مِن الأعمال الصَّالحة، ومبتعدًا عمَّا يُنقِصُ إيمانَه ويجرحه ويدنِّسه من أعمال الفِسْق والمعاصي والشُّرور.

وإنَّ ممَّا يدفع الإنسانَ إلىٰ طلَب الكمال في الدِّين أنْ يَنظر إلىٰ مَن فوقَه فيه، فيدفعه ذلك إلىٰ التَّأسِّي به في العمل والإخلاص، وينظر إلىٰ مَن دونَه في الدُّنيا، فذلك أجدرُ أنْ يشكرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ولا يزدريَ نعمةَ اللهِ عليه، وقد جاء بهذا المعنىٰ حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺ(٢).



---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) واللَّفظُ له، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**».

فصلٌ

وأمَّا تطويعُ غيره، فيكون بالدَّعوة إلىٰ الله بالحِكمةِ والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وبيان محاسن الإسلام والعواقب الحميدة في التَّمسُّك به، والعواقب السَّيِّئة التي تحصلُ للمعرضين عنه في الدُّنيا والآخرة، وإظهار صفة الجنَّة دار المؤمنين في الآخرة، وصفة النَّار دار الكافرين في الآخرة، فهذا مِن أفضل الجهاد إن لم يكن أفضلَه جميعًا؛ كيف لا وهو وظيفةُ أنبياءِ الله ورسلِه وصفوته مِن خلقِه؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصِّلت: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

فالدَّعوةُ إلىٰ الله وظيفةُ الرُّسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وأتباعهم من صالحي الأمم، وهم أولو البقيَّة الَّذين ينهون عن الفساد في الأرض؛ الفساد العقائديّ، والفساد الخُلقيّ، والفساد السِّياسيّ، والفساد الاقتصاديّ:

فأمَّا الفسادُ العقائديُّ: فهو العُدول بالعبادة عن بارئ الكون والمتصرِّف فيه

إلىٰ مخلوق ضعيف لا يستطيع أن ينفع نفسَه.

فلقد بعث الله جميع الرسل بالنهي عن هذا الفساد، وإنقاذ الخلق من عبادة العباد إلىٰ عبادة ربِّ العباد؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

حتَّىٰ ختمَهم بمحمَّد ﷺ الَّذي حمىٰ جانب التَّوحيد، وسدَّ كلَّ ذريعةٍ تُفضي إلىٰ الشِّرك، كيف لا، وقد قال له ربُّه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فبيَّن التَّوحيد أعظم بيان، وحذَّر مِن الشِّرك أعظم تحذير، وأوجبَ اللهُ علىٰ أهل العلم مِن بعدِه أنْ يقومُوا بهذا الواجب، ويتبعوا هذا السَّبيل، ويكونوا أدلَّاء للخلْق إلىٰ الله وإلىٰ عبادتِه وتوحيدِه؛ فمَن وفَّىٰ منهم حاز التَّزكية الرَّبانيَّة والشَّهادة الرَّحمانيَّة الَّتي ترفعُه فوق هامة الثُّريا، وتُنزلُه مِن درجات الجنَّات منازل عُليا.

ولقدْ ضلَّ أقوامٌ، فزعموا أنَّ دعوةَ الأولياء مِن التَّوسُّل الجائز، وطلب الحوائج منهم دليل علىٰ محبَّتهم؛ فضَلُّوا بذلك وأَضلُّوا، وكانوا فتنةً لمن تبعهم في هذا الفساد العقائديِّ، وما أكثرَ هذا اليوم في بُلدان المسلمِينَ! وما سلَّط اللهُ علىٰ أمَّة محمَّد أعداءهم وأعداء دينهم إلَّا مِن أجْل هذا الفسادِ العقائديِّ المستشري فيهم.

وأمَّا الفسادُ الخُلقيُّ: فحدِّث ولا حرج، فلقد تشبَّهَ المسلمون بأعداء الإسلام في الاختلاط والتَّعرِّي والعُهر وشُرب الخمْر، فلم يبقَ لهم من الإسلام إلَّا الاسم، ولو ذهبتَ إلىٰ الشَّواطئ والنَّوادي والمسارح والأسواق لرأيتَ أمرًا

لا يُطاق من قُطعان الفواسق والفُسَّاق الَّذين استولىٰ عليهم الشَّيطان، وساقهم إلىٰ الجريمة أيّما مَسَاقٍ، فصاروا يتبارون في الدّعر، ويتباهون به كأنَّه حَلبةُ سباق.

وأمّا الفساد السِّياسيُّ: فهو سفْكُ الدِّماء بدون سبب، وتعذيب الضُّعفاء مِن عباد الله علىٰ غير أمر وَجَب، حتَّىٰ ولو كانوا هُمْ أهل الإيمان والنَّزاهة والأدب، أو الخروج علىٰ السُّلطة المسلمة التي تُقيم حدود الله، وتُحكِّم شرع الله بدون أن يَرىٰ الخارجُ كُفرًا بَوَاحًا معه من الله فيه برهان؛ لأن ذلك يُسبب الحروب المدمِّرة والفوضىٰ الطَّاحنة.

وأمّا الفسادُ الاقتصاديُّ: فهو أَخْذُ المال من غير حِلِّه، وإنفاقُه في غير سبيلِه؛ قال تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

فدعوةُ هؤلاء أهل هذه الأقسام جميعًا جهادٌ من أفضل الجهاد، إن لم يكن هو أفضله.

إلَّا أنَّ الدَّاعية يجب عليه أن يتَّصفَ بالصِّفات الآتية حتَّىٰ تتحقَّق فيه خلافةُ الرُّسل - صلوات الله وسلامه عليهم - فهذه الصِّفات التي سأذكرُها هي صفاتُهم - صلوات الله وسلامه عليهم - ومَن تأسَّىٰ بهم إنَّما يأخذ نصيبًا مِن تلك الأخلاق، أمّا النَّصيبُ الأوفر والقدَح المعلَّىٰ فهو لهم - صلوات الله عليهم.

فأوَّل هذه الصِّفات: الإخلاص لله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزُّمر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي الحديث القدسي الصَّحيح: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي**

غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

الصِّفة الثَّانية: العلمُ، فلا يجوز لأحد أن يأمر وينهىٰ بلا علم، فإن فعل ذلك أوشك أن يأمر بما يُنهىٰ عنه، وأن ينهىٰ عمَّا يُؤمرُ به، فاللهُ تعالىٰ يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]. والبصيرةُ: هي العلم الَّذي يأمر وينهىٰ علىٰ ضوئه، فالجاهلُ بحاجةٍ إلىٰ مَن يأمرُه وينهاه، وإذا أمَر ونهىٰ بما لا يعلمُ أفسَد أكثرَ ممَّا يُصلِحُ، وبالله التَّوفيق.

الصِّفة الثَّالثة: الصَّبر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

الصِّفة الرَّابعة: الحِلمُ، وهو التَّحمُّل، وعدمُ مُقابلة السَّيِّئة بالسَّيِّئة؛ بل يقابل السَّيِّئة بالحسنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ㉞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلت: ٣٤، ٣٥].

ولما دخَل النَّبيُّ ﷺ مكَّة مُنتصرًا علىٰ قُريش الَّتي أخرجتْه وعادَتْه، قال: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ». قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريم. قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ(٢)»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **الطُّلقاء**: جمع طليق، وهم أهل مكَّة الَّذين عفا عنهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكَّة، **والطَّليق**: الأسير إذا خُلِّي سبيلُه.

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ١٩٩)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١).

وأعطى الطُّلَقاء مِن غنائم حنين مئة مئة مِن الإبل[١].

الصِّفة الخامسة: الأناة في الأمور وعدم الاستعجال فيها؛ فاستعجال النَّتائج أمرٌ يصيبُ الدَّاعية بالإحباط، فعليك أخي أن تتذكَّر أنَّ نبيَّ اللهِ نوحًا مكث ألفَ سنة إلَّا خمسين عامًا، وهو في جهادٍ مستمرٍّ.

الصِّفة السَّادسة: التَّواضعُ وعدمُ الفظاظة، فاللهُ تعالىٰ يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والدَّاعية بحاجةٍ أن يكون كذلك.

الصِّفة السَّابعة: الشَّجاعة، وعدم الهلع عندما يحصل للدَّاعية ما يحصل من العقبات؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

الصِّفة الثَّامنة: التَّوكُّل علىٰ الله، والالتجاء إليه، والدُّعاء والتَّضرُّع أنْ يُسدِّدك، وينصرك، ويرزقك الإخلاص.

الصِّفة التاسعة: عدم النَّزق[٢] والبطر إنْ حصلَتْ لك نعمةٌ ونصرٌ؛ لأن هذا من صفة الكفَّار والفسَّاق؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦].

---

(١) أخرج مسلم (١٠٦٠)، عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «أَعْطَىٰ رَسُولُ الله ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ...».

(٢) النَّزق: خفَّةٌ في كلِّ أمر، وعجلةٌ في جهل وحمق، وقيل: الخفَّة والطَّيش. انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٥٢) مادة: نزق.

الصِّفة العاشرة: العمل بما يقولُ وعدم المخالفة له؛ قال تعالى عن نبيِّ الله شُعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

الصِّفة الحادية عشرة: الحكمةُ، وهي وضعُ الأشياء في مواضعها؛ قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

الصِّفة الثَّانية عشرة: القناعة وقلَّة الحرص على الدُّنيا، وقُلْتُ: قلَّة الحرص؛ لأنَّ عدم الحرص أمرٌ يتنافى مع الجِبلَّة الَّتي فطَر اللهُ عليها النَّاس؛ فقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية.

أمَّا تهذيبُ الفِطرة فهو ميسَّر لمن وفَّقه الله، ومتى توفَّرت في الدَّاعية هذه الصِّفات كان جديرًا بأنْ يُطلق عليه اسم مجاهد، والتَّوفيق بيد الله.



الجهاد بمعناه الخاصّ والعرفيّ الّذي اشتهر به

أمّا معناه الخاصُّ والعرفيُّ الّذي اشتهر به، فهو قِتال الكفّار وبذلُ النّفس والمال رخيصةً بقصد إعلاءِ كلمةِ الله حتّىٰ يكون الدِّينُ كلُّه لله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التّوبة: ١١١].

فقد أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن صفقة حاصلة بينه وبين عباده المؤمنين، تشتمل هذه الصّفقةُ علىٰ بائع وهو العبدُ، وسلعةٍ وهي الأنفس والأموالُ، ومشترٍ وهو الله، ووسيطٍ وهو الرّسول ﷺ، وعِوض وهو الجنّة.

ولهذا فقد سمّاه الله عَزَّوَجَلَّ تجارةً؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصّفّ: ١٠ - ١٣].

ولما كانت التّجارةُ عنصرُها الأساس هو المُعاوضة، ذكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المعوّض مجملًا، والعوض مفصّلًا، فالمعوّض هو المال بما يُلاقيه من نقص وفناءٍ، والأنفس بما تلاقيه من تعب وسَغَب وقتل وجراحات، فلمّا بذلُوا

أموالهم للإنفاق في سبيله، وأرواحهم للموت فما دونه، أبدلهم الله من الحياة الفانية حياةً لا تَفنىٰ، وعن الأجساد الَّتي تموتُ وتمرض أجسادًا لا تموت ولا تمرض، وعن المساكن مساكن خيرًا منها في موطن إقامة وهي جنَّات عدن، مع غفر الذُّنوب، وستر العيوب، والنَّجاة من النَّار، فما أعظمَها مِن تجارةٍ، وما أفضلَه مِن عِوَضٍ!

وأمَّا فضلُ الجِهادِ في السُّنَّة ففيه أحاديثُ كثيرةٌ، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الَّذي أخرجه مالك[1] في «الموطَّأ» باب: التَّرغيب في الجهاد من كتاب الجهاد، والبخاري[2]، باب: أفضل النَّاس مؤمن مجاهد، وأخرجه مسلم[3] في الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ»**[4].

قال: **«وَتَكَفَّلَ اللهُ لمنْ جَاهَدَ في سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلَّا الجِهَادُ في سَبِيلِهِ**

---

(١) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمْرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدنيّ، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المُتقنين، وكبير المُتثبِّتين، حتَّىٰ قال البخاريُّ: «أصحُّ الأسانيد كلِّها: مالكٌ عن نافع عن ابن عُمر»، من السَّابعة، مات سنة تسع وسبعين، وكان مولدُه سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقديُّ: «بلَغ تسعين سنة». «تقريب»، ت (٦٤٢٥).

(٢) **البخاريُّ**: هو محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي البخاريّ، صاحب الصَّحيح، وُلد سنة (١٩٤)، وردَّ خطأ علىٰ أحد شيوخه وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة، كان آية في الحفظ، مات سنة (٢٥٦). «تقريب»، ت (٥٧٢٧).

(٣) هو مسلم بنُ الحجَّاج بن مسلم القُشيريّ النَّيسابوريّ، ثقةٌ إمامٌ حافظٌ مصنِّفٌ عالِمٌ بالفقه، مات سنة (٢٦١)، وله سبع وخمسون سنة. «تقريب»، ت (٦٦٢٣).

(٤) أخرجه مالك في «الموطَّأ» (١٦١٦ الأعظمي)، والبخاريُّ (٢٧٨٧)، ومسلمٌ (١٨٧٨).

وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ[(١)] بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يُرجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[(٢)].

وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ في سَبيل اللهِ، فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، فَأُقْتَلُ»[(٣)].

وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُكْلَمُ عَبْدٌ في سَبيل اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبيل الله - إِلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا؛ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»[(٤)]. ورواه مسلمٌ بلفظِ: «تَضَمَّنَ»[(٥)].

وعن أنس[(٦)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». أخرجه البخاريُّ، بابُ: الغدوة والرَّوحة في سبيل الله، ومسلم في الإمارة، باب: فضل الغدوة والرَّوحة في سبيل الله[(٧)].

وأخرج البخاريُّ في فضل الجهاد عن أبي هريرة[(٨)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ! قَالَ: «لا أَجِدُهُ»، قَالَ:

(١) «تَصْدِيق كَلِمَاتِه»: أي: مُصدِّقًا بما وعد الله تعالىٰ في كتابه مِن أجر علىٰ الجِهادِ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٤٥٧)، ومسلمٌ (١٨٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٧٦).

(٥) برقم (١٨٧٦)، والكَلْم: هو الجرح. ويثعبُ: أي: يسيلُ.

(٦) أنس بن مالك بن النَّضر، الأنصاريّ الخزرجيّ، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، مشهور، مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المئة. «تقريب»، ترجمة (٥٦٥).

(٧) أخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٨) أبو هريرة الدّوسي، الصَّحابيّ الجليل، حافظُ الصَّحابة، اختُلف في اسمِه واسم أبيه علىٰ أقوال، توفي سنة سبع أو ثمان، أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنةً. «تقريب»، ترجمة (٨٤٢٦).

«هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ ». قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: إِنَّ فَرَسَ المجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ(١)»(٢).

وأخرجه مسلم من طريق سُهيل بن أبي صالح(٣) عن أبيه عن أبي هريرة قال: قيل: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ!»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ!»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ**»(٤).

وعن أنس بن مالك مرفوعًا: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الكَرَامَةِ**»(٥).

وأخرج البخاري في الجمعة، وفي الجهاد، باب: مَن اغبرَّت قدماه في سبيل الله، عن عَبَايَة بن رفاعة(٦) قال: أَدْرَكَنِي أَبُو عَبْس(٧) وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، قَالَ:

---

(١) **«ليستنَّ»**: أي: ليمرح بنشاط، من الاستنان وهو العَدْو. **«طوله»**: حبله الَّذي يُشدُّ به من طرف ويمسك طرفه الآخر، ثُمَّ يُرسل في المرعىٰ. **«فيكتب له حسنات»** أي: يكتب مرحه ورعيه حسنات لصاحبه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٥).

(٣) سهيل بن أبي صالح، ذكوان السَّمَّان، أبو يزيد المدنيّ، صدوق تغيَّر حفظه بأخرة، روىٰ له البخاريُّ مقرونًا وتعليقًا، من السَّادسة، مات في خلافة المنصور. «تقريب»، ترجمة (٢٦٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٧٨). (٥) أخرجه البخاري (٢٨١٧).

(٦) عَبَاية - بفتح أوَّله والموحَّدة الخفيفة، بعد الألف ياء خفيفة - بن رفاعة بن رافع بن خديج الأنصاري الزُّرقي، أبو رفاعة المدنيّ، ثقةٌ من الثَّالثة. «تقريب»، ترجمة (٣١٩٦).

(٧) أبو عبس بن جبر بن زيد بن جشم الأنصاريّ، اسمُه: عبد الرَّحمن، وقيل: عبدُ الله، وقيل: معبد، =

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»[(١)].

وأخرج مسلمٌ في الإمارة باب: فضل الرِّباط في سبيل الله، عن سَلمان الخير[(٢)]، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[(٣)].

قال البَغويُّ[(٤)] رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السُّنَّة»: «قال القتبيّ: المرابطة: أن يربط هؤلاء خيولهم، ويربط هؤلاء خيولهم في ثَغْر، كُلٌّ مُعِدٌّ لصاحبه»[(٥)].

وأخرج البخاريُّ عن سهل بن سعد[(٦)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[(٧)].

= صحابيٌّ، شهد بدرًا وما بعدها، ومات سنة (٣٤). اهـ. «تقريب»، ت (٨٢٢٦).

(١) أخرجه البخاريّ (٩٠٧)، و«اغْبَرَّتْ»: أصابها الغُبار. «سبيل الله»: طاعة الله تعالىٰ، ومنها حضور صلاة الجمعة.

(٢) سلمان الفارسيّ، أبو عبد الله، ويقال: أصله مِن أصبهان، ويقال: من رامهرمز، أوَّل مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ ثلاث مئة سنة. «تقريب»، ترجمة (٢٤٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٤) البغويُّ: هو أبو محمَّد الحسين بن مسعود الفرَّاء البغويّ، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته إلَّا أنَّهم أرخوا وفاته (٥١٦)، وقد بلغ الثَّمانين أو جاوزها.

(٥) «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٣٥٣).

(٦) سهل بن سعد السَّاعديُّ، أبو العبَّاس، صحابيٌّ، عنه ابنه عبَّاس والزُّهريُّ وأبو حازم، عمِّر، ومات سنة (٨٨هـ)، أو سنة (٩١)، وهو آخر من مات بالمدينة من الصَّحابة.

(٧) أخرجه البخاري (٢٨٩٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ مَثَلَ المجَاهِدِ في سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يجَاهِدُ في سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ القَائِمِ الصَّائِمِ الخَاشِعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ»(١).

وروى ابن المبارك(٢) في «الزّهد»، عن حميد الطَّويل(٣)، عن أنس بن مالكٍ قال: «غَدْوَةٌ في سَبيل الله أَوْ رَوْحَةٌ خيرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ - أو قال: قِيد أَحدِكُمْ - في الجَنَّةِ خيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ الأَرْض لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلمَلأَتِ الأَرْضَ طِيبًا، وَلنَصيفُهَا خيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٤).

النَّصيفُ: هو الخِمار، **والقاب والقيد**: المراد به القدر؛ أي: قدر القوس، وهو قدر طُوله في الجنَّة خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها؛ ذلك لأنَّ الجنَّة باقيةٌ والدُّنيا

---

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «الكبرىٰ» (٦/ ١٨)، (٣١٢٧)، وعبد الله بن المبارك في «الجهاد» (ص ٣٣) حديث رقم (١١)، تحقيق الدكتور: نزيه حمّاد، وقال في التعليق: «أخرجه النسائي من طريقه»، قلتُ: «وسنده صحيح».

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم المروزي، شيخ خراسان، عن سُليمان وعاصم الأحول والرَّبيع بن أنس، وعنه ابن مهدي، وابن معين، وابن عرفة، كان أبوه تُركيًّا مولىٰ تاجرًا، وكانت أمُّه خوارزميَّة، ولد (١١٨)، وتوفي سنة (١٨١) في رمضان. «الكاشف». ترجمة (٢٩٧٨).

(٣) **حميد الطَّويل**: هو حميد بن تير الطَّويل، أبو عُبيدة البصري، مولىٰ طلحة الطَّلحات الخزاعي، ويقال: الدَّارمي، عن أنس والحسن، وعنه شُعبة والقطَّان، وكان طولُه في يديه، مات وهو قائم يصلِّي سنة (١٤٢هـ)، وثَّقوه، يُدلِّس. «كاشف»، ترجمة (١٢٥٧).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٢٦٤٣)، بلفظ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، وابن المبارك في «الزُّهد» (ص ٧٣).

فانيةٌ، والباقي خيرٌ مِن الفَاني، وإذا كانَتْ الغدوة يغدوها العبدُ في سبيل الله من أوّل النّهار إلىٰ مُنتصفه خيرٌ من الدُّنيا وما فيها مِن قُصور وزُروع وأنهار وثمار وذهب وفضَّة ونساء وكلّ ما يتبع ذلك من متاع - لا يساوي الغدوة في سبيل الله يغدوها المجاهد، أو الرّوحة يروحها من بعد الزّوال إلىٰ غروب الشَّمس لا تساويها الدُّنيا بأسرها وجميع ما فيها من ممالك وسُلطان وجميع أصناف المتاع - فإنَّ ذلك يدلُّ علىٰ عِظَم فضْل الجهادِ ورِفعة شأنه وكثرةِ ثوابِه، فاللهُ المستعان.

وروىٰ التّرمذيُّ عن فضالة بن عُبيد[1]، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْمَىٰ لَهُ عَمَلُهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ»، وسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «المجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»، وقال: قال أبو عيسىٰ: وفي الباب عن عقبة بن عامر[2]، وجابر[3]، وحديث فضالة بن عُبيد حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[4].

وفي التّرمذي عن خريم بن فاتك[5] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً

(١) فضالة بن عُبيد، شهد أحدًا، وولي قضاء دمشق، عنه أبو علي الجنبي، وحنش الصَّنعاني، ومحمَّد بن كعب، مات سنة (١٥٣). اهـ. «كاشف»، ترجمة (٤٥٢٧).

(٢) عقبة بن عامر الجهنيّ، صحابيٌّ كبيرٌ، أمير شريف، فصيح، مقرئ، فَرَضي، شاعر، وَلِيَ غزوَ البحر، روىٰ عنه علي بن رباح، وأبو عشانة، وخلق. مات بمصر سنة (٥٨). اهـ. «كاشف»، ت (٣٨٩٦).

(٣) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، قال في «الكاشف»: جابر بن عبد الله السّلميّ، عقبي، روىٰ عنه بنوه محمَّد وعبد الرَّحمن، وعقيل، وابن المنكدر، وأبو الزُّبير، وخلق، مات سنة (٧٨هـ). ت (٧٤١).

(٤) أخرجه التّرمذيُّ (١٦٢١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سُنن التِّرمذيّ» (١٦٢١).

(٥) خريم بن فاتك، أبو يحيىٰ، صحابي، عنه ابنه أيمن، والمعرور بن سويد، وعدَّة، قال البخاريُّ: بدريٌّ، فالله أعلم، توفي زمن معاوية وقد روىٰ له عشرة أحاديث. اهـ. «كاشف»، ت (١٣٩٣هـ).

فِي سَبِيلِ اللهِ؛ كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ»[١].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ[٢]، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»[٣].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن زيد بن خالد الجهنيِّ رضي الله عنه[٤] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا»[٥].

وأخرج ابن المبارك في كتاب «الجهاد» مِن طريق الأوزاعي[٦]، قال: «حدَّثني يحيىٰ بنُ أبي كثير[٧] قال: حدَّثني هلال بن أبي ميمونة[٨]، أنَّ عطاء بن

(١) أخرجه الترمذي (١٦٢٥)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ»، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤٦٤٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٢٥).

(٢) قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٥/ ٢١٥ الكُتب العلميَّة): «هذا من باب التَّعليق بالمحال؛ كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٥/ ٢١٥): «وأخرجه النَّسائيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ، إلَّا أنَّهم قالُوا: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا»، وقال الحاكمُ: «صحيح الإسناد»».
قلتُ: «فيه المسعوديُّ وقد اختلَط؛ فإن كان ابنُ المبارك سمع منه قبل الاختلاط فالحديث صحيحٌ، إلَّا أنَّ له شواهدَ ترفعُه إلىٰ الصَّحيح؛ لذلك فقد صحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سُنن التِّرمذي» (٢٣١١) وفي غيره.

(٤) زيد بن خالد الجهنيّ صحابيّ، عنه أبو سلمة وعطاء بن يسار، توفي سنة (٧٨)، وله ٨٥سنة. اهـ «كاشف»، ت (١٧٥١).

(٥) أخرجه البخاريُّ (٢٨٤٣)، وأخرجه مسلمٌ (١٨٩٥).

(٦) الأوزاعيُّ: عبد الرَّحمن بن عمرو الأوزاعيّ، أبو عمرو الفقيه، ثقةٌ جليلٌ من السَّابعة، مات سنة (١٥٧). «التقريب»، «كاشف»، ترجمة (٣٣٢١).

(٧) يحيىٰ بن أبي كثير: الإمام أبو النَّصر اليماني الطَّائي مولاهم، أحد الأعلام، عن جابر وأنس مرسلًا وأبي سلمة، وعنه هشام الدّستوائي وهمام، كان من العبَّاد العُلماء الأثبات، مات سنة (١٢٩). اهـ «كاشف»، ت (٦٣٤٧).

(٨) هلال بن أبي ميمونة: هو هلال بن عليّ، عن أنس، وعطاء بن يسار، وعنه مالك وفليح، وهو هلال بن =

يسار[١] حدَّثه أنَّ عبد الله بن سلام حدَّثه، أو قال: حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرَّحمن[٢]، عن عبد الله بن سلام، قال: تَذَاكَرْنَا بَيْنَنَا، فَقُلْنَا: أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فيسألُهُ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحبُّ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ يَقُولَ مِنَّا أَحَدٌ. قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّىٰ جمعَنَا، فَجعَلَ يُشِيرُ بَعْضُنَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَقَرأَ عَلَيْنَا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ١، ٢]، مِنْ أَوَّلِها إِلَىٰ آخِرِهَا، فتَلَاها عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام مِنْ أَوَّلِها إِلَىٰ آخِرِهَا، قَالَ هِلَالٌ: فتَلَاهَا عَلَيْنَا عَطَاءُ بنُ يَسَار مِنْ أَوَّلِهَا إِلىٰ آخِرِهَا، قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: فتَلَاهَا عَلَيْنَا يَحْيَىٰ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا»[٣].

وأخرجه برقم (٢) من طريق سُفيان، عن محمَّد بن جُحادة[٤]، عن أبي صالح[٥] مُرسلًا، وفيه: «... فنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصَّف: ١٠، ١١]،

=

أسامة، نسب إلىٰ جدِّه، وفي التَّعليق علىٰ «الكاشف» قال أبو حاتم: شيخ، يكتب حديثه. وقال النَّسائيُّ: ليس به بأس. «كاشف»، ت (٦١٠٩).

(١) عطاء بن يسار الهلالي القاضي، مولىٰ ميمونة، عن مولاته وأبي ذرّ وزيد بن ثابت وغيرهم، وعنه زيد بن أسلم وشريك بن أبي نمر وخلق، كان مِن كبار التَّابعين وعُلمائهم، مات سنة (١٠٣). اهـ «كاشف»، ت (٣٨٦٥).

(٢) أبو سلمة بن عبد الرَّحمن، أحد الأئمَّة، عن أبيه وعائشة وأبي هُريرة، وعنه ابنه عمرو الزّهيري ومحمد بن عمرو بن علقمة، في موته أقوال: قيل: (٩٤)، وقيل: (١٠٤). اهـ «كاشف»، ت (١٩٦).

(٣) أخرجه ابن المُبارك في «الجهاد» (ص ٢٧) حديث رقم (١).

(٤) محمَّد بن جُحادة الكوفيُّ، عن أنس وطائفة، وعنه شُعبةُ وعبدُ الوارث، ثقةٌ صالحٌ، مات سنة (١٣٠).

(٥) أبو صالح، ذكوان السَّمَّان الزَّيَّات، ثقةٌ ثبتٌ، كان يجلب الزَّيت إلىٰ الكُوفة، مِن الثَّالثة مات (١٠١).

فَكَرِهُوهَا فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْ خَيرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ: رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَىٰ مَتْنِهِ(٢)، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً(٣) أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ أَوْ الموتَ مَظَانَّهُ(٤)، وَرَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأْسِ شَعفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَافِ(٥)، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الأَوْدِيَةِ - يُقِيمُ الصَّلاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَأْتِيهِ اليَقِينُ، لَيسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيرٍ» أخرجه مسلم(٦).

وهذه الأحاديثُ تفيدُ أنَّ الجهادَ أفضلُ الأعمال علىٰ الإطلاق، وممَّا يدلُّ عليه أيضًا: ما رواه التِّرمذيُّ عن أبي هريرة قال: «مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّىٰ أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ(٧) وَجَبَتْ لَهُ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (ص ٢٨) حديث رقم (٢).

(٢) المتن: الظَّهر.

(٣) الهيعة: الصَّوت الَّذي يُفزع منه ويخاف عند حضور العدوّ.

(٤) المظان: جمع مظنّة، وهي موضع الشَّيء ومعدنه.

(٥) الشَّعفة: أعلىٰ الجبل.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٨٩).

(٧) قال العظيم آبادي في «عون المعبود» (٧/ ١٥٤): «فواق ناقة» بالفتح والضَّمّ: ما بين الحَلْبتين، يعني: قدر مدتي الضَّرع من الوقت؛ لأنها تُحلب، ثمَّ تترك سُويعة يرضعها الفصيل لتدرّ، ثمَّ تُحلب ثانية».

الجَنَّةُ»»[(١)]. «والغَدْوَةُ في سَبيل الله أَوْ الرَّوْحَةُ خَيرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٢)] أو قال: «خَيرٌ ممَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ»[(٣)].

إلَّا أنَّه يُشكلُ عليه ما رواه البخاريُّ في العيدَين عن ابن عبَّاس[(٤)] مرفوعًا في فضل عشر ذي الحجَّة ولفظُه: «مَا العَمَلُ فِي أَيَّام أَفْضَلَ مِنْهُ فِي هَذِهِ؟ » - يعني: أيام العشر -. قَالُوا: وَلَا الجِهادُ؟ قَالَ: «وَلَا الجهادُ، إلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيءٍ»[(٥)].

وجمَع بينهما ابنُ حجر[(٦)] في «الفتح» فقال: «فيحتملُ أنْ يكون عُموم حديث الباب خُصَّ بما دلَّ عليه حديثُ ابن عبَّاس، ويحتمل أن يكون الفضل الذي في حديث الباب مخصوصًا بمَن خرج قاصدًا المخاطرة بنفسه وماله،

(١) أخرجه الترِّمذيُّ رقم (١٦٥٠) وقال: «هذا إسنادٌ حسنٌ»، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٠١).

(٢) أخرجه البخاريُّ رقم (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاريُّ (١٨٨٣) من حديث أبي أيُّوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلِّب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسولُ الله ﷺ بالفهم في القُرآن، وكان يُسمَّىٰ البحر والحبر؛ لِسِعة علمه، وقال عُمرُ: لو أدرك ابن عبَّاس أسناننا ما عشَره منَّا أحدٌ، مات سنة ثمانٍ وستِّين بالطَّائف، وهو أحدُ المكثرين مِن الصَّحابة، وأحدُ العبادلةِ. مِن فُقهاء الصَّحابة. انتهىٰ. «تقريب» ترجمة (٣٤٠٩).

(٥) أخرجه البخاري (٩٦٩).

(٦) الحافظ ابن حجر: هو حافظ عصره؛ شهاب الدِّين، أبو الفضل، أحمد بن عليِّ بن محمَّد بن محمَّد، الشَّهير بابن حجر الكناني العسقلاني، ولد في ١٢شعبان سنة (٧٧٣)، برع في علوم الحديث، وألَّف فيه مؤلَّفات كثيرة، منها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» الَّذي لم يُؤلَّفْ مثلُه، و«الإصابة في أسماء الصَّحابة»، و«تهذيب التَّهذيب»، و«تقريب التهذيب»، وغير ذلك، توفي (٨٥٢)، ترجمه في «الشَّذرات» (٧/ ٢٧٠).

فأصيب كما في بقيَّة حديث ابن عبَّاس: «**خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**»؛ فمفهومه: أنَّ من رجع بذلك لا ينال الفضيلة المذكورة،... وأشدُّ مما تقدَّم في الإشكال ما أخرجه التِّرمذيُّ، وابنُ ماجه[(١)]، وأحمدُ[(٢)]، وصحَّحه الحاكمُ مرفوعًا: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**». قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «**ذِكْرُ اللهِ**»[(٣)]؛ فإنَّه ظاهرٌ في أنَّ الذِّكر بمجرَّده أفضلُ مِن أبلغ ما يقع للمُجاهد، وأفضل مِن الإنفاق مع ما في الجهاد والنَّفقة من النَّفع المُتعدِّي...

قال ابنُ دقيق العيد[(٤)]: القياسُ يقتضي أنْ يكون الجهادُ أفضلَ الأعمال الَّتي هي وسائل؛ لأنَّ الجهادَ وسيلةٌ إلىٰ إعلان الدِّين ونَشْره، وإخماد الكُفر

---

(١) ابن ماجه: محمَّد بن يزيد الرَّبعي - بفتح الراء والموحَّدة - القزويني، أبو عبد الله بن ماجه - بتخفيف الجيم -، صاحب السُّنن، أحد الأئمَّة، حافظ، صنَّف السُّنن والتَّفسير والتَّاريخ، ومات سنة ثلاث وسبعين ومئتين، وله أربع وستُّون سنةً. انتهىٰ. «تقريب»، ترجمة (٦٤٠٩).

(٢) أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني المروزي، نزيل بغداد أحد الأئمَّة، ثقة حافظ فقيه حجة، وهو رأس الطَّبقة العاشرة، مات سنة مئتين وواحد وأربعين، وله سبع وسبعون سنةً. انتهىٰ. «تقريب»، ترجمة (٩٦). **قلتُ**: وهو إمام أهل السُّنَّة بحقٍّ لموقفه في بدعة القول بخلق القُرآن.

(٣) أخرجه الترمذيُّ (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ١٩٥) (٢١٧٥٠ قرطبة)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٣)، (١٨٢٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٧٧).

(٤) ابن دقيق العيد: الإمام الفقيه المجتهد المحدِّث الحافظ العلَّامة، شيخ الإسلام تقي الدِّين، أبو الفتح محمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المنفلوطي، الصَّعيدي، المالكي والشَّافعي، صاحب التَّصانيف. وُلِدَ في شعبان سنة خمس وعشرين وست مئة بقُرب ينبع من الحجاز. وتوفي سنة اثنتين وسبعمائة ترجمه في «تذكرة الحفَّاظ» (٤/ ١٨١، ١٨٢).

وحضه؛ ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم». انتهى[1].

وبالجملة؛ فالأحاديثُ في فضلِ الجهادِ في سبيل الله كثيرةٌ، ودلَّتْ على فضائلَ عظيمةٍ:

١ - منها: أنَّ النَّفقة في سبيل الله مُضاعفة، وأدنى التَّضعيف في الجهاد بسبع مئة إلى ما لا يعلمُه إلَّا الله من التَّضعيف.

٢ - ومنها: أنَّ المجاهد كالصَّائم الَّذي لا يفطر، والقائم الَّذي لا يَفتر.

٣ - ومنها: أنَّ رباط يوم وليلةٍ كصيام شهر وقيامه.

٤ - ومنها: أنَّ الشَّهيد يأمن الفتَّان؛ أي: سؤال مُنكر ونكير.

٥ - ومنها: أنَّ مَن جُرِحَ جرحًا في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يثعبُ دمًا؛ اللَّون لونُ الدَّم، والرِّيحُ ريحُ المسك.

٦ - ومنها: أنَّ المجاهدَ يُنمَّىٰ له عمله إلى يوم القيامة إذا مات على ذلك.

٧ - ومنها: أنَّ للمجاهدين عند الله درجاتٍ في الجنَّة لا يَصِلُها غيرُهم، وهي مئةُ درجةٍ، بين كلِّ درجتَين كما بين السَّماء والأرض، وكلّ واحدٍ يأخذ درجته في الجنّة على قَدْر عمله وجهاده.

٨ - ومنها: أنَّ الشَّهيدَ يشفع في سبعين مِن أهل بيته.

٩ - ومنها: أنَّ الشُّهداءَ أحياء عند ربّهم يُرزقون، أرواحهم في حواصل طير خُضر تَسْرح في الجنَّة، وتأوي إلى قناديل معلَّقة بالعرش.

١٠ - ومنها: أنَّهم يَأمنون من الفزع يوم القيامة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥ دار المعرفة).

فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ فقد قيل: إنَّ الَّذين استثناهم الله هم الشُّهداء.

ومنها ومنها، إلىٰ آخره...

وأمَّا فوائدُه فهي كثيرةٌ أيضًا:

١ - منها: عِزَّة الإسلام وأهله، وفي الحديث: «مَا أَخَذَ قَوْمٌ الجِهَادَ إِلَّا عَزُّوا، وَلا تَرَكَهُ قَوْمٌ إِلَّا ذَلُّوا»(١).

وقد أخذه بعضهم فقالَ:

وَالــــذُّلُّ لازمٌ لتَارِكِيــــهِ   والعــزُّ معقُــودٌ علــىٰ أَهْلِيــهِ

٢ - ومنها: إغناءُ المؤمنين بما يمنحهم الله مِن الغنائم، وفي الحديث الشريف: «بُعِثْتُ بَينَ يَدَي السَّاعَةِ بالسَّيْفِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، لا يُشْرَك بِهِ شَيءٌ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(٢).

٣ - ومنها - وهو أهمُّها -: نشرُ الإسلام، وفي الحديث الصَّحيح: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»(٣). يعني: أنَّهم يؤسرون كفَّارًا، فيدخلون في الإسلام بسبب الأسر، ثُمَّ يدخلون الجنَّة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٤٨) (٣٨٣٩)، عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكَ قَومٌ الجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بالعَذَابِ»، وحسَّنه في «التَّرغيب والتَّرهيب» (١٣٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مُسنده» (٢/ ٥٠) (٥١١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنَّفه» (٤/ ٢١٢) (١٩٤٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٨٣١).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٠١٠) من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

٤ - ومنها: إعلاءُ كلمة الله، وإظهارُ دينه على سائر الأديان والعقائد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٥ - ومنها: إظهارُ المنافقين الَّذين يَندسون في صفوف المؤمنين في السَّرَّاء، ويستغلُّون الحوادث لزعزعة صفوف المؤمنين، فيبيّن الله عَزَّوَجَلَّ حالهم ويفضحهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧].

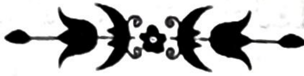
٦ - ومنها: إظهارُ إيمان المؤمنين وصبرهم وثباتهم وإيمانهم بوعد الله لأوليائه بإحدى الحُسنيَين كما في الآيات السَّابقة، وليعلم المؤمنين، وكما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٧ - ومنها: ابتلاءُ المؤمنين، وتمحيصُهم، وتكفيرُ ذنوبهم بما يحصلُ لهم مِن الابتلاءات؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٨ - ومنها: اتِّخاذُ الشُّهداء؛ لكي ينالَ الشَّهادة مَن يعلمُ اللهُ مِن قلبه أنَّه يحبُّها ويحرِصُ عليها؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

٩ - ومنها: إذلالُ الكافرين وإخزاؤُهم، وتعذيبُهم بأيدي المؤمنين.

١٠ - ومنها: شفاءُ صُدور المؤمنين بما يعطيهم اللهُ مِن النَّصر على الكافرين، فيأخذون ثأرهم منهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].



فصلٌ في حُكم الجهاد
هل هو فرضُ عينٍ أو فرضُ كفايةٍ؟

قد دلَّت الأدلةُ مِن الكتاب والسُّنَّة علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين، إلَّا في حالاتٍ مخصوصةٍ ذكَرها الفُقهاءُ سنأتي عليها في بحثِنا هذا - إن شاء الله -.

والأدلَّة علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ قسمان:

أ - أدلَّة قرآنيَّة.

ب - أدلَّة حديثيَّة نبويَّة.

وسأبدأ بالأدلَّة القرآنيَّة؛ لما للقُرآن مِن حَقِّ التَّقديم؛ ولأنَّه هو الأصل، والسُّنَّة تأتي مُفسِّرة ومُبيِّنة له؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحل: ٤٤].

الأدلَّة مِن القُرآن على أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية:

الدَّليل الأوَّل:

اعلمْ أنَّه قد جاءتْ في القُرآن ثلاثُ آياتٍ تدلُّ علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ:

الأولىٰ: قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ٩٥، ٩٦].

وقد أخرج البخاريُّ عن البراء بن عازب[١] رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسولُ اللهِ ﷺ زيدًا فكتبها، فجاءَ ابنُ أُمِّ مكتوم[٢]، فشكا ضرارتَه؛ فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾»[٣].

وأخرج أيضًا من طريق ابن شِهاب[٤]، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «رأيتُ مَروانَ بنَ الحكَمِ[٥] جالسًا في المسْجِدِ، فأقبلْتُ حتَّىٰ جلَسْتُ إلىٰ جَنْبِهِ، فأخبرَنا أنَّ زيدَ بنَ ثابتٍ[٦] أخبرَهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أملَىٰ عليهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال: فجاءَهُ ابنُ أُمِّ مكتوم وهو يُملُّها عليَّ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، لو أستطيعُ الجِهادَ لجاهدْتُ، وكانَ أعمَىٰ - فأنزلَ اللهُ

---

(١) البراء بن عازب: أبو عمارة، عنه عديّ بن ثابت وأبو إسحاق وخَلْق، شهد أُحدًا، مات بعد السَّبعين. انتهىٰ. «كاشف»، ترجمة (٥٥٣).

(٢) هو عبد الله بن أمّ مكتوم، الأعمىٰ الَّذي عاتب اللهُ فيه نبيَّه في سورة (عبس)، وفي «التقريب»: عمرو بن زائدة، أو ابن قيس، ويقال: ابن زيادة القرشي العامري، ابن أمّ مكتوم الأعمىٰ، الصَّحابي المشهور، قديم الإسلام، ويقال اسمُه: عبد الله، ويقال: الحصن. كان النَّبيُّ ﷺ يستخلفه علىٰ المدينة. انتهىٰ. «التَّقريب»، ترجمة (٥٠٣١).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٤٥٩٣).

(٤) محمَّد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهري، الفقيه الحافظ، متَّفق علىٰ جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطَّبقة الرَّابعة، مات سنة مئة وخمس وعشرين، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. انتهىٰ. «التقريب»، ت (٦٢٩٦)، «الكاشف» (٥٢٣٨).

(٥) مروان بن الحكم: وُلد سنة اثنتين، ولم يصحَّ له سماع، وله عن عُثمان وبُسرة، وعنه عُروةُ ومجاهد وعليّ بن الحسين، دولته تسعة أشهر، مات في رمضان، سنةَ خمسٍ وأربعين (٤٥)، كذا في «الكاشف» والصَّواب: (٦٥). اهـ. «كاشف» (٥٤٦٠)، «تقريب» رقم (٦٥٦٧).

(٦) زيد بن ثابت: ابن الضَّحَّاك بن زيد بن لوذان النَّجاري، كاتب الوحي، وقدوة الفَرَضيِّين، عنه ابناه وابن المسيّب وعُروة، توفِّي سنة (٤٥)، وقيل: سنة (٤٨). انتهىٰ، «كاشف»، رقم (١٧٤٢).

- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُه عَلَىٰ فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّىٰ خِفتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي[(١)]، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾»[(٢)].

وأخرج من طريق مقسم[(٣)]، عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخبرَه: «لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ عَنْ بَدْر، وَالخَارجُونَ إِلَىٰ بَدْرٍ»[(٤)].

قال الحافظُ في «الفتح»: «حاصلُ تفسير ابن جريج[(٥)]: أنَّ المفضّل عليه غير أولي الضّرر، أمَّا أولو الضَّرر فملحقون في الفضل بأهل الجهاد إذا صدقتْ نيَّاتهم، كما تقدَّم في المغازي من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ بِالمدِينَةِ لأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[(٦)]»[(٧)].

وفي تفسير ابن كثير: «قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: الجنَّة والجزاء الجزيل، وفيه دلالة علىٰ أنَّ الجهادَ ليس بفرضِ عينٍ، بل هو فرضُ كفايةٍ»[(٨)].

وقال القرطبيُّ[(٩)] في تفسير الآية: «قولُه تعالىٰ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾: قراءةُ أهل

---

(١) أي: تُدقّ فخذي.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٨٣٢).

(٣) مقسم بن بجرة، أو ابن نجدة، عن ابن عبَّاس وعائشة، وعنه الحكم وخصيف وعبد الكريم الحزريان، توفي سنة (١٠١). انتهىٰ، «كاشف» رقم (٥٧١٨).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٩٥٤).

(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، وأبو خالد، القرشيُّ مولاهم، المكيُّ، الفقيهُ، أحدُ الأعلام، عن مجاهد وعطاء وابن أبي مُليكة، وعنه القطَّان، وروح، وحجّاج. انتهىٰ. «كاشف» رقم (٣٥٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٢٣).

(٧) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٦٢).

(٨) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٨).

(٩) هو أبو عبد الله، محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، صاحب كتاب =

الكوفة وأبي عمرو[1] بالرفع، قال الأخفش[2]: هو نعت للقاعدين؛ لأنَّهم لم يُقصَد بهم قومٌ بأعيانهم، فصاروا كالنَّكرة، فجاز وصفهم بـ «غير»، والمعنىٰ: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، أَيْ: لا يستوي القاعدون الَّذين هم غيرُ أولي الضَّرر، والمعنىٰ لا يستوي القاعدون الأصحَّاء قاله الزَّجَّاجُ، وقرأ أبو حيوة[3]: «غيرِ أولي الضَّرر»؛ أي: بالجرِّ. جَعَلَهُ نَعْتًا لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ مِنَ المؤمنين الأصحَّاء.

وقرأ أهلُ الحرمَين «غيرَ» بالنصب علىٰ الاستثناء من «القاعدين» أو مِن «المؤمنين»؛ أي: إلَّا أولي الضَّرر، فإنَّهم يستوون مع المجاهدين، - وذكَر وجهًا علىٰ الحال -، ثُمَّ قال: وما ذكرْناه مِن سبب النُّزول يدلُّ علىٰ معنىٰ النصب، واللهُ أعلمُ. انتهىٰ»[4].

= «التَّذكرة بأمور الآخرة»، وكتاب «التَّفسير الجامع لأحكام القرآن»، الحاكي مذاهب السلف، توفِّي بمنية خصيب في مصر سنة (٦٧١). انتهىٰ. «شذرات» (ج ٥، ص ٣٣٥).

(١) أبو عمرو بن العلاء بن العمار بن العريان المازني، النَّحوي، القارئ، اسمه: زبان، أو العريان، أو يحيىٰ أو جزء - بفتح الجيم، ثمَّ زاي، ثمَّ همزة - والأوَّلُ أشهرُ، والثَّاني: أصحُّ عند الصّولي، ثقةٌ مِن علماء العربيَّة، من الخامسة، مات سنة (١٥٤)، وهو ابنُ (٨٦) سنة. انتهىٰ، «تقريب».

(٢) الأخفش: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، المعروف بالأخفش الأوسط (أبو الحسن)؛ نحويٌّ، لغويٌّ، عروضيٌّ، توفِّي سنةَ (٢١٥هـ). أخذ عن سيبويه، والخليل بن أحمد. مِن تصانيفه: كتاب الأوسط في النَّحو، معاني القرآن، الاشتقاق، العروض، والمقاييس في النحو. انتهىٰ من «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٤/ ٢٣١).

(٣) أبو حيوة: شريحُ بن يزيد الحضرمي المؤذِّن، زاد في «التَّهذيب»: «المقرئ»، ثقة، وفي «التَّهذيب»: «ذكَره ابنُ حبَّان في الثِّقات»، مات سنة (٢٠٣). انتهىٰ. «تقريب» ترجمة (٢٧٨٠)، «التَّهذيب» (ج ٤، ص ٣٣١).

(٤) «تفسير القرطبيّ» (٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤ الكتب المصريَّة).

ونقل ذلك الشَّوكانيُّ[(١)] في «فتح القدير»، ثم قال: «قال العلماء: أهل الضَّرر: هم أهل الأعذار؛ لأنَّها أضرَّتْ بهم حتَّىٰ منعتهم الجهادَ.

وظاهر النَّظم القرآني أنَّ صاحب العذر يُعطىٰ مثلَ أجْر المجاهدِ، وقيلَ: يُعطَىٰ أجرَه مِن غير تضعيفٍ، فيفْضُلُه المجاهدُ بالتَّضعيف لأجل المُباشرة.

قال القُرطبيُّ: والأوَّلُ أصحُّ - إن شاء الله - ». ثم استدلَّ عليه بالحديث المتقدِّم: «إِنَّ بِالمدِينَةِ لَأَقْوَامًا...». ونقله الشَّوكانيُّ ولم يتعقَّبْه، وكأنَّه أقرَّه[(٢)].

قلتُ: والَّذي يَظهرُ لي قوَّة القول الثَّاني الَّذي ساقه القُرطبيُّ مساق التَّضعيف حيث عبَّر عنه بقوله: «وقيل: يعطىٰ أجره من غير تضعيفٍ فيفضله المجاهد بالتَّضعيف».

وأقول: هذا القول هو اللَّائق بعدل الله الحكَم العدْل، فعدالةُ الحكَم العدْل لا تجعل مَنْ تجشَّم الأسفار، وركب الأهوال والأخطار، وتعرَّض للبرد والحرِّ في اللَّيل والنَّهار، وتعرَّض للقتل والجراحات تحت بارقة السُّيوف، ووقف من العدوِّ موقف الضِّدِّ، تارة خائف، وتارة مخوف، كمَن هو جالسٌ في بيته، مطمئنٌّ في داره مع أهله وأولادِه.

والقولُ بأنَّه يعطىٰ أجْر المجاهد بنيَّته وحِرصه ويفضله المجاهد بالتَّضعيف

---

(١) هو محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني، ثُمَّ الصَّنعاني، والشَّوكاني نسبة إلىٰ قرية في جبل يقال لها: هجرة شوكان، ولد سنة (١١٧٣) بمحلِّ سَلَفِه، وكان أبوه قد استوطن صنعاء، فنشأ المذكور بها، وطلب العلم علىٰ عُلمائها، وجدَّ في ذلك حتَّىٰ برَز، له: «نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار»، و«فتح القدير» في التَّفسير، و«البدر الطالع برجال القرن السابع»، و«الدُّرر البهيَّة» وشرحها «الدَّراري المضيَّة»، توفِّي سنة (١٢٥٠). انظُر ترجمته في: «البدر الطالع» (ج ٢، ص٢١٤).

(٢) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٧٥٩).

مِن أجل مُباشرةِ الجهادِ وخطَره، هذا هو القول الأعدل والأقرب إلىٰ أصول الشَّريعة، واللهُ لا يضيع أجر مَن أحسنَ عمَلًا.

والخُلاصةُ: أنَّ اللهَ فضَّل المجاهدين علىٰ القاعدين - لعذر الزَّمانة؛ كالعمىٰ، والكسح، والعرج، وعدم وُجود النَّفقة، مع النِّيَّة الصَّالحة، والحرص الأكيد علىٰ الجهاد لو استطاعوا - درجةً واحدةً، وفضل الله المجاهدين علىٰ القاعدين لغير عُذر درجات، وكلًّا وعد الله الحُسنىٰ مغفرةً منه وفضلًا ورحمةً، فالمغفرة للقاعدين من غير عُذر؛ لأنَّهم اقترفوا ما يُوجب المغفرة، والفضل للمجاهدين وهي الدَّرجات العالية، والرَّحمة للقاعدين بعذر حيثُ أعطاهم الله مثلَ أجر المجاهدين مِن غير تضعيف بسبب نيَّاتهم الصَّالحة.

وفي «**أيسر التَّفاسير**» **للجزائري**[١]: «ومعنىٰ الآية: أنَّ اللهَ تعالىٰ ينفي أنْ يستويَ في الأجر والمنزلة عنده تعالىٰ مَن يجاهدُ بماله ونفسِه، ومَن لا يُجاهدُ بخلًا بماله، وضنًّا بنفسِه، واستثنىٰ تعالىٰ أولي الأعذار مِن مَرضٍ ونحوه، فإنَّ لهم أجرَ المجاهدين وإنْ لم يُجاهدُوا؛ لحُسن نيَّاتِهم وعدم استطاعتهم؛ فلذا قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الَّتي هي الجنَّة.

وقوله: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾: أي فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علىٰ القاعدين لعُذر درجةً، وإن كان الجميع لهم الجنَّة وهي الحُسنىٰ.

---

(١) **أبو بكر الجزائري**، اسمه: جابر، وكنيته: أبو بكر، وقد غلبتْ عليه الكُنية، وهو معاصرٌ، له دروسٌ في المسجد النَّبويِّ، وهو مدرِّس في الجامعة الإسلاميَّة، وله مؤلَّفات كثيرةٌ، منها: «أيسر التَّفاسير» في أربعة مجلَّدات، وهو إلىٰ حين كتابةِ هذه التَّرجمة ما زال حيًّا، جزاه الله خيرًا، وختَم لنا وله بخيرٍ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾، لغير عُذر، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الدَّرجات العالية مع المغفرة والرَّحمة؛ وذلك لأنَّ الله تعالىٰ كان أزلًا وأبدًا غفورًا رحيمًا؛ ولذا غفَر لهم ورحمهم؛ اللَّهمَّ اغفرْ لنَا وارحمنا معهم». انتهىٰ[(١)].

والحاصلُ: أنَّ في تسوية الله تعالىٰ بين المجاهدين والقاعدين عمومًا في الحصول علىٰ الحُسنىٰ وهي المغفرة والرَّحمة ودخول الجنَّة - دليلًا واضحًا علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، لا فرض عين، كما نصَّ علىٰ ذلك ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأحمدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنَّه قد سبقني إلىٰ هذا الفهم عددٌ مِن العُلماء، منهم نادرةُ زمانه، وحافظُ عصره وأوانه، الشَّيخ: محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكني الشّنقيطي، المتوفَّىٰ سنة (١٣٩٣)[(٢)]، **حيثُ قال في كتابه «أضواء البيان»**: «تنبيه: يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين؛ لأنَّ القاعدين لو كانوا تاركين فرضًا لما ناسَب ذلك وعدَه لهم الصَّادق بالحُسنىٰ، وهي الجنَّة والثَّواب الجزيل». انتهىٰ[(٣)].

الدَّليل الثاني:

الآية الثَّانية: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي

---

(١) «أيسر التَّفاسير» لأبي بكر الجزائريّ (١/ ٥٢٨).

(٢) هو العالم الجليل والحافظ النَّابغة الشَّيخ: محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكنيّ الشّنقيطيّ، مؤلِّف كتاب «أضواء البيان في تفسير القُرآن بالقُرآن»، كان نادرةً في الحِفظ، يقالُ: إنَّه يحفظُ من الشِّعر أكثرَ مِن خمسة وعشرين ألفَ قصيدةٍ، وكتابه «أضواء البيان» يدلُّ علىٰ عظيم قدْره، وكثْرة محفوظاتِه، توفي في ضُحىٰ يوم الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ وكان مَولدُه: في عام (١٣٢٥هـ)، كما ذكَر ذلك تلميذُه الشَّيخُ عطيَّة محمَّد سالم في التَّرجمة الَّتي كتبها له في مقدّمة كتابه «أضواء البيان».

(٣) «أضواء البيان» (١/ ٢٤٨).

ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وجه الدّلالة مِن هذه الآيةِ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قسَّم النَّاس إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

١ - أصحاب أعذار، وهم المرضىٰ ومَن شابههم.

٢ - أصحاب الضَّرب في الأرض للبيع والشِّراء، أو الزِّراعة، أو الصِّناعة، أو الرّعي، أو غير ذلك مِن أوجه المكاسب.

٣ - المقاتلين في سبيل الله، وهم المجاهدون.

فسوَّىٰ بين صنفِ المجاهدين والضَّاربين في الأرض لابتغاء الرّزق، وفي هذا دلالة علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، لا فرض عَينٍ.

قال القُرطبيُّ: «الثَّامنة: سَوَّىٰ الله تعالىٰ في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنَّفقة علىٰ نفسِه وعياله والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلًا علىٰ أنَّ كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنَّه جمعه مع الجهاد في سبيل الله، وروىٰ إبراهيم[(١)]، عن علقمة[(٢)] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ جَالِبٍ يَجْلِبُ طَعَامًا مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ فَيَبِيعُهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ إِلَّا كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةَ الشُّهَدَاءِ**». ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»[(٣)].

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخعي، أبو عمران الفقيه الكوفي، ثقة، إلَّا أنَّه يُرسلُ كثيرًا، مِن الخامسة، مات سنةَ (٩٦هـ)، وهو ابن خمسين سنةً أو نحوها. اهـ. «تقريب»، ترجمة رقم (٢٧٠).

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النَّخعي الكوفي، ثقةٌ ثبتٌ فقيهٌ عابدٌ، من الثَّانية، مات بعد السِّتِّين، وقيل: بعد السَّبعين. اهـ. «تقريب» ترجمة رقم (٤٦٨١).

(٣) عزاه السُّيوطيُّ في «الدُّرِّ المنثور» (٨/ ٣٢٣) إلىٰ ابن مردويه، وقال العراقي في «تخريج أحاديث =

وقال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ جَلَبَ شَيْئًا إِلَىٰ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الْمُسْلِمِينَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، فَبَاعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ»...

وقال ابنُ عمر[1]: «مَا خَلَقَ اللهُ مَوْتَةً أَمُوتُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ بَيْنَ شُعْبَتَيْ رَحْلِي، أَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللهِ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ».

وقال طاوس[2]: «السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»[3][4].

ومن هذه الآثار تعلمُ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جعَل الضَّربَ في الأرض لطلب الرِّزق نظير الجهاد في سبيل الله بتنصيص هؤلاء الأخيار مِن الصَّحابة والتَّابعين، وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين، إذ لو كان الجهاد فرض عين - كما زعم ذلك مَن زعمه - لكان الواجب علىٰ التُّجَّار أن يتركُوا تجارتهم، والزُّراع أن يتركوا زراعتهم، والصُّناع أن يتركوا صناعتهم، ويتَّجهُوا جميعًا إلىٰ الجهاد.

=

الإحياء» (١/ ٤٢٢): «أخرجه ابن مردويه في «التفسير» من حديث ابن مسعود بسند ضعيف».

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطَّاب العدوي، أبو عبد الرَّحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنةً، وهو أحدُ المكثرين من الصَّحابة والعبادلة، ومات سنة (٧٣). اهـ تقريب، ت (٣٤٩٠).

(٢) طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرَّحمن الحميري، مولاهم الفارسي، يقالُ: اسمه ذكوان، وطاوس لقب، ثقة فقيه فاضل، من الثَّالثة، مات سنة (١٠٩)، وقيل: بعد ذلك. اهـ. «تقريب»، ت (٣٠٩).

(٣) هذا اللَّفظُ هو لفظُ حديث مرفوع؛ أخرجه البخاريُّ باللَّفظ المذكور هنا (٥٠٣٨)، وزاد: «أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلِ وَالصَّائِمِ النَّهَارِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تفسير القُرطبي (١٩/ ٥٥، ٥٦).

ولو حصل ذلك لترتَّب عليه من الإخلال بشؤون حياة الجماعة الإسلاميَّة ما يتنافى مع الشَّريعةِ الَّتي قام عليها ومِن أجلِها الجهادُ.

الدَّليلُ الثالث:

الآية الثَّالثة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوبة: ١٢٢].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا بيانٌ من الله تعالىٰ لما أراد مِن نفير الأحياء مع الرَّسول ﷺ في غزوة تبوك، فإنَّه قد ذهب طائفةٌ مِن السَّلفِ إلىٰ أنَّه كان يجبُ النَّفير علىٰ كلِّ مسلم إذا خرَج رسولُ الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التَّوبة: ١٢٠]. قال: فنسخ ذلك بهذه الآية»(١).

وقال الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «فتح القدير»: «وقد أخرج أبو داود في «ناسخه»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه(٢)، عن ابن عبَّاس قال: نسخ هؤلاء الآيات: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، و﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ﴾، بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾.

يقول: لتنفر طائفة وتمكث طائفة مع رسول الله ﷺ، فالماكثون مع رسول الله

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٥ - ٢٣٦).

(٢) هو الحافظ الثَّبت العلَّامة: أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه الأصفهاني، صاحب التَّفسير والتَّاريخ وغير ذلك، ولد سنة (٣٢٣)، وتوفي سنة (٤١٠). اهـ. «تذكرة الحفَّاظ» (٣/ ١٠٥٠).

ﷺ هم الَّذين يتفقهون في الدّين ويُنذِرون إخوانهم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرون ما نزَل مِن بعدهم مِن قضاءِ الله في كتابِه وحُدودِه»[١].

وقد اختلفَ المُفسِّرون في المعنيَين بقوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: هل هي الطَّائفةُ النَّافرة أو الفرقة القاعدة؟

واختلفُوا أيضًا: هل الآية تعني النَّفر في الجهادِ أو النَّفر في طلَب العلم؟ ومن تأمَّل الآية علم أنَّها شاملةٌ للأمرَين:

أمَّا أوَّلًا: فلأنَّ لفظَ الآيةِ عامٌّ يحتملُ أنْ يدخلَ فيه الجهادُ والفقهُ في الدِّين.

وأمَّا ثانيًا: فلأنَّ هذه الآية متوسّطة بين آيات الجهاد، فالآية قبلَها قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

والآية الَّتي بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

فموقعها في وسط آيات الجهاد يدلّ علىٰ أنَّ الجهادَ مِن مقاصدِها إنْ لم يكُن هو المقصد الوحيد.

وأمَّا ثالثًا: فلأنَّ هذه الآية لم يكن المقصود بها هم أصحابُ رسول الله ﷺ وحدهم، بل هي شاملةٌ لجميع الأمَّة إلىٰ يوم القيامة، سواء قُلنا بعود الضَّمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ علىٰ الطَّائفة النَّافرة، أو إلىٰ الفرقة القاعدة.

وأمَّا رابعًا: فلأنَّ اسمَ الجهاد يقعُ علىٰ الأمرَين اللَّذين هما طلبُ العلم

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ٦٠٤).

وتعليمُه وقِتال الكفَّار، وكلاهما مقصودٌ أصلًا لإعلاء الدِّين وتمكينه في الأرض وإظهاره ورفع شأنه.

وأمَّا خامسًا: فلأنَّ التَّفقُّه في الدِّين جُعل علَّةً للنّفر والإنذار إذا رجعُوا لمن وراءهم، مُتسبّبًا عن التَّفقُّه، واللهُ أعلم.



الأدلة من السُّنَّة على أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ

الدَّليل الأوَّل:

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ» أراه قال: «فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ». قال محمَّد بن فُليح[(١)]، عن أبيه[(٢)]: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[(٣)] أخرجه البخاريُّ.

قال الحافظُ في «الفتح»: «فظهر أنَّ المرادَ لا تبشر النَّاس بما ذكرته من دخول الجنَّة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة؛ فيقفُوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدَّرجات الَّتي تحصل بالجهاد، وهذه هي النُّكتةُ في قوله:

---

(١) محمَّد بن فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي المدني، صدوق يهم، من التَّاسعة، مات سنة (١٩٧). «تقريب»، ت (٦٢٢٨).

(٢) فليح بن سُليمان بن أبي المغيرة الخزاعي أو الأسلمي، أبو يحيى المدني، ويقال: فُليح لقبٌ، واسمُه: عبدُ الملك، صدوقٌ كثيرُ الخطأ، من السَّابعة، مات سنة (١٦٨). اهـ «تقريب»، ت (٥٤٤٣).

(٣) أخرجه البخاري باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث (٢٧٩٠).

«أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ».

وإذا تقرَّر هذا، كان فيه تعقُّب أيضًا على قول بعض شرَّاح «المصابيح»: «سوَّى النَّبيّ ﷺ بين الجهاد في سبيل الله وبين عدمه وهو الجلوسُ في الأرض الَّتي وُلِد المرء فيها». ووجه التَّعقُّب: أنَّ التَّسوية ليستْ على عُمومها، وإنَّما هي في أصل دخول الجنَّة، لا في تفاوت الدَّرجات، كما قرَّرته، والله أعلم». اهـ[1].

قلتُ: ويلزم من هذه التَّسوية في دخول الجنَّة بين المجاهدين وبين غيرهم ممَّن آمنوا وعملوا بالمفروضات دون جهاد: أنَّ الجهاد واجبٌ كفائيٌّ لا واجب عينيٌّ؛ إذ لو كان فرضًا عينيًّا كان مَن قَصَّر فيه آثِمًا كبيرة تجعله يكون تحت المشيئة، فيكون مسكوتًا عنه على أقلِّ الأحوال؛ لأنَّه لا يدخل الجنَّة إلَّا بعد لحوق اللَّوم والعذاب، أو لحوق اللَّوم ثُمَّ المغفرة بعد أنْ يلحقه في البرزخ ما يلحقه.

أمَّا إذا قِيل: إنَّ الجهادَ فرضٌ كفائيٌّ، فيكون مَن أدَّى مُسقطًا للَّوم عمَّن لم يؤدِّ، وأقام الفرائض دون الجهاد مع ترك المحرَّمات، وهذا هو وجه التَّسوية بينه وبين المجاهد الَّذي يدخل الجنَّة بدون سابق لوم ولا عذاب، إلَّا أنَّ المجاهدَ مُفضَّل على من لم يجاهد بالدَّرجات الَّتي نالها بجهاده في الجنَّة، والله أعلم.

الدَّليل الثَّاني:

ما أخرجه مسلمٌ عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفضَلُ؟ فَقَالَ: «رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[2].

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٤)، ومسلم (١٨٨٨)، واللَّفظ له.

والشَّاهدُ مِن هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جعَل للمؤمن الَّذي انزوىٰ في شِعْب من الشِّعاب، واتَّقىٰ الله ولم يجاهد - فضلًا، ولو كان قد ترَك فرضَ عين ما جعل له هذا الفضل؛ وهذا فيه دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين، واللهُ أعلم.

الدَّليل الثالث:

ما رواه مسلم من طريق عِكرمة بن خالد، أنَّ رَجُلًا قال لابن عُمرَ: أَلَا تَغْزُو؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ»(١).

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأمَّا قولُه: «أَلَا تَغْزُو؟» - فهو بالتَّاء المثناة من فوق - للخطاب، وَيَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ (تَغْزُوا) بِالْأَلِفِ وَبِحَذْفِهَا...، وأمَّا جوابُ ابن عُمر له بحديث: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ» فالظَّاهر أنَّ معناه: ليس الغزو بلازم علىٰ الأعيان؛ فإنَّ الإسلامَ بُني علىٰ خمس ليس الغزوُ منها»(٣).

الدَّليل الرَّابع:

حديث ابن عبَّاس في «الصَّحيحين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يوم الفتح: «لا هِجْرَةَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦).

(٢) هو الإمام الحافظ الأوحد القُدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء: مُحيي الدِّين أبو زكريا، يحيىٰ بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشَّافعي، صاحب التَّصانيف النَّافعة، مولدُه في المحرَّم سنة (٦٣١)، وقدم دمشق لطلب العلم (٦٤٩)، وتوفِّي سنة (٦٧٦)، من مؤلَّفاته «شرح صحيح مسلم»، «والمجموع» ولم يكمل، «ورياض الصَّالحين»، «وتهذيب الأسماء واللُّغات» وغيرها. ترجمه في «تذكرة الحفَّاظ» (٤/ ١٤٧٠).

(٣) «شرح النَّووي علىٰ مسلم» (١/ ١٧٩).

بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»(١).

وجه الدّلالة من هذا الحديث علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ: هو أنَّه رتَّب وجوب النَّفر علىٰ حُصول الاستنفار، وهو الدَّعوة إلىٰ الخروج للغزو مِن الإمام المسلم، أو مَن ينوب عنه، ولو كان الجهاد مفروضًا فرضًا عينيًّا ما كان لهذا الأمر فائدة.

قال الإمامُ البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السُّنَّة» بعد أنْ أوردَ الحديث المتقدّم: «وقَولُه: «إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» فيه إيجابُ النَّفير، والخروج إلىٰ الغزو إذا وقعت الدَّعوة، واعلم أنَّ الجهادَ فرضٌ في الجُملة غير أنَّه ينقسمُ إلىٰ قسمين: فرض عينٍ، وفرض كفايةٍ.

ففرضُ العَين: أنْ يدخلَ العدوُّ دار قوم مِن المؤمنين، أو ينزلَ بباب بلدهم، فيجبُ علىٰ كلِّ مكلَّف مِن الرِّجال ممَّن لا عُذرَ له مِن أهل تلك البلدة الخروج إلىٰ غزوهم؛ حُرًّا كان أو عبدًا، فقيرًا كان أو غنيًّا؛ دفعًا عن أنفسِهم، وعن جيرانهم، وهو في حقِّ مَن بَعُدَ عنهم فرضٌ علىٰ الكِفاية، فإن لم تقع الكفاية بمن نزل بهم يجب علىٰ من بَعُد منهم من المسلمين عَوْنُهم، وإنْ وقعتْ الكفاية بالنَّازلين بهم، فلا فرض علىٰ الأبعدين إلَّا علىٰ طريق الاختيار والاستحباب». انتهىٰ(٢).

الدَّليل الخامس:

حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم أنَّ رسول الله ﷺ بعث بَعْثًا إلىٰ بَنِي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٥)، ومسلم (١٣٥٣)، وليس في مسلم: «بَعْدَ الفَتْحِ»، ولفظُه فيه: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح، فتح مكَّة: «لا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانفِرُوا».

(٢) «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٣٧٤).

لحيان مِنْ هُذَيل، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا»(١).

وفي رواية لمسلم: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ»(٢).

وجه الدّلالة مِن الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قسم المسؤوليَّة بين الغازي والقاعد فجعَل الغزوَ على أحدهما، والقيام بشؤون الأهل والمال على القاعد، وجعَل للقاعد نصف أجر الغازي إذا هو خلف الغازي في أهله وماله بخير، وهذا يدلُّ على أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية، ولو كانَ فرضَ عين ما كفى أحدهما عن الآخر.

الدَّليل السَّادس:

ما أخرجه مسلمٌ عن زيد بن خالد الجهنيّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»(٣).

وجهُ الدّلالة مِن الحديث على أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية: أنَّ النَّبيَّ ﷺ اعتبر مَن جهَّزَ الغازيَ في سبيل الله غازيًا، ومَن خلف الغازي في أهله بخير غازيًا، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية لا فرض عين؛ إذْ لو كان الجهادُ فرضَ عين ما أجزأ عن المجهِّز تجهيزه، ولا عن الخالف خلافته حتَّى يكونا غازيَيْن بنفسيهما، والله أعلم.

الدَّليل السَّابع:

ما رواه ابنُ ماجه، وأورده الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه»، عن أبي

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٥).

أمامة[1] رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ[2] قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ»[3].

الدليل الثامن:

ما رواه مسلم من طريق زُرارة بن أوفى[4]: «أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ[5] أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدِمَ المَدِينَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا فَيَجْعَلَهُ فِي السِّلَاحِ وَالكُرَاعِ[6]، وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ لَقِيَ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ رَهْطًا سِتَّةً أَرَادُوا ذَلِكَ فِي حَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَنَهَاهُمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟»، فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ، وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا، وَأَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ[7]...». الحديث[8].

---

(١) أبو أمامة: صُدَيّ بن عجلان الباهلي، صحابي مشهور، سكن الشام، ومات بها سنة (٨٦). اهـ «التقريب»، ترجمة (٢٩٢٣).

(٢) أي: بداهيةٍ مُهلكةٍ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٦٢)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٢٧٦٢).

(٤) زُرارة بن أوفى - بضمِّ الزَّاي -: العامري الحرشي - بمُهملة وراء مفتوحتين، ثمَّ معجمة - أبو حاجب البصري قاضيها، ثقةٌ عابدٌ، من الثَّالثة، مات فجأةً في الصَّلاة سنة ثلاث وتسعين. اهـ «التقريب»، ت (٢٠٠٩).

(٥) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدنيّ، ثقةٌ، من الثَّالثة، استشهد بأرض الهند. اهـ «التقريب»، ت (٢٢٥٨).

(٦) الكُراع: اسم للخيل. راجع «شرح النَّووي على مسلم» (٦/ ٢٥).

(٧) عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، أمّ المؤمنين، أفقه النِّساء مطلقًا، وأفضل أزواج النَّبيِّ ﷺ إلَّا خديجة ففيهما خلاف، ماتتْ سنة (٥٧) على الصَّحيح. اهـ «تقريب»، ت (٨٦٣٣).

(٨) أخرجه مسلم (٧٤٦).

وجه الدّلالة مِن هذا الحديث: أنَّه لو كان الجهادُ فرضَ عين لم ينه الصَّحابة سعد بن هشام ويثنوه عن عزمه علىٰ بيع عقاره وتطليق امرأتِه والعزم علىٰ جهاد الرُّوم حتَّىٰ يموت؛ بل يدلُّ صنيعُهم هذا علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية، وليس بفرضِ عينٍ، واللهُ أعلمُ.

الدَّليل التاسع:

حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًّا جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا شَيْئًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا». أخرجه البخاري ومسلم[1].

ويظهر من هذا الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّق دخول الجنَّة علىٰ عبادة الله وحدَه، وعدم الشِّرك به، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، دون ذكر الجهاد، ولو كان الجهادُ فرضَ عينٍ لذُكر مع هذه الخصال.

الدَّليل العاشر:

عن أبي أيُّوب الأنصاريِّ[2] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَرَبٌ[3]، مَا لَهُ؟ ! تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَصِلُ الأَرْحَامَ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

(٢) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيُّوب من كبار الصَّحابة، شهد بدرًا، ونزل النَّبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازيًا بالرُّوم، سنة خمسين، وقيل: بعدها. اهـ «تقريب» (١٦٣٣).

(٣) قوله: «أَرَبٌ» - بفتحتَين -: حاجة، وتقديره: له أرب.

دَرِّهَا؛ كَأَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ».

وفي رواية: فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

وفي أخرى: أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ للنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ - أَوْ بِزِمَامِهَا -، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ لَقَدْ هُدِيَ - قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ »، فَأَعَادَ، فَقَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا... ». وذكر الحديث، وقال في آخره: «دَعِ النَّاقَةَ».

زاد في رواية: فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

الدَّليل الحادي عشر:

ما أخرجه مسلمٌ في كتاب الإمارة، بابُ: بيان ما أعدَّه اللهُ للمجاهد في الجنَّة من الدَّرجات، عن أبي سعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَىٰ يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». اهـ[2].

وفي هذا الحديث دليل واضحٌ وصريحٌ أنَّ الجهادَ فرضُ كِفايةٍ لا فرض عين.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٧)، ومسلم (١٣)، وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٩/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٤).

الدَّليل الثاني عشر:

عن عُبادةَ بن الصَّامت[(١)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّة حَقٌّ، وَالنَّار حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»**.

وفي رواية: **«أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَبْوَاب الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيهَا شَاءَ»**. أخرجه البخاريُّ ومسلم[(٢)].

قلتُ: إنَّ منطوقَ ومفهومَ هذه الأحاديث يدلُّ علىٰ أنَّ الجهادَ ليس مِن فروض الأَعيان، ولكنَّه مِن فُروض الكفاية الَّتي تتَّجه الفرضيَّة فيها علىٰ جميع الأمَّة؛ إذ لو كان مِن فروض الأعيان الَّتي تُساوي الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، أو تَفضلها كما يزعم مُؤلِّف كتاب: «**الجهاد أهمُّ فروض الأعيان**» لما سكَت عنه الشَّارع ﷺ، ولَجعله مما علَّق عليه دخول الجنَّة في هذه الأحاديث؛ أي: لجعله نظيرًا للتَّوحيد والصَّلاة والزَّكاة والصَّوم وصلة الأرحام، والله أعلم، وفيما ذُكر من الأدلَّة مقنع لمن أراد الحقّ، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله، وبالله التَّوفيق.



---

(١) **عُبادة بن الصَّامت:** ابن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدنيّ، أحد النُّقباء، بدريٌّ مشهورٌ، مات بالرَّملة سنة (٣٤)، وله اثنتان وسبعون سنةً، وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية، قال سعيد بن عُفير: كان طُوله عشرة أشبار. اهـ. «تقريب»، ت(٣١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

فصلٌ

في بيانِ أقوالِ أهلِ العلمِ في حُكمِ الجهادِ هل هو فرضُ عينٍ أو فرضُ كفايةٍ؟

قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] من «تفسيره»: «اختلفوا مَن المرادُ بهذه الآية، فقيلَ: أصحابُ النَّبيِّ ﷺ خاصَّةً، فكانَ القِتالُ مع النَّبيِّ ﷺ فرض عين عليهم، فلمَّا استقرَّ الشَّرعُ صار علىٰ الكفاية. قاله عطاءٌ والأوزاعيُّ. قال ابنُ جُريج: قلتُ لعَطَاء: أواجبٌ الغزوُ علىٰ النَّاس في هذه الآية؟ فقال: لا، إنَّما كُتِبَ علىٰ أُولئكَ.

وقال الجمهور مِن الأمَّة: أوَّل فرضِه إنَّما كان علىٰ الكِفايةِ دُون تَعيين، غيرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذَا استَنفرَهُم تعيَّن النَّفير لوجوب طاعته.

وقال سعيدُ بن المسيّب[1]: إنَّ الجهادَ فرضٌ علىٰ كلِّ مُسلم في عَينه أبدًا، حكاه الماورديُّ. قال ابن عطيَّة[2]: والَّذي استمرَّ عليه الإجماع أنَّ الجهادَ علىٰ

(١) سعيد بن المسيّب بن أبي وهب المخزومي القُرشي، أحدُ العُلماء الأثبات والفُقهاء الكبار، مِن كبار الثَّانية، اتَّفقوا علىٰ أنَّ مراسيلَه أصحُّ المراسيل.
قال ابن المديني: لا أعلمُ في التَّابعين أوسع علمًا منه، مات بعد التِّسعين، وقد ناهزَ الثَّمانين. اهـ. «تقريب»، ت(٢٣٩٦).

(٢) ابن عطيَّة: هو عبد الحقِّ بن غالب بن عبد الرَّحمن بن غالب المحاربي الغرناطي المالكي، أبو محمَّد، عالمٌ مشاركٌ في الفقه والحديث والتَّفسير وغيرها، وُلد في (٤٨١)، وتُوفي سنة (٥٤١)، مؤلَّفاته: «الجامع المحرَّر الصَّحيح الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».

كلّ أمّة محمّد ﷺ فرضُ كفايةٍ، فإذا قامَ به مَن قَامَ مِن المُسلمينَ سقَط عن الباقين، إلّا أنْ يَنزلَ العدوُّ بساحة الإسلام فهو حينئذ فرضُ عين»[١].

وقال في كتاب «اختلاف الأئمّة العُلماء» لابن هُبيرة[٢]: «اتّفقوا على أنّ الجهادَ فرضٌ على الكفاية، إذا قام به قوم مِن المسلمين سقَط عن باقيهم، ولم يأثمُوا بتركِه»[٣].

وقال القُرطبيُّ في «بدايةِ المجتهد» في مستهلّ كتاب الجهاد: «الفصلُ الأوّلُ في معرفة حُكم هذه الوظيفة: فأمّا حُكم هذه الوظيفة فأجمعَ العُلماء على أنّها فرضٌ على الكِفاية لا فرض عين إلّا عبد الله بن الحسن فإنّه قال إنّها تَطوّع، وإنّما صار الجمهور لكونه فرضًا لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾.

وأمّا كونه فرضًا على الكفايةِ؛ أعني: إذا قام به البعض سقَط عن البعض، فلقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، وقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ولم يخرج قَطُّ رسول الله ﷺ للغزو إلّا وترك بعض النّاس، فإذا اجتمعت هذه اقتضى ذلك كون هذه الوظيفة على الكفايةِ». اهـ[٤].

وفي «مسائل الخرقي»: «والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقَط عن الباقين»[٥]. ورجّحه في «المغني» لآية (النّساء): ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) «تفسير القرطبيّ» (٣/ ٣٨).

(٢) ابن هُبيرة: هو يحيىٰ بن محمّد بن هبيرة الوزير، ولد في ربيع الأوّل سنة (٤٩٩)، طلب العلم حتّى برع، ودخل في خدمة الدّولة لحاجته، ثُمّ تقلّد الوزارة سنة (٥٤٤)، وتوفي سنة (٥٦٠). اهـ مِن مقدّمة كتابه «الإفصاح».

(٣) «اختلاف الأئمّة العلماء» (٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠ الكتب العلميّة).

(٤) «بداية المجتهد» (١/ ٣٦٨).

(٥) «مختصر الخرقي» (ص ١٣٨ الصحابة).

وآية براءة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يبعث السَّرايا ويجلس هو وأصحابه[١]. اهـ

وقال في «موسوعة الإجماع» للشَّيخ سعدي أبو جيب (٢/ ٢٧٨): «حكم الجهاد: اتفقوا على أنَّ قتال المشركين وأهل الكفر ودفعهم عن بيضة المسلمين وأهل الإسلام وقراهم وحصونهم وحريمهم إذا نزلوا على أهل الإسلام فرض على الأحرار البالغين المُطيقين، وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّه فرض كفاية لا فرض عين إلَّا عبد الله بن الحسن قال: إنَّه تطوُّع». اهـ

وقال الشَّيخ عبد الله بن أحمد قادري[٢] في كتابه «الجهاد» الَّذي لم يُؤلَّف في الجهاد مثلُه فيما أعلمُ، بعدَ ذكْر أقوالِ العُلماء في حُكمِه: «وقد اتَّفقتْ المذاهبُ الأربعةُ وغيرُها على أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، إذا قام به طائفةٌ مِن المسلمين سقط عن الباقين، وإلَّا أَثِمُوا جميعًا»[٣]. اهـ

وقال القُرطبيُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية (١٢٢) من سورة براءة: «فيه ستُّ مسائلَ: الأُولى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾... وهي أنَّ الجهادَ ليس على الأعيان، وأنَّه فرضُ كفايةٍ لما تقدَّم؛ إذْ لو نفَر الكلُّ لضاع مَن وراءَهم مِن العِيال، فليخرُجْ فريقٌ منهم

---

(١) «المغني» (٨/ ٣٤٥).

(٢) هو الشَّيخ الجليل الدّكتور: عبد الله بن أحمد قادري، أحد خرّيجي الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، عام (١٣٨٥هـ)، ومنذ تخرّجه وهو يشتغل فيها، شغل فيها عدّة مناصب، منها: عمادة كليّة الدّعوة، وعمادة شؤون الطلّاب، وغير ذلك، وله عدّة مؤلّفات مفيدة، وفّقنا الله وإيّاه، وختم لنا وله بخير.

(٣) «الجهاد» (١/ ٥٦).

للجِهاد، وليُقِمْ فريقٌ منهم يَتفقَّهون في الدِّين، ويَحفظُون الحَريمَ». اهـ[(١)].

وقال السَّرخسي[(٢)]: «ونوعٌ هو فرضٌ على الكفايةِ، إذا قام به البعضُ سقَط عن الباقين لحصول المقصود، وهو كسرُ شوكة المشركين وإعزازُ الدِّين؛ لأنَّه لو جُعِل فرضًا في كلِّ وقتٍ وعلى كل أحد عَاد على مقصود الجهاد بالنَّقض، والمقصودُ: أنْ يأمنَ المسلمون ويتمكَّنوا مِن القيام بمصالح دينهم ودنياهم، فإذا اشتغل الكلُّ بالجهاد لم يتفرَّغوا للقيام بمصالح دُنياهم، فلذلك قُلنا: إذا قام به البعضُ سقَط عن الباقين». اهـ. بواسطة كتاب «الجهاد»، للدكتور: عبد الله قادري (١/ ٥٩).

قلتُ: وما علَّل به القُرطبيُّ والسَّرخسيُّ عن كون الجهاد فرض كفايةٍ هو الَّذي يتناسب مع مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة الَّتي جَمعَتْ اليُسر والكمال والشُّموليَّة؛

فدليلُ اليُسر: قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ودليلُ الكمال: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ودليلُ الشُّموليَّة: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ٨٩].

ومِن شُموليَّة هذا الدِّين أنَّه جاء برعاية الدِّين والدُّنيا، والجمع بين مصالح

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ٩٣).

(٢) السَّرخسيّ: هو شمس الأئمَّة؛ محمَّد بن أحمد بن أبي بكر، متكلِّمٌ فقيهٌ أصوليٌّ مُناظرٌ مِن طبقة المجتهدين في المسائل، مِن آثاره «المبسوط»، توفِّي سنة (٤٩٠)، ترجمه عمر كحالة في «طبقات المؤلِّفين» (٨/ ٢٣٩).

الدُّنيا والآخرة، فهو لا يأمرُ بإصلاح جانب وإضاعة جوانب، ولا يُهمل صغيرةً ولا كبيرةً.

وهو حين يأمُر بالجهاد يأمر بحفظ المصالح الدُّنيويَّة الَّتي لا تتمّ الحياة إلَّا بها؛ كحفظ النِّساء والأطفال وحمايتهم وصونهم، وكسب الرّزق، وحفظ المال، وغير ذلك من الأمور الشَّرعيَّة والعُرفيَّة الَّتي لا تَطيبُ الحياة إلَّا بها.

ومن هنا تعلمُ أنَّ حكمَ الجهادِ فرضٌ علىٰ الكفاية، إذا قام به البعض سقَط عن الآخرين، إلَّا أنَّه يتعيَّن علىٰ كلِّ إمام مسلم أن يُعِدّ ممَّن تحت يده جيشًا كثيفًا مُدرّبًا علىٰ أنواع الأسلحة، امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي الحديث: «**أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**»(١).

وينوي بإعداد هذا الجيش أنْ يكون قوَّةً للإسلام، وحمايةً لبلاد المسلمين، وإغاظةً للكفَّار، وإرهابًا لأعداءِ الله، يحمي بهم الثُّغور، ويُقاتل بهم أعداءَ الدِّين، وإذا احتاج أحدٌ مِن إخوانه المسلمين إلىٰ الإعانة جرَّد مِن جيشه فرقةً لا يَضرُّ خروجُهم بمصلحةِ بلدِه، وفتَح باب التَّطوُّع لمن أراده مِن بقيَّة الرَّعيَّة، ولم يضرّ ذلك ببلده، ويعرضها لطمع العدوّ فيها.

فإنْ حصَل ذلك كانتْ حماية بلادهم أوجب، ورعاية مصلحتهم ألزم، ومن عدا هذا الجيش وهؤلاء المتطوّعين يبقون للقيام بالمصالح الأخرىٰ الَّتي لا تستقيمُ لهم الحياة إلَّا بها؛ من صناعةٍ وزراعةٍ وتجارةٍ وغير ذلك، مع القيام بشؤون

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧).

عوائلهم وعوائل المجاهدين، ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا»[1].

وبهذا يجمع الإمام بين المصالح الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، ويُعِدُّ لكلِّ أمر عُدَّته، وهذا إنَّما يكون للإمام المسلم الَّذي يُحكِّم شرع الله، ويرعىٰ مصلحة الإسلام والمسلمين قبل مصلحة نفسِه، أو كما يرعىٰ مصلحة نفسِه.

أمَّا إذا كان رئيس الدَّولة يحكم القانون بدلًا عن القُرآن، ويدعو إلىٰ العلمانيَّة بدلًا مِن الشَّريعة، وينصر الباطل بدلًا عن الحقِّ، ويعزّ أهل الباطل، ويذلّ أهل الحقّ، ويقدِّم مُراد الأمم المعادية لله ولرسوله علىٰ مُراد الله ورسوله، ويُعدّ الجيش حمايةً لعرشه لا حمايةً للدِّين؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وقُلْ علىٰ الإسلام: السَّلام.

والمهمُّ؛ أنَّ القولَ بأنَّ الجهادَ فرضُ عين علىٰ كلِّ النَّاس تضييع للواجبات الأخرىٰ التي كلَّف الله بها العباد قيامًا لمصالحهم الَّتي لا تستقيم حياتهم إلَّا بها، وقد دلَّتْ علىٰ ذلك النُّصوص الَّتي سبق ذكرها مِن آيات قُرآنيَّة وأحاديث نبويَّة، ومِن أصرحها آيةُ (المزّمل)، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزّمل: ٢٠].

فقد قسَّم اللهُ النَّاس في هذه الآية إلىٰ ثلاثة أقسام: قسم معذورون وهم المرضىٰ، وقسم مُتسبِّبون وهم الَّذين يضربون في الأرض يبتغون مِن فضل الله، وقسم يقاتلون في سبيل الله وهم المجاهدون، وشملهم بالتَّيسير في التَّكليف جميعًا حيث يقول: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، وأخرجه مسلم (١٨٩٥).

وقد تبيَّن مِن هذا أنَّ القسمَ الثَّالثَ، وهم الَّذين يضربون في الأرض قد شملهم ما شمل المجاهدين والمعذورين، والضَّرب في الأرض يدخل فيه جميع الأسباب الَّتي ينتهجها النَّاس لمحاولة الكسْب، سواء كانت تجارةً أو زراعةً أو صناعةً أو غيرَ ذلك، وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، إذا قام به البعضُ سقط عن الآخرين الوجوبُ، وبالله التَّوفيقُ.

فإنْ قِيلَ: فما فائدةُ الأمر بالجهادِ، والتَّأكيد عليه، وذمّ النَّاكلين عنه، وتسميتهم منافقين وتوعّدهم بالعذاب الأليم في الدُّنيا والآخرة، وعيبهم أشدّ العيب في آيات كثيرة، منها ما يفيد الفرضيَّة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿انفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: ٤١].

ومنها ما يُفيدُ ذمّ المتخلّفين وتوعّدهم بالعذاب الأليم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التَّوبة: ٨١، ٨٢]؛ وكقوله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التَّوبة: ٩٥].

ومنها ما يُفيدُ مدحَ المجاهدين والثَّناء عليهم والتَّنويه بصنيعهم، وبيان عواقبهم الحميدة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصَّفّ: ١٠، ١١]، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ

ولكنِّي أُريدُ بيانَ الحقِّ وإظهار الحقيقة الَّتي خَفِيَتْ علىٰ بعض النَّاس الَّذين لم يستوعبوا جمع النُّصوص ويؤلِّفوا بينها بطريقةٍ علميَّةٍ تُبنىٰ علىٰ قواعد أصوليَّة، ولقد تردَّدت في هذه الكتابة كثيرًا خوفًا من أن يكون فيها تثبيطٌ لضعاف الهمم، ثمَّ رأيتُ أنَّ بيانَ الحقِّ أوجبُ حتَّىٰ لا يَغترَّ أحدٌ بقول مَن قال: إنَّ الجهادَ فرضُ عين علىٰ كلِّ مُكلَّف، والله مِن وراء القصد.

وخلاصةُ ما يُستدلُّ به علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ إذا قام به البعضُ سقطَ عن الباقين:

١ - أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سوَّىٰ في آية (النِّساء) بين المجاهدين والقاعدين في الوعد بالحُسنىٰ؛ فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٢ - أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يُوجب النَّفير علىٰ جميع النَّاس، وإنَّما أوجبه علىٰ طائفة مِن كلِّ فرقةٍ؛ أي: علىٰ جماعة مِن كلِّ فئةٍ أو قبيلةٍ، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾.

٣ - أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سوَّىٰ بين المرضىٰ والضَّاربين في الأرض للرِّزق، وبين المجاهدين في سبيله في جلب التَّيسير؛ فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

٤ - قوله ﷺ في الحديث الَّذي رواه البخاري وغيره بلفظ: **«مَنْ آمَنَ بالله وبرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٣).

٥ - قولُه ﷺ لما سئِل: أيُّ النَّاس أفضلُ؟ قال: «**مُؤْمِنٌ مجاهِدٌ في سَبيل الله بنَفْسِهِ وَمَالِهِ**»، قالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ في شِعْب مِن الشِّعَاب يَتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[(١)]، حيثُ جعَل المؤمن الَّذي في شعب من الشِّعاب يتَّقي الله ويدع النَّاس من شرِّه في الدَّرجة الثَّانية بعد المجاهد، وذلك يدلُّ علىٰ عدم الوجوب العينيِّ.

٦ - قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...**»[(٢)]. الحديث، فقد استدلَّ به راويه ابنُ عمر رضي الله عنهما أنَّ الغزوَ لا يجبُ علىٰ التَّعيين؛ أي: لا يجبُ وجوبًا عينيًّا.

٧ - قوله ﷺ: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْح، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا استُنفِرتُم فَانْفِرُوا**»[(٣)]، حيثُ علَّق وجوب النَّفر بالاستنفار.

٨ - قوله ﷺ: «**لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَين رَجُلٌ**»، وفي رواية: «**أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**»[(٤)]، حيث جعَل النَّفر علىٰ واحد مِن الاثنين، وهو دليلٌ علىٰ أنَّه فرضُ كفايةٍ.

٩ - قولُه ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ في أَهْلِهِ بخَير فَقَدْ غَزَا**»[(٥)]، حيث اعتبر المجهِّز والخالف بخير بمنزلة الغازي.

١٠ - قوله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا في أَهْلِهِ بخَير**

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٥)، ومسلم (١٣٥٣)، وليس في مسلم: «بَعْدَ الفَتْح»، ولفظه فيه: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح، فتح مكَّة: «لا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، وأخرجه مسلم (١٨٩٥).

أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ»[(١)]، حيث جعل المجهز والخالف بخير من الناجين من القارعة.

١١ - حديث سعد بن هشام أنَّه قدم المدينة ليبيع عقارًا له بها، فيجعله في الكراع والسِّلاح، ويجاهد الرُّوم حتىٰ يموت، فوجد ناسًا من أهل المدينة، فنهوه عن ذلك... إلخ، حيث إن هذا الحديث يفيد أنَّ الجهاد واجب كفائيّ، وليس بواجب عينيٍّ.

وهناك أحاديثُ أخرىٰ تفيد هذا المعنىٰ قد سبق ذكرها.

١٢ - الإجماع الذي حكاه كثير من أهل العلم: أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين، وممَّن حكىٰ الإجماع: القرطبي، وابن هبيرة، وابن كثير، وابن عطية، وابنُ قدامة في «المغني»[(٢)]، والخرقي في «المسائل»، وسعدي أبو جيب في «موسوعة الإجماع»، والدُّكتور عبد الله القادري وغيرهم، ولم يحك الخلاف إلَّا عن سعيد بن المسيّب، وعبد الله بن الحسن[(٣)].

١٣ - أنَّ النَّفير العامَّ في الوجوب العيني أمرٌ لا يُستطاع، والله عَزَّوَجَلَّ أرحم بعباده من أن يُكلّفهم ما لا يستطيعون، وقد قال عزَّ مِن قائل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغابن: ١٦].

١٤ - أنَّه لم يُعرف أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج مِن المدينة بجميع الَّذين يستطيعون

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠٣)، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٠٣): «إسنادُه حسنٌ».

(٢) هو موفَّق الدِّين؛ أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قُدامة المقدسي الجماعيلي، ثمَّ الدِّمشقي الصَّالحي الحنبلي، وُلد في شعبان سنة (٥٤١)، نشأ نشأةً علميَّةً؛ فهاجر وانقطع للعلم حتَّىٰ برع. مِن مؤلَّفاته: «المُغني»، و«الرَّوضة في الأصول»، و«لُمعة الاعتقاد»، وغيرها، توفِّي سنة (٦٢٠).

(٣) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، ثقة، جليل القدر، مِن الخامسة، مات في أوائل سنة (١٤٥)، وله خمس وسبعون سنة. اهـ. «تقريب».

الجهادَ إلَّا ما كان مِن غزوةِ الخندق وأُحُد؛ لأنَّ العدوَّ نزَل بالبلد.

فهذه خُلاصةُ الأدلَّة علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ لا فرض عين، وبالله التَّوفيق.

تنبيه: سبق أن كتبتُ فتوىٰ في هذا الموضوع قُلتُ فيها: نعم، الواجب علىٰ المتقاعدين من الجيش أكثر من غيرهم، ولا ينقصهم إلَّا إذن الإمام، وإذن الإمام في مثل هذه البلدان الشَّاسعة لازم؛ لقوله ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[1].

ولأنَّ الإمام المسلم العالم بالمصلحة يجبُ عليه أن يُنظِّم قوَّة المسلمين وعُدَّتهم؛ فيرسل منهم من لا يُضرّ إرساله بحاجة البلد لو دَهَم عَدوٌّ متربّص، أمَّا إنْ فُتح الجهاد في حدود البلد فلا يتوقَّف الذَّهاب إليه علىٰ إذن الإمام.

والخُلاصةُ: أنَّ الجهادَ بالنَّفس واجبٌ علىٰ كلِّ قادر مِن المسلمين، ما لم يمنع من ذلك مانع، والموانع ثلاثة:

١ - عدم إذن الأبوين؛ للأحاديث الواردة في ذلك.

٢ - عدم المعرفة بأساليب الحرب الحديثة حتَّىٰ يتعلَّم ذلك.

٣ - عدم إذن الإمام المسلم الَّذي يعلم المصلحة ويحرص عليها.

وهذه الموانع فيما إذا كان العدوُّ في بلدٍ بعيدٍ، أمَّا إذا كان الجهاد في بلدٍ قريب، أو عيَّن الإمامُ الشَّخصَ، أو دَهَم العدوُّ البلد؛ فإنَّ الجهادَ في هذه الثَّلاث يكون واجبًا عينًا، لا يُعذرُ منه ممَّن يستطيعون.

والَّذي أريدُ التَّنبيهَ عليه الآن: أنِّي جعلت إذن الإمام المسلم الذي يعرف المصلحة ويحرص عليها شرطًا في الذَّهاب إلىٰ البلدان البعيدة استنباطًا من قوله ﷺ:

(١) تقدَّم تخريجُه.

«وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».

وحيثُ إنَّ الاستنفار من أهل تلك البلاد حاصل ومتكرِّر بلسان الحال والمقال في الخطب، وفي كلّ مناسبة، وفي المحلّات، والمقابلات الصّحفيّة وغير ذلك؛ دعوةً لإخوانهم المسلمين واستعانة بهم، ورغم أنَّه يجبُ علىٰ المسلمين أن يُعينُوهم إلَّا أنَّ الواجبَ علىٰ وُلاة الأمور أن تُجرّد كلُّ دولةٍ مسلمةٍ مَن لا يضرُّ خروجُه بمصلحة بلده، فيكونون عونًا لهم؛ لذلك فقد جعلتُ إذنَ الإمام المسلم العالم بالمصلحة شرطًا في الذَّهاب إلىٰ تلك البلدان البعيدة، وعدم إذنه مانع من ذلك.

ورغم وجاهة هذا المأخذ إلَّا أنّي لم أَرَ مَن سبقنِي إليه؛ لذلك فإني أعلن رجوعي عن الشَّرطيَّة، وإن كنتُ أستحبُّ ذلك[1].

أمَّا كون معرفة أساليب الحرب الحديثة مانعًا من الذَّهاب إلىٰ البلدان البعيدة إلَّا بعد تعلُّم أساليب الحرب والتَّمرّن علىٰ السِّلاح؛ فذلك لأنَّ فيه تغريرًا بالمسلمين وإضرارًا بهم، فإنْ فُتحت مراكز للتَّدريب علىٰ السِّلاح قبلَ الدُّخول إلىٰ ساحة القتال كما هو حاصل في أفغانستان الآن، فلا يكونُ ذلك

---

(١) نعم، لم أرَ من سبقني إلىٰ اشتراط إذن الإمام، وقد ذكر في «المغني» أن شروط الجهاد سبعة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية، والسلامة من الضرر، ووجود النفقة. «المغني» (٨/ ٥٤٧)، وقال في «المجموع شرح المهذب» (١٩/ ٢٧٧): ويكره الغزو من غير إذن الإمام أو الأمير من قبله؛ لأن الغزو علىٰ حسب حال الحاجة، والأمير أعرف بذلك، ولا يَحرم؛ لأنه ليس فيه أكثر من التغرير بالنفس، والتغرير بالنفس يجوز في الجهاد.

تنبيه: لقدْ رجَع شيخُنا النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القول بالاستحباب إلىٰ وجوب استئذان وليّ الأمر في الذَّهاب إلىٰ الجهاد. راجع: «فتح الرَّبِّ الودود» (٣/ ٩٥) ط: دار الميراث النَّبويّ.

مانعًا من الذَّهاب إلىٰ الجهاد، ولكن يكونُ مانعًا من دخوله المعركة قبل التَّعلُّم، وهذا اجتهادٌ منِّي، فإنْ كان صوابًا فمن اللهِ، وإن كان خطأ فمنِّي ومن الشَّيطان، واللهُ ورسوله بريئان من خطئِي.



فصل

أمَّا بالنِّسبةِ لإذنِ الأبوَين فهُو شرطٌ في الجهادِ المستحبّ دون الواجب، وعدم إذنهما مانع منه؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ مَنَع مَن استأذنه في الجهاد ولم يأذن له والداه، وقال له: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[١]. وفي روايةٍ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا؛ فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا»[٢].

ذلك لأنَّ الجهادَ في سبيل الله فرضُ كفاية، وبرّ الوالدين فرض عين على الولد، والدَّليل على ذلك ما رواه البخاريُّ في كتاب الجهاد من «صحيحه»، باب: الجهاد بإذن الأبوين، رقم الحديث (٣٠٠٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

وقال في شرح الحديث المذكور في «الفتح» (٦/ ١٤٠): «ولمسلم، وسعيد بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٢)، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رَجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ أُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَكَ أَبَوَانِ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»، ومسلم بنحوه (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٠)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤٢٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨٢): «صحيحٌ لغيره».

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص السَّهمي، أبو محمَّد، وقيل: أبو عبد الرَّحمن، أسلَم قبل أبيه، أحدُ الصَّحابة المُكثرين، وأحدُ العبادلة الفُقهاء، مات سنة (٦٨)، وقال في «التَّقريب»: مات في ذي الحجَّة ليالي الحرَّة على الأصحِّ بالطَّائف. ترجمه في «الكاشف» (٢٩١٣)، وترجمه في «التَّقريب» (٣٤٩٩).

منصور[١]، من طريق ناعم[٢] مولى أمِّ سلمة، عن عبد الله بن عمرو في نحو هذه القصَّة: قال: «ارْجِعْ إِلَىٰ وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»[٣]، ولأبي داود وابن حبَّان[٤] من وجه آخر عن عبدِ الله بن عَمرو: «ارْجِعْ؛ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[٥]، وأصرح من ذلك حديث أبي سعيد عند أبي داود بلفظ: «ارْجِعْ فَاسْتَأْذِنْهُمَا؛ فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِد، وَإِلَّا فبرَّهُمَا». وصحَّحه ابنُ حبَّان[٦].

وقال جمهورُ العُلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأنَّ برَّهما فرضُ عين عليه، والجهادُ فرضُ كفايةٍ، فإذا تعيَّن الجهادُ فلا إذنَ»[٧]. اهـ.

وفي «الصَّحيحين» من حديثِ أبي عمرو الشَّيبانيِّ، واسمه: سعد بن إيَاس[٨]

---

(١) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، أبو عثمان، نزيل مكَّة، ثقة، مصنِّف، كان لا يرجع عمَّا في كتابه لشدَّة وثوقه به، مات سنة (٢٢٧)، وقيل: بعدها. «تقريب»، ت (٢٣٩٩).

(٢) ناعم بن أُجَيل - بجيم، مصغَّر - الهمداني، أبو عبد الله المصري، مولى أمِّ سلمة، ثقةٌ فقيهٌ، من الثَّالثة، مات سنة (٨٠). اهـ. «تقريب»، ت (٧٠٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

(٤) **ابن حبَّان**: هو الإمام العلَّامة أبو حاتم، محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان الحنظلي التَّميمي البُستي، صاحب المؤلَّفات الكثيرة النَّافعة، منها: كتاب «الأنواع والتَّقاسيم في الحديث»، ومنها: كتاب «الثِّقات والضُّعفاء»، وغير ذلك، توفِّي سنة (٣٥٤). اهـ. من «تذكرة الحفَّاظ» (٩٢٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٢٨)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤١٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٢٨).

(٦) تقدَّم قريبًا.

(٧) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ١٤٠، ١٤١).

(٨) أبو عمرو الشَّيباني، سعد بن إياس الكوفي، ثقةٌ، مخضرمٌ، من الثَّانية، مات سنة خمس أو ستٍّ وتسعين، وهو ابن عشرين ومئة سنة. اهـ. «تقريب»، ت (٢٢٣٣).

قال: حَدَّثَنِي صاحب هذه الدَّار، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ دَارِ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلىٰ اللهِ؟ قالَ: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قال: حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[1].

فقد جعَل النَّبيُّ ﷺ برَّ الوالِدَين في هذا الحديث هو الدَّرجة الثَّانية بعد الصَّلاة، والجهاد في سبيل الله هو الدَّرجة الثَّالثة، وهو واضحٌ في تقديم برِّ الوالدين علىٰ الجهاد في سبيل الله.

وقد عارضه حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن حبَّان: قال جاء رجلٌ إلىٰ رَسولِ الله ﷺ فسأله عَن أفضل الأعمال، فَقَالَ: «الصَّلَاةُ». قال: ثُمَّ مَهْ[2]؟ قَالَ: «الجِهَادُ». قَالَ: فَإِنَّ لي وَالِدَينِ. قَالَ: «آمُرُكَ بِوَالِدَيكَ خَيرًا». قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيًّا، لَأُجَاهِدَنَّ وَلَأَتْرُكَنَّهُمَا. قَالَ: «فَأَنْتَ أَعْلَمُ»[3].

قال الحافظُ: «وهو محمولٌ علىٰ جهادِ فرضِ العينِ تَوفيقًا بين الحدِيثَينِ»[4].

قلتُ: هذا الحديث وإن كان ظاهره الصِّحَّة كما يظهر من صنيع ابن حجر حيث لم يقدح فيه بشيء، إلَّا أنَّه - فيما أرىٰ - لم يسلم من الشُّذوذ أو الوهم؛ فإنَّه من رواية حيي بن عبد الله بن شريح المعافري المصري، صدوقٌ يهمُ، كما قال في «التَّقريب»، ولعلَّ هذا مِن أوهامِه، فقد قال البخاريُّ: في حديثه نظرٌ، وقال

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٧٨٢)، ومسلمٌ (٨٥).

(٢) «ثُمَّ مَهْ» هي (ما) الاستفهاميَّة، حُذِفَتْ ألفُها، وأُلحق بها هاء السَّكت، أي: ثُمَّ ماذا؟

(٣) أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (١٧٢٢)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التَّعليقات الحسان» (١٧١٩): «منكر».

(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ١٤١).

أحمد: أحاديثه مناكير. وقال النَّسائيُّ: ليس بالقويِّ. وقال ابن معين: ليس به بأس. وقال ابن عديّ: أرجو أنَّه لا بأس به إذا روىٰ عنه ثقة.

فأنت ترىٰ أنَّ عباراتِ أئمَّة الجرح والتَّعديل فيه كلّها تدلُّ علىٰ ضعفه، وأنّه لا يُعتبر بما انفرد به ولو لم يعارض، فكيف إذا عارضه ما هو أصحُّ منه؟!

وقد عارضَه عدَّة أحاديث، منها: حديثُ عبد الله بن مسعود الَّذي تقدَّم قريبًا بلفظ: أَيُّ العَمَل أَحبُّ إلىٰ الله؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «برُّ الوَالِدَينِ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

ومنها: حديثُ عبدِ الله بن عمرو بن العاص قال: جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ». وهما في «الصَّحيحين»[1].

ومنها: حديثُ أبي سعيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا هاجرَ إلىٰ رَسولِ الله ﷺ مِنَ اليَمَنِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ أَحَدٌ باليَمَنِ؟». قَالَ: أَبَوَايَ. قَالَ: «أَذِنَا لَكَ؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا؛ فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإلَّا فَبِرَّهُمَا». وفي سنده درَّاج أبو السَّمح[2]، وفيه مقالٌ، وصحَّحه ابنُ حبَّان[3]، وله طرقٌ عند أحمد[4]،

(١) تقدَّم قريبًا.

(٢) درَّاج أبو السَّمح: هو درَّاج -بتثقيل الرَّاء، وآخره جيم- ابن سمعان، قيل: اسمُه عبد الرَّحمن، ودرَّاج لقب، السَّهميّ مولاهم المصريّ القاصّ، صدوقٌ في حديثه عن أبي الهيثم، ضعف من الرَّابعة، مات سنة (١٢٦) اهـ. «تقريب»، ت(١٨٢٤).

(٣) تقدَّم قريبًا.

(٤) أخرجه في «المسند» (٣/ ٧٦).

حسَّنَها الهيثميُّ[(١)] (٨/ ١٣٨).

وعن أنس رَضِوَٱللَّهُعَنهُ قال: أتىٰ رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: إنِّي أشتهي الجهادَ فلا أقدر عليه! قال: «هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟». قال: أمِّي. قال: «اتَّقِ اللهَ فِي بِرِّهَا؛ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَكَ أَجْرُ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ وَمُجَاهِدٍ، فَإِذَا رَضِيَتْ عَنْكَ أُمُّكَ فَاتَّقِ اللهَ وَبِرَّهَا». رواه أبو يعلىٰ[(٢)]، والطبراني[(٣)] في «الصَّغير»، و«الأوسط»[(٤)]، ورجالهما رجالُ الصَّحيح غير ميمون بن نجيح وثَّقه ابن حبَّان، قاله الهيثميُّ[(٥)].

وعن معاوية[(٦)] بن جاهمة[(٧)]، عن أبيه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْتَشِيرُهُ فِي

---

(١) هو الحسن، نور الدِّين علي بن أبي بكر بن سُليمان الهيثمي - بالمثلثة - الشَّافعي، الحافظ، ولد سنة (٧٣٥)، وتوفي سنة (٨٠٧)، ترجمه في «الشَّذرات» (٧/ ٧٠).

(٢) قال الذَّهبي: هو الإمامُ الحافظُ شيخُ الإسلام، أبو يعلىٰ، أحمدُ بنُ عليّ بن المثنىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال التميمي، الموصلي، محدّث الموصل، وصاحب المسند والمعجم، ولد في ثالث شوَّال سنة عشر ومئتين، فهو أكبر من النَّسائي بخمس سنين، وأعلىٰ إسنادًا منه، لقي الكبار، وارتحلَ في حداثته إلىٰ الأمصار. قال ابن منده: أبو يعلىٰ أحد الثِّقات، مات سنة سبع وثلاث مئة. وقال الحافظ عبد الغني الأزدي: أبو يعلىٰ أحدُ الثِّقات الأثباتِ. وثناء العُلماء عليه كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ. «سير أعلام النُّبلاء» الذَّهبي (١٤/ ١٧٤).

(٣) هو أبو القاسم، سُليمانُ بنُ أحمد بن أيُّوب بن مطير اللَّخمي الطَّبراني، من كِبار حفَّاظ الحديث، ورواته في القرن الرَّابع الهجري، ولد في (٢٦٠)، وتوفي سنة (٣٦٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن مئة سنة وعشرة أشهر، ترجمه في «شذرات الذَّهب» (٣/ ٣٠).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٥/ ١٤٩) (٢٧٦٠)، وفيه: «فَإِذَا رَضِيَتْ عَنْكَ أُمُّكَ فَاتَّقِ اللهَ وَبِرَّهَا»، والطَّبراني في «الصَّغير» (١/ ٨٠)، وفيه: «فَأَبْلِ اللهَ عُذْرًا فِي بِرِّهَا»، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (١٤٧٥)، ورواه في «الأوسط» (٣/ ١٩٩)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلَّا ميمونٌ».

(٥) انظر: «مجمع الزَّوائد» (٨/ ١٣٨).

(٦) معاوية بن جاهمة بن العبَّاس بن مرداس السّلمي، لأبيه وجده صحبةٌ، وقيل: إنَّ له صحبةً، «تقريب»، ت (٦٧٤٩).

(٧) جاهمة بن العبَّاس بن مرداس السّلمي، في «الإصابة» (١/ ٢٢٠)، ذكره ابن سعد في طبقة مَن شهد الخندق.

الجهادِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَلَكَ وَالِدَانِ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «الْزَمْهُمَا؛ فَإِنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمَا»[١]. رواه الطَّبرانيُّ ورجالُه ثقاتٌ، قاله الهيثميُّ[٢].

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٩) من طريق محمَّد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرَّحمن، عن أبيه طلحة بن عبد الله، عن معاوية بن جاهمة أنَّه جاء إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَدْتُ الغَزْوَ وَجِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ! فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «الْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا»، ثُمَّ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ، في مقاعدَ شتَّىٰ كمثْلِ هذا القَولِ، وسنَدُه حسنٌ.

وعن طلحةَ بن مُعاويةَ السُّلميّ قال: أَتيتُ النَّبيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الجهَادَ في سَبِيلِ اللهِ! قَالَ: «أُمُّكَ حَيَّةٌ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الجَنَّةُ». ذكر ذلك الهيثمي في «مجمع الزَّوائد»[٣]، وقال: رواه الطبراني، عن محمَّد بن إسحاق وهو مدلِّس، عن محمَّد بن طلحة ولم أعرفه.

قلتُ: الَّذي يظهر لي أنَّ محمَّد بن طلحة هذا هو ابنُ يزيد بن ركانة، وثَّقه ابنُ مَعين وجماعة، كما قال الذَّهبيُّ في «الكاشف»[٤]، والذي توقعته قد ورد، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصَّحابة»: أن يحيىٰ بن سعيد الأموي[٥]،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٨٩)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨٥): «ورواه الطَّبرانيُّ بإسنادٍ جيِّد».

(٢) انظر: «مجمع الزَّوائد» (٨/ ١٣٨).

(٣) انظر: «مجمع الزَّوائد» (٨/ ١٣٨).

(٤) انظر: «الكاشف في معرفة مَن له رواية في الكتب السِّتَّة» للذَّهبيّ (٢/ ١٨٣).

(٥) يحيىٰ بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي، أبو أيُّوب الكوفيّ، نزيل بغداد، لقبه: الجمل، صدوق يُغرب، من كبار التَّاسعة، مات سنة (١٩٤)، وله ثمانون سنةً. اهـ «تقريب».

رواه عن ابن جريج[١] عن محمَّد بن طلحة[٢] بن يزيد بن ركانة، عن أبيه[٣]، عن معاوية بن جاهمة قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ... الحديث، أخرجه البغويُّ، عن شُريح بن يونس، عن الأموي، ثُمَّ رواه من طريق حجَّاج بن محمَّد[٤]، عن ابن جريج، فخالف في نسب محمَّد بن طلحة، فقال: عن محمَّد بن طلحة[٥] بن عبد الله بن عبد الرَّحمن عن أبيه[٦] طلحة، عن معاوية بن جاهمة، أنَّ جاهمة جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ... الحديث، وهو الصَّحيح أنَّ محمَّد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر، وهو صدوق، كما قال الحافظُ[٧].

وهناك اختلافٌ آخرُ في السَّائل: هل هو معاويةُ بن جاهمة، كما أورده الإمام أحمدُ في مسند معاوية، أو هو جاهمة كما في بعض الرِّوايات؟

وهذا الاختلافُ لا يضرُّ؛ فإنَّ معاويةَ وأباه جاهمة وجدّه العبَّاس بن مرداس صحابة كلّهم، كما قال الحافظ ابنُ حجر، والحديث صحيحٌ؛ صحَّحه الحاكم،

(١) ابن جُريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكّي، ثقةٌ فقيهٌ فاضلٌ، كان يدلّس ويرسل، من السَّادسة، مات سنة مئة وخمسين أو بعدها. «تقريب»، ت (٤١٩٣).

(٢) محمَّد بن طلحة بن يزيد بن ركانة المطَّلبي المكّي، ثقة من السَّادسة، مات في أوَّل خِلافةِ هشام بالمدينة، «تقريب» (٥٩٨٣).

(٣) عن أبيه، هو طلحة بن يزيد بن رُكانة، لم أجد له ترجمة.

(٤) حجَّاج بن محمَّد المصيصي، أبو محمَّد، ترمذي الأصل، نزل بغداد، ثمّ المصيصة، ثقة ثبت، من التَّاسعة، لكنَّه اختلط في آخر عُمره لما قدم بغداد قبل موته، مات ببغداد سنة مئة وستٍّ وثمانين، «تقريب»، ت (١١٣٥).

(٥) محمَّد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق، صدوق، من السَّادسة، مات بعد المئة. «تقريب»، ت (٥٩٧٩).

(٦) طلحة بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق التيمي المدني، مقبول، من الثَّالثة، «تقريب»، ت (٣٠٢٣).

(٧) انظر: «الإصابة» (١/ ٤٤٧).

ووافقه الذَّهبي، وحسَّنه الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرواء الغليل»، وصحَّحه في «صحيح ابن ماجه»[(١)]، وقد ورد في رواية عن محمَّد بن طلحة، عن أبيه طلحة بن معاوية بن جاهمة، قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ.

وحقَّق ابنُ حجر في «الإصابة» أنَّ نسبةَ طلحةَ إلىٰ معاوية بن جاهمة غلطٌ نشأ عن تصحيف، وذلك أنَّ (عن) تصحَّفت، فصارتْ (ابن)، والحقيقة أنَّه ليس بين طلحة وبين معاوية قرابة[(٢)]، وبالله التَّوفيق.

وعن نعيم[(٣)] مولىٰ أمِّ سلمةَ قال: خَرَجَ ابنُ عمرو حَاجًّا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمدِينَةِ، أَتَىٰ شَجَرَةً عَرَفَهَا فَجَلَسَ تَحْتَهَا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ شَابٌّ مِنْ هَذِهِ الشِّعْبَةِ حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي جِئْتُ لأُجَاهِدَ مَعَكَ فِي سَبيلِ اللهِ، أَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ والدَّارَ الآخِرَةَ! قَالَ: «أَبَوَاكَ حَيَّانِ كِلاهُمَا؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ بِرَّهُمَا». فانْفَتَلَ رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ. رواه أبو يعلىٰ[(٤)]، وفيه ابن إسحاق[(٥)] وهو مُدلِّس ثقةٌ، وبقيَّة رجالِه رجالُ الصَّحيح إنْ كان مولىٰ أمِّ سلَمة ناعمًا، وهو

(١) انظر: «إرواء الغليل» (٥/ ٢١)، و«صحيح ابن ماجه» (٢٢٤١).

(٢) انظر: «الإصابة» (١/ ٤٤٧).

(٣) نعيم، لم أجد له ترجمة، وقال عنه الهيثمي في «مجمع الزَّوائد»: مجهولٌ، والحديث معروف من طريق ناعم مولىٰ أمِّ سلمة، وناعم تقدَّمت ترجمته قريبًا.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (١٠/ ٨٧ - ٨٨) (٥٧٢٤). لكن من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والصَّواب: ابن عمْرو. انظر: «الفرائد علىٰ مجمع الزَّوائد» (ص٢٧٢ - ٢٧٣ دار الإمام البخاري).

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطَّلبي مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلِّس، ورمي بالتَّشيُّع والقدر، مِن صِغار الخامسة، مات سنة مئة وخمسين، «التقريب»، ت (٥٧٢٥).

الصَّحيحُ، وإنْ كانَ نُعيمًا فلمْ أعرفه[(١)]. اهـ. من «مجمع الزَّوائدِ»[(٢)].

وأقولُ: هذه الأحاديثُ علىٰ ما في بعضها مِن مقالٍ، إلَّا أنَّها علىٰ كثرتها تؤيِّد حديثَي عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو في «الصَّحيحين» في تقديم برِّ الوالدين علىٰ الجهاد، وتبيَّنَ من هذا السِّياق وهذا العرض للأحاديث الَّتي سبق ذكرها أنَّ ذلك الحديث الَّذي ذكره الحافظ في «الفتح» شاذٌّ، لا يُؤخذ به مع هذه الأحاديث الكثيرة، وإن سلكْنا مسلكَ التَّرجيح فهذه الأحاديث راجحةٌ لكثرتها وورود بعضِها في «الصَّحيحين»، والله أعلمُ، وبه التَّوفيق.



---

(١) قلتُ: أخرجه أحمد في «المسند» من طريق محمَّد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ناعم مولىٰ أمِّ سلمة، عن عبد الله بن عمرو، بقريب من هذا اللَّفظ (٢/ ١٦٣) (٦٥٢٥).

(٢) (٨/ ١٣٨).

فصلٌ
في ذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة

قال في «المغني»: مسألة (٧٤٣١): «(إذا كان أبواه مسلمين لم يُجاهد تَطَوُّعًا إلَّا بإذنهما)، روي نحو هذا عن عمر وعثمان.

وبه قال مالكٌ والأوزاعيُّ والثَّوريُّ والشَّافعيُّ وسائرُ أهل العلم»، ثُمَّ ذكَر حديثَ عبد الله بن عَمْرو بن العاص الذي سبق أن ذكرناه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، ثمَّ قال: «وعن ابن عبَّاس عن النَّبيِّ ﷺ مثله - يعني: مثل حديث عبد الله بن عمرو - رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح»[(١)].

قلتُ: هذا وهمٌ من ابن قُدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، ولعلَّه كتبَه مِن حِفظِه؛ فإنَّ التِّرمذيَّ أخرج حديثَ عبد الله بن عمرو في الجهاد، باب: فيمَن خرَج إلىٰ الغزو وترك أبويه، ثُمَّ قال: وفي الباب عن ابن عبَّاس، ثمَّ قال: هذا حديث حسن صحيح[(٢)]، وأبو العبَّاس: هو الشَّاعر الأعمىٰ المكي، واسمه: السَّائب بن فروخ، وقول الترمذي، هذا حديث حسن صحيح، إنما أراد به حديث عبد الله بن عمرو، ولم يقصد به حديث ابن عبَّاس، وحتَّىٰ صاحب «تحفة الأحوذي» لم يُخرِّج حديث ابن عباس في شرحه رغم أنه تتبع ما أمكنه من أحاديث الصَّحابة الَّذين يشير

(١) انظر: «المغني» (١٠/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «سنن التِّرمذي» (١٦٧١).

إليهم الترمذي بقوله: وفي الباب: عن فُلان وفُلان؛ بل قال في «التُّحفة»: «وفي الباب عن ابن عبَّاس؛ لينظر من أخرجه»(١).

وقال في «المغني» بعد ذكر الأحاديثِ الواردة في ذلك: «ولأنَّ بر الوالدينِ فرض عين، والجهاد فرض كفاية، وفرض العين يُقدم.

فأمَّا إنْ كان أبواه غيرَ مُسلمين فلا إذْنَ لهما، وبذلك قال الشَّافعيُّ.

وقال الثَّوريُّ(٢): لا يَغزُو إلَّا بإذنهما لعُموم الأخبار، ولنا: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ كانوا يجاهدون، وفيهم من له أبوان كافران من غير استئذانهما؛ منهم أبو بكر الصِّدِّيق وأبو حذيفة... إلىٰ أنْ قال...: وإذا خُوطب بالجهادِ فلا إذْن لهما.

وكذلك كلُّ الفرائض، لا طاعةَ لهما في تَرْكِهَا؛ يعني: إذا وجب عليه الجهاد لم يعتبر إذن والديه؛ لأنَّه صارَ فرضَ عين، وتركه معصيةٌ، ولا طاعةَ لأحدٍ في معصية الله، وكذلك كلُّ ما وجب مثل الحجّ، والصَّلاة في الجماعة والجُمَع، والسَّفر للعلم الواجب. قال الأوزاعيُّ: لا طاعةَ للوالدين في ترْك الفرائض والجُمَع والحجِّ والقِتالِ؛ لأنَّها عبادةٌ تعيَّنتْ عليه، فلم يُعتبر إذنُ الأبوين فيها كالصَّلاة؛ ولأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولم يشترط إذن الوالدين». اهـ(٣).

---

(١) «تحفة الأحوذيّ» (٥/ ٢٥٧).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيهٌ عابدٌ، إمامٌ حجَّةٌ، من رؤوس الطَّبقة الخامسة، وكان ربَّما دلَّس، مات سنة إحدىٰ وستِّين ومئة، وله أربع وستُّون سنةً. اهـ. «تقريب»، ت (٢٤٤٥).

(٣) «المغني» (٨/ ٣٥٩).

وقال في «اختلاف الأئمَّة العُلماء» لابن هُبيرة: «واتفقوا على أن من لم يتعين عليه الجهاد؛ فإنه لا يخرج إلا بإذن أبويه إن كانا حيَّين مسلمين، وكذلك إذا كان عليه دَين فليس له أنْ يُسافر إلَّا بإذن غريمِه»[١].

وقال القرطبيُّ[٢] في «بداية المجتهد»: «وأمَّا كونُ هذه الفريضةِ تختصُّ بالأحرار فَلَا أعلمُ فيه خِلافًا، وعامَّة العُلماء متَّفقون على أنَّ مِن شرْط هذه الفريضةِ إذْنُ الأبوينِ فيها، إلَّا أنْ تكونَ فرضَ عينٍ عليه، مثل ألَّا يكون هناك من يقوم بهذا الفَرْض إلَّا بقيام الجميع به، والأصلُ في هذا: ما ثبَتَ أنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إنِّي أُرِيدُ الجِهَادَ، قَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

واخْتَلفُوا في إذن الأبوين المشركين، وكذلك اختلفوا في إذن الغريم إذا كان عليه دَينٌ؛ لقوله ﷺ لما سأله رَجُلٌ: أَيُكَفِّرُ عَنِّي خطَايَايَ إنْ مِتُّ صَابِرًا مُحْتَسِبًا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إلَّا الدَّيْنَ، كَذَلِكَ قَالَ لي جِبْرِيلُ آنِفًا»[٣].

والجمهورُ على جواز ذلك، وبخاصَّة إذا خلَّف للدَّيْن وفاءً»[٤]. انتهى.

---

(١) «اختلاف الأئمَّة العُلماء» (٢/ ٣٠٠).

(٢) القرطبيُّ: هو محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن رشد، الشَّهير بالحفيد، مِن أهل قُرطبةَ، وقاضي الجماعة بها، وُلد سنة عشرين وخمس مئة، وعني بالعلم منذ صغره إلى كبره، قيل: إنَّه لم يدع النَّظر ولا القراءة مِن حين عقَل، إلَّا ليلةَ وفاة أبيه، وليلة بنائه بأهله، توفِّي سنة (٥٩٥). «الديباج» (٢/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٣) (١٥٠٥٢) من طريق عبد الله بن محمَّد بن عقيل، عن جابر، وفي لفظه مخالفة عن هذا اللَّفظ، وهو: «إلَّا أَنْ تَدَعَ دَيْنًا لَيْسَ لَكَ وَفَاءٌ لَهُ»، وسنده حسنٌ إن كان عبد الله بن محمَّد بن عقيل قد سمِع مِن جابر.

(٤) «بداية المجتهد» (٢/ ٣٦٨).

وقالَ البغويُّ في «شرح السُّنَّة» بعد أنْ ذكَر حديثَ عبدِ الله بن عَمْرو في «الصَّحيحَين» وغيرهما في باب: لا يجاهد إلَّا بإذْن أبويه، مِن كتاب الجِهاد (١٠/ ٣٧٨):

«هذا في جهاد التَّطوُّع، لا يخرج إلَّا بإذْنِ الأبوَين إذا كانا مسلمَين، فإن كان الجهاد فرضًا متعينًا فلا حاجة إلىٰ إذنهما؛ وإنْ منعاه عصاهما وخرج، وإن كان الأبوان كافرين فيخرج دون إذنهما؛ فرْضًا كان الجهادُ أو تطوُّعًا.

وكذلك لا يخرج إلىٰ شيء من التَّطوُّعات كالحجِّ والعُمرة والزِّيارة، ولا يصومُ التَّطوُّع إذا كره الوالدان المسلمان أو أحدهما إلَّا بإذنهما، وما كان فرضًا فلا يحتاجُ فيه إلىٰ إذنِهما، وكذلك لا يخرج إلىٰ جهادِ التَّطوُّع إلَّا بإذن الغُرماء إذا كان عليه دَين عاجلٌ، كما لا يخرج إلىٰ الحجّ إلَّا بإذنهم، فإنْ تعيَّن عليه فرض الجهاد لم يعرّج علىٰ الإذن»[1]. انتهىٰ.

وقد أفتىٰ بعض المُفتين في هذا الزَّمان بجواز خروج الولد للجهاد في هذا الزَّمان بدون إذن والديه، زاعمًا أنَّ هجوم الكفَّار علىٰ بلد مِن بُلدان المسلمين يَنقل حُكم الجهاد مِن فرض الكفايةِ إلىٰ فرض العين، وزعَم أنَّ الاتِّفاق حاصلٌ علىٰ أنَّ الإذنَ لا يلزم الولد ولا الزَّوجة في مثل هذه الحالة، بل يجوز للولد أنْ يخرج بغير إذن والديه، ويجوز للزَّوجة أنْ تخرج بغير إذن زوجها، هذا ما صرَّح به الدُّكتور عبد الله عزَّام في كتابه المسمَّىٰ: **«الدِّفاع عنْ أراضِي المسلِمِين أهمّ فُروض الأعيان»** (ص ٣٦)، وإليك نصُّ كلامِه:

«استئذانُ الوالدين والزَّوج والدَّائن: يتوقَّف حُكم الاستئذان علىٰ حالة العدوِّ:

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٣٧٨).

أ - فإنْ كان في بلاده ولا يحشد علىٰ الثُّغور، وليس هناك أثر علىٰ بلاد المسلمين - فالثُّغور مشحونةٌ بالجُند - ففي هذه الحالة الجهاد فرض كفاية، ولابدَّ من الإذن؛ لأنَّ طاعةَ الوالدين والزَّوج فرضُ عين، والجهاد فرضُ كفاية، وفرض العين مُقدَّم علىٰ فرض الكِفايةِ.

وإنْ هجَم العدوُّ علىٰ ثغر مِن ثُغُور المسلمين، أو دخلوا بلدة إسلاميَّة فهنا - كما ذكرنا - يُصبح الجهادُ فرضَ عين علىٰ أهل تلك البلدةِ ومَن حولها، وفي هذه الحالة يسقطُ الإذنُ، فلا إذنَ لأحدٍ علىٰ أحدٍ حتَّىٰ يخرج الولد مِن دون إذن والدِه، والزَّوجة دون إذن زوجها، والمدين دُون إذْن الدَّائن.

وتبقىٰ حالةُ سُقوط استئذان الوالدَين والزَّوج مستمرَّة حتَّىٰ خروج العدوّ مِن أرض المسلمين، أو يتجمَّع عدد فيهم الكفاية لإخراج العدوّ ولو اجتمع كلّ المسلمين في الأرض». انتهىٰ. **والجواب علىٰ هذا مِن وُجوهٍ:**

أوَّلها: أنَّ الواجبَ علىٰ أهل العلم أن يَبنوا كلَّ فتوىٰ يُفتون بها علىٰ أساسٍ من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ؛ لأنَّهم يقولون عن الله ورسوله، ويوقِّعون عنهما، فما هو عُذر العبد حين يسأله ربُّه علىٰ أيِّ شيءٍ استندتَ في قولك: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ؟

ثانيًا: أن الأحكام الشَّرعيَّة قد استقرَّتْ عند نزول الوحي ووفاة النَّبيِّ ﷺ قبل نسخها، فمَن رَامَ تغيير شيءٍ منها عمَّا كان عليه عند وفاة النَّبيِّ ﷺ فقد ظلَم نفسَه، وأدخل في الشَّرع ما ليس منه.

ثالثًا: وبناءً علىٰ ذلك نقول: ما كان في عهد النَّبيّ ﷺ فرض كفاية، فهو فرض كفاية إلىٰ يوم القيامة، وما كان في عهد النَّبيّ ﷺ فرض عين، فهو فرض عين إلىٰ يوم القيامة.

رابعًا: سبَق الاستدلال علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية لا فرض عين بما فيه مقنع لمن يريدُ الحقَّ، ومِن أصرح الأدلَّة علىٰ أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية لا فرض عين: ما رواه البخاريُّ في باب: ما جاء في درجات المجاهدين، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ باللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ ! قَالَ: «إِنَّ فِي الجِنَّةَ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ». الحديث[1].

فهل يستطيعُ أحدٌ يعقل ما يقول أنْ يقول: إنَّ الجهادَ تحوَّل الآن مِن فرض كفايةٍ إلىٰ فرض عينٍ؟

خامسًا: وقد ذكَر الفقهاءُ أنَّ الجهادَ يَتعيَّنُ في ثلاثةِ مواضع:

١ - يجب علىٰ مَن حضر المعركة أن يُقاتِلَ، ويَحرُم عليه الفرار والانصراف.

٢ - يجب علىٰ مَنْ عيَّنه الإمام؛ لقوله ﷺ: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».

٣ - يجبُ علىٰ أهل البلد الَّتي داهمها العدوّ أنْ يخرجُوا جميعًا لقتاله، ولكن الوجوب يتَّجه إلىٰ أهل الوجوب في هذا الشَّأن وهم الرِّجال فقط، دون النِّساء والصِّبيان والأرقَّاء من أهل ذلك البلد، ومَن قرُب منهم، وقد حدَّده بعضُهم بمسافة القصر، فمَن زعم أنَّ دخولَ أيِّ بلدٍ من بلدان المسلمين في جميع أقطار الأرض يُوجب النَّفير علىٰ جميع المسلمين، فعليه الدَّليل الَّذي يلزم الخصم لصحَّته وصراحته، أمَّا مَنْ قال قولًا بلا دليل فيجب علينا أنْ نضربَ بقوله عرض الحائط.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٧).

سَادِسًا: سُقوط استئذان الوالدين وصاحب الدَّين إذا دخل العدوُّ البلد أمرٌ معقولٌ ومقبولٌ، أمَّا سقوط استئذان المرأة مِن زوجها، فهذا مما أدخله بعض الفقهاء بلا دليل، فالنِّساء لا يجبُ عليهنَّ الجهاد، وفي الحديث الصَّحيح أنَّ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ للنَّبيِّ ﷺ: هَلْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لا قِتَالَ فِيهِ؛ الحَجّ وَالعُمْرَة»[1].

فمَن زعَم أنَّ عليهنَّ جهادًا فقد ناقضَ رسولَ الله ﷺ في قوله وحُكمه.

سابعًا: إذا علمتَ هذا تبيَّن لك أنَّ قول الدُّكتور: «وتبقى حالةُ سُقوط استئذان الوالِدَين والزَّوج مُستمرَّة حتَّى إخراج العدوِّ مِن البلد» باطلٌ مِن أحدِ وجهَيه، وهو سُقوط استئذان الزَّوجة مِن زوجها؛ لأنَّ المرأة لا جهاد عليها، ومن أباح لها أنْ تخرج بغير إذن زوجها فقد أوجبه عليها، وليستْ الأحكام الشَّرعيَّةَ لُعبةً في أيدينا نُوجبها علىٰ مَن شئنا، ونُسقطُها عمَّن شِئنا.

ثامنًا: ويلزم من ذلك أنَّ المرأةَ آثمةٌ إنْ لم تخرج وتضيع أطفالها وبيتها وتعرض نفسها للأَسْرِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٩٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٠١)، وأخرجه البخاريُّ (٢٧٨٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، نُرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»، وقال ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» (١٦٩/٢): «باب: لا جهاد على النِّساء، عن سعيد بن عمرو القرشيِّ: أَنَّ أُمَّ كَبْشَةَ امْرَأَةً مِنْ عذرة قُضَاعَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا! قَالَ: «لا». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إنِّي لَيْسَ أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَ، إِنَّمَا أُدَاوِي الجَرْحَىٰ وَالمَرْضَىٰ وَأَسْقِي المَرْضَىٰ. قَالَ: «لَوْلا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً وَأَنْ فُلانَةَ خَرَجَتْ، لأَذِنْتُ لَكِ، وَلَكِنْ اجْلِسِي»، عزاه لابن أبي شيبة، وأبي يعلى، وقال المحقق: «قال الهيثميُّ: رواه الطَّبرانيُّ ورجاله رجال الصَّحيح».

تاسعًا: ويترتَّب علىٰ هذا تعطيل البيوت، والإلقاء بالنِّساء والأطفال إلىٰ العدوّ ليأسرهنَّ، ويعبثوا بهنَّ، وينتهكوا شرفهنَّ.

وقد استجهل دُريد بن الصِّمَّة رأيَ مالك بن عوف النَّصري حين أخرج معه النِّساء والأطفال في غزوة هوازن، وقال: «إنَّ المنهزمَ لا يَرُدُّه شيءٌ»[1].

والمهمُّ أنَّ القولَ بأنَّه يجوز للمرأة أن تخرجَ بغير إذْن زوجِها قولٌ باطلٌ أطلقه قائلُه بدون تفكير في الأمور، ولا نظر في العواقب، وقلَّده في ذلك من قلَّده، وقديمًا قيلَ:

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيولِ

عاشرًا: سقوط إذن الوالدين في حالة دخول العدوّ البلد إنّما يكون في حقّ أهل ذلك البلد ومَن قرُب منهم، أمَّا سائر المسلمين في بقاع الأرض فيبقىٰ حُكمهم علىٰ الأصل، فالجهادُ في حقِّهم فرضُ كفاية، ويجبُ استئذان الوالدَين فيه.

الحادي عشر: ونحن إذا قُلنا: يجبُ علىٰ الولد استئذان والديه في الجهاد، فإنَّما نقوله استنادًا إلىٰ الأدلَّة الصَّحيحة، ولم نَقُلْهُ بأهوائنا.

الثَّاني عشر: وإذا قُلنا: إنَّ دخولَ أيّ بلدٍ إسلاميٍّ في أطراف الأرض يُحوِّل حكم الجهاد من فرض كفاية إلىٰ فرض عين، فقد قلنا علىٰ الشارع ما لم يقله، وأوجبنا في الدِّين ما لم يكُن واجبًا.

الثَّالث عشر: ويلزم علىٰ ذلك النفير علىٰ جميع المسلمين، وهو أمر لا يُطاق، والله تعالىٰ أرحم بعباده من أن يُكلّفهم ما ليس في وُسعهم ولا في طاقتهم؛

---

(١) انظر: «البداية والنِّهاية» لابن كثير (٤/ ٣٢٢)، طبع دار الكتب العلميَّة، بيروت.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الرَّابع عشر: إذا كان مَن أفتى بهذه الفتوى يريدُ بها تكثير المجاهدين فقد أخطأ؛ فإنَّ المسلمين لا ينتصرون على عدوِّهم بكثرة العدَد ولا بكثرة العُدَّة؛ بل قد تكونُ الكثرةُ سببًا في الفشَل إذا كانوا مِن غوغاءِ النَّاس الَّذين لا يحرصون على طاعةِ الله؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

الخامس عشر: أنَّ استنزالَ النَّصر لا يكون بشيء مثل طاعةِ الله ومتابعة شرعه الَّذي شرعه على لسان رسوله ﷺ، وكثرة دعائه، واللُّجوء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فكم يصنعُ الله لأوليائه مِن أمور تُذهلُ العقلَ، ويعجز عنها البشر، ومَن قرأ التَّاريخَ ظهر له مِن ذلك عجائبُ.

ومِن ذلك ما كتبه الدُّكتورُ نفسُه في كتابه: «آيات الرَّحمن في جهاد الأفغان».

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك نماذج امتنَّ بها على عباده منها: الآيةُ الَّتي سبَق ذكرُها في حُنين: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وحكى اللهُ ذلك عمَّن سبقَنا مِن الأُمم، بصيغةٍ تدلُّ على أنَّه أمرٌ مُستقرٌّ في نفوسهم؛ لكثرة ما رأوه وكثرةِ ما تكرَّر؛ قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إلَّا أنَّ هذا لا ينفي وجود ابتلاءات يبتلي اللهُ بها عبادَه بسبب ذنوب اقترفوها، ثُمَّ تكون العاقبة لهم إنْ صبرُوا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

السَّادس عشر: ونقول أخيرًا: كيف لزم الإذنُ في عهد النَّبيِّ ﷺ والكفَّار محيطون به من كلّ جانب، ولم يلزم الآن؟ !

فإنْ قيل: إنَّ الآباء والأمَّهات في عهد النَّبيِّ ﷺ كانوا يعرفون قدر الجهاد فيسمحون لأبنائهم.

فالجواب علىٰ هذا: أنَّ الأعراب الَّذين جاؤوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يستأذنونه لا يتبادر إلىٰ الذِّهن أنَّ آباءَهم كانوا علىٰ درجةٍ من الوعي والفقه في الدِّين بمنزلة الصَّحابة الذين كانوا بالمدينة؛ بل كانوا علىٰ حال من الجفاء والجهل؛ كحال الكثيرين من المسلمين الآن، وفي كتاب الله شاهد علىٰ ذلك حيث يقول: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٩٧].

ولعلَّ قائلًا يقول: فما هو الحلُّ إذن؟

وأقولُ: إنَّ الواجب علىٰ أهل العلم أنْ يُوَعُّوا عامَّة المسلمين ويُبيِّنُوا لهم مزيَّة الجهاد وعواقبَه الحميدة في الدُّنيا والآخرة بواسطة الخطب والنَّدوات

والتَّدريس في الحلقات، ووسائل الإعلام المرئيَّة والمسموعة والمقروءة، وحينئذٍ سنجد من الآباء والأمَّهات مَنْ يتجاوب رغبةً فيما عند الله، وحبًّا في الدَّار الآخرة، والله وليُّ التَّوفيقِ.



فصلٌ

أمّا مَن يقولُ: إنَّ الاستئذانَ لا يجبُ إلَّا إذا كان الولد وحيدَ أبويه، أمَّا إذا كان للوالدَين أبناء غيره يقومون ببرّهما؛ فإنه لا يلزم الاستئذان علىٰ الولد الذي يريدُ الجهاد نظرًا لاستغناء الوالدين عنه بالأبناء الآخرين، **فأقول:**

أوَّلًا: إنَّ هذا رأيٌ في مقابل النَّصِّ، والرَّأيُ إذا عارض النَّصَّ يُلغَىٰ.

ثانيًا: أنّ البرَّ مطلوبٌ من جميع الأبناء؛ لأنَّه فرضُ عين عليهم، ولو قُلنا: إنَّ بعضَهم يكفِي عن بعض في البرِّ جعلْناه فرضَ كفاية، وذلك خلاف ما دلَّت عليه النُّصوصُ، وانعقدَ عليه الإجماع، وقد قال النَّبيُّ ﷺ لبشير بن سعْد[1] لما أراد تفضيل بعض ولدِه علىٰ بعض: «**أَلَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي البِرِّ سَواءً؟**»[2]، وفي رواية مسلم: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيكَ فِي البِرِّ سَوَاءً؟**»[3].

وقد دلَّ هذا الحديث علىٰ أنَّ البرَّ مِن بعضهم لا يكفي عن البعض الآخر؛ بل البرُّ مطلوبٌ مِن الأولاد جميعًا، كما أنَّ العدلَ مِن الوالدَين مطلوبٌ لهم جميعًا.

ثالثًا: ونحن نقول: ليس البرُّ هو الخدمةُ فقطْ؛ بل البرُّ هو إيصالُ الإحسانِ

---

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجُلَاس - بضمِّ الجيم وتخفيف اللَّام - الأنصاريّ الخزرجي، صحابيٌّ جليلٌ، بدريٌّ، استشهد بعين التَّمر. اهـ «تقريب»، ت (٧١٤).

(٢) أخرجه الدَّارقطنيُّ في «سننه» (٢٩٦٢)، وابن ماجه (٢٣٧٥) بلفظ: «أَلَيسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي البِرِّ سَوَاءً»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (١٩٢٢).

(٣) أخرجه مسلمٌ (١٦٢٣) من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

إليهم أيًا كان نوعُه، وكفُّ الأذى عنهم أيًا كان أسلوبُه.

ومِن الإحسان إليهم أنْ يبقَىٰ الولدُ قريبًا منهم؛ فتستريح نفوسُهم برؤيته، ومِن الأذىٰ أنْ يغيبَ عنهم بدون إذن منهم؛ فتتألم نفوسُهم، ويتنغص عيشُهم بغيابه، ومعصيته.

رابعًا: قد قُلنا: إنَّ الاستئذانَ لا يلزمُ إلَّا في جهاد التَّطوُّع الَّذي هو تطوُّع بالنِّسبة للأعيان وفرض كفاية بالنِّسبة لعُموم الأمَّة، أمَّا إذا صار الجهادُ فرضَ عينٍ بواحدةٍ مِن الحالات الثَّلاث فلا يلزمُ الاستئذانُ، وبالله التَّوفيقُ.



فصلٌ

في المواضع الَّتي يتعيَّن فيها الجهادُ

وقد ذكَر أهلُ العِلم أنَّ الجهادَ يتعيَّنُ في ثلاثةِ مواضعَ:

الموضعُ الأوَّل: يتعيَّن القتال علىٰ مَن حضر المعركةَ ولو لم يحضر لقتالٍ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

قال في «اختلاف الأئمَّة العُلماء» لابن هُبيرة: «واتَّفقُوا أنَّه إذا اِلْتقَىٰ الزَّحفان وجَبَ علىٰ المسلمين الحاضرين الثَّباتُ، وحَرُم عليهم الانصرافُ والفِرارُ إذْ قد تَعيَّن عليهم، إلَّا أنْ يكونَ مُتحرِّفًا لقتالٍ، أو مُتحيِّزًا إلىٰ فئةٍ»(١).

وقال ابنُ قُدامةَ في «المغني»: «فصل: ويَتعيَّنُ الجهادُ في ثلاثةِ مواضعَ: أحدها: إذا التقىٰ الزَّحفان، وتقابل الصَّفَّان؛ حَرُمَ علىٰ مَن حضر نصراف، وتعيَّن عليه المقام، - واستدلَّ بالآيتين السابقتين -. »(٢).

الموضع الثَّاني: إذا نزلَ الكُفَّار ببلد تعيَّن علىٰ أهله قتالُهم ودفعُهم(٣).

---

(١) ختلاف الأئمَّة العُلماء» (٢/ ٣٠٠).

(٢) مغني» (١٠/ ٣٦١).

(٣) جع السابق.

وفي «تفسير القُرطبيّ»: «وقد تكون حالةٌ يجبُ فيها نفيرُ الكلِّ، وذلك إذا تعيَّن الجهادُ بغلبةِ العدوِّ على قُطرٍ مِن الأقطارِ أو بحُلوله بالعُقْر، فإذا كان ذلك وَجَبَ على جميع أهل تلك الدَّار أنْ ينفرُوا ويخرجُوا إليه خِفافًا وثِقالًا؛ شبابًا وشيوخًا، كلٌّ على قدْر طاقتِه؛ مَنْ كان له أبٌ بغير إذنه، ومَن لا أبَ له، ولا يتخلَّف أحدٌ يقدرُ على الخُروج، مِن مُقاتِل أو مُكثِّر، فإنْ عجز أهلُ تلك البلدةِ عن القِيام بعدوِّهم كان على مَن قاربهم وجاورهم أن يَخرُجوا على حسب ما لزم أهلَ تلْكَ البلدةِ، حتَّىٰ يعلمُوا أنَّ فيهم طاقةً على القيام بهم ومدافعتهم»(١).

الموضع الثَّالث: إذا استنفر الإمامُ قومًا أو عيَّن أشخاصًا تعيَّن عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

ولقول النَّبيِّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفتح، ولَكِنْ جِهادٌ ونيَّةٌ، وإذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانفِرُوا»(٢)(٣).



---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٠٧٧)، ومسلمٌ (١٣٥٣)، مِن حديثِ ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) «المغني» (١٠/ ٣٦١).

نقاشٌ مع الدُّكتور عبد الله عزَّام(١)

- حفظه الله وسامحه - حول عنوان كتابه:

«الدِّفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان»

وأقولُ ومِن الله أستمدُّ العَونَ: إنَّ الدُّكتور - سامحه اللهُ - قد جعَل الجهادَ بهذا العنوان أهمَّ مِن الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم الَّتي لا يتمُّ إسلامُ عبدٍ إلَّا بها، والَّتي قد جعلَها النَّبيُّ ﷺ شروطًا في دخول الجنَّة بعد الإيمان بالله وبرسوله، وإنَّما سكَت النَّبيُّ ﷺ عن الزَّكاة في هذا الحديث؛ لأنَّها قدْ لا تجبُ علىٰ كثير مِن النَّاس لعدم وجود سَببها وهو النِّصابُ، وذكر ما يجبُ علىٰ كلِّ مكلَّف وهو الصَّلاة والصَّوم، فعدم ذكرها في هذا الحديث لا يدلُّ علىٰ عدم اشتراطها؛ بل هي قرينةُ الصَّلاة، ما ذُكرتِ الصَّلاةُ في موضع مِن القُرآن إلَّا وذُكرتْ الزَّكاةُ معها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البيِّنة: ٥]، ولذلك قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واللهِ، لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَينَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ»، والحديثُ هو ما رواه البخاريُّ في باب درجات المجاهدين برقم (٢٦٣٧ البغا) (٢٧٩٠)، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ؛ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي**

(١) كانت كتابةُ هذا النِّقاش قبلَ وفاةِ الشَّيخ عبد الله عزَّام رَحِمَهُ اللَّهُ.

الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ»... إلخ.

فقد جعَل النَّبيُّ ﷺ الصَّلاةَ والصَّومَ أهمَّ الفرائض الَّتي تجبُ على كلِّ مُكلَّف، ورتَّب عليهما دخول الجنَّة؛ بل أخبرَ أنَّ مَن فعل ذلك كان حقًّا على الله أن يُدخِلَه الجنَّة، ولما قال الصَّحابةُ الَّذين سمِعُوه: أفلا نُبشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ».

وكأنَّه يقول: دعُوا النَّاس يتسابقون إلى هذه الدَّرجات بما يُقدِّمونه مِن الجهاد والتَّضحية في سبيل الله لينالَ كلُّ واحد منهم الدَّرجة الَّتي يُيسِّرها الله له، حسَب ما قدَّم مِن جهادٍ وتضحيةٍ لله وفي سبيل الله.

ثانيًا: يلزمُ مِن هذه التَّسمية تكفيرُ مَن لم يجاهدْ؛ لأنه جعَل الجهادَ أهمَّ مِن الصَّلاة، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أطلق اسم الكُفر على تارك الصَّلاة في حديثَين صحيحَين:

أحدهما: حديث جابر عند مُسلم بلفظِ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(١).

وثانيهما: حديث بُريدةَ عند الأربعةِ إلَّا أبا داود بلفظ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(٢)، فمَن جعَل الجهادَ أهمَّ مِن الصَّلاة لزِمه في تركه ما يلزم في ترْك الصَّلاة.

ثالثًا: إن كنَّا ننطلق في تحديد الأحكام الشَّرعيَّة وترتيبها من أهوائنا فلنقل ما شئنا، ولنحدِّد بما أردنا، ولنقدِّم ولنؤخِّر كيفما لذَّ لنا، وإن كنَّا ننطلقُ في تحديدها

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٢١)، والنَّسائيُّ (٤٦٣)، وابنُ ماجه (١٠٧٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سُنن ابن ماجه» (١٠٧٩).

والتَّقديم والتَّأخير فيها مِن الدَّلالة نفسها فعلينا أنْ نقرأ الأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة، ونؤلِّف بينها بطريقةٍ علميَّةٍ، ثمَّ نحكم بعد ذلك.

رابعًا: ونحنُ نقولُ: إنَّ الجهادَ أفضلُ الأعمال، وأرفعها درجةً، وأكثرها ثوابًا، والأدلَّة على ذلك كثيرة، منها قوله ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يَعْدِلُ صِيَامَ شَهْرٍ وَقِيَامَهُ»[1].

ومنها: قوله ﷺ لما قال له قائلٌ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ: «لَا أَجِدُهُ». ثُمَّ قال للسَّائل: «أَتَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ محْرَابَكَ فَتُصَلِّيَ فَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ فَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا صَومٍ حَتَّىٰ يَعُودَ المجَاهِدُ إِلَىٰ أَهْلِهِ»[2].

ولكن مثل هذه الأحاديث محمولة علىٰ صلاة النَّفل وصيام النَّفل، أمَّا الفريضةُ فلا يعدلُها ولا يسدُّ مَسدَّها جهادٌ ولا غيرُه، وبالله التَّوفيقُ.



(١) أخرجه مسلم (١٩١٣) بلفظ: «رِبَاطُ يَومٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ». قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟».

فصلٌ

وأمَّا قوله في صفحة (٤٥) مِن كتابه المذكور: «هل نستطيع تطبيق هذه الفتوىٰ اليوم؟ قد يقول قائل: بعد أنْ علمْنا أنَّ الجهادَ فرضُ عين، وأنَّ الجهادَ فرضٌ كالصَّلاة والصِّيام؛ بل الجهاد بالنَّفس مقدَّم علىٰ الصَّلاة والصِّيام، كما يقول ابن تيمية[١]: فالعدوُّ الصَّائل الَّذي يفسدُ الدِّين والدُّنيا لا شيءَ أوجب بعد الإيمان من دفعه، فالصَّلاة تؤخَّر وتجمع، وتختصر ركعاتها، أو تغيِّر هيئتُها بوجود الجهاد، وفي الصَّحيحين: «مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَىٰ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ»[٢]، والمجاهدُ يُفطر في رمضان... ». إلىٰ آخر ما قال.

وأقول:

أَوَّلًا: هذه مبالغةٌ مِن الدُّكتور - سامحه الله - فمِن أينَ علِمْنا أنَّ الجهادَ فرضُ عين، وما هي الأدلَّة الَّتي أوردها مِن الكتاب وصحيح السُّنَّة حتَّىٰ نعتمد

(١) ابن تيمية: هو شيخ الإسلام تقيُّ الدِّين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيمية، وُلد في سنة (٦٦١)، ونشأ في بيت علم، وكان مغرمًا بالتَّحصيل، وقد آتاه الله قوَّةً في الحفظ، وصبرًا علىٰ الدَّأب، ولجوءًا إلىٰ الله في المشكلات حتَّىٰ فاق الأقران، وصار أعجوبة الزَّمان، وقد صدع بالحقِّ، وجاهد أهل البدع، وردَّ عليهم في كلِّ مجال، فلم يعجب ذلك أهلَ زمانه، حتَّىٰ بعض علمائهم وقضاتهم وكبرائهم، فأغروا به الدَّولة، وسجن عدَّة مرَّات إلىٰ أنْ ماتَ في السِّجن سنة (٧٢٨)، رحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في علِّيِّين. ابن كثير في «البداية» (ج١٤، ص١٤١)، وترجمه ابن العماد في «شذرات الذهب» (ج٦، ص٨٠ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١) واللفظ له، ومسلم (٦٢٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

عليها في الحُكم بأنَّ الجهادَ فرضُ عينٍ.

أمَّا الاستدلال ببعض الآيات دون الآيات التي تُبيِّنها وتُوَضِّح المرادَ منها فهو استدلالٌ ناقصٌ ومبتورٌ لا يعترفُ به أهلُ التَّحقيق.

ثانيًا: أقوال أهل العلم في الجهاد متَّفقة علىٰ أنَّه فرضُ كفايةٍ، ويتعيَّن في ثلاث حالات سبق أن بيناها، ومنها: إذا دخل العدوُّ البلد وجب علىٰ أهل ذلك البلد ومَن قرُب منهم أن يخرجوا جميعًا لقتال العدوِّ، وقد حدَّده بعضُهم بمسافة القصر، فكيف نفرضه فرضًا عينيًّا علىٰ جميع المسلمين في بقاع الأرض، ومِن أين يؤخذُ هذا القولُ، وما دليلُه؟

ثالثًا: إنَّنا لو أوجبنا الجهادَ وجوبًا عينيًّا علىٰ جميع المسلمين ثُمَّ نفرُوا جميعًا امتثالًا للأمر وتجنُّبًا لأسباب الإثم؛ لأدَّىٰ ذلك إلىٰ تفريغ أرضهم وتركها بدون حماية؛ ممَّا يُؤدِّي إلىٰ طمع العدوِّ فيها ودخولهم إيَّاها، وسبيهم لنساءِ أولئك المجاهدين وأبنائهم، فنكون بذلك قد حاولنا إنقاذ بلد وأضعنا بلدًا آخر أو بلدانًا أخرىٰ، أمَّا إن قلنا: إنَّ الجهاد فرض كفاية، وأَرْسَلنا من لا يضرُّ إرساله بالبلد المُعِين إلىٰ البلد المُعان، فسنكون قد احتطنا لحفظ هذا البلد وذاك، وامتثلنا أمر الله بإطلاق الحكم الذي يرضاه.

رابعًا: خروج جميع المسلمين إلىٰ بلد واحد ليُعينوا أهله أمر لا يُستطاع، والله تعالىٰ لا يكلف عباده ما لا يستطيعون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإذا كانوا لا يستطيعون ذلك، فإنَّه لا يَترتَّب عليهم إثمٌ، وبالله التَّوفيقُ.

خامسًا: تبيَّن ممَّا سبَق أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، والوجوب متَّجه علىٰ جميع

الأمَّة أن تخصّص كلّ فِرقة منهم طائفة للنَّفر في سبيل الله؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فإن تركوا ذلك وقصَّروا، أَثِموا جميعًا، والإثم يقع علىٰ أهل الحَلِّ والعَقْد منهم وذوي الاستطاعة الَّذين يتركون الوجوب مع القُدرة عليه ضنًّا بالنَّفس أو بالمال أو بهما معًا.

أمّا لو بذَل واحدٌ أو جماعةٌ المالَ، وخرَج واحدٌ بذلك المال؛ فإنَّهم يكونون جميعًا قد أدَّوا ما عليهم، وحازُوا رُتبةَ الجهاد؛ هذا بنفسِه، وهؤلاء بمالهم، وتعودُ المسألةُ إلىٰ كون الجهاد فرضَ كفاية، ومَن لم يستطع الذَّهاب بنفسه فأعانهم بماله كان قد أدَّىٰ أيضًا، واللهُ أعلمُ.



فصلٌ

وأمّا قولُه: إنَّ الجهادَ فرضٌ كالصَّلاة والصِّيام، بل الجهادُ بالنَّفس مُقدَّم علىٰ الصَّلاة والصِّيام.

فأقولُ: هذه مغالطةٌ مِن الدُّكتور - سامحه الله - ويتَّضحُ بطلان قوله من وجوه:

أوَّلها: أنَّ الجهادَ يُعذرُ فيه؛ فيسقط عن الأعمىٰ والأعرج والمريض، ونبَّه بالأعرج علىٰ الزَّمِن الَّذي لا يَستطيع المشي علىٰ رِجليه، وهو أولىٰ بالعُذر مِن الأعرج، ويسقط عن المرأةِ، والفقير الَّذي لا يجد النَّفقةَ، فهؤلاء يُعذرون مِن الجهاد، ولكنَّهم لا يُعذرون من الصَّلاة والصِّيام.

فمَن ترَكَ الصَّلاةَ مِن هؤلاء الَّذين يُعذرُون مِن الجهاد أو غيرهم، استُتيبَ؛ فإنْ تابَ وصلَّىٰ، وإلَّا قُتل حَدًّا أو كُفْرًا، علىٰ خِلافٍ.

ثانيًا: أنَّ الصَّلاةَ تركُها كفرٌ؛ للنُّصوص الواردة في ذلك، منها قوله ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(١)، وقوله: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(٢).

أمَّا الجهادُ فإنَّ ترْكَه لا يُؤدِّي إلىٰ الكُفر؛ للأدلَّة الشَّرعيَّة الَّتي تَنصُّ علىٰ ذلك، ولإجماع المسلمين علىٰ أنَّ ترك الجهاد لا يُعدُّ كفرًا، حتَّىٰ ولو كان ذلك

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٢) تقدَّم تخريجه قريبًا.

في حالة تَعيُّنِه؛ فمَن فرَّ من المعركة - مثلًا - من غير عُذر شرعيٍّ مقبولٍ، يكون قد أتىٰ كبيرةً مِن الكبائر، ولا يَكفرُ بإجماع المسلمين.

فإنْ قِيلَ: فكيف حُكم الله علىٰ المتخلِّفين عنْ الجهاد مع رسول الله ﷺ بالنِّفاق، وتوعّدهم بالخلود في النَّار؟

فالجوابُ: أنَّ أولئك قد ندبهم رسول الله ﷺ واستنْفرهم إلىٰ الجهاد معه، فتخلَّفوا عن ذلك شكًّا في رسالته، فكانوا بذلك كفَّارًا في الباطن، وإنْ أظهرُوا الإسلام، وهذا هو النِّفاقُ الاعتقاديُّ الَّذي يجعلُ اللهُ أصحابَه في الدَّرك الأسفل من النَّار.

ونحن نقولُ: إنَّ مَنْ شكَّ في كون جهادِ الكفَّار فرضَ كفايةٍ علىٰ المسلمين، أو شكَّ في أنَّ مَن قاتل الكفَّار ناويًا إعلاءَ كلمة الله فقُتِلَ أنَّه لا يكونُ شَهيدًا ولا يدخلُ الجنَّة، أو أنَّ الكفَّار الَّذين يموتون علىٰ الكفر لا يدخلون النَّار، فقد كفر؛ لأنَّه شكَّ في الحقائق الشَّرعيَّة الثَّابتة الَّتي لا تقبلُ التَّبديلَ ولا التَّغيير.

ثالثًا: أنَّ الصَّلاةَ والصِّيام غايةٌ، والجهاد وسيلةٌ، والغاية مُقدَّمة علىٰ الوسيلة، ولا تكون الوسيلة مقدَّمة علىٰ الغاية إلَّا إذا كانتْ طريقًا إليها؛ لذلك فإنَّها تجبُ علىٰ الصَّحيح والمريض، والأعمىٰ والمبصر، والرَّجل والمرأة، والسَّليم وذي العاهة.

أمَّا الجهاد فلا يجبُ إلَّا علىٰ الرَّجل الصَّحيح السَّليم مِن العاهات والواجد للنَّفقة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

رابعًا: أنَّ مَن قال: إنَّ الجهاد مقدَّم على الصَّلاة والصَّوم مُلزم أنْ يُرتِّب على ترك الجهاد مع القُدرة عليه ما يترتَّب على ترك الصَّلاة مِن الحُكم بالكُفر، ووجوب الاستتابة والقتل إن لم يتُب، وعدم التَّوارث بينه وبين قرابته، وعدم الصَّلاة عليه، وعدم الدَّفن في مقابر المسلمين، وهذا ما لا يستطيعون القول به إلَّا إذا أخذوا بمذهب الحروريَّة، والَّذي أقطع به أنَّ الشَّيخَ لا يقول بذلك أبدًا.

وأمَّا قوله عن ابن تيمية إنَّه قال (٤/ ٦٠٨): «فالعدوُّ الصَّائلُ الَّذي يُفسدُ الدِّين والدُّنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان مِن دَفْعِه»، هكذا في صفحة (٤٥) من كتاب «الجهاد أهمّ فروض الأعيان».

فأقولُ أوَّلًا: بالرُّجوع إلى «الفتاوى الكبرى» (ج٤) لم نجد هذا الرقم فيه، بل وجدت (ج٤) قد انتهى على رقم (٥٤٢)[1].

ثانيًا: هذا الكلامُ يُحمل على واحد مِن شيئَين:

الشَّيء الأوَّل: أنْ يُقالَ: الصَّلاةُ داخلةٌ في مُسمَّى الإيمان على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، فلا تكون العبارةُ صالحةً للاستدلالِ بها على تقديم الصَّلاة على الجهادِ.

الاحتمال الثَّاني: أنَّه إذا كان هناك صائلٌ قائمٌ على رأسك يُريدُ قتلَك وقد حانَتْ الصَّلاةُ؛ فإنَّ دفعَه أقدم مِن الصَّلاة؛ لأنَّك إذا اشتغلتَ بالصَّلاة استغلَّ الفُرصةَ وقتَلَكَ.

وأخيرًا: لو قال شيخُ الإسلام أو غيرُه: إنَّ الجهادَ فرضُ عين، والنَّبيُّ ﷺ قد قال خلاف ذلك، فعلينا أنْ نأخذَ بقولِ نبيِّ الرَّحمة ونترك ما سواه مهما كان قائله.

---

(١) وهو موجودٌ في (٥/ ٥٣٨) ط/ دار المعرفة.

وأمَّا قولُه: فالصَّلاةُ تؤخَّر وتُجمعُ، أي: بعُذر السَّفر والمرض، وتختصر ركعاتُها؛ أي: تقصر بعُذر السَّفر، وتُغيَّر هيئتُها بوجودِ الجهاد؛ أي: تُصلَّىٰ صلاة الخوف، هذا كلّه صحيح إلَّا أنَّها لا تترك بحال، فمَن تركَها عامدًا فقد كفَر للأدلَّة الشَّرعيَّة.

أمَّا الجهادُ فيُترَكُ، ولا يكون تركُه كفرًا بأيِّ حال مِن الأحوال، إلَّا أنَّه إنْ كان بعُذر سقَط الإثم، وإن كان بلا عُذر مع القُدرةِ عليهِ فقدْ يلحق الإثم بتاركه، وبالله التَّوفيقُ.

وأمَّا قولُه ﷺ في غزوة الأحزاب: «مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَىٰ» فهذا لا حُجَّة فيه؛ لأنَّه كان قبل أن تشرع صلاة الخوف، أمَّا بعدَ مشروعيَّة صلاة الخوف فلم يعرف أنَّ النَّبيَّ ﷺ ترَك فرضًا واحدًا حتَّىٰ تجاوز وقته إلَّا أنْ يجمعه إلىٰ وقتٍ آخر في سفر، وقد جمع مرَّة واحدةً بدون سفَر ولا مطر، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أَرَادَ أَلَّا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ»[1]، والله أعلم.

وأمَّا قولُه: «والمجاهدُ يُفطرُ في رمضان»، فنقولُ: المجاهدُ يفطرُ بنيَّة القضاء، أمَّا تركُ الصَّوم بالكلِّيَّة فلا يجوزُ، وبالله التَّوفيقُ.



(١) أخرجه مسلم (٧٠٥).

أسبابُ النَّصر

وإذ قد انتهينا مِن حُكم الجهاد، وقرَّرنا أنَّه فرضُ كفايةٍ لا فرض عين بالأدلَّة النَّاصعة التي لا يَردُّها إلَّا مُكابر؛ فإنَّه ينبغي أن نُبيِّنَ أسباب النَّصر الَّتي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه أنَّها أسبابٌ له.

فأقولُ، ومِن الله أستمدُّ العونَ:

أوَّلًا: يجبُ أن نعلمَ أنَّ أهمَّ أسباب النَّصر هو الإخلاص لله تعالىٰ، وأن يكون المقصود من جهادنا هو نصر دين الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ سائر الأديان، وإعلاء كلمة الله علىٰ كلمة الكفر بإظهار الإيمان علىٰ الكفر، والحقّ علىٰ الباطل، والعدل علىٰ الجور حتّىٰ يحكم شرعُ الله في أرض الله، ويعزّ أهل دينه، ويذلّ أهل معصيته.

فمَن قاتل بهذه النيَّة فهو الَّذي نصر الله وقاتل لله، فاستحقَّ بذلك نصْر الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وفي «الصَّحيحين» عن أبي موسىٰ[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن الرَّجُل يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، والرَّجُل يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَالرَّجُل يُقَاتِلُ للمَغْنَم، أَيُّ ذَلِكَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ في سَبِيلِ اللهِ»[(٢)].

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار - بفتح المهملة وتشديد الضَّاد المعجمة - صحابيٌّ مشهورٌ، أَمَّره عمرُ ثُمَّ عُثمانُ، وهو أحد الحكمين بصفِّين، مات سنة (٥٠)، وقيل: بعدها. اهـ. «تقريب»، ت (٣٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

ثانيًا: الصَّبرُ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾، ومعنى: حين البأس؛ أي: حين القتال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ثالثًا: الثَّباتُ في حَوْمة الوَغَى وعدم الفِرار؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

رابعًا: الإكثارُ مِن ذكر الله بالقلب واللِّسان؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

خامسًا: الإيمانُ الصَّادق الَّذي يُثمرُ العملَ الصَّالح؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [المؤمن: ٥١].

سادسًا: العملُ الصَّالحُ؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

سابعًا: العملُ الصَّالحُ هو الَّذي يكون بما شرع رسول الله ﷺ لا بالبدع والهوىٰ؛ ولهذا فإنَّ الآيَةَ السَّابقةَ الَّتي وعَد اللهُ فيها باستخلاف المؤمنين الَّذين يعملون الصَّالحات سُبِقَتْ بآيةٍ تحثُّ علىٰ طاعة الرَّسول ﷺ وأُتبعت بآيةٍ تحثُّ علىٰ طاعة الرَّسول ﷺ؛ فالآية الَّتي قبلها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ثُمَّ قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلىٰ أنْ قال بعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فدلَّ سياقُ هذه الآيات علىٰ أنَّ العملَ الصَّالح هو ما شرَعه رسولُ الله ﷺ، أمَّا ما أُحدثَ بعدَه مِن البدع فلا يصحُّ أنْ يُوصفَ بأنَّه صالحٌ؛ لأنَّ البدَعَ ضلالٌ، والضَّلالُ لا يجوز ولا يصحُّ أنْ يُوصفَ بالصَّلاح؛ ففي حديث العِرباض بن سارية[(١)]، عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٢)].

وإذا كانت البدَع ضلالًا، فإنَّه لا يترتَّب عليها نصرٌ ولا استخلافٌ، وإنْ زعَم أصحابُها أنَّها عبادةٌ حسنةٌ، وأنَّها قُربةٌ إلىٰ الله، فالأعمالُ تُوزنُ بالشَّرع، ولا تُوزنُ بآراء

---

(١) عرباض - بكسر أوَّله وسكون الرَّاء بعدها موحَّدة، وآخره معجمة - ابن سارية السّلمي، أبو نجيح، صحابيٌّ، كان مِن أهل الصُّفَّة، ونزل حمص، توفِّي بعد السَّبعين. انتهىٰ. «تقريب»، ترجمة (٤٥٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والتِّرمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦٠٧).

النَّاس، فما اعتبره الشَّرع صالحًا فهو صالح، وما اعتبره الشَّرعُ ضلالًا فهو ضلالٌ.

ثامنًا: العملُ الصَّالحُ يعمُّ أداء الفرائض والواجبات والمستحبَّات؛ كـ: إقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، والحجّ والعُمرة، وبرّ الوالدَين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وأداء الأمانة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والإحسان إلىٰ ذوي القُربىٰ والأيتام والأرامل، ورحمة المسكين، وقيام اللَّيل، والإكثار مِن الصَّدقة ونوافل الصَّلاة، وصوم ثلاثة أيّام مِن كلِّ شهر، وغير ذلك.

وترك المحرَّمات، كـ: الزِّنا، وشُرب الخمر، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، وأكل أوقاف المسلمين، وأكل المال الحرام، كـ: الرّشوة، والغشّ، والغصب، وغير ذلك، وتأخير الصَّلاة عن أوقاتها، وشُرب الدُّخان والشِّيشة، وأكل القات، وغيرها مِن المخدِّرات، والسُّخرية من المسلمين، والخيانة لهم، والدّلالة علىٰ عوراتهم، والتَّجسُّس علىٰ المؤمنين، والتَّشبُّه بالكفرة والمبطلين، وعشق الصُّوَر، وغير ذلك، وترك ما يُستطاعُ مِن المكروهات، والتَّورُّع عن المشتبهات.

كلّ هذه الأفعال والتُّروك يشملها عمل الصَّالحات.

تاسعًا: التَّوكُّل علىٰ الله والاعتصام به، والالتجاء إليه والارتماء بين يديه؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

عاشرًا: التَّخلِّي عن النَّفس وترك الإعجاب بها وبشجاعتها وبكثرة العدَد أو بكثرة العُدَّة، والتَّخلِّي عن ذلك كلِّه استنادًا إلىٰ الله وتوكُّلًا عليه، واعترافًا بالضّعف؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ

شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

الحادي عشر: الإقبالُ إلى الله، وكثرةُ دُعائه، واستنزال النَّصر من عنده؛ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الثَّاني عشر: تجنُّب الغلول في الغنيمة؛ فقد أخرج ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثَّمانية» بعنوان: تعظيم شأن الغلول (٢/ ١٩٠)، عن أبي ذرّ[1] رضي الله عنه يقول: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنْ لم تَغُلَّ أُمَّتي لم يَقُمْ لهُم عدوٌّ أبدًا»، فقالَ أبو ذرٍّ لحَبِيب[2] بن مَسْلَمَةَ: هَلْ ثَبَتَ لَكُمُ العَدُوُّ حَلْبَةَ شَاةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَثَلاثَ شِيَاهٍ غُزْرٍ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: غَلَلْتُمْ وَرَبِّ الكَعْبَةِ[3]. قال

(١) أبو ذرّ: هو الغفاريّ، جندب بن جُنادة، على الأصحّ، وقيل: برير - بموحّدة مصغرًا ومكبرًا - الصّحابيّ المشهور، واختلف في اسم أبيه، فقيل: جندب - هكذا، ولعلّه جنادة، على ما رجّح في الاسم؛ وقيل: عشرقة، أو عبد الله، أو السّكن، تقدّم إسلامه وتأخّرت هجرته، فلم يشهد بدرًا، ومناقبه كثيرة جدًّا، مات سنة (٣٢) في خلافة عُثمان. انتهى من «التّقريب» بتصرُّف، ترجمة (٨٠٨٧) في الكُنى.

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب القرشي الفهري المكّي، نزيل الشّام، وكان يُسمّى: حبيب الرُّوم؛ لكثرة دُخوله عليهم مُجاهدًا، مختلفٌ في صُحبته، والرّاجح ثُبوتُها، لكنّه كان صغيرًا، وله ذكر في الصّحيح في حديث ابن عمر مع مُعاوية، مات بأرمينية أميرًا عليها، من جهة مُعاوية سنة اثنتين وأربعين. انتهى، «تقريب» (١١٠٦).

(٣) أخرجه الطّبرانيُّ في «الأوسط» (٨/ ١٠٥)، (٨١٠٨)، وضعّفه الألبانيُّ رحمه الله في «الضّعيفة» (٥١٦٩).

إسحاق[1]: «هذا ضعيف الإسناد»، أي: لجهالة الحرّ.

قال المحقق حبيب الأعظمي[2]: «في رواية: غزا، بدل غزوته، وهي أشبه باللين، راجع (الدراية)».

ثم قال: «ورواه أبو يعلى أيضًا. قال البوصيري[3]: رواه - أي: أبو يعلى وإسحاق بن راهويه - ثقات، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وقد صرّح بقية بن الوليد[4] بالتحديث» (٥/ ٣٣٧).

الثالث عشر: تجنّب المعاصي قليلها وكثيرها، والتنازع الذي يؤدي إلى الفشل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغيّر قبل موته بيسير، مات سنة (٢٣٨)، وله (٧٢) سنة، انظر: «التقريب» ترجمة (٣٣٢).

(٢) حبيب الأعظمي، عالم جليل معاصر، محدّث من علماء الهند، خرّج كثيرًا من المخطوطات الحديثية في الحديث، وعمله فيها يدلّ على طول باعه في الرواية.

(٣) البوصيري: هو شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر البوصيري، الشافعي، ولد في المحرّم سنة (٧٦٢)، وسمع القاضي، ولازم العراقي حتى كتب عنه الكثير، ثم لازم ابن حجر، فكتب «لسان الميزان»، و«النكت على الكاشف»، وكثيرًا من تصانيفه، له «زوائد ابن ماجه»، توفي في ليلة عشر المحرّم من سنة (٨٤٠)، ترجمته في [illegible] (ج ١، صفحة ٢٣٣)، «معجم المؤلفين» لعمر كحالة (١/ ١٧٥).

(٤) بقية بن الوليد بن صائد الكلاعي، أبو يحمد، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، من الثامنة، مات سنة (١٩٧)، وله (٨٧) سنة، انظر: «التقريب» ترجمة (٧٣٤).

وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[آل عمران: ١٥٢، ١٥٣].

وهاتان الآيتان نزلتا في الرُّماة خاصَّة الَّذين أمرهم النَّبيُّ ﷺ أنْ يكونُوا على الجبل، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن نحن انتصرنا أو هُزمنا، فلمَّا بدتْ بوادر النَّصر نزل الرُّماة، وعصَوا أميرهم عبد الله بن جبير[(١)]، فلمَّا تركوا الجبل جاءت خيل المشركين من وراء المسلمين، واختلَّت صفوف المسلمين، وكثُر فيهم القتل وصاح الشَّيطان: إنَّ محمَّدًا قد قُتل، وذلك بعد أنْ ولَّى المشركون منهزمين.

ومعنى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بالنَّصر، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بتسليطه إيَّاكم عليهم[(٢)]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ الذي أمركم به رسول الله ﷺ، ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ خالفتُم أمر نبيكم وتركتُم الجبلَ.

والشَّاهدُ: أنَّه إذا كان أصحابُ رسول الله ﷺ قد حصَل لهم ما حصَل بسبب معصيةٍ واحدةٍ، فكيف إذا قابل المسلمون عدوَّهم وهم مُصرُّون على معاصٍ لا حصر لها؟! فيجب على جيوش المسلمين أن يتطهَّروا مِن المعاصي قليلِها

---

(١) عبد الله بن جبير بن النّعمان الأنصاري، أخو خوَّات بن جبير، شهد العقبة، وبدرًا، واستشهد بأحد، وكان أمير الرُّماة يومئذ. انظر: «الإصابة في أسماء الصحابة»، للحافظ ابن حجر (مجلد٢، صفحة ٢٧٨)، و«الاستيعاب» (مجلد٢، صفحة ٢٦٩) من نفس المجلّد، طبع مصطفى محمَّد.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٣٣).

ويتركوها قبل مقابلة العدوّ، ويتوبوا إلى الله لعلّ الله أن يتوب عليهم وينصرهم على عدوّهم.

وليس معنى ذلك: أنْ يكونوا ملائكةً فلا يخطئون، فالخطأ ملازم البشر، ولكن عليهم أنْ يتوبوا من الإصرار على المعاصي التي صارت كأنها لازمةٌ لهم، ويستغفروا إن وقعوا في شيء من المعاصي العارضة، فإن فعلوا ذلك فهم جديرون بأنْ يُنصرُوا، والله لا يُخلفُ وَعدَه، ولكنّ أكثرَ النّاس لا يعلمون.



فصلٌ
في فضل الشَّهادة

عن معاذ بن جبل[١] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيل اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فإِنَّ لَهُ أَجْر شَهِيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سَبيل اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً؛ فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَومَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ؛ لَوْنُهَا لَونُ الزَّعْفَرَانِ، وَرِيحُهَا رِيحُ المِسْكِ، وَمَنْ خَرَجَ بِهِ خُرَاجٌ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ عَلَيهِ طَابَعَ الشُّهَدَاءِ»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ». رواه البخاري[٣]، وله في رواية أخرىٰ، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»، فكان أبو هُريرةَ يَقُولُهنَّ

---

(١) معاذ بن جبل: ابن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، مشهور من أعيان الصَّحابة، يكنىٰ أبا عبد الرَّحمن، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهىٰ بالعلم بالأحكام والقرآن، مات بالشَّام سنة (١٨). انتهىٰ. «تقريب»، ترجمة (٦٧٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والتِّرمذي (١٦٥٧)، وصحَّحه الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٤١).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٢٧٩٧).

ثَلاثًا، أَشْهَدُ باللهِ[١].

ولمسلم أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ، لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي، وَلا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ». هذا لفظ مسلم[٣].

وأخرج البخاري أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو يَرْجِعُهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧٦).

أَوْ غَنِيمَةٍ»(١).

وله في أخرىٰ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَثَلُ المجَاهِدِ في سَبيلِ الله - واللهُ أَعْلَمُ بمَنْ يُجَاهِدُ في سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ للمُجَاهِدِ في سَبِيله بأَنْ يَتوفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أَوْ يرْجِعَهُ سَالمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يُغفَرُ للشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّينَ». أخرجه مسلم(٣).

وللتِّرمذي مِن حديث أنس بن مالك عنه مرفوعًا: «القَتْلُ في سَبِيل اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ»، فَقَالَ جبْريلُ: «إِلَّا الدَّينَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِلَّا الدَّيْنَ»(٤).

وعن المقدام بن مَعْديكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «للشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ ستُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ اللهُ لَهُ في أَوَّلِ دفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدُه مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَاب القَبْر، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَر، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِه تَاجُ الوَقَارِ؛ اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِن الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِه»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (١٦٤٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سُنن التِّرمذيِّ» (١٦٤٠)، وهو حديثٌ صحيحٌ يُعضده حديث عبد الله بن عمرو السَّابق.

(٥) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال: «صحيح غريب»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح التِّرمذيِّ» (١٦٦٣).

الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ»[1]. وفي رواية: «لما يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»[2]. أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ، ولمسلم نحوه.

وفي رواية للتِّرمذيِّ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَىٰ»[3].

وله في رواية أخرىٰ أنَّه قال: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدُ»[4].

وفي رواية للنَّسائيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ: يَابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، خَيْرَ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ. فَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَىٰ الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لما يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»[5].

وعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأصحابه: «لما أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٨١٧)، ومسلمٌ (١٨٧٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٧٩٥)، ومسلمٌ (١٨٧٧).

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (١٦٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: «حديثٌ صحيحٌ»، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح التِّرمذي» (١٦٤٣).

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (١٦٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح الترمذي» (١٦٤٠).

(٥) أخرجه النَّسائيُّ (٣١٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح النَّسائيِّ» (٣١٦٠).

طيبَ مأكَلِهِمْ، ومَشْرَبِهِمْ، ومَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عِنْدَ الحَرْبِ! فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] إلى آخر الآيات»[١].

وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] قال: سألنا عبدَ الله بنَ مَسْعُودٍ عن هَذِهِ الآيةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا». أخرجه مسلم[٣]، والترمذي بنحوه، وزاد في رواية: «وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا»[٤].

وعن راشد بن سعد[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ، عن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٢٥٢٠).

(٢) هو ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفي ثقة، عالم مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين أو ثلاث وستين. اهـ «تقريب»، ترجمة رقم (٦٦٠١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٨٧).

(٤) أخرجه الترمذيُّ (٣٠١١)، وقال: «حديثٌ حسنٌ».

(٥) راشد بن سعد المقرائي - بفتح الميم وسكون القاف، وفتح الراء بعدها همزة، ثم ياء النسب - =

قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً». أخرجه النَّسائيُّ[1].

هذه الأحاديث نقلتها وتخريجها من «جامع الأصول» (٩/٤٩٧) فضل الشَّهادة والشُّهداء، وتخريجه لعبد القادر أرناؤوط.

وروى عبد الله بن المبارك في كتابه (الجهاد)، تحقيق الدُّكتور: نزيه حمَّاد (رقم ١٤٣)، عن مطرِّف[2]، قال: «حدَّثنا ابن حازم[3]، قال: حدَّثنا عبد الرَّحمن بن يزيد بن معاوية[4]، قال: قَالَ رَجُلٌ وَنَحْنُ نَسِيرُ بِأَرْضِ الرُّومِ: أَخْبِرْ أَبَا حَازِمٍ شَأْنَ صَاحِبِنَا الَّذِي رَأَى فِي الْعِنَبِ مَا رَأَى! قَالَ الرَّجُلُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَخْبِرْهُ أَنْتَ، فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ الَّذِي سَمِعْتَ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ: فَمَرَرْنَا بِكَرْمٍ، فَقُلْنَا لَهُ: خُذْ هَذِهِ السُّفْرَةَ فَامْلَأْهَا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ، ثُمَّ أَدْرِكْنَا بِهِ فِي الْمَنْزِلِ. قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ الْكَرْمَ، نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَغَضَّ عَنْهَا بَصَرَهُ، ثُمَّ نَظَرَ فِي نَاحِيَةِ الْكَرْمِ، فَإِذَا هُوَ بِأُخْرَى مِثْلِهَا، فَغَضَّ عَنْهَا، فَقَالَتْ

=

لحضي من الثَّالثة، ثقةٌ كثيرُ الإرسال، مات سنة ثمان، وقيل: ثلاث عشرة ومئة. اهـ «التقريب»، ت (٤١٨٥).

(١) أخرجه النَّسائيُّ (٢٠٥٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح النَّسائي» (٢٠٥٣).

(٢) مطرِّف بن طريف الكوفي، أبو بكر، أو أبو عبد الرَّحمن، ثقةٌ فاضلٌ، من صغار السَّادسة، مات سنة (١٤١) أو بعدها، روى له (٤). اهـ «التقريب»، ت (٦٧٠٥).

(٣) ابن حازم، صوابه: ابن أبي حازم، وهو عبد العزيز، وأبوه: أبو حازم سلمة بن دينار، وكلاهما ثقة، خرّج له في «الصَّحيحين»، ولعلَّه كان هو وأبوه حاضرَيْن حينما قصَّ عبد الرَّحمن بن يزيد القصَّة، ويدلُّ عليه قوله: أخبر أبا حازم شأن صاحبنا الَّذي رأى في العنب ما رأى.

(٤) عبد الرَّحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان، صدوقٌ من الثَّالثة، مات على رأس المئة. اهـ «التقريب»، ت (٤٠٤٤).

[illegible]

وقال ابن المبارك أيضاً عن عبد الرحمن بن سلمان الحجري[1]، قال: حدثني عبد الكريم بن الحارث الحضرمي[2]، قال: حدثني أبو إدريس[3]، قال: قدم علينا [illegible] من أهل المدينة [illegible] قال: [illegible] صقالبة من أنطاكية [illegible] قال: [illegible] أنا، وزياد، ودخل آخر من أهل [illegible]. قال: [illegible] وجهنا أحدنا الثالث؛ ليأتينا بطعام، إذ [illegible] فوقعت قريبًا من زياد، فشظيت منها شظية، فأصابت ركبة زياد، [illegible] فاحتملناه، وأقبل صاحبي، فناديته، فجاءني فبرزنا به حيث لا يناله النبل والمنجنيق، فمكثنا طويلاً من صدر نهارنا لا يتحرك منه شيء، ثم أفتر

(1) عبد الرحمن بن سلمان الحجري - بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم - الرعيني المصري، لا بأس به، من السابعة. اهـ. التقريب، ت (٣٨٨٢).

(٢) عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمي، أبو الحارث المصري، ثقة عابد من السادسة. اهـ. التقريب، ت (٤١٤٨).

(٣) أبو إدريس المدني، لم أجد له ترجمة بعد البحث في المصادر الموجودة عندي.

[illegible]

[illegible]

فَقُلْتُ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ [illegible] قَالَ: لَا. قَالَ: أَمَا تَذْكُرُ [illegible] حِينَ وَقَعَ إِلَى [illegible] قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَإِنَّ أَصْحَابَكَ [illegible] عَلَيْكَ، وَرَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: نَعَمْ، أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ أُفْضِيَ بِي إِلَى غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ أَوْ زَبَرْجَدَةٍ، وَأُفْضِيَ بِي إِلَى فُرُشٍ مَوْضُونَةٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَبَيْنَ يَدَيَّ ذَلِكَ سِمَاطَانِ مِنْ نَمَارِقَ، فَلَمَّا اسْتَوَيْتُ قَاعِدًا عَلَى الْفِرَاشِ سَمِعْتُ صَلْصَلَةَ حُلِيٍّ عَنْ يَمِينِي، فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ، فَلَا أَدْرِي أَهِيَ أَحْسَنُ، أَوْ ثِيَابُهَا، أَوْ حُلِيُّهَا؟! فَأَخَذَتْ إِلَى طَرَفِ السِّمَاطِ، فَلَمَّا اسْتَقْبَلَتْنِي، رَحَّبَتْ، وَسَهَّلَتْ، وَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِالْجَافِي، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَسْنَا كَفُلَانَةَ امْرَأَتِهِ، فَلَمَّا ذَكَرَتْهَا بِمَا ذَكَرَتْهَا بِهِ ضَحِكْتُ، وَأَقْبَلَتْ حَتَّى جَلَسَتْ عَنْ يَمِينِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا خَوْدُ زَوْجَتُكَ. فَلَمَّا مَدَدْتُ يَدَيَّ، قَالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ، إِنَّكَ سَتَأْتِينَا عِنْدَ الظُّهْرِ، فَبَكَيْتُ، فَحِينَ فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا، سَمِعْتُ صَلْصَلَةً عَنْ يَسَارِي، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ مِثْلِهَا فَوَصَفَ نَحْوَ ذَلِكَ، فَصَنَعَتْ كَمَا صَنَعَتْ صَاحِبَتُهَا، فَضَحِكْتُ حِينَ ذَكَرَتِ الْمَرْأَةَ، وَقَعَدَتْ عَنْ يَسَارِي، فَمَدَدْتُ يَدَيَّ، فَقَالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ، إِنَّكَ تَأْتِينَا عِنْدَ الظُّهْرِ فَبَكَيْتُ. قَالَ: فَكَانَ قَاعِدًا مَعَنَا يُحَدِّثُنَا، فَلَمَّا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مَالَ فَمَاتَ.

قال عبد الكريم: كَانَ رَجُلٌ يُحَدِّثُنِي عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْمَدَنِيِّ، ثُمَّ قَدِمَ فَقَالَ لِي الرَّجُلُ: هَلْ لَكَ فِي أَبِي إِدْرِيسَ الْمَدَنِيِّ تَسْمَعُهُ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَسَمِعْتُهُ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الجهاد [illegible]

وقال عبدُ الله بن المبارك عن السَّريِّ بن يحيىٰ[١]، عن ثابت البُنَاني[٢]: «أنَّ فتىً غزا زمانًا وتعرَّض للشَّهادةِ، فلَمْ يُصِبْهَا، فحدَّثَ نَفْسَهُ، فقَالَ: واللهِ، ما أرانِي إلَّا لَوْ قَفَلْتُ إلىٰ أهْلي فتزوَّجتُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ في الفُسْطَاطِ، ثُمَّ أيقَظَهُ أصْحَابُهُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَبَكَىٰ حَتَّىٰ خَافَ أصْحَابُهُ أنْ يَكُونَ قَدْ أصَابَهُ شَيءٌ، فَلَمَّا رَأىٰ ذَلِكَ قَالَ: إنِّي لَيْسَ بي بَأْسٌ، ولَكِنَّه أتَاني آتٍ وأنَا في المنَام، فقَالَ: انطَلِقْ إلَىٰ زَوْجَتِكَ العَيْنَاءِ! قَالَ: فَقُمْتُ مَعَهُ، فَانْطَلَقَ بي في أَرْضٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَوْضَةٍ مَا رَأَيْتُ رَوْضَةً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فَإِذَا فِيهَا عَشْرُ جَوَار مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُنَّ قَطُّ، وَلَا أَحْسَنَ مِنهُنَّ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ إحْدَاهُنَّ، فَقُلْتُ: أَفِيكُنَّ العَيْنَاءُ؟ قُلْنَ: هِيَ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَنَحْنُ جَوَارِيهَا.

قَالَ: فَمَضَيْتُ مَعَ صَاحِبِي فَإِذَا رَوْضَةٌ أُخْرَىٰ يُضَعَّفُ حُسْنُهَا عَلَىٰ حُسْنِ الَّتِي تَرَكْتُ، فِيهَا عِشْرُونَ جَارِيَةً، يُضَاعَفُ حُسْنُهُنَّ عَلَىٰ حُسْنِ الْجَوَارِي اللَّاتِي خَلَّفْتُ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ إحْدَاهُنَّ، فَقُلْتُ: أَفِيكُنَّ الْعَيْنَاءُ؟ قُلْنَ: هِيَ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَنَحْنُ جَوَارِيهَا. حَتَّىٰ ذَكَرَ ثَلَاثِينَ جَارِيَةً.

قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ قُبَّةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ مُجَوَّفَةٍ، قَدْ أَضَاءَ لَهَا مَا حَوْلَهَا، فَقَالَ لِي صَاحِبِي: ادْخُلْ. فَدَخَلْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ لَيْسَ لِلْقُبَّةِ مَعَهَا ضَوْءٌ، فَجَلَسْتُ، فَتَحَدَّثْتُ سَاعَةً، فَجَعَلَتْ تُحَدِّثُنِي، فَقَالَ صَاحِبِي: اخْرُجِ انْطَلِقْ. قَالَ: وَلَا

---

(١) السري بن يحيىٰ: ابن إياس بن حرملة الشَّيباني البصري، ثقةٌ، أخطأ الأزدي في تضعيفه، من السَّابعة، مات (١٦٧). اهـ «تقريب»، ترجمة (٢٢٢٣).

(٢) ثابت البُناني: أحد التَّابعين، أشهر مِن نارٍ علىٰ علم، وترجمه في «التَّقريب»، رقم (٨١٠)، وقال: ثقة عابد من الرَّابعة، مات سنة بضع وعشرين ومئة، وله ستٌّ وثمانون سنةً.

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْصِيَهُ. قَالَ: فَقُمْتُ، فَأَخَذَتْ بِطَرَفِ رِدَائِي، فَقَالَتْ: أَفْطِرْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا أَيْقَظْتُمُونِي رَأَيْتُ أَنَّمَا هُوَ حُلْمٌ، فَبَكَيْتُ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ نُودِيَ فِي الْخَيْلِ قَالَ: فَرَكِبَ النَّاسُ، فَمَا زَالُوا يَتَطَارَدُونَ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، وَحَلَّ لِلصَّائِمِ الإِفْطَارُ، أُصِيبَ تِلْكَ السَّاعَةَ، وَكَانَ صَائِمًا، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنَ الأَنْصَارِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ثَابِتًا كَانَ يَعْلَمُ نَسَبَهُ»[1]. اهـ.



(١) أخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (١٤٩).

الخاتمة

نداءٌ موجَّه إلى جميع المسلمين:

أن يرجعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ

وأخيرًا؛ فإني أُوَجِّه هذا النِّداءَ إلىٰ جميع المسلمين؛ حُكَّامًا ومحكومين، أتباعًا ومتبوعين، وأخصُّ منهم المستغرقين في الغفلات، والسَّاهين عن الصَّلوات، والمفرِّطين في الطَّاعات، أوجِّهُه إلىٰ الَّذين تمرُّ بهم فرائضُ الله، وهم في لهوهم مُنهمكُون، وعلىٰ لعبهم مقبلُون، وبدنياهم فَرِحون، وعن آخرتهم غافلون، ولعبادة ربِّهم ناسون، أوجِّهه إلىٰ الَّذين حُجِبَتْ بصائرُهم عن معرفةِ الله، فعَمُوا عن رؤيةِ الحقِّ، وفُتنُوا بالباطل، أوجِّهُه إلىٰ الَّذين غرَّهم بريق الحضارةِ الغربيَّةِ فأَمُّوها، يظنُّون أنَّ فيها ماءً وهي سراب، ويزعمون أنَّ فيها عُمرانًا وهي خرابٌ، أوجِّهه إلىٰ السَّادرين في لذَّةٍ وهميَّة بما أحرزوا وما حازوا، إلىٰ الذين عمروا الدُّنيا، وأعرضوا عن الآخرة، وزعمُوا أنَّهم قد فازوا، إلىٰ الَّذين عرض عليهم ربُّهم سلعتَه الغالية بثمن زهيد فردُّوها، وعرض عليهم الشَّيطانُ بضاعته العفنة بالخسارة الفادحة فقبلوها، إلىٰ الَّذين دعاهم الرحمن إلىٰ عبادته بعزّ الدُّنيا والآخرة فلم يستجيبوا، ودعاهم عدوُّهم الشَّيطان إلىٰ عبادتِه مقابل الذُّلّ والهوان فلم يأنفوا ولم يستعيبوا، إلىٰ هؤلاء وغيرهم أوجِّه هذا النِّداء، عسىٰ أن ينتبهوا مِن غفلتهم، ويستيقظوا مِن رقدتِهم، فيحرصوا علىٰ ما ينفعهم في دُنياهم وآخرتهم، ويُجيبوا داعيَ الله قبلَ أنْ تقول نفس: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ

عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٦١]، أوجَّه إليهم هذا النِّداءَ الإلهيَّ، وهذه الصَّيحةَ الرَّحمانيَّة: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ مُعلنًا لهم أنَّ السَّعادةَ الأبديَّة والنَّجاة مِن العذاب في طاعة الله ورسوله، والعمل بما يرضيه سبحانه؛ مِن أداءِ الفرائض، واجتناب النَّواهي، وصرف العُمر فيما ينفع ويجدي، والتسابق إلىٰ الفضائل.

ومِن أهمِّ الفضائل الَّتي ينبغي التَّسابقُ إليها: الجهادُ بالنَّفس أو المال أو بهما معًا، فتلك هي السَّعادةُ، وذلك هو الذُّخر والخير والتِّجارة الرابحة بعد الإيمان، فما من فضيلة ولا سعادة ولا خير في الدُّنيا والآخرة يطلبه الطَّالبون، ويسعىٰ مِن أجله الكادحون إلَّا وهو كامنٌ فيه، ففيه العزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ، وفيه مُضاعفةُ الحسناتِ ورفعة الدَّرجات، وفيه السِّيادةُ والحرِّيَّة الحقَّة والثَّواب الجزيل والأجر العظيم، وفيه الإحسان إلىٰ العباد بإخراجهم مِن عُبوديَّة العباد إلىٰ عبوديَّة ربِّ العباد، وإدخالهم في الإسلام وإنْ كرهوا؛ فذلك إحسان إليهم؛ وفي «صحيح البخاري»: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْم يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلَاسِلِ»(١)، وأخرجه أبو داود بلفظ: «عَجِبَ ربُّنا تَعَالَىٰ مِنْ قَوْم يُقَادُونَ إلىٰ الجَنَّةِ في

(١) أخرجه البخاريّ (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السَّلَاسِلِ». قال أبو داود: «يعني الأسير يُوثق، ثم يُسلم»[١].

وأخيرًا فيه الشَّهادة، وما أدراك ما الشَّهادة؟!

الشَّهادة الَّتي مَنْ نالها فقد نال الخيرَ كلَّه، ومَنْ حازها فقد حازَ السَّعادة بحذافيرها، فهو بالشَّهادة يُفضي إلىٰ حياةٍ أعلىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

فأرواحهم في حواصل طير خضر تَسرح في الجنَّة، وتأوي إلىٰ قناديل مُعلَّقة بالعرش[٢].

أمَّا أجسادُهم فهي محفوظة لا تَبلىٰ؛ كما صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ، ويَأمن الشَّهيدُ الفتَّانَ، ويأتون يوم القيامة وجروحهم تثعبُ دمًا؛ أي: تَسيل دمًا؛ اللونُ لونُ دم، والرِّيح ريحُ مسك، ويُزوَّج مِن الحور العين[٣].

فيا خُطَّاب الجِنان وحُورها، ويا أيَّها الراغبون في بُلَهْنية[٤] الجنَّة وقصورها؛ إن الله اشترىٰ منكم الأنفس والأموال بأنَّ لكم الجنَّة؛ فاقبلوا هذا البيع وباركوه بما تبذلونه لله من هذه الحياة الفانية والأموال الزائلة.

فإنكم إذا فعلتم ذلك تبيعون فانيًا بباقٍ، وقليلًا بكثير، وحقيرًا بنفيس، واللهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٧٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٢٦٧٧).

(٢) تقدَّم تخريجُه.

(٣) تقدَّم تخريجُه.

(٤) البُلَهنية: العيش اللَّين، قاله ابن فارس في «مجمل اللُّغة» (١/ ١٣٣) حرف الباء واللَّام وما يُثلِّثهما.

لا يُضيعُ أجْرَ مَن أحسنَ عملًا.

فما قيمةُ الدُّنيا بأسرها في حياةٍ باقيةٍ لا انقضاء لها ولا نفادَ، والله تعالىٰ يقول -وقوله الحقُّ-: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا»(١).

فأنفقوا - رحمكم الله - ممَّا ينفد لتحوزوا ما يبقىٰ، وابذُلوا لله فهو قدْ وعدَكم بالخُلْف؛ فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

عباد الله، لقد تكالب الكفر علينا، فماذا ننتظر؟ وأخذوا معظم ما في أيدينا، فبمن ننتصر؟

إن قلتم: نرفع الشَّكوىٰ إلىٰ الأمم المتَّحدة؛ فكم قد رفعنا من شكاوىٰ، فما نعلَتْ الأمم المتَّحدة، فكم قرار للأمم المتَّحدة خالفته إسرائيل وأمريكا والاتِّحاد السُّوفيتي؟!

ومن هنا نعلم أنَّ ما أُخذ بقوَّةٍ لا يعود إلَّا بقوَّةٍ، فلننتصر بالله، ولنتوكَّل علىٰ الله.

إنَّه لا يجوز لنا أن نرتميَ في أحضان الشَّرق، ولا في أحضان الغرْب، ولا نستجدي أحدًا منهم طلبًا لمالٍ أو نصرٍ، ولنتوكَّل علىٰ الله واثقين بنصره وعَونِه، ونُعين إخواننا المجاهِدين الَّذين نَعلمُ صحَّة عقيدتِهم.

واللهُ وليُّ التَّوفيق، وهو الهادي إلىٰ سواء السَّبيل.

حرَّره: **أحمد بن يحيى محمد شبير النَّجمي**

كان الانتهاء من تأليفه

في ٩/٥/١٤٠٩هـ

---

(١) تقدَّم تخريجه مرارًا.

فهرس الموضوعات



